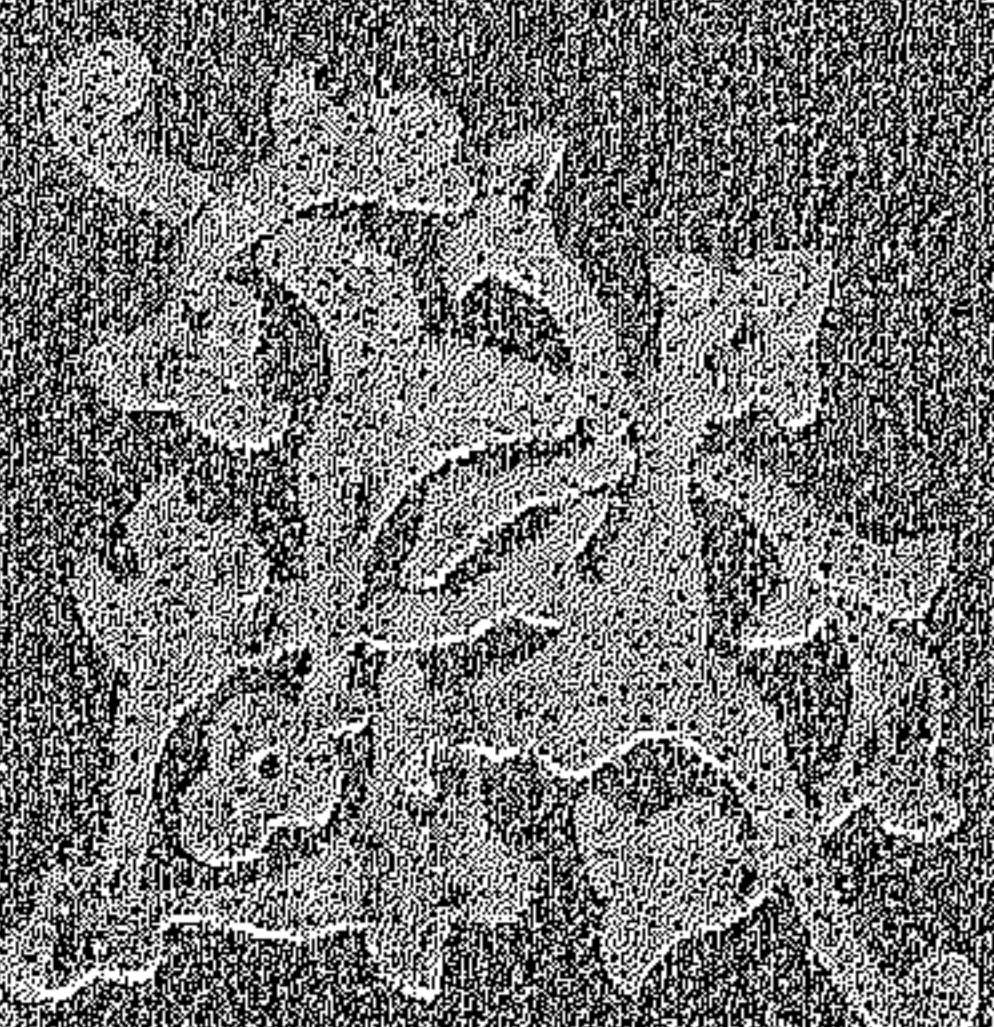


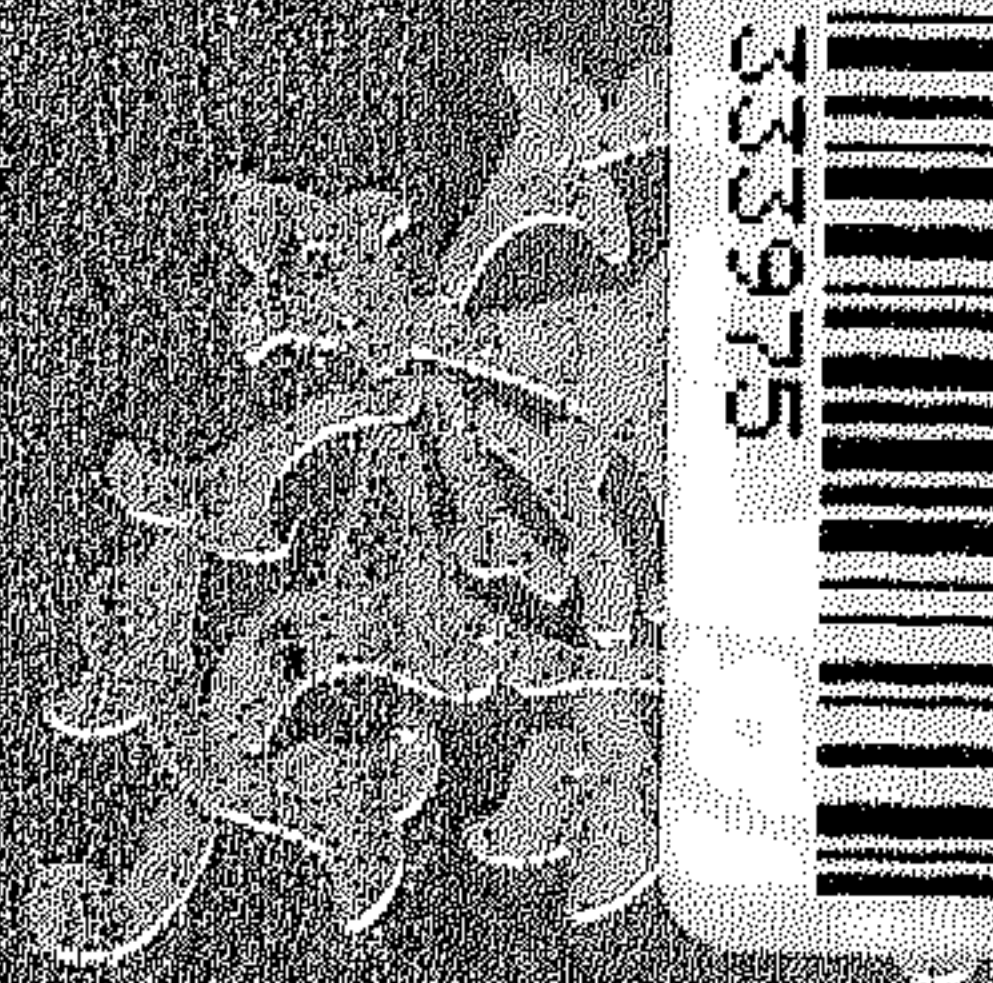
المختار من

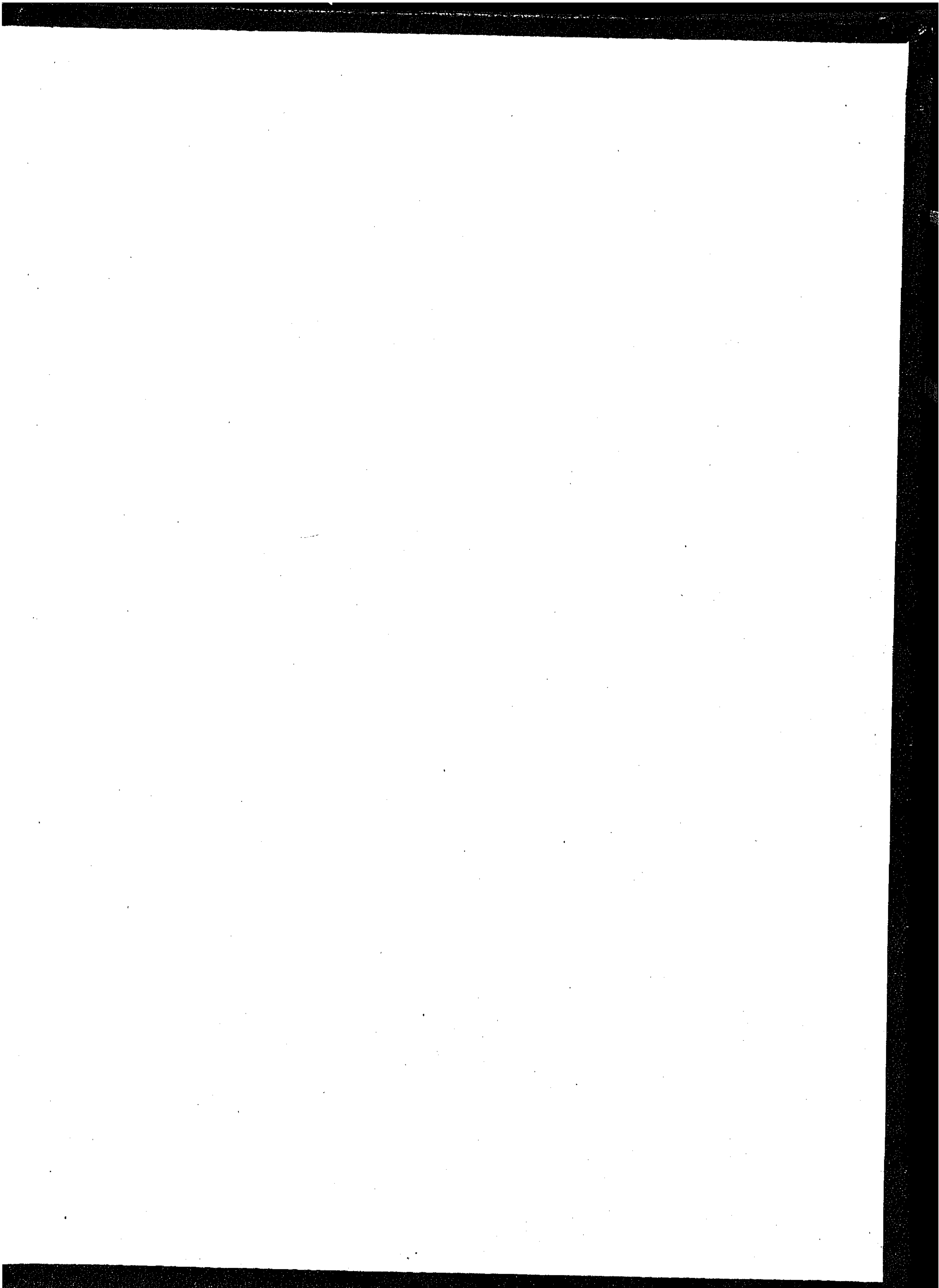
تاريخ الجبتي

محرقة من قبل البتلي



دار الشعب









28240

962.03

ب ٥ د

٣

٧١

المختار من

تاريخ الجبري

اختيار

محمّد بن عبد الله البقاعي

الهيئة العامة لكتبة الإسكندرية
رقم التصنيف
رقم التسجيل: ١/٤٢٤٨٥

الطبعة الثانية

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله القديم الأول ، الذى لا يزول ملكه ولا يتحول . خالق الخلائق ، وعالم الذرات بالحقائق . مفضى الأمم ، ومحيى الرمم ، ومعيد النعم ، ومبيد النقم ، وكاشف الغمم ، وصاحب الجود والكرم .. لا اله الا هو ، كل شئ هالك الا وجهه ، له الحكم واليه ترجعون .

وأشهد أن لا اله الا الله تعالى عما يشركون ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الى الخلق أجمعين ، المنزل عليه نبأ القرون الأولين . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ما تعاقبت الأيام والليالي ، وتداولت السنون والأعوام .

وبعد ، فيقول الفقير عبد الرحمن بن حسن الجبرتى الحنفى غفر الله له ولوالديه ، وأحسن اليهما واليه :

انى كنت سودت أوراقا فى حوادث آخر القرن الثانى عشر وما يليه ، وأوائل الثالث عشر الذى نحن فيه .. جمعت فيها بعض الوقائع اجمالية ، وأخرى محققة تفصيلية . وغالبها محن أدركناها ، وأمور شاهدناها . واستطردت فى ضمن ذلك سوابق سمعتها ، ومن أفواه الشيخة (١) تلقيتها ، وبعض تراجم الأعيان المشهورين ، من العلماء والأمراء المعبرين ، وذكر كُتَم من أخبارهم وأحوالهم ، وبعض تواريخ مواليدهم ووفياتهم فأحببت جمع شملها وتقييد شواردها فى أوراق متسقة النظام ، مرتبة على السنين والأعوام : ليسهل على الطالب النبيه المراجعة ، ويستفيد ما يرومه من المنفعة . ويعتبر

(١) الشيخة : جع شيخ .

المطلع على الخطوب الماضية ليتأسى اذا لحقه مصاب ، ويتذكر بحوادث الدهر انما يتذكر أولو الألباب .. فانها حوادث غريبة فى بابها ، متنوعة فى عجائبها . وسميته « عجائب الآثار » ، فى التراجم والأخبار . وانا لنرجو ممن اطلع عليه ، وحل بمحل القبول لديه ، ألا ينسانا من صالح دعواته ، وأن يغضى عما عثر عليه من هفواته

اعلم أن التاريخ علم يبحث فيه عن معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ، ورسومهم وعاداتهم ، وصنائعهم وأنسابهم ووفياتهم .

وموضوعه أحوال الأشخاص الماضية من الأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء والشعراء والملوك والولاطين وغيرهم

والغرض منه الوقوف على الأحوال الماضية من حيث هى ، وكيف كانت ، وفائدة العبرة بتلك الأحوال ، والتنصح بها ، وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تقلبات الزمن ليحترز العاقل عن مثل أحوال الهالكين ، من الأمم المذكورة السالفين ، ويستجلب حيار أفعالهم ، ويتجنب سوء أقوالهم ، ويزهد فى الفانى ، ويجتهد فى طلب الباقي ..

وأول واضع له فى الاسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذلك حين كتب أبو موسى الأشعرى الى عمر أنه يأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب لا ندرى على أيها نعمل . فقد قرأنا صكا محله شعبان ..

فما ندرى أى الشعبانين : أهو الماضى أم القابل !

وقيل : رفع لعمر صك محله شعبان فقال : أى شعبان : هذا هو الذى نحن فيه ، أو الذى هو آت ؟

ثم جمع وجوه الصحابة رضى الله عنهم وقال : ان الأموال قد كثرت ، وما قسمناه غير مؤقت . فكيف التوصل الى ما يضبط به ذلك ؟

فقال له الهرمزان — وهو ملك الأهواز وقد أسر عند فتوح فارس وحمل الى عمر وأسلم على يديه : ان للعجم حسابا يسمونه « ماه روز » ، ويسندونه الى من غلب عليهم من الأكاسرة . فعربوا لفظة « ماه روز » بـ « مورخ » ومصدره « التاريخ » ، واستعملوه في وجوه التصريف .

.. وقيل ان تواريخ الفرس غير مسندة الى مبدأ معين ، بل كلما قام منهم ملك ابتدأوا التاريخ من لدن قيامه وطرحوا ما قبله . فاتفقوا على أن يجعلوا تاريخ دولة الاسلام من لدن هجرة النبى صلى الله عليه وسلم ، لأن وقت الهجرة لم يختلف فيه أحد ، بخلاف وقت ولادته ووقت مبعثه صلى الله عليه وسلم .

وكان للعرب في القديم من الزمان بأرض اليمن والحجاز تواريخ يتعارفونها خلفا عن سلف الى زمن الهجرة . فلما هاجر صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ، وظهر الاسلام ، وعلت كلمة الله تعالى ، اتخذت هجرته مبدأ لتاريخها ، وسميت كل سنة باسم الحادثة التى وقعت فيها . وتدرج هذا الى سنة سبع عشرة من الهجرة في زمن عمر . . فكان اسم :

السنة الأولى : سنة الاذن (بالرحيل من مكة الى المدينة)

السنة الثانية : سنة الأمر (أى الأمر بالقتال) الى آخره ...

وقال أصحاب التواريخ ان العرب في الجاهلية كانت تستعمل شهور الأهلة ، وتقصد مكة للحج . وكان حجهم وقت عاشر الحجة كما رسمه سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام .

ولكن لما كان « الحج » لا يقع في فصل واحد من فصول السنة ، بل يختلف موقعه منها بسبب تفاضل ما بين السنة الشمسية والقمرية ، ووقوع أيام الحج في الصيف تارة وفي الشتاء أخرى — وكذا في الفصلين الآخرين — أرادوا أن يقع حجهم في زمان واحد لا يتغير ، وهو وقت ادراك الفواكه والغلال ، واعتدال الزمن في الحر والبرد .. ليسهل عليهم السفر ، ويتجروا بما معهم من البضائع والأرزاق مع قضاء مناسكهم .

فشكوا ذلك الى أميرهم وخطيبهم فقام في الموسم ، عند اقبال العرب من كل مكان ، فخطب ثم قال : أنا أنشأت لكم في هذه السنة شهرا أزيده فتكون السنة ثلاثة عشر شهرا ، وكذلك أفعل في كل ثلاث سنين أو أقل — حسبما يقتضيه حساب وضعته — ليأتى حجكم وقت ادراك الفواكه والغلال فتقصدوننا بما معكم منها .

فوافقت العرب على ذلك ومضت الى سبيلها . فنسأ المحرم وجعله كيبسا ، وأخبره الى صفر ، وصفر الى ربيع الأول ، وهكذا .. فوقع الحج في السنة الثانية في عاشر المحرم ، وهو ذو الحجة عندهم وآخر السنة . فوقع في السنة الأولى محرمان : الأول رأس السنة ، والآخر في النسيء ، وعدة الشهور ثلاثة عشر .

وبعد انقضاء سنتين أو ثلاث ، وانتهاء نوبة الكيبس — أى الشهر الذى كان يقع فيه الحج — وانتقاله الى الشهر الذى بعده ، قام فيهم خطيبا وتكلم بما أراد ثم قال : « انا جعلنا الشهر الفلانى ،

من السنة الفلانية الداخلة ، للشهر الذى يعده .
ولهذا فسر النسيء بالتأخير ، كما فسر بالزيادة .

وكانوا يديرون النسيء على جميع شهور السنة بالنوبة ، حتى يكون لهم مثلاً في سنة محرمان ، وفي أخرى صفران ، ومثل هذا بقية الشهور . فاذا آلت النوبة الى الشهر المحرم قام لهم خطيباً فينبئهم أن هذه السنة قد تكررت فيها اسم الشهر الحرام ، فيحرم عليهم واحداً منها بحسب رأيه على مقتضى مصلحتهم .

فلما انتهت النوبة في أيام النبي صلى الله عليه وسلم الى ذى الحجة ، وتم دور النسيء على جميع الشهور ، حج صلى الله عليه وسلم في تلك السنة حجة الوداع ، وهى السنة العاشرة من الهجرة ، لموافقة الحج فيها عاشر الحجة . ولهذا لم يحج صلى الله عليه وسلم في السنة التاسعة حين حج أبو بكر الصديق رضى الله عنه بالناس ، لوقوعه في عاشر ذى القعدة .

فلما حج صلى الله عليه وسلم حجة الوداع خطب وأمر الناس بما شاء الله تعالى ، ومن جملة : « ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض » — يعنى رجوع الحج الى الموضع الأول كما كان في زمن سيدنا ابراهيم صلوات الله تعالى عليه

ثم تلا قوله تعالى : « ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم . ذلك الدين القيم ، فلا تظلموا فيهن أنفسكم ، وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة . واعلموا أن الله مع المتقين . انما النسيء زيادة فى الكفر ، يضل به الذين كفروا : يحلون عاماً ويحرمونه عاماً ، ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله . زين لهم سوء أعمالهم ، والله لا يهدي القوم الكافرين . »

ومنع العرب من هذا الحساب ، وأمر بقطعه والاستمرار بوقوع الحج فى أى زمان أتى من فصول السنة الشمسية .. فصارت سنوهم دائرة فى الفصول الأربعة ، والحج واقع فى كل زمان منها كما كان فى زمن ابراهيم الخليل عليه السلام .

وفى التاريخ علم يندرج فيه علوم كثيرة : لولا ما ثبتت أصولها ، ولا تشعبت فروعها .. وأما الكتب المصنفة فيه فكثيرة جداً .. وهذه (الكتب) صارت أسماء من غير مسميات ، فانا لم نر من ذلك كله الا بعض أجزاء مدشنة بقيت فى بعض خزائن الأوقاف بالمدارس ، مما تداولته أيدي الصحافين وباعها القومة والمباشرون ، ونقلت الى بلاد المغرب والسودان ، ثم ذهبت بقايا البقايا فى الفتن والحروب ، وأخذ الفرنسيين ما وجدوه الى بلادهم ..

ولما عزمت على جمع ما كنت سودته أردت أن أوصله بشيء قبله .. وكنت ظفرت بتاريخ من تلك الفروع ، لكنه على نسق فى الجملة مطبوع ، لشخص يقال له أحمد چلبى بن عبد الغنى مبتدئاً فيه من وقت تملك بنى عثمان للديار المصرية (٩٢٣ هـ — ١٥١٧ م) ، وينتهى ، كغيره مما ذكرناه ، الى خمسين ومائة وألف هجرة (١٧٣٧ م) ..

.. فرجعنا الى النقل من أفواه الشيخة المسنين ، وصكوك دفاتر الكتبة والمباشرين ، وما انتقش على أحجار ترب المقبورين ..

ولم أقصد بجمعه خدمة ذى جاه كبير ، أو طاعة وزير أو أمير . ولم أداهن فيه دولة بنفاق ، أو مدح أو ذم مباين للأخلاق .. لميل نفسانى ، أو غرض جسمى ..

مقدمة

اعلم أن الله تعالى لما خلق الأرض ودحاها ، وأخرج منها ماءها ومرعاها ، وبث فيها من كل دابة وقدر أقواتها .. أحوج بعض الناس الى بعض في ترتيب معاشهم ومآكلهم ، وتحصيل ملابسههم ومسكنهم . لأنهم ليسوا كسائر الحيوانات التي تحصل ما تحتاج اليه بغير صنعة .

فإن الله تعالى خلق الانسان ضعيفا لا يستقل وحده بأمر معاشه ، لاحتياجه الى غذاء ومسكن ، ولباس وسلاح . فجعلهم الله تعالى يتعاقدون ويتعاونون في تحصيلها وترتيبها : بأن يزرع هذا لذلك ، ويخبز ذاك لهذا . وعلى هذا القياس تتم سائر أمورهم ومصالحهم .

وركز في نفوسهم الظلم والعدل . ثم مست الحاجة بينهم الى سائس عادل ، وملك عالم ، يضع بينهم ميزانا للعدالة ، وقانونا للسياسة توزن به حركاتهم وسكناتهم ، وترجع اليه طاعتهم ومعاملاتهم ، فأنزل الله كتابه بالحق ، وميزانه بالعدل . كما قال تعالى : « الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان » .

قال علماء التفسير : المراد بالكتاب والميزان : العلم والعدل ..

.. والعدالة تابعة للعلم بأوساط الأمور ، المعبر

عنها في الشريعة بالصراط المستقيم . وقوله تعالى : « إن ربي على صراط مستقيم » اشارة الى أن العدالة الحقيقية ليست الا لله تعالى . فهو العادل الحقيقي الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، ووضع كل شيء على مقتضى علمه الكامل ، وعدله الشامل .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « بالعدل قامت السموات والأرض » اشارة الى عدل الله تعالى الذي جعل لكل شيء قدرا .. لو فرض فارض زائدا عليه أو ناقصا عنه لم ينتظم الوجود على هذا النظام بهذا التمام والكمال .

.. روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن أحب الناس الى الله تعالى يوم القيامة ، وأقربهم منه : امام عادل . وإن أبغض الناس الى الله تعالى ، وأشدهم عذابا يوم القيامة : امام جائر » .

فمن عدل في حكمه ، وكف عن ظلمه .. نصره الحق ، وأطاعة الخلق ، وصفت له النعمى ، وأقبلت عليه الدنيا .. فتهنأ بالعيش ، واستغنى عن الجيش (١) وملك القلوب ، وأمن الحروب ، وصارت طاعته

(١) يربد الجيش يتخذه الحاكم للبطش بشعبه ، لا للذود عن هذا الشعب وحمل أمانته .

أمرأمتي شيئاً ، فلم ينصح لهم ويجتهد — كنصيحته
وجهده لنفسه — كبه الله على وجهه يوم القيامة
في النار » .

اللهم بحرمة سيد الأنام ، يسر لنا حسن الختام .
واصرف عنا سوء القضاء ، وانظر لنا بعين الرضاء .

فرضا ، وظلت رعيته جنداً ، لأن الله تعالى ما خلق
شيئاً أحلى من العدل ، ولا أروح الى القلوب من
الانصاف ، ولا أمر من الجور ، ولا أشنع من
الظلم .

روى ابن يسار عن أبيه أنه قال : سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أيما وال ولى من

وهذا أوان انشقاق كرائم طلع الشماريخ
عن زهر مجمل التاريخ

مجلد التاريخ

وفي خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب افتتحت الديار المصرية والبلاد الشامية ولم تزل في النيابة أيام الخلفاء الراشدين ودولة بني أمية وبني العباس، إلى أن ضعفت الخلافة العباسية بعد قتل المتوكل ابن المعتصم بن الرشيد سنة ٢٤٧ هـ (٨٦١ م) ، وتغلب على النواحي كل متملك لها

فانفرد أحمد بن طولون بمملكة مصر والشام ، وكذلك أولاده من بعده

ثم دولة الاخشيد ، وبعده كافور أبو المسك ممدوح المتنبي .

ولما مات (كافور) قدم جوهر القائد من قبل المعز الفاطمي من المغرب (إلى مصر) ، فملكها من غير ممانع ، وأسس القاهرة في سنة ٣٦١ (٩٧١ م) . وقدم المعز إلى مصر بجنوده وأمواله ، ومعه رمم آباءه وأجداده محمولة في توايت ، وسكن بالقصرين ، وادعى الخلافة لنفسه دون العباسيين .

وأول ظهور أمر الفاطميين في سنة ٢٧٠ هـ (٨٨٣ م) . فظهر عبد الله بن عبيد الملقب بالمهدي — وهو جد بني عبيد الخلفاء المصريين العبيديين الروافض — باليمن . وأقام على ذلك إلى سنة ٢٧٨ هـ (٨٩١ م) ، فحج في تلك السنة ، واجتمع بقبيلة من كنانة فأعجبهم حاله ، فصحبهم إلى مصر ، ورأى منهم طاعة وقوة ، فصحبهم إلى المغرب ، فمما شأنه وشأن أولاده من بعده ، إلى أن حضر المعز لدين الله أبو تميم معد بن اسماعيل بن القائم بين المهدي إلى مصر ، وهو أولهم فملكوا نيفاً ومائتين من السنين إلى أن ضعف أمرهم في أيام العاضد وسوء

أرسل الله رسوله الأكرم ، سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم ، بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . وأمره بالصدق والاعلان ، والتطهير من عبادة الأوثان .

ولم يزل هذا الدين القويم من حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم يزيد وينمو ، ويتعالى ويسمو ، حتى تم ميقاته ، وقربت من النبي وفاته فلما قبض صلى الله عليه وسلم قام بالأمر بعده أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، ثم عمر رضي الله عنه ، ثم عثمان رضي الله عنه ، ثم علي كرم الله وجهه . ولم تصف له الخلافة بمغالبة معاوية — رضوان الله عليهم أجمعين — في الأمر .

وبموت علي تمت مدة الخلافة التي نص عليها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكاً عضوضاً »

وبخلافة معاوية كان ابتداء دولة الأمويين . وانقرضت (دولة الأمويين) بظهور أبي مسلم الخراساني واطهاره دولة بني العباس . فكان أولهم السفاح وظهرت دولتها الظهور التام ، وبلغت القوة الزائدة ، والضحامة العظيمة . ثم أخذت (دولة العباسيين) في الانحطاط بتغلب الأتراك والديلم .

ولم تزل منحلة ، وليس للخلفاء في آخر الأمر إلا الاسم فقط ، حتى ظهرت فتنة التتار التي أبادت العالم . وخرج هولاءكو خان ، وملك بغداد ، وقتل الخليفة المعتصم وهو آخر خلفاء بني العباس ببغداد .

سياسة وزيره شاور ، فتسلكت الافرنج بلاد السواحل الشامية ، وظهر بالشام نور الدين محمود ابن زنكى ، فاجتهد فى قتال الافرنج واستخلاص ما استولوا عليه من بلاد المسلمين .

وجهاز (نور الدين) أسد الدين شيركوه بعساكر لأخذ مصر ، فحاصرها نحو شهرين ، فاستنجد العاضد بالافرنج ، فحضرُوا من دمياط ، فرحل أسد الدين الى الصعيد ، فجبى خراجهُ ورجع الى الشام .

وقصد الافرنج الديار المصرية فى جيش عظيم وملكوا بليس — وكانت اذ ذاك مدينة حصينة .

ووقعت حروب بين الفريقين ، فكانت الغلبة فيها على المصريين ، وأحاطوا بالاقليم برا وبحرا وضربوا على أهلِه الضرائب .

ثم ان الوزير شاور أشار بحرق الفنطاط ، فأمر الناس بالجلأ عنها ، وأرسل عبيده بالشعل والنفوط فأوقدوا فيها النار فاحترقت عن آخرها ، واستمرت النار بها أربعة وخمسين يوما .

وأرسل الخليفة العاضد يستنجد نور الدين ، وبعث اليه بشعور نسائه ... فأرسل اليه جندا كثيفا وعليهم أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين يوسف ، فارتحل الافرنج عن البلاد ، وقبض أسد الدين على الوزير شاور الذى أشار بحرق المدينة وصلبه .

وخلع العاضد على أسد الدين الوزارة ، فلم يلبث أن مات بعد خمسة وستين يوما ، فولى العاضد مكانه ابن أخيه صلاح الدين ، وقلده الأمور ، ولقبه « الملك الناصر » ... فبذل لله همته ، وأعمل حيلته ، وأخذ فى اظهار السنة ، واخفاء البدعة : فقتل أمره على الخليفة العاضد ، فأبطن له فتنة أثارها فى جنده ليتوصل بها الى هزيمة الأكراد واخراجهم من بلاده . فتفاقم الأمر ، وانشقت

العصا ، ووقعت حروب بين الفريقين أبلى فيها الناصر يوسف وأخوه شمس الدولة بلاء حسنا ، وانجلت الحروب عن نصرتهما .

فعند ذلك ملك الناصر القصر ، وضيق على الخليفة ، وجبس أقاربه ... وخطب للمستضى العباسى بمصر ، وسير الإشارة بذلك الى بغداد . ومات العاضد قهرا |

وأظهر الناصر يوسف الشريعة المحمدية ، وظهر الاقليم من البدع والتشيع والعقائد الفاسدة ، وأظهر عقائد أهل السنة والجماعة ...

ولما توفى نور الدين الشهيد انضم اليه (الى صلاح الدين) ملك الشام . وواصل الجهاد واستخلص ما تغلب عليه الافرنج من السواحل وبيت المقدس ، بعدما أقام بيد الافرنج نيافا واحدى وتسعين سنة ... وتوفى صلاح الدين سنة ٥٨٩ (١١٩٣ م) ، ولم يترك الا أربعين درهما ...

ثم استمر الأمر فى أولاده وأولاد أخيه الملك العادل

وحضر الافرنج أيضا الى مصر فى أيام الملك الكامل ابن العادل ، وملكوا دمياط وهدموها ، فحاربهم شهورا حتى أجلاهم . وعمرت بعد ذلك دمياط هذه الموجودة فى غير مكانها — وكانت تسمى بالمنشية .

وفى أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب — ابن الكامل — حضر الافرنج وملكوا دمياط ، وزحفوا الى فارسكور . واستمر الملك الصالح يحاربهم أربعة عشر شهرا وهو مريض ، وانحصر جهة الشرق ، وأنشأ المدينة المعروفة بالمنصورة ، ومات بها سنة ٦٤٧ هـ (١٢٤٩ م) ، والحرب قائمة .

وأخفت زوجته شجرة الدر موته ودبرت الأمور حتى حضر ابنه توران شاه من حصن كيفا ، وانهزمت الافرنج ، وأسر ملكهم ... وكانوا طائفة الفرنسيس .

والملك الصالح هذا هو أول من اشترى المماليك واتخذ منهم جندا كثيفا ، وبنى لهم قلعة الروضة ، وأسكنهم بها ، وسماهم « البحرية » . ومقدمهم الفارس أقطاي .

ولما انهزم الافرنج ، ومات الصالح ، وتملك ابنه توران شاه ، استوحش من ممالك أبيه واستوحشوا منه ، فتعصبوا عليه وقتلوه بفارسكور ، وقلدوا في السلطنة شجرة الدر ثلاثة أشهر ثم خلعت ... وهى آخر الدولة الأيوبية . ومدة ولايتهم احدى وثمانون سنة .

ثم تولى سلطنة مضر عز الدين أيبك التركمانى الصالحى سنة ٦٤٨ (١٢٥٠ م) ، وهو أول الدولة التركية بمصر .

ولما قتل ولوا ابنه المظفر على . فلما وقعت حادثة التتار العظمى خلع المظفر لصغره ، وتولى الملك المظفر قطز ، وخرج بالعساكر المصرية لمحاربة التتار ، فظهر عليهم ، وهزمهم ، ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك ... بعد أن كانوا ملكوا معظم المعمور من الأرض ، وقهروا الملوك وقتلوا العباد وأخربوا البلاد . وفى سنة ٦٥٤ (١٢٥٦ م) ، ملكوا سائر بلاد الروم بالسيف وفى البحر .

فلما فرغوا من ذلك جميعه نزل هولاءكو خان — وهو ابن طلون بن جنكيز خان — على بغداد ، وذلك سنة ٦٥٦ (١٢٥٨ م) ، وهى اذذاك كرسى مملكة الاسلام ودار الخلافة ، فملكها ، وقتلوا ونهبوا وأسروا من بها من جمهور المسلمين والفقهاء والعلماء والأئمة والقراء والمحدثين وأكابر الأولياء والصالحين ، وفيها خليفة رب العالمين ا و امام المسلمين ، وابن عم سيد المرسلين ... فقتلوه وأهله وأكابر دولته ، وجرى فى بغداد ما لم يسمع بمثله فى الافاق .

ثم ان هولاءكو خان أمر بعد القتل فبلغوا ألف ألف وثمانمائة ألف وزيادة .

ثم تقدم التتار الى بلاد الجزيرة واستولوا على حران والرها وديار بكر فى سنة ٦٥٧ (١٢٥٨ م) ، ثم جاوزوا الفرات ونزلوا على حلب فى سنة ٦٥٨ (١٢٥٩ م) ، واستولوا عليها وأحرقوا المساجد ، وجرت الدماء فى الأزقة ، وفعلوا ما لم يتقدم مثله .

ثم وصلوا الى دمشق ، وسلطانها الناصر يوسف ابن أيوب ، فخرج هاربا وخرج معه أهل القدرة . ودخل التتار الى دمشق وتسلموها بالأمان ... ثم غدروا بهم .

وتعدوها فوصلوا الى نابلس ، ثم الى الكرك وبيت المقدس ، فخرج سلطان مصر ... فالتقاهم عند عين جالوت ، فكسروهم وشردهم وولوا الأدبار ، وطمع الناس فيهم يتخطفونهم ، ووصلت البشائر بالنصر فطار الناس فرحا ...

ودخل المظفر الى دمشق مؤيدا منصورا ، وأحبه الخلق محبة عظيمة .

وساق بيبرس خلف التتار الى بلاد حلب فطردهم . وكان السلطان وعده بحلب ثم رجع عن ذلك ، فتأثر بيبرس وأضمر له الغدر ... وكذلك السلطان ، وأسر ذلك الى بعض خواصه فأطلع بيبرس ، فساروا الى مصر وكل منهم محترس من صاحبه فاتفق بيبرس مع جماعة من الأمراء على قتل المظفر فقتلوه فى الطريق .

وتسلطن بيبرس ودخل مصر سلطانا ، وتلقب بالملك الظاهر ، وذلك سنة ٦٥٨ (١٢٦٠ م) ، والظاهر بيبرس أحد المماليك البحرية .

وعندما استقر بالقلعة أبطل المظالم والمكوس وجميع المنكرات ، وجهاز الحج بعد انقطاعه اثنى

عشرة سنة بسبب فتنة التتار وقتل الخليفة ومنافقة أمير مكة مع التتار .

واستقر الملك للظاهر بيبرس حتى مات بدمشق في ٢٧ المحرم سنة ٦٧٦ هجرية (٣٠ يونيه ١٢٧٧ م). وكان من أعظم الملوك شهامة وصرامة واثقيدا للشرع ، وله فتوحات وعمارات مشهورة ، ومآثره حميدة ، ومنها رد الخلافة لبنى العباس . وذلك أنه لما جرى ماجرى على بغداد ، وقتل الخليفة ، وبقيت ممالك الاسلام بلا خلافة ثلاث سنوات ، حضر شخص من أولاد الخلفاء الفارين في الواقعة الى عرب العراق ، فركب الظاهر للقاءه ومعه القضاة وأهل الدولة ، فأثبت نسبه على يد قاضى القضاة ، ثم بويع بالخلافة ، فبايعه السلطان (هو الملك الظاهر بيبرس نفسه) وقاضى القضاة ، ثم الكبار على مراتبهم ، ولقب بالمستنصر ، وركب يوم الجمعة وعليه السواد (وهو شعار العباسيين) الى جامع القلعة ، وخطب خطبة بليغة ذكر فيها شرف بنى العباس ، ودعافيتها للسلطان (أى بيبرس) وللمسلمين ، ثم صلى بالناس ، ورسم بعمل خلعة خليفية الى السلطان ، وكتب له تقليدا وقرىء بظاهر القاهرة بحضرة الجمع . وألبس الخليفة السلطان الخلعة بيده ، وفوض اليه الأمور ، وركب السلطان بالخلعة ، والتقليد محمول على رأسه ، ودخل من باب النصر . وزينت القاهرة والأمراء مشاة بين يديه ...

ثم انه عزم (أى الخليفة المستنصر) على التوجه الى العراق ، فخرج معه السلطان وشيعه الى دمشق ، وجهاز معه ملوك الشرق : صاحب الموصل ، وصاحب سنجار والجزيرة ، وغرم عليه وعليهم ألف ألف دينار وستين ألف دينار . وسافروا حتى تجاوزوا هيت ، فلاقاهم التتار فحاربوهم ، فعدم الخليفة ولم يعلم له خبر . وبعد أيام حضر شخص آخر من بنى العباس

الى دمشق ، فكاتب صاحب دمشق السلطان فى شأنه ، فأرسل يستدعيه فأرسله فلما قدم الى القاهرة — ومعه ولده وجماعته — أكرمه الملك الظاهر وبايعوه بالخلافة كما سبق للمستنصر ، وأنزله بالبرج الكبير بالقلعة .

واستمرت الخلافة (العباسية) بمصر ، وأقام الحاكم فيها نيافا وأربعين سنة .

ولما مات الملك الظاهر ، تولى بعده ابنه الملك السعيد ، ثم أخوه الملك العادل — وكان صغيرا والأمر لقلاوون — فخلعه واستبد بالملك ، ولقب بالملك المنصور قلاوون . وهو صاحب البيمارستان المنصوري والمدرسة والقبة التى دفن بها . وله فتوحات بسواحل البحر الرومى (البحر الأبيض المتوسط) . وله مصافات مع التتار وغير ذلك . تولى سنة ٦٧٨ (١٢٧٩ م) ، ومات أواخر سنة ٦٨٩ (١٢٩٠ م) ، وكانت مدته احدى عشرة سنة .

وتولى بعده ابنه الملك الأشرف . وكان بطلا شجاعا ذا همة عالية ، ورياسة مرضية . خانة أمراؤه وغدروه وقتلوه بترانة جهة البحيرة سنة ٦٩٣ (١٢٩٣ م) (١) .

ولما مات الأشرف تولى بعده أخوه الملك الناصر محمد بن قلاوون وعمره تسع سنين ، فأقام سنة وخلعه مملوك أبيه زين الدين كتبغا .

فلما تولى زين الدين كتبغا الملك باسم « الملك العادل » ثار الأمير حسام الدين لاجين نائب السلطنة على العادل .

وتسلطن (حسام الدين) عوضه . فثار عليه

(١) فى هذه الأيام كانت بوادر النهضة فى أوربا قد أخذت تلوح بشائرها . فكان « روجر بيكون » ، مثلا ، مكبا على تعلم اللغة العربية ، ينهل مما كتب علماء العرب فى « البصريات » (علم الضوء) ما يمكنه من صنع العدسات ، ويستلهم من كيميائهم ما توصل به الى صنع البارود !

مملوكان لم يكادا يقتلانه حتى قتلا أيضا .
استدعى الناصر (الذى خلع من قبل ونفى فى الكرك) ، فقدم وأعيد الى السلطنة مرة ثانية ، فأقام عشر سنوات وخمسة أشهر محجورا عليه ، والقائم بتدبير الدولة الأميران بيبرس الجاشنكير ، وسلاّر نائب السلطنة . فأظهر الناصر أنه يريد الحج بعياله ، فوافقه الأميران على ذلك ، فتوجه الى الكرك ونزل بقلعتها ، وصرح بأنه ثنى عزمه عن الحج ، واختار الإقامة بالكرك ، وترك السلطنة ليستريح ، وكتب الى الأمراء بذلك ، وسأل أن ينعم عليه بالكرك والشوبك .

وتسلطن بيبرس الجاشنكير وتلقب بالملك المظفر . وكتب للناصر (الملك السابق) تقليدا بنبابة الكرك . فعندما وصله التقليد أظهر البشر وخطب باسم المظفر على منبر الكرك ...

فلم يتركه المظفر ، وأخذ يناكده ، ويطلب منه من معه من المماليك الذين اختارهم للإقامة عنده ، والخيول التى أخذها من القلعة ، والمال الذى أخذه من الكرك . وهدده ، فحنق لذلك وكتب الى نواب الشام يشكو ما هو فيه ، فحثوه على أخذ ملكه ، ووعدوه بالنصرة ، فتحرك لذلك وسار الى دمشق ، وأتت النواب اليه ، وقدم الى مصر ، وفر بيبرس (المظفر) ، وطلع الناصر الى القلعة يوم عيد الفطر سنة ٧٠٩ (١٣١٠ م) فأقام فى الملك ٣٢ سنة و ٣ أشهر . ومدة سلطنته ٤٣ سنة و ٨ أشهر و ٩ أيام .

وكان ملكا عظيما جليلا كفؤا للسلطنة ، ذا دهاء ، محبا للعدل والعمارة وطابت مدته ، وشاع ذكره ، وطار صيته فى الآفاق ، وخطب له فى بلاد بعيدة . وقد أسقط المكوس من أعمال الممالك المصرية والشامية ، وأبطل الرشوة وعاقب عليها ، فلا يقلد المناصب الا مستحقيها بعد التروى والامتحان

واتفاق الرأى ، ولا يقضى الا بالحق ... فكانت أيامه سعيدة ، وأفعاله حميدة .

وفى أيامه كثرت العمائر حتى يقال : ان مصر والقاهرة زادتا فى أيامه أكثر من النصف ، وكذلك القرى بحيث صارت كل بلدة من القرى القبلية والبحرية مدينة على انفرادها .

وحضر فى أوائل دولته القنان غازات بجنود التتار ، فخرج اليهم بعساكر مصر وهزمهم مرتين . وقد قال فيه الصفى الحلى ، من قصيدة طويلة :

الناصر السلطان من خضعت له
كل الملوك مشارقا ومغاربا

ملك يرى تعب المكارم راحة
ويعد راحات الفراغ متاعبا

ترجى مكارمه ويخشى بطشه
مثل الزمان : مسالما ومحاربا

فاذا سطا ملأ القلوب مهابة
واذا سخا ملأ العيون مواهبا

كالليث : يحس غابه بزئيره
طورا ، وينشب فى القنيس مغالبا

كالسيف : يبدى للنواظر منظرا
طلقا ، ويمضى فى الهياج مضاربا

كالسيل : تحمد منه عذبا واصلا
ربعه قوم عذابا واصبا

كالبحر : يهدى للنفوس نفائسا
منه ، ويبدى للعيون عجائبا

يا أيها الملك العزيز ، ومن له
شرف يجر على النجوم ذوائبا

أصلحت بين المسلمين بهيبة
تذر الأجانب بالوداد أقاربا

ووهبتهم زمن الأمان ... فمن رأى
ملكا يكون له الزمان مواهبا ؟

وتولى من أولاد السلطان الناصر ، وأولاد
أولاده ، اثنا عشر سلطاناً :

منهم السلطان حسن صاحب الجامع بسوق
الخييل بالرميلة . ومن شاهده عرف علو همته بين
الملوك .

ومنهم الملك الأشرف شعبان . وهو الذى أمر
الأشراف بوضع العلامة الخضراء فى عبائهم . وفى
ذلك بقول بعضهم :

جعلوا لأبناء النبى علامة

ان العلامة شأن من لم يشهر

نور النبوة فى كريم وجوههم

يعنى الشريف عن الطراز الأخضر

وفى أيام الأشرف هذا قدمت الافرنج الى
الاسكندرية على حين غفلة ، ونهبوا أموالها ،
وأسروا نساءها . ووصل الخبر الى مصر فتجهز
الأشرف وسار بعساكره فوجدهم قد ارتحلوا
عنها وتركوها . ويقال ان الفرساوى الذى يكون
فى أذنه قرط ... أمه أصلها من النساء المأسورات
فى تلك الواقعة !

وفى أيامه كثر عبث المماليك الأجلاب ، فأمر
بإخراجهم من مصر ، فتجمعوا وعصوا ، فحاربهم
وقاتلهم فانهزموا ، فقبض على كثير منهم ، فقتل
منهم طائفة ، وغرق منهم طائفة ، ونفى منهم طائفة ،
وبقى منهم بمصر طائفة التجأوا الى بعض الأمراء ..
وكانوا أرذل مذكور فى الاقليم المصرى !

فلما عزم الأشرف على الحج ، انتهزوا عند ذلك
الفرصة ، وكتبوا أمرهم ، ومكروا مكربهم ،
وتواعدوا مع أصحابهم الذين بصحبة السلطان أنهم
يشيرون الفتنة مع السلطان فى العقبة ، وكذلك

المقيمون بمصر يفعلون فعلهم ، حتى ينقضوا نظام
الدولة ، ويزيلوا السلطان والأمراء .

ولما خرج السلطان وبعد عن مصر آثاروا الفتنة
بعد أن استمالوا طائفة من المماليك السلطانية ،
وفعلوا ما فعلوه ، ونادوا بموت السلطان ، وولوا
ابنه . وثار أيضا أصحابهم على السلطان فى العقبة ،
فانهزم طالبا المجد الى مصر . وجرى ما هو مسطر
فى الكتاب من ذبح الأمراء واختفاء السلطان
وخنقه ، وتمكن هؤلاء الأجلاب من الدولة ، ووصل
كل صعلوك منهم لمزاتع الملوك ، وأزالوا عز الدولة
القلاوونية ، وأخذوا لأنفسهم الأمريات والمناصب ،
وأصبح الذين كانوا بالأمن أسفل الناس ... ملوك
الأرض يجبى اليهم ثمرات كل شئ !

ثم وقعت فيهم حوادث وحروب أسفرت عن
ظهور برقوق الجركسى ، أحد ممالك يلبغا
العمرى . وكان غاية فى الدهاء والمكر ، فلم يزل
يدبر لنفسه حتى عزل ابن الأشرف وأخذ السلطنة
لنفسه . والأشرف هذا هو آخر دولة المماليك
البحرية .

وبرقوق هو أول ملوك الجراكسة بمصر . وبعده
ابنه فرج . واستمر الملك فيهم وفى أولادهم الى
الأشرف قانصوه الغورى .

وابتداء دولتهم سنة ٧٨٤ (١٣٨٢ م) ،
وانقضاءها سنة ٩٢٣ (١٥١٧ م) ، فتكون مدة
دولتهم ١٣٩ سنة .

وسبب انقضاء دولة المماليك الجراكسة ، فتنة
السلطان سليم شاه بن عثمان ، وقدمه الى الديار
المصرية ، فخرج اليه سلطان مصر قانصوه الغورى
فلاقاه عند مرج دابق بحلب . وخامر عليه أمراؤه :
خير بك ، والغزالي ، فخذلوه وفقدوه .

ولم يزل حتى تملك السلطان سليم الديار المصرية والبلاد الشامية ، وأقام خير بك نائبا بها كما هو مسطر ومفصل في تواريخ المتأخرين ، مثل « مرج الزهور » لابن اياس ، وابن زنبيل (١) . ولما خلاص أمر مصر للسلطان سليم .. رجع الى بلاده ، وأخذ معه الخليفة العباسي ، وانقطعت الخلافة والمبايعة ، وأخذ صحبته ما انتقاه من أرباب الصنائع التي لم توجد في بلاده بحيث انه فقد من مصر نيف وخمسون صنعة (٢) ..

ولما توفي السلطان سليم تولى بعده السلطان سليمان .. ولم تزل البلاد منتظمة في سلكهم ، ومنقادة تحت حكمهم ، من ذلك الأوان الذي استولوا عليها فيه ، الى هذا الوقت الذي نحن فيه ، وولاة مصر نوابهم ، وحكامها أمراؤهم .

وكانوا في صدر دولتهم من خير من تقلد أمور الأمة بعد الخلفاء المهديين .. فانظر ، يا أخى ، وتأمل .. ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى ! وليس الحال بمجهول ، حتى يفصح عنه اللسان بالقول .. وقد أخرسنى العجز أن أفتح فما ، أفغير الله أبتغى حكما ؟

وكانوا قديما على صحة

فقد داخلتهم حروف العلل

وفي أثناء الدولة العثمانية ، ونوابهم وأمراؤهم المصرية ، ظهر في عسكر مصر سنة جاهلية ، وبدعة شيطانية .. زرعت فيهم النفاق ، وأسست فيما بينهم الشقاق . ووافقوا فيها أهل الحرف اللثام ، في قولهم « سعد » و « حرام » . وهو أن الجنب

(١) هي كتب حافلة مستندتها - بإذن الله - الى قراء « كتاب الشعب » .

(٢) لقد رأت مصر من أيام السوء ما رأت ، وعانت من السلب والنهب ما عانت .. ولكنها لم تشهد أسوأ مما فعل بها سليم بفعلته هذه ، ولم ينل من تراثها ما نال هذا الجلف الفشوم !

بأجمعهم اقتسموا قسمين ، واحتزبوا بأسرهم حزينين : فرقة يقال لها « فقارية » . وأخرى تدعى « قاسمية » .

ولذلك أصل مذكور ، وفي بعض سير المتأخرين مسطور .. لا بأس بإيراده في المسامرة ، تميمها للغرض في مناسبة المذاكرة :

وهو أن السلطان سليم شاه ، لما بلغ من ملك الديار المصرية مناه ، قال يوما لبعض جلسائه : يا هل ترى هل بقى أحد من الجراكسة نراه ؟

فقال له خير بك : نعم أيها الملك العظيم . هناك رجل قديم ، يسمى سودون الأمير ، طاعن في السن كبير ، رزقه الله تعالى بولدين شهيين بطلين ، لا يضاهيهما أحد في الميدان . فلما حصلت هذه القضية ، تنحى وحبس ولديه بالدار ، وعكف على العبادة .

فقال السلطان : هذا والله رجل عاقل ينبغي لنا أن نذهب لزيارته .

ثم ركب في الحال الى أن وصل اليه ، ودخل عليه . فعندما عرف أنه السلطان بادر لمقابلته وسلم عليه ، فأمره بالجلوس الى أن اطمأن خاطره . وسأله عن سبب عزلته ، فأجابه أنه لما رأى في دولتهم اختلال الأمور ، وترادف الظلم والجور ، « فتنجيت عن حال الغرور ، وتباعدت عن نار الشرور ، ومنعت ولدى عن التداخل في الأهوال ، وحبستهما عن مباشرة القتال ، خوفا عليهما لما أعلمه فيهما من الاقدام .. » .

ثم أحضر ولديه قاسما وذا الفقار ، وأخرجهما من محبسهما . فنظر اليهما السلطان ، فرأى فيهما مخايل الفرسان الشجعان ..

ثم ركب السلطان سليم عائدا الى مكانه . وأصبح ثانى يوم ، فركب السلطان مع القوم . وخرج الى الخلا ، بجمع من الملا . وجلس ببعض

القصور ، ونبه على جميع أصناف العساكر بالحضور .

وطلب الأمير سودون وولديه ، فحضروا بين يديه . فقال لهم : أتدرون لم طلبتكم ؟ فقالوا : لا يعلم ما في القلوب ، الا علام الغيوب .

فقال : أريد أن يركب قاسم وأخوه ذو الفقار ، ويترامحا ويتسابقا بالخيال في هذا النهار .

فامتثلا أمره ، فنزلا وركبا ورمحا ولعبا ، وأظهرا من أنواع الفروسية الفنون ، حتى شخصت فيهما العيون . ثم أشار اليهما ، فنزلا عن فرسيهما ، وصعدا الى أعلى المكان ، فخلع عليهما السلطان .

ثم خرج في اليوم التالي ، وحضر الأمراء والعسكر المتوالي . فأمرهم أن ينقسموا بأجمعهم قسمين ، وينحازوا بأسرهم فريقين : قسم يكون رئيسهم ذا الفقار ، والثاني أخوه قاسم الكراري ، وأضاف الى ذي الفقار أكثر فرسان العثمانيين ، والى قاسم أكثر الشجعان المصريين . وميز الفقارية بلبس الأبيض من الثياب ، وأمر القاسمية أن يتميزوا بالأحمر في الملابس والركاب . وأمرهم أن يركبوا في الميدان على هيئة المتحاربين ، وصورة المتنابذين المتخاصمين . فأذعنوا بالانقياد ، وعلوا على ظهور الجياد . وساروا بالخيال ، وانحدروا كالسيل . وانعطفوا متسابقين ، ورمحوا متلاحقين . وتناوبوا في النزال ، واندفعوا كالجبال ، وارتفعت الأصوات ، وكثرت الصيحات .. وكاد الخرق يتسع على الراقع . وقرب أن يقع القتل والقتال ، فنودي فيهم عند ذلك بالانفصال ..

فمن ذلك اليوم افترق أمراء مصر وعساكرها فرقتين ، واقتسموا بهذه اللعبة حزين . واستمر كل منهما على محبة اللون الذي ظهر فيه ، وكره اللون الآخر في كل ما يتقلبون فيه .. حتى أواني

المتناولات ، والمأكولات والمشروبات .. والفقارية يميلون الى « نصف سعد » والعثمانيين ، والقاسمية لا يالفون الا « نصف حرام » والمصريين . وصار فيهم قاعدة لا يتطرقها اختلال ، ولا يمكن الانحراف عنها بحال من الأحوال (١)

ولم يزل الأمر يفشو ويزيد ، ويتوارثه السادة والعبيد ، حتى تجسم ونما ، وأهريق في الدما . فكم خربت بلاد ، وقتلت أمجاد ! وهدمت دور ، وأحرقت قصور ! وسبيت أحرار ، وقهرت أخيار !

وفيل غير ذلك ، وأن أصل القاسمية ينسبون الى قاسم بيك الدفتردار تابع مصطفى بيك ، والفقارية نسبة الى ذي الفقار بيك الكبير . وأول ظهور ذلك من سنة ١٠٥٠ (١٦٤٠ م) . والله أعلم بالحقائق .

واتفق أن قاسم بيك المذكور أنفأ في بيته قاعة جلوس ، وتأثق في تحسينها ، وعمل فيها ضيافة لذي الفقار بيك أمير الحج المذكور ، فأتى عنده وتغدى عنده بطائفة قليلة .

ثم قال له ذو الفقار بيك : وأنت ايضا ضيفي في غد .

وجمع ذو الفقار مماليكه في ذلك اليوم - صناجق وأمراء واختيارية - وحضر قاسم بيك بجمع من طائفته ، فدخل قاسم بيك عنده في البيت . وأوصى ذو الفقار أن لا أحد يدخل عليهما الا بطلب ، الى أن فرشوا السماط ، وجلس صحبتهم على السماط .

فقال قاسم بيك : حتى يقعد الصناجق والاختيارية !

(١) صحت هذه القصة ام لم تصح .. فلا تزال سياسة « فرق تسد » هي المفتاح السحري لعاد بريد ان يجثم على صدرامة من الأمم !

وكانت الفقارية موصوفة بالكثرة والكرم ،
والقاسمية بكثرة المال والبخل .

وكان الذى يتميز به أحد الفريقين من الآخر
إذا ركبوا فى المواكب أن يكون يبرق الفقارى
أبيض ، ومزاريقه برمانه .. ويبرق القاسمية أحمر ،
ومزاريقه بجلبة ... ولم يزل الحال على ذلك .

فقال ذو الفقار : انهم يأكلون بعدنا . هؤلاء
جميعهم مماليكى ، عندما أموت يترحمون على ،
ويدعون لى .. وأنت قاعتك تدعو لك بالرحمة !
لكونك ضيعة المال فى الماء والطين !
فعند ذلك تبه قاسم بك ، وشرع ينشئ
اشراقات كذلك .

مطلع اليوميات

استهل القرن الثانى عشر (الهجرى ، وهو يوازى المدة الواقعة بين ١٦٨٨ و ١٧٨٦ م)
وامراء مصر فقارية وقاسمية .

الفقارية : ذو الفقار بيك ، وابراهيم بيك أمير الحج ، ودرويش بيك ، واسماعيل بيك ،
ومصطفى بيك قزلار ، وأحمد بيك قزلار بجدة ، ويوسف بيك القرد ، وسليمان بيك
بارم ذيله ، ومرجان جوز بيك (وكان أصله قهوجى السلطان محمد ، عملوه صنجقا
فقاريا بمصر) - الجميع تسعة ، وأمير الحج منهم .

والقاسمية : مراد بيك الدفتردار ، ومملوكه أبو ظبيك ، وابراهيم بيك أبو شنب ،
وقانصوه بيك ، وأحمد بيك منوفية ، وعبد الله بيك .

ونواب مصر : من طرف السلطان سليمان بن عثمان فى أوائل القرن : حسن باشا
السلحدار سنة ١٠٩٩ - ١١٠١ هجرية . والسلطان فى ذلك الوقت السلطان سليمان ،
ابن ابراهيم خان .

امارة الحج : وتقلد ابراهيم بيك أبو شنب امارة الحج . واسماعيل بيك دفتردار -
وذلك سنة ١٠٩٩ هجرية . . .

يوميات الجبرتي

أوانه على العادة . ثم عزل حسن باشا ونزل الى بيت محمد بيك حاكم جرجا المقتول . وتولى قيطاس بيك قائمقام فكانت مدته هذه المرة سنة واحدة وتسعة أشهر .

سنة ١١٠١ هـ

المحرم

١٦ منه (٣٠ أكتوبر ١٦٨٩ م)
تولى أحمد باشا وحضر من طريق البر — وكان سابقا كتخدا ابراهيم باشا الذى مات بمصر (١) — وطلع الى القلعة .
ووصل أغا بطلب ألفى عسكري وعليهم صنجق يكون عليهم سردارا ، فعينوا مصطفى بيك حاكم جرجا سابقا .

جمادى الآخرة

منتصفه (٢٦ مارس ١٦٩٠ م)
سافر مصطفى بيك ومعه الألفا عسكري . وفي هذا التاريخ سافرت تجريدة عظيمة الى ولاية البحيرة والبهنسا وعليهم صنجقان . وسافر أيضا خلفهم اسماعيل بيك ، وجميع الكشاف وكتخدا الباشا وأغوات البلكات وكتخدا الجاوشية وبعض اختيارية . وحاربوا ابن وافي وعربانه مرارا ، ثم وقعت وقعة كبيرة فهزم فيها الأحزاب وولوا منهزمين نحو الفرق .

(١) توفى في ١٢ جمادى الآخرة سنة ١١٠٢ هـ (٢٣ مارس ١٦٩١ م) فكانت مدة ولايته سنة وستة أشهر . ومن مآثره ترميم الجامع المؤيدى . وقد كان تداعى للسقوط .

سنة ١٠٩٩ هـ

ذو الحجة

آخره (٢٥ أكتوبر ١٦٨٨) :

حصلت واقعة عظيمة بين ابراهيم بيك بن ذى الفقار وبين العرب الحجازيين ، خلف جبل الجيوشى . وقتلوا كثيرا من العرب ونهبوا أرزاقهم ومواشيهم . وأحضر منهم أسرى كثيرة ، ووقفت العرب فى طريق الحج تلك السنة بالشرفة . فقتلوا من الحج خلقا كثيرا وأخذوا نحو ألف جمل بأحمالها ، وقتلوا خليل كتخدا الحج فعين عليهم خمسة أمراء من الصناجق فوصلوا الى العقبة وهرب العربان .

سنة ١١٠٠ هـ

جمادى الآخرة

٤ منه (٢٦ مارس ١٦٨٩ م) :

خفق الباشا كتخداه بعد أن أرسله الى دبر الطين ، على أنه يتوجه الى جرجا لتحصيل الغلال ، وذلك لذنوب تقمه عليه .

شعبان

(مايو ١٦٨٩ م)

تقب المحابيس العرقانة ، وهرب المسجونون منها .

وفيه غلت الأسعار مع زيادة النيل وطلوعه فى

أحمد بن السلطان ابراهيم ، فزيت مصر ثلاثة أيام
وضربت مدافع من القاعة .

سنة ١١٠٣ هجرية

سفر

١٣ منه (٥ نوفمبر ١٦٩١ م) :

ورد نجاب من مكة وأخبر بأن الشريف سعد
تغلب على محسن وتولى اماره مكة . فأرسل
الباشا عرضا الى السلطنة بذلك .

ربيع الأول

٨ منه (٢٩ نوفمبر ١٦٩١ م) :

ورد مرسوم مضمونه ولاية نظر الدشايش
والحرمين لأربعة من الصناجق ، فتولى : ابراهيم
بيك بن ذى الفقار أمير الحج حالا عوضا عن أغات
مستحفظان ، ومراد بيك الدفتردار على المحمدية
عوضا عن كتحدا مستحفظان ، وعبد الله بيك على
وقف الخاصكية عوضا عن كتحدا العزب ،
واسماعيل بيك على أوقاف الحرمين عوضا عن
باشجاويش مستحفظان ، فألبسهم على باشا قفاطين
على ذلك .

رمضان

مستهل (١٧ مايو ١٦٩٢ م) :

حضر من الديار الرومية الشريف سعد بن زيد
بولاية مكة وتوجه الى الحجاز .

شوال

(يونيو ١٦٩٢ م)

فيه سافر على كتحدا أحمد باشا المنوفى الى
الروم

وفيه تقلد اسماعيل بيك الدفتردارية عوضا

عن مراد بيك .

وأما قيطاس بيك (١) وحسن أغا بلفية وكتخدا
الباشا .. فانهم صادفوا جمعا من العرب فى طريقهم ،
فأخذوهم ونهبوا مالهم وقطعوا منهم رؤوسا ثم
حضروا الى مصر .

وفى أيامهم كانت وقعة ابن غالب شريف مكة
ومحاربته بها مع محمد بيك حاكم جدة ، فكانت
الهزيمة على الشريف .

سنة ١١٠٢ هجرية

رجب

١٥ منه (١٤ مايو ١٦٩١) :

حضر قانصوه بيك - تابع قيطاس بيك
(المتوفى) - من سفره باخزينة مكان كتحدا الباشا
المتولى قائمقام بعد موت سيده فألبس قانصوه بيك
دفتردار .

ثم ورد مرسوم بولاية على كتحدا الباشا
قائمقام وأذن بالتصرف الى آخر مسرى (٦ الحجة
١١٠٢ / أول سبتمبر ١٦٩١ م) فكانت مدة
تصرفه أربعة وتسعين يوما .

رمضان

٢٢ منه (١٩ يونية ١٦٩١) :

بولى على باشا وحضر من البحر الى القلعة .
وحصر صحبته ترخان وأقام بمصر الى أن توجه
الى الحج ورجع على طريق الشام .

ذوالقعدة

٢٢ منه (١٧ أغسطس ١٦٩١) :

حضر قرا سليمان من الديار الرومية (٢) ومعه
مرسوم مضمونه : الخبر بجلوس السلطان

(١) توفى فى ١٤ رجب سنة ١١٠٢ هـ (١٣ مايو ١٦٩١ م)

(٢) يعنى بالديار الرومية : مقر الخلافة الاسلامية ...
استنبول

١٣ منه (٢٨ يونيو ١٦٩٢ م) :

قتل جلب خليل كتنخدا مستحفظان ببابهم .
وحصلت في بابهم فتنة أثارها كجك محمد ، وأخرجوا
سليم أفندي من بلکہم ورجب كتنخدا وألبسوها
الصنجدية .

٢٣ منه (٨ يوليو ١٦٩٢) :

أبطل كجك محمد الحمايات من مصر ، باتفاق
السبع بلکات ، وأبطلوا جميع ما يتعلق بالعزب
والانكشارية من الحمايات بالشغور وغيرها . وكتب
بذلك « بيورلدى » (١) ، ونادوا به في الشوارع .

ذوالقعدة

غرتة (١٥ يوليو ١٦٩٢) :

قبض الباشا على سليم أفندي وخنقه بالقلعة
ونزل الى بيته محمولا في تابوت .

وتغيب رجب كتنخدا ثم استعفى من الصنجدية
فرفعوها عنه وسافر الى المدينة

سنة ١١٠٤ هجرية

ربيع الأول

١٨ منه (٢٧ نوفمبر ١٦٩٢ م) :

ورد مرسوم بتزيين الأسواق بمصر وضواحيها
بمولودين توأمين رزقهما السلطان أحمد سمي
أحدهما : سليمان والآخر ابراهيم .

شعبان

١٢ منه (١٨ أبريل ١٦٩٣ م) :

سافر حسين بيك أبو يدك بألف نفر من العسكر
لاحقا بابراهيم بيك أبي شنب ، الذي سافر في
أواخر ربيع الأول (أوائل ديسمبر ١٦٩٣ م) للقلعة
كريد .

(١) « بيورلدى » أى موافقة .

سنة ١١٠٥ هجرية

رمضان

١٢ منه (٧ مايو ١٦٩٤) :

هبّت ريح شديدة وتراب أظلم منه الجو . وكان
الناس في صلاة الجمعة ، فظن الناس أنها القيامة .
وسقطت المركب التي على منارة جامع طولون
وهدمت دور كثيرة .

سنة ١١٠٦ هجرية

جمادى الآخرة

١٢ منه (٢٨ يناير ١٦٩٥ م) :

حضر الشريف أحمد بن غالب أمير مكة مطرودا
من الشريف سعد .

رجب

٢٨ منه (٤ مارس ١٦٩٥ م) :

ورد الخبر بجلوس السلطان مصطفى بن
محمد (١) .

شعبان

٤ منه (٢٠ مارس ١٦٩٥ م) :

ورد مرسوم بضبط أموال نذير آغا ، واسماعيل
آغا الطواشين ، فسجنوهما بباب مستحفظان
وضبطوا أموالهما وختموها .

١٢ منه (٢٨ مارس ١٦٩٥ م) :

طلع أحمد بيك بموكب مسافرا باش على ألف
عسكري الى أنكروس .

(١) في ٢٢ جمادى الآخرة تسلط السلطان مصطفى خان الثاني
بعد وفاة السلطان أحمد خان الثاني وله من العمر ٥٤ سنة
حكم منها ٤ سنوات و٨ أشهر .

(التوقيعات الإلهامية سنة ١١٠٦ هـ)

٢٧ منه (١٢ أبريل ١٦٩٥ م) :

طلع اسماعيل بيك بألف عسكرى لمحافظة
رودس بموكب الى بولاق . فأقام بها ثلاثة أيام ، ثم
سافر الى الاسكندرية .

شوال

٥ منه (١٩ مايو ١٦٩٥ م) .

أنهى أرباب الأوقاف والعلماء والمجاورون
بالأزهر الى على باشا : امتناع الملتزمين من دفع
خراج الأوقاف وخراج الرزق المرصدة على المساجد ،
وما يلزم من تعطيل الشعائر .. فأمر الملتزمين بدفع
ماعليهم من غير توقف ، فامتثلوا

وفي هذا الشهر أرسل الباشا الى مراد بيك
الدفتردار بعمل جمعية في بيته بسبب غلال الأنبار .
فاجتمعوا وتشاوروا في ذلك فوق التوافق « أن
البلاد الشرافى تبقى غلالها الى العام القابل . وأما
الرى فيدفع ملتزموها ماعليهم » وأخذوا أوراقا
بيعت بالثمن ، اشترها الملتزمون من أرباب
الاستحقاق ، عن الجراية مائة وخمسون نصفا .
وغلاق الملتزمون ماعليهم بشراء الوصلات .

١٢ منه (٢٦ مايو ١٦٩٥ م) :

ورد الخبر من منفلوط بأن الشريف فارس
بن اسماعيل التتلاوى قتل عبد الله بن وائى شيخ
عرب المغاربة .

ذوالقعدة

١١ منه (٢٣ يونيو ١٦٩٥ م) .

ورد آغا بمرسوم ببيع متاع لذير آغا
واسماعيل آغا المعتقلين ، وضبط أثمانهما ، ماعدا

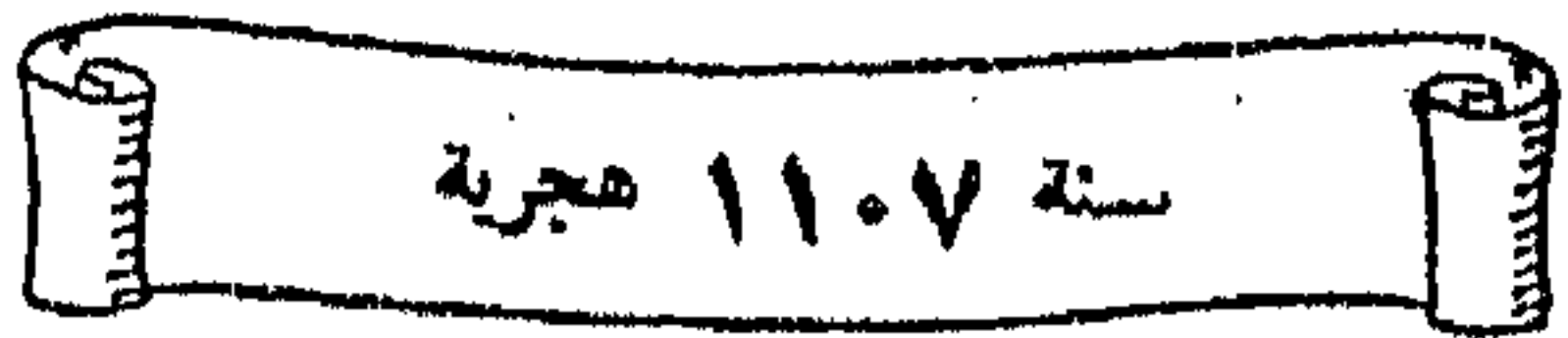
الجواهر والذخائر التى اختلسوها من السرايا ، فانها
تبقى بأعيانها ، وأن يفحص عن أموالهما وأماناتهما
وأن يسجنا في قلعة الينكجيرية ، ففعل بهم ذلك وبلغ
أثمان المبيعات ألفا وأربعمائة كيس خلاف الجواهر
والذخائر فانها جهزت مع الأموال صحبة الخزينة
على يد سليمان بيك كاشف ولاية المنوفية .

ذوالحجة

(يوليو ١٦٩٥ م) :

فيه : سافر أناس من مكة الى دار السلطنة .
وشكوا من ظلم الشريف سعد .. فعين اليه محمديك
نائب جدة واسماعيل باشا نائب الشام فوردوا
بصحبة الحج فتحاربوا معه ونزعوه ونهب العسكر
منزله وولوا الشريف عبد الله بن هاشم على مكة .
ثم بعد عود الحج ، رجع سعد وتغلب وطرده
عبد الله ابن هاشم .

وفي هذه السنة قصر مد النيل وهبط بسرعة
فشرقت الأراضي ووقع الغلاء والفناء (١)
وفيها : وقعت مصالحات في المال الميرى
بسبب الرنى والشرافى .



المحرم

منتصفه (٢٦ أغسطس ١٦٩٥ م) :

اجتمع الفقراء والشحاذون ، رجالا ونساء
وصبيانا ، وطلعوا الى القلعة ووقفوا بحوش الديوان
وصاحوا من الجوع فلم يجبههم أحد ، فرجموا
بالأحجار فركب الوالى وطردهم . فنزلوا الى الرميطة

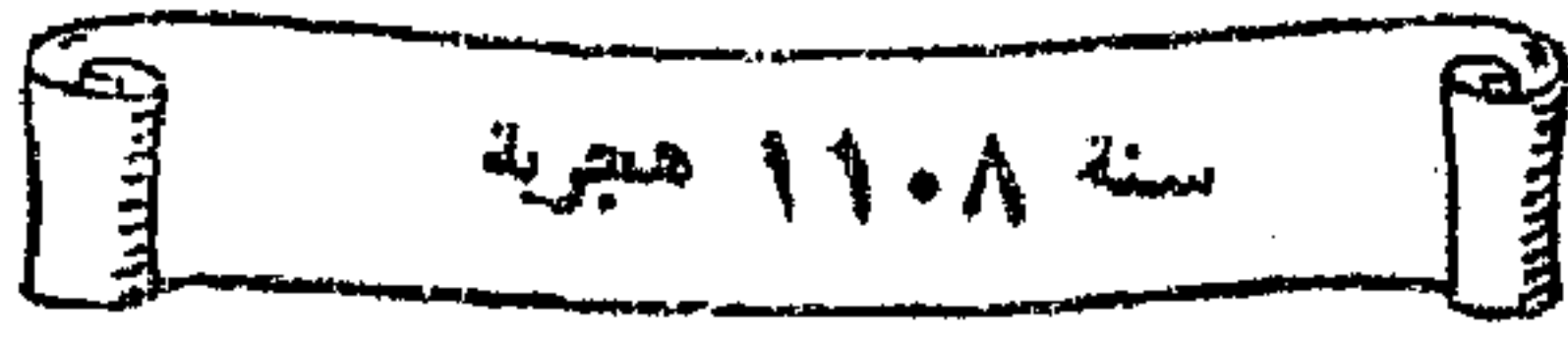
(١) يذكر صاحب التوفيقات الالهامية ان ثمن اردب القمح
بلغ في بولاق ١٢٠ نصف لفة وبالرميطة ١٨٠ نصف لفة
والشعير ١٢٠ والفول كذلك .

والغلاء ، وأعقب ذلك وباء عظيم ، فأمر الباشا بيت المال أن يكفن الفقراء والغرياء فصاروا يحصلون الموتى من الطرقات ويذهبون بهم الى مغسل السلطان عند سبيل المؤمن الى أن انقضى أمر الوباء ، وذلك خلاف من كفته الأغنياء وأهل الخير من الأمراء والتجار وغيرهم .

رجب

١٧ منه (٢١ فبراير ١٦٩٦ م) :

تفقد قيطاس بيك تابع أمير الحج ذى الفقار بيك ، الصنجدية عوضا عن ابن سيده ابراهيم بيك . وفيه ورد الافراج عن نذير أغا ورتب له خمسمائة عثمانى وخمس جرايات وعشر علائف فى ديوان مصر . واستمر رفيقه اسماعيل أغا فى السجن . وفى هذا الشهر ورد مرسوم بطلب ألفين من العسكر وأميرهم مراد بيك .



ربيع الأول

١٣ منه (١٠ أكتوبر ١٦٩٦ م) :

ورد أمر بتزوين أسواق مصر سرورا ببولود للسلطان وسى محمودا .

وورد أيضا الخبر باستشهاد مراد بيك .

رمضان

١٣ منه (٥ إبريل ١٦٩٧ م) :

قامت العساكر على يأسف اليهودى وقتلوه وجروه من رجله وطرحوه فى الرميلى ، وقامت الرعايا فجمعوا حطباً وأحرقوه ، وذلك يوم الجمعة بعد الصلاة .. وسبب ذلك أنه كان ملتزماً بدار الضرب فى دولة على باشا المنفصل . ثم طلب الى اسلامبول

ونهبوا حواصل الغلة التى بها وكالة القمح وحاصل كتخدا الباشا وكان ملأنا بالشعير والفلول . وكانت هذه الحادثة ابتداء الغلاء حتى بيع الأردب من القمح بستمائة نصف فضة ، والشعير بثلاثمائة ، والفلول بأربعمائة وخمسين ، والأرز بثمانمائة نصف فضة . وأما العدس فلا يوجد وحصل شدة عظيمة بمصر وأقاليمها . وحضر أهالى القرى والأرياف حتى امتلأت بهم الأزقة ، واشتد الكرب حتى أكل الناس الجيف ، ومات الكثير من الجوع . وخلت القرى من أهلها ، وخطف الفقراء الخبز من الأسواق ومن الأفران ومن على رؤوس الحمازين . ويذهب الرجالن والثلاثة مع طبق الخبز يحرسونه من الخطف وبأيديهم العصى حتى يخبزوهم بالفرن ثم يعودون به .

٢٨ منه (٨ سبتمبر ١٦٩٥ م) :

عزل على باشا وكانت مدته أربع سنوات وثلاثة أشهر وأياما . ونزل الى منزل أحمد كتخدا العزب المطل على بركة الفيل .

وفيه حضر مسلم اسماعيل باشا من الشام ، وجعل ابراهيم بيك أبا شنب قائمقام .

صفر

١٧ منه (٢٧ سبتمبر ١٦٩٥ م) :

تولى اسماعيل باشا وحضر من البر وطلع الى القلعة بالموكب على العادة (١) . ورأى مافيه الناس من الكرب والغلاء . فأمر بجمع الفقراء والشحاذين بقراميدان ، فلما اجتمعوا أمر بتوزيعهم على الأمراء والأعيان ... كل انسان على قدر حاله وقدرته . وأخذ لنفسه جانبا ولأعيان دولته جانبا ، وعين لهم مايكفيهم من الخبز والطعام صباحا ومساء الى أن انقضى

(١) يذكر صاحب التوفيقات الالهية ان تولية اسماعيل باشا فى أول رجب ١١٠٧ هـ (٥ فبراير ١٦٩٦ م)

وسئل عن أحوال مصر فأملأ أمورا ، والتزم بتحصيل
الخزينة زيادة عن المعتاد ، وحسن بمكره أحداث
محدثات . ولما حضر مصر تلقته اليهود من بولاق
وأطلعوه الى الديوان . وقرئت الأوامر التي حضر بها
ووافقها الباشا على اجرائها وتنفيذها ، وأشهر النداء
بذلك في شوارع مصر ، فاغتم الناس وتوجه التجار
وأعيان البلد الى الأمراء وراجعوهم في ذلك ،
فركب الأمراء والصناجق وطلعوا الى القلعة
وفأوضوا الباشا فجأوبهم بما لا يرضيهم ، فقاموا عليه
قومة واحدة وسألوه أن يسلمهم اليهودي فامتنع من
تسليمه فأغلظوا عليه وصمموا على أخذه منه .
فأمرهم بوضعه في العرقانة ولا يشوشوا عليه حتى
ينظروا في أمره ، ففعلوا به كما أمرهم ، فقامت الجند
على الباشا وطلبوا أن يسلمهم اليهودي المذكور
ليقتلوه فامتنع ، فمضوا الى السجن وأخرجوه
وفعلوا به ما ذكر .

سنة ١١٠٩ هـ

سفر

(أغسطس ١٦٩٧ م)

فيه : وردت سكة دينار عليها طرة ، فجمع الباشا
الأمراء ، وأحضر أمين الضربخانه ، وسلمها له
وأمره أن يطبع بها ، وأن يكون عيار الذهب ٢٢
قيراطا ، والوزن كل مائة شريفى مائة وخمسة عشر
درهما ، وسعر الأبي طرة مائة وخمسة عشر نصفا .
وفيه : لبس عبد الرحمن بيك على ولاية جرجا
وتوجه اليها .

ربيع الأول

١٢ منه (٢٨ سبتمبر ١٦٩٧ م) :

قامت العسكر المصرية وعزلوا الباشا فكانت
مدة اسماعيل باشا سنتين ، وتقلد مصطفى بيك
قائمقام مصر .

منتصفه (٢٧ يناير ١٦٩٨ م) :

حضر حسين باشا من صيدا وطلع الى القلعة
في موكب عظيم .

رمضان

١٩ منه (٣١ مارس ١٦٩٨ م) :

ورد مرسوم بطلب تجهيز ألفى نفر من العسكر
وعليهم يوسف بيك المسلماني ، ففضى أشغاله
وسافر .

ذو الحجة

منتصفه (٢٤ يونية ١٦٩٨ م) :

خرج اسماعيل باشا الى العادلية^(١) ليسافر وكان
قد حاسبه حسين باشا فتأخر عليه خمسون ألف
أردب دفع عنها خمسين كيسا وباع منزله وبلاد
البدرشين التي كان قد وقفها وتوجه الى بغداد .

سنة ١١١٠ هـ

جمادى الآخرة

آخرها (٢ يناير ١٦٩٩ م) :

ظهر رجل من أهل الفيوم يدعى بالعلمي ، قدم
الى القاهرة وأقام بنهر القهورة المواجهة لسبيل المؤمن
فاجتمع عليه كثير من العوام ، وأدعوا فيه الولاية .
وأقبلت عليه الناس من كل جهة ، واختلط النساء
بالرجال . وكان يحصل بسببه مفاسد عظيمة ، فقامت
عليه العسكر وقتلوه بالقلعة ودفن بناحية مشهد
السيدة نفيسة .

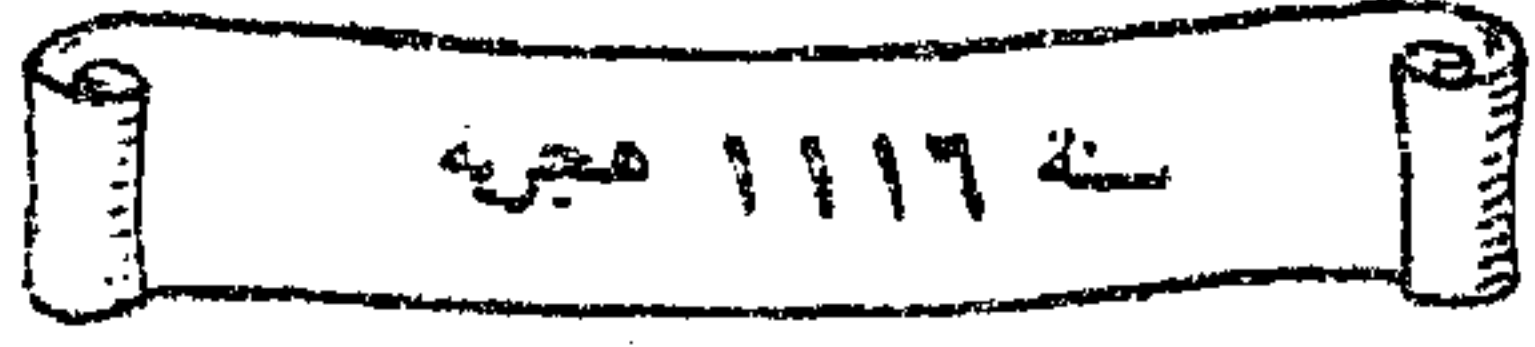
شوال

١٤ منه (١٥ ابريل ١٦٩٩ م) :

كانت واقعة المغاربة من أهل تونس وفاس .
وذلك أن من عاداتهم أن يحملوا كسوة الكعبة التي

(١) هي الوابلية الآن .

وفي هذه السنة ، أمر الباشا بقطع السقائب والدكاكين لأجل توسعة الطريق والأسواق ، فعصر ذلك . ثم أمر بقطع الأرض وتمهيدها فحفروا نحو ذراع أو أكثر من الأسواق ففعل ذلك



رجب

(نوفمبر ١٧٠٤ م) :

في هذا الشهر عزل قره محمد باشا من ولاية مصر .. فكانت مدة ولايته خمس سنوات . ومن أهم مآثره : تعمير الأربعين البدي بجوار باب قراميدان . وأنشأ فيه جامعا بخطبة ، وتكية لفقراء الخلوتية من الأروام^(١) وأسكنهم بها . وأنشأ تجاهها مطبخا ودار ضيافة للفقراء ، وفي علوها مكتبا للأطفال يقرأون فيه القرآن ، ورتب لهم ما يكفيهم ، وأنشأ فيما بينها وبين البستان المعروف بالغوري حماما فسيحا مفروشا بالرخام الملون ، وجدد بستان الغوري ، وغرس فيه الأشجار ، ورمم قاعة الغوري التي بالبستان .

شعبان

٦ منه (٤ ديسمبر ١٧٠٤ م)

تولى رامى محمد باشا^(٢) ، وكان تولى الوزارة في زمن السلطان مصطفى وانفصل عنها وجعل محافظا بجزيرة قبرص ، ثم حضر منها واليا على مصر وطلع الى القلعة .

(١) يعنى بالاروام ... الاتراك

(٢) يخالف الحاج مصطفى بن ابراهيم - في كتابه « تاريخ وقائع مصر » ، مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ١٤٠٢ - تاريخ الجبرتي وصاحب التوقيعات الالهامية في تاريخ تولية محمد رامى باشا فيذكر انه تولى مصر في سنة ١١١٧ هـ (١٧٠٥ م) ويقول أيضا انه دخل مصر في موكب عظيم وطلع الى قلعة الجبل ، وعمل له الانتشارية شمسك مدافع من الابراج .

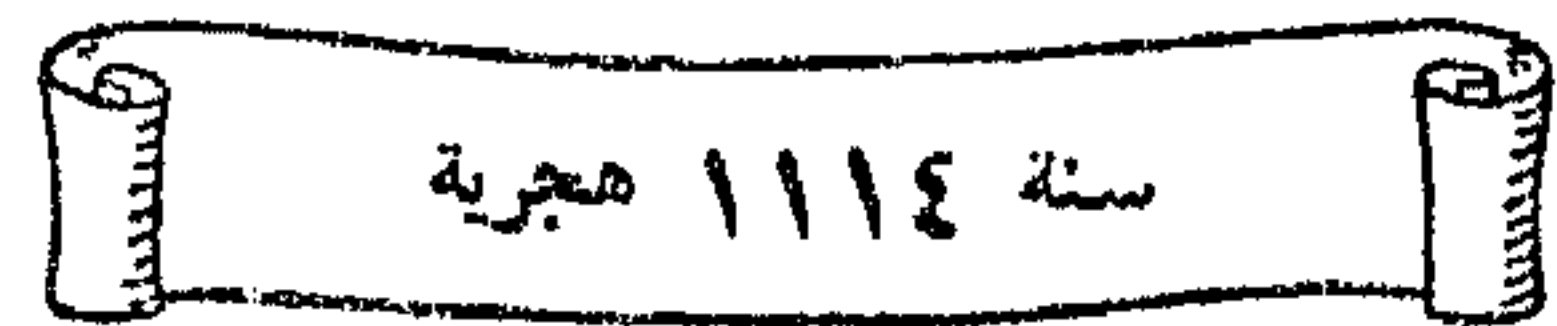
تعمل كل سنة للبيت الحرام ، ويمرون بها في وسط القاهرة ، وتحمل المغاربة جانبا منها للتبرك بها . ويضربون كل من رأوه يشرب الدخان في طريق مرورهم ، فرأوا رجلا من أتباع مصطفى كتخدا القازدغلي ، فكسروا أنبوتته وتشاجروا معه وشجوا رأسه . وكان في مقدمتهم طائفة منهم مسلحون ، وزاد التشاجر ، واتسعت القضية ، وقام عليهم أهل السوق . وحضر أوده باشة البوابة فقبض على أكثرهم ، ووضعهم في الحديد وطلع بهم الى الباشا وأخبروه بالقضية ، فأمر بسجنهم بالعرقانة ، فاستمروا حتى سافر الحج من مصر ومات منهم جماعة في السجن ثم أفرج عن باقيهم .



ربيع الآخر

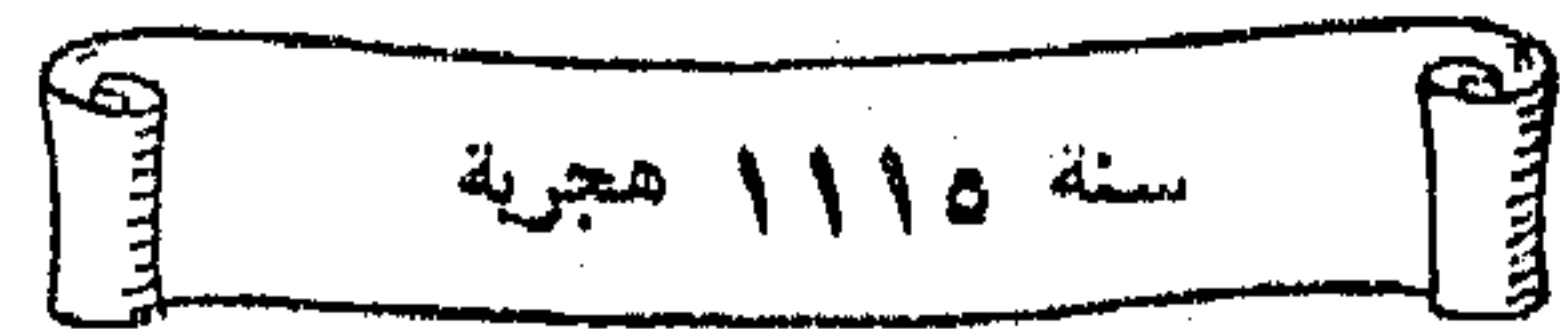
منتصفه (١٠ أكتوبر ١٦٩٩ م) :

حضر الى مصر قره محمد باشا المتولى عليها وهو كتخدا اسماعيل باشا .



(٢٨ مايو ١٧٠٢ - ١٦ مايو ١٧٠٣)

فيها ولاية (قره محمد باشا) ، حصلت حادثة الفضة المقصوفة والتسعيرة .



ربيع الآخر

١٧ منه (٣٠ أغسطس ١٧٠٣ م) :

وردت الأخبار بوفاة السلطان مصطفى خان الثاني^(١) .

(١) توفي السلطان مصطفى خان الثاني بن السلطان محمد الرابع وله من العمر ٤٠ سنة حكم منها ٨ سنوات و ٨ أشهر وتسلطن بعد السلطان احمد الثالث بن السلطان محمد الرابع . (التوقيعات الالهامية)

١٧ منه (١٥ ديسمبر ١٧٠٤ م) :

تقلد قيطاس بيك امارة الحج عوضا عن أيوب بيك .

وفي تلك السنة توقف النيل عن الزيادة ، فضج الناس وابتهلوا بالدعاء وطلب الاستسقاء . واجتمعوا على جبل الجيوشي وغيره من الأماكن المعروفة بإجابة الدعاء ، فاستجاب الله لهم . فروى بعض البلاد وهبط سريعا فحصل الغلاء . وبلغ سعر الأردب من القمح والفول ٢٤٠ فضة ، والعدس ٢٠٠ نصف فضة ، والشعير ١٠٠ نصف فضة ، والأرز ٤٠٠ نصف فضة ، واللحم الضاني الرطل ٣ أنصاف فضة ، والجاموسى والبقرى بنصفى فضة ، والسمن القنطار بستمئة نصف فضة ، والزيت بثلاثمئة وخمسين . والدجاجة بثمانية أنصاف فضة . والبيض كل ثلاث بيضات بنصف . والرطل الشمع الدهن بثمانية أنصاف فضة ... وكثر الشحاذون فى الأزقة .

سنة ١١١٧ هجرية

(٢٥ ابريل ١٧٠٥ - ١٤ ابريل ١٧٠٦)

اشتد فيها الغلاء (١) .

وفيهما أنشأ الأمير الجوريجى جامع الهياثيم بالحنفى .

سنة ١١١٨ هجرية

فى هذه السنة لم يأت من اليمن ولا من الهند مراكب ، فشح القماش الهندى ، وغلا البن حتى بلغ القنطار ٢٧٥٠ نصفاً . وغلا الشاش ، فبيع الفرحات

(١) أخبار هذا العام نقلناها من التوقيعات الالهامية .

خان بأربعمائة نصف فضة ، والخنكارى بسبعمائة نصف .

رجب

٦ منه (١٤ اكتوبر ١٧٠٦ م) :

عزل محمد رامى باشا وحضر مسلم على باشا (١) .

٩ منه (١٧ اكتوبر ١٧٠٦ م) :

نزل محمد باشا رامى من القلعة فى موكب عظيم . وسكن بمنزل أحمد كتخدا العزب سابقا .. المطل على بركة الفيل بالقرب من حمام السكران .

شعبان

٩ منه (١٦ نوفمبر ١٧٠٦ م) :

وصل على باشا من طريق البحر ، وذهبت اليه الملاقاة على العادة ، وأرسى بساحل بولاق وهو فى نحو ألف ومائتى نفس خلاف الأتباع .

١٢ منه (١٩ نوفمبر ١٧٠٦ م) :

ركب بالموكب وطلع الى القلعة وضربوا المدافع لقدمه .

فى آخره (أوائل ديسمبر ١٧٠٦ م) :

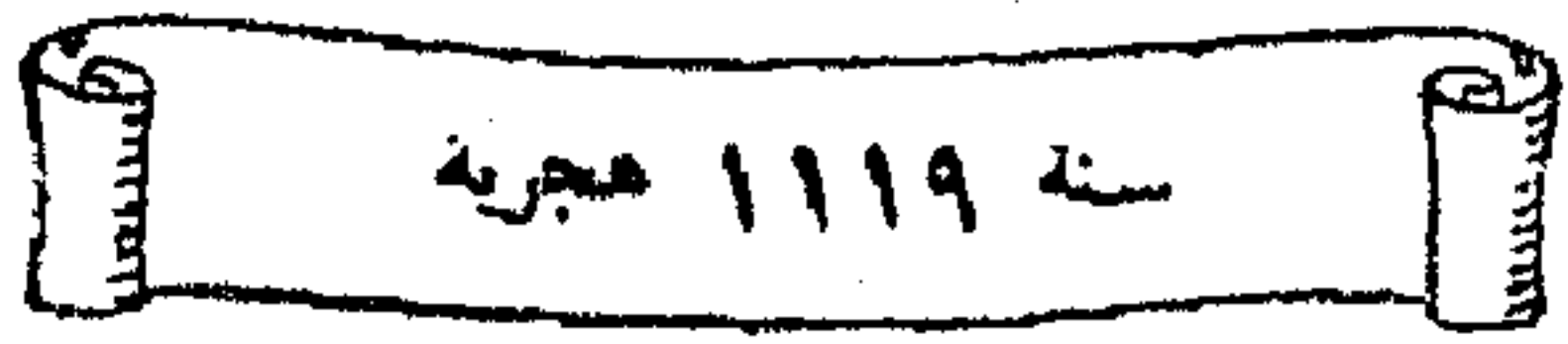
وقعت فتنة بين العزب والمتفرقة .. وسببها : أن شخصا من بلك العزب ، يسمى محمد أفندى كاتب صغير سابقا ، ثم بعد عزله تولى خليفة فى ديوان المقابلة ، وحصل له تهمة عزل بها من المقابلة . ثم عمل سردار بالاسكندرية على طائفة العزب وعمل كتخدا القبودان .. وركب فى المراكب وأشيع أنه غرق فى البحر ، فحلوا اسمه وماله من التعلقات فى بابه وغيره . وبعد مده حضر الى مصر وطلع الى الديوان . وصحح اسمه الذى فى العزب وجراياته وتعلقاته ،

(١) يسميه صاحب التوقيعات الالهامية والحاج مصطفى بن ابراهيم فى كتابه - وقائع مصر القاهرة - « على مسلم باشا »

ذو الحجة

٢ منه (٧ مارس ١٧٠٧ م) :

عزل على آغا مستحفظان وتولى عوضه رضوان آغا كتحدا الجاويشية سابقا وركب بالشعار المعلوم وقطع ووصل وأمر أهل الأسواق أن يدمغوا الأبطال في دار الضرب بالدمغة السلطانية ، وجعلوا على كل دمغة نصف فضة فتحصل من ذلك مال له سورة .



المحرم

١٧ منه (٢٠ أبريل ١٧٠٧ م) :

توفي اسماعيل بك الدفتردار وولى أيوب بك عوضه وهو الذى كان أمير الحج سابقا .

صفر

٦ منه (٩ مايو ١٧٠٧ م) :

ورد مرسوم من السلطان أحمد بأن يكون عيار الذهب اثنين وعشرين قيراطا ، وكانوا يقطعونه على ستة عشر .

٩ منه (١٢ مايو ١٧٠٧ م) :

ورد أمر بحبس محمد باشا رامى ويبيع كامل ما يملكه من متاع وملبوس وغيره ، فحبس بقصر يوسف صلاح الدين ، وابطال والى البحر الذى يتولى من باب العزب .

وفيه وصل الحجاج وقد تأخروا الى نصف صفر .. بسبب دخول مراكب الهند وشراء ما بها من الأقمشة .

ربيع الأول

(يونيو ١٧٠٧ م) .

حبس جماعة من أتباع الباشا وهم : الكتخدا والخازندار وغيرهم من أرباب الكلمة .

ربقى له بعض تعاليفهم بتقدير على خلاصتها .. ولم يساعد أهل بابه وأهليها أمره . فتغير خاطره منهم : وذهب الى تلك المتفرقة ، وانضم اليهم وسألهم أن يخرجوه من العزب ويدخلوه فيهم . وجعل يركب معهم كل يوم للديوان ويمر على باب العزب . فبينما هو ذات يوم طالع الى الديوان ، اذ وقف له جماعة من العزب ، وقبضوا على لجام فرسه وأنزلوه من على فرسه وحسوه في بابهم ، وبلغ الخبر المتفرقة وهم في الديوان وحضر محمد أمين بيت المال في العزب ، وكان في ذلك اليوم نائبا عن باشاويش لتعرضه فعاتبه جماعة المتفرقة على ما فعله حماسته ، فأغلظ عليهم في الجواب فقبضوا عليه من أطواقه ، وأرادوا ضربه فدخل بينهم المصلحون وخلصوه من أيديهم ، فنزل الى باب العزب وأخبرهم بما فعله المتفرقة . فاجتمعت طائفة العزب ووقفوا على بابهم .. فلما مر عليهم اثنان من جماعة المتفرقة نازلين الى منازلها وهما : محمد الأبدال وصارى على . فلما حاذياهم هجم عليهما طائفة العزب هجمة واحدة وضربوهما ضربا مؤلما ، وأنزلوهما عن الخيل وشجوهما ونهبوا ما على الخيل من العدد وأخذوا ما عليهما من الملبوس . فلما وصل الخبر للمتفرقة اجتمعوا مع بقية الوجاقات وقعدوا في باب الينكجيرية ، وأنهوا أمرهم الى الأغوات والصناجق وأهل الحل والعقد . واستمروا على ذلك ثلاثة أيام الى أن وقع التوافق على إخراج أربعة أنفار ... الذين كانوا سببا لاشعال نار الفتنة ونفيهم من مصر وهم : أحمد كتخدا العزب ومحمد أمين بيت المال والشريف محمد باشا أوده باشه ومحمد أفندى قاضى أوغلى الذى كان الباعث على ذلك ، فوافق على ذلك الجميع وصموا عليه فسفروهم الى جهة الصعيد .

ربيع الآخر

١٨ منه (١٦ سبتمبر ١٧٠٧ م) :

تقلد ابراهيم بيك الدفتردارية عوضا عن أيوب بيك بموجب مرسوم سلطاني .

وفيه عزل رضوان أغا مستحفظان . وتولى أحمد أغا بن بكير أفندي عوضا عنه .

وفيه : ورد أمر بإبطال نوبة محمد باشا ونفيه الى جزيرة رودس ، فنزل من يومه الى بولاق وأقام بها الى أن سافر .

رجب

أوله (٢٨ سبتمبر ١٧٠٧ م) :

ورد أمر بعزل على باشا وحبسه في قصر يوسف ، واستخلاص ما عليه من الديون الى تجار اسلامبول . وجعل ابراهيم بيك قائمقام ، وحبس على باشا وبيعت موجوداته .

ووقعت فتنة بباب التكرجية ، فعزلوا افرنج أحمد باشا أوده باشا وحسين أوده باشا ، ثم نفوهم الى الطينة بدمياط (١) .

ووردت الأخبار بولاية حسين باشا على مصر وقدمه الى الاسكندرية .

شعبان

٢٣ منه (١٩ نوفمبر ١٧٠٧ م) :

قدم حسين باشا الوالى الى مصر .

وفيه : سافر الشريف يحيى بن بركات الى مكة بمرسوم سلطاني .

وفيه : فر افرنج أحمد أوده باشا وحسين أغا من حبس الطينة ، ودخلا مصر ليلا فاختبأ عند أغات

(١) يذكر صاحب التوقيعات الالهامية أن في هذا اليوم اجتهد الوالى في منع المسكر مما كانوا يفعلونه ، فنجوا من ذلك وقاموا عليه قومة واحدة ، وحاصروه بالقلعة ، ونهبت البلد ، واغلقت الحوانيت والخانات .

الجراكسة . والتجأ حسين الى باب التفكجية .

٢٥ منه (٢١ نوفمبر ١٧٠٧ م) :

طلع حسين باشا الى القلعة بانوكب المعتاد على العادة .

٢٦ منه (٢٢ نوفمبر ١٧٠٧ م) :

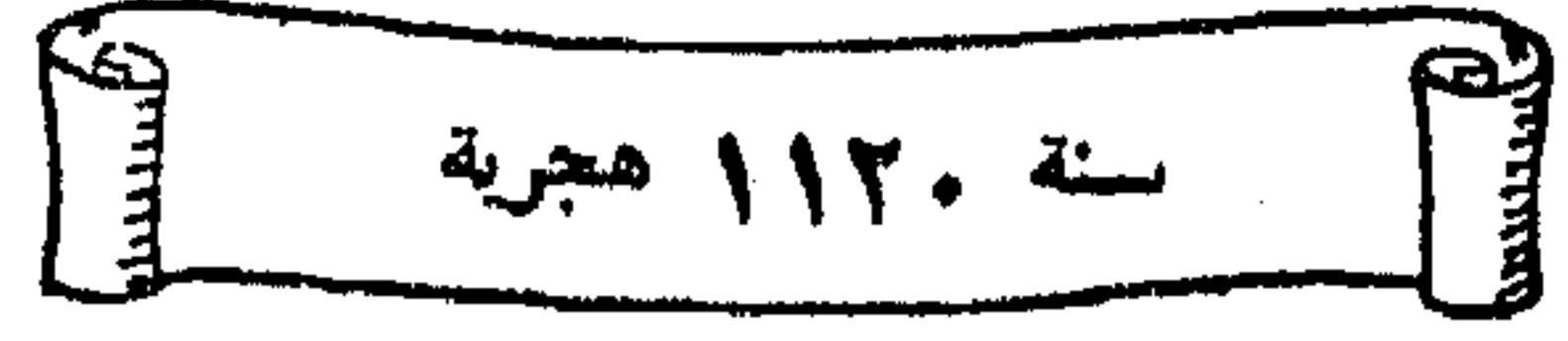
اجتمع الينكجيرة بالباب بأسلحتهم .. لما بلغهم قدوم افرنج أحمد الى مصر وقالوا : « لا بد من نفيه ورجوعه الى الطينة » فعاند في ذلك طائفة الجراكسة ، وامتنعوا من التسليم فيه وقالوا « لا بد من نقله من وجا قكم » وساعدتهم بقية البلكات ، ولم يوافق الينكجيرية على ذلك ، ومكثوا يسابهم يومين وليتين ، وكذلك فعل كل بك ببابه . فاجتمع كل العلماء والمشايخ على الصناجق والأعيان وخاطبوهم في حسم الفتنة . فوقع الاتفاق على أن يجعلوه صاحب طبليخانة ، وأرسلوا له القفاطين مع كتخدا الباشا وأرباب الدرك . وأحضروه الى مجلس الأغا وقرأوا عليه فرمان الصنجقية ، وان خالف يكون عليه بخلاف ذلك . فامثل الأمر ولبس الصنجقية وطلع من منزل أغات الجراكسة بموكب عظيم الى منزله ونزل الى الصنجق السلطاني والطبليخانة .

ذو الحجة

(مارس ١٧٠٨ م) :

فيه ورد أغا بطلب خازندار ابراهيم بك . الدفتردار . وسببه أنه أنهى الى السلطان أن خليل الخازندار المذكور أتاه رجل دلال بقوس ، فصار يجذبها ، ويتصرف فيها ، وكان بجانبه رجل من العشانيين فأخذ القوس من يد خليل ، وأراد جذبها فلم يستطع ، فتعجب من خليل ، وأخذ منه القوس وسافر بها الى الديار الرومية ليبتحن بها أهل ذلك الفن ، فلم يقدر أحد على جذبها . واتصل خبرها بالسلطان فطلبها لجذبها ، فلم يستطع .

فتعجب من صعوبتها ، فقال له الرجل ان بمصر
مملوكا عند ابراهيم بك أوترها وصار يجذبها
حتى تجمع طرفاها ، وعنده أيضا مكحلة ثلاثون
درهما يرمى بها الهدف وهو رامح على ظهر الحصان
فأمر السلطان باحضاره ، فجهزه ابراهيم بك
وأرسله .



شوال

١٨ منه (٣١ ديسمبر ١٧٠٨ م) (١) :

اجتمع عسكر بالديوان وأنهوا الى الباشا أن
محمد بك حاكم جرجا أنزل عربان المغاربة وأمنهم ،
وهذا يؤدي الى الفساد ، فعزلوه وولوا آخر اسمه
محمد من أتباع قيطاس بك جعلوه صنجقا وألبسوه
على جرجا ، وهو الذي عرف بقطامش .

١٩ منه (١ يناير ١٧٠٩ م) :

ورد محسن زاده أخو كنتخدا الوزير ، فأدخله
حسين باشا بموكب حافل وطلع الى القلعة وأبرز
مرسوما بعزل ايواز بك وتولية محمد باشا محسن
زاده في منصبه ، فأنزله في غيط قراميدان الى أن
سافر صحبة الحاج الشريف .

ذوالقعدة

١٤ منه (٢٥ يناير ١٧٠٩ م) :

وقف مملوك لرجل يسمى محمد أغا الحلبي على
دكان قصاب بباب زويلة ليشتري منه لحما
فتشاجر مع حمار عثمان أوده باشا البوابة فأعلم عثمان

(١) وقع في هذه السنة (اى سنة ١١٢٠ هـ) حوادث بين الامراء
نشأ عنها حروب بينهم استمرت نحو ثمانين يوما بين الفقارية
والقاسمية . وكانوا اذ ذاك يخرجون في كل يوم الى خارج القاهرة
قريبا من المحل المعروف بقبة المزب فيتحاربون الى ان تدنو
الشمس من الغروب ثم يرجعون الى منازلهم .

السيد اسماعيل الخشاب : تاريخ وقائع بمصر من سنة
١١٠٠ هـ : مخطوطة بدار الكتب المصرية ، مكتبة تيمور .

بذلك ، فأرسل أعوانه وقبضوا على ذلك المملوك
وأحضروه اليه ، فأمر بحبسه في سجن الشرطة .
فلما بلغ محمد جاويش سجن مملوكه حضر هو
وأولاده وأتباعه الى باب صاحب الشرطة لخلاص
مملوكه ، فتفاوضا في الكلام وحصل بينهما مشاجرة ،
فقبض عثمان أوده باشا على محمد جاويش المذكور
وأودعه في السجن ، وركب الى باش أوده باشا ،
وهو اذ ذاك سليمان بن عبد الله وطلع الى كنتخدا
مستحفظان وعرض القصة فلم يرضوا له بذلك
وأمره باطلاقه ، فرجع وأخرج محمد جاويش
ومملوكه من السجن . وفي ثانی يوم الحادثة
اجتمعت طائفة الجاويشية مع طائفة المتفرقة والثلاث
بلوكات الأسباهية والأمراء والصناجق والأغوات
في الديوان ، وطلبوا نفى عثمان أوده باشا المذكور
فلم توافقهم الينكجيرية على ذلك ، فطلعوا الى
الديوان وطلبوا عثمان المذكور للدعوى عليه ،
فحضر وأقيمت الدعوى بحضرة الباشا والقاضي ،
فأمر القاضي بحبس عثمان كما حبس محمد جاويش ،
فلم يرض الأخصام بذلك وقالوا « لا بد من عزله
ونفيه » فلم توافقهم الينكجيرية ، فطلب العسكر
من الباشا أمرا بنفيه ، فتوقف في ذلك ، فنزلوا
مغضبين واجتمعوا بمنزل كنتخدا الجاويشية وأنزلوا
مطبخهم من نوبة خاناه الى منزل كنتخدا الجاويشية
صالح أغا وأقاموا به ثلاثة أيام ليلا ونهارا وامتنعوا
من التوجه الى الديوان ، ثم اجتمع أهل البلوكات
وتحالفوا أنهم على قلب رجل واحد ، واتفقوا على
نفى عثمان أوده باشا . ثم اجتمعوا على الصناجق
واتفقوا على أن يكونوا معهم على طائفة الينكجيرية
لأنهم لم يعتبروهم . وأرسل الأسباهية مكاتبات
لأنفارهم المحافظين مع الكشاف بالولايات يأمرهم
بالحضور .

وفي ذلك اليوم عزل أوده باشا البوابة وولى
خلافه .

الجمعة ٢٨ منه (٨ فبراير ١٧٠٩ م) :

حضر الى طائفة الينكجرية من أخبرهم أن
العسكر يريدون قتالهم ، فأرسلوا القابجية الى
أنفارهم ليحضروا الى الباب بألة الحرب ، فاجتمعوا
وانزعج أهل الأسواق وأقفل غالبهم دكاكينهم ثم
اطمأنوا بعد ذلك وجلسوا في دكاكينهم ، واستمر
أهل الوجاقات الستة يجتمعون ويتشاورون في
أبوابهم وفي منزل محمد أغا المعروف بالشاطر
ومنزل ابراهيم بك الدفتردار . وأما الينكجرية
فانهم كانوا يجتمعون بالباشا فقط .

ذواحجة

الأحد ١٤ منه (٢٤ فبراير ١٧٠٩ م) :

قدم محمد بك الذي كان بالصعيد في جند
كثيف وأتباع كثيرة وطلع الى ديوان مصر على عادة
حكام الصعيد المعزولين ، ولبس الخلع السلطاني
ونزل الى بيته بالصلبية . ثم ان أهل الوجاقات الستة
اجتمعوا واتفقوا على ابطال المظالم المتجددة بمصر
وضواحيها وكتبوا ذلك في قائمة واتفقوا أيضا :

أن من كان له وظيفة بدار الضرب والأنبار
والتعريف بالبحرين أو المذبح لا يكون له جامكية
في الديوان ولا ينتسب لوجاق من الوجاقات .

وآلا يحتسب أحد من أهل الأسواق في الوجاقات .
وأن ينظر المحتسب في أمورهم ويحرر موازينهم
على العادة .

وأن يركب معه نائب من باب القاضى مباشرة
معه .

وآلا يتعرض أحد للمراكب التي يبحر النيل التي
تحمل غلال الأنبار .

وأن يحمل الغلال المذكورة جميع المراكب التي
يبحر النيل ولا تختص مركب منها بباب من أبواب
الوجاقات .

وأن كل ما يدخل مصر من بلاد الأمناء باسم
الأكل لا يؤخذ عليه عشر .

وآلا يباع شيء من قسم الحيوانات والقهوة الى
جنس الأفرنج .

وآلا يباع رطل البن بأزيد من سبعة عشر نصف
فضة .

وأرسلوا القائمة المكتبة الى الباشا ليأخذوا
عليها « بيورلدى » (١) وينادى به في الأسواق .
فتوقف الباشا في اعطاء « البيورلدى » . ولما بلغ
الانكشارية ما فعل هؤلاء اجتمعوا ببابهم وكتبوا
قائمة نظير تلك القائمة بمظالم الخردة ومظالم
اسباهية الولايات وغيرها وأرسلوها الى الباشا
فعرضها على أهل الوجاقات فلم يعتبروها ، وقالوا
لابد من اجراء قائمتنا وابطال ما يجب ابطاله منها
من المظالم .

الأحد ٢١ منه (٣ مارس ١٧٠٩ م) :

اجتمع أهل الوجاقات ومعهم الصناجق بباب
العزب وقاضى العسكر وتقيب الأشراف بالديوان
عند الباشا ، وأرسلوا الى الباشا أن يكتب لهم
« بيورلدى » بابطال ما سألوه فيه والمناداة به .
وان لم يفعل ذلك أنزلوه ، ونصبوا عوضه حاكما
منهم وعرضوا ذلك على الدولة ، فلما تحقق الباشا
منهم ذلك كتب لهم ما سألوه ، وكتب لهم القاضى
أيضا حجة على موجب ، ونزل بهم المحتسب وصاحب
الشرطة ونائب القاضى وأغا من تباع الباشا ونادوا
بذلك في الشوارع .

غايته (١٢ مارس ١٧٠٩ م) :

كسف جرم الشمس في الساعة الثامنة ، واستمر
سبع عشرة درجة ثم انجلت .

(١) موافقة

السبت ٤ منه (١٦ مارس ١٧٠٩ م) :

اجتمع الينكجيرية عند أغاثتهم وتحالفوا أنهم على قلب رجل واحد ، واجتمع أنفاهم جميعا بالغيط المعروف بخمسين كتحدا وتحالفوا كذلك .

٧ منه (١٩ مارس ١٧٠٩ م) :

اجتمع أهل الوجاقات بمنزل ابراهيم بك الدفتردار وتصالحووا على أن يكونوا كما كانوا عليه من المصافاة والمحبة بشرط أن ينفذوا جميع ما كتب في القائمة ونودى به ، ولا يتعرضوا في شيء منه فلم يستمر ذلك الصلح .

السبت ١١ منه (٢٣ مارس ١٧٠٩ م) :

وقع في الجامع الأزهر فتنة بعد موت الشيخ النشرتي (١) ، ثم ان الينكجيرية قالوا : لا نوافق على نقل دار الضرب الى الديوان حتى تكتبوا لنا حجة بأن ذلك لم يكن لخيانة صدرت منا ولا تخوف عليها . فامتنع أخصامهم من اعطاء حجة بذلك . ثم توافق أهل البلوكات الستة على أن يعرضوا في شأن ذلك الى باب الدولة ، فان أقرها في مكانها رضوا به ، وان أمر بنقلها نقلت . فاجتمعوا هم وتقيب الأشراف ومشايخ السجاجيد وكتبوا العرض المذكور ووضعوا عليه ختومهم ما عدا الينكجيرية فانهم امتنعوا من الختم ، ثم أمضوه من القاضي وأرسلوه مع أنفاه من البلوكات وأغا من طرف الباشا . وأما الينكجيرية فانهم اجتمعوا ببابهم وكتبوا عرضا من عند أنفسهم الى أرباب الحل والعقد من أهل وجاقهم بالديار الرومية ، وعينوا للسفيرة على افندي كاتب مستحفظان سابقا ، وأحمد جوريجي ، وجهزوهم للسفر .

(١) توفي في ١١٢٠ هـ (١٧٠٨ م)

١٣ منه (٢٣ مايو ١٧٠٩ م) :

تقلد اماره الحج قيطاس بك مقررًا على العادة في صبيحة المولد النبوي في كل سنة ، وكان أشيع أن بعض الأمراء سعى على منصب اماره الحج . فلما بلغ الينكجيرية ذلك اجتمعوا ببابهم لابسين سلاحهم وجلسوا خارج الباب الكبير على طريق الديوان بناء على أنه ان لبس شخص اماره الحج خلاف قيطاس بك لا يمكنه من ذلك . فلما رأى الصناجق والأمراء ذلك منهم خافوهم وقالوا : « هذه أيام تحصيل الخزينة ، ونخشى وقوع أمر من هؤلاء الجماعة يؤدي الى تعطيل المال » . فاجتمع رأى الصناجق وأهل الوجاقات الستة على نفى ستة أشخاص من الينكجيرية الذين بأيديهم الحل والعقد ، ويخرجونهم من مصر الى بلاد التزامهم تسكينًا للفتنة حتى يأتي جواب العرض .

فلما بلغ الينكجيرية ما دبروه اجتمعوا في بابهم ، في عددهم وعددهم ، فلم يلتفتوا الى فعلهم وقالوا : « لا بد من نفهم أو محاربتهم » . واجتمعوا كذلك في أبوابهم ، واستعد الينكجيرية في بابهم وشحنوه بالأسلحة والذخيرة والمدافع ، فحصل لأهل البلد خوف وانزعاج ، وأغلقت الدكاكين ، ونقل الجاوشية مطبخهم من القلعة من النوبة الى منزل كتخدا الجاوشية ، وأقام طائفة الينكجيرية منهم طوائف محافظين على أبواب القلعة وباب الميدان والصحراء الذي بالمطبخ الموصل الى القرافة خوفا من أن العسكر يستميلون الباشا وينزلونه بالميدان لأنهم كانوا أرسلوا له كتخدا الجاوشية وطلبوا منه النزول الى قراميدان ليتداعوا مع الينكجيرية على يد قاضي العسكر ، فلم تمكنهم الينكجيرية من ذلك ، وحصل لكتخدا الجاوشية ومن معه مشقة في ذلك اليوم من المذكورين عند عودهم من عند الباشا ، وما خلصوا الا بعد جهد عظيم .

٢٠ منه (٢٠ مايو ١٧٠٩ م) :

اجتمع الصناجق والعسكر واختاروا محمد بيك الذى كان بالصعيد لحصار القلعة من جهة القرافة على جبل الجيوشى بالمدافع والعسكر ، ففعل ما أمروا به ، وخافت العسكر وقوع نهب بالمدينة فعينوا مصطفى أغا أغات الجراكسة يطوف فى أسواق البلد وشوارعها كما كان يفعل فى زمن قزل باشا .

السبت ٢٢ منه (١ يونية ١٧٠٩ م) :

اجتمع الأمراء الصناجق والأسباهية بالرميلة وعينوا أحمد بك المعروف بافرنج أحمد أغات التفكجية ليحاصروا طائفة الينكجيرية من بابهم المتوصل منه الى المحجر وباب الوزير ، ويمنعوا من يصل اليهم بالأمداد . وأما الينكجيرية الذين كانوا بالقاهرة فاجتمعوا بباب الشرطة ، واتفقوا على أن يدهموا العسكر المحافظين بالباب ويكشفوهم ويدخلوا الى باب الينكجيرية . فلما بلغ الصناجق ذلك والعسكر عينوا ابراهيم الشهير بالوالى ، ومصطفى أغات الجبجية فى طائفة من الاسباهية فنزلوا الى باب زويلة (١) . ولما بلغ خبرهم الينكجيرية الذين كانوا قد تجمعوا فى باب الشرطة تفرقوا فجلس مصطفى أغا محل جلوس الأوده باشا ، و ابراهيم بك فى محل جلوس العسس ، وانتشرت طوائفهم فى نواحي باب زويلة والخرق (٢) ، واستمروا ليلة الأحد على هذا المنوال فطلع فى صباحها تقيب الأشراف والعلماء وقاضى العسكر وأرباب الأشراف واجتمعوا بالشيخونيتين بالصليبية وكتبوا فتوى بأن الينكجيرية ان لم يسلموا فى نفى المظلومين والا جاز محاربتهم ، وأرسلوا الفتوى صحبة جوخدار

من طرف القاضى الى باب الينكجيرية . فلما قرئت عليهم تراخت عزائمهم وفشلوا عن المحاربة وسلموا فى نفى المظلومين بشرط ضمانهم من القتل ، فضمنهم الأمراء الصناجق وكتبوا لهم حجة بذلك ، فلما وصلتهم الحجة أنزلوا الأنفار الثمانية المظلومين الى أمير اللواء ايواز بك (١) ورضوان أغا (٢) ، فتوجهوا بهم الى بولاق ومن هناك سافروا الى بلاد الريف .

ربيع الآخر

١٩ منه (٢٨ يونية ١٧٠٩ م) :

ورد أمير آخور صغير من الديار الرومية ، وطلع الى القلعة ، وأبرز مرسومين قرأ بالديوان بمحضر الجمع : أحدهما بإبطال المظالم والحمايات بموجب القائمة المعروضة من العسكر ونفى عطاء الله المعروف ببولاق ، وأحمد جلبى بن يوسف أغا ، وأن يحاسبوا تجار القهوة على مرابحة العشرة اثنى عشر بعد رأس المال والمصاريف . والأمر الثانى بنقل دار الضرب من قلعة الينكجيرية الى حوش الديوان ، وبناء قنطرة اللاهون بالفيوم ، وأن يحسب ما يصرف عليهما من مال الخزينة العامة .

وفى يوم تاريخه : برز أمر من الباشا برفع صنجقية أحمد بك الشهير بافرنج أحمد بك (٣) والحاقه بوجاق الجميلية . واجتمع أعيان مستحفظان بمنزل أحمد كتخدا المعروف بشهر اغلان ، وأرسلوا خلف افرنج أحمد وتصالحوا معه وتعاهدوا على الصدق وأن لا يغدرهم ولا يغدروه ، ومضوا معه الى الباب الجملى ، وأخذوا عرضه ، وركب الحمار وطلع الى باب مستحفظان فى جم غفير من الأوده باشية وقرر باش أوده باشا كما كان سابقا وعاد الى منزله .

(١) بناء أمير الجيوش بدر الجمالى سنة ١٨٥ هـ .

(٢) هو ميدان « باب الخلق » حتى قريب ، وميدان أحمد ماهر الآن . وهو يبدأ من آخر شارع تحت الربع وينتهى أول شارع فيط المدة بجوار مسجد السلطان شاه .

(١) من طائفة القاسمية .

(٢) من طائفة القاسمية .

(٣) كان جبارا عنيدا . تسببت عنه الفتنة الكبرى التى نجمت منها حروب طويلة بين طوائف المنايك .

شوال

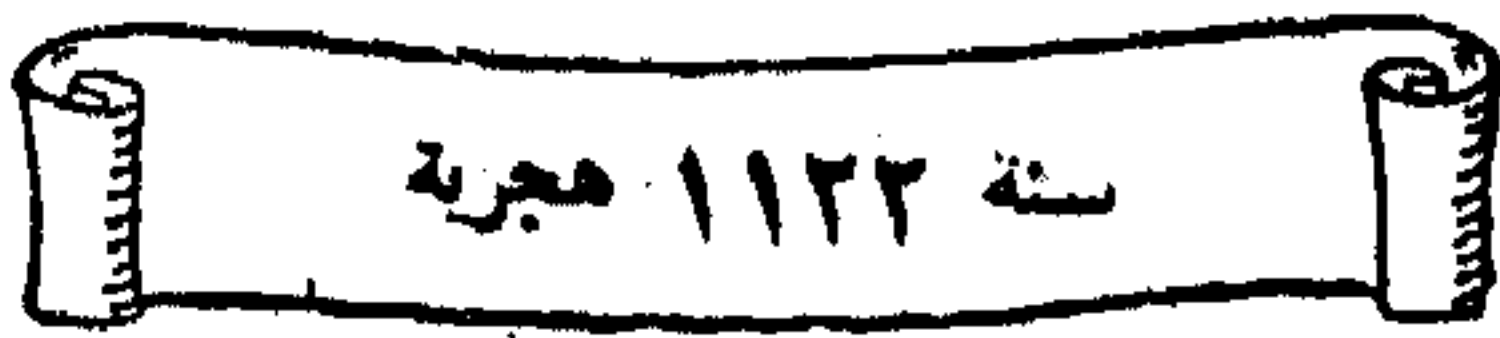
(١ ديسمبر ١٧٠٩ م) :

ترادفت الأمطار وسالت الأودية حتى زاد بحر النيل بمقدار خمسة أذرع وتغير لونه لكثرة مازجة الطفل للماء في الأودية ، واستمرت الأمطار تنزل وتنسكب الى آخر الشهر .

ذوالقعدة

١٥ منه (١٦ يناير ١٧١٠ م) :

نزل حسين باشا من القلعة بموكب عظيم وأمامه الصناجق والأغوات الى منزل الأمير يوسف أغا دار السعادة بسويقة عصفور ، ووصل ابراهيم باشا القبودان وطلع الى القلعة في منتصف الحجة .



المحرم

في منتصفه (١٦ مارس ١٧١٠ م) :

اجتمع أهل البلوكات السبعة بسبيل على باشا (١) بجوار الامام الشافعي ، واتفقوا على ثلثة أنفار من بينهم ، فنفوا في يوم الخميس من اختيارية الجاوشية : قاسم أغا ، وعلى أفندي كاتب الحوالة ، ومن وجاق المتفرقة : على أفندي المحاسبجي . وسبه أنهم اتهموهم بأنهم يجتمعون بالبasha في كل وقت ويعرفونه بالأحوال ، وأنهم أغروه بقطع الجوامك المكتبة بأسماء أولاد وعيال ، والجوامك المرتبة على الأوقاف . واتفق أنه مات جماعة فضبط جوامكهم المرتبة على أولاد وعيال للمحلول وأن العسكر راجعوه في ذلك فلم يوافقهم على ذلك وأيضا راجعه الاختيارية المرة بعد المرة فقال : لا أسلم الا لمن ينقل اسمه الى أحد الوجاقات السبعة ، فمن نقل اسمه فاني لا أعارضه ، فرضوا

(١) غربي مشهد الامام الشافعي من وقف الأمير علي باشا انشاء على باشا سنة ١٠١٣ هـ .

٣٠ منه (٨ يولية ١٧٠٩) :

رجع الأنفار الثمانية المنفيون وأخرجوهم من وجاق الينكجيرية ووزعوهم على أهل الوجاقات اطلاع الأمراء الصناجق والأغوات .

جمادى الأولى

أوله (٩ يولية ١٧٠٩ م) :

أرسل القاضي فأحضر مشايخ الحرف وعرفهم أنه ورد أمر يتضمن أن لا يكون لأحد من أرباب الحرف والصنائع علاقة ولا نسبة في أحد الوجاقات السبع ، فأجابوه بأن أغلبهم عسكري وابن عسكري وقاموا على غير امتثال ، ثم بلغ القاضي أنهم أجمعوا على ايقاع مكروه به ، فخافهم وترك ذلك وتغافل عنه ولم يذكره بعد .

جمادى الآخرة

١٥ منه (٢٢ اغسطس ١٧٠٩ م) :

تم بناء دار الضرب التي أحدثوها بجوش الديوان ، وضرب بها السكة ، وكان محلها قبل ذلك معمل البارود ، ونقل معمل البارود الى محل بجوارها .

وفيه لبس ابراهيم بيك أبوشنب (١) أميرا على الحاج عوضا عن قيطاس بيك ، وتولى قيطاس بيك دفتردارية مصر عوضا عن ابراهيم بيك بموجب مرسوم ورد بذلك من الأعتاب .

رمضان

١٩ منه (٢٢ نوفمبر ١٧٠٩ م) :

ورد الخبر بعزل حسين باشا وولاية ابراهيم باشا القبودان ، ووردت منه مكاتبة بأن يكون حسين باشا نائبا عنه الى حين حضوره . ولم نفوض أمر النيابة الى أحد من صناجق مصر كما هو المعتاد .

(١) من طائفة القاسمية الدين قفى عليهم ابراهيم كنفدا . استاذ طائفة الماليك الابراهيمية . (محمد رفعت رمضان - على بك الكبير ص ١٧) .

بذلك وأخذوا منه فرمانا ، فورد بعد ذلك سلحدار الوزير وعلى يده أوامر بإبطال المرتبات ، وأن من عاند في ذلك يؤدبه الحاكم ، فأذعنوا بالطاعة ، فأراد الباشا نفى الثلاثة أنفار من اختيارية العزب ، فلم توافق العسكر . ثم اتفق العسكر على كتابة عرض بالاستعطاف بإبقاء ذلك ، وسافر به سبعة أنفار من الأبواب السبعة .

ربيع الأول

الخميس غايته (٢٩ مايو ١٧١٠ م)
تقلد الأمير ايواز بيك اماره الحج عوضا عن ابراهيم بيك لضعف مزاجه ووهن قوته .

جمادى الأولى

أوائله (أوائل يولييه ١٧١٠ م) :
ورد من الديار الرومية مرسوم قرىء بالديوان مضبونه أن وزن الفضة المصرية زائد في الوزن عن وزن اسلامبول ، والأمر بقطع الزائد ، وأن تضرب سكة الجنزلى ظاهرة ، ويحرر عياره على ثلاثة وعشرين قيراطا .

رجب

٢ منه (٢٧ أغسطس ١٧١٠ م) :
حصلت زلزلة في الساعة الثامنة .

وفيه ورد مرسوم بإبقاء المرتبات التى عرض في شأنها كما كانت ولكن لا يكتب بعد اليوم في التذاكر أولاد وعيال ولا ترتب على جهة وقف .

١٥ منه (٩ سبتمبر ١٧١٠ م) :

ورد عزل ابراهيم باشا ، وولانة خليل باشا وإقامة أيوب بيك قائمقام . ونزل ابراهيم باشا من القلعة الى منزل عباس آغا ببركة الفيل فكانت مدته ثمانية أشهر .

شعبان

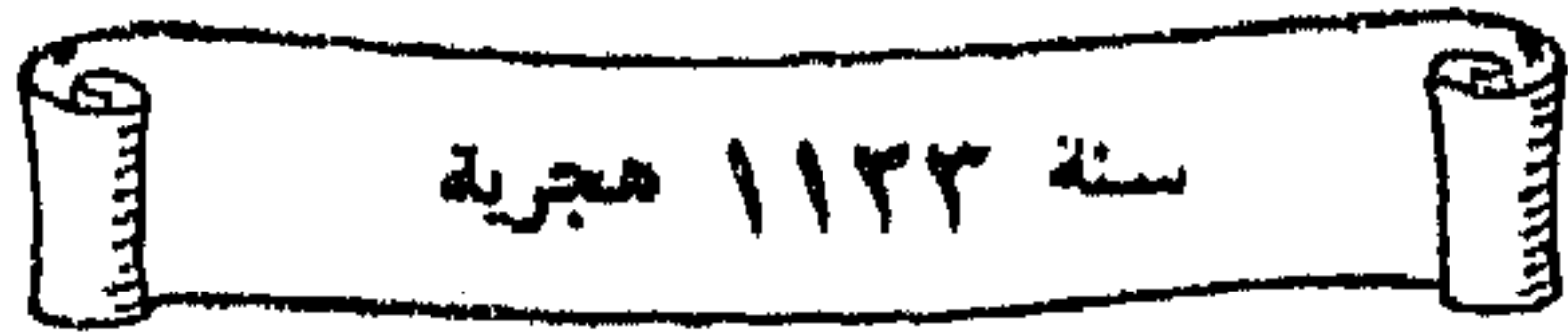
١٠ منه (٤ أكتوبر ١٧١٠ م) :
وصل خليل باشا الكوسج ، وكان بصيدا من أعمال الشام فقدم بالبر

ذوالقعدة

١٢ منه (٢ يناير ١٧١١ م) :
ورد أمر بطلب ثلاثة آلاف من العسكر المصرى وعليهم صنjq لسفر الموسقو ، وكانت النوبة على محمد بيك حاكم جرجا حالا ، فتعذر سفره ، فأقيم بدله اسماعيل بيك (١) تابع ذى الفقار بيك فقلدوه الصنjqية .

ذوالحجة

١٢ منه (أول فبراير ١٧١١ م) :
أمد محمد بيك اسماعيل بيك بأربعين كيسا مصرية وجعله بدلا عنه وألبس القفطان .



المحرم

الخميس مستهله (١٩ فبراير ١٧١١ م) :
(الموافق ١٤ من أمشير — ٧ شباط الرومى) .
في ذلك اليوم انتقلت الشمس الى برج الحوت .
وفيه : نزل اسماعيل بيك بموكب وشق في وسط القاهرة الى بولاق .

١٥ منه (٥ مارس ١٧١١ م) :
سافر اسماعيل بيك بالعسكر .

الجمعة ١٦ منه (٦ مارس ١٧١١ م) :

اجتمعت طائفة مصطفى كتنخدا القزدغلى (٢)

(١) اسماعيل بيك زوج شقيقة حسن آغا بلفية ، وهما من الامراء الفقارية .

(٢) انحدرت الممالك الابراهيمية من القازدغلية ، واستادهم ابراهيم كتنخدا تابع سليمان كتنخدا القازدغلى تابع مصطفى كتنخدا الكبير جد القازدغلية .

(محمد رفعت ومطمان : على بك الكبير ص ١٧)

ومعه من أعيان الينكجيرية خمسة عشر نفرا ،
واتفقوا أنهم لا يرضون افرنج أحمد باش أوده
باشا . فاما أن يلبس الضلعة أو يكون جربجيا في
الوجاق ، وإن لم يرض بأحد الأمرين يخرج
المذكورون من الوجاق ويذهبون الى أى وجاق
شاءوا . وكان الاجتماع بباب العزب ، وساعدهم
على ذلك أرباب البلكات الستة ، وصمموا أيضا
على رجوع الثمانية أنفار الذين كانوا أخرجوهم من
باب الينكجيرية ، ومشت الصناجق بينهم والاختيارية
وصاروا يجتمعون تارة بمنزل قيطاس بيك الدفتردار ،
وتارة بمنزل ابراهيم بيك أمير الحج سابقا . ثم
أجمع رأى الجميع على نقل الثمانية أنفار
المذكورين ومن انضم اليهم من الوجاقات الى باب
العزب ، وأن يخرجوا أنفارا كثيرة من مصر منفين
منهم : ثلاثة من الكتخدائية وعشرة من الجربجية
والباقي من الينكجيرية ، وعرضوا في شأن ذلك
للباشا ، فاتفق الأمر على أن من كان منهم مكتوبا
لسفر الموسقو فليذهب مع المسافرين ومن لم يكن
مكتوبا فيعطى عرضه ويذهب الى باب العزب .
وحضر كاتب العزب والينكجيرية في المقابلة وأخرجوا
من كان اسمه في السفر وما عداهم أعطوهم عرضهم
وتفرقوا عن ذلك . ووقع الحث على سفر من خرج
اسمه في المسافرين وعدم اقامتهم بمصر ، وأن
يلحقوا بالمسافرين بشفر الاسكندرية .

صفر

١٣ منه (٢ أبريل ١٧١١ م) :

قدم ركب الحج صحبة أمير الحج ايواز بيك .
وفيه : اجتمع حسن جاويز القزدغلى الذى كان
سردار القطار والأمير سليمان جربجى تابع القزدغلى
سردار الصرة ، و ابراهيم جربجى سردار جداوى ،
وطلبوا عرضهم من باب مستحفظان ، فذهب
اليهم اختيارية بابهم واستعطفوهم فلم يوافقوهم .

ثم طلب موسى جربجى تابع ابن الأمير مرزا أن
يخرج أيضا من الوجاق وينقلوا اسمه من الجميلة
فلم يوافقهم رضوان أغا ، فذهب موسى جربجى الى
ابراهيم بيك وايواز بيك وقيطاس بيك ، وسألهم
أن يتشفعوا له في ذلك فلم يوافق رضوان أغا ،
فاتفق رأيهم أن يعرضوا للباشا بأن يعزل رضوان
أغا المذكور ويتولى على أغات الينكجيرية سابقا ، وأن
يعزل سليمان كتخدا الجاوشية ، ويولى عوضه
اسماعيل أغا تابع ابراهيم بيك ، فامتنع الباشا من
ذلك . وكان اختيارية الجميلة توافقوا مع الأمراء
الصناجق على عزل رضوان أغا . فلما رأوا امتناع
الباشا أخذوا الصندوق من منزل رضوان أغا .
 واجتمعوا بمنزل باشجاويز ، واجتمع أهل كل
وجاق ببابهم ، واستمروا على ذلك أياما . وأما
الينكجيرية الذين انتقلوا الى العزب فانهم اجتمعوا
بباب العزب وقطعوا الطريق الموصلة الى
القلعة ، ومنعوا من يريد الطلوع الى باب الينكجيرية
من العسكر والأتباع ، ولم يبق في الطريق الموصلة
الى القلعة الا باب المطبخ ، ثم توجهوا للسواقى
لأجل منع الماء عن القلعة ، فمنعهم العسكر من
الوصول اليها ، فكسروا خشب السواقى التى
بجرب اليسار ، وقطعوا الجبال والقواديس . ثم ان
نفرا من أنفار الينكجيرية أراد الطلوع من طريق
الحجر ف ضربوه وشجوا رأسه ومنعوه ، فمضى من
طريق الجبل ودخل من باب المطبخ واجتمع بافرنج
أحمد وبقية الينكجيرية وعرفهم حاله ، فأخذ جماعة
منهم وعرضوا أمره على خليل باشا وقاضى
العسكر . فقال : هؤلاء صاروا بغاة خارجين عن
الطاعة حيث فعلوا ذلك ومنعونا الماء والزاد
وأخافوا الناس وسلبوهم ، فقد جاز لنا قتالهم
ومحاربتهم .

١٧ منه (٦ أبريل ١٧١١ م) :

ثم ان أحمد أوده باشا استأذن الباشا في محاربة

باب العزب وضربهم بالمدافع والمكاحل فأذن له في ذلك .

ومن ذلك الوقت تعسوق القاضي عن النزول وأخافوه ، واستمر مع الباشا الى انقضاء الفتنة مدة سبعين يوما . ورجع افرنج أحمد وشرع في المحاربة وضرب على باب العزب بالمدافع وذلك من بعد الزوال الى بعد العشاء ، وقتل من طائفة العزب أربعة أنفار بالمحجر .

ثم في صبيحة ذلك اليوم اجتمع من الأمراء الصناجق الأمير ايواز بيك أمير الحاج والأمير ابراهيم بيك أبو شنب وقانصوه بيك ومحمود بيك ومحمد بيك تابع قيطاس بيك الدفتردار ، واتفقوا على أن يلبسوا آلة الحرب ويذهبوا الى الرميطة معونة للعزب على النكجرية ، فأخبروا أن أيوب بيك ركب مدافع على طريق المسارين على منزله وعلى قلعة الكبش ، وربما أنهم اذا طلعوا الى الرميطة يذهب أيوب بيك وينهب منازلهم ، فامتنعوا من الركوب وجلسوا في منازلهم بسلاحهم خوفا من طارق .

واستمر افرنج أحمد يحارب ثلاثة أيام بلياليها ، واجتمع على رضوان أغا طائفة من نفره ، وتذاكروا فيمن كان سببا لاثارة الفتنة فقالوا : سليم جرججي ومحمد افندي بن طلق ويوسف افندي وأحمد جرججي توالى . فقالوا : لا نرضى هؤلاء الأربعة بعد اليوم أن يكونوا اختيارية علينا . ثم ركبوا وتوجهوا الى منزل قيطاس بيك ، وأرسلوا من كل بلوك اثنين من الاختيارية الى منزل أيوب بيك يطلبون رضوان أغا ، فأركبوه في موكب عظيم ، وكتبوا تذاكر للأربعة الاختيارية المذكورين بأنهم يلزمون بيوتهم ولا يركبون لأحد ولا يجتمع بهم أحد . ثم ركب رضوان أغا الى منزل أيوب بيك وتذاكروا في الصلح ، وكتبوا تذكرة لأحمد أوده

باشا بإبطال الحرب فأبى الصلح ، فكتبوا عرضا الى الباشا عن لسان الصناجق وأغوات الوجاقات الخمسة برفع المحاربة فأرسل الباشا الى النكجرية فامتلوا أمره وأبطلوا الحرب وضرب المدافع .

ثم ان الصناجق والأغوات أرسلوا يطلبون جماعة من اختيارية النكجرية ليتكلموا معهم في الصلح فأجابوا الى الحضور غير أنهم تعللوا بانقطاع الطريق من العسكر المقيمين بالمحجر ، فأرسلوا الى حسن كتحدا العزب ، فأرسل اليهم من أحضرهم وخلت الطريق . فاجتمع رأي النكجرية على ارسال حسن كتحدا سابقا وأحمد بن مقر كتحدا سابقا أيضا فاجتمعوا بالعسكر والصناجق بمنزل اسماعيل بيك ، وحضر معهم جميع أهل الحل والعقد ، وتشاوروا في اخماد هذه الفتنة ، وأرسلوا الى باب النكجرية فقالوا : « نحن لا نأبى الصلح بشرط أن هؤلاء الثمانية الذين كانوا سببا لاثارة هذه الفتنة لا يكونون في باب العزب ، بل يذهبون الى وجقاتهم الأصلية ولا يقيمون فيه ، وأن يسلموا الأمير حسن الأخميمي للباشا يفعل فيه رايه » فأبى أهل باب العزب ذلك ولم يرضوه ، فأرسل الأمراء الصناجق كتحدااتهم الى افرنج أحمد ومعهم اختيارية الوجاقات الخمسة يشفعون عنده بأن الأنفار الثمانية يرجعون كما ذكرتم الى وجقاتهم ويعفون من النفي ومن طلب الأمير حسن . فلم يوافق افرنج أحمد على ذلك وقال : « ان لم يرضوا بشرطى والا حاربتم ليلا ونهارا الى أن أخفى آثار ديار العزب » . فتفرقوا على غير صلح .

ربيع الأول

٤ منه (٢٢ ابريل ١٧١١ م) :

ثم اجتمع الأمراء الصناجق والأغوات بمنزل ابراهيم بيك بقناطر السباع ، وتذاكروا في اجراء الصلح على كل حال ، وكتبوا حجة على أن من

صدر منه بعد اليوم ما يخالف رضا الجماعة يكون خصم الجماعة المذكورين جميعا . وكلموا أيوب بيك أن يرسل الى أفرنج أحمد بصورة الحال ، وأن يمنع المحاربة الى تمام الأمر المشروع ، فبطل الحرب نحو خمسة عشر يوما .

وأخذ أفرنج أحمد مدة هذه الأيام في تحصين جوانب القلعة وعمل متاريس ونصب مدافع وتعبية ذخيرة وجبخانه ومأوا الصهاريج . وحضر في أثناء ذلك محمد بيك حاكم الصعيد ، ونزل بالبساتين فأقام ثلاثة أيام ودخل في اليوم الرابع ومعه السواد الأعظم من العرب والمغاربة والهوار ، ونزل بيت آق بردى بالرميلة ، وحارب من جامع السلطان حسن (١) من منزل يوسف أغات الجراكسة سابقا ، فلم يظفر وقتل من جماعته نحو ثلاثين نفرا وظهر عليه محمد بيك المعروف بالصغير تابع قيطاس بيك مع من انضم اليه من أتباع ابراهيم بيك وابواز بيك ومماليكه ، وكانوا تترسوا في ناحية سوق السلاح (٢) ووضعوا المتاريس في شبابيك الجامع ، وانتقل من محله وذهب الى طولون وتترس هناك وهجم على طائفة العزب الذين كانوا بسبيل المؤمنين على حين غفلة وصحبته ذو الفقار تابع أيوب بيك فوقع بينهم مقتلة عظيمة من الفريقين ، فلم يطق العزب المقاومة فتركوا السبيل وذهبوا الى باب العزب وربط محمد بيك جماعة من عسكره في مكانهم .

ثم ان الشيخ الخليفى طلع الى باب الينكجيرية وتكلم مع أحمد أوده باشا والاختيارية في أمر الصلح ، فقام عليه أفرنج أحمد وأسمعه مالا يليق ، وأرسل الى الطبخية وأمرهم بضرب المدافع على

(١) تجاه قلعة الجبل ، ابتدأ عمارته السلطان حسن سنة

٧٥٧ هـ .

(٢) هذا السوق فيما بين المدرسة الظاهرية وبين قصر بشتال . استجد فيما بعد الدولة الفاطمية في خط بين القصرين وجعل لبيع القطن والنشاب .

حين غفلة ، فانزعج الناس وقاموا وقام الشيخ ومضى . وأما سكان باب العزب فانهم أخذوا ما أمكنهم من أمتعتهم وتركوا منازلهم ونزلوا المدينة وتفرقوا في حارات القاهرة ، وحصل عند الناس خوف شديد ، وأغلقت الوكائل والخانات والأسواق ، ورحل غالب السكان القريبيين من القلعة مثل جهة الرملة والحطابة والمحجر خوفا من هدم المنازل عليهم . وكان الأمر كما ظنوه فان غالبها هدم من المدافع واحترق ، والذي سلم منها حرقه عسكر طوائف الينكجيرية بالنار ، ولم يصب باب العزب شيء من ذلك ما عدا مجلس الكتخدا فانه انهدم منه جانب وكذلك موضع الأغا لا غير . ثم ان أفرنج أحمد توافق مع أيوب بيك وعينوا عمر أغات جراكسة وأحمد أغا تفكجيان ورضوان أغا جيليان فقمعدوا بمن انضم اليهم بالمدرسة بقوصون وجامع مزادة بسويقة العزى (١) وجامع قجماس بالدرب الأحمر ليقطعوا الطريق على العزب . واختار أفرنج أحمد نحو تسعين نفرا من الينكجيرية وأعطى كل شخص دينارا طرلى وأرسلهم بعد الغروب الى الأماكن المذكورة .

فأما رضوان أغا فانه تعلل واعتذر عن الركوب . وأما أحمد أغا فانه توجه الى المحل الذي عين له ، فتحارب مع طائفة من الصناجق والعزب في الجنايبكية . وأما الذين ربطوا بجامع مزادة فلم يأتهم أحد الى الصباح فأخذوا الفطور من الذاهبين به الى باب العزب .

وفي أثناء ذلك نزل رجل أوده باشا من العزب من السلطان حسن يريد منزله ، فقبض عليه طائفة من الأخصام وسلبوه ثيابه وتركوه بالقبيص وأرسلوه الى أفرنج أحمد . فلما بلغ العزب ذلك أرسلوا طائفة

(١) نسبة الى الأمير عز الدين أيوب العزى تقيب الجيوش . وهي خارج باب زويلة ، قريبا من قلعة الجبل ، فيما بين الباب الجديد والحارات وبركة النيل وبين قلعة الجبل .

منهم الى المقيمين بجامع مزدادة فدخلوا من بيت الشريف يحيى بن بركات وتقبوا منزل عمر كتحدا مستحفظان اذ ذاك وما بجواره من المنازل الى أن وصلوا منزل مراد كتحدا ، فبجرد مارآهم العسكر الذين بجامع مزدادة فروا .

وأما عمر أغات جراكسة المقيم بجامع قجماس فانه وزع أتباعه جهة باب زويلة وجهة التبانة (١) ، فحصل لأهل تلك الخطة خوف شديد ، خصوصا من كان بيته بالشارع . فأرسلت العزب صالح جرجي الرزاز بجملة من عسكر العزب ومن انضم اليهم من النكجيرية الذين انقلبوا الى العزب ، كأتباع الأمير حسن باشجاويش سابقا والأسير حسن جاويش تابع القزدغلي والأمير حسن جلب كتحدا ، وجماعة محمد جاويش كدك ، فحاربوا مع من بجامع قجماس ، واستولى صالح جرجي عليه وعلى المتاريس التي بشباييكه ، وملك الأمير حسن جاويش تابع القزدغلي جامع المرداني وأقام به ، وحسن جاويش جلب أقام بجامع أصلم وانتشرت طوائفهم بتلك الأخطاط والأماكن فاطمأن الساكنون بها . وأما عمر أغا الجراكسة فانه لما فر من جامع قجماس ذهب الى جامع المؤيد (٢) داخل باب زويلة . ثم ان محمد بيك أرسل بطله فركب ومر على أحمد أغا التفكجية ، فأركبه معه وذهبا الى محمد بيك الصعيدي بالصليية . وحصل لأهل خط قوصون خوف عظيم بسبب اقامة أحمد أغا بالسلمانية ، ورحل غالبهم من المنازل ، فلما رحل عنهم اطمأنوا وتراجعوا .

وحضرت طائفة من المتفرقة الى محل أحمد أغا التفكجية ، وعملوا متاريس على رأس عطفة الخطب . ومكثوا هناك أياما قلائل ثم رحلوا عنها فأتى على

(١) تبدأ من عند المفارق التي بجوار جامع حارف باشا وتنتهي اول شارع باب الوزير بجوار جامع ابراهيم أغا .

(٢) بجوار باب زويلة من داخله . انشاء السلطان الملك المؤيد ابو النصر .

كتحدا الساكن بالداودية بطائفة من العزب فتملكوا ذلك الموضع وجلسوا به

ثم ان طائفة من المتفرقة والأسباهية هجموا على منزل الأمير قرا اسماعيل كتحدا مستحفظان ، فدخلوا من بيت مصطفى بيك بن ايواز وتقبوا الحائط بينه وبين منزل قرا اسماعيل كتحدا ، فلما وصل الخبر الى العزب عينوا له بيرقا من عسكر العزب ورئيسهم أحمد جرجي تابع ظالم على كتحدا فلم يمكنه الدخول من جهة الباب فخرق صدر دكان وتوصل منه الى منزل أحمد افندي كاتب الجراكسة سابقا ، ثم تقبوا منه محلا توصلوا منه الى منزل اسماعيل كتحدا ودخلوا على طائفة البغاة فوجدوهم مشغولين في نهب أثاث المنزل المذكور ، فهجموا عليهم هجمة واحدة ، فألقوا ما بأيديهم من السلب ورجعوا القهقري الى المحل الذي دخلوا منه من بيت مصطفى بيك ، فتبعوهم وتقاتل الفريقان الى أن كانت الدائرة على المتفرقة والأسباهية ، ونهب العزب منزل مصطفى بيك لكونه مكن البغاة من الدخول الى منزله ، ولكونه كان مصادقا لأيوب بيك .

ثم ان أحمد جرجي المذكور انتقل بمن معه من العسكر الى قوصون ودخل جامع الماس (١) وتحصن به ، وكان محمد بيك حاكم جرجا يمر من هناك ويمضي الى الصليية ، فانتهر أحمد جرجي فرصة ، وهو أنه وجد منزل حسين كتحدا الجزايرلي خاليا فدخل فيه فرأى داخله قصرا متصلا بمنزل محمد كتحدا عزبان المعروف بالبيرقدار بعلو دهليز منزله وطبقاته تشرف على الشارع . فكمن فيه هو وطائفة ممن معه ليقتال محمد بيك اذا مر به . واذا بمحمد بيك قد خرج من عطفة الخطب مارا الى جهة الصليية فضربوه بالسندق فأصيب أربعة من طائفته فقتلوا ، فظن أن الرصاص أتاه من منزل محمد

(١) هذا الجامع بالشارع خارج باب زويلة ، بناء الأمير سيف الدين الماس الحاجب ، وكمل في سنة ٧٣٠ هـ .

كتخذوا البيرقدار فوقف على بابه وأضرمت النار فيه ، فاحترق أكثر المنزل ونهبوا ما فيه من أثاث ومتاع ثم ان النار اتصلت بالأماكن المجاورة له والمواجهة فاحترقت البيوت والرباع والدكاكين التي هناك من الجهتين من جامع ألماس الى تربة المظفر يمينا وشمالا وأفسدت ما بها من الأمتعة ، والذي لم يحترق نهبته البغاة . وخرجت النساء حواسر مكشفات الوجوه ، فاستولى أحمد جربجي على جامع ألماس ، وعلى كتخدا الساكن بالداودية أقام بالمدرسة السلیمانية . وأما أطراف القاهرة وطرقها فانها تعطلت من المارة وعلى الخصوص طريق بولاق ومصر العتيقة والقرافة لكون أيوب بيك أرسل الى حبيب الدجوى يستعين به ، فحضر منهم طائفة ، وكذلك أخلاط الهوارة (١) الذين حضروا من الصعيد صحبة محمد بيك فاحتاطوا بالأطراف يسلبون الخلق ، واستاقوا جمال السقائين حتى كاد أهل مصر يموتون عطشا .

وصار العسكر فرقتين : ايواز بيك (٢) وقيطاس بيك (٣) الدفتردار وابراهيم بيك أمير الحاج سابقا . ومحمد بيك وقانصوه بيك وعثمان بيك بن سليمان بيك ومحمود بك ، وبلكات الأسباهية الثلاثة والجاویشية والعزب عصبة واحدة وأيوب بيك ومحمد بيك الكبير وأغوات الأسباهية من غير الأتقار ومحمد أغا متفرقة باشا وأهل بلكه وسليمان أغا كتخدا الجاویشية وبلك الينكجریة المقسمين بالقلعة صحبة أفرنج أحمد والباشا وقاضى العسكر الجميع عصبة واحدة . وأخذوا عندهم ثقيب

(١) اختلف المؤرخون في أصل عرب الهوارة ويذكر المقرئ في كتابه « البيان والاعراب عما بارض مصر من الأعراب » ص ٢٣-٥٨ أن الظاهر برقوق أقطع كبيرهم أرضا بناحية جرجا حوالى سنة ٧٨٢ هـ وكانت خرابا فعمروها

(٢) والد الأمير اسماعيل بيك وأصل اسمه « موسى » فحرفت بأصواج التركية الى ايواز وهو جركسى الجنس قاسمى ، تابع مراد بيك الدفتردار . تولى الإمارة في سنة ١١٠٧ هـ (١٦٩٥ م)

(٣) منلوك ابراهيم بيك ذى الفقار كريدلى الجنس تولى إمارة

الحج ١١١٧ هـ (١٧٠٥ م) .

الأشراف بحيلة واحتبسوه عندهم ، وأغلقوا جميع أبواب القلعة ماعدا باب الجبل ، وامتنع الناس من النزول من القلعة والطلوع اليها الا من الباب المذكور . واستمر أفرنج أحمد ومن معه يضربون المدافع على باب العزب ليلا ونهارا ، وبياب العزب خلق كثيرون منتشرون حوله ، وما قاربه من الحارات ، ورتبوا لهم جوامك تصرف عليهم كل يوم .

فلما طال الأمر اجتمع الأمراء الصناجق بجامع بشتك (١) بدرج الجماميز ، واتفقوا على عزل الباشا واقامة قائمقام من الأمراء : فأقاموا قانصوه بيك قائمقام نائبا . وولوا أغوات البلكات وهم الأسباهية الثلاثة ، فولوا على الجميلية صالح أغا ، وعلى الجراكسة مصطفى أغا ، وعلى التفكجية محمد أغا ابن ذى الفقار بيك ، واسماعيل أغا جعلوه كتخدا الجاویشية ، وعبد الرحمن أغا متفرقة باشا ، وقلدوا الزعامة الأمير حسن الذى كان زعيما وعزله الباشا بعبد الله أغا . فلما أحكموا ذلك وبلغ الخبر طائفة الينكجریة الذين بالقلعة توجهوا الى خليل باشا وأخبروه بالصورة ، فكتب لأغوات البلكات الثلاث ومتفرقة باشا يأمرهم بمحاربة الصناجق ومن معهم لكونهم بغاة خارجين على نائب السلطان . ثم اتفق مع أفرنج أحمد على اتخاذ عسكر جديد يقال لهم سردن كچدى ويعطى لكل من كتب اسمه خمسة دنائير وخمسة عثمانة ، فكتبوا ثمانمائة شخص وعلى كل مائة بيرقدار ورئيس يقال له أغات السردن كچدى .

ثم ان محمد بيك الصعيدى اتفق مع أفرنج أحمد بأن يهجم على طائفة العزب من طريق قراميدان ويكسر باب العزب المتوصل منه الى قراميدان ويهجم على العزب . ووصل خبر ذلك الى العزب فاستعدوا له وكنوا قريبا من الباب المذكور ، فلما كان بعد العشاء الأخيرة هجموا على الباب المذكور وكان العزب أحضروا شيئا كثيرا من حطب القرطم وطلوه بالزيت والقار والكبريت . فلما تكامل

(١) انشئ في سنة ٧٣٦ هـ

عسكر محمد بيك أوقدوا النار في ذلك الحطب ، فأضاء لهم قراميدان وصار كالنهار ، ثم ضربوهم بالبندق ففروا ، فصار كل من ظهر لهم ضربوه ، فقتلوا منهم طائفة كثيرة وولوا منهزمين .

ثم ان قانصوه بيك (١) صار يكتب بيورلديات وأوامر ويرسلها الى محمد بيك الصعيدي يأمره بالتوجه الى ولايته آمنا على نفسه وتحصيل ماعليه من الأموال السلطانية ، فأرعد وأبرق .

ثم ان جماعة من العزب أخذوا حسن الوالى المولى من طرف قائم مقام مصر وذهبوا -- وصحبتهم جماعة من أتباع الأمراء الصناجق -- الى باب الوالى ليملكوه . فلما بلغ الخبر عبد الله أغا الوالى أخذ فرشه وفر الى بيت أيوب بيك وفر الأوده باشا أيضا فلما لم تجد العزب أحدا في بيت الوالى توجهوا لمنزل عبد الله الوالى لينهبوه ، فقام عليهم جماعة من أتباع سليمان كتخدا الجاويشية ومن بجوارهم من الجند فهزموا العزب وقتلوا منهم رجلا ، فأقام حسن الوالى باب قيطاس بيك الدفتردار ، فلما اتسع الخرق أرسل الباشا الى ابراهيم بيك وايواظ بيك وقيطاس بيك يطلبهم الى الديوان ليتداعوا مع الينكجرية . فلما حضر تابع الباشا وقرأ عليهم الفرمان أجابوا بالسمع والطاعة ، واعتذروا عن الطلوع بانقطاع الطرق من الينكجرية وترتيب المدافع ولولا ذلك لتوجهنا اليه . فلما يس الباشا منهم اتفق مع أيوب بيك (٢) ومن انضم اليه من العسكر على محاربتهم وبرز الجميع الى خارج البلد .

ربيع الأول

٣ منه (٢١ ابريل ١٧١١ م) :

أرسلوا أيوب بيك ومحمد بيك الى العزبان

(١) تابع قيطاس بيك الكبير الدفتردار .

(٢) كان ممن تسبب في ائارة الفتنة مع افرنج احمد . بولى الامارة سنة ١١٠٧ هـ وطلع بالحج عشر مرات . مات سنة ١١٢٤ هـ (١٧١٢ م)

ليأخذوا جمال السقائين وحميرهم ، ومنع الماء عن البلد فأخذوا جميع ما وجدوه ، فعز الماء ووصل ثمن القربة خمسة أنصاف فضة . فأمر الأمراء الآخرون طائفة من العسكر أن يركبوا الى جهة قصر العينى ويستخلصوا الجمال ممن نهبهم ، فتوجهوا وجلسوا بالمصاطب ينتظرون من يمر عليهم بالجمال . فلما بلغ محمد بيك حضورهم هناك جمع طائفة هواراة وهجموا عليهم وهم غير مستعدين ، فاندھشوا ودافعوا عن أنفسهم ساعة ثم فروا ، وتأخر عنهم جماعة لم يجدوا خيلهم لكون سواسهم أخذوها وفروا فقتلهم محمد بيك وأرسل رؤوسهم للباشا فانسر سرورا عظيما وأعطى ذهبا كثيرا . فلما رجع المنهزمون الى منزل قانصوه بيك وايواظ بيك لم يسهل بهم ذلك ، واتفقوا على البروز اليهم .

ربيع الآخر

الاثنين ١٤ منه (١ يونيو ١٧١١ م) :

خرج الفريقان الى جهة قصر العينى والروضة فتلاقيا وتحاربا وتقاتلا قتالا عظيما تجندلت فيه الأبطال وقتل من الجند خاصة زيادة عن الأربعمئة نفر من الفريقين خلاف العربان والهواراة وغيرهم .

وقصد ايواظ بيك محمد بيك الصعيدي فانهزم الى جهة المجرة فساق خلفه . وكان الصعيدي قد اجلس أنفارا فوق المجرة مكيدة وحذرا ، فضربوا على ايواظ بيك بالرصاص ليردوه فأصيب برصاصة في صدره فسقط عن جواده وتفرقت جموعه وأخذ الأخصام رأسه وبينما القوم في المعركة اذ ورد عليهم الخبر بموت ايواظ بيك فانكسرت نفوسهم وذهبوا في طلبه ليردوه مقتولا مقطوع الرأس ، فحملة أتباعه . حم القوم الى منازلهم .

ولما قطعوا رأس ايواظ بيك وذهبوا بها الى محمد بيك قال : هذه رأس من ؟ قالوا : رأس قايينهم (١) ايواظ بيك ، فأخذها وذهب بها عند

(١) زعيمهم

جعلتموه قائمقام وحجة من نائب الشرع الذي أقمتوه أيضا عن الذي سقطت عدالته ، أنه سقط عنه حلوان البلاد ، ونحن نصرف الحلوان على العسكر والله يعطى النصر لمن يشاء من عباده . ففعلوا ذلك وراضوا أمورهم في الثلاثة أيام وتهيأ الفريقان للمبارزة .

السبت ١٩ منه (٦ يونيو ١٧١١ م) :

خرجوا في هذا اليوم ، وكان أيوب بيك حصن منزله ، فاتفق رأيهم على محاربة العسكر المجتمعة أولا ثم محاصرة المنزل ، فخرج أيوب بيك على جهة طولون ووقعت حروب وأمر ، ثم رجعوا الى منازلهم .

فلما رأى طائفة العزب تطاول الأمر وعدم التوصل الى القلعة وامتناع من فيها ، وضرب المدافع عليهم ليلا ونهارا ، أجمع رأيهم على أن يولوا كتحدا على الينكجيرية ويجلسوه بباب الوالى بطائفة من العسكر وينادوا فى الشوارع بأن كل من كانت له علوفة فى وجاقات مستحفظان يأتى تحت البيرق بالبوابة ، ومن لم يأت بعد ثلاثة أيام ينهب بيته . ففعلوا ذلك وعملوا حسن جاويز قريب المرحوم جلب خليل كتحدا لكونها نوبته ، وألبسه قانصوه بيك قائمقام ققطانا وركب وأمامه الوالى والبيرق والعسكر والمنادى أمامه ينادى بما ذكر الى أن نزل بيت الوالى وأحضروا الأودة باشا المتولى اذ ذاك وأجلسوه محله ، وطاف البلد بطائفته وكذلك العسكر .

الخميس ٢٤ منه (١١ يونيو ١٧١١ م) :

هجمت الينكجيرية من البذرمة على باب العزب ، ومعهم محمد بيك الكبير وكتخدا الباشا وأفرنج أحمد . فعندما نزل أولهم من البذرمة وكان العزب قد أعدوا فى الزاوية التى تحت قصر يوسف مدفعين ملائين بالرش والفيلوس الجدد - فضربوا عليهم فوق محمد أغا سركدك والبيرقدار وأنقار منهم فولوا منهزمين يظأ بعضهم

أيوب بيك ورضوان ، فقال أيوب بيك : هذه رأس من ؟ قال : رأس قليدهم . فبكى أيوب بيك وقال : حرم علينا عيش مصر . قال محمد بيك : هذا رأس قليدهم وراحت عليهم . قال له أيوب بيك : أنت ربيت فى ؟ أما تعلم أن ايواظ بيك وراءه رجال وأولاد ومال ، وهذه الدعوة ليس للقاسمية فيها جناية . والآن جرى الدم فيطلبون ثأرهم ويصرفون مالا ولا يكون الا مايريده الله .

ولما ذهبوا بالرأس الى الباشا فرح فرحاشديدا وظن تمام الأمر له ولمن معه ، وأعطى ذهباً وبقاشيش ، ودفنوا ايواظ بيك ، وطلبوا من أيوب بك الرأس فأرسلها لهم بعدما سلخها الباشا فدفنوها مع جثته .

ثم ان أيوب بيك كتب تذكرة وأرسلها الى ابراهيم أبو شنب يعزبه فى ايواظ بك . ويقول له : ان شاء الله تعالى بعد ثلاثة أيام نأخذ خاطر الباشا ويقع الصلح . وأرادوا بذلك التشييط حتى يأخذوا من الباشا دراهم يصرفونها ويرتبوا أمرهم .

وأما ما كان من أمر أتباع ايواظ بيك فركب يوسف الجزار وأخذ معه اسماعيل بن ايواظ بيك المتوفى وأحمد كاشف وذهبوا عند قانصوه بيك فوجدوا عنده ابراهيم بيك وأحمد بيك مملوكه وقيطاس بيك وعثمان بيك بارم ذيله ومحمد بيك الصغير المعروف بقطامش جالسين وعليهم الحزن والكآبة . فلما استقر بهم الجلوس بكى قيطاس بيك . فقال له يوسف الجزار : وايش فائدة البكاء ؟ دبروا أمركم . قالوا : كيف العمل ؟ قال يوسف الجزار : « هذه الواقعة ليس لنا فيها علاقة . أنتم فقارية فى بعضكم ، واننا الآن انجرحنا ومات منا واحد خلف ألفا وخلف مالا . اعملوني صنجقا وأمير حاج وسر عسكر واعملوا ابن سيدى اسماعيل صنجقا يفتح بيت أبيه وفيه البركة . وأعطوني فرمانا من الذى

بعضاً ، فأخذت العزب رءوس المقتولين فأرسلوها
الى قانسوه بيك .

الخميس ٢٤ منه (١١ يونيو ١٧١١ م) :

ثم ان قائمقام والصناجق اتفقوا على تولية على
أغا مستحفظان لضبطه واهتمامه . فلما أرسلوا له
أبى أن يقبل ذلك ، فتغيب من منزله ، فركب يوسف
بيك الجزار ومحمد بيك الصغير وعثمان بيك في
عدة كبيرة ودخلوا على منزل على أغا فلم يجدوه ،
وأخبروا بالمكان الذى هو فيه فطلبوه ، فأتى بعد
امتناع وتخويف ، وتوجه معهم الى قائمقام فألبسه
قفطان الأغاوية .

وعاد الى منزله بالقفطان يقدمه العسكر مشاة
بالسلاح والملازمون معلنين بالتكبير وبلغظ الجلالة
كما هي عادتهم في المواكب .

وفي صبيحة ذلك اليوم عين قائمقام بمعرفة
حسن كتحدا مستحفظان طائفة من العسكر الى
بولاق صحبة أحمد جرجى ليجلسوه في التكية
وصحبته والى بولاق وأغا من المتفرقة عوضاً عن
أغات الرسالة الذى بها من جانب الباشا ، فأجلسوه
في منزله ونهبوا ما وجدوه لأغات الرسالة الأول
من فرش وأمتعة وخيل وغير ذلك .

السبت ٢٦ منه (١٣ يونيو ١٧١١ م) :

في الصباح خرج الفريقان الى خارج
القاهرة من باب قناطر السباع واجتمعوا بالقرب
من قصر العيني ومعهم المدافع وآلات الحرب ،
فتحارب الفريقان من ضحوة النهار الى العصر ،
وقتل من الفريقين من دنا أجله وأيوب بيك ومحمد
بيك بالقصر ، ثم تراجع الفريقان الى داخل البلد ،
وتأخرت طائفة من العزب فأتى اليهم محمد بيك
الصعيدى واحتاط بهم وحاصره . وبلغ الخبر
قانسوه بيك فأرسل اليهم يوسف بيك ومحمد بيك
وعثمان بيك فتقاتلوا مع محمد بيك الصعيدى

وهزموه وتبعوه الى قنطرة السد (١) .

وقد كان أيوب بيك داخل التكية المجاورة
لقصر العيني فلما رأى الحرب ركب جواده ونجا
بنفسه ، فبلغ يوسف بيك أنه بالتكية فقصدوه
واحتاطوا بالقصر فأخبرهم الدراويش بذهابه فلم
يصدقوهم ، ونهبوا القصر وأخربوه وأحرقوه
وعادوا الى منازلهم .

وفي صبيحة يوم الأحد ذهب يوسف بيك
الجزار ونهب غبط افريج أحمد الذى بطريق
بولاق ، ثم اجتمعوا في محل الحرب وتحاربوا ولم
يزالوا على ذلك . وفي كل يوم يقتل منهم ناس
كثير .

جمادى الأولى

في ٢ منه (١٨ يونيو ١٧١١ م) :

اجتمع الأمراء الصناجق بمنزل قائمقام وتنازعوا
بسبب تطاول الحرب وامتداد الأيام ، ثم اتفقوا
على أن ينادوا في المدينة بأن من له اسم في وجاق
من الوجاقات السبعة ولم يحضر الى بيت أغاته نهب
ماله وقتل . وأمهلوهم ثلاثة أيام ونودى بذلك في
عصرتها .

وكتب قائمقام بيورلدى الى من في القلعة من
طائفة الينكجيرية والكتخدائية والجرجية والأوده
باشية والنفر بأننا أمهلناكم ثلاثة أيام ، فمن لم ينزل
منكم بعدها ولم يمثل نهينا داره ، وهدمناها ،
وقتلنا من ظفرنا به . ومن فر رفعنا اسمه من الدفتر
... فتلاشى أمرهم واختلفت كلمتهم .

٤ منه (٢٠ يونيو ١٧١١ م) :

خرج الأمراء والأغوات الى محل الحرب ،
وأرسلوا طائفة كبيرة من العسكر المشاة لمحاصرة
منزل أيوب بيك ، فتحارب الفرسان الى آخر النهار .
وأما الرجال فأنهم تسلقوا من منزل ابراهيم بيك

(١) من أهم قناطر الخليج الكبير ، وهي التي كان يتوصل بها
الى منشأة المهراني وغيرها من شاطئ الخليج الغربى .
(الدكتور عبد الرحمن زكى - القاهرة)

وتوصلوا الى منزل عمر أغا الجراكسة فتحاربوا مع من فيه الى أن أخلوه ودخلوا فيه وشرعوا ليلا في تقب الربع المبني على علو منزل أيوب بيك ، فنقبوه وكنوا فيه .

٦ منه (٢٢ يونيو ١٧١١ م) :

اجتمع العساكر بمنزل قائمقام بالأسلحة وآلات الحرب ، وأرسلوا طائفة الى جبل الجيوشي فركبوا مدافع على محل الباشا ، ومدافع على قلعة المستحفظان ، وأحاطوا بالقلعة من أسفل ، وضربوا ستة مدافع على الباشا ، ورموا بنادق . فنصب الباشا بيرقا أبيض يطلب الأمان . وفر من كان داخل القلعة من العسكر . فبعضهم نزل بالجمال من السور وبعضهم خرج من باب المطبخ . فعند ذلك هجمت العساكر الخارجة على الباب ودخلوا الديوان ، فأرسل الباشا القاضي وتقيب الأشراف يأخذان له أمانا من الصناجق والعسكر ، فتلقوهما وأكرموهما وسألوهما عن قصدهما فقالا لهم : « ان الباشا يقرئكم السلام ويقول لكم : انا كنا اغتربنا بهؤلاء الشياطين وقد فروا . والمراد أن تعلمونا بمطلوبكم فلا نخالفكم » . فقالوا لهما : « أعلموه أن الصناجق والأمراء والأغوات والعسكر قد اتفقوا على عزله ، وأن قانصوه بيك قائمقام . وأما الباشا فانه ينزل ويسكن في المدينة الى أن نعرض الأمر على الدولة ويأتينا جوابهم » .

فأرسل القاضي نائبه الى الباشا يعرفه عن ذلك فأجابه بالطاعة واستأمنهم على نفسه وماله وأتباعه ، وركب من ساعته في خواصه يقدمه قائمقام وأغات مستحفظان عن يمينه وأغات المتفرقة عن شماله واختيارية الوجاقات من خلفه وأمامه . ونزل من باب الميدان وشق من الرميلة على الصليبية والعامية قد اصطفت يشافهونه بالسب واللعن الى أن دخل بيت على أغا الخازندار بجوار المظفر . وهجم العسكر على باب مستحفظان فملكوه ونهبوا بعض أسباب حسين أغا مستحفظان .

وخرج حسين أغا من باب المطبخ ، فلما را يوسف بيك أشار الى العسكر فقطعوه وقطعوا اسماعيل افندي بالحجر ، وكذلك عمر أغات الجراكسة بحضرة اسماعيل بن ايواظ . وخازنداره ذو الفقار وقع في عرض بلديه على خازندار وحسن كتخدا الجلفي ، فحماء من القتل .

وذو الفقار هذا هو الذي قتل اسماعيل بيك ابن ايواظ وصار أميرا ، فقتلوه بباب العزب ، ونزل أفرنج أحمد وكجك أحمد أوده باشا الى المحجر متكرين فعرفهما الجالسون بالمحجر فقبضوا عليهما وذهبوا بها الى باب العزب ، وقطعوا رؤوسهما ، وذهبوا بهما الى بيت ايواز بيك ، وطلع على أغا الى محل حكمه وطلع حسن كتخدا من باب الوالى وأمامه العساكر بالأسلحة الى باب مستحفظان والبيرق أمامه ، ونزل جاويز الى أحمد كتخدا برمقش فوجده في بيت اسماعيل كتخدا عزبان فأخذه وطلع به الى الباب فخنقوه وأخذوه الى منزله في تابوت ، وركب على أغا وأمامه الملازمون ياليرشان فطاف البلد وأمر بتنظيف الأتربة وأحجار المتاريس وبناء النقوب ، وألبس قائمقام أغوات البلكات السبعة قفاطين وطلع الذين كانوا بباب العزب من الينكجيرية الى بابهم وعدتهم ستمائة انسان .

١١ منه (٢٧ يونيو ١٧١١ م) :

لبس يوسف بيك الجزار (١) على امارة الحاج ، ومحمود بيك على السويس ، وعين يوسف بيك المذكور ومصطفى أغات الجراكسة للتجريدة على الشرقية .

في ١٤ منه (٣٠ يونيو ١٧١١ م) :

لبس محمد بيك الصغير على ولاية الصعيد ،

(١) تابع الأمير ايواظ بيك ، تقلد الامارة والصنحية في سنة ١١٢٣ هـ (١٧١١ م) وتولى الدفتردارية سنة ١١٢٧ هـ (١٧١٥ م) وقع له مع العرب عدة وقائع وقتل منهم الوفا ولذلك سمي بالجزار .

وخرج من بيته بموكب الى الأثر ، وصحبته الطوائف الذين عينوا معه من السبعة بلكات سردارياتهم وبيارقهم وعدتهم خمسمائة نفر . منهم مئتان من اليكجيرية والعزب ، وثلاثمائة نفر من الخمسة بلكات أعطوا لكل نفر من المائتين ألف نصف فضة ترحيلة ، ولكل شخص من الثلاثمائة ، ألف وخمسمائة نصف فضة .

١٥ منه (١ يوليو ١٧١١ م) :

في الصباح حملوا حملة واحدة على منزل أيوب بيك وضربوا البنادق فلم يجدوا من يمنعهم بل فر كل من فيه وركب أيوب بيك وخرج هاربا من باب الجبل فلم يعلم أين يتوجه . فملكوا منزله ونهبوه مع كونه كان مستعدا وركب في أعالي منزله المدافع ، وفي قلعة الكباش فأرسل له افرنج أحمد بيرقا وعساكر فلم يفده ذلك شيئا ونهبوا أيضا منزل أحمد أغا التفكجية بعدما قتلوه بيت قائممقام ولحق من لحق بأيوب بيك وفر الجميع الى جهة الشام .

وفر محمد بيك الى جهة الصعيد ووقع النهب في بيوت من كان من حزبهم ونهبوا بيت يوسف أغا ناظر الكسوة سابقا وبيت محمد أغات متفرقة باشا وبيت محمد بيك الكبير وأحرقوه وبيت جرجي القونيلي وأحرقوا بيت أيوب بيك وما لاصقه من الربع والدكاكين .

جمادى الآخرة

في ٤ منه (٢٠ يوليو ١٧١١ م) :

سافر الجميع ، وكان محمد بيك الكبير خرج مقبلا وصحبته الهوارة ، فخرج وراءه يوسف بيك الجزائر وعثمان بيك بارم ذيله ومحمد بيك قطامش فوصلوا دير الطين ، فلاقاهم شيخ الترايين فأخبرهم أنه مر من ناحية التين نصف الليل ، فرجعوا الى منازلهم .

وبلغهم في حال رجوعهم أن خازندار رضوان أغا تخلف عند الدراويش بالتكية فقبضوا عليه وقطعوا دماغه .

ولم يزل محمد بيك الصعيدى حتى وصل اخميم وصحبته الهوارة وقتل ما بها من الكشاف ونهب البلاد وفعل أفعالا قبيحة ، ثم ذهب الى أسيوط فأرسل الى قائممقام جرجا فتصرف في جميع تعلقاته وأرسلها اليه تقودا ، ونزل مخنفيا الى بحرى ، ومر من ابابه نصف الليل . ولم يزل سائرا الى دمياط ، ونزل في مركب أفرنجي وطلع الى حلب ، ووصل خبره الى السردار ، فجمع السردارة والعسكر ولحقوه على البرج فلم يدركوه . ثم انه ركب من حلب وذهب الى دار السلطنة من البر . وكان أيوب بيك ومحمد أغا متفرقة وكتخدا الجاويشية سليمان أغا وحسن الوالى وصلوا قبله وقابلوا الوزير ، وأعلموه بقصتهم ، وعرضوا عليه الفتوى وعرض الباشا والقاضى ، فأكرمهم وأنزلهم في مكان ورتب لهم تعيينا ، ثم أتاهم محمد بيك ، وقابل معهم الوزير أيضا فخلع عليه وولاه منصبا . وأما رضوان أغا فانه تخلف ببلاد الشام ومحمد أغا الكور صحبته .

في ٧ منه (٢٣ يولييه ١٧١١ م) :

تقلد محمد بيك بن اسماعيل بيك بن ايواظ بيك الصنجقية ، ثم انهم اجتمعوا في بيت قائممقام ، وكتبوا عرضحال بصورة ما وقع ، وطلبوا ارسال باشا واليا على مصر ، وذكروا فيه أن الخزنة تصل صحبة محمد بيك الدالى ، وانتقضت الفتنة وما حصل بها من الوقائع . واستمر خليل باشا بمصر حتى حضر والى باشا وحاسبره .

رجب

في أواخره (أوائل سبتمبر ١٧١١ م) :

تولى على مصر والى باشا فوصلها وطلع الى القلعة .

رمضان

(أكتوبر - نوفمبر ١٧١١ م) :

فيه : جلس رجل رومى يخط الناس بجامع المؤيد ، فكثر عليه الجمع ، وازدحم المسجد ، وأكثرهم أتراك . ثم انتقل من الوعظ ، وذكر ما يفعله أهل مصر بضرائح الأولياء ، وإيقاد الشموع والقناديل على قبور الأولياء ، وتقبييل أعتابهم ، وفعل ذلك كفر يجب على الناس تركه ، وعلى ولاية الأمور السعى في إبطال ذلك . وذكر أيضا قول الشعرا في طبقاته ان بعض الأولياء اطلع على اللوح المحفوظ ، أنه لا يجوز ذلك ، ولا تطلع الأنبياء — فضلا عن الأولياء — على اللوح المحفوظ ، وأنه لا يجوز بناء القباب على ضرائح الأولياء والتكايا ، ويجب هدم ذلك . وذكر أيضا وقوف الفقراء بباب زويلة في ليالى رمضان

فلما سمع حزبه ذلك خرجوا بعد صلاة التراويح ، ووقفوا بالنبايت والأسلحة ، فهرب الذين يقفون بالباب ، فقطعوا الجوخ والأكر المعلقة وهم يقولون : أين الأولياء ؟ . فذهب بعض الناس الى العلماء بالأزهر وأخبروهم بقول ذلك الواعظ ، وكتبوا فتوى وأجاب عليها الشيخ أحمد النبراوى (١) والشيخ أحمد الخليفى (٢) بأن كرامات الأولياء لا تنقطع بالموت ، وأن

(١) ولد ببلدة نفرة ونشأ بها . وانتهت اليه الرئاسة في مذهبه واخذ عنه الأعيان . توفي سنة ١١٢٥ هـ (١٧١٣ م)

(٢) العلامة الشيخ أبو العباس أحمد الشهير بالخليفى الضرير أصله من الشرق وقدم بمده أبو الخير وأقام بمكة موسى من أعمال المنوفية . وولد بها الشيخ ونشأ . وكان فقيها نحويا . توفي في سنة ١١٢٧ هـ (١٧١٥ م) .

انكاره اطلاع الأولياء على اللوح المحفوظ لا يجوز ، ويجب على الحاكم زجره عن ذلك . وأخذ بعض الناس تلك الفتوى ودفعها الى الواعظ وهو فى مجلس وعظه . فلما قرأها غضب وقال : يا أيها الناس ، ان علماء بلدكم أفتوا بخلاف ما ذكرت لكم ، وانى أريد أن أتكلّم معهم وأباحثهم فى مجلس قاضى العسكر . فهل منكم من يساعدنى على ذلك وينصر الحق ؟ فقال له الجماعة : نحن معك لا نفارقك . فنزل عن الكرسي ، واجتمع عليه من العامة زيادة عن ألف نفس ، ومر بهم من وسط القاهرة الى أن دخل بيت القاضى قريب العصر ، فأنزعج القاضى ، وسألهم عن مرادهم فقدموا له الفتوى ، وطلب منه اجضار المفتين والبحث معهما ، فقال القاضى : اصرفوا هؤلاء الجموع ثم نحضرهم ونسمع دعواكم . فقالوا : ما تقول فى هذه الفتوى ؟ قال : هى باطلة . فطلبوا منه أن يكتب لهم حجة بطلانها . فقال : ان الوقت قد ضاق ، والشهود ذهبوا الى منازلهم . وخرج الترجمان ، فقال لهم ذلك فضربوه ، واختفى القاضى بحريمه ، فما وسع النائب الا أنه كتب لهم حجة حسب مرادهم .

٢٠ منه (١ نوفمبر ١٧١١ م) :

اجتمع الناس وقت الظهر بالمؤيد لسماع الوعظ على عادتهم ، فلم يحضر لهم الواعظ ، فأخذوا يسألون عن المانع من حضوره ، فقال بعضهم : أظن أن القاضى منعه من الوعظ . فقام رجل منهم وقال : أيها الناس ، من أراد أن ينصر الحق فليقم معى ، فتبعه الجهم الغفير فمضى بهم الى مجلس القاضى .

فلما رآهم القاضى ومن فى المحكمة طارت عقولهم من الخوف ، وفر من بها من الشهود ، ولم يبق الا القاضى فدخلوا عليه ، وقالوا له : أين

الجاويشية الى جامع المؤيد فلم يجدوا منهم أحدا ، وجعل يفحص ويفتش على أفراد المتعصبين ، فمن ظفر به أرسله الى باب أغاته فضربوا بعضهم ونفوا بعضهم وسكنت الفتنة .

شمال

(نوفمبر - ديسمبر ١٧١١ م) :

قلدوا أحمد بيك الأعسر (١) - تابع ابراهيم بيك - صنجقية ، وزادوه كشوفية البحيرة . وكان قانصوه بيك ، قبل وصول الباشا ، رسم باخراج تجريدة الى هواره المفسدين الذين أتوا الى مصر صحبة محمد بيك الصعيدى ، ورجعوا صحبته وأخربوا أخميم وقتلوا الكشاف وأمير التجريدة محمد بيك قطامش وصحبته ألف عسكرى ، وأعطوا كل عسكرى ثلاثة آلاف نصف فضة من مال البهار سنة تاريخه ، وأن يكون محمد بيك حاكم جرجا عن سنة ثلاث وعشرين وأربع وعشرين ، وقضى أشغاله وبرز خيامه الى الآثار ، ثم طلب الوجه القبلى الى أن وصل الى أسيوط فقبض على كل من وجده من طرف محمد بيك الصعيدى وقتله ، ومنهم حسين أوده باشا بن دقماق . ثم انتقل الى منفوط وهربت طوائف الهواره بأهلها الى الجبل الغربى ، وأتت اليه هواره بحرى صحبة الأمير حسن فأخبروه بما وقع لهم ، وساروا صحبته الى جرجا ، فنزل بالصيوان وأبرز فرمانا قرىء بحضرة الجمع باهراق دم هواره قبلى ، وأمر بالركوب عليهم الى اسنا ، وتسلبت عليهم هواره بحرى ونهبوا مواشيهم وأغنامهم ومتاعهم وطواحينهم ، واشتفوا منهم ، وكل من وجده منهم قتلوه .

ولم يزل في سيره حتى وصل قنا وقوص ثم رجع الى جرجا .

(١) من ممالك ابراهيم بيك أبى شنب القاسمى . قتل في سنة ١١٤٢ هـ (١٧٢٩ م) في واقعة البهنسا .

شيخنا ؟ فقال : لا أدري . فقالوا له : قم واركب معنا ابى الديوان ، ونكلم الباشا في هذا الأمر ، ونسأله أن يحضر لنا أخصامنا الذين أفتوا بقتل شيخنا ، وتباحث معهم فإن أثبتوا دعواهم نجوا من أيدينا والا قتلناهم . فركب القاضى معهم مكرها وتبعوه من خلفه وأمامه الى أن طلوعوا الى الديوان فسأله الباشا عن سبب حضوره في غير وقته . فقال : انظر الى هؤلاء الذين ملأوا الديوان والحوش فهم الذين أتوا بى ، وعرفه عن قصتهم ، وما وقع منهم بالأمس واليوم ، وأنهم ضربوا الترجمان وأخذوا منى حجة قهرا ، وأتوا اليوم وأركبوني قهرا .

فأرسل الباشا الى كتخدا الينكجيرية وكتخدا العزب ، وقال لهما : اسألوا هؤلاء عن مرادهم . فقالوا : نريد احضار النفراوى والخليفى ليجلسا مع شيخنا فيما أفتيا به عليه ، فأعطاهم الباشا بيورلديا على مرادهم ونزلوا الى المؤيد ، وأتوا بالواعظ وأصعدوه الى الكرسي فصار يعظهم ويحرضهم على اجتماعهم في غد بالمؤيد ويذهبون بجمعيتهم الى القاضى وحضهم على الانتصار للدين وقمع الدجالين وافترقوا على ذلك .

وأما الباشا فانه لما أعطاهم البيورلدى ، أرسل بيورلديا الى ابراهيم بيك وقيطاس بيك يعرفهم ما حصل وما فعله العامة من سوء الأدب ، وقضدهم تحريك الفتن وتحقيرنا نحن والقاضى . وقد عزمنا أنا والقاضى على السفر من البلد .

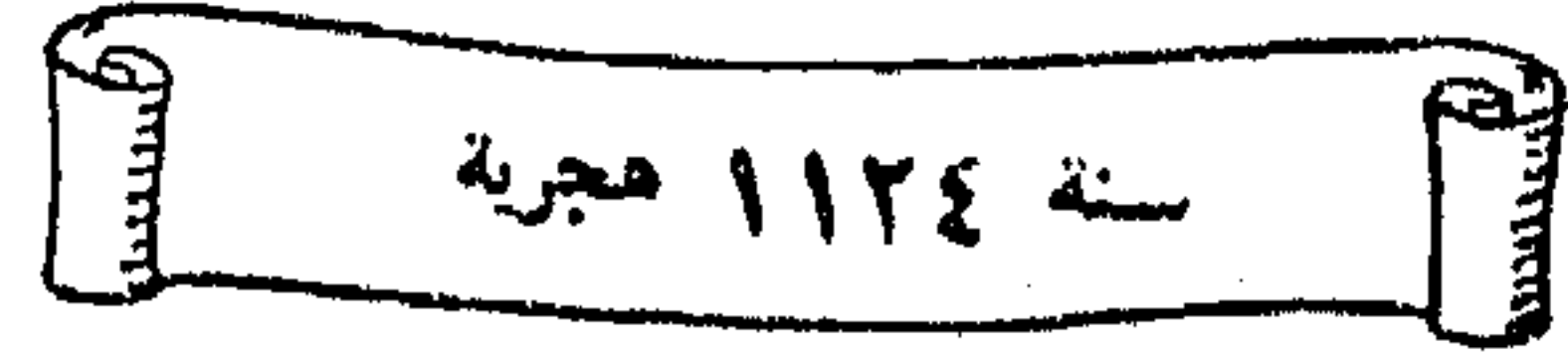
فلما قرأ الأمراء ذلك لم يقر لهم قرار وجمعوا الصناجق والأغوات بيت الدفتردار وأجمعوا رأيهم على أن ينظروا هذه العصابة من أى وجاق ويخرجوا من حقهم وينفى ذلك الواعظ من البلد ، وأمروا الأغا أن يركب ، ومن رآه منهم قبض عليه وأن يدخل جامع المؤيد ويطرد من يسكنه من السفط .

فلما كان صبيحة ذلك اليوم ركب الأغا وأرسل

ثم ان هواره قبلى التجأوا الى ابراهيم بك أبو شنب ، والتمسوا منه أن يأخذ لهم مكتوبا من قيطاس بيك بالأمان ، ومكتوبا الى حاكم الصعيد كذلك ، وفرمانا من الباشا بموجب ذلك . فأرسل الى قيطاس بيك تذكرة صحبة احمد بيك الأعسر يترجى عنده ، فأجاب الى ذلك وأرسلوا به محمد كاشف كتخدا ، وبرجوع التجريدة والعفو عن الهواره ، ورجع محمد كاشف والتجريدة وصحبته التقدم والهدايا ، وأرسلوا الى ابراهيم بيك مركب غلال وخيولا مشمنة وأغناما .

في اواخره (اوائل ديسمبر ١٧١١ م) :

ورد آغا من الدولة وعلى يده مرسومات منها محاسبة خليل باشا واستعجال الخزينة وبيع بلاد من قتل في أيام الفتنة وكذلك أملاكهم .



المستم

في ٣ منه (١١ فبراير ١٧١٢ م) :

ورد مرسوم سلطاني بطلب ثلاثة آلاف من العساكر المصرية الى الغزو .

في ٨ منه (١٦ فبراير ١٧١٢ م) :

تشاجر رجل شريف مع تركى في سوق البندقانيين . فضرب التركى الشريف فقتله ، ولم يعلم أين ذهب ، فوضع الأشراف المقتول في تابوت وطلعوا به الى الديوان وأثبتوا القتل على القاتل .

في ١٠ منه (١٨ فبراير ١٧١٢ م) :

قامت الأشراف وقفلوا أسواق القاهرة ، وصاروا يرحسون أصحاب الدكاكين بالحجارة ، ويأمرونهم بقفل الدكاكين ، وكل من لقوه من الرعية أو من أمير يضربونه ، ومكثوا على ذلك

يومهم . وأصبحوا كذلك يوم الجمعة ، وأرسلوا خيرا للأشراف القاطنين بقرى مصر ليحضروا ، واجتمعوا بالمشهد الحسينى ، ثم خرجوا وأمامهم يبرق وذهبوا الى منزل قيطاس بيك الدفتردار ، فخرج عليهم أتباعه بالسلاح فطردوهم وهزموهم فلما تفاقم أمرهم تحركت عليهم العساكر وركب أغوات الاسباهية الثلاثة وأغات الينكجرية في عددهم وعددهم وطاقوا البلد ، فعند ذلك تفرقت الجمعية ورجع كل الى مكانه ونادوا بالأمن والأمان ، وفتحت الدكاكين ، ثم اجتمع رأى الأمراء ، على نفى طائفة من أكابر الأشراف فتشفع فيهم المشايخ والعلماء فغفوا عنهم .

وفي هذا الشهر : وقع ثلج بقرى سرسنا وعشا (١) من بلاد المنوفية ، كل قطعة منه مقدار نصف رطل وأقل وأكثر ، ثم نزلت صاعقة أحرقت مقادارا عظيما من زرع الناحية وقتلت أناسا .

ربيع الأول

في ٨ منه (١٥ ابريل ١٧١٢ م) :

سافر مصطفى بيك تابع يوسف آغا من بولاق بالعسكر صحبة المعينين للغزو ، وحضرت العساكر الذين كانوا في سفر الموسقو صحبة سردارهم اسماعيل بيك ، ولما عادوا الى اسلامبول بالنصر وضعوا على رؤوسهم ريشا في عمائمهم سمة لهم . ودخلوا مصر وعلى رؤوسهم تلك الريش المسماة بالشلنجات . ومات أميرهم اسماعيل بيك باسلامبول .

في ٢٢ منه (٢٩ ابريل ١٧١٢ م) :

قبل الغروب خرجت فرتينة بريح عاصف أظلم منها الجو ، وسقط منها بعض المنازل .

(١) الآن تابعتان لمركز الشهداء منوفية .

ربيع الآخر

في ثمرته (٨ مايو ١٧١٢ م) :

ورد أغا ومعه مرسوم مضمونه حصول الصلح بين السلطنة والموسقو ورجوع العسكر المصرى . ولما رجعوا أخذوا منهم ثلثى النفقة ، وتركوا لهم الثلث . وكذلك التراقى من الجوامك التى تعطى للسردارية وأصحاب الدركات .

في ١٨ منه (٢٥ مايو ١٧١٢ م) :

ورد قابجى باشا وعلى يده مرسوم بتقليد قيطاس بيك الدفتردار أميرا على الحج ، عوضا عن يوسف بيك الجزائر ، وأن يكون ابراهيم بيك بشناق المعروف بأبى شنب دفتردارا ، فامثلوا ذلك ولبسوا الخلع . ورسوم آخر بانشاء سفينتين ببحر القلزم لحمل غلال الحرمين ، وأن يجهزوا الى مكة مائة وخمسين كيسا من الأموال السلطانية برسم عمارة العين على يد محمد بيك بن حسين باشا . ثم ان قيطاس بيك اجتمع بالأمراء وشكا اليهم احتياجه لدرهم يستعين بها على لوازم الحاج ومهماتة ، فعرضوا ذلك على الباشا وطلبوا منه أن يمدّه بخمسين كيسا من مال الخزينة ، ويعرض فى شأنها بعد تسليمها الى الدولة ، وان لم يمضوا ذلك يحصلوا من الوجاقات بدلا عنها .

وفى يوم الاربعاء ٢٥ منه (١ يونيو ١٧١٢ م) :

وصل من طريق الشام باشا معين لمحافظة جدة يسمى خليل باشا ، فدخل القاهرة فى كبكبة عظيمة وعساكر رومية كثيرة يقال لهم سارجة سليمان ، وجمال محملة بالأثقال يتقدمهم ثلاثة ييارق . وخرج لملاقاته الباشا وقيطاس بيك أمير الحج فى طائفة عظيمة من الأمراء والأغوات والصناجق ، وقابلوه

وأنزلوه بالغيط المعروف بحسن بيك ، ومدوا هناك سباطا عظيما حافلا ، وقدموا له خيولا وساروا معه الى أن دخلوا المدينة فى موكب عظيم الى أن أنزلوه بمنزل المرحوم اسماعيل بيك — المتوفى بسفر الموسقو — بجوار الحنفى . ثم لم يزل هناك حتى سافر فى أواخر رجب من سنة تاريخه ، وخرج بموكب عظيم أيضا .

شعبان

فى منتصفه (١٧ سبتمبر ١٧١٢ م) :

تقلد أحمد بيك الأعسر على ولاية جرجا عوضا عن محمد بيك الصغير المعروف بقطامش ، ثم ورد أمر بتقليد امارة الحج لمحمد بيك قطامش عوضا عن سيده ، وطلع بالحج سنة أربع وعشرين ورجع سنة خمس وعشرين ، وذلك من فعل قيطاس بيك سرا . وتقلد ولاية جرجا مصطفى بيك قزلار .

فى ٢٠ منه (٢٢ سبتمبر ١٧١٢ م) :

تقلد محمد بيك المعروف بجركس ، تابع ابراهيم بيك أبى شنب الصنجدية ، وكذلك قيطاس تابع قيطاس بيك أمير الحج .

شوال

فى ١٠ منه (١٠ نوفمبر ١٧١٢ م) :

ورد عبد الباقي افندى وتولى كتحداية ولى باشا ومعه تقرير للباشا على ولاية مصر .

ذوالقعدة

فى ١٣ منه (١٢ ديسمبر ١٧١٢ م) :

ورد أيضا مرسوم صحة أغا معين يطلب ثلاثة آلاف من العسكر المصرى لسفر الموسقو لنقضهم المهادنة ، وقضى ذلك بالديوان بحضرة الجمع ، فألبسوا حسين بيك المعروف بشلاق سردار عوضا

عن عثمان بيك بن سليمان بيك بارم ذيله ، وقضى
أشغاله وسافر في أوائل المحرم .

سنة ١١٢٥ هجرية

المحرم

في أوله (٢٨ يناير ١٧١٣ م) :

ورد أيضا أغا باستعجال الخزينة .

صفر

(مارس ١٧١٣) :

رجع الحجاج صحبة محمد بيك قطامش ،
وانتهت رئاسة مصر الى قيطاس بيك ومحمد بك
وحسن كتحدا النجدلى وكور عبد الله و ابراهيم
الصابونجى ، فسولت لقيطاس بيك نفسه قطع بيت
القاسمية ، وأخذ يدبر في ذلك ، وأغرى سالم بن
حبيب ، فهجم على خيول اسماعيل بيك بن ايواظ
بيك في الربيع ، وجم أذئاب الخيول ومعارفها
ماعدا الخيول الخاصة فانها كانت بدوار الوسية .
ودهب ولم يأخذ منها شيئا .

وحضر في صباحها أمير آخور فأخبروه ، وكان
عنده يوسف بيك الجزار فلاطفه وسكن حديثه ،
وأشار عليه بتقليد حسن أبى دفية قائمقام الناحية ،
ففعل ذلك وجرت له مع ابن حبيب أمور .

ثم انه كتب عرضحالا أيضا على لسان الأمير
منصور الخيبرى يذكر فيه أن عرب الضعفاء أخربوا
السوادى وقطعوا درب الفيوم ، وأرسل ذلك
العرضحال صحبة قاصد يأمنه فخته منصور
وأرسله الى الباشا صحبة البكارى خفير القرافة .
فلما طلع قيطاس بيك في صباحها الى الباشا واجتمع
باقى الأمراء ، وكان قيطاس بيك رتب مع الباشا

أمرا سرا وأغراه وأطمعه في القاسمية وما يؤول اليه
من حلوان بلاد ابراهيم بيك ويوسف بيك وابن
ايواظ بيك وأتباعهم .

فلما استقر مجلسهم دخل البكارى بالعرضحال ،
فأخذه كاتب الديوان وقرأه على أسمع الحاضرين
فأظهر الباشا الحدة وقال : أنا أذهب لهؤلاء المفاسيد
الذين يخربون بلاد السلطان ويقطعون الطريق .
فقال ابراهيم بيك : أقل ما فينا يخرج من حقهم .
وانحط الكلام على ذهاب ابراهيم بيك واسماعيل
بيك ويوسف بيك وقيطاس بيك وعثمان بيك
ومحمد بيك قطامش ، وكان قانصوه بيك في
بنى سويف في الكشوفية وأحمد بيك الأعسر في
اقليم البحيرة . فلما وقع الاتفاق على ذلك خلع
عليهم الباشا قفاطين ، ونزلوا فأرسلوا خيامهم
ومطابخهم الى تحت أم خان ببر الجيزة ، وعدوا
بعد العصر ونزلوا بخيلهم . واتفق قيطاس بيك مع
عثمان بيك أنهم يعدون خلفهم بعد المغرب ،
ويكونون أكلوا العشاء وعلقوا على الخيول . وعندما
ينزلون الى الصيوان يتركون الخيول ملجمة ،
والماليك والطوائف بأسلحتها ، فاذا أتى الينا
الثلاثة صناجق نقتلهم ثم نركب على طوائفهم
وخيولهم مربوطة فنقتل كل من وقع ، ونخلص ثار
الفقارية الذين قتلهم خال ابراهيم بيك في الطرانة .

فلما فعلوا ذلك وعدوا وأوقدوا المشاعل —
وذلك وقت العشاء — ونزلوا بالصيوان ، قال
ابراهيم بيك ليوسف بيك واسماعيل بيك : قوموا بنا
نذهب عند قيطاس بيك . قالوا له : أنت فيك الكفاية .
فذهب ابراهيم بيك وهو ماش ولم يخطر بباله شيء
من الخيانة . فلما دخل عندهم وسلم وجلس ،
سأله قيطاس بيك عن رفقائه ، فقال : انهم جالسون
محلهم ، فلم يتم ما أرادوه فيهم من الخيانة ، فعند
ذلك قام محمد بيك وعثمان بيك الى خيامهما وقلعا

سلاحهما وخلعا لجامات الخيل وعلقا مخالي التبن ورجعا اليهما ، فقال قيطاس بيك لابراهيم بيك : اركبوا أتمم الثلاثة في غد ، وانصبوا عند وسيم (١) ، ونحن نذهب الى جهة سقارة فنطرد العرب فيأتون الى جهتكم ، فاركبوا عليهم ، فأجابه الى ذلك . ثم قام وذهب الى رفقائه فأخبرهم بذلك ، وباتوا الى الصباح .

وفي الصباح جملوا وساروا الى جهة وسيم — كما أشار اليهم قيطاس بيك — فنزلت اليهم الزيدية بالفطور ، فسألوهم عن العرب فقالوا لهم : الوادى فى أمن وأمان بحمد الله ... لا عرب ولا جرب ولا شر .

وأما قيطاس بيك ومن معه فانه رجع الى مصر وأرسل الى ابن حبيب بأن يجمع نصف سعد وعرب بلى ويرسلهم مع ابنه سالم يدهمون الجماعة بناحية وسيم فيقتلونهم ، فتلكا ابن حبيب فى جمع العربان لصداقة قديمة بينه وبين ابراهيم بيك ، وحضر لهم رجل من الأجناد كان تخلف عنهم لعذر حصل له ، فأخبرهم برجوع قيطاس بيك ومن معه الى مصر ، فركب ابراهيم بيك ويوسف بيك واسماعيل بيك ونزلوا بالجيزة عند أبى هريرة (٢) وصحبتهم خيالة الزيدية وباتوا هناك وعدوا فى الصباح الى منازلهم سالمين .

ربيع الأول

فى غرته (٢٨ مارس ١٧١٣ م) :

حصل طاعون وكان ابتداءؤه فى القاهرة .

جمادى الآخرة

فى أواخره (بولية ١٧١٣ م) :

وصل عابدين باشا الى الأسكندرية ، وتقلد

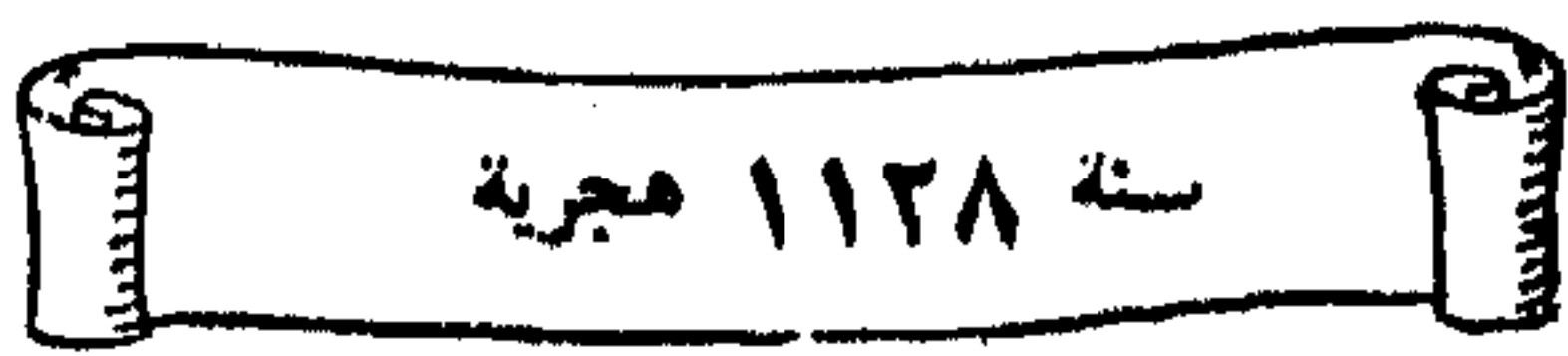
(١) وسيم بمرکز الجيزة .

(٢) له مقام ومسجد بمدينة الجيزة .

يوسف بيك الجزار قائمقام ، وخلع على ابن سيده اسماعيل بيك .

ولما حضر الباشا الى الحى وطلع الى العادلية ، أحضر الأمراء تقادهمهم ، وقدم له اسماعيل بيك مقدمة عظيمة وأحبه الباشا واختص به ، ومال قلبه الى فرقة القاسمية فقلدهم المناصب والكشوفيات ، وحضر مرسوم بامارة الحج لاسماعيل بيك بن ايواض بيك وعابدين باشا ، وهو الذى قتل قيطاس بيك بقراميدان . وهرب محمد بيك قطامش تابعه بعد قتل سيده الى بلاد الروم وأقام هناك مدة ثم عاد الى مصر .

وفى ولايته تقلد عبدالله كاشف ، وصارى على ، وعلى الأرمنى (١) ، واسماعيل كاشف صناعق الأربعة ايواضية . وتقلد منهم أيضا عبد الرحمن أغا ولجه أغات جميلة ، واسماعيل أغا كتحدا ايواض بيك كتحدا جاويشية . ومن أتباع ابراهيم بيك أبى شنب (٢) : قاسم الكبير ، وابراهيم فارسكور ، وقاسم الصغير ، ومحمد جلبى بن ابراهيم بيك أبى شنب وجركس محمد الصغير . وخستهم صناعق . واستقر الحال ، وطلع بالحج الأمير اسماعيل بيك بن ايواض سنة سبع وعشرين وسنة ثمان وعشرين فى أمن وأمان وسخاء ورخاء .



(٢٧ ديسمبر ١٧١٥ — ١٥ ديسمبر ١٧١٦ م) :

ورد أغا من اسلامبول وعلى يده مرسوم بطلب ثلاثة آلاف من العسكر المصرى وعليهم أمير قادر ، وكانت النوبة على محمد بيك جركس الكبير . فلما اجتمعوا بالديوان ، وقرىء المرسوم ، خلع الباشا على محمد بيك جركس القفطان ، ونزل الى داره فطوى القفطان وأرسله الى سيده ابراهيم بيك ،

(١) يعرف أيضا بالشامى من أتباع ايواض بيك .

(٢) أصله مملوك مراد بيك القاسمى وخشداش ايواض بيك .

ويقول له : عندك خلافي صناجق كثيرة فاني قشلان (١) ، فتكدر خاطره .

ثم أرسل اليه صحبة أحمد بيك الأعسر عشرين كيسا فاستقلها ، فأعطاه أيضا وصولا بعشرة أكياس على الطرانة ، فجهز حاله وركب الى قصر الحلبي بالموكب ، وأحضر عنده الحريم ، فأقام أياما في حظه وصفائه ... والأغا المعين يستعجل السفر . وفي كل يوم يأتيه فرمان من الباشا بالاستعجال والذهاب وهو لا يبالى بذلك .

ثم ان الباشا تكلم مع ابراهيم بيك في شأن ذلك . فلما نزل الى بيته أرسل اليه أحمد بيك الأعسر وقاسم بيك الكبير فأخبراه بتقريب الباشا والاستعجال . فقال في جوابه : جلوسى هنا أحسن من اقامتى تحت الطرانة حتى يدفعوا الى العشرة أكياس ، فلا أرتحل حتى تأتيني العشرة أكياس ، ورمى لهم الوصول . فرجع أحمد بيك الى ابراهيم بيك وأخبره بمقالته ، ورد اليه الوصول ، فما وسعه الا أنه دفع ذلك القدر اليه نقدا وقال : سوف يخرب هذا بيتى بعناده . فلما وصله ذلك نزل الى المراكب وسافر ، ثم ورد مسلم على باشا وأخبر بولايته مصر عن سنة ١١٢٩ .

سنة ١١٢٩ هجرية

(١٦ ديسمبر ١٧١٦ — ٤ ديسمبر ١٧١٧)

اجتمعوا بالديوان ، وتقلد ابراهيم بيك أبوشنب قائمقام ، ونزل الى بيته ، وخلع عن أحمد بيك الأعسر ، وجعله أمين السباط ، ونزل عابدين باشا من القلعة عند ما وصل الخبر بوصول على باشا الى الأسكندرية ، وسافرت اليه أرباب الخدم والعكاكيز ، وسافر عابدين باشا قبل حضور على باشا الى مصر .

وحضر على باشا ، وطلع الى القلعة على الرسم

(١) لفظ عامي معناه « فقير » .

المعتاد ، واستقر في ولاية مصر والأمور سالحة ، والفتن ساكنة ، ورياسة مصر للأمير ابراهيم بيك أبى شنب الكبير والأمير اسماعيل بيك بن ايواظ بيك ومحمد كتنخدا جدك مستحفظان و ابراهيم جوربجي الصابونجي عزبان وأتباع حسن جاويش القازدغلي ، وهم عثمان أوده باشا وسليمان أوده باشا تابع مصطفى كتنخدا وخلافهم من رؤساء باب العزب وباقي البلكات .

في أواخر هذه السنة ورد قابجي وعلى يده مرسوم بطلب ثلاثة آلاف من عسكر مصر وعليهم أمير لسفر الجهاد ، وكان الدور على محمد بيك بن ايواظ أخى اسماعيل بيك ، فعلم أخوه أنه خفيف العقل ، فلا يستر نفسه في السفر ، فقلد أحمد كاشف صنجقية ، وجعله أمير العسكر ، وجعل مملوكه على الهندي كتنخداه .

سنة ١١٣٠ هجرية

(٥ ديسمبر ١٧١٧ — ٢٣ نوفمبر ١٧١٨)

حضر محمد جركس من السفر فوجد سيده ابراهيم بيك توفى وأمير مصر اسماعيل بيك ، فتاقت نفسه للرياسة ، فضم اليه جماعة من الفقارية : مثل حسين أبو يدك ، وذى الفقار تابع عمر أغا وأصلان وقيلان ومن يلوذ بهم من أمثالهم ، واتخذ لهم سراجا قبيحا يقال له الصيفى .

وكان الدفتردار في ذلك الوقت أحمد بيك الأعسر تابع ابراهيم بيك أبى شنب ، وكلما رأى تحرك محمد بيك جركس لاثارة الفتن يهدى عليه ويلطفه ويطفئ نارته .

وكان ذو الفقار لما قتل سيده عمر أغا وأراد اسماعيل بيك قتله أيضا في ذلك اليوم ، فوقع على خازن دار حسن كتنخدا الجلفى وحماه من القتل ، وأخرج له حسن كتنخدا حصاة في قمن العروس بالمحلول عن سيده ، وهى شركة اسماعيل بيك بن ايواظ . ولم يقدر حسن كتنخدا أن يذكر اسماعيل

بيك في فائظها لعلمه بكرأته لذي الفقار ويريد قتله .

فلما مات حسن كتحدا الجلفى (١) ، وحضر محمد بيك جركس من السفر ، انضم اليه ذو الفقار المذكور وخاطب في شأنه اسماعيل بيك ، فلم يفد ، ولم يرض أن يعطيه شيئا من فائظه . وتكرر هذا مرارا حتى ضاق خناق ذي الفقار من الفشل ، فدخل على محمد بيك جركس في وقت خلوة ، وشكا اليه حاله ، وفاوضه في اغتيال اسماعيل بيك ، فقال له : « افعل ماتريد » . فأخذ معه في ثاني يوم أصلا وقيلا وجماعة خيالة من الفقارية ، ووقفوا لاسماعيل بيك في طريق الرميلة عند سوق الغلة وهو طالع الى الديوان ، فمر اسماعيل بيك وصحبته يوسف بيك الجزار واسماعيل بيك جرجا وصارى على بيك (٢) ، فرموا عليهم بالرصاص فلم يصب منهم الا رجل قواس . ورمح اسماعيل بيك ومن بصحبته الى باب القلعة ، ونزل هناك ، وكتب عرضا ملخصه الشكوى من محمد بيك جركس ، وأنه جامع عنده المفسدين ويريد اثاره الفتن في البلد وأرسله الى الباشا صحبة يوسف بيك ... فأمر على باشا بكتابة فرمان خطابا للوجاقات باحضار محمد بيك جركس وان أبى فحاربوه واقتلوه .

فلما وصل الخبر الى جركس ركب مع المنضمين اليه — فقارية وقاسية — ووصل الى الرميلة ، فصادف الموجهين اليه ، فحاربهم وحاربوه . وقتل حسين بيك أبويك (٣) وآخرون . وانهزم جركس ، وتفرق من حوله ، ولم يتمكن من الوصول الى داره ، فذهب على طريق الناصرية ، ولم يزل سائرا حتى وصل الى شبرا ولم يبق صحبته سوى مملوكين ، فلاقاه جماعة من عرب الجزيرة وقبضوا عليهم ،

(١) كان انسانا خيرا له بر ومعروف وصدقات توفي يوم الاربعاء ٩ شوال ١١٢٤ هـ (٩ نوفمبر ١٧١٢ م)

(٢) يقال له « على بيك الاصفر » لان صارى بمعنى الاصفر وهو من اتباع ايواظ بيك .

(٣) حسين بيك ارتؤود المعروف بابى يدك . كان أصله لقا جراكسة .

وأخذوا سلاحهم وأتوا بهم الى بيت اسماعيل بيك ابن ايواظ بيك . وكان عند أحمد كتحدا أمين البحرين (١) والصابونجي ، فأشاروا عليه بقتله فلم يرض وقال : « انه دخل بيتي » ، وخلع عليه فروة سمور ، وأعطاه كسوة ، وذهب ونفاه الى جزيرة قبرص . ورجع العسكر الذين كانوا بالسفر واستشهد أمير العسكر أحمد بيك فقلدت الدولة على كتحدا الهندي صنجقا عوضا عن مخدمه أحمد بيك ، وأعطوه نظر الخاصكية قيد الحياة ، وأطلقوا له بلاده من غير حلوان . فلما وصلوا الى مصر عمل له يوسف بيك الجزار سمطا بالحلى ، ثم ركب وطلع الى القلعة وخلع الباشا على بيك الهندي خلعة السلامة ، ونزل الى بيت اسماعيل بيك ، وأنعم عليه بتقاسيط بلاد فائظها اثنا عشر كيسا ، واستمر صنجقا وناظرا على الخاصكية .

وفي هذه السنة : حصلت حادثة ببولاقي ، وهي أن سكان حارة الجواير تشاجروا مع بعض الجمالة أتباع أوسية أمير الحج ، فحضر اليهم أمير أخور فضربوه . ووصل الخبر الى الأمير اسماعيل بيك فأرسل اليهم أغات النكجيرية والوالى فضربوهم ، فركب الصنجق بطائفته وقتلوا منهم جماعة وهرب باقيهم ، وأخرجوا النساء بمتاعهن وسمروا الدرب من الجهتين . وكانت حادثة مهولة واستمر الدرب مقفولا ومسمرا نحو سنتين .

وفي هذه السنة أيضا : كان موسم سفر الخزينة — وأميرها محمد بيك بن ابراهيم بيك أبوشنب ، وكان وصل اليه الدور — وخرج بالموكب وأرباب المناصب والسدادرة . ولما وصل الى اسلامبول ، واجتمع بالوزير ورجال الدولة ، وشى اليهم في حق اسماعيل بيك بن ايواظ ، وعرفهم أنه ان استمر أمره بمصر ادعى السلطنة بها وطرده النواب ، فان الأمراء وكبار الوجاقات والدفتردار وكتخدا الجاويشية صاروا كلهم أتباعه ومماليكه ومماليك

(١) كان من الأعيان المشهورين ، نافذ الكلمة وافر الحرمة . عمل باش أوده باشا ثم تولى الكتخدانية وعمل أمير البحرين .

أبيه ، وعلى باشا المتولى لا يخرج عن مراده في كل شيء ، ونفى وأبعد كل من كان ناصحا في خدمة الدولة : مثل جركس ومن يلوذ به ، وعمل للدولة أربعة آلاف كيس على إزالة اسماعيل بيك والباشا وتونية والآخر يكون صاحب شهامة ... فأجابوه الى ذلك . وكان قبل خروجه من مصر أوصى قاسم بيك الكبير على احضار محمد بيك جركس ، فأرسل اليه وأحضره خفية واختفى عنده .

ثم ان أهل الدولة عينوا رجب باشا أمير الحج الشامي ، ورسموا له عند حضوره الى مصر أن يقبض على على باشا ويحاسبه ويقتله ، ثم يحتال على قتل اسماعيل بيك بن ايواظ وعشيرته ماعدا على بيك الهندي (١) . ورجع محمد بيك بن أبي شنب الى مصر ، وعمل دفتر دارا ، وحضر مسلم رجب باشا ومعه الأمر بحبس على باشا بقصر يوسف وقائمقامية الى أحمد بيك الأعسر . وبعد أيام وصل الخبر بوصول رجب باشا الى العريش .

سنة ١١٣١ هجرية

(٢٤ نوفمبر ١٧١٨ — ١٣ نوفمبر ١٧١٩)

تقلد ابراهيم بيك فارسكور أمين السباط ، وطلع اسماعيل بيك أميرا بالحج ، وذلك عند وصول رجب باشا الى العريش . ثم حضر الى مصر ، وعملوا له الشنك والموكب على العادة . فلما استقر بالقلعة أحضر اليه ابن على باشا وخازن داره وكاتب خزينته والروزنامجي ، وأمرهم بعمل حسابه ، ثم قطع رأسه ظلما وسلخها وأرسلها الى الباب ، ودفن على باشا بمقام أبي جعفر الطحاوي بالقرافة ، ويعرف قبره بعلى باشا المظلوم . وأمر بضبط جميع مخلفاته ، ثم أحضره محمد جركس خفية ، وأمر الأغا والوالي بالمناداة عليه وكل من آواه يشنق على باب داره ، ثم اختلى به وقال له : كيف العمل

(١) الأمير على بيك المعروف بالهندي من مملوك أحمد بيك تابع ايواظ بيك الكبير .

والتدبير في قتل ابن ايواظ بيك وجماعته ؟ فقال له : « الرأي في ذلك أن ترسل الى العرب يقفون في طريق الوشاشة فانهم يرسلون يعرفونكم بذلك » . فأرسلوا لهم عبد الله بيك . وبعد عشرة أيام أرسلوا يوسف بيك الجزار ومحمد بيك بن ايواظ بيك واسماعيل بيك جرجا وعبد الرحمن آغا ولجه أغات الجميلية ، فعندما يرتحلون من البركة يقتل اسماعيل بيك الدفتردار كتخدا الجاويشية ، وعند ذلك أنا أظهر ، وتقلد اشارة الحج الى محمد بيك بن اسماعيل بيك ونرسله بتجريدة الى ابن ايواظ بيك يقتلونه مع جماعته . وهذا هو الرأي والتدبير ... ففعلوا ذلك ولم يتم ، بل اختفى اسماعيل بيك ودخل الى مصر ، ثم ظهر بعد أن دبر أموره وعزل رجب باشا وأنزلوه الى بيت مصطفى كتخدا عزبان ، وفسد تدبيره ، وكتبوا عرضحال بصورة الواقع وأرسلوه الى اسلامبول . وكان رجب باشا أخذ من مال دار الضرب مائة وعشرين كيسا صرفها على التجريدة .

سنة ١١٣٣ هجرية

(٢ نوفمبر ١٧٢٠ — ٢١ أكتوبر ١٧٢١)

وصل محمد باشا النشائجي ، فعندما استقر بالقلعة طلب من رجب باشا المائة وعشرين كيسا . وقلد اشارة الحج لمحمد بيك اسماعيل فطلع بالحج سنة ثلاث وسنة أربع وثلاثين .

ثم حضر مرسوم بالأمان والعفو لاسماعيل بيك ابن ايواظ بيك وقرى بالديوان .

سافر رجب باشا ، وسكن الحال مع التنافر والحق الباطني الكامن في نفس محمد بيك جركس وابن أستاذه محمد بيك أبي شنب لاسماعيل بيك ابن ايواظ ، وهو يسامح لهم ، ويتغافل عن أفعالهم وقبائحهم ، ويسوس أموره معهم ، وكل عقدة عقدوها بمكرهم حلها بحسن رأيه وسياسته وجودة رأيه ، وجرت بينه وبينهم أمور ووقائع ومخاضات

سالم ، وأخذ صيوانه ، ونزل البركة ، وربط خيوله هو ومن معه في الغيطان ، فأكلوا ستة وثلاثين فدان برسيم في ليلة واحدة .

ثم ان الباشا أرسل الى أمير الحج بالرجوع وعينوا عبد الله بيبك وحمزة بيبك وخليل أغا . وأرسل اسماعيل بيبك صحبتهم خمسمائة جندي من أتباعه ومن البلكات ، ومعهم فرمان لجميع العرب بالتعمير في أوطانهم ماعدا سالم بن حبيب وأخوته ومن يلوذ به . وسافرت لهم التجريدة ، وارتحل ابن حبيب ، وسار الى جهة غزة ونهبت التجريدة ما في طريقهم من البلاد ، وأرسل الباشا اليهم فرمانا بالعودة فرجعوا من غير طائل .

رجب

في ١٣ منه (١٩ ابريل سنة ١٧٢٣ م) :

فيه : ورد أغا من الديار الرومية ، وعلى يده مرسوم وسيف وققطان للشريف يحيى شريف مكة ، وتقرير للباشا على السنة ، وأغاوية المتفرقة لعبد الغفار أفندي ... ولم يسبق نظير ذلك ، وأن أغاوية المتفرقة تأتي من الديار الرومية .

وسبب ذلك أن حسن أفندي والد عبد الغفار (١) أفندي ، كان عنده طواشي أهداه الى السلطنة ، فأرسل ذلك الأغا أغاوية المتفرقة الى ابن سيده ، فألبسه الباشا القنطان على ذلك ، فحصل بسبب ذلك فتنة في الوجاق . وسبب ذلك أن وجاقهم فرقتان ظاهرتان بخلاف غيره ، والظاهر منهما ستة أشخاص من الاختيارية وهم : سليمان أغا الشاطر وعلى أغا وعبد الرحمن أغا القاشقجي وخليل أغا وإبراهيم كاتب المتفرقة سابقا وكبيرهم محمد أغا السنبلارين (٢) وهم من طرف محمد بيبك جركس . لكن لما ظهر اسماعيل بيبك انحطت كلمتهم ، وظهرت كلمة الذين من طرف اسماعيل بيبك .

(١) أغا بن حسن أفندي تقلد في أيام ابن ايواغ أغاوية المتفرقة بموجب مرسوم ورد من الدولة .

(٢) كان إغاق المتفرقة وصاحب وجافة ومات مقتولا بغيره . محمد بيبك جركس .

وجمعيات ومصالحات . ولم يزل اسماعيل بيبك ظاهرا عليهم حتى خانوه واغتالوه بالقلعة على حين غفلة على يد ذى الفقار تابع عمر أغا وأصلان وقيلان ومن معهم . وقتلوا معه اسماعيل بيبك جرجا وعبد الله أغا كتحدا الجاويشية .

سنة ١١٣٥ هجرية

ربيع الآخر

في ١٧ منه (٢٥ يناير ١٧٢٣ م) :

ورد أغا من الديار الرومية وعلى يده مرسوم بدفع ستين كيسا الى باشة جدة ليشتروا بها مركبا هنديا لحمل غلال الحرمين عوضا عن مركب غرقت قبل هذا التاريخ . وحضر صحبة ذلك الأغا تاجر عظيم من تجار الشوام ومعهم أتباعه ، ووصل الجميع على خيل البريد الى أن وصلوا الى بركة الحاج ، فنزلوا ليأخذوا لهم راحة لكونهم وصلوا أرض الأمان ، وفارقهم الأغا ... فنزل عليهم سالم بن حبيب فعراهم ، وأخذ ما معهم . وكان صحبة سالم عرب الجزيرة ومغاربة .

وسبب ذلك أنه لما طرد من دجوة (١) وذهب الى الصعيد ، فنزل اليه قيطاس بيبك ، وجمع عليه عربان القبائل وحاربه وقتل أولاده ... فرجع من خلف الجبل ، وقعد بالبركة وقطع الطريق . فلما وصل الخبر بذلك الى مصر ، نزل اليه أمير الحج وكاشف القليوبية حمزة بيبك ، تابع ابن ايواظ ، وعينوا صحبتهم عرب الصوالحة - وهم نصف حرام - فنزل أمير الحج بالمسبك وجلس هناك ، وابن حبيب (٢) نازل في المساطب التي بعد البركة وناصب صيوان كاشف شرق اطيح ، وكان نهبه وهو متوجه الى قبلى ... فان الكاشف لما أقبل عليه سالم فرمح عليه - وكان في قلة - فهزمه

(١) قرية صغيرة من مديرية القليوبية كان يسكنها ابن حبيب .

(٢) حبيب بن سعد أعظم المشايخ قدرا بالقليوبية خاصة والوجه البحرى عامة ، وهو كبير نصف سعد وليس لهم أصل مذكور في قبائل العرب . وكان ظهوره في أوائل القرن الثامن عشر . (محمد رفعت ومضان - على بيبك الكبير ص ٤٥)

فلما تولى عبد الغفار الأغاوية لحق أولئك الحقد والحسد ، وتناجوا فيما بينهم على أن يملكوا الباب فاجتمعوا بأنفسارهم وملكوا الباب ، فهرب عبد الغفار أغا الى بيت اسماعيل بيك ، وكان عنده الجماعة الآخرون ، فدخل عليهم عبد الغفار أغا وخبرهم بما حصل . فأشار عليهم اسماعيل بيك أن يذهبوا الى بيت أحمد جلبى ويجعلوه محل الحكم . وأرسل أولئك الطرف فطلبوا محمد أغا أبطال وباكير أغا تابع اسماعيل بيك الكبير ، ومصطفى أغا — وكانوا منفين من بابهم الى العزب وكانوا كبراءهم — وخرجوا منهم في واقعة جركس فأبوا من الحضور اليهم ، فلما أبوا عليهم عملوا القاشقجى باش اختيار عوضا عن أبطال ، وعزلوا وولوا على مرادهم .

وطلع في صباحها اسماعيل بيك الى الديوان ، وصحبته على بيك ، وأمير الحج ، وأخبروا الباشا بفعل القاشقجى فأرسل الباشا اثنين أغوات ، ومن كل وجاق اثنين اختيارية لينظروا الخبر ، ففرغوا عليهم ، فرجعوا وأخبروا الباشا والأمراء ، فأرسل لهم فرمانا بنفيهم الى الكشيدة ، فأبوا وصمموا على عدم ذهابهم الى الكشيدة وأقام الأمراء عند الباشا الى الغروب . ثم انهم نزلوا ووعدوا الباشا أنهم في غد يفصلون هذا الأمر ، وان لم يمتثلوا حاربناهم .

فلما كان في ثانى يوم عملوا جمعية ، واتفقوا على توزيع الستة أنفار على الستة وجاقات ، وكتبوا من الباشا ست فرمانات لكل فرد منهم فرمان . فكان كذلك ، وتفرقوا في الوجاقات .

نزل اسماعيل بيك بن ايواظ الى بيته بعد اقامته في باب العزب ثلاثة أيام في طائفته ومماليكه وصناجقه ، بحيث أن أوائل الطائفة دخلوا الى البيت قبل ركوبه من باب العزب . وكان خلفه نحو المائتين بالطرايش الكشف ، وتم الأمر على مراده . ثم تحقق الخبر ، فظهر له أن أصل هذه الفتنة

من اسماعيل أغا بن الدالى ، فطلع في ثانى يوم الى الديوان ، وألبس اسماعيل أغا أغاوية العزب .

وفيه من الحوادث في أيام محمد باشا : أن في أول الحمايين طلع الناس على جرى العادة في ذلك لاستنشاق النسيم في نواحي الخلاء ، وخرج سرب من النساء الى ناحية الأزبكية ، وذهب منهن طائفة الى غبط الأعجام تجاه قنطرة الدكة ... فحضر اليهن جماعة سراجون وبأبديهم السيوف من جهة الخليج — وهم سكارى — وهجموا عليهن ، وأخذوا ثيابهن وما عليهن من الحلى والحلل .

ثم أن الخفراء وأوده باشا القنطرة حضروا اليهن بعد ذهاب أولئك السراجين ، فأخذوا ما بقى ، وكمّلوا بقية النهب . وجميع من كان هناك من النساء من الأكابر ومن جملة ماضع حزام جوهر ، وبشت جوهر ، قالوا ان الحزام قيمته تسعة آكياس والبشت خمسة آكياس .

ومن جملة من كان هناك آمنه الجنكية ، وصحبته امرأة من الأكابر ، فعروهما ، وأخذوا ما عليهما ، وكان لها ولد صغير ، وعلى رأسه طاقية عليها جواهر وبنادقة وزوج أساور جوهر وخلخال ذهب بندقى قديم وزنه أربعمئة مثقال . ومن جملة ما أخذوا لباس شبيكة من الحرير الأصفر ، والقصب الأصفر ، وفي كل عين من الشبيكة لؤلؤة ، في كل لؤلؤة شربط مخيش ، والدكة كذلك . وأخذوا أزهرن وفرجياتهن ، وأرسلن الى بيوتهن فأتين بشباب يستترن بها ، وذهبن .

وكانت هذه الحادثة من أشنع الحوادث .

ثم ان في ثانى يوم قدموا عرضحالا الى الباشا ، وأخذوا على موجه فرمانا الى أغات النكجيرية على أنه توجه — وصحبته الوالى وأوده باشا البوابة — فذهبوا الى محل الواقعة ، وأحضروا أهل الحطة ، فشهدوا على أن هذه الفعلة من الخفراء بيد أوده باشا مركز القنطرة ، وهو الذى

أرسل السراجين والحصارة . فقبضوا على الخفراء والأوده باشا ، وسئلوا فأنكروا ، فحبس الأوده باشا في بابه ، والخفراء في العرقانة ، وأمر الباشا الوالى بعقابهم ، فلما رأوا آلة العذاب أقروا أن ذلك من فعل الأوده باشا ، فأخذوا منه مالا كثيرا ونفوه الى أبى قير .

ونادى الأغا والوالى على النساء لا يذهبن الى الغيطان بعد اليوم ولا يركبن الحمير .

شعبان (مايو سنة ١٧٢٣ م) :

ورد عرضحال من مكة بأن يحيى الشريف ، وعلى باشا والى جدة ، وعسكر مصر الذين عينوا صحبة أحمد بيك المسلماني ، وأهل مكة ، تحاربوا مع الشريف مبارك شريف مكة سابقا — وكان معه سبعة آلاف من العرب اليمانية — ووقع بينهم مقتلة عظيمة ، وسقط على باشا من على ظهر جواده الا أن أحمد بيك أدركه وأنقذه بجواده ، وقتل من العرب زيادة عن ألفين وخمسمائة ، ومن العسكر نحو الخمسين . وكان الباشا قتل من الأشراف اثني عشر شخصا ، وكانوا في جيرة الشريف يحيى .

وقلد محمد بيك خازن داره رضوان صنجدية ، وجعله أمين السباط ، وأخذ الخاصكية من على بيك الهندى وأعطاها لرضوان المذكور ، وأبطل الخط الشريف الذى بيده بالخاصكية قيد حياته .

ذو القعدة (اغسطس سنة ١٧٢٣ م) :

تقلد الصنجدية على أغا الأرمنى الذى عرف بأبى العزب ، وكذلك على أغا صنجدية وأمين العنبر وحاكم جرجا ، وكمل بذلك صنجد مصر أربعة وعشرين صنجدقا ، وكانوا في المعتاد القديم اثنين وعشرين ، وكتخدا الباشا ، وقبطان الأسكندرية .

سنة ١١٣٦ هجرية

(١ اكتوبر ١٧٢٣ — ١٩ سبتمبر ١٧٢٤)

تحيلوا على قتل عبد الله بيك ومحمد بيك بن

ايواظ و ابراهيم بيك بن الجزار في أيام ولاية محمد باشا، وقلدوا ذا الفقار قاتل اسماعيل بيك (١) الصنجدية وكشوفية المنوفية ، وانضم اليه من كان خاملا من الفقارية وبدأ أمرهم في الظهور .. فمن انضم اليه مصطفى بيك بلفيه ، ومحمد بيك أمير الحج — وهو ابن اسماعيل بيك الفقاري — واسماعيل بيك الدالى وقيطاس بك الأعور ، واسماعيل بيك ابن سيده ، ومصطفى بيك قزلار وخلافهم ... اختيارية وأغوات من الوجاقلية ونظم أمورهم ، وقضى لوازمه وأشغاله ، وجعل مصطفى أفندى الدمياطى كاتب تركى ، وعزم على السفر الى المنوفية وركب في موكب حافل وصحبته من ذكر من الفقارية .

وكان رجب كتخدا ومحمد جاويش الداودية متوجهين الى بيت محمد بيك جركس — وكان لهما الكلمة دون القازدغلية (٢) — فصادفا موكب ذى الفقار ، فوقفا ونظرا الى الراكبين معه من الفقارية فتغير خاطرهما على جركس . ولما دخلا على جركس نظر اليهما فرآهما منفعلين فسألهما عن سبب انفعالهما . فأخبراه بما رأيا ، وقال : « ان دام هذا الحال قتلنا الفقارية » . فقال : « يكون خيرا » ثم أمر الصيفى بقتل أصلان وقيلان ، فوظب (جهز) معه سراجا يشق به ، وأمره أن يقف في سلالم المقعد . فعندما علم بحضورهما أحدث الصيفى مشاجرة مع ذلك السراج ، وفزع عليه بالطبنجة ، فهرب السراج من أمامه ، فجرى الصيفى خلفه . فأخرج ذلك السراج طبنجته أيضا ورفع زنادها . فقال أصلان : « عيب ! » فأفرغها فيه . وفرغ أيضا الصيفى طبنجته في قيلان ، وذلك بسلالم المقعد يبيت جركس ، ومسح الحدم الدم ، وأخذوا خيولهما وأرسلوا المقتولين الى بيوتهما في تابوتين . ثم ان محمد بيك جركس طلع الى القلعة ، وطلب من الباشا فرمانا بتجريدة يرسلها الى ذى الفقار

(١) أصله جلى من اشراقات اسماعيل بيك بن ايواظ .

(٢) استاذهم ابراهيم كتخدا ، كان جاويش الينكجى ثم تولى الكتخدائية وانفصل عنها بعد ثلاثة اشهر .

سنة ١١٣٨ هجرية

جمادى الآخرة

في ٧ منه (١٠ فبراير ١٧٢٦ م) :

كان هروب جركس وخروجه من مصر ، وكتبوا
فرمانات لسائر الجهات باهدار دم محمد بيك جركس
أينما وجد ، لأنه عاص ، ومفسد ، وأهل شر ...
وذلك حسب طلب المصريين .

ثم أن محمد باشا والى مصر خلع على جماعة ،
وقلدهم أمريات ... وسكن الحال ، وانتهت الرئاسة
بمصر الى ذى الفقار بيك وعلى بيك الهندى . وحضر
محمد بيك قطامش الى مصر من الديار الرومية فلم
يتمكن من الدفتردارية ، لأن على بيك الهندى
تقلدها .

فاتفق أن جمعا من فرقة القاسية كانوا يجتمعون
فى كل ليلة عند واحد منهم يعملون حظا ويشربون
شرابا . فاجتمعوا فى ليلة عند على بيك أبى العذب
فلما أخذ الشراب من عقولهم تأوه مصطفى بيك بن
ايواض وقال : يموت العزيز ، أخو الكبير والصغير ،
ويصير الهندى ملوكنا سلطان مصر ، ونأكل من
تحت يده والباشا فى قبضته — وكان النيل قريب
الوفاء — فقال على بيك : « أنا أقتل الباشا يوم
جبر البحر » . وكل واحد من الجماعة التزم بقتل
واحد ، وقرأوا الفاتحة . وكان معهم ملوك أصله
من ممالك عبد الله بيك ، ولما قتل سيده هرب الى
الهندى ، وأقام فى خدمته أياما . فلما تقلد مصطفى
بيك الصنجدية أخذه من على بيك الهندى . فلما
سمع منهم ذلك القول ذهب الى على بيك الهندى
وأخبره ، فأرسله الى ذى الفقار فأخبره أيضا ،
فبعثه الى الباشا فأخبره .

فلما كان يوم الديوان ، وطلع على بيك أبو
العذب ، فقبض عليه الباشا وقتله تحت ديوان
قايتباى وأحاط بداره ونهب ما فيها ، وأرسل فى
الوقت فرمانا الى الأغا بالقبض على باقى الجماعة ،

ومن معه من الفقارية ، فامتنع الباشا وقال : « رجل
خاطر بنفسه بمعرفتكم وإطلاعكم . كيف انى
أعطيكم بعد ذلك فرمانا بقتله ؟ » . فقام جركس
ونزل الى بيته ، ولم يطلع بعد ذلك الى الديوان ،
وأهملوا الدواوين والباشا . فلما ضاق خناق الباشا
أبرز مرسوما برفع صنجدية جركس ، وكتب فرمانات
للمشايع والوجاقلية بذلك يمنهم من الذهاب اليه .

سنة ١١٣٧ هجرية

(٢٠ سبتمبر ١٧٢٤ — ٨ سبتمبر ١٧٢٥)

فى أواخر هذه السنة بلغ هذا الخبر الى جركس ،
فتدارك الأمر ، وعمل جمعيات ، ورتب أمورا ،
 واجتمعوا بالرميلة وحوالى القلعة ، وعزلوا الباشا
 وأنزلوه وأسكنوه فى بيت ابن الدالى ... فكانت
مدته أربع سنوات . وأرسلوا له محمد بيك بن أبى
شنب فخلع عليه ، وجعلوه قائمقام ، وأخذوا منه
فرمانا بالتجريدة على ذى الفقار ، وجعلوا ابراهيم
بيك فارسكور أمير العسكر وكاشف المنوفية .

ووصل الخبر الى ذى الفقار بيك بما حصل من
مصطفى بيك بلفيه ، فوزع طوائفه فى البلاد ودخل
الى مصر خفية الى بيت أحمد أوده باشا مطرباز .
فلما سافر ابراهيم بيك بالتجريدة لم يجده ،
فضبط موجوداته ، وتحقق من المخبرين أنه دخل
الى مصر ، وأرسل الخبر بذلك لجركس .. فأمر
لهلوية الوالى والصفى بالفحص والتفتيش عليه ،
وأرسلوا عرضحال محضرا بما تمقوه وبنزول الباشا .
وكان محمد باشا أرسل قبل ذلك مكاتبات
لرجال الدولة بما حصل بالتفصيل . فلما وصل
عرض المصريين عينوا على باشا واليا جديدا الى
مصر بتدبير مكيدة وصحبته قبودان وقابجى بطلب
الأربعة الآلاف كيس التى جعلها محمد بيك بن أبى
شنب حلوانا على بلاد السواربية .

(١٩ أغسطس ١٧٢٧ — ٦ أغسطس ١٧٢٨)

ولم يزل محمد بيك في سيره حتى دخل الى رشيد واختفى في وكالة ، ووصل خبره الى حسين جرجى الخشاب ، فقبض عليه وقتله بعد أن استأذن في ذلك ، وتقلد في نظير ذلك الصنحية وكشوفية البحيرة .

ثم حضر محمد بيك جركس من غيبته بيلاد الافرنج ، وطلع على درنه وأرسل مركبه التي وصل فيها الى الاسكندرية ، وحضر اليه أمراؤه الذين تركهم من قبل جهة قبلى ، فركب معهم ونزل الى البحيرة ليصل الى الاسكندرية ، فصادف حسين بيك الخشاب ففر منه ، وغنم جركس خيامه وخيوله وجماله ، ثم رجع الى الفيوم ، ونزل على بنى سويف . ثم ذهب الى القطيعة قرب جرجا ، واجتمع عليه القاسمية المشردون ، فحاربه حسين بيك حاكم جرجا والسدارة ، وقتل حسن بيك وطائفته ، واستولى على وطاقهم وعازقهم ووصلت أخباره الى مصر فجمع ذو الفقار بيك جميعه ، وأخرج فرمانا بسفر تجريدة .. فسافر اليه عثمان بيك وعلى بيك قطامش وعساكره فتلاقوا معه بوادى البهنسا ، فكانت الهزيمة على التجريدة ، واستولى محمد بيك جركس ومن معه على عرضهم وخيامهم ، وحال بينهم الليل ، ورجع المهزومون الى مصر .. فجمع ذو الفقار الأمراء واتفقوا على التشهيل والخراج تجريدة أخرى ، فاحتاجوا الى مصروف ، فطلبوا فرمانا من الباشا بمبلغ ثلثمائة كيس من الميرى عن السنة القابلة ، فامتنع عليهم ، فركبوا عليه وأنزلوه وقلدوا محمد بيك قطامش قائمقام ، وأخذوا منه فرمانا بمطوبهم ، وجهزوا أمر التجريدة، واهتموا فيها اهتماما زائدا ، ورتبوا

فقبضوا على مصطفى بيك بن ايواظ وأركبوه حمارا — وصحبته مقدمه — وأحضروه الى الباشا فأمر بقتله ، وقتل معه مقدمه أيضا ، واختفى الباقيون . وأخذ ذو الفقار فرمانا بنفى هانم بنت ايواظ بيك ، وأم محمد بيك بن أبى شنب ، ومحظية على بيك ... فمالع عثمان جاويش القازدغلى في ذلك واستقبحه ، وضمن غائلتهن ، وألزمهن أن لا يخرجن من بيوتهن ورتب لهن كفايتهن . فلما حصل ذلك ضعف جانب القاسمية ، وانفرد على بيك الهندى — وكان ذو الفقار أرسل الى الشام — فأحضر رضوان أغا ومحمد أغا الكور فجعلوا رضوان أغا أغات الجميلية — ومحمد بيك الجزار غائب باقليم المنوفية — فعند ذلك اغتنموا الفرصة ، وتحرك محمد بيك قطامش في طلب الدفتردارية ، فدبروا أمرهم مع يوسف جرجى عزبان البركاوى ورضوان أغا وعثمان جاويش القازدغلى ، وقتلوا على بيك الهندى وذا الفقار قانصوه ، وأرسلوا الى محمد بيك الجزار تجريدة — وأميرها اسماعيل بيك قيطاس وهو باقليم المنوفية — وقلدوا مصطفى أفندى الدمياطى صنحية وجعلوه حاكم جرجا ، وقبضوا على سليمان بيك أبى شنب ، وقضى اسماعيل بيك أشغاله وسافر بالتجريدة الى المنوفية ، وأخذ صحبته عربان نصف سعد ، وساروا الى محمد بيك الجزار ، وكان لما وصل الخبر ، أخذ ما يعز عليه وترك الوطاق وارتحل الى جسر سديمة ، فلحقوه هناك وحاربوه وحاربهم وقتل بينهم أجناد وعرب وحمل نفسه الى الليل ، ثم أخذ معه مملوكين وبعض احتياجات ، ونزل في مركب ، وسار الى رشيد ، وترك أربعة وعشرين مملوكا ، فأخذوا الهجن وساروا ليللا مبحرين حتى جاوزوا وطاق اسماعيل بيك ، وتخلف عنهم مملوك ماشى ، فذهب الى وطاق اسماعيل بيك قيطاس وعرفه بمكانهم ، فأرسل اليهم كتخداه بطائفة فردوهم وأخذهم عنده فأقاموا في خدمته .

أشغالهم ، وخرجوا . وجرت أمور وحروب ، وقتل من جماعة جركس سليمان بيك ، ثم وقعت الهزيمة على جركس .

سنة ١١٤٢ هجرية

(٢٧ يولية ١٧٢٩ — ١٦ يولية ١٧٣٠)

وصل الى مصر باكير باشا ، وطلع الى القلعة ، فمكث أشهرا وعزله العساكر في أواخر السنة . وحصل بمصر في أيام هذه التجاريد ضنك عظيم ، وثار جماعة القاسمية المختفون بالمدينة ودبروا مكرهم — ورئيسهم في ذلك الوقت سليمان أغا أبو دفية — ودخل منهم طائفة على ذى الفقار بيك وقت العشاء في رمضان وقتلوه . وكان محمد بيك جركس جهة الشرق ينتظر مواعدهم معه ، ففضى الله بموت جركس خارج مصر ، وموت ذى الفقار داخلها . ولم يشعر أحدهما بموت الآخر — وكان بينهما خمسة أيام — وثار أتباع ذى الفقار بالقاسمية ، وظهروا عليهم وقتلوه وشردوهم ، ولم يبق منهم قائم بعد ذلك الى يومنا هذا .

وانقرضت دولة القاسمية من الديار المصرية . وظهرت دولة الفقارية ، وتفرع منها طائفة القازدغلية .

سنة ١١٤٣ هجرية

(١٧ يولية ١٧٣٠ — ٥ يولية ١٧٣١)

وبهذا كان انقرض فرقة القاسمية ، وظهر أمر الفقارية ، وخلع السلطان أحمد من السلطنة ، وولاية محمود خان . ووالى مصر اذ ذاك عبد الله الكبورلى — نسبة الى كبور بلدة بالروم — وحضر الى مصر في السنة الخالية ، وكان من

أرباب الفضائل ، وله ديوان شعر جيد .. وكان انسانا خيرا صالحا منقادا الى الشريعة ، أبطل المنكرات والخمائر ومواقف الخواطى والبوظ من بولاق وباب اللوق وطولون ومصر القديمة ، وجعل للوالى والمقدمين عوضا عن ذلك فى كل شهر كيسا من كشوفيات الباشاوات ، وكتب بذلك حجة شرعية وفيها لعن كل من تسبب فى رجوع ذلك .

سنة ١١٤٤ هجرية

(٦ يولية ١٧٣١ — ٢٣ يولية ١٧٣٢)

فى أواخر هذه السنة عزل عبد الله باشا ، وأمراف مصر فى هذا العام محمد بيك قطامش ، وتابعه على بيك قطامش ، وعثمان جاويش القازدغلى ، ويوسف كئخدا البركاوى ، وعبد الله كئخدا القازدغلى ، وسليمان كئخدا القازدغلى ، وحسن كئخدا القازدغلى ، ومحمد كئخدا الداودية ، وعلى بيك ذو الفقار ، وعثمان بيك ذو الفقار ، خشداشه .

سنة ١١٤٥ هجرية

(٢٤ يولية ١٧٣٢ — ١٣ يولية ١٧٣٣)

وصل مسلم محمد باشا السلحدار فأخبر بولاية محمد باشا السلحدار ، وقدم من البصرة .

سنة ١١٤٦ هجرية

(١٤ يولية ١٧٣٣ — ٢ يولية ١٧٣٤)

استمر محمد باشا واليا على مصر ، ثم عزل وتولى عثمان باشا الحلبي . ووصل المسلم بقائمقامية الى على بيك ذو الفقار ، فطلع الى الديوان ، ولبس القفطان من عثمان باشا ونزل الى

بيته وحضر اليه الأمراء وهنوء ، وخلع على اسماعيل بيك أبي قلنج أمين السباط ، ووصل عثمان باشا الى العرش ، وتوجهت اليه الملائكة وأرباب الخدم ، وحضر اليه العسادية وعملوا له شنكا وطلع الى القلعة وخلع الخلع .

وورد قابجي باشا بالسكة وابطال سكة الذهب الفندقلى ، وضرب الزر محبوب كامل وصرفه مائة نصف فضة وعشرة أنصاف ، وكذلك سكة النصف محبوب وصرفه خمسة وخمسون ، وزاد في الفندقلى الموجود بأيدي الناس اثني عشر نصف فضة فصار يصرف بمائة نصف وستة وأربعين نصفاً وحضر مرسوم ايضاً بتعين صنجق اللوجه القبلى بتحرير النصارى واليهود وما عليهم من الجزية في كل بلد المال (١) : أربع مائة نصف وعشرين نصفاً ، والوسط : مائتين وسبعين ، والدون (٢) مائة ، فتشاوروا فيمن ينزل بصحبة الأغا والكاتب من الأمراء الصناجق لتحرير بلاد قبلى . فقال حسين بيك الخشاب : « أنا مسافر بمنصب جرجا وينزل بصحبتى الأغا المعين ، وانظروا من يذهب الى بحرى » . فقال محمد بك قطاش « كل إقليم يتقيد بتحريره الكاشف المتولى عليه ومعه الأغا والكاتب » . فاتفق الراى على ذلك .

سنة ١١٤٧ هجرية

شعبان

(يناير ١٧٢٥ م) :

عمل اسماعيل بيك بن محمد بيك الدالى مهما لزواج ولده ، ودعا عثمان باشا الى منزله الذى بركة الفيل وعندما حضر الباشا واستقر به الجلوس وضع بين يديه مندبلا فيه ألف دينار برسم

(١) لفظ عامى معناه « الجيد »

(٢) لفظ عامى معناه « الردى »

تفرقة البقائشيش على الخدم وأرباب الملاعب ، وقدم له تقادم : خيول وهدايا وجواد .

رمضان

(فبراير ١٧٢٥ م) :

في أوائله ظهر بالجامع الأزهر رجل تكرر وادعى النبوة ، فأحضروه بين يدي الشيخ أحمد العماوى (١) ، فسأله عن حاله . فأخبره أنه كان في شرين فنزل عليه جبريل وعرج به الى السماء ليلة سبع وعشرين رجب ، وأنه صلى بالملائكة ركعتين ، وأذن له جبريل . ولما فرغ من الصلاة أعطاه جبريل ورقة وقال له : أنت نبى مرسل ، فانزل وبلغ الرسالة وأظهر المعجزات . فلما سمع الشيخ كلامه قال له : « أنت مجنون » . فقال : « لست بمجنون وانما أنا نبى مرسل » . فأمر بضربه فضره وأخرجوه من الجامع ، ثم سمع به عثمان كتحدا فأحضره وسأله ، فقال مثل ما قاله للشيخ العماوى ، فأرسله الى المارستان . فاجتمع عليه الناس والعامه رجالا ونساء ، ثم أنهم أخفوه عن أعين الناس . ثم طلبه الباشا فسأله فأجابه بمثل كلامه الأول ، فأمر بحبسه في العرقانة ثلاثة أيام .

ثم جمع العلماء وسألوه فلم يتحول عن كلامه ، فأمروه بالتوبة فامتنع وأصر على ما هو عليه فأمر الباشا بقتله فقتلوه بحوش الديوان وهو يقول « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل » . ثم أنزلوه والقوه بالرميلة ثلاثة أيام .

ذو الحجة

٢٤ منه (١٧ مايو ١٧٢٥ م) :

اشيع في الناس بمصر بأن القيامة قائمة يوم

(١) الامام العالم استاذ المحققين ، مالكي . كان فقيها محدثا نحويا منطقيا ، توفي في ٧ جمادى الاولى ١١٥٥ هـ (١٠ يوليوس ١٧٤١ م) .

سنة واحدة وخمسة أشهر وتولى بعده باكير باشا
وهى ولايته الثانية .

شمال

في ٢٤ منه (٢٧ مارس ١٧٣٦ م) :

قدم باكير باشا من جدة الى السويس من
القلزم ، لأنه كان واليا عليها بعد انفصالة من مصر .
ولما ركب بالموكب كان خلفه من أتباعه نحو الثلاثين
خيالا ملبسة بالزروخ المذهبة ، وله من الأولاد
خمسة ركبوا أمامه في الموكب ، وصرخت العامة
في وجهه من جهة فساد المعاملة ، وهى الاخشاشا
والمرادى والمقصوص والفندقلى ... فان الاخشاشا
صار بستة عشر جديدا ، والمرادى باثنى عشر ،
والمقصوص بثمانية جدد . وصار صرف الفندقلى
بثلثمائة نصف ، والجنزلى بمائتين ، وغلت بسبب
ذلك الأسعار ، وصار الذى كان بالمقصوص
بالديوانى .. فلم يلتفت الباشا لذلك .

ذوالقعدة

(مارس - ابريل ١٧٣٦) .

ورد أغا وعلى يده مرسوم بطلب سفر ثلاثة
الاف عسكرى لمحافظة بغداد وأن يكون العسكر
من أصحاب العتامة ، ولا يرسلوا عسكرا من
فلاحى القليوبية والجيزة والبحيرة وشرق أطفح
والمنصورة . فقلدوا أمير السفر مصطفى بيك أباطه
حاكم جرجا سابقا ، وسافر حسن بك الدالى
بالخزينة وارتحل من العادلية فى منتصف الحجة ،
وكان خروجه بالموكب فى أوائل رجب .

ذوالحجة

فى يوم الخميس ٥ منه (١٧ ابريل ١٧٣٦ م) :

ركب مصطفى بيك بموكب السفر وسافر فى
الحرم .

الجمعة سادس عشرين الحجة (١٩ مايو ١٧٣٥ م)
وفشا هذا الكلام فى الناس قاطبة حتى فى القرى
والأرياف ، وودع الناس بعضهم بعضا ، ويقول
الانسان لرفيقه : « بقى من عمرنا يومان » . وخرج
الكثير من الناس والمخاليع (١) الى الغيطان
والمتنزهات ، ويقول لبعضهم البعض : دعونا نعمل
حظا ونودع الدنيا قبل أن تقوم القيامة .

وطلع أهل الجيزة نساء ورجالا ، وصاروا
يغتسلون فى البحر ومن الناس من علاه الحزن
وداخله الوهم ، ومنهم من صار يتوب من ذنوبه
ويدعو ويبتهل ويصلى ، واعتقدوا ذلك ووقع
صدقه فى نفوسهم ، ومن قال لهم خلاف ذلك ، أو
قال : هذا كذب ، لا يلتفتون لقوله ، ويقولون هذا
صحيح ! وقاله فلان اليهودى وفلان القبطى ، وهما
يعرفان فى الجفور والزائرات ولا يكذبان فى شيء
نقولانه .

وقد أخبر فلان منهم على خروج الريح الذى
خرج فى يوم كذا ، وفلان ذهب الى الأمير الفلانى
وأخبره بذلك وقال له : احبسنى الى يوم الجمعة .
وان لم تقم القيامة فاقتلنى .. ونحو ذلك من
وساوسهم . وكثر فيهم الهرج والمرج الى يوم الجمعة
المعين المذكور فلم يقع شيء . ومضى يوم الجمعة ،
وأصبح يوم السبت فانتقلوا يقولون : فلان العالم
قال ان سيدى أحمد البدوى والدسوقى والشافعى
تشفعوا فى ذلك وقبل الله شفاعتهم ، فيقول الآخر :
اللهم انفعنا بهم فاننا ما أخى لم نشبع من الدنيا
وشارعون نعمل حظ ، ونحو ذلك من الهذيان .

سنة ١١٤٨ هجرية

(٢٤ مايو ١٧٣٥ - ١١ مايو ١٧٣٦)

فيها عزل عثمان باشا بعد أن أقام فى ولاية مصر

(١) الرقعة .

في ١٠ منه (٢٢ أبريل ١٧٣٦ م) :

فيه : يوم الأضحى ، قبل أذان العصر ، خرجت ريح سوداء غريبة أظلمت منها الدنيا وحجبت نور الشمس ، فغرق منها مراكب ، وسقطت أشجار — ومن جملتها شجرة حمير عظيمة بناحية الشيخ قمر — وهدمت دور قديمة ، وشجرة اللبخة بديوان مصر القديمة ثم أعقبها بعد العشاء مطر عظيم . ووصل أيوب بيك أمير سفر العجم ، وطلع الى الديوان وألبسه الباشا قفطان القدوم والسدادرة وأصحاب الدركات . وكانت مدة غيابه سنتين وثلاثة أشهر .

وفي أيامه : ورد أغا وعلى يده مراسيم وأوامر : منها ابطال مرتبات أولاد وعيال ، ومنها ابطال التوجيهات وأن المال يقبض الى الديوان ويصرف من الديوان ، وأن الدفاتر تبقى بالديوان ولا تنزل بها الا فائدة الى بيوتهم فلما قرئ ذلك قال القاضي : « أمر السلطان لا يخالف ويجب اطاعته » . فقال الشيخ سليمان المنصوري : « يا شيخ الاسلام : هذه المرتبات فعل نائب السلطان ، وفعل النائب كفعل السلطان ، وهذا شيء جرت به العادة في مدة الملوك المتقدمين ، وتداولته الناس وصار يباع ويشري ، ورتبوه على خيرات ومساجد وأسبلة ، ولا يجوز ابطال ذلك ، واذا بطل بطلت الخيرات ، وتعطلت الشعائر المرصد لها ذلك ، فلا يجوز لأحد يؤمن بالله ورسوله أن يبطل ذلك ، وإن أمر ولي الأمر بإبطاله لا يسلم له ويخالف أمره ، لأن ذلك مخالفة للشرع ، ولا يسلم للامام في فعل ما يخالف الشرع ولا لنائبه أيضا » . فسكت القاضي ، فقال الباشا : « هذا يحتاج الى المراجعة » . ثم قال الشيخ سليمان : « وأما التوجيهات ففيها تنظيم وصلاح وأمر في محله » ، وانقض الديوان على ذلك .

ووقع الطاعون المسمى بطاعون كو ، ويسمى

أيضا الفصل العائق يأخذ على الرائق ، ومات به كثير من الأعيان وغيرهم بحيث مات من بيت عثمان كتحدا القازدغلي فقط مائة وعشرون نفسا ، وصارت الناس تدفن الموتى بالليل في المشاعل

ووقع في أيامه الفتنة التي قتل فيها عدة من الأمراء وسببها : أن صالح كاشف زوج هانم بنت ايواظ بيك كان ملتجئا الى عثمان بيك ذي الفقار ، وتزوج بنت ايواظ بيك بعد يوسف بيك الخائن — وكان من القاسمية — فحرضته على طلب الامارة والصنجدية ، وتأخذ له فائظ عشرين كيسا ، وكلم عثمان بيك في شأن ذلك فوعده ببلوغ مراده ، وخاطب محمد بيك قيطاس المعروف بقطامش — وهو اذ ذاك كبير القوم في ذلك — فلم يجبه ، وقال له : تريد أن تفتح بيتا للقاسمية فيقتلونا على غفلة .. هذا لا يكون أبدا ما دمت حيا . وكان عثمان بيك المذكور أخذ كشوفية المنصورة فأنزل فيها صالح كاشف قائمقام . فلما كمل السنة ورجع ، تحركت الهمة الى طلب الصنجدية ، وعاود عثمان بيك في الخطاب ، وهو كذلك تكلم مع محمد بيك فصمم على الامتناع فوقع على الأغوات والاختيارية فلم يجب ولم يرض ، ووافقه على الامتناع على بيك تابع المذكور و خليل افندي . فذهب صالح كاشف الى عثمان كتحدا القازدغلي (١) واتفق معه على قتل الثلاثة ، وقال له : اعمل تديرا في قتلهم . فذهب الى رضوان بيك أمير الحج سابقا وسليمان بيك الفراش ، فاتفق معهما على قتل الثلاثة في بيت محمد بيك الدفتردار باطلاع باكير باشا . وعرفوا محمد بيك بذلك فرضى وكتب فرمانا بالجمعية في بيت الدفتردار بسبب الحلوان والخزينة ... فركبوا بعد العصر الى بيت

(١) تابع حسن جاويش القازدغلي ، والد عبد الرحمن كتحدا صاحب العماير ، اشتهر ذكره ونما صيته . وعمر الجامع المعروف به بالازبكية ، وبني زاوية العميان بالازمر .

محمد بيك قطامش ، وركبوا معه الى بيت الدفتردار ، وصحبتهم على بيك وصالح بيك و خليل افندى وأغات الجميلة وعلى صالح جرجى واختيار من الأسباهية ويوسف كتخدا البركاوى ، وحذر عثمان بيك ذو الفقار وعثمان كتخدا القازدغلى وأحمد كتخدا الخربوطلى وكتخدا الجاويشية وأغات المتفرقة وعلى جلبى الترجمان . فلما تكاملت الجمعية أمر محمد بيك قطامش بكتابة عرض حال ، وقال للكاتب : اكتب كذا وكذا ، فطلع الى خارج — وصحبته كتخدا الجاويشية ومتفرقة باشا — وجلس يكتب فى العرض وقد قرب الغروب ، فأرادوا الانصراف فوقف الدفتردار وقال : « هاتوا شربات » وكان ذلك القول هو الإشارة مع صالح كاشف وعثمان كاشف مملوك سليمان بيك ، ففتحوا باب الحزانة وخرج منها جماعة بطرايش وهم شاهروال سلاح فوقف محمد بيك قطامش على أقدامه وقال : « هى خونة » فضربه الضارب بالقرايينة فى صدره ، ووقع الضرب ، وهاج المجلس فى دخنة البارود وظلام الوقت .. فلم يعلم القاتل من المقتول . وعندما سمع كتخدا الجاويشية أول ضربة ، وهو جالس مع الأفندى الكاتب ، نزل مسرعا وركب ، وعلى الترجمان ألقى بنفسه من شباك الجنيينة وعثمان بيك ذو الفقار أصابه سيف فقطع شاشه وقاووقه ، ودفعه صالح كاشف فنجأ بنفسه الى أسفل ، وركب حصان بعض الطوائف وخرج من باب البركة . وأصيب باشا اختيار مستحفظان البرلى بجراحة قوية ، فأرسلوه الى منزله ومات بعد ثلاثة أيام .

ثم أوقدوا الشموع وتفقدوا المقتولين ، وإذا هم محمد بيك قطامش ، وعلى بيك تابعه وصالح بيك ، وعثمان بيك كتخدا القازدغلى وأحمد كتخدا

الخربوطلى (١) ويوسف كتخدا البركاوى (٢) و خليل أفندى ، وأغات الجميلة وعلى صالح جرجى والأسباهية تنمة عشرة ، وباشا اختيار الذى مات بعد ذلك فى بيته .. فعبروا المقتولين من ثيابهم وقطعوا رؤوسهم ، وأتوا بهم جامع السلطان حسن فوجدوه مغلوقا فأحرقوا ضرفة الباب الذى جهة سوق السلاح ووضعوا الرؤوس العشرة على البسطة ، ووضعوا عند كل رأس شيئا من التبن ، وظنوا أنهم غالبون . وطلع صالح كاشف الى الباشا من باب الميدان فخلع عليه الصنجقية ، فطلب منه دراهم يفرقها فى العسكر المجتمعين اليه فقال له : « انزل لأشغالك وأنا أرسل اليك ما تطلب » . فنزل الى السلطان حسن فوجد محمد كتخدا الداودية حضر بأتباعه وجماعته هناك يظن أنهم غالبون . وعندما بلغ الخبر سليمان كتخدا الجلفى ركب فى جماعته بعد المغرب ، وطلع الى باب العزب وكان كتخدا الوقت اذ ذاك أحمد كتخدا الشراق يوسف كتخدا البركاوى ، فطرق الباب . فقال التفكجية : « من هذا ؟ » فعرفهم عن نفسه . فقال الكتخدا : « قولوا له أنت توليت الكتخدائية وتعرف القانون ، وإن الباب لا يفتح بعد الغروب ، فإن كان له حاجة يأتى فى الصباح » .

وأما عثمان بيك فانه لما خرج من باب البركة وشاشه مقطوع لم يزل سائرا الى باب الينكجيرية فوجده ملآن جاويشية وواجب رعايا ونقر . وطلع عندهم عمر جلبى بن على بيك قطامش فأخذه حسن جاويش النجدلى ، ومعه طائفة ، وطلع به الى الباشا — بعد نزول صالح كاشف — فخلع عليه صنجقية أبيه ، وأعطاه فرمانا بالخروج من حق الذين قتلوا الأمراء وأحرقوا باب المسجد ونزل .

(١) هو الذى عمر الجامع المعروف بالفكهاى بمطلة خوهنم بخت المقادين .

(٢) كان اصله جرجيا بباب العرب .

ذلك مجيء خشداشك سليمان كتحدا بعد المغرب
بطائفته يملك باب العزب « فحلف بالله العظيم
لم يكن عنده خبر بشيء من ذلك ، ولا بمجيء
سليمان كتحدا الى الباب . ولكن أى شيء جاء
بمحمد كتحدا الداودية الى السلطان حسن .

ثم انهم أنزلوا باكير باشا وعزلوه وطبوا
عليه حلوان بلاد المقتولين ، وكتبوا عرض محضر
وسفروه صحبة سبعة أنفار فحضر مصطفى أغا
أمير اخور كبير ومعه مرسوم من الدولة بضبط
متروكات المقتولين فمكث بمصر شهرين .
ثم ورد أمر بولايته على مصر وتوجيه باكير
باشا الى جدة

سنة ١١٥٢ هجرية

(١٠ ابريل ١٧٣٩ — ٢٨ مارس ١٧٤٠)

أقام مصطفى باشا واليا بمصر الى هذه السنة .
تولى بعده سليمان باشا الشامى الشهير بابن
العظم . ولما استقر في ولاية مصر أراد ايقاع فتنة
بين الأمراء . فضم اليه عمر بيك بن على بيك
قطامش . فأرسل اليه من يأمنه على سره . واتفق
معه على قتل عثمان بيك ذى الفقار وابراهيم بيك
قطامش وعبد الله كتحدا القازدغلى وعلى كتحدا
الجلفى ، وهم اذ ذاك أصحاب الرياسة بمصر .
ووعده نظير ذلك امارة مصر والحج ، وأن يعطيه
من بلادهم فائز عشرين كيسا فجمع عمر بيك
خليل أغا وأحمد كتحدا عزبان وابراهيم جاويز
قازدغلى ، واختلى بهم وعرفهم بالمقصود ، وتكفل
أحمد كتحدا بقتل على كتحدا وخليل أغا بعثمان بيك
وابراهيم جاويز بعبد الله كتحدا ، واذا انفرد
ابراهيم بيك أخذوه بعد ذلك بحيلة وقتلوه في
الديوان .

ثم ان أحمد كتحدا أغرى بعلى كتحدا لاذ

فرد على كتحدا الوقت وصحبته حسن جاويز
النجدى ومعهم يرق وأنفار وواجب رعايا من
المحجر خلف جامع المحمودية وبيت الحصرى وزاوية
الرفاعى .

سنة ١١٤٩ هجرية

في هذه السنة عزل باكير باشا وتولى مكانه
مصطفى باشا .

رجب

الجمعة هـ منه (٩ نوفمبر ١٧٣٦ م) :

ليلة مولد الرفاعى : عملوا متريز على باب
الدرب قبالة باب السلطان حسن ، وضربوا عليهم
بالرصاص ، وكذلك من باب العزب وبيت الأغا وكان
أغات العزب عبد اللطيف أفندى وروزنامجى مصر
سابقا . وأما صالح بيك فانه انتظر وعد الباشا فلم
يرسل له شيئا ، فأخذ رضوان بيك وعثمان كاشف
ومملوك سليمان بيك واختفوا في خان الخليلي ،
واختفى أيضا محمد بيك اسماعيل . ومحمد كتحدا
الداودية ندم على ما فعل ، فركب بجماعته وذهب
الى بيت مصطفى بيك الدمياطى فوجده مقفولا
فطرق الباب فلم يجبه أحد . فذهب الى بيت
ابراهيم بيك بلفيه ودخل هناك .

ولما بطل الرمي من السلطان حسن هجم حسن
جاويز فلم يجد به أحدا . ولما طلع النهار ذهبوا
الى بيت الدفتردار فنهبوه ، ونهبوا أيضا بيت
رضوان بيك ، وذهبوا الى سليمان بيك فقتلوه
وقطعوا رأسه ، ونهبوا البيت وأتوا الى الباب .

ثم أن السبعة وجاقات اجتمعوا في بيت على
كتحدا الجلفى وقالوا له : « أنت بيت سر يوسف
كتحدا البركاوى ، ولا يفعل شيئا الا باطلاعك ،
وعندك خبر بقتل أمرائنا وأعياننا والشاهد على

سنة ١١٥٤ هجرية

جمادى الأولى

١٠ منه (٢٤ يوليو ١٧٤١ م) :

نزل سليمان باشا الى بيت البيرقدار ، وعمل على باشا أول ديوان بقرا ميدان بحضرة الجم الغفير ، وقرىء مرسوم الولاية بحضرة الجميع . ثم قال الباشا : « أنا لم آت الى مصر لأجل اثاره فتن بين الأمراء واغراء ناس على ناس ، وانما أتيت لأعطى كل ذى حق حقه . وحضرة السلطان أعطاني المقاطعات ، وأنا أنعمت بها عليكم فلا تتعبوني في خلاص المال والغلال » . وأخذ عليهم حجة بذلك وانقض المجلس .

ثم انه سلم على الشيخ البكرى وقال له : « أنا بعد غد ضيفك » . ثم ركب وطلع الى السراية ، وأرسل الى الشيخ البكرى هدية وأغناما وسكرا وعسلا ومربيات . ونزل اليه في الميعاد وأمر ببناء رصيف الجنيينة التى فى بيتهم ، وكان له فيه اعتقاد عظيم لرؤيا منامية رآها فى بعض سفراته .

وكانت أيامه أمنا وأمانا ، والفتن ساكنة ، والأحوال مطمئنة .

ثم عزل ونزل الى قصر عثمان كتنخدا القازدغلى بين بولاق وقصر العينى .

ثم تولى يحيى باشا ، ودخل الى مصر وطلع الى القلعة فى موكبه على العادة ، وطلع اليه على باشا وسلم عليه . ونزل هو الآخر وسلم على على باشا بالقصر . ودعاه عثمان بك ذو الفقار وعمل له وليمة فى بيته . وقدم له تقادم كثيرة وهدايا . ولم يتفق نظير ذلك فيما تقدم أن الباشا نزل الى بيت أحد من الأمراء فى دعوة ، وانما كان الأمراء يعملون لهم الولائم بالقصور فى الخلاء مثل قصر العينى أو المقياس .

ابراهيم فقتل على كتنخدا عند بيت أقبرى وهو طالع الى الديوان . وبلغ الخبر عثمان بك ، فتدارك الأمر ، وفحص عن القضية حتى انكشف له سرها وعمل شغله وقتل أحمد كتنخدا . وعندما قتل على كتنخدا ظن الباشا تمام المقصد ، فأراد أن يملك باب الينكجيرية بحيلة ، وأرسل مائتى تفكجى ومعهم مطرجى وجوخدار — وهم مستعدون بالأسلحة — فمنعهم التفجكية من العبور . وطلب الكتنخدا شخصين من أعيانهم يسألهم عن مرادهم ، فقالا : أن الباشا « مقصر فى حقنا ولم يعطنا علائقنا » فأرسل معهم باش جاویش بالسلام على الباشا من الاختيارية والوصية بهم . فقبل ذلك ولم يتمكن من مراده .

ثم ان حسين بك الخشاب طلع الى باب العزب ، وتحيل فى نزول أحمد كتنخدا من الباب وملك هو الباب . واجتمعوا بعد ذلك وأمروا الباشا بالنزول الى قصر يوسف ، فركب وأراد أن يدخل الى باب الينكجيرية فرفعوا عليه البنادق فدخل الى قصر يوسف فوجده خرابا . فأخذ حسن جاویش النجدلى خاطر الينكجيرية على نزوله ببيت الأغا .

وانتقل الأغا الى السرجى فأقام الباشا الى أن نزل بيت البيرقدار وسافر بعد ذلك .

سنة ١١٥٣ هجرية

جمادى الأولى

(يوليو — اغسطس ١٧٤٠ م) :

كانت ولاية سليمان باشا على مصر الى شهر جمادى الأولى من هذه السنة .

ثم تولى بعده الوزير على باشا حكيم أوغلى — وهى توليته الأولى بمصر — فدخل مصر فى جمادى الأولى . ومكث الى عاشر جمادى الأولى سنة أربع وخمسين ومائة وألف (٢٤ يولية ١٧٤١ م)

سنة ١١٥٦ هجرية

رجب

اختياريتها . قال : « والمراد أى شيء وليس عندي غلال ؟ » قال له الوكيل : « نجعلها مئونة بقدر معلوم » فثمنوا القمح بستين نصف فضة الأردب والشعير بأربعين . فقال ابراهيم بيك : « يصبروا حتى يأتيني شيء من البلاد » . قال الوكيل : « العسكر لا يصبروا ويحصل من ذلك أمر كبير » . فجمعوا مبلغ ليكون فبلغ ثمانين كيسا . فرهن عند الوكيل بلدين لأجل معلوم ، وكتب بذلك تمسك وأخذ التقاسيط ، ورجع الوكيل الى محل الجمعية ، وأحضر مبلغ الدراهم . . . وكل من كان عليه غلال أورد بذلك السعر . وهذه كانت أول بدعة ظهرت في تشمين غلال الأنبار للمستحقين .

في ٢١ منه (١٠ سبتمبر ١٧٤٣ م) :

الثلاثاء : حصلت فتنة بين عثمان بيك شيخ البلد والبكوات انتهت بفرار عثمان بيك الى سوريا ومنها الى الآستانة فولى بروحه حتى توفاه الله وقد أحرقت الأهالي بيت عثمان بيك واقتسموا أمواله وتركته بمصر . وبعد مقتلة عظيمة بين البكوات تولى ابراهيم كخيا مشيخة البلد ، وسمى رضوان بيك أميراً للحج (١) .

سنة ١١٥٨ هجرية

(٣ فبراير ١٧٤٥ - ٢٣ يناير ١٧٤٦)

استمر محمد باشا في ولاية مصر حتى عزل في هذه السنة . ووصل مسلم محمد باشا راغب . وتقلد ابراهيم بيك بلفيه قائمقام . وخلع عليه محمد باشا القفطان ، وعلى محمد بيك أمين السماط . ثم ورد الساعى من اسكندرية فأخبره بورود حضرة محمد باشا راغب الى ثغرا الاسكندرية . فنزل أرباب العكاكيز لملاقاته ، وحضروا صحبتته

في ٢٠ منه (٩ سبتمبر ١٧٤٣ م) :
أقام يحيى باشا في ولاية مصر (١) الى أن عزل في هذا التاريخ .

تولى بعده محمد باشا اليدكشى وحضر الى مصر وطلع الى القلعة .
وفي أيامه كتب فرمان بإبطال شرب الدخان في الشوارع وعلى الدكاكين وأبواب البيوت .

ونزل الأغا والوالى فنادوا بذلك . وشددوا في الانكار والنكال بمن يفعل ذلك من عال أو دون وصار الاغا يشق البلد في التبديل كل يوم ثلاث مرات ، وكل من رأى في يده آلة الدخان عاقبه وربما أطعمه الحجر الذى يوضع فيه الدخان بالنار .

وفي أيامه أيضا قامت العسكر بطلب جراياتهم وعلائقهم من الشون ، ولم يكن بالشون أردب واحد . فكتب الباشا فرمانا بعمل جمعية في بيت على بيك الدمياطى الدفتردار ، لينظروا الغلال في ذمة أى من كان يخلصونها منه . فلما كانوا في ثاني يوم اجتمعوا ، وحضر الروزنامجى وكاتب الغلال والقلقات وأخبروا أن بذمة ابراهيم بيك قطامش أربعين ألف أردب . والمذكور لم يكن في الجمعية وانتظروه فلم يأت ، فأرسلوا له كتخدا الجاويشية وأغات المتفرقة ، فامتنع من الحضور في الجمهور وقال : « الذى له عندي حاجة يأتى الى عندي » ، فرجعوا وأخبروهم بما قال . فقال العسكر : « نذهب اليه ونهدم بيته على دماغه » فقام وكيل دار السعادة وأخذ معه من كل بلك اثنين اختيارية وذهبوا الى ابراهيم بيك قطامش . فقال له الوكيل : « أى شيء هذا الكلام ؟ » والعسكر قائمة على

(١) حكم يحيى باشا مصر لمدة سنتين .

(١) نقلنا اخبار هذا اليوم من « التوقيعات الالهامة » .

الى مصر . وطلع الى القلعة ، وحصل بينه وبين
حسين بيك الخشاب محبة ومودة ، وحلف له أنه
لا يخونه . ثم أسر اليه أن حضرة السلطان يريد
قطع بيت القطامشة والدمايطة . فأجاب الى ذلك .
واختلى بابراهيم جاويش وعرفه بذلك . فقال له
الجاويش : « عندك توابع عثمان بيك قرقاش
وذو الفقار كاشف ، وهم يقتلون خليل بيك وعلى
بيك الدمايطى فى الديوان » . فقال له : « يحتاج
يكون صحبتهم أناس من طرفك ، والا فليس لهم
جسارة على ذلك » فقال له : « أنا أتكلم مع عثمان
أغا أبى يوسف يطلب شرهم لأنه من طرفى » .

فلما كان يوم الديوان ، وطلع حسين بيك الخشاب
وقرقاش وذو الفقار وجماعته ، وطلع على بيك
الدمايطى وصحبته محمد بيك ، وطلع فى أثرهم خليل
بيك أمير الحج وعمر بيك بلاط ، فجلسوا بجانب
المحاسبة ، فحضر عثمان أغا أغاب المتفرقة عند خليل
بيك ، فقال له : « لماذا لم تدخل عند الباشا ؟ » .
فقال له : « قد تركناه لك » . فقال : « كأنى لم
أعجبك » . واتسع بينهما الكلام ، فسحب
أبو يوسف النمشة وضرب خليل بيك . وإذا
بالجماعة كذلك أسرعوا وضربوا عمر بيك بلاط
فقتلوه ، ودخلوا برأسيهما الى الباشا . فقام على
بيك الدمايطى ومحمد بيك ونزلا ماشيين ودخلا
الى نوبة الجاويشية . فأرسل الباشا للاختيارية
يقول لهم : « انهما مطلوبان للدولة وأخذهما
وقطع رأسيهما أيضا » . وكتبوا فرمانا الى
الصناجق والأغوات واختيارية السبعة وجاقات
بأن ينزلوا بالبيارق والمدافع الى ابراهيم بيك وعمر
بيك وسليمان بيك الألفى . وكان سليمان بيك
دهشور مسافرا بالخزينة فنزلت البيارق والمدافع ،
فضربوا أول مدفع عند قطرة سنقر . فحمل الثلاثة
أحمالهم وخرجوا بهجنهم وعازقهم الى جهة قبلى ،

ودخل العساكر الى بيت ابراهيم بيك فنهبوه ،
وكذلك بيت خليل بيك ، وذهبوا الى بيت على
بيك فوجدوا فيه صنجقا من الصناجق ملكه بما
فيه ، ولم يتعرضوا ليوسف بيك ناظر الجامع
الأزهر ، ورفعوا صنجقية محمد بيك صنجق ستة .
وماتت ستة أيضا وذهب الى طندتا وعمل فقيرا
بضريح سيدى أحمد البدوى .

ولما رجع سليمان بيك دهشور من الروم ، رفعوا
صنجقيته ، وأمره بالاقامة برشيد ، وقلدوا
عثمان كاشف صنجقية ، وكذلك كجك أحمد
كاشف ، وقلدوا محمد بيك أباطة اشراق حسين
بيك الخشاب دفتردارية مصر . والقضت تلك الفتنة .
ثم ان الباشا قال لحسين بيك الخشاب :
« مرادى ان نعمل تدييرا فى قتل ابراهيم جاويش
قازدغلى ورضوان كتحدا الجلفى ، وتصير أنت
مقدام مصر وعظيمها » . فاتفق معه على ذلك ،
وجمع عنده على بيك جرجا وسليمان بيك — مملوك
عثمان بيك ذى الفقار — وقرقاش وذو الفقار
كاشف .. ودار القال والقيلى ، وسعى المنافقون ،
وعلم ابراهيم جاويش ورضوان كتحدا مايراد
بهما ، فحضر ابراهيم جاويش عند رضوان كتحدا ،
وامتلا باب الإنكرجية وباب العزب بالعسكر
والأودة باشية .

واجتمعت الصناجق والأغوات السبعة فى سيل
المؤمنين ، والاسباهية بالرميلة ، وأرسلوا يطلبون
فرمانا من الباشا بالركوب على بيت حسين بيك
الخشاب الذى جمع عنده المفاسيد أعداءنا ،
وقصده قطعنا .

فلما طلع كتحدا الجاويشية ومتفرقة باشا
الى راغب باشا وطلبوا منه فرمانا بذلك .
فقال الباشا : « رجل نفذ أمر مولانا السلطان ،
وخاطر بنفسه ، ولم ينكسر عليه مال ولا غلال .
كيف أعطيكم فرمانا بقتله ؟ الصلح أحسن

الى الصعيد . وعمر بيك بن على بيك وصحبته
طائفة من الصناجق هربوا الى أرض الحجاز .

كانت مدة محمد باشا راغب في ولاية مصر
سنتين ونصفا .

ثم سافر الى الديار الرومية وتولى الصدارة ،
وكان انسانا عظيما عالما محققا ، وكان أصله رئيس
الكتاب



المحتم

غرفته (٢٢ ديسمبر ١٧٤٨ م) :

وصل أحمد باشا - المعروف بكور وزير
- فطلع الى ثغر الاسكندرية ، ووصلت الساعة
بشائر قدومه ، فنزلت اليه الملاقاة وأرباب العكاكيز
وأصحاب الخدم ، مثل كتخدا الجاوشية ، وأغات
المتفرقة ، والترجمان ، وكاتب الحوالة وغيرهم .

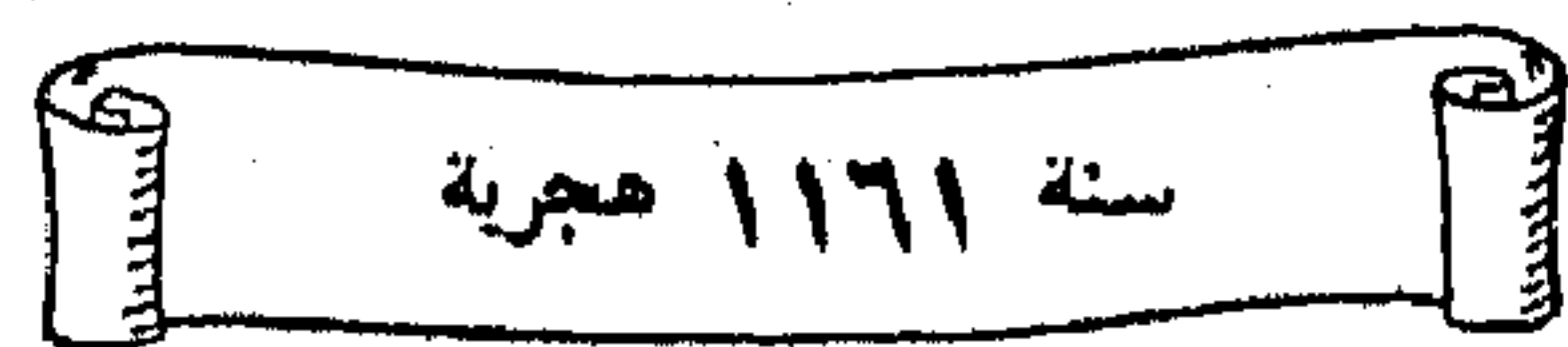
واجتمع في رشيد براغب باشا ، وسافر في
المركب التي حضر فيها أحمد باشا .

وحضر الى مصر ، وطلع بالموكب المعتاد الى
القلعة ، وضربوا له المدافع والشنك من أبراج
الينكجيرية ، وعمل الديوان ، وخلع الخلع على
الأمراء والأعيان والمشايخ

وخلصت رياسة مصر وامارتها الى ابراهيم
جاويش ورضوان كتخدا ، وقلد ابراهيم جاويش
مملوكه على أغا - وهو الذي عرف بالغازوى
- صنجقا ، وكذلك حسين أغا - وهو الذي عرف
بكشكش (١) - وكذلك قلد رضوان كتخدا أحمد
أغا خازنداره صنجقا ، فصار لكل واحد منهما
ثلاثة صناجق : وهم عثمان وعلى وحسين

(١) كان ذائع الصيت واسع الحيلة . سافر اميرا للحج اربع
مرات دون أن يؤدي عوائد العربان .

ما يكون » . فرجعوا وردوا عليهم بجواب
الباشا . فأرسلوا له من كل تلك اثنين اختيارية
بالعرضحال . فان أبى فقولوا له : « ينزل ويولى
قائمقام ونحن نعرف خلاصنا مع بعضنا » . فنزل
بكامل أتباعه من قراميدان لما صار في الرميلة ،
فأراد أن ينزل على شيخون الى بيت حسين بيك
الخشاب يكرئك معه فيه . واذا بالعزب المرابطين في
السلطان حسن ردوه بالنار ، فقتل أغا من أغواته
.. فنزل على بيت آقبردى الى بيت ذى عرجان
تجاه المظفر ، فأرسلوا له ابراهيم بيك بلفية -
صحبة كتخدا الجاوشية - خلع عليه قفطان
القائمقائية ورجع الى بيته ، وأخذوا منه فرمانا
بجر المدافع والبيارق من ناحية الصليبة وسارت
الصناجق تتقدمهم عمر بيك أمير الحاج ومحمد
بيك الدالى و ابراهيم بيك بلفيه ويوسف بيك
قطامش وحمزه بيك وعثمان بيك أبو سيف وأحمد
بيك بن كجك محمد واسماعيل بيك جلفى وعثمان
بيك وأحمد بيك قازدغلية ورضوان بيك خازندار
عثمان كتخدا قازدغلى كان ، واحتاطوا ببيت حسين
بيك الخشاب ومحمد بيك أباطه من الأربع جهات .
فحارب بالبندق من الصبح الى الظهر حتى وزع مايعز
عليه ، وحمل أثقاله وطلع من باب السر على زين العباد
وذهب الى جهة الصعيد فدخل العسكر الى بيته
فلم يجدوا فيه شيئا ولا الحريم



(٢ يناير ١٧٤٨ - ٢١ ديسمبر ١٧٤٨)

في آخر هذه السنة (١) هرب ابراهيم بيك قبطاس

(١) في هذه السنة قامت فتنة بين الدمايطة ورئيسهم على بيك
الدمايطة وبين القطامشة ورئيسهم ابراهيم بيك قطامش ، وبعد
حروب انتصرت الدمايطة على اخصامهم
(التوفيقات الالهامية)

الابراهيمية ، واسماعيل وأحمد ومحمد الرضوانية ،
ثم ان ابراهيم جابش عمل كتحدا الوقت ثلاثة
أشهر وانفصل عنها .

وحضر عبد الرحمن كتحدا القازدغلى من الحجاز
وعمل كتحدا الوقت بباب مستحفظان سنتين .
وشرع فى عمل الخيرات وبناء المساجد وأبطل
الخمائر .

أقام فى ولاية مصر الى عاشر شوال سنة ثلاث
وستين ومائة وألف (١٢ سبتمبر ١٧٥٠ م) . وكان
من أرباب الفضائل وله رغبة فى العلوم الرياضية .
ولما وصل الى مصر استقر بالقلعة ،
وقابله صدور العلماء فى ذلك الوقت ، وهم :
الشيخ عبد الله الشبراوى — شيخ الجامع الأزهر
— والشيخ سالم النفراوى ، والشيخ سليمان
المنصورى . فتكلم معهم وناقشهم وباحثهم ،
ثم تكلم معهم فى الرياضيات فأحجموا وقالوا :
لا نعرف هذه العلوم ! فتعجب وسكت .

... ودخل الشيخ الشبراوى عند الباشا
يحادثه ، فقال له الباشا : المسموع عندنا بالديار
الرومية أن مصر منبع الفضائل والعلوم ، وكنت
فى غاية الشوق الى المجيء اليها . فلما جئتها
وجدتها كما قيل «تسمع بالمعدي خير من أن تراه !»
فقال الشيخ : هى ، يا مولانا ، كما سمعتم :
معدن العلوم والمعارف .

فقال : وأين هى ... وأتم أعظم علمائها ؟ وقد
سألتكم عن مطلوبى من العلوم ، فلم أجد عندكم
منها شيئا . وغاية تحصيلكم الفقه والمعقول
والوسائل : وبذتم المقاصد .

فقال له الشيخ : نحن لسنا أعظم علمائها ،
وانما نحن المتصدرون لخدمتهم وقضاء حوائجهم
عند أرباب الدولة والحكام . وغالب أهل الأزهر
لا يشتغلون بشيء من العلوم الرياضية الا بقدر

الحاجة الموصلة الى علم الفرائض والموارث ،
كعلم الحساب والغبار .

فقال له (الباشا) : وعلم الوقت كذلك من
العلوم الشرعية ، بل هو من شروط صحة العبادة .
كالعلم بدخول الوقت ، واستقبال القبلة ، وأوقات
الصوم ، والأهلة ، وغير ذلك .

فقال (الشيخ) : نعم . معرفة ذلك من فروض
الكفاية ... اذا قام به البعض ، سقط عن الباقيين .
وهذه العلوم تحتاج الى لوازم وشروط وآلات
وصناعات وأمور ذوقية ، كركة الطبيعة ، وحسن
الوضع ، والخط والرسم والتشكيل ، والأمور
العطاردية ! وأهل الأزهر بخلاف ذلك ... غالبهم
فقراء وأخلاق مجتمعة من القرى والآفاق ، فيندر
فيهم القابلية لذلك .

فقال (الباشا) : وأين البعض !
فقال (الشيخ) : موجودون فى بيوتهم ...
يسعى اليهم .

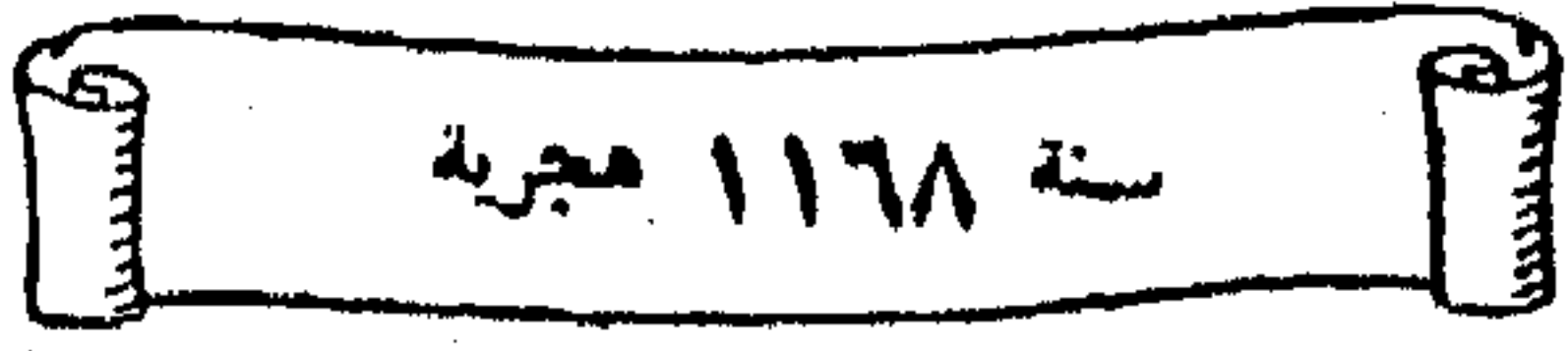
ثم أخبره عن الشيخ الوالد (أى الشيخ حسن
الجبرتى والد المؤلف) ، وعرفه عنه ، وأطنب فى
ذكره .

فقال : ألتس منكم ارساله عندي .
فقال : يا مولانا ، انه عظيم القدر ، وليس هو
تحت أمرى ...

فقال : وكيف الطريق الى حضوره ؟
قال : تكتبون له ارسالية مع بعض خواصكم ،
فلا يسعه الامتناع .

ففعل ذلك ، وطلع اليه ، ولبى دعوته ، وسر
برؤيته ، واغتبط به كثيرا . وكان يتردد اليه يومين
فى الجمعة ، هما السبت والأربعاء . وأدرك منه
مأمله بالبر والاكرام الزائد الكثير ، ولازم المطالعة
عليه مدة ولايته . وكان يقول : لو لم أغنم من مصر
الا اجتماعى بهذا الأستاذ .. لكفانى !

مترتنا عند هذا الباشا . فانه لولا وجودك كنا
جميعا عنده حيرا !
رحم الله الجميع .



(١٨ أكتوبر ١٧٥٤ — ٦ أكتوبر ١٧٥٥)

في هذه السنة أخذ أتباع ابراهيم كتحدا يدبرون
في اغتيال رضوان كتحدا ، وازالته ، وسعت فيهم
عقارب الفتن .

فتنبه رضوان كتحدا لذلك ، فاتفق مع أغراضه
وملك القلعة والأبواب والمحمودية وجامع السلطان
حسن . واجتمع اليه جمع كثير من أمرائه وغيرهم
ومن انضم اليهم ، وكاد يتم له الأمر . فسمى عبد
الرحمن كتحدا والاختيارية في اجراء الصلح ،
وطلع بعضهم الى رضوان كتحدا ، وقالوا له :
هؤلاء أولاد أخيك . وقد مات وتركهم في كنفك
مثل الأيتام ، وأنت أولى بهم من كل أحد ، وليس
من المروءة والرأى أن تناظرهم أو تخصمهم ، فأنك
صرت كبير القوم وهم في قبضتك أي وقت . فلا
تسمع كلام المنافقين .

فلم يزالوا به حتى انخدع لكلامهم وصدقهم
واعتقد نصيحهم ، لأنه كان سليم الصدر . ففرق
الجمع ونزل الى بيته الذي بقوصون . فاغتموا
عند ذلك الفرصة ، وبيتوا أمرهم ليلا ، وملكوا
القلعة والأبواب والجهات وهو في غفلته ، آمن في
بيته ، مطمئن من قبلهم ، ولا يدري ما خبيء له .
فلم يشعر الا وهم يضربون عليه بالمدافع ،
وكان المزين يحلق له رأسه ، فسقطت على داره
الجلل ، فأمر بالاستعداد ، وطلب من يركن اليهم ،
فلم يجد أحدا ، ووجدهم قد أخذوا حوله الطرق
والنواحي ، فحارب فيهم الى قريب الظهر
وخامر عليه أتباعه ، فضربه مملوكه صالح

ومما اتفق له — لما طالع « ربيع الدستور »
وأتقنه — طالع بعد « وسيلة الطلاب » في استخراج
الأعمال بالحساب ، وهو مؤلف دقيق للعلامة
المرديني . فكان الباشا يختل بنفسه ، ويستخرج
منه ما يستخرجه بالطرق الحسابية ، ثم يستخرجه
من « التجيب » ، فيجده مطابقا

فاتفق له عدم المطابقة في مسألة من المسائل ،
فاشتغل ذهنه وتحير فكره الى أن حضر اليه الأستاذ
في الميعاد ، فأطلعه على ذلك ، وعلى السبب في عدم
المطابقة ، فكشف له غلة ذلك بديها . فلما انجلي
وجهها على مرآة عقله ، كاد يطير فرحا ، وحلف أن
يقبل يده ، ثم أحضر له فروة من ملبوسه السمور ،
باعها المرحوم بثمانمائة دينار ، ثم اشتغل عليه برسم
المزاويل والمنحرفات حتى أتقنها ، ورسم على اسمه
عدة منحرفات ، على ألواح كبيرة من الرخام صناعة
وحفرا بالازميل ، كتابة ورسا ، وعمل له تاريخا
منظوما نقشه عليها ، وهو هذا :

مزولة متقنة نظيرها لا يوجد
راسمها حاسبها هذا الوزير الأمجد
تاريخها : أتقنها وزير مصر أحمد
٥٥٧ ٢٢٣ ٣٣٠ ٥٣

= ١١٦٣ هجرية (١)

ولصب واحدة من هذه المزاويل بالجامع الأزهر
في ركن الصحن على يسار الداخل ، وأخرى بسطح
جامع الامام الشافعي ، وأخرى بمشهد السادات
الوفائية ، وغير ذلك

وكان المرحوم الشيخ عبد الله الشبراوي كلما
تلاقى مع المرحوم الوالد يقول له : متروك الله كما

(١) كان هذا النوع من التاريخ بالنظم مألوفاً لدى أدباء ذلك
العصر . وأساسه أن لحروف الابجدية في حسابهم نظائر رقمية :
فالالف تناظر واحداً ، وهكذا حتى الياء من حروف « أبجد هوز
حطي » ، فتناظر الياء عشرة . والكاف تناظر مئتين ، وهكذا
حتى القاف من حروف « كلمن سفقص ق » ، فتناظر القاف مائة .
والراء تناظر مائتين ، وهكذا حتى الفين من حروف « رشت ثخذ
ضطغ » ، فتناظر العين ألفاً .

الصغير برصاصة من خلف الباب الموصل لبيت الراحة فأصابته في ساقه ، وهرب مملوكه الى الأخصام ، وكانوا وعدوه بامرية ان هو قتل سيده . فلما حضر اليهم وأخبرهم بما فعله ، أمر على بيك بقتله ، وقال : هذا خائن ، وليس فيه خير ! فشنفوا فيه ، وأمروا بنفيه .

ولما أصيب رضوان كتحدا طلب الخيول وركب في خاصته ، وخرج من نقب نقبه في ظهر البيت ، وتألم من الضربة لأنها كسرت عظم ساقه ، فسار الى جهة البساتين ، وهو لا يصدق بالنجاة . فلم يتبعه أحد ، ونهبوا داره . ثم ركب وسار الى جهة الصعيد ، فمات بشرق أولاد يحيى ، ودفن هناك ، فكانت مدته — بعد قسمه — قريبا من ستة أشهر .

ولما مات تفرقت صناعته وماليكه في البلاد ، وسافر بعضهم الى الحجاز من ناحية القصير ، ثم ذهبوا من الحجاز الى بغداد ، واستوطنوها ، وتناسلوا وماتوا ، وانقضت دولتهما فكانت مدتهما نحو سبع سنوات . . ومصر في تلك المدة هادئة من الفتن والشور ، والاقليم البحرى والقبلى آمن وأمان ، والأسعار رخيصة ، والأحوال مرضية ، واللحم الضانى المجروم من عظمه رطله بنصفين ، والجاموسى بنصف ، والسمن البقرى عشرته بأربعين نصف فضة ، والبن الحليب عشرته بأربعة أنصاف ، والرطل الصابون بخمسة أنصاف ، والسكر المنعاد كذلك ، والمكرر قنطاره بألف نصف ، والعسل القطر قنطاره بمائة وعشرين نصفاً وأقل ، والرطل البن القهوة باثنى عشر نصفاً ، والتمر يجلب من الصعيد فى المراكب الكبار ويصب على ساحل بولاق مثل عرم الغلال ، ويباع بالكيل والأردب . والأرز أردبه بأربعمئة نصف ، والعسل النحل قنطاره بخمسائة نصف ، وشمع العسل رطله بخمسة وعشرين نصفاً ، وشمع الدهن بأربعة

أنصاف ، والفحم قنطاره بأربعين نصفاً ، والبصل قنطاره بسبعة أنصاف . وقس على ذلك . وقد أدركت بقايا تلك الأيام ، وذلك أن مولدى كان فى سنة ١١٦٧ (١٧٥٣ — ١٧٥٤ ميلادية) . ولما صرت فى سن التمييز رأيت الأشياء على ما ذكر الا قليلا . وكنت أسمع الناس يقولون : الشيء القلانى زاد سعره عما كان فى سنة كذا ، وذلك فى مبادئ دولة ابراهيم كتحدا وحدث الاختلال فى الأمور .

وكانت مصر اذ ذاك محاسنها باهرة ، وفضائلها ظاهرة ، ولأعدائها قاهرة . . يعيش رغدا بها الفقير ، وتتسع للجليل والحقير .

وكان لأهل مصر سنن وطرائق فى مكارم الأخلاق لا توجد فى غيرها . منها أن فى كل بيت من بيوت جميع الأعيان مطبخين : أحدهما أسفل رجالى ، والثانى فى الحريم . فيوضع فى بيوت الأعيان السماط فى وقتى العشاء والغداء مستطيلا فى المكان الخارج ، مبذولا للناس ، ويجلس بصدرة أمير المجلس وحوله الضيفان ، ومن دونهم ماليكه وأتباعه . ويقف الفراشون فى وسطه يفرقون على الجالسين ، ويقربون اليهم ما بعد عنهم من القلايا والمحمرات . ولا يمنعون فى وقت الطعام من يريد الدخول أصلا ، ويرون أن ذلك من المعاييب ، حتى أن بعض ذوى الحاجات عند الأمراء اذا حجبهم الخدام انتظروا وقت الطعام ودخلوا فلا يمنهم الخدم فى ذلك الوقت . فيدخل صاحب الحاجة ، ويأكل ، وينال غرضه من مخاطبة الأمير لأنه اذا نظر على سماطه شخصا لم يكن رآه قبل ذلك ، ولم يذهب بعد الطعام ، عرف ان له حاجة فيطلبه ويسأله عن حاجته ، فيقضيها له . وان كان محتاجا واساه بشىء .

ولهم عادات وصدقات فى أيام المواسم ، مثل أيام أول رجب ، والمعراج ، ونصف شعبان ، وليالى

رمضان ، والأعياد ، وعاشوراء ، والمولد الشريف ..
يطبخون فيها الأرز باللبن والزردة ، ويملاون من
ذلك قصاعا كثيرة ويفرقون منها على من يعرفونه
من المحتاجين .

ولهم غير ذلك صدقات وصلات لمن يلوذ بهم
ويعرفون منه الاحتياج ، وذلك خلاف ما يعمل
ويفرق من الكعك المحشو بالسكر والعجينة ،
والشرك .. على المدافن والتراب في الجمع والمواسم
وكذلك أهل القرى والأرياف فيهم من مكارم
الأخلاق ما لا يوجد في غيرهم من أهل قرى
الأقاليم . فان أقل من فيهم اذا نزل به ضيف — ولو
لم يعرفه — اجتهد وبادر بقراه في الحال ، وبذل
وسعه في اكرامه ، وذبح له ذبيحة في العشاء ، وذلك
ما عدا مشايخ البلاد والمشاهير والمقادم .. فان لهم
مضيف واستعدادات للضيوف ومن ينزل عليهم من
السفار والأجناب ، ولهم مساميح وأطيان في نظير
ذلك خلفا عن سلف

سنة ١١٧١ هـ

رجب

(مارس ١٧٥٧ م) :

استمر مصطفى باشا في ولاية مصر الى هذا
التاريخ

وفي تلك السنة نزل مطر كثير سالت منه السيول
واعقبه الطاعون المسمى « بقارب شيخه الذي أخذ
المليح والمليحة » ، مات به الكثير من الناس
المعروفين وغيرهم ما لا يحصى .

ومات في تلك السنة الحاج أحمد بن محمد
الشرابي ، وكان من أعيان التجار المشتهرين
كأسلافه ، وبنيته المشهور بالازبكية ، بيت المجد
والفخر والعز ، ومماليكهم وأولاد مماليكهم من
أعيان مصر .

ومنهم يوسف بك الشرايبي ، وكان في غاية
الغنى والرفاهية والنظام ومكارم الأخلاق ،
والاحسان للخاص والعام ، ويتردد الى منزلهم
العلماء والفضلاء ، ومجالسهم مشحونة بكتب العلم
النفيسة : للاعارة والتغير ، وانتفاع الطلبة ، ولا
يكتبون عليها وقفية ، ولا يدخلونها في موارثهم ،
ويرغبون فيها ، ويشترونها بأعلى ثمن ، ويضعونها
على الرفوف والخزائن والخزائنات ، وفي مجالسهم
جميعا ، فكل من دخل الى بيتهم من أهل العلم الى
أى مكان يقصد الاعارة (يعنى الاستعارة) أو
المراجعة وجد بغيته ومطلوبه في أى علم كان من
العلوم ، ولو لم يكن الطالب معروفا ولا يمنعون
من يأخذ الكتاب بتمامه : فان رده في مكانه رده ،
وان لم يرده واخص به أو باعه لا يسأل عنه .
وربما يبيع الكتاب عليهم واشتروه مرارا
ويعتدرون عن الجاني بضرورة الاحتياج
وخبزهم وطعامهم مشهور بغاية الجودة والاتقان
والكثرة . وهو مبذول للقاصي والداني ، مع السعة
والاستعداد .

ومن أوضاعهم وطرائفهم أنهم لا يتزوجون الا
من بعضهم البعض ، ولا تخرج من بيتهم امرأة الا
للمقبرة !

فاذا عملوا عرسا أولموا الولائم ، وأطعموا الفقراء
والقراء على نسق اعتادوه . وتنزل العروس من
حريم أبيها الى مكان زوجها بالنساء الخالص والمغانى
والچنك (الراقصات) ، ترفها ليلا بالشموع ...
وباب البيت مغلق عليهن ، وذلك عندما يكون
الرجال في صلاة العشاء بالمسجد الأزبكي المقابل
لسكنهم

وبيتهم يشتمل على اثني عشر مسكنا ، كل
مسكن بيت متسع على حدته .

وكان الأمراء بمصر يترددون اليهم كثيرا من غير
سبق دعوة . وكان رضوان كتحدا يتفصح عند

الحاج أحمد الشرايبي في كثير من الأوقات ، مع الكمال والاحتشام ، ولا يصحبه في ذلك المجلس الا اللطفاء من ندمائه .

واذا قصده الشعراء بمدح لا يأتونه في الغالب الا في مجلسه لينالوا فضيلتين ، ويحرزوا جائزتين !

وكان من سنتهم أنهم يجعلون عليهم كبيرا منهم ، وتحت يده الكاتب والمستوفي والجابي ، فيجمع لديه جميع الايراد من الالتزام والعقار والجامكية ، ويسدد الميرى ، ويصرف لكل انسان راتبه على قدر حاله وقانون استحقاقه ، وكذلك لوازم الكساوى للرجال والنساء في الشتاء والصيف ، ومصروف الجيب في كل شهر . وعند تمام السنة يعمل الحساب ، ويجمع ما فضل عنده من المال ، ويقسمه على كل فرد بقدر استحقاقه وطبقته .

واستمروا على هذا الرسم والترتيب مدة مديدة ، فلما مات كبارهم وقع بينهم الاختلاف ، واقتسموا الايراد ، واختص كل فرد منهم بنصيبه يفعل به ما يشتهى ، وتفرق الجمع ، وقلت البركة ، وانعزل المحبون ، وصار « كل حزب بما لديهم فرحون » .

ومات في تلك السنة أيضا الرجل الفاضل النبيه ، الذكى المتفنن ، المتقن الفريد ، الأسطى ابراهيم السكاكينى .

كان انسانا حسنا عطارديا ، يصنع السيوف والسكاكين ، ويجيد سقيها وجلاءها ، ويصنع قراباتها ، ويسقطها بالذهب والفضة . ويصنع المقاشط الجيدة الصناعة والسقى والتطعيم ، والبركارات للصناعة ، وأقلام الجدول الدقيقة الصناعة المخزمة ، وغير ذلك .

وكان يكتب الخط الحسن الدقيق بطريقة

متسقة معروفة من دون الخطوط ، لاتخفى . وكتب بخطه ذلك كثيرا مثل مقامات الحريري وكتب أدبية ورسائل في الرياضيات والرسميات وغير ذلك .

وبالجملة فقد كان فريدا في ذاته وصفاته وصناعته ، لم يخلف بعده مثله ..

وكان حانوته تجاء جامع المردانى ، بالقرب من درب الصباغ .

سنة ١١٧٢ هجرية

(٤ سبتمبر ١٧٥٨ — ٢٤ أغسطس ١٧٥٩)

أخذ الطاعون ينقر في تلك السنة . وكان قوة عمله في رجب وشعبان .

وولد للسلطان مصطفى مولود في تلك السنة ، وورد الأمر بالزينة في تلك الأيام ، فكانت أبرد من يخ (١) . وهذا المولود هو السلطان سليم المتولى الآن (أى زمن الجيرتى) .

ولما قتل حسين بيك القازدغلى ، المعروف بالصابونجى ، وتعين في الرياسة بعده على بيك الكبير ، أحضر خشداشينه المنفيين واستقر أمرهم .

سنة ١١٧٣ هجرية

(٢٥ أغسطس ١٧٥٩ — ١٢ أغسطس ١٧٦٠)

تقلد على بك الكبير امارة الحج فبيت مع سليمان بيك الشابورى وحسن كتحدا الشعراوى وخليل جاويش حيضان مصلى ، وأحمد جاويش المجنون ، واتفق معهم على قتل عبد الرحمن كتحدا في غيبته ، وأقام عوضه في مشيخة البلد خليل بيك الدفتردار . فلما سافر استشعر عبد الرحمن كتحدا بذلك فشرع في نفي الجماعة المذكورين ، فأغرى

(١) هو خليط الثلج المجروش بالملح . ومن اقوالهم : « شيان مثل يخ : شيخ يتصابى ، وصيى يتمشىخ » .

بهم على بيك بلوط قبن ... فنفى خليل جاويش
حيضان مصلى واحمد جاويش الى الحجاز من
طريق السويس على البحر ، ونفى حسن كتحدا
الشعراوى وسليمان بيك الشابورى — مملوك
خشداشه — الى فارسكور .

فلما وصل على بيك ، وهو راجع بالحج الى
العقبة ، وصل اليه الخبر .. فكتب ذلك ، وأمر
بعمل شنك يوهم من معه بأن الهجان أتاه بخبر
سار . ولم يزل سائرا الى أن وصل الى قلعة
نخل ، فأنجاز الى القلعة ، وجمع الدويدار وكتخدا
الحج والسدادرة ، وسلمهم الحجاج والمحمل ،
وركب فى خاصته وسار الى غزة .. وسار الحجاج
من غير أمير الى أن وصلوا الى أجروود ، فأقبل عليهم
حسين بيك كشكش ومن معه يريد قتل على بيك ،
فلم يجده فحضر بالحجاج ، ودخل بالمحمل الى مصر ،
واستمر على بيك بغزة نحو ثلاثة أشهر وأكثر ،
وكتب الدولة بواسطة باشا الشام فأرسلوا اليه
واحد أغا ، ووعدوه ومنوه وتحيلوا عليه حتى
استصفوا ما معه من المال والأقمشة وغير ذلك .

ثم حضر الى مصر بسعاية نسيبه على كتحدا
الخربلى وأغراضه . ومات بعد وصوله الى مصر
بثمانية أيام . يقال ان بعض خشداشيين شغله بالسهم
حين كان يطوف عليهم للسلام .

وفى تلك السنة حضر مصطفى باشا واليا على
مصر ونزل الى القبة متوجها الى جدة فأقام هناك .

سنة ١١٧٤ هجرية

(١٣ اغسطس ١٧٦٠ — ١ اغسطس ١٧٦١)

استمر مصطفى باشا واليا الى آخر هذه السنة .
وحضر فى آخرها أيضا أحمد باشا كامل المعروف
بصبطلان ، وكان ذا شهامة وقوة مراس ، فدقق

فى الأحكام ، وصار يركب وينزل ويكشف على
الأنبار والغلال ، فتعصب عليه الأمراء ، وأصعدوا
مصطفى باشا المعزول ، وعرضوا فى شأنه الى الدولة
.. وسافر بالعرض الشيخ عبد الباسط السنديونى ،
ووجه مصطفى باشا خازنداره الى جدة وكيلا عنه .
ولما وصل العرض الى الدولة — وكان الوزير
اذ ذاك محمد باشا راغب — فوجهوا أحمد باشا
المنفصل الى ولاية قنذية ومصطفى باشا الى حلب ،
ووجهوا باكير باشا والى حلب الى مصر ، وأقام
نحو شهرين ومات ، ودفن بالقرافة .

وتقلد فى امارة الحج حسين بيك كشكش ، وقد
وقف له العرب فى مضيق ، وحضر اليه كبارهم ،
وطلبوا مطالبهم وعوائدهم ، فأحضر كاتبه الشيخ
خليل كاتب الصرة والصراف وأمرهم بدفع
مطلوبات العرب ، فذهبوا معه الى خيمته وأحضر
المال وشرع الصراف يعد لهم الدراهم ،
فضرب عند ذلك مدفع الشيل . فقال
لهم حينئذ : « لا يمكن فى هذا الوقت فاصبروا
حتى ينزل الحج فى المحطة يحصل المطلوب » .

وسار الحج حتى خرج من ذلك المضيق الى
الوسع ، ورتب مماليكه وطوائفه ، وحضر العرب
— وفيهم كبيرهم هزاع — فأمر بقتلهم ، فنزلوا
عليهم بالسيوف فقتلوه عن آخرهم ، وفيهم نيف
وعشرون كبيرا من مشايخ العربان المشهورين خلاف
هزاع المذكور . وأمر بالرحيل وضربوا المدفع
وسار الحج ، وتفرق قبائل العرب ونساؤهم
يصرخون بطلب الثأر ... فتجمعت القبائل من كل
جهة ، ووقفوا بطريق الحجاج وفى المضائق ، وهو
يسوق عليهم من أمام الحج وخلفه ، ويحاربهم
ويقاتلهم بمماليكه وطوائفه حتى وصل الى مصر
بالحج سالما ، ومعه رؤوس العربان محملة على
الجمال ، ودخل المدينة بالمحمل والحجاج
منصورا مؤيدا .

مهما عظيما احتفل به للغاية ببركة الفيل — وكان ذلك في أيام النيل — فعملوا على معظم البركة أخشابا مركبة على وجه الماء يمشى عليها الناس للفرجة، واجتمع بها أرباب الملاهي والملاعب وبهلوان الحبل وغيره من سائر الأصناف والفرج والمتفرجون والبياعون من سائر الأصناف والأنواع . وعلقوا القناديل والوقدات على جميع البيوت المحيطة بالبركة — وغالبها سكن الأمراء والأعيان ، أكثرهم خشداشين بعضهم البعض ومماليك ابراهيم كنخدا أبي العروس — وفي كل بيت منهم ولائم وعزائم وضيافات وسماعات وآلات وجمعيات . واستمر هذا الفرح والمهم مدة شهر كامل ، والبلد مفتحة ، والناس تغدو وتروح ليلا ونهارا للحظ والفرجة من جميع النواحي .

ووردت على على بيك الهدايا والصلوات من اخوانه الأمراء والأعيان الاختيارية والوجاقلية والتجار والمباشرين والأقباط والافرنج والأروام واليهود ، والمدينة عامرة بالخير ، والناس مطمئنة ، والمكاسب كثيرة ، والأسعار رضية ، والقرى عامرة . وحضرت مشايخ البلدان ، وأكابر العربان ، ومقدام الأقاليم والبنادر بالهدايا والأغنام والجواميس والسمن والعسل ، وكل من الأمراء الابراهيمية كأنه صاحب الفرح ، والمشار اليه من بينهم صاحب الفرح : على بيك .

وبعد تمام الشهر زفت العروس في موكب عظيم شقوا به من وسط المدينة بأنواع الملاعب والبهلوانات والچنك والطبول ومعظم الأعيان والجاويفية والملازمين والسعاة والأغوات أمام الحريمات ، وعليهم الخلع والتخاليق المشنة ، وكذلك المهاترة والطبالون ، وغيرهم من المقدمين والخدم والجاويفية والركبدارية والعروس في عربة .

وكان الخازندار لعلى بيك في ذلك الوقت محمد

فاجتمع عليه الأمراء من خشداشينه وغيرهم وقال له على بيك بلوط قبن : « انك أفسدت علينا العرب ، وأخربت طريق الحج ، ومن يطلع بالحج في العام القابل بعد هذه الفعلة التي فعلتها ؟ » . فقال : « أنا الذي أسافر بالحج في العام القابل ومنى للعرب أصطفل » . فطلع أيضا في السنة الثانية ، وتجمع عليه العرب ، ووقفوا في كل طريق ومضيق وعلى رؤوس الجبال ، واستعدوا له بما استطاعوا من الكثرة من كل جهة ... فصادمهم وقتلهم وحاربهم ، وصار يكر ويفر ، ويحلق عليهم من أمام الحج ومن خلفه حتى شردهم وأخافهم وقتل منهم الكثير . ولم يبال بكثرتهم مع ما هو فيه من القلة ، فانه لم يكن معه الا نحو الثلاثمائة مملوك خلاف الطوائف والأجناد وعسكر المغاربة . وكان يبرز لحربهم حاسرا رأسه مشهورا حسامه ، فيشتت شملهم ويفرق جمعهم ، فهابوه وانكمشوا عن ملاقاته ، وانكفوا عن الحج ... فلم تقم للعرب معه بعد ذلك قائمة ، فحج أربع مرات أميرا بالحج آخرها سنة ست وسبعين ومائة وألف (١٧٦٢ م) . ورجع سنة سبع وسبعين ومائة ألف (١٧٦٣ م) . ولم يتعرض له أحد من العرب ذهابا وإيابا بعد ذلك .

وكذلك أخاف العربان الكائنين حوالى مصر ويقطعون الطريق على المسافرين والفلاحين ويسلبون الناس ، فكان يخرج اليهم على حين غفلة فيقتلهم ، وينهب مواشيهم ، ويرجع بغنائمهم ورؤوسهم في أشناف (١) على الجمال ... فارتدعوا وانكفوا عن أفاعيلهم ، وأمنت السبل وشاع ذكره بذلك .

وفي هذه المدة ظهر شأن على بيك بلوط قبن ، واستفحل أمره ، وقلد اسماعيل بيك الصنجقية وجعله اشراقه ، وزوجه هانم بنت سيده وعمل لها

(١) جمع « شنفة » وهى شبكة مصنوعة من جبال غليظة تحمل فيها الاشياء على الجمال .

معهم حسن كتحدا الشعراوى أيضا « فكتبوه وأخرجوا فرمانا بذلك ونفوههم . واستمروا في نفيهم وعمل أحمد جاويز وقادا بالحرم المدنى ، و خليل جاويز أقام أيضا بالمدينة ، والشابورى وحسن كتحدا جهة فارسكور والسرو ورأس الخليج . وأخذ على بيك بمهد لنفسه ، واستكثر من شراء الممالك ، وشرع في مصادرة الناس ، ويتحيل على أخذ الأموال من أرباب البيوت المدخرة والأعيان المستورين مع الملاطفة ، وادخال الوهم على البعض بمثل النفى والتعرض الى الفائز . ببعض المقتضيات ونحو ذلك .

جمادى الأولى

في ١٩ منه (٢٧ ديسمبر ١٧٦٠ م) : هبت ريح عظيمة شديدة نكباء غربية غرق منها بالأسكندرية ثلاثة وثلاثون مركبا في مرسى المسلمين وثلاثة مراكب في مرسى النصارى ، وضجت الناس ، وهاج البحر هياجا شديدا ، وتلف بالنيل بعض مراكب ، وسقطت عدة أشجار .

سنة ١١٧٧ هجرية

(١٢ يولييه ١٧٦٣ - ٣٠ يونيه ١٧٦٤)

طلع على بيك أميرا بالحج . فيها تمكن على بيك من استلام مشيخة البلد في القاهرة (١) .

سنة ١١٧٨ هجرية

(١ يولييه ١٧٦٤ - ١٩ يونيه ١٧٦٥)

رجع على بيك بالحج في أوائل هذه السنة في أبهة عظيمة ، وأرخصى مملوكه محمد الخازندار لحيته على زمزم . فلما رجع قلده الصنحية

(١) نقلنا هذا الخبر من الترفيقات الإلهامية .

بيك أبو الذهب ماشى بجانب العربى وفي يده عكاز ، ومن خلفها أولاد خزنات الأمراء ، ملبسين بالزرد والخرد ، واللثامات الكشميرى ، مقلدين بالقسى والشباب ، وبأيديهم المزاريق الطوال ، وخلف الجميع النوبة التركية والنفيرات .

فمن ذلك الوقت اشتهر أمر على بيك ، وشاع ذكره ، ولما صيته ، وقلد أيضا مملوكه على بيك المعروف بالسروجية . ولما كان عبد الرحمن كتحدا ابن سيدهم ومركز دائرة دولتهم ، انضوى الى ممالأته ومال هو الآخر الى صداقته ، ليقوى به على أرباب الرياسة من اختيارية الوجاقات ، وكل منهما يريد تمام الأمر لنفسه حتى أن عبد الرحمن كتحدا لما أراد نفى الجماعة المتقدم ذكرهم بيت مع بعض المتكلمين وصوروا على أحمد جاويز المجنون ما يقتضى نفيه . ثم عرضوا ذلك على عبد الرحمن كتحدا فمانع في ذلك ، وأظهر الغيظ ، وأصبح في ثانى يوم اجتمع عنده الاختيارية والصناجق على عادتهم ، فلما تكامل حضور الجميع تكلم عبد الرحمن كتحدا فقال : « ان على بيك سافر الى الحجاز ولا بد من كبير تجتمع فيه الكلمة » ، فقال له : « الراى ماتراه » . فقال على بيك : « هذا يكون شيخ البلد وكبيرها ، وأنا أول من أطاعه وآخر من عصاه » . فقالوا « سمعنا وأطعنا ونحن كذلك » .

وأصبح عبد الرحمن كتحدا غاديا الى بيت على بيك ، وكذلك باقى الأمراء والاختيارية . وصار الجميع والديوان فى بيته من ذلك اليوم ، وليس الخلعة من الباشا على ذلك .

ثم انهم طلوعوا أيضا فى ثانى يوم الى الديوان ، واجتمعوا بباب الينكجيرية ، وكتبوا عرضحال بنفى أحمد جاويز و خليل جاويز وسليمان بيك الشابورى . فقال عبد الرحمن كتحدا : « واكتبوا

ورتب له على بيك مابصره ، وجعل له فائظا في كل سنة عشرة أكياس ، فأقام برشيد مدة ، حتى حضرت أخبار وصول الباشا الجديد .

سنة ١١٧٩ هجرية

(٢٠ يونيو ١٧٦٥ - ٨ يونيو ١٧٦٦)

حضر حمزة باشا الى ثغر الاسكندرية ، فأرسلوا الى صالح بيك جماعة يعيونه من رشيد ويذهبون به الى دمياط يقيم بها ، وذلك لئلا يجتمع بالباشا فلما وصلت اليه الأخبار بذلك ركب بجماعته ليلا ، وسار الى جهة البحيرة ، وذهب من خلف جبل الفيوم الى جهة قبلى فوصل الى مسة ابن حصيب ، فأقام بها ، واجتمع عليه أناس كثيرة من الذين شردهم على بيك ونفاهم في البلاد ، وبنى له أبنية ومتاريس . وكان له معرفة وصداقة مع شيخ العرب همام وأكابر الهوارة وأكثر البلاد الجارية في التزامه جهة قبلى ، واجتمع عليه الكثير منهم ، وقدموا له التقدام والذخيرة وما يحتاج اليه ولما حضر حمزة باشا الى مصر طلع القلعة فعرضوا له أمر صالح بيك ، وأنه قاطع الطريق ومانع وصول الغلال والميرى ، وأخذوا فرماا بالتجريد عليه وتقلد حسين بيك كشكش حاكم جرجا وأمير التجريدة (١) ، وشرعوا في التشهيل والخروج . فسافر حسين بيك كشكش ، وصحبته محمد بيك أبو الذهب وحسن بيك الأزيكاوى ، فالتظموا مع صالح بيك لطمة صغيرة ، ثم توجه وعدى الى شرق أولاد يحيى ، وكان حسين بيك شبكه - مملوك حسين بيك كشكش - نفاه على بيك الى قبلى ، فلما ذهب

(١) استصدر على بيك امرا من الباشا بالتجريد على صالح بيك بحجة انه قاطع الطريق ومانع وصول الغلال والميرى ثم عهد برياسة التجريدة الى حسين بيك كشكش ومساعدته محمد بيك ابي الذهب وحسن بيك الأزيكاوى ، وكان غرضه من ذلك بدر الشقاق بين حسين بيك وصالح بيك .

(رفعت رمضان - على بيك الكبير من ٢٦)

— وهو الذى عرف بأبى الذهب — ثم قلد مملوكه أيوب أغا ورضوان قرابته وابراهيم شلاق بلفيه وذا الفقار وعلى بيك الحبشى صناجق أيضا .

وانقضت تلك السنة وأمر على بيك يتزايد ، وشهلوا أمور الحج على العادة ، وقبضوا الميرى ، وصرفوا العلوفات والجامكية والصرة وغلل الحرمين والأنبار . وخرج المحمل على القانون المعتاد ، وأميره حسن بيك رضوان .

ولما رجعوا من البركة بعد ارتحال الحج ، طلع على بيك وخشداشينه وأغراضه ، وملكوا أبواب القلعة ، وكتبوا فرماا ، وأخرجوا عبد الرحمن كتخدا (١) وعلى كتخدا الخربطلى وعمر جاويش الداودية ورضوان جرجى الرزاز وغيرهم منفين فأما عبد الرحمن كتخدا فأرسلوه الى السويس ليذهب الى الحجاز ، وعينوا للذهاب معه صالح بيك ليوصله الى السويس ، ونفوا باقى الجماعة الى جهة بحرى .

وارتجت مصر فى ذلك اليوم ، وخصوصا لخروج عبد الرحمن كتخدا ، فانه كان أعظم الجميع وكبيرهم وابن سيدهم ، وله الصولة والكلمة والشهرة ، وبه ارتفع قدر الينكجيرية على العزب ، وكان له عزوة كبيرة وممالك وأتباع وعساكر مغاربة وغيرهم ، حتى ظن الناس وقوع فتنة عظيمة فى ذلك اليوم ، فلم يحصل شئ من ذلك سوى ما نزل بالناس من البهتة والتعجب ثم أرسل الى صالح بيك فرماا بنفيه الى غزة فوصل اليه الجاويش فى اليوم الذى نزل فيه عبد الرحمن كتخدا فى المركب وسافر ، وذهب صالح بيك الى غزة فأقام بها مدة قليلة ، ثم أرسلوا له جماعة ونقلوه من غزة وحضروا به الى ناحية بحرى وأجلسوه برشيد ،

(١) كان أكبر مناس على بيك ، واشتد مساعد على بيك بعد نفى عبد الرحمن كتخدا وانصاره ، فأخذ يثير الفتن ويفرى البعض على البعض الآخر حتى أضعف شوكة الأنبياء .

صالح بيك الى قبلى ، انضم اليه وركب معه . فلما توجه حسين بيك بالتجريدة وعدى صالح بيك شرق أولاد يحيى (١) انفصل عنه وحضر الى سيده حسين بيك ، وانضم اليه كما كان .

ورجع محمد بيك وحسن بيك الى مصر وتخلف حسين بيك عن الحضور يريد الذهاب الى منصبه بجرجا ، وأقام في المنيا . فأرسل اليه على بيك فرمانا بنفيه الى جهة عينها له ، فلم يمثل لذلك ، وركب في مماليكه وأتباعه وأمرائه وحضر الى مصر ليلا فوجد الباب الموصل لجهة قناطر السباع مغلوقا ، فطرقه فلم يفتحوه فكسره ودخل وذهب الى بيته . وبقي الأمر بينهم على المسالمة أياما ، فأراد على بيك أن يشغله بالسم بيد عبد الله الحكيم ، وقد كان طلب منه معجونا للباءة ، فوضع له السم في المعجون ، وأحضره له ، فأمره أن يأكل منه أولا فتلكأ واعتذر فأمر بقتله . وكان عبد الله الحكيم هذا نصرانيا روميا يلبس على رأسه قلب سمور . وكان وجيها ، جميل الصورة ، فصيحاً متكلماً يعرف التركية والعربية والرومية والطيانية .

وعلم حسين بيك أنها من غريمه على بيك ، فتأكدت بينهما الوحشة ، وأضر كل منهما لصاحبه سوء . وتوافق على بيك مع جماعته على غدر حسين بيك أو اخراجه فواقوه ظاهرا . واشتغل حسين بيك على اخراج على بيك ، وعصب خشداشينه وغيرهم ، وركبوا عليه المدافع ... فكرتك في بيته وانتظر حضور المتوافقين معه ، فلم يأت منهم أحد وتحقق تفاقهم عليه ، فعند ذلك أرسل اليهم يسألهم عن مرادهم فحضر اليه منهم من يأمره بالركوب والسفر . فركب وأخرجوه منفيا الى الشام ومعه مماليكه وأتباعه ، وذلك في أواخر شهر رمضان سنة ١١٧٩ ، وأقام بالعادية ثلاثة أيام حتى عملوا

(١) أولاد يحيى قرية من نوى جرجا في شرق النيل كانت مصرية ذات مساجد ونخيل (حطط على مبارك ١٠٥ ص ١١٠)

حسابه وحساب أتباعه ، وهم مخيطون بهم من كل جهة بالعسكر والمدافع حتى فرغوا من الحساب ، واستخلصوا مابقي على طرفهم ثم سافروا الى جهة غزرة .

وكانت العادة فيمن ينفي من أمراء مصر أنه اذا خرج الى خارج فعلوا معه ذلك ، ولا يذهب حتى يوفي جميع مايتأخر بدمته من ميرى وخلافه . وان لم يكن معه مايوفي ذلك باع أثاث داره ومتاعه وخيوله ولا يذهب الا خالص الذمة .

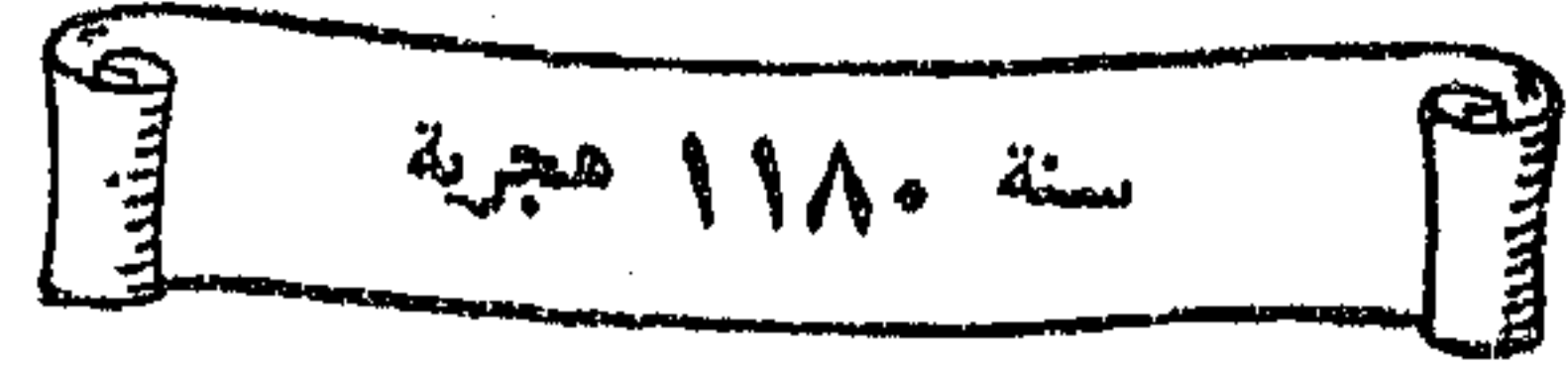
وسافر صحبة على بيك أمراؤه ، وهم : محمد بيك وأيوب بيك ورضوان بيك وذو الفقار بيك وعبد الله أغا الوالى وأحمد جاويش وسليمان جاويش وغيطاس كتخدا وباقي أتباعه .

واستقر خليل بيك كبير البلد مع قسيمه حسين بيك كشكش وباقي جماعتهم وحسن بيك جوجو ، وعزلوا عبد الرحمن أغا ، وقلدوا قاسم أغا الوالى أغات مستحفظان . وورد الخبر من الجهة القبلية بأن صالح بيك رجع من شرق أولاد يحيى الى المنيا واستقر فيها وحصنها . فعند ذلك شرعوا في تشهيل تجريدة وبرزوا الى جهة البساتين .

وفي تلك الأيام رجع على بيك ومن معه على حين غفلة ، ودخل الى مصر فنزل بيت حسين بيك كشكش ، ومحمد بيك نزل عند عثمان بيك الجرجاوى ، وأيوب بيك دخل منزل ابراهيم أغا الساعى ... فاجتمع الأمراء بالآثار ، وعملوا مشورة في ذلك ، فاقضى الرأى بأن يرسلوه الى جدة ، وقال بعضهم : « اسمعوا نصحى واقتلوه وارتاحوا منه فانه ان دام حيا أنعبكم ولا يبقى منكم أحدا » . فقالوا : « لا يصح ! انه أخونا ودخل الى بيوتنا » فأرسلوا له بذلك . وقال : « لا أخرج من بيت سيدى الا أن يكون جهة بحرى » . فاجتمع الرأى بأن يعطوه النوسات (١) ويذهب اليها ... ففرض بذلك

(١) تسمى نوسا القبط (تامة) مركز أجا بديرية الدقهلية)

وذهب الى النوسات وأقام بها . وأرسلوا محمد بيك وأيوب بيك ورضوان بيك الى قبلى بناحية أسيوط وجهاتها . وكان هناك خليل بيك الأسيوطى فانضموا اليه وصادقوه . وسفروا التجريدة الى صالح بيك فهزمت ، فأرسلوا له تجريدة أخرى — وأميرها حسن بيك جوجو ، وكان منافقا — فلم يقع بينهم الا بعض مناوشات ورجعوا أيضا كأنهم مهزومون ، وأرسلوا له ثالث ركة فكانت الحرب بينهم سجالا ، ورجعوا كذلك بعد أن اضطلعوا مع صالح بيك على أن يذهب الى جرجا .



جمادى الأولى

(أكتوبر ١٧٦٦ م) :

كان الصلح مع صالح بيك على أن يذهب الى جرجا ويأخذ مايكفيه هو ومن معه ويمكث بها ويقوم بدفع المال والغلال .

شعبان

في ٢ منه (٣ يناير ١٧٦٧ م) :

اتهموا حسن بيك الأزيكاوى أنه يرسل على بيك وعلى بيك يرأسله ، فقتلوه في ذلك اليوم بقصر العينى ، ورسموا بنفى خشداشيه وهم : حسن بيك أبو كرش ومحمد بيك الماوردي وسليمان أغا كتحدا الجاويشيه سيد الثلاثة — وهو زوج أم عبد الرحمن كتحدا ، وكان مقيما بمصر القديمة ، وقد صار مسنا — فسفروهم الى جهة بحرى ، وتخليلوا من اقامة على بيك بالنوسات ، فأرسلوا له خليل بيك السكران فأخذه وذهب به الى السويس ليسافر الى جدة من القازم ، وأحضر له المركب لينزله فيها .

شوال

في ٢ منه (٣ مارس ١٧٦٧ م) :

ركب الأمراء الى قراميدان ليهنئوا الباشا بالعيد ، وكان معتاد الرسوم القديمة أن كبار الأمراء يركبون بعد الفجر من يوم العيد — وكذلك أرباب العكاكيز — فيطلعون الى القلعة ، ويمشون أمام الباشا من باب السراية الى جامع الناصر بن قلاوون فيصلون صلاة العيد ، ويرجعون كذلك ، ثم يقبلون أتكه ويهنئونه وينزلون الى بيوتهم فيهنئ بعضهم بعضا على رسمهم واصطلاحهم . وينزل الباشا في ثاني يوم الى الكشك بقراميدان ، وقد هيئت مجالسه بالفرش والمساند والستور ، واستعد فراشو الباشا بالتطلى والقهوة والشربات والقماقم والمباخر . ورتبوا جميع الاحتياجات واللوازم من الليل ، واصطفت الخدم والجاويشية والسعاة والملازمون ، وجلس الباشا بذلك الكشك ، وحضرت أرباب العكاكيز والخدم قبل كل أحد . ثم يأتى الدفتردار وأمير الحج والأمراء الصناجق والاختيارية وكتخدا الينكجيرية والعزب وأصحاب الوقت والمقادم والأودة باشية واليقات والجربجية فيهنئون الباشا ويعيدون عليه على قدر مراتبهم بالقانون والترتيب ثم ينصرفون . فلما حضروا في ذلك اليوم المذكور ، وهنأ الأمراء الصناجق الباشا ، وخرجوا الى دهليز القصر يريدون النزول .. وقف لهم جماعة ، وسحبوا السلاح عليهم ، وضربوا عليهم بنادق ، فأصيب عثمان بيك الجرجاوى بسيف في وجهه ، وحسين بيك كشكش أصيب برصاصة نفذت من شقه . وسحب الآخرون سلاحهم وسيوفهم ، واحتاط بهم مماليكهم ، ونظ أكثرهم من حائط البستان ونفذوا من الجهة الأخرى ، وركبوا خيولهم وهم لا يصدقون بالنجاة ، وأركبوا عثمان بيك حصانه وهو يقول :

(باب العزب ! باب العزب ! » وقد قطع السيف وجهه وحنكه . وذهبوا به الى باب العزب وأنزلوه فمكث هنيهة ومات ، فشالوه الى بيته وغسلوه وكفنوه وخرجوا بجنائزه ودفنوه . وانجرح أيضا اسماعيل بيك أبو مدفع ومحمود بيك وقاسم أغا ، ولكن لم يست منهم الا عثمان بيك وباتوا على ذلك .

فلما أصبحوا اجتمعوا وطلعوا الى الأبواب وأرسلوا الى الباشا يأمره بالنزول فنزل الى بيت أحمد بيك كشك بقوصون . وعند نزوله ومروره بباب العزب ، وقف له حسين بيك كشكش وأسمعه كلاما قبيحا .

ثم أنهم جعلوا خليل بك بلفيه قائمقام (١) ، وقلدوا عبد الرحمن أغا مملوك عثمان بيك صنجقا عوضا عن سيده . ونسبت هذه النكتة الى حمزة باشا ، وقيل انها من على بيك الذى بالنوسات ومراسلاته الى حسن بيك جوجو ، فبيت مع أنقار من الجلفية وأخفاهم عنده مدة أيام وتواعدوا على ذلك اليوم . وذهبوا الى الكشك بقراميدان — وكانوا نحو الأربعين — فاختلفوا واتفقوا على ثاني يوم بدليلز بيت القاضي ، وتفرقوا الا أربعة منهم ثبتوا على ذلك الاتفاق وفعلوا هذه الفعلة . وبطل أمر العيد من قراميدان من ذلك اليوم وتهدم القصر وخرب ، وكذلك الجنيحة ماتت أشجارها وذهبت لضرارتها .

ولما حصلت هذه الحادثة أرسلوا حمزة بيك الى على بيك فوجده فى المركب بالغاطس ينتظر اعتدال الريح للسفر ، فردّه الى البر وأركبه بماليكه وأتباعه ، ورجع الى جهة مصر ومر من الجبل وذهب الى جهة شرق أطفيح ثم الى أسيوط بقبلى ، ورجع حمزة بيك الى مصر .

ثم ان على بيك اجتمعت عليه المنافى وهوارة

(١) أى يحكم لحين حضور الباشا الجديد .

وخلاقهم ، وأراد الانضمام الى صالح بيك فنفر منه ، فلم يزل يخادعه . وكان على كتفدا الحربيلى هناك منفيا من قبله وجعله سفيرا فيما بينه وبين صالح بيك هو و خليل بيك الأسيوطلى وعثمان كتفدا الصابونجى فأرسلهم فلم يزالوا به حتى جنح لقلولهم ، فعند ذلك أرسل الى محمد بيك أبو الذهب فلم يزل به حتى انخدع له واجتمع عليه بكفالة شيخ العرب همام وتحالفا وتعاقدا وتعاهدا على الكتاب والسيف ، وكتبوا بذلك حجة واتفق مع على بيك أنه اذا تم لهم الأمر أعطى لصالح بيك جهة قبلى قيد حياته ، واتفقوا على ذلك بالمواثيق الأكيدة وأرسلوا بذلك الى شيخ العرب همام فانسر بذلك ورضى به مراعاة لصالح بيك . وأمدهم عند ذلك همام بالعطايا والمال والرجال ، واجتمع عليهم المتفرقون والمشردون من الغز والأجنساد والهوارة والشجعان ولموا جموعا كثيرة وحضروا الى المنيا ، وكان بها خليل بيك السكران ، فلما بلغه قدومهم ، ارتحل منها وحضر الى مصر هاربا واستقر على بيك وصالح بيك وجماعتهم بالمنيا وبنوا حولها أسوارا وأبراجا وركبوا عليها المدافع وقطعوا الطريق على المسافرين المبحرين والمقبلين . وأرسل على بيك الى ذى الفقار بيك وكان بالمنصورة وصحبته جماعة كشاف فارتحلوا ليلا وذهبوا الى المنيا . فعمل الأمراء جمعية وعزموا على تشهيل تجريدة وتكلموا وتشاوروا فى ذلك فتكلم الشيخ الحفناوى (١) فى ذلك المجلس وأفحمهم بالكلام ومانع فى ذلك وقال : « أخربتم الأقاليم والبلاد . فى أى شىء هذا الحال وكل ساعة خصام ونزاع وتجاريد ؟ على بيك هذا رجل أخوكم وخشداشكم ، أى شىء يحصل اذا أتى وقعد فى بيته واصطلحتهم مع بعضكم

(١) الشيخ محمد بن سالم الحفناوى الشافعى الخلوئى ، ولد سنة ١١٠٠ هـ ببلدة حفنا من قرى بلبيس ، هادته الملوك وقصده الأمير والصلوك . يقال انه مات بالسقم .

وارحتهم أنفسهم والناس ؟ » . وحلف أنه لا يسافر أحد بتجريدة مطلقا وان فعلوا ذلك لا يحصل لهم خير أبدا . فقالوا : « انه هو الذى يحرك الشر ويريد الانفراد بنفسه ومماليكه ، وان لم نذهب اليه أتى هو اليينا وفعل مراده فينا » . فقال لهم الشيخ « أنا أرسل اليه مكاتبة فلا تتحركوا بشيء حتى يأتى رد الجواب » . فلم يسعهم الا الامتثال . فكتب له الشيخ مكتوبا وبخه فيه وزجره ونصحه ووعظه وأرسلوه اليه . فلم يلبث الشيخ بعد هذا المجلس الا أياما ومرض ورمى باليدم . وتوفى الى رحمة الله تعالى . فيقال انهم أشغلوه وسبوه ليتسكنوا من أغراضهم

سنة ١١٨١ هجرية

ربيع الآخر

في غرته (٢٧ أغسطس ١٧٦٧ م) :

ورود الخبر بوصول محمد باشا راقم (١) الى الاسكندرية . وحضر الى مصر وطلع الى القلعة .

جمادى الأولى

في ١١ منه (٥ أكتوبر ١٧٦٧ م) :

اجتمعوا بالديوان وقلدوا حسن بيك رضوان دفتر دار مصر .

في ١٥ منه (٩ أكتوبر ١٧٦٧ م) :

قلدوا خليل بيك بلفيه أمير الحج وقاسم أغا صنجقا . وكتبوا فرمانا بطلوع التجريدة الى قبلى .

(١) كان من خطة الدولة العثمانية ايقاد نار الفتنة بين البكوات فوقمت فتنة بين امراء المماليك فقتلوا بعضهم بعضا كما حدث في ولاية ابن العظم سنة ١١٥٢ هـ (١٧٣٩ م) . وهنا نرى راقم باشا يعقد خصوم على بيك ويساعد على ارسال حملة لمقاومته تحت رئاسة حسين بيك كشكش ويجمع لهذه الحملة المال . كما نجده يقابل على بيك بعد انتصاره على جيش حسين بيك كشكش ويخلع عليه ويقره شيخا للبلد .

(حافظ موسى - فتح مصر الحديث ص ٢٩)

ولبس سارى عسكرها حسين بيك كشكش وشرعوا فى التشهيل . واضطروهم الحال الى مصادرة التجار ، وأحضر خليل بيك النواخذ وهم : ملا مصطفى وأحمد أغا الملطلى وقرا ابراهيم وكاتب البهار ، وطلب منهم مال البهار معجلا فاعتذروا ، فصرخ عليهم وسبهم فخرجوا من بين يديه وأخذوا فى تشهيل المطلوب وجمع المال من التجار .

وفيه : برز حسين بيك خيامه للسفر وخرج صحبه ستة من الصناجق وهم حسن بيك جوجو وخليل بيك السكران وحسن بيك شبكة واسماعيل بيك أبو مدفع وحمزة بيك وقاسم بيك وأسرعوا فى الارتحال

في ٢٠ منه (١٤ أكتوبر ١٧٦٧ م) :

أخرج خلفهم أيضا خليل بيك تجريدة أخرى وفيها ثلاثة صناجق ووجاقلية وعسكر مغاربة وسافروا أيضا فى يومها . وبعد ثلاثة أيام ورد الخبر بوقوع الحرب بينهم بياضة تجاه بنى سويف فكانت الهزيمة على حسين بيك ومن معه . وقتل على أغا الميجى وخلافه ، وقتل من ذلك الطرف ذو الفقار بيك .

٢٤ منه (١٨ أكتوبر ١٧٦٧ م) :

رجع المهزومون فى ثانى يوم الكسرة ، وهم فى أسوأ حال .

٢٥ منه (١٩ أكتوبر ١٧٦٧ م) :

طلعوا الى أبواب القلعة وطلبوا من الباشا فرمانا بالتجريدة على على بيك وصالح بيك ومن معهم وطلبوا مائتى كيس من الميرى يصرفونها فى اللوازم فامتنع الباشا من ذلك

٢٦ منه (٢٠ أكتوبر ١٧٦٧ م) :

حضر الخبر بوصول القادمين الى غمازة . وكان الوجاقلية وحسن بيك جوجو ناصبين خيامهم جهة البساتين فارتحلوا ليلا وهربوا . وتخليل عزل خليل بيك وحسين بيك ومن معهم وتجيروا فى

أمرهم وتحققوا الادبار والزوال وأرسل الباشا الى الوجاقلية يقول لهم « كل وجاق يلزم بابه » .
٢٧ منه (٢١ أكتوبر ١٧٦٧ م) :

حضر على بيك وصالح بيك ومن معهم الى البساتين فازداد تحيرهم وطلعوا الى الأبواب فوجدوها مغلقة . فرجعوا الى قراميدان وجلسوا هناك ثم رجعوا .

وفي الليل تسحب كثير من الأمراء والأجناد وخرجوا الى جهة على بيك وكان حسن بيك المعروف بجوجو ينافق الطرفين ويراسل على بيك وصالح بيك سرا ويكاتبهما . وضم اليه بعض الأمراء مثل قاسم بيك خشداشه ، واسماعيل بيك زوج هانم بنت سيدهم وعلى بيك السروجي وجن على — وهو خشداش ابراهيم بيك بلفيه — وكثير من أعيان الوجاقلية ، ويرسلون لهم الأوراق في داخل الأقصاب التي يشربون فيها الدخان .

٢٩ منه (٢٣ أكتوبر ١٧٦٧ م) :

هرب الأمراء الذين بمصر وهم خليل بيك شيخ البلد وأتباعه وحسين بيك كشكش وأتباعه وهم نحو عشرة صناجق وصحبتهم مماليكهم وأجنادهم عدة كثيرة .

وفي الصباح خرج الأعيان وغيرهم لملاقاة القادمين . ودخل في ذلك اليوم على بيك وصالح بيك وصناجقهم ومماليكهم وأتباعهم وجميع من كان منفيا بالصعيد قبل ذلك من أمراء ووجاقلية وغيرهم . وحضر صحبتهم على كتحدا الخربطلى وخليل بيك الأسيوطى وقلده على بيك الصنجدية مجددا وضربت النوبة في بيته ثم أعطاه كشوفية الشرقية .

جسارى الآخرة

٢ منه (٢٦ أكتوبر ١٧٦٧ م) :

طلع على بيك وصالح بيك وباقي الأمراء

القادمين والذين تخلفوا عن الذاهبين مثل حسين بيك جوجو واسماعيل بيك زوج هانم وجن على وعلى بيك السروجى وقاسم بيك والاختيارية والوجاقلية وغيرهم الى الديوان بالقلعة . فخلع الباشا على على بيك واستقر في مشيخة البلد كما كان ، وخلع على صناجقه خلع الاستمرار أيضا في اماراتهم كما كانوا ونزلوا الى بيوتهم . وثبت قدم على بيك في اماره مصر ورئاستها في هذه المرة ، وظهر بعد ذلك الظهور التام ، وملك الديار المهرية ، والأقطار الحجازية ، والبلاد الشامية ، وقتل المتمردين ، وقطع المعاندين ، وشنت شمل المنافقين ، وخرق القواعد ، وخرم العوائد ، وأخرب البيوت القديمة ، وأبطل الطرائق التي كانت مستقيمة .

ثم انه حضر سليمان أغا كتحدا الجاوشية وصناجقه الى مصر وعزم على نفى بعض الأعيان وإخراجهم من مصر ، فعلم أنه لا يتمكن من أغراضه مع وجود حسن بيك جوجو وأنه مادام حيا لا يصفو له الحال . فأخذ يدبر على قتله فبيت مع أتباعه على قتله ، فحضر حسن بيك جوجو وعلى بيك جن على عند على بيك ، وجلسوا معه حصه من الليل وقام ليذهب الى بيته فركب وركب معه جن على ومحمد بيك أبو الذهب وأيوب بيك ليذهبوا أيضا الى بيوتهم لاتحاد الطريق . فلما صاروا في الطريق التي عند بيت الشابورى خلف جامع قوصون ، سحبوا سيوفهم وضربوا حسن بيك وقتلوه وقتلوا معه أيضا جن على ورجعوا وأخبروا سيدهم على بيك .

رجب

٨ منه (٣٠ نوفمبر ١٧٦٧ م) :

أصبح على بيك مالكا للأبواب ، ورسم بنفى قاسم بيك واسماعيل بيك أبى مدفع وعبد الرحمن

بيك واسماعيل بيك كتحدا عزبان ومحمد كتحدا
زنور ومصطفى جاويش تابع مصطفى جاويش
الكبير مملوك ابراهيم كتحدا و خليل جاويش
درب الحجر .

شمال

في ١١ منه (اول مارس ١٧٦٨ م) :

أخرج أيضا نحو الثلاثين شخصا من الأعيان
ونفاهم في البلاد . وفيهم ثمانية عشر أميرا من جماعة
الفلاح (١) وفيهم على كتحدا وأحمد كتحدا الفلاح
وابراهيم كتحدا مناو وسليمان أغا كتحدا جاووشان
الكبير وصناجقه حسن بيك أبو كرش ومحمد بيك
الموردي وخلافهم مقدم وأوده باشية ، فنفي الجميع
الى جهة قبلى . وأرسل سليمان أغا كتحدا الجاويشية
الى السويس ليذهب الى الحجاز من القلزم
واستمر هناك الى أن مات .

وفيه : قبض على بيك على الشيخ يوسف بن
وحيش وضربه علة قوية ونفاه الى بلدة جناح (٢)
فلم يزل بها الى أن مات . وكان من دهاة العالم ،
وكان كاتبا عند عبد الرحمن كتحدا القازدغلى ، وله
شهرة وسمعة في السعى وقضاء الدعاوى والشكاوى
والتحيلات والمداهنات والتليسات وغير ذلك .

(١) جماعة الفلاح استاذهم الحاج صالح الفلاح من قرية الراهب
بالمثنية . ولد (١١٦٧ هـ) وتربى بسرلى كتحدا الجلفى
ولم يزل ينتقل فى الاطوار حتى صار من ارباب الاموال واشترى
المنايك والعبيد والجوارى يزوجهم من بعضهم ويشترى لهم
الدور والابراد ويدخلهم الوجاقات والبلكات بالصانعات والرشوات
لارباب الحل والعقد والتكلمين وتنقلوا حتى تلبسوا بالمناصب
الجليلة كتخدامات واختيارية وامراء طبخانات وجاويشية
واؤدباشية وصار لهم اتباع ومنايك .

(٢) رفعت رمضان - على بيك الكبير من ١٦

(٣) قرية تابعة الان لمركز بسيون هربية .

ذو الحجة

(ابريل ١٧٦٨) :

فيه وصلت اخبار عن حسين بك كشكش (١)
و خليل بيك ، أنهم لما وصلوا الى غزة جمعوا
جموعا ، وأنهم قادمون الى مصر . فشرع على بيك
فى تشهيل تجريدة عظيمة ، وبرزوا وسافروا .

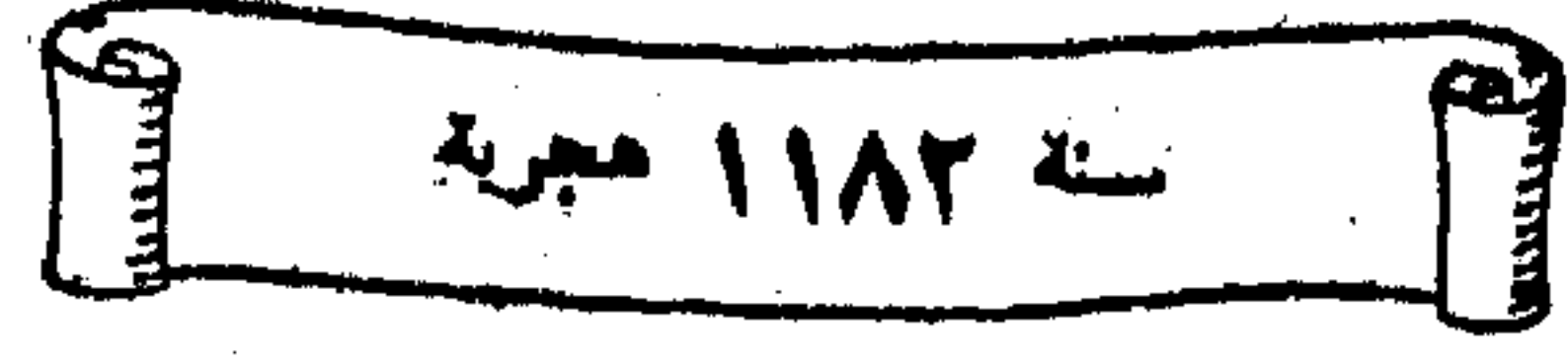
ثم ورد الخبر بعد ثلاثة أيام أنهم عرجوا الى جهة
دمياط ، ونهبوا منها شيئا كثيرا ، ثم حضروا الى
المنصورة ونهبوا منها كذلك . فأرسل على بيك يأمر
التجريدة بالذهاب اليهم ، وأرسل لهم أيضا عسكرا من
البحر ، فتلاقوا معهم عند الديرص والجراح من
أعمال المنصورة عند سنود . فوقع بينهم وقعة
عظيمة ، وانهمزمت التجريدة وولوا راجعين ، وقتل فى
هذه المعركة سليمان جربجى باش اختيار جيليان ،
وأحمد طنان جراكسة ، وعمر أغا جاووشان أمين
الشون - وكانوا صدور الوجاقات .

ولم يزالوا فى هزيمتهم الى دجوة . فلما
وصل الخبر بذلك الى على بيك اهتم لذلك
ونزل الباشا وخرج الى قبة باب النصر خارج القاهرة ،
وجمع الوجاقلية والعلماء وأرباب السجاجيد ، وأمر
الباشا بأن كل من كان وجاقليا أو عليه عتامة
يشمل نفسه ويطلع الى التجريدة أو يخرج عنه
بدلا .

واجتهد على بيك فى تشهيل تجريدة عظيمة
أخرى ، وكبيرها محمد بيك أبو الذهب ، وسافروا
فى أوائل المحرم ، واجتمعوا بالتجريدة الأولى ..
وسار الجميع خلف حسين بيك و خليل بيك ومن
معهم . وكانوا عدوا الى بر الغربية بعد أن هزموا
التجريدة . فلو قدر الله أنهم لما كسروا التجريدة
ساقوا خلفهم ، كما فعل على بيك وصالح بيك ،

(١) عاد من غزة بعد ثمانية أشهر فى جيش من فرسان المماليك
والدروز ومشاة المغاربة (رفعت رمضان - على بيك الكبير من ٣١)

لدخلوا الى مصر من غير مائع .. ولكن لم يرد الله تعالى لهم ذلك .



المحرم

الخميس ٢ منه (١٩ مايو ١٧٦٨ م) (١) :

سافرت التجريدة المعينة الى بحرى بسبب الأمراء المتقدم ذكرهم ، وهم حسين بيك و خليل بيك ومن معهم . وقد بذل جهده على بيك حتى شغل أمرها ولوازمها في أسرع وقت ، وأميرها وسر عسكرها محمد بيك أبو الذهب .

فلما وصلوا الى ناحية دجوة وجدوهم عدوا الى مسجد الخضر ، فعدوا خلفهم .. فوجدوهم قد ذهبوا الى طندتا وكرنكوا بها ، فتبعوهم الى هناك وأحاطوا بالبلدة من كل جهة .

منتصفه : (١ يونيو ١٧٦٨ م) :

وقعت الحرب بينهم ، ولم تزل قائمة بين الفريقين حتى فرغ ما عندهم من الجبخانه والبارود ... فعند ذلك أرسلوا الى محمد بيك وطلبوا منه الأمان ، فأعطاهم الأمان وارتفع الحرب بين الفريقين . وكاتبهم محمد بيك وخادعهم ، والتزم لهم بأجراء الصلح بينهم وبين مخدمه على بيك ، فانخدعوا له وصدقوه ، وانحلت عزائمهم ، واختلفت آراؤهم ، وسكن الحال تلك الليلة .

ثم ان محمد بيك أرسل في ثانی يوم الى حسين بيك يستدعيه ليعمل معه مشورة . فحضر عنده بمفرده وصحبته خليل بيك السكران تابعه فقط . فلما

(٢) في هذه السنة طلب الباب العالي ١٢ ألف نفر لحاربة الروسيا فاوقعت الممالك والباشا الفتن في حق على بيك فورد فرمان شاهاني بقتله وارسل رأسه الى الاستانة لكنه لم ينفذ حيث علم بذلك على بيك وتربص لحامل فرمان ورفقائه الأربعة وقتلوا بأمره وأعلن استقلال مصر وكتب الى أمير عكا بذلك .
(التوفيقات الإلهامية)

وصلوا الى مجلسه لم يجدوه . فعندما استقر بهما الجلوس دخل عليهما جماعة وقتلوهما (١) .

وحضر في اثرهما حسن بيك شبكة ولم يعلم ما جرى لسيدته . فلما قرب من المكان أحس قلبه بالشر فأراد الرجوع فعاقه رجل سائس يسمى مرزوق وضربه بنبوت فوقع الى الأرض فلحقه بعض الجند واحتز رأسه . فلما علم بذلك خليل بيك الكبير ومن معه ، ذهبوا الى ضريح سيدي أحمد البدوي والتجثوا الى قبره ، واشتد بهم الخوف ، وعلموا أنهم لاحقون باخوانهم ، فلما فعلوا ذلك لم يقتلوهم وأرسل محمد بيك يستشير سيده في أمر خليل بيك ومن معه فأمر بنفيه الى ثغر الاسكندرية وخنقوه بعد ذلك بها .

الجمعة ١٧ منه (٣ يونيو ١٧٦٨ م) :

رجع محمد بيك وصالح بيك والتجريدة ، ودخلوا المدينة من باب النصر في موكب عظيم ، وأمامهم الرؤوس محمولة في صوان من فضة ، والخدم يقولون « صلوا على محمد » ، وصالح بيك ظاهر بوجهه الانتفاض والتعبيس ، وعدتها ستة رؤوس . وهي : رأس حسين بيك و خليل بيك السكران وحسن بيك شبكة وحمزة بيك واسماعيل بيك أبي مدفع وسليمان أغا الوالى .

سفر

١٤ منه (٣٠ يونيو ١٧٦٨ م) :

حضر نجاب الحج واطمان الناس .

١٧ منه (٣ يوليو ١٧٦٨ م) :

وصل الحجاج بالسلامة ، ودخلوا المدينة —
— وأمير الحج خليل بيك بلفيه — وسر الناس

(١) يذكر الاستاذ رفعت رمضان انه قتل في هذه الكيدة مع حسين بك خمسة من صناعته ايضا .

بسلامة الحجاج ، وكانوا يظنون تعبهم بسبب هذه الحركات والوقائع .

١٨ منه (٤ يوليو ١٧٦٨ م) :

أخرج على بيك جملة من الأمراء من مصر ، وتعي بعضهم الى الصعيد وبعضهم الى الحجاز ، وأرسل البعض الى الفيوم ، وفيهم محمد كتخدا - تابع عبد الله كتخدا - وقرا حسن كتخدا وعبد الله كتخدا تابع مصطفى باشا اختيار مستحفظان ، وسليمان جاويش ومحمد كتخدا الجردلى وحسن افندى الباقرجى وبعض أوده باشيه وعلى جرجى وعلى افندى الشرف جمليان .

وفيه : صرف على بيك الجامكية .

وفيه : أرسل على بيك وقبض على أولاد سعد الخادم بضريح سيدى أحمد البدوى ، وصادرهم ، وأخذ منهم أموالا عظيمة لا يقدر قدرها ، وأخرجهم من البلدة ، ومنعهم من سكناها ومن خدمة المقام الأحمدي . وأرسل الحاج حسن عبد المعطى وقيده بالسدنة عوضا عن المذكورين ، وشرع فى إنشاء الجامع والقبة والسبيل والقيسارية العظيمة ، وأبطل منها مظالم أولاد الخادم والحمل والنشالين والحرمية والعيارين وضمان البغايا والخواطى وغير ذلك .

ربيع الأول

٩ منه (٢٤ يولية ١٧٦٨ م) :

حضر قابجى من الديار الرومية بمرسوم وقبطان وسيف لعلى بيك من الدولة .
وفيه : وصلت الأخبار بموت خليل بيك الكبير بشعر الاسكندرية مخنوقا .

١٢ منه (٢٧ يولية ١٧٦٨ م) :

نزل الباشا الى بيت على بيك باستراحته ، فتعدي عنده ، وقدم له تقادم وهدايا .

ربيع الآخر

١٨ منه (١ سبتمبر ١٧٦٨ م) :

اجتمع الأمراء بمنزل على بيك على العادة - وفيهم صالح بيك - وقد كان على بيك بيت مع أتباعه على قتل صالح بيك . فلما اتقضى المجلس وركب صالح بيك ، ركب معه محمد بيك وأيوب بيك ورضوان بيك وأحمد بيك بشتاق ، المعسروف بالجزار ، وحسن بيك الجداوى ، وعلى بيك الطنطاوى ... وأحرق الجميع بصالح بيك ، ومن خلفهم الجند والماليك والطوائف .. فلما وصلوا الى مضيق الطريق عند المفارق بسويقة عصفور ، تأخر محمد بيك ومن معه عن صالح بيك قليلا ، وأحدث له محمد بيك حماقة مع سائسه ، وسحب سيفه من غمده سريعا وضرب صالح بيك (١) وسحب الآخرون سيوفهم ، ما عدا أحمد بيك بشتاق ، وكمّلوا قتلته ووقع طريقا على الأرض . ورمح الجماعة الضاربون وطوائفهم الى القلعة . وعندما رأى ماليك صالح بيك وأتباعه منازل سيدهم خرجوا على وجوههم .

ولما استقر الجماعة القاتلون بالقلعة ، وجلسوا مع بعضهم يتحدثون ، عاتبوا أحمد بيك بشتاق على عدم ضربه معهم صالح بيك ، وقالوا له : « لماذا لم تجرد سيفك وتضرب مثلنا ؟ » فقال : « بل ضربت معكم » . فكذبوه ، فقال له بعضهم : « أرنا سيفك » ، فامتنع وقال : « ان سيفى لا يخرج من غمده لأجل الفرجة » ، ثم سكتوا .. وأخذ فى نفسه منهم ، وعلم أنهم سيخبرون سيدهم بذلك فلا يأمن غائلته .

(١) وموت صالح بيك تخلص على بيك من آخر منجق كان يحتمل ان ينافس فى شياخة البلد ، واستقرت الأمور وسلبت امنها لعلى بيك الذى أصبح شيخ البلد وسبها الفلى .

وذلك أن أحمد بيك (١) هذا لم يكن مملوكا لعللى بيك ، وإنما كان أصله من بلاد بشتناق ... حضر الى مصر في جملة أتباع على باشا الحكيم عندما كان واليا على مصر في سنة تسع وستين ومائة وألف (١٧٥٥ م) فأقام في خدمته الى سنة احدى وسبعين ومائة وألف (١٧٥٧ م) . وتلبس صالح بيك بأمارة الحج في ذلك التاريخ ، فاستأذن أحمد بيك المذكور على باشا في الحج وأذن له ، فحج مع صالح بيك وأكرمه وأجبه وألبسه زى المصريين ورجع صحبته . وتنقلت به الأحوال ، وخدم عند عبد الله بيك على ، ثم خدم عند على بيك فأعجبته شجاعته وفروسيته فرقاه في المناصب حتى قلده الصنحية وصار من الأمراء المعدودين ، فلم يزل يراعى منة صالح بيك السابقة عليه .

فلما عزم على بيك على خيانة صالح بيك وغدره خصصه بالذكر ، وأوصاه أن يكون أول ضارب فيه لما يعلمه فيه من العصبية له ، فقبل له : ان أحمد بيك أسر ذلك الى صالح بيك وحذره غدر على بيك اياه فلم يصدق له ما بينهما من العهود والأيمان والمواثيق . ولم يحصل منه ما يوجب ذلك ولم يعارضه في شيء ، ولم يتكر عليه فعلا . فلما اختلى صالح بك بعلى بيك أشار اليه بما بلغه ، فحلف له على بيك بأن ذلك نفاق من المخبر ولم يعلم من هو .

(١) يقول الاستاذ رفعت رمضان (ص ٣٤) : الثابت أن على بيك عمل بسبب ذلك عداء أحمد بيك بشتناق (السهير بالجزائر) . وبيان ذلك أن على بيك عرض الجزار فيمن حرضهم على قتل صالح بيك . ولما كان الجزار من أخلص الناس لصالح بيك - لفضل الآخر عليه أيام كان منفيا بالصعيد - فقد اعتذر لعللى بيك ، فكتف هذا فيظه وتصنع أمامه اكباره لشهامته وأكد له أنه إنما كان يختبر إخلاصه واستشف أحمد نيات على بيك الحقيقية فأسرع وأسرهما الى صالح بيك الذى أنكرها ظاهرا واستنكرها باطنا لما كان بينه وبين على بيك من المواثيق . كما أن على بيك أسرع بقطي الموقف فهنا صالح بيك بإخلاص الجزار وموه عليه قائلا : ينبغي لك يا أخى أن تختبر رجالك أيضا لئلا يكون بينهم خيانة وأنا قد اختبرت الجزار فوجدته نصوصا .

فلما حصل ما حصل ، ورأى مراقبة الجماعة له ومناقشتهم له عند استقرارهم بالقلعة ... تخيل وداخله الوهم وتحقق في ظنه تجسم القضية . فلما نزلوا من القلعة وانصرفوا الى منازلهم ، تفكر تلك الليلة ، وخرج من مصر ، وذهب الى الاسكندرية وأوصى حريمه بكتمان أمره ما أمكنهم حتى يتباعد عن مصر . فلما تأخر حضوره بمنزل على بيك وركوبه ، سألوا عنه ، فقيل لهم : انه متوغل ، فحضر اليه في ثانى يوم محمد بيك ليعوده وطلب الدخول اليه ، فلم سكتهم منعه فدخل الى محل مبيتة فلم يجده في فراشه ، فسأل عنه حريمه . فقالوا : لا نعلم له محلا ، ولم يأذن لأحد بالدخول عليه وقتشوا عليه فلم يجدوه .

وأرسل على بيك عبد الرحمن أغا وأمره بالتنقيش عليه وقتله ، فأحاط بالبيت - وهو بيت شكره فره - وفتش عليه في البيت والخطة فلم يجده . وهو قد كان هرب ليلة الواقعة في صورة جزائلى مغربى ، وقصص لحيته ، وسعى بمفرده الى شلقان ، وسافر الى بحرى ووصل السعاة يخبره الى على بيك بأنه بالاسكندرية فأرسل بالقبض عليه فوجدوه نزل بالقبطانة واحتفى بها وكان من أمره ما كان بعد ذلك ، وهو أحمد باشا الجزار الشهير الذكر الذى تملك عكا ، وقولى الشام وامارة الحج الشامى ، وطار صيته في الممالك .

وفيه عين على بيك تجريدة على سويلم بن حبيب (١) وعرب الجزيرة ، فنزل محمد بيك بتجريدة الى عرب الجزيرة ، وأيوب بيك الى سويلم . فلما

(١) ورث سويلم بن حبيب وشقيقه سالم شهرة تردد صداها في أنحاء الوجه البحرى وانتهت اليه زمامة جميع القبائل هناك وهابه الجميع لجرائه وشدة بأسه وأخطأوا أماله بهالة من الخيال (رفعت رمضان - على بيك الكبير ص ٤٥)

رجب

منتصفه (٢٥ نوفمبر ١٧٦٨ م)

وصل أغا من الديار الرومية ، وعلى يده مرسوم بطلب عسكر للسفر ، فاجتمعوا بالديوان وقرأوا المرسوم . وكان على بيك أحضر سليمان بيك الشابورى من تقيته بناحية المنصورة ، وكان متفيا هناك من سنة اثنتين وسبعين ومائة وألف (١٧٥٨ م) .

وفى يوم الثلاثاء : عملوا الديوان بالقلعة ، ولبسوا سليمان بيك الشابورى أمير السفر الموجه الى الروم ، وأخذوا فى تشييله . وسافر محمد بيك أبو الذهب بتجريدة — ومعه جملة من الصناجق والمقاتلين — لمنازلة شيخ العرب همام . فلما قربوا من بلاده ترددت بينهم الرسل ، واصطلحوا معه على أن يكون لشيخ العرب همام من حدود برديس ولا يتعدى حكمه لما بعدها ، واتفقوا على ذلك . ثم بلغ شيخ العرب أنه ولد لمحمد بيك مولود ، فأرسل له بالتجاوز عن برديس أيضا انعاما منه للمولود ، ورجع محمد بيك ومن معه الى مصر .

وفيه : قبض على بيك على الشيخ أحمد الكتبى المعروف بالسقط وضربه علقه قوية ، وأمر بنفيه الى قبرص . فلما نزل الى البحر الرومى ذهب الى اسلامبول ، وصاهر حسن أفندى قطه مسكين المنجم ، وأقام هناك الى أن مات . وكان المذكور من دهاة العالم يسعى فى القضاء والدعاوى ، يحيى الباطل ، ويبطل الحق بحسن سبكه وتداخله .

فى ١٧ منه (٢٧ نوفمبر ١٧٦٨ م) :

حصلت قلقة من جهة والى مصر محمد باشا . وكان أراد أن يحدث حركة فوشى به كتحذاه عبد الله بيك الى على بيك ، فأصبحوا وملكوا الأبواب والرميلة والمحجر وحوالى القلعة ، وأمروه

ذهب أيوب بيك الى دجوة (١) فلم يجدوا بها أحدا وكان سويلم بائسا فى سندنهور وبقى الحباية متفرقين فى البلاد ، فلما وصله الخبر ركب من سندنهور وهرب بمن معه الى البحيرة ، والتجأ الى الهنادى . ونهبوا دوائره ومواشيه ، وحضروا بالمنهوبات الى مصر . واحتج عليه بسبب واقعة حسين بيك و خليل بيك لما أتيا الى دجوة بسيد واقعة الديرص والجراح قدم لهم التقادم ، وساعدهم بالكلف والذبايح ونحو ذلك . والغرض الباطنى اجتهاده فى ازالة أصحاب المظاهر كائنا ما كان .

الاثنين ١٩ منه (٢ سبتمبر ١٧٦٨ م) :

أمر على بيك باخراج على كتحذا الخربوطلى منفيسا ، وكذلك يوسف كتحذا مملوكه ونفى حسن أفندى درب الشمسى واخوته الى السويس ليذهبوا الى الحجاز ، وسليمان كتحذا الجلفى ، وعثمان كتحذا عزبان المنفوخ . وكان خليل بيك الأسىوطى بالشرقية ، فلما سمع بقتل صالح بيك هرب الى غزة .

جمادى الأولى

٥ منه (١٧ سبتمبر ١٧٦٨ م) :

طلع على بيك الى القلعة ، وقلد ثلاثة صناجق من أتباعه ، وكذلك وجاقلية ، وقلد أيوب بيك تابعه ولاية جرجا وحسن بيك رضوان أمير حج .

جمادى الآخرة

(أكتوبر — نوفمبر ١٧٦٨ م)

قلد اسماعيل بيك الدفتردارية وصرف المواسب فى ذلك اليوم .

(١) دجوة قرية صغيرة من مديرية القليوبية واقعة على الضفة الشرقية لفرع ومياط وكانت مركز مرب أولاد حبيب .
(على مبارك - الخطط ج ١ ص ١٠٠)

بالنزول ، فنزل من باب الميدان الى بيت أحمد بيك
كشك ، وأجلسوا عنده الحرسجية ..

شعبان

١١ غرته (١١ ديسمبر ١٧٦٨ م) :

تقلد على بيك قائممقامية عوضا عن الباشا .

الخميس ٥ منه (١٥ ديسمبر ١٧٦٨ م) :

أرسل على بيك عبد الرحمن أغا مستحفظان الى
رجل من الأجناد يسمى اسماعيل أغا من القاسمية
وأمره بقتله ، وكان اسماعيل هذا متفيا جهة بحرى ،
وحضر الى مصر قبل ذلك وأقام بيته جهة الصليبة ،
وكان مشهورا بالشجاعة والفروسية والاقدام . فلما
وصل الأغا اخذاه بيته وطلبه ، ونظر الى الأغا واقفا
بأتباعه ينتظروه . علم أنه يطلبه ليقتله كغيره ، لأنه
تقدم قتله لأناس كثيرة على هذا النسق بأمر على
بيك . فامتنع من النزول ، وأغلق بابه ، ولم يكن
عنده أحد سوى زوجته ، وهى أيضا جارية تركية ،
وعمر بندقيته وقرابنته وضرب عليهم ، فلم
يستطيعوا العبور اليه من الباب ، وصارت زوجته
تعمر له وهو يضرب حتى قتل منهم أناسا وانجرح
كذلك . واستمر على ذلك يومين وهو يحارب
وحده . وتكاثروا عليه وقتلوا من أتباعه — وهو
ممتنع عليهم — الى أن فرغ منه البارود والرصاص ،
ونادوه بالأمان فصدقهم ونزل من الدرج . فوقف
له شخص وضربه وهو نازل من الدرج ، وتكاثروا
عليه وقتلوه وقطعوا رأسه ظلما رحمه الله تعالى .

فى ١٩ منه (٢٩ ديسمبر ١٧٦٨ م) :

صرفت الموابج على الناس والفقراء .

فى ٢٨ منه (٧ يناير ١٧٦٩ م) :

خرج موكب السفر الموجه الى الروم فى تجميل

زائد .

رمضان

فى ١٠ منه (١٨ يناير ١٧٦٩ م) :

قبض على بيك على المعلم اسحق اليهودى ،
معلم الديوان يسولاقي ، وأخذ منه أربعين ألف
محبوب ذهب وضربه حتى مات . وكذلك صادر أناسا
كثيرة فى أموالهم من التجار مثل العشوبى والكمين
وغيرهما . وهو الذى ابتدع المصادرات وسلب
الأموال من مبادئ ظهوره واقتدى به من بعده .

شوال

(فبراير ١٧٦٩ م) :

وفيه : هيا على بيك هدية حافلة وخيولا مصرية
جيادا ، وأرسلها الى اسلامبول للسلطان ورجال
الدولة . وكان المتسفر بذلك ابراهيم أغا سراج
باشا ، وكتب مكاتبات الى الدولة ورجالها ،
والتمس من الشيخ الوالد (١) أن يكتب له
أيضا مكاتبات لما يعتقده من قبول كلامه وإشارته
عندهم . ومضمون ذلك الشكوى من عثمان بيك
ابن العظم والى الشام ، وطلب عزله عنها بسبب
انضمام بعض المصريين المطرودين اليه ومعاوته
لهم . وطلب منه أن يرسل من طرفه أناسا
مخصوصين . فأرسل الشيخ عبد الرحمن العريشى
ومحمد أفندى البردلى فسافروا مع الهدية وغرضه
بذلك وضع قدمه بالقطر الشامى أيضا .

ذوالقعدة

فى ١٢ منه (٢٠ مارس ١٧٦٩ م) :

رسم بنفى جماعة من الأمراء أيضا ، وفيهم
ابراهيم أغا الساعى اختيار متفرقة ، واسماعيل
أفندى جاويشان و خليل أغا باشجاويشان جمليان
وباشجاويش تفكجيان ومحمد أفندى جراكسبة
ورضوان بيك تابع حسن بيك رضوان والزعفرانى .

(١) يقصد والد الجبرى

فأرسل منهم الى دمياط ورشيد واسكندرية وقبلى، وأخذ منهم دراهم قبل خروجهم ، واستولى على بلادهم وفرقها في أتباعه . وكانت هذه طريقته فيمن يخرجهم : يستنصف أموالهم أولا ، ثم يخرجهم ويأخذ بلادهم واقطاعهم فيفرقها على مماليكه وأتباعه الذين يؤمرهم في مكانهم . ونفى أيضا ابراهيم كتخدا جدك وابنه محمد الى رشيد ، وكان ابراهيم هذا كتخداه ثم عزله وولاه الحسبة ، فلما نفاه ولي مكانه في الحسبة مصطفى أغا .

سنة ١١٨٣ هجرية

المختوم

(مايو ١٧٦٩ م)

فيه : أخرج على بيك عثمان أغا الوكيل من مصر منفيا الى جهة الشام ، وكذلك أحمد أغا أغات الجوالى وأغات الضربخانة الى جهة الروم . وكان أحمد أغا هذا رجلا عظيما ذا غنية كبيرة وثروة زائدة ، فصادره على بيك في ماله وأمره بالخروج من مصر ، فأحضر المطربازية والدالين والتجار وأخرج متاعه وذخائره وباعها بسوق المزاد بينهم ، فبيع موجوده من أمتعة وثياب وجواهر وتحف وأسلحة وكتب وأشياء نفيسة وهو ينظر اليها ويتحسر ، ثم سافر الى جهة الاسكندرية .

وفيه : توفي محمد باشا الذى كان بقصر عبد الرحمن كتخدا بشاطيء النيل، ولعله مات مسموما ، ودفن بالقرافة الصغرى عند مدافن الباشوات بالقرب من الامام الشافعى .

ونزل الحج ودخل الى مصر مع أمير الحج خليل بيك بلفيا في أمن وأمان .

صفر

(يونيو ١٧٦٩ م)

وصل باشا من طريق البر ، وطلع الأمراء الى

العادية لملاقاته ، ونصبوا خيامهم ودخل بالموكب . وفيه : أخرج على بيك حسن بيك رضوان وأتباعه الى مسجد وصيف ثم نقل منها الى المحلة الكبرى فأقام سنين .

وفيه : أرسل على بيك تجريدة الى سويلم ابن حبيب والهنادى بالبحيرة وباش التجريدة اسماعيل بيك . وذلك أن ابن حبيب لما رحل من دجوة ، ذهب الى البحيرة وانضم الى عرب الهنادى . وكان المتولى على كشوفية البحيرة عبد الله بيك ، تابع على بيك ، فحاربوه وحاربهم حتى قتل عبد الله بيك المذكور في المعركة ونهبوا متاعه ووطاقه .

وكان أحمد بيك بشناق لما خرج من مصر هاربا ، بعد قتل صالح بيك ، ذهب الى الروم فصادف هناك جماعة من الهربانيين ، ومنهم يحيى السكرى وعلى أغا المعمار وعلى بيك الملط وغيرهم ، وزيفوا بسبب المغرضين لعلى بيك بدار السلطنة فنزلوا في مركبين الى درلة فوصلوها متسرقين ، فالتى وصلت أولا بها يحيى السكرى وعلى المعمار والملط ، فركبوا عندما وصلوا الى درلة ، وذهبوا الى الصعيد ووصلت المركب الأخرى بعد أيام وبها أحمد بيك بشناق فطلع الى عند الهنادى . فلما وصل اسماعيل بيك ومن معه بالتجريدة فتحاربوا مع الحبابية ووصلت المركب الأخرى بعد أيام وبها أحمد بيك بشناق فطلع الى عند الهنادى . فلما وصل اسماعيل بيك ومن معه بالتجريدة فتحاربوا مع الحبابية والهنادى — ومعهم أحمد بيك بشناق — ثلاثة أيام . وكان سويلم بن حبيب منعزلا في خيمة صغيرة عند امرأة بدوية بعيدا عن المعركة ، فذهب بعض العرب وعرف الأمراء بمكانه ، فكبسوه وقتلوه وقطعوا رأسه ورفعوها على رمح .. واشتهر ذلك فارتفع الحرب من بين الفريقين وتفرق الهنادى وعرب الجزيرة والصوالة وغيرهم ، وراحت كسرة على الجميع ، ولم يبق لهم قائم من ذلك اليوم .

وتغيب أحمد بيك بشناق فلم يظهر الا بعد مدة
ببلاد الشام .

وفيه : تقلد أيوب بيك على منصب جرجا ،
وخرج مسافرا ومعه عدة كبيرة من العساكر
والأجناد ، فوصلوا الى قرب أسيوط . فوردت
الأخبار باجتماع الأمراء المنافى وتملكهم أسيوط
وتحصنهم بها .

وكان من أمرهم أنه لما ذهب محمد بيك
أبو الذهب الى جهة قبلى لمناذرة شيخ العرب همام (١)
كما تقدم ، وجرى بينهما الصلح على أن يكون لهمام
من حدود برديس (٢) وتم الأمر على ذلك ورجع
محمد بيك الى مصر ، وأرسل على بيك يقول له :
« انى أمضيت ذلك بشرط أن تطرد المصريين الذين
عندك ، ولا تبقى منهم أحدا بدائرتك فجمعهم
وأخبرهم بذلك . وقال لهم : « اذهبوا الى أسيوط
واملكوها قبل كل شئ فان فعلتم ذلك كان لكم
بها قوة ومنعة ، وأنا أمدكم بعد ذلك بالمال
والرجال » فاستصوبوا رأيه وبادروا وذهبوا الى
أسيوط — وكان بها عبد الرحمن كاشف من طرف
على بيك وذى الفقار كاشف — وقد كانوا حصنوا
البلدة وجهاتها ، وبنوا كرائك والبوابة ، وركب
عليها المدافع .. فتحيل القوم ليلا وزحفوا الى
البوابة ، ومعهم أنخاخ وأحطاب ، جعلوا فيها
الكبريت والزيت ، وأشعلوها وأحرقوا الباب ،
وهجموا على البلدة ، فلم يكن له بهم طاقة لكثرتهم
وهم جماعة صالح بيك وباقي القاسمية ، وجماعة
الخشاب ، وجماعة الفلاح ، وجماعة مناو ، ويحيى
السكرى وسليمان الجلفى وحسن كاشف ترك

(١) هو شيخ العرب همام بن يوسف الهوارى . ويقدر ما كانت
هبة سويلم بن حبيب فى الوجه البحرى تقوم على الرهبة من
طفيلاته وفجوره ، كانت هبة همام بن يوسف فى الوجه القبلى
تقوم على الإعجاب بشهامته وتقدير مجموعة الصفات النادرة التى
كونت شخصيته الفذة . (رفعت رمضان - على بيك الكبير ص ٢٨)
(٢) كان سبق صلح سنة ١١٤٩ هـ (١٧٢٦ م) عقده همام
مع إبراهيم كخيا ، مؤداه التنازل لهمام عن الترام برديس وفريوط

وحسن بيك أبو كرش ومحمد بيك الماوردى
وعبد الرحمن كاشف من خشداشين صالح بيك —
وكان من الشجعان — ومحمد كتخدا الجلفى وعلى
بيك الملط — تابع خليل بيك — وجماعة كشكش
وغيرهم ، ومعهم كبار الهوارة وأهالى الصعيد —
فملكوا أسيوط وتحصنوا بها ، وهرب من كان
فيها .

وردت الأخبار بذلك الى على بيك فعين
للسفر ابراهيم بيك بلفيا ومحمد بيك أبو شنب
وعلى بيك الطنطاوى ، ومن كل وجاق جماعة
وعساكر ومغاربة ، وأرسل الى خليل بيك القاسمى
المعروف بالأسيوطى فأحضره من غزة ، وطلع هو
وابراهيم بيك — تابع محمد بيك — بعساكر أيضا ،
وعزل الباشا وأنزله وحبه بيت ايواظ بيك عند
الزير المعلق . ثم سافر محمد بيك أبو الذهب
ورضوان بيك وعدة من الأمراء والصناجق ، وضم
اليهم ما جمعه وجلبه من العساكر المختلفة الأجناس
من دلاة ودروز ومتاولة وشوام ، وسافر الجميع
برا وبحرا حتى وصلوا الى أيوب بيك ، وهو
يرسل خلفهم فى كل يوم بالامداد والجبوانات
والذخيرة والبقسماط ، وذهب الجميع الى أن
وصلوا قرب أسيوط ، ونصبوا عرضيهم عند
جزيرة منقباط ، وتحققوا وصول محمد بيك ومن
معه ، وفرحوا بذلك لأنهم كانوا رأوا فى زائرات
الرمل سقوطه فى المعركة ، ثم أجمعوا رأيهم على
أن يدهموهم آخر الليل ، فركبوا فى ساعة معلومة ،
وسار بهم الدليل فى طوق الجبل ، وقصدوا النزول
من محل كذا على ناحية كذا من العرضى ، فتاه
وضل بهم الدليل حتى تجاوزوا المكان المقصود
بنحو ساعتين ، وأخذوا جهة العرضى فوجدوه قبلهم
بذلك المقدار ، وعلموا فوات القصد ، وأن القوم
متى علموا حصولهم خلفهم ملكوا البلدة من غير
مانع قبل رجوعهم من المكان الذى أتوا منه ، فما

وسمهم الا الذهاب اليهم ومصادمتهم على أى وجه كان ، فلم يصلوهم الا بعد طلوع النهار .
وتيقظ القوم واستعدوا لهم فالتطموا معهم — وهم قليلون بالنسبة اليهم — ووقع الحرب ، واشتد الجلال ، وبذلوا جهدهم فى الحرب ، ويصرخ الكثير منهم بقوله : « أين محمد بيك ! » فبرز اليهم محمد بيك أبو شنب وهو يقول : « أنا محمد بيك » .. فقصده وقاتلوه وقاتلهم حتى قتل ، وسقط جواد يحيى السكرى فلم يزل يقاتل ويدافع حصه طويلة حتى تكاثروا عليه وقتلوه ، وعبد الرحمن كاشف القاسمى يحارب بمدفع يضربه وهو على كتفه .
وانجلت الحرب عن هزيمتهم ونصرة المصريين عليهم ، وذلك عند جبانة أسيوط (١) ، فتشتتوا فى الجهات ، وانضموا الى كبار الهوارة ، وملك المصريون أسيوط ، ودفنوا القتلى ومحمد بيك أبو شنب .
واغتم محمد بيك أبو الذهب لموته ، وفرح لوقوع الزايرة عليه ومفاداته له لأنه كان يعلم ذلك أيضا .
وأقاموا بأسيوط أياما ، ثم ارتحلوا الى قبلى بقصد محاربة همام والهوارة . واجتمع كبار الهوارة مع من انضم اليهم من الأمراء المهزومين .. فراسل محمد بيك اسماعيل أبو عبد الله — وهو ابن عم همام — واستماله ومناه ، وواعده برياسة بلاد الصعيد عوضا عن شيخ العرب همام ، حتى ركن الى قوله ، وصدق تمويهاته ، وتقاعس وتشبث عن القتال وخذل طوائفه .

ولما بلغ شيخ العرب همام ما حصل ورأى فشل القوم ، خرج من فرشوط ، وبعد عنها مسافة ثلاثة أيام ومات مكبوتا مقهورا ، ووصل محمد بيك ومن معه الى فرشوط فلم يجدوا مانعا فملكوها ونهبوها وأخذوا جميع ما كان بدوائر

(١) وكانت معركة أسيوط من أحسن المواقع فى تاريخ على بيك ، وهى التى أكدت له النصر ، فأصبح سيد الوجهين وصاحب النفوذ المطلق فى جميع أنحاء مصر .

(ولغت رمضان — على بيك الكبير — ص ٥٢) .

همام وأقاربه وأتباعه من ذخائر وأموال وغلل ، وزالت دولة شيخ العرب همام من بلاد الصعيد من ذلك التاريخ كأنها لم تكن .

ورجع الأمراء الى مصر ومحمد بيك أبو الذهب ، وصحبته درويش بن شيخ العرب همام ، فانه لما مات أبوه ، وانكسر ظهر القوم بموته ، وعلموا أنهم لانجاح لهم بعده .. أشاروا على ابنه بمقابلة محمد بيك وانفصلوا عنه وتفرقوا فى الجهات ، فمنهم من ذهب الى درنة ، ومنهم من ذهب الى الروم ، ومنهم من ذهب الى الشام .
وقايا درويش بن همام محمد بيك ، وحضر صحبته الى مصر ، وأسكنه فى مكان بالرحبة المقابلة لبيته ، وصار يركب ويذهب لزيارة المشاهد ويتفرج على مصر ويتفرج عليه الناس ويعدون خلفه وأمامه لينظروا ذاته ، وكان وجهها طويلا أبيض اللون أسود اللحية جميل الصورة .. ثم ان على بيك أعطاه بلاد فرشوط والوقف بشفاعة محمد بيك ، وذهب الى وطنه فلم يحسن السير والتدبير ، وأخذ أمره فى الانحلال ، وحاله فى الاضمحلال ، وأرسل من طالبه بالأموال والذخائر فأخذوا ما وجدوه ، وحضر الى مصر والتجأ الى محمد بيك فأكرمه وأنزله بمنزل بجواره ، فلم يزل مقيما به حتى خرج محمد بيك من مصر مغاضبا لأستاده فلحق به وسافر الى الصعيد .

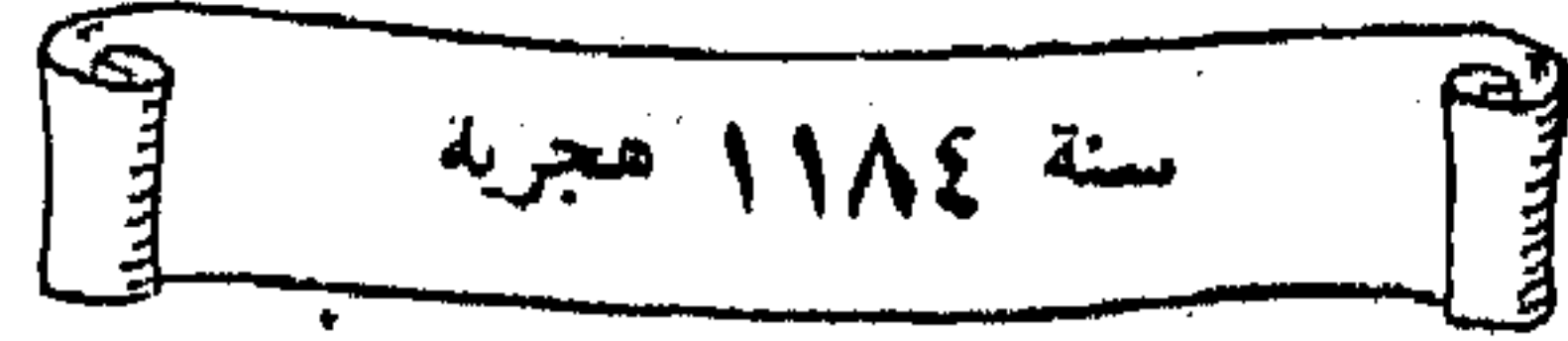
وخلص الاقليم المصرى بحرى وقبلى الى على بيك وأتباعه . فشرع فى قتل المنافى الذين أخرجهم الى البنادر مثل دمياط ورشيد والاسكندرية والمنصورة ، فكان يرسل اليهم ويخنفهم واحدا بعد واحد .. فخلق على كتحدا الخربطلى برشيد ، وحمزة بيك — تابع خليل بيك — بزفتا وقتلوا معه سليمان أغا الوالى واسماعيل بيك أبا مدفع بالمنصورة وعثمان بيك — تابع خليل بيك — هرب الى مركب البيليك فحماء وذهب الى اسلامبول

ومات هناك . وتفى أيضا جماعة وأخرجهم من مصر ، وفيهم سليمان كتخدا المشهدى وإبراهيم افندى جليان . ومات الباشا المنفصل بالبيت الذى نزل فيه ولحق بمن قبله .

رمضان

أوله (٢٩ ديسمبر ١٧٦٩ م) :

اتفق أن على بيك صلى الجمعة الأولى من رمضان بجامع الداودية ، فخطب الشيخ عبد ربه ودعا للسلطان ثم دعا لعلى بيك . فلما انقضت الصلاة ، وقام على بيك يريد الانصراف ، أحضر الخطيب — وكان رجلا من أهل العلم يغلب عليه البله والصلاح — فقال له : « من أمرك بالدعاء باسمى على المنبر ؟ أقيل لك أنى سلطان ؟ » فقال : « نعم أنت سلطان وأنا أدعو لك » . فأظهر الغيظ وأمر بضربه ، فبطحوه وضربوه بالعصى . فقام بعد ذلك متألما من الضرب . وركب حمارا وذهب الى داره وهو يقول فى طريقه : « بدأ الاسلام غريبا وسيعود كما بدأ » . ثم ان على بيك أرسل اليه فى ثانى يوم بدراهم وكسوة واستسمحه .



فيها ورد على على بيك ، الشريف عبد الله (١)

(١) هو الشريف عبد الله بن حسين بن يحيى بن بركات . وقد نخل على بيك تلك الحادثة سببا مباشرا لاعداد حملة كان الغرض الظاهري منها مساعدة الشريف عبد الله ، بينما كان غرضه الحقيقي منها تعيين شريف مكة يخلص لمصلحته ويضمن بطاعته ولاء ذلك الجزء الهام من الدولة الاسلامية . إذ ان وجود شريف فى مكة من صنائع الدولة العثمانية كان ماثرا لمتاعب جمة قد تؤدي الى فساد أمر الحج وسخط الحجاج من مصر والشرق وتضعف من مركزه فى مصر اذا اقترن وجوده فى الحكم بتلك المتاعب فتعيق شريف من صنائعه كان عاملا أساسيا فى نظره يضمن به هدوء الاحوال . ويدخل فى أغراضه أيضا الشهرة التى يحوزها بحمايته للحرمين الشريفين وما كان سيفيده من نفوذ فى مصر ، وهيبة بلاد المغرب والسودان وبلاد الشام وما يليها بتأمين الحج للمسلمين .

(رفعت رمضان - على بيك الكبير من ١٣٨ - ١٣٩)

من أشراف مكة ، وكان من أمره أنه وقع بينه وبين ابن عمه الشريف أحمد ، أخى الشريف مساعد (١) ، منازعة فى امارة مكة بعد وفاة الشريف مساعد ، فتغلب عليه الشريف أحمد واستقل بالامارة ، وخرج الشريف عبد الله هاربا ، وذهب الى ملك الروم واستنجد به ، فكتب له مكاتبات لعلى بيك بالمعونة والوصية والقيام معه ، وحضر الى مصر بتلك المكاتبات فى السنة الماضية .

وكان على بيك مشتغلا بتمهيد القطر المصرى ، ووافق ذلك غرضه الباطنى : وهو طمعه فى الاستيلاء

(١) يذكر الاستاذ رفعت رمضان فى كتابه «على بيك الكبير ص ١٣٩» ان رواية الجبرتي هذه تحتاج الى تصحيح . فيقول « وايراد المسألة على تلك الصورة يحتمل اخطاء تاريخية : اولها انه جعل وفاة الشريف مساعد فى ١١٨٣ هـ والواقع ان الشريف مساعد توفى فى يوم الاربعاء لثلاث بقين من شهر المحرم سنة اربع وثمانين ومائة والى ، وكانت ولايته تسع عشرة سنة الا ثلاثة أشهر . (ابن دحلان ص ٢٠٠ - ٢٠١) ثم عاد فذكر (أى الجبرتي) انه وقع بين الشريف عبد الله وابن عمه الشريف احمد أخى الشريف مساعد منازعة فى امارة مكة بعد وفاة الشريف مساعد فاستنجد عبد الله بملك الروم الذى أوصى به على بيك . وهذه الرواية تحتمل غموضا يؤدي الى الخطأ ، فقد وقع تنافس حقا على امارة مكة بين الشريفين أحمد وعبد الله ، ولكنه ليس عبد الله الذى يقصده فان هذا تولى الشرافة فعلا ولم يحضر الى مصر ، وانما الذى استعان بعلى بيك هو ابن عمه عبد الله بن حسين من آل بركات . ومجمل ما حدث انه بعد عودة المحمل المصرى صحبة أبى الذهب عام ١١٨٣ هـ ثم انتصار الشريف مساعد على عبد الله بن حسين فر هذا عقب الصلح الى على بيك يستنجد به للمرة الثانية . وبينما كان على بيك بعد الحملة توفى الشريف مساعد قبل وصول الحملة المصرية الى بلاد العرب فى المحرم ١١٨٤ هـ (ابريل ١٧٧٠ م) . وكان قد عقد البيعة لأخيه الشريف عبد الله بن سعيد . فما كان عبد الله هذا يتولى الشرافة حتى نازعه أخوه الشريف احمد ابن سعيد وقال : « أنا لها ، أنا لها » فنزل له عن الشرافة وقلده اياها ١١٨٤ هـ . وهكذا قدر أن تانى الحملة المصرية لخلع الشريف مساعد فلا تجده فتضطر فيما بعد الى خلع الشريف احمد . (ابن دحلان ص ٣٠٢ ، ومرعى التواريخ حوادث سنة ١١٨٧ هـ) . وقد انفرد الجبرتي بذكره أن الشريف عبد الله استنجد بملك الروم فكتب له مكاتبات لعلى بيك بالمعونة والوصية والقيام معه . ومن العجيب أن السلطان العثمانى بعث الى على بيك بمثل هذا الرجاء فى اواخر ١١٨٣ هـ واول ١١٨٤ هـ (١٧٧٠ م) ، وهى السنة التى وضعت فيها اطماعه ونواياه . فهل كان يريد من ذلك ان يغريه على ان يتدفق بنفسه وجيشه فى بلاد العرب لينهكه ويقضى على قوته كما طلب ذلك من محمد على فيما بعد ، ام ان الجبرتي أورد ذلك مجرد الايراد دون نعت ؟ وهو المرجح .

على الممالك . فأنزله في مكان ، وأكرمه ورتب له كفايته ، وأقام ببصر حتى تم أغراضه بالقطر ، وخلص له قبلى وبحرى ، وقتل من قتله ، وأخرج من أخرجه — فالتفت عند ذلك الى مقاصده البعيدة ، وأمر بتجهيز الذخائر والاقامات ، وعمل البقسماط الكثير حتى ملأوا منه المخازن ببولاق ومصر القديمة والقصور البرانية وبيوت الأمراء المنافي الخالية . ثم عبوا ذلك وأرسل مع باقى الاحتياجات واللوازم من الدقيق والسمن والزيت والعسل والسكر والأجبان فى البر والبحر ، واستكتب أصناف العساكر أترাকা ومغاربة وشواما ومتاولة ودروزا وحضارمة ويمانية وسودانا وحبوشا ودلاة وغير ذلك ، وأرسل منهم طوائف فى المقدمات والمشاة ، أنزلوهم من القلزم فى المراكب وصحبتهم الجبخانبات والمدافع وآلات الحرب .

صفر

(يونيو ١٧٧٠ م) :

خرجت التجريدة ، بعد دخول الحجاج ، فى تجمل زائد ، ومهياً عظيم . وسارى عسكرها محمد بيك أبو الذهب ، وصحبته حسن بيك ومصطفى بيك وخلافهم (١) .

ربيع الأول

فى ٢٢ منه (١٦ يوليو ١٧٧٠ م) :

وردت الأخبار من الأقطار الحجازية بوقوع حراة عظيمة بين المصريين وعرب ينبع وخلافهم من قبائل العربان والأشراف ، ووقعت الهزيمة على المذكورين ، وانتصر عليهم المصريون ، وقتل وزير ينبع (٢) المتولى من طرف شريف مكة ، وقتل معه خلائق كثيرة .

(١) يذكر ابن دحلان ص ٢٠٠ أنه كان بالحملة ثلاثة مناجق وثلاثة آلاف من العسكر وثلاثون مدفعا .

(٢) كان درويش أبا وزير ينبع فى هذا الوقت / ابن دحلان - من ٢٠٢

وفى هذا الشهر ابتداء القحط والشدة بمصر بسبب المصاريف المتسببة عن هذه الحرب ، فان هذه التجريدة تكلفت ٢٦ مليون فرنك (١)

ربيع الآخر

فى ٩ منه (٢ أغسطس ١٧٧٠ م) :

وصل نجاب الى مصر من الديار الحجازية ، وأخبر بدخول محمد بيك ومن معه الى مكة وانهازم الشريف أحمد وخروجه هاربا (٢) . ونهب المصريون دار الشريف ومن يلوذ به ، وأخذوا منها أشياء كثيرة من أمتعة وجواهر وأموال لها قدر . وجلس الشريف عبد الله فى امارة مكة ، ونزل حسن بيك الى بندر جدة وتولى امارتها عوضا عن الباشا الذى تولاها من طرف ملك الروم ، ولذلك عرف بالجداوى .. وأقام محمد بيك أياما بمكة ثم عزم على المسير والرجوع الى مصر ، ووصلت الأخبار والبشائر بذلك ، وأرسلت اليه الملاقاة بالعقبة وخلافها .

رجب

اوائله (اواخر أكتوبر ١٧٧٠ م) :

لما ورد الخبر بوصوله الى العقبة خرجت الأمراء الى بركة الحج والدار الحمراء لانتظار قدومه .

فى ٨ منه (٢٨ أكتوبر ١٧٧٠ م) :

وصل ودخل الى مصر فى موكب عظيم وأتت اليه العلماء والأعيان للسلام وقصدته الشعراء بالقصائد والتهانى .

(١) نقلنا هذا الخبر من التوفيقات الالهامية .

(٢) هرب الى الطائف . ويقول ابن دحلان ص ٢٠٣ : « كان هروبه فى منتصف ربيع الاول ١١٨٢ هـ (٩ يوليو ١٧٧٠ م) .

في منتصفه (٤ نوفمبر ١٧٧٠ م) :

عزل على بيك عبد الرحمن أغا مستحفظان .
وقلده عوضه سليم أغا الوالى ، وقلده
عوض الوالى موسى أغا من أتباعه ، وأمر عبد
الرحمن أغا بالسفر الى ناحية غزة — وهى أول
حركاته الى جهة الشام — وأمره بقتل سليط شيخ
هربان غزة .. فلم يزل يتحيل عليه حتى قتله هو
واخوته وأولاده . وكان سليط هذا من العصاة
العتاة ، له سير وأخبار .

وفيه : زاد اهتمام على بيك بالتحرك على جهة
الشام ، واستكثر من جمع طوائف العساكر ، وعمل
البقساط والبارود والذخائر والمؤن وآلات الحرب ،
وأمر بسفر تجريدة وأميرها اسماعيل بيك (١) ،
وصحبته على بيك الطنطاوى وعلى بيك الحبشى ،
فبرزوا الى جهة العادلية ، وخرجوا بما معهم من
طوائف العسكر والمماليك والأحمال والخيام
والجبخانات والعربات والضوية وقرب الماء الكثيرة
على الجمال والكرارات والمطابخ والطبول والزمرور
والتقاير وغير ذلك . فلما تكامل خروجهم أقاموا
بالعادلية أياما حتى قضوا لوازمهم وارتحلوا
وسافروا الى جهة الشام .

في ٢١ منه (١٠ نوفمبر ١٧٧٠ م) :

برزت تجريدة أخرى ، وعليها سليمان بيك
وعمر كاشف وجملة كثيرة من العساكر ، فنزلوا من
طريق البحر على دمياط .

ذوالقعدة

في ١٠ منه (٢٥ فبراير ١٧٧١ م) :

وردت أخبار من جهة الشام ، وأشيع وقوع
حرايات بينهم وبين حكام الشام وأولاد العظم .

(١) لاسماعيل بيك مواقف مشهورة منها : القضاء على سويلم
ابن حبيب ، وانتصاراته في الحجاز ، وتأثيره على أبى الذهب في
حملة الشام ، لم توليه الشهاخة نهما بعد .

في منتصفه (٢ مارس ١٧٧١ م) :

خرجت تجريدة أخرى ، وسافرت على طريق البر
على النسق .

في ١٧ منه (٤ مارس ١٧٧١ م) :

طلب على بيك حسن أغا تابع الوكيل
والروزنامجى وباش قلفه واسماعيل أغا الزعيم
وآخرين ، وصادهم في نحو أربعمئة كيس بعد
مأوقهم أياما .

في أواخره (أوائل مارس ١٧٧١ م) :

عمل على بيك درايم على القرى ، وقرر على كل
بلد مائة ريال وثلاثة ريالات حق طريق ،
فضجت الناس من ذلك ، وطلب من النصارى
القبض مائة ألف ريال ، ومن اليهود أربعين ألفا ،
وقبضت جميعها في أسرع وقت .



وفيها : أخرج على بيك تجريدة عظيمة ، وسر
عسكرها وأميرها محمد بيك أبو الذهب وأيوب
بيك ورضوان بيك وغيرهم كشاف وأرباب مناصب
ومماليكهم وطوائفهم وأتباعهم ، وعساكر كثيرة من
المغاربة والترك والهنود واليمانية والمتاولة . . .
وخرجوا في تجمل زائد واستعداد عظيم ، ومعهم
الطبول والزمرور والذخائر والأحمال والخيام
والمطابخ والكرارات والمدافع والجبخانات ومدافع
الزنبلك على الجمال ، وأجناس العالم ألؤفا
مؤلفة : وكذلك أنزلوا الاحتياجات والأثقال
وشحنوا بها السفن ، وسافرت من طريق دمياط
في البحر . (١)

(١) كان على بيك يطمع في أن تمتلك البندقية جزر الدولة
العثمانية في البحر الأبيض . وأرسل الى البندقية يعرض محالفته
ومساعدته لها لتكون قاعدة حربية له . فردت جمهورية البندقية
شاكرا ومعتذرة . وقام بهذه الرسالة يعقوب الارمنى أحد معاونى
على بك . (رفعت رمضان - على بيك الكبير ص ١٦٠) .

فلما وصلوا الى الديار الشامية ، حاصروا يافا وضيقوا عليها حتى ملكوها بعد أيام كثيرة ، ثم توجهوا الى باقى المدن والقرى وحاربهم النواب والولاة وهزموهم وقتلوهم وفروا من وجوههم واستولوا على الممالك الشامية الى حد حلب .

ربيع الأول

(يونية - يولية ١٧٧١ م) :

وردت البشائر بذلك فنودى بالزينة ، فزينت مصر وبولاق ومصر العتيقة زينة عظيمة ثلاثة أيام بلياليها وعملت وقدرات وأحمال قناديل وشموع بالأسواق وسائر الجهات ، وعملوا ولائم ومغانى وآلات وطبولا وشنكا وحراقات .

وتعاطم على بيك فى نفسه ولم يكتف بذلك ، فأرسل الى محمد بيك يأمره بتقليد الأمراء المناصب والولايات على البلاد التى افتتحوها وملكوها ، وأن يستمر فى سيره ويتعدى الحدود ، ويستولى على الممالك الى حيث شاء ، وهو يتابع اليه ارسال الامدادات واللوازم والاحتياجات ، ولا يشنون عنانهم عما يأمرهم به (١) .

فعند ذلك جمع محمد بيك أمراءه وخشداشيه الكبار فى خلوة وعرض عليهم الأوامر ، فضاقت نفوسهم ، وسئمو الحرب والقتال والغربة وذلك ما فى نفس محمد بيك أيضا . ثم قال لهم : « ماتقولون ؟ » . قالوا : « وما الذى نقوله والرأى لك ، فأنت كبيرنا ، ونحن تحت أمرك وإشارتك ولا نخالفك فيما تأمر به » . فقال : « ربما يكون

(١) ذكر الرحالة فولنى - ثلاثة أعوام فى مصر وبر الشام - ترجمة أدوار البستاني « أن الاشاعات تواترت بأن هدد الحملة المصرية ٦٠٠٠٠ مقاتل وأن الأوربيين دهشوا لضخامة تلك الحملة لظنهم أن كفاة الجندي المصري لا تقل من نظيره الروسى أو البروسى . ثم ذكر أن الجيش كان معدوم النظام فرسانه مختلفو السلاح واللبس وخبولهم مختلفة الألوان والأحجام ، لا يسرون فى صفوف منظمة لو وفق توزيع خاص » .

رأى مخالفا لأمر أستاذنا » . قالوا : « ولو مخالفا لأمره فنحن جميعا لانخرج عن أمرك وإشارتك » . فقال : « لا أقول لكم شيئا حتى تتحالف جميعا وتعاهد على الرأى الذى يكون بيننا » . ففعلوا ذلك ، وتعاهدوا وحلفوا على السيف والكتاب .

ثم انه قال لهم : « ان أستاذكم يريد أن تقطعوا أعماركم فى الغربة والحرب والأسفار والبعد عن الأوطان ، وكلما فرغنا من شىء فتح علينا غيره . فرأى أن نكون على قلب رجل واحد ونرجع الى مصر ولا نذهب الى جهة من الجهات ، وقد فرغنا من خدمتنا ، وان كان يريد غير ذلك من الممالك يولى أمراء غيرنا ويرسلهم الى ما يريد ، ونحن يكفيننا هذا القدر ونرتاح فى بيوتنا وعشيد عيالنا » . فقالوا جميعا : « ونحن على رأيك » . وأصبحوا راحلين وطالبن الى مصر (١) .

رجب

اواخره (اوائل نوفمبر ١٧٧١ م) :

حضروا على خلاف مراد مخدومهم (٢) ، وبقي الأمر على السكوت . ثم ان على بيك قلد أيوب بيك اماره جرجا وقضى أشغاله وسافر الى الصعيد بطائفته وأتباعه .

انقضى شعبان ورمضان (نوفمبر وديسمبر ١٧٧١ م) : وعلى بيك مصمم على رجوع محمد

(١) حاول كثير من الكتاب والمؤرخين تحليل هذا الانسحاب فمنهم من ينسب ذلك الى اسماعيل بيك لملكه الى الدولة العثمانية وحسده لابي الذهب فخره على عدم اطاعته لأوامر على بيك . ومنهم من ينسبه الى ابي الذهب نفسه ، فكان يدبر وسيلة للقضاء على على بيك منذ زمن طويل وأنه كان يعبد لنفسه طريق الحكم والسلطان عندما تنفج الشجرة . وقد حالت الفرصة لعاد لاقتطاعها .

(٢) وقعت رمضان - على بيك الكبير من ١٧٤)

(٢) روج ابو الذهب اشاعة قبيل الانسحاب بوقاة على بيك . ابتكرها بنفسه وروجاها أنصاره بقصد اغراء الجند على سرعة العودة الى مصر .

(المصدر السابق من ١٧٦)

بيك الى جهة الشام ، وذلك مصمم على خلاف ذلك ، وبدت بينهما الوحشة الباطنية .

شذال

في ٤ منه (١٠ يناير ١٧٧٢ م) :

في هذه الليلة : بيت على بيك مع على بيك الطنطاوى وخلافه ، واتفق معهم على غدر محمد بيك .. فركبوا عليه ليلا وأحاطوا بداره ، ووقفت له العساكر بالأسلحة في الطرق . فركب في خاصته وخرج من بينهم وذهب الى فاحية البساتين وارتحل الى الصعيد (١) فحضر اليه بعض الأمراء أصحاب المناصب ، وعلى كاشف ، تابع سليمان افندى كاشف ، شرق أولاد يحيى ، وقدموا له ما معهم من الخيام والمال والاحتياجات . ولم يزل في سيره حتى وصل الى جرجا ، واجتمع عليه أيوب بيك خشداشه ، وأظهر له المصافاة والمؤاخاة ، وقدم له هدايا وخنولا وخياما .. فلم يلبث الا وقد أحضر عيون محمد بيك الذين أرصدهم بالطريق رجلا ومعه مكاتبة من على بيك ، خطابا لأيوب بيك ، يأمره ويستحثه على عمل الحيلة وقتل محمد بيك بأى وجه أمكنه ويعبده امارته وبلاده وغير ذلك .

فلما قرأ المراسلة وفهم مضمونها أكرم الرجل وقال له : « تذهب اليه بالكتاب وائتنى بجوابه ولك مزيدا لأكرام » . فذهب ذلك الساعى وأوصل الكتاب الى أيوب بيك وطلب منه رد الجواب

(١) أمر على بيك بإغلاق أبواب القاهرة ، فأغلقت ، وأمر الحرس بعدم السماح لكائن من كان بولوجها داخلا أو خارجا ، ونهيات النفوس لحدث على وشك الوقوع دون أن يعلموا كنهه . ثم عهد الى على بيك طنطاوى وأتباعه في تنفيذ الخطة . ولكن أبا الذهب كان أسعد حظا ، فقد نجح في اختراق الحصار الذى ضرب حول منزله ثم أمر حراس أحد الأبواب أن يفتحوه بأمر على بيك حتى يقوم بإداء رسالة خطيرة أمره بها مولاه ، وبذلك تمكن من الفرار الى الصعيد .

(٢) رفعت رمضان - على بيك الكبير من ١٧٩

وأعطاه الجواب وذكر فيه أنه مجتهد في تتميم الغرض ، ومتربح حصول الفرصة ، فحضر به الى محمد بيك .

فعند ذلك استعد محمد بيك وتحقق خيائته ونفاقه . فاتفق مع خاصته وأمرائه بالاستعداد والوثوب ، وأله اذا حضر اليه أيوب بيك أخذ أرباب المناصب نظراءهم وتحفظوا عليهم . فلما حضر في صباحها أيوب بيك جلس معه في خلوة ، وأخذ كل من الخازندار والكتخدا والجوخدار والسلحدار نظراءهم من جماعة محمد بيك .

ثم قال محمد بيك يخاطب أيوب بيك : « يا هل ترى نحن مستمرون على الأخوة والمصافاة والصداقة والعهد واليمين الذى تعاقدنا عليه بالشام ؟ » . قال : « نعم وزيادة » . قال : « ومن نكث ذلك وخان اليمين وتقض العهد ؟ » . قال : « يقطع لسانه الذى حلف به ويده التى وضعها على المصحف » . فعند ذلك قال له : « بلغنى أنه أتك كتاب من أستاذنا على بيك » ، فجدد ذلك . فقال : « لعل ذلك صحيح وكتبت له الجواب أيضا » . قال : « لم يكن ذلك أبدا ، ولو أتانى منه جواب لأطلعتك عليه ولا يصح أنى أكتنه عنك أو أرد له جوابا » .

فعند ذلك أخرج له الجواب من جيبه ، وأحضر اليه ذلك الرسول .. فسقط في يده ، وأخذ يتنصل بيارد العذر . فعند ذلك قال له : « حينئذ لا تصح مرافقتك معى وقم فاذهب الى سيدك » . وأمر بالقبض عليه وأنزلوه الى المركب ، وأحاط بوطاقه وأسبابه وتفرقت عنه جموعه . فلما صار وحيدا في قبضته أحضر عبد الرحمن أغا ، وكان اذ ذاك بناحية قبلى ، وانضم الى محمد بيك فقال له : « اذهب الى أيوب بيك واقطع يده ولسانه كما حكم على نفسه بذلك » . فأخذ معه المشاعلى وحضر اليه في السفينة وقطعوا يمينه ثم شبكوا في لسانه سنارة

وجذبوه ليقطعوه ، فتخلص منهم وألقى بنفسه
الى البحر فغرق ومات (١)

وكان قصد محمد بيك أن يفعل به ذلك
ويرسله على هذه الصورة الى سيده بمصر . ثم
انهم أخرجوه وغسلوه وكفنوه ودفنوه . فعند
ما وقع ذلك أقبلت الأمراء والأجناد المتفرقون
بالأقاليم على محمد بيك ، وتحققوا عند ذلك
الخلاف بينه وبين سيده ، وقد كانوا محججين عن
الحضور اليه ويظنون خلاف ذلك ، وحضروا اليه جميع
المنافى وأتباع القاسمية والهوارة الذين شردهم على
بيك وسلب نعمتهم ، فأنعم عليهم وأكرمهم وتلقاهم
بالبشاشة والمحبة ، واعتذر لهم وواساهم وقلدهم
الخدم والمناصب ، وهم أيضا تقيّدوا بخدمته
وبذلوا جهدهم في طاعته .

ووصلت الأخبار بذلك الى مصر ، وحضر اليه
كثير من مماليك أيوب بيك وأتباعه سوى من انضم
منهم والتجأ الى محمد بيك وأتباعه . فعند ذلك
نزل بعلى بيك من القهر والغيط المكظوم
ما لا يوصف ، وشرع في تشهيل تجريدة عظيمة
وأمرها وسرعسكرها اسماعيل بيك ، واحتفل بها
احتفالا كثيرا ، وأمر بجمع أصناف العساكر ،
واجتهد في تنجيز أمرها في أسرع وقت .

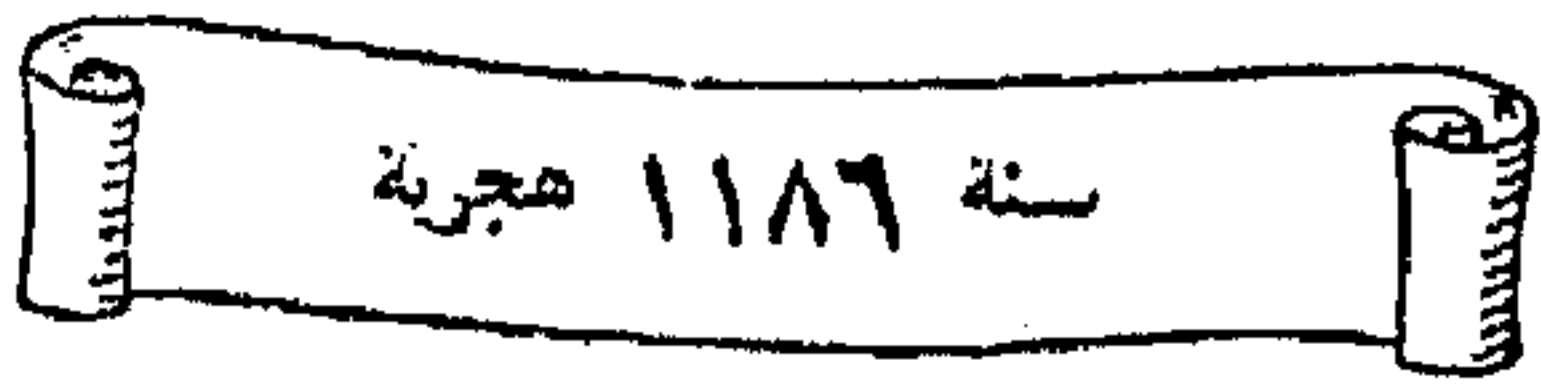
ذوالقعدة

في اواخره (أوائل مارس ١٧٧٢ م) :

سافروا برا وبحرا ، فلما التقى الجمعان خامر
اسماعيل بيك وانضم بمن معه من الجموع الى
محمد بيك وصاروا حزبا واحدا ، ورجع الذين لم
يميلوا — وهم القليل — الى مصر . فعند ذلك
اشتد الأمر بعلى بيك ، ولاحت على دولته لوائح

(١) يموت أيوب بيك تغير الموقف السياسي في مصر ، ذلك ان
أبا الذهب أصبح محورا للتفت حوله جميع العناصر المعارضة
لعلى بيك .

الزوال ، وكاد يموت من الغيظ والقهر . وقلد
سبعة صناجق ، والكل مزلقون ، وسماهم أهل مصر
السبع بنات (١) وهم : مصطفى بيك وحسن بيك
ومراد بيك وحمزه بيك ويحيى بيك و خليل بيك
كوسه ومصطفى بيك أوده باشا . وعمل لهم برقا
وداقما ولوازم وطبلخانات في يومين ، وضم اليهم
عساكر وطوائف ومماليك وأتباعا وبرز بنفسه الى
جهة البساتين ، وشرع في تشهيل تجريدة أخرى
— وأميرها على بيك الطنطاوى — وأخرج
الجيشانات والمدافع الكثيرة ، وأمر بعمل متاريس
من البحر الى جهة الجبل



المحرم

(ابريل ١٧٧٢ م) :

فيه : خرج على بيك الى جهة البساتين (٢) في أواخر
العام الماضى وعمل متاريس ونصب عليها المدافع
من البحر الى الجبل ، واجتهد في تشهيل تجريدة
وأمرها على بيك الطنطاوى وصحبته باقى الأمراء
الذين قلدهم

منتصفه (١٨ ابريل ١٧٧٢ م) :

عدوا لمحاربة محمد بيك أبى الذهب
واسماعيل بيك ومن معهما ، وكانوا سائرين
يريدون مصر .. فتلاقوا معهم عند بياضة (٣) ،
ووقعت بينهم معركة قوية ظهر فيها فضل القاسمية
— وخصوصا أتباع صالح بيك وعلى أغا

(١) مزلقون أى متزينون ناعمون . وتسميتهم بالسبع بنات
كناية عن منتهى الترف وعدم السلاحية لجهاد الحرب .

(٢) البساتين : قرية جنوبى مصر القديمة على الضفة الشرقية
للنيل ، يشغل معظم أهلها بقطع الأحجار . وعندها كان يمر
المسافرون من الصعيد الى الوجه البحرى من الضفة الغربية
الى الضفة الشرقية ، وذلك بحديث بسهولة لوجود عدة جرد في
عرض النيل تجاه البساتين .

(٣) تجاه بنى سويف الى الشمال .

المذكور بيد رزق النصرالى ، وهى قروش مفرد ومجوز ، وقطع صغار تصرف بعشرة أنصاف وخمسة أنصاف ونصف قرش ، وكان أكثرها نحاسا وعليها علامة على بيك .

سنة ١١٨٧ هجرية

فيها تواترت الأخبار والارجافات بمجىء على بيك (١) من البلاد الشامية بجنود الشام وأولاد الظاهر عمر . فتهيا محمد بيك للقاءه ، وبرز خيامه الى جهة العادلية ، ونصب الصيوان الكبير هناك — وهو صيوان صالح بيك — وهو فى غاية العظم والاتساع والعلو والارتفاع ، وجميعه بدوائر من جوخ صاية ، وبطاته بالأطلس الأحمر ، وطلائعه وعساكره من نحاس أصفر مموه بالذهب ، فأقام يومين حتى تكامل خروج العسكر ، ووصل الخبر بوصول على بيك بجنوده الى الصالحية .

صفر

فى ٥ منه (٢٨ ابريل ١٧٧٢ م) :

ارتحل محمد بيك فالتقى مع على بيك فى الصالحية .. وتحاربوا فكانت الهزيمة على على بيك (٢) ، وأصابته جراحة فى وجهه فسقط عن جواده ، فاحتاطوا به وحملوه الى مخيم محمد بيك . وخرج اليه وتلقاه وقبل يده ، وحمله من تحت ابطة حتى أجلسه بصيوانه (٣)

(١) لم يكذ يصل على بيك الى الشام حتى أصابته حمى شديدة لفراط ملاقاته من الجهد والامياء . وقد أرسل له حليفه ظاهر طبيبه ووزيره ابراهيم الصباغ . فشفى بعد ثلاثة اسابيع (ميخائيل نقولا الكاوى - تاريخ الشيخ ظاهر العمر ص ١٣٠) (٢) كان لخيانة المرتزقة من مشاة المغاربة اثر اساسى فى هزيمة الصالحية ، وهى أهم المواقع الثلاث الحاسمة فى تاريخ على بيك . (رفعت رمضان - على بيك الكبير - ص ١٩٦) (٣) الواقع انه رغم منافسه محمد بيك لسيدته - تلك المنافسة غير الشريفة - فانه كان يحله ويحترمه .

المعمار (١) - ووقعت الهزيمة على عسكر على بيك ، وساق خلفهم القبالى مسافة ، فمانعوا عن أنفسهم ، وعدوا على دير الطين ، وكان على بيك مقيما به .

فلما حصل ما حصل اشتد القهر بالمذكور ، وتحير فى أمره ، وأظهر التجلد ، وأمر بالاستعداد وترتيب المدافع ، وأقام الى آخر النهار ، وتفرق عنه غالب عساكره من المغاربة وغيرهم وحضر محمد بيك الى البر المقابل لعلى بيك ونصب صيوانه وخيامه تجاهه فتفكر على بيك فى أمره ، وركب عند الغروب وسار الى جهة مصر ، ودخل من باب القرافة ، وطلع الى باب العزب فأقام به حصّة من الليل ، وأشيع بالمدينة أن مراده المحاصرة بالقلعة . ٢٥ منه (٢٨ ابريل ١٧٧٢ م) :

ثم انه ركب الى داره ، وحمل حموله وأمواله ، وخرج من مصر ، وذهب الى جهة الشام ، وصحبته على بيك الطنطاوى ، وباقي صناعقه ومماليكه وأتباعه وطوائفه (٢) .

الخميس ٢٦ منه (٢٩ ابريل ١٧٧٢ م) :

عدى محمد بيك الى بر مصر ، وأوقدوا النار فى ذلك اليوم فى الدير بعدما نهبوه ، ودخل محمد بيك الى مصر وصار أميرها . ونادى أصحاب الشرطة على أتباعه بأن لا أحد يأويهم ولا يتأويهم ، فكانت مدة غيبته سبعين يوما .

وأرسل عبد الرحمن أغا مستحفظان الى عبد الله كتبخدا الباشا ، فذهب اليه بداره ، وقبض عليه وقطع رأسه . ونادى بإبطال المعاملة التى ضربها

(١) من خشداشين صالح بيك الذى قتل فى عهد محمد على بيك انضم الى أبى الذهب واشترك فى معركة بياضة .

(٢) أمر على بيك رجاله بتجهيز ماله ومتاعه الخاص والاستعداد للرحيل . ثم أرسل أمرا الى المعلم رزق - وهو المتصرف فى شئون المالية المصرية - باحضار ما بالخزينة من مال . ولكن رزق كان قد اختفى .

(رفعت رمضان - على بيك الكبير - ص ١٨٤)

٨ منه (١ مايو ١٧٧٣ م) :

قتل على بيك الطنطاوى وسليمان كتحدا وعمر جاويش وغيرهم .

٩ منه (٢ مايو ١٧٧٣ م) :

وصل خبر ذلك الى مصر فى الصباح ، وحضروا اليها ، وأنزل محمد بيك أستاذه فى منزله الكائن بالأزبكية بدرب عبد الحق ، وأجرى عليه الأطباء لمداواة جراحاته .

فى ١٥ منه (٨ مايو ١٧٧٣ م) :

وصل الحجاج ودخلوا الى مصر وأمير الحج ابراهيم بيك محمد .

وفى تلك الليلة : توفى الأمير على بيك وذلك بعد وصوله بسبعة أيام ... قيل انه سم فى جراحاته فغسل وكفن ، ودفنوه عند أسلافه بالقرافة .

وعلى بيك الكبير هو مملوك ابراهيم كتحدا ، تابع سليمان جاويش ، تابع مصطفى كتحدا القزدغلى . تقلد الامارة والصنجدية بعد موت أستاذه سنة ١١٦٨ هـ (١٧٥٤ - ١٧٥٥ م) .

وكان قوى المراس ، شديد الشكيمة ، لا يرضى لنفسه بدون السلطنة العظمى بديلا . فمما قال : أنا لا أتقلد الامارة الا بـسيفى لا بمعونة أحد .

وكان يلقب بـ « جن على » ، وكان يلقب أيضا بـ « بلوط قبن » .

وقد قتل منافسيه من الرؤساء والأقران وباقي الأغنياء ، وفرق جمعهم فى القرى والبلدان ، وتبعهم خنقا وقتلا ، وأبادهم فرعا وأصلا . واستأصل كبار خشداشيته وقبيلته . وأخرم القوانين الجسيمة والعوائد المرتبة . وحارب كبار العربان .

واستكثر من شراء الممالك ، وجمع العسكر من جميع الأجناس ، وخلص له الاقليم المصرى من

الاسكندرية الى أسوان ، ونفذ أغراضه بالبلاد الحجازية والشام ، ومنع ورود الولاة العثمانيين . وكان يطالع كتب الأخبار والتواريخ وسير الملوك المصرية . وكان لا يجالس الا أهل الوقار والحشمة والمسنين .

وتتبع المفسدين الذين يتدخلون فى القضايا والدعوى — بأخذ الرشوات والبعالات — وعاقبهم بالضرب الشديد ، حتى أن الشخص كان يسافر بمفرده ليلا — راكبا أو ماشيا ، ومعه حمل الدراهم والدنانير — ويبست فى الغيط أو البرية آمننا مطمئنا ، لا يرى مكروها أبدا .

وكان عظيم الهية . فقد اتفق لأناس أن ماتوا فرقا من هيئته ! وكان صحيح الفراسة ، شديد الحذق ، ولا يحتاج فى التفهيم الى ترجمان أو من يقرأ له الصكوك والوثائق ، بل يقرأها بنفسه .

وهو الذى أقام المسجد الجامع والقبة على مقام سيدى أحمد البدوى ، وما يجاورها من الحوانيت للتجار ، وسميت هناك بالغورية . ورتب بالمسجد عدة من الفقهاء والمدرسين والطلبة والمجاورين ، وجعل لهم خبزا وجرايات فى كل يوم .

وهو الذى جدد أيضا قبة الإمام الشافعى رضى الله عنه ، وكشف ما عليها من الرصاص القديم من أيام الملك الكامل الأيوبى فى القرن الخامس وقد تشعث وصدىء لطول الزمان ، فجدد ما تحته من خشب القبة البالى بغيره من الخشب النقى الحديث ، ثم جعلوا عليه صفائح الرصاص المسبوك الجديد المثبت بالمسامير العظيمة .. وهو عمل كثير ، وجدد نقوش القبة من داخل بالذهب واللازورد والأصباغ . وكتب بافريزها تاريخا منظوما بخط صالح افندى . وهدم أيضا الميضاة التى كانت من عمارة عبد الرحمن كتحدا ، وكانت صغيرة مشنة الأركان ، ووسعها ، وعمل عوضها هذه الميضاة الكبيرة . وهى مربعة مستطيلة (١) متسعة وبجانبيها حنفية

وبزاييز يصب منها الماء . وحول الميضاة كراسى
راحة بحيطان متسعة تجرى مياهها الى بعضها ،
وماؤها شديد الملوحة !

ومن انشائه أيضا العمارة العظيمة التي أنشأها
بشاطيء النيل ببولاق ، حيث دكك الحطب ، تحت
ربع الخرنوب ، وهي عبارة عن قيسارية عظيمة
بباين ، يسلك منها من بحرى الى قبلى وبالعكس ،
وخانا عظيما يعلوه مساكن من الجهتين ، وبخارجه
حوانيت وشونة غلال ، حيث مجرى النيل ، ومسجد
متوسط . فحفروا أساس جميع هذه العمارة حتى
بلغوا الماء ، ثم بنوا لها خنازير مثل المنارات من
الأحجار والدبش والمؤن ، وغاصوا بها فى ذلك
الخندق حتى استقرت على الأرض الصحيحة ، ثم
ردموا ذلك الخندق المحتوى على تلك الخنازير
بالمؤن والأحجار (١) . واستعلوا عليه بعد ذلك
بالبناء المحكم بالحجر النحيت ، وعقدوا العقود
والقواصر ، والأعمدة والأخشاب المتينة ..

.. وبعد موته لم تزل الأرض تعلو ، والأتربة
تزيد فيما بين زاوية تلك العمارة الى شون الغلال ،
ويزيد نموها فى كل سنة حتى صار لا يركبها الماء
الا فى سنين الفرق ! ثم فحش الأمر وبنى الناس
دورا وقهاوى فى بحرى العمارة ، وسبحوا الى جهة
قرب الماء مغربين ، وألقوا أتربة العماير وما يحفرونه
حول ذلك . واقتدى بهم الترابة وغيرهم ، ولم
يجدوا مانعا ولا رادعا .. وكلما فعلوا ذلك هرب
الماء وضعف جريانه ، وربت الأرض وعلت وزادت
حتى صارت كيما نا تنقبض النفوس من رؤيتها ،
وتمتلىء المنافس من عجاجها ، وخصوصا فى وقت
الهجير .. بعد أن كانت نزهة للناظرين .

ولقد أدركنا فيما قبل ذلك تيار النيل يندفع من

(١) الهس هذا تريبا مما نعمل اليوم ، بعد مائتين من السنين ؟

ناحية بولاق التكرور الى تلك الجهة ، ويمر بقو
تحت جدران الدور والوكائل القبلية وساحل الش
ووكالة الأيزار وخضرة البصل وجامع السنانية ود
الخرنوب الى الجيعانية وينعطف الى قصر الحد
والشيخ فرج صيفا وشتاء ولا يعوقه عائق
ولا يقدر أحد أن يرمى بساحل النيل شيئا
التراب . فان اطلع الحاكم على ذلك نكل به
أو بخفير تلك الناحية !

وهذا شيء قد تودع منه ، ومن أمثاله . وآ
من أدركنا فيه هذا الالتفات والتفقد للأمور الجز
التي يترتب بزيادتها الضرر العام عبد الرحمن
مستحفظان ، فانه كان يحذو طريق الحك
السابقين ..

وتضاعف الحال حتى أن بعض الطرق الموص
الى بولاق استدت بتراكم الأتربة التي يلقيها أه
الأطراف خارج الدروب ، ولا يجدون من يمنعه
أو يردعهم . وقدرت علو الأرض — بسبب ه
العمارة — زيادة عن أربع قامات . فاننا كنا نعد
درج وكالة الأيزارين من ناحية البحر ، عندما
ساكنين بها قبل هذه العمارة ، نيفا وعشرين درجا
وكذلك سلم قيطون .. وقد غابت جميعها تح
الأرض ، وغطتها الأتربة .. والله عاقبة الأمور .

ومن انشاء على بيك الكبير داره المطللة ع
بركة الأربكية بدرب عبد الحق ، التي مات بها
والحوض والساقية والطاحون بجوارها .

وبالجملة فأخباره ووقائعه وسيرته لو جمعت ه
مبدأ أمره الى آخره لكانت مجلدات . وقد ذكر
فيما تقدم لمعا من ذلك بحسب الاقتضاء ، مم
استحضره الذهن القاصر ، والفكر المشوش الفا
بتراكم الهموم ، وكثرة الغموم ، وتزايد المحن
واختلاط الفتن ، واختلال الدول ، وارتفاع السفلى

سنة ١١٨٩ هجرية

فيها عزم محمد بيك أبو الذهب على السفر والتوجه الى البلاد الشامية بقصد محاربة الظاهر عمر ، واستخلاص ما بيده من البلاد . فبرز خيامه الى العادلية ، وفرق الأموال والتراويل على الأمراء والعساكر والمعاليك ، واستعد لذلك استعدادا عظيما في البحر والبر ، وأنزل بالمراكب الذخيرة والجبخانه والمدافع والقنابر والمدفع الكبير المسمى « أبو مايله » ، الذي كان سبكه في العام الماضي .

المستم

أوائله (أوائل مارس ١٧٧٥ م) :

سافر محمد بيك أبو الذهب بجموعه وعساكره ، وأخذ صحبته ... مراد بيك ، وإبراهيم بيك طنان ، وإسماعيل بيك - تابع إسماعيل بيك الكبير لاغير ، وترك بمصر إبراهيم بيك ، وجعله عوضا عنه في إمارة مصر ، وإسماعيل بيك وباقي الأمراء ، والباشا الذي بالقلعة ، وهو مصطفى باشا النابلسي ، وأرباب العكاكيز والخدم والوجاقلية . ولم يزل في سيره حتى وصل الى جهة غزة ، وارتجت البلاد لوروده ، ولم يقف أحد في وجهه . وتحصن أهل يافا بها ، وكذلك الظاهر عمر تحصن بعكا .

فلما وصل الى يافا ، حاصرها وضيق على أهلها ، وامتنعوا هم أيضا عليه ، وحاربوه من داخل ، وحاربهم من خارج ، ورمى عليهم بالمدافع والمكاحل والقنابر عدة أيام وليال . فكانوا يصعدون الى أعلى السور ويسبون المصريين وأميرهم سبا قيحا . فلم يزالوا بالحرب عليها حتى تقبوا أسوارها ، وهجموا عليها من كل ناحية ، وملكوها عنوة ، ونهبوها

ولعل العود يخضر بعد الذبول ، ويطلع النجم بعد الأفول ، أو يبسم الدهر بعد كشارة أنياه ، أو يلحظنا من نظر المتغابي في أياه .

زمن كآحلام تقضى بعده

زمن نعلل فيه بالأحلام

ولله في خلقه من قديم الزمان عادة . وانتظار الفرج عبادة . نسأله انقشاع المصائب ، وحسن العواقب (١) .

ربيع الأول

في ١٧ منه (٨ يونيو ١٧٧٣ م) :

وصل الوزير خليل باشا والى مصر .

الخميس ١٩ منه (١٠ يونيو ١٧٧٣ م) :

طلع خليل باشا الى القلعة في موكب عظيم ، وضربوا له مدافع وشنكا من الأبراج . وكان وصوله من طريق دمياط فعمل الديوان وخلع الخلع .

سنة ١١٨٨ هجرية

(١٤ مارس ١٧٧٤ - ٣ مارس ١٧٧٥ م)

استهلت ووالى مصر خليل باشا محجور عليه .. ليس له في الولاية الا الاسم والعلامة على الأوراق ، والتصرف الكلى للأمير الكبير محمد بيك أبو الذهب والأمراء وأعيان الدولة ممالكه واشراقاته ، والوقت في هدوء وسكون وأمن ، والأحكام في الجملة مرضية ، والأسعار رخيصة ، وفي الناس بقية ، وستائر الحياء عليهم مرخية .

وما الدهر في حال السكون بساكن

ولكنه مستجمع لوثوب

(١) حين ينطلق قلم الجبرنى من اسار السرد التاريخى ، يبين من نفس مريرة تنفعل بالأحداث الجسام التى مرت بالبلاد فى ايامه ...

وقبضوا على أهلها ، وربطوهم في الجبال والجزائر .
وسبوا النساء والصبيان وقتلوهم عن آخرهم .
ولم يميزوا بين الشريف والنصراني واليهودي ،
والعالم والجاهل والعامي والسوقي ، ولا بين الظالم
والمظلوم .. وربما عوقب من لا جنى ، وبنوا من
رءوس القتلى عدة صوامع ووجوها بارزة تنسف
عليها الأتربة والرياح والزواجع ، ثم ارتحل عنها
طالباً عكا .

فلما بلغ الظاهر عمر ما وقع بيافا ، اشتد خوفه ،
وخرج من عكا هارباً ، وتركها وحصونها .. فوصل
إليها محمد بيك ودخلها من غير مانع وأذعنت له
باقي البلاد ودخلوا تحت طاعته وخافوا سطوته .
وداخل محمد بيك من الغرور والفرح ما لا مزيد
عليه ، وما آل به إلى الموت والهلاك . وأرسل
بالبشائر إلى مصر والأمراء بالزينة فنودي بذلك ،
وزينت مصر وبولاق والقاهرة وخارجها زينة
عظيمة ، وعمل بها وقعات وشنكات وحراقات
وأفراح ثلاثة أيام بلياليها .

ربيع الآخر

أوائله (يونيو ١٧٧٥ م) :

عند انقضاء ذلك ، ورد الخبر بموت محمد بيك ،
واستمر في كل يوم يفشوا الخبر وينمو ويزيد ويتناقل
ويتأكد ، حتى وردت الساعة بتصحيح ذلك . وشاع
في الناس وصاروا يتعجبون ويتلون قوله تعالى :
« حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم
مبلسون » (١) .

وذلك أنه لما تم الأمر وملك البلاد المصرية
والشامية ، وأذعن الجميع لطاعته .. وقد كان أرسل
اسماعيل أغا — أخا على بيك الغزاوي — إلى
اسلامبول يطلب امرية مصر والشام ، وأرسل
صحبته أموالاً وهدايا ، فأجيب إلى ذلك وأعطوه

(١) آية ٤٤ ، سورة الأنعام .

التقاليد والخلع واليرق والداقم ، وأرسل له
المراسلات والبشائر بتمام الأمر ، فوافاه ذلك يوم
دخوله عكا ، فامتلاً فرحاً وحمى بدنه في الحال . .
فأقام محموماً ثلاثة أيام ومات ليلة الرابع .

ووافى خبر موته اسماعيل أغا عندما تهيأ ونزل
في المراكب يريد المسير إلى مخدمه ، فانتقض الأمر
وردت التقاليد وباقي الأشياء .

ولما تم له أمر يافا وعكا وباقي البلاد والثغور ..
فرح الأمراء والأجناد الذين بصحبته برجعهم إلى
مصر ، وصاروا متشوقين للرحيل والرجوع إلى
الأوطان . فاجتمعوا إليه في اليوم الذي نزل به
مانزل في ليلته ، فتبين لهم من كلامه عدم العود ،
وأنه يريد تقليدهم المناصب والأحكام بالديار
الشامية وبلاد السواحل ، وأمرهم بإرسال المكاتبات
إلى بيوتهم وعيالهم بالبشارات ... بما فتح الله عليهم
وما سيفتح لهم . ويظمنوهم ويطلبوا احتياجاتهم
ولوازمهم المحتاجين إليها من مصر . فعند ذلك
اغتموا وعلموا أنهم لا براح لهم ، وأن أملهم غير
هذا ، وذهب كل إلى مخيمه يفكر في أمره . وأقاموا
على ذلك ثلاثة أيام التي تمرض فيها ، وأكثرهم
لا يعلم بمرضه ، ولا يدخل إليه إلا بعض خواصه ،
ولا يذكرون ذلك إلا بقولهم في اليوم الثالث انه
منحرف المزاج .

فلما كان في صبح الليلة التي مات بها نظروا
إلى صيوانه وقد انهدم ركنه ، وأولاد الخزنة في
حركة . ثم زاد الحال وجردوا على بعضهم السلاح
بسبب المال ، وظهر أمر موته ، وارتبك العرضي ،
وحضر مراد بيك فصدهم وكفهم عن بعضهم ،
وجمع كبراءهم وتشاوروا في أمرهم وأرضى
خواطرهم ، خوفاً من وقوع الفشل فيهم ، وتشتتهم
في بلاد الغربية ، وطمع الشاميين وشمايتهم فيهم .
واتفق رأيهم على الرحيل ، وأخذوا رمة سيدهم

صحبتهما لما تحقق عندهم أنهم ان دفنوه هناك في بعض المواضع أخرجه أهل البلاد ونبشوه وأحرقوه . فغسلوه وكفنوه ولفوه في المشعات ووضعوه في عربة وارتحلوا به طالبين الديار المصرية (١) .

ربيع الآخر

٢٤ منه (٢٤ يونيو ١٧٧٥ م)

وصلوا في ستة عشر يوما أواخر النهار ، فأرادوا دفنه بالقرافة . وحضر الشيخ الصعيدي فأشار بدفنه في مدرسته تجاه الأزهر ، فحفروا له قبرا في الليوان الصغير الشرقي وبنوه ليلا ، ولما أصبح النهار عملوا له مشهدا وخرجوا بجنازته من بيته الذي بقوصون ، ومشى أمامه المشايخ والعلماء والأمراء وجميع الأحزاب والأوراد وأطفال المكاتب ، وأمام نعشه مجامر العنبر والعود ستر على رائحته وتنته .. حتى وصلوا به الى مدفنه ، وعملوا عنده ختمات وقراءات وصدقات عدة ليال وأيام نحو أربعين يوما .

واستقر أتباعه أمراء مصر ورؤيسهم ابراهيم بيك ومراد بيك وباقيهم الذين أمرهم في حياته ومات عنهم يوسف بيك وأحمد بيك الكلارجي ومصطفى بيك الكبير وأيوب بيك الكبير وذوالفقار بيك ومحمد بيك طبال ورضوان بيك ، والذين تأمروا بعده أيوب بيك الدفتردار وسليمان بيك الأغا و ابراهيم بيك الوالى وأيوب بيك الصغير وقاسم بيك الموسقو وعثمان بيك الشرقاوى ومراد بيك الصغير وسليم بيك أبو دياب ولاجين بيك .

سنة ١١٩٠ هجرية

كان السلطان في هذه السنة السلطان عبد الحميد ابن أحمد خان العثماني . ووالى مصر الوزير محمد

(١) وهذه عاقبة المعتدين !

باشا عزت الكبير وأمرأؤها ابراهيم ومراد بيك ، مملوكا محمد بك أبى الذهب ، وخشداشيينهما ..

صفر

٧ منه (٢٨ مارس ١٧٧٦) :

وصل الحج الى مصر ، ودخل الركب ، وأمير الحج يوسف بيك .

ليلة الجمعة ٩ منه (٣٠ مارس ١٧٧٦) :

وقع حريق بالأزبكية — وذلك في نصف الليل — احترق فيها عدة بيوت عظام .. وكان شيئا مهولا . ثم انها عمرت في أقرب وقت . والذي لم بقدر على العمارة باع أرضه فاشتراها القادر وعمرها ، بحيث انه لم يأت النيل القابل الا وهى أحسن وأبهج مما كانت عليه .

وفيها : سقط ربع بسوق الغورية ، ومات فيه عدة كثيرة من الناس تحت الردم . ثم ان عبد الرحمن أغا مستحفظان أخذ تلك الأماكن من أربابها شراء ، وأنشأ الحوانيت والربع علوها والوكالة المعروفة الآن بوكالة الزيت ، والبوابة التى يسلك منها من السوق .

وفيها : حضر جماعة من الهنود ، ومعهم فيل صغير ذهبوا به الى قصر العيني ، وأدخلوه الى الاسطبل الكبير ، وهرع الناس للفرجة عليه ، ووقف الخدم على أبواب القصر يأخذون من المتفرجين دراهم ، وكذلك سواسه الهنود جمعوا بسببه دراهم كثيرة . وصار الناس يأتون اليه بالكعك وقصب السكر ، ويتفرجون على مصه في القصب ، وتناولوه بخرطوميه . وكان الهنود يخاطبونه بلسانهم ، ويفهمون كلامه ، واذا أحضروه بين يدي كبير كلموه فيبرك على يديه ويشير بالسلام بخرطوميه .

رمضان

(أكتوبر - نوفمبر ١٧٧٦ م) :

تعصب مراد بيك وتغير خاطره على ابراهيم بيك طنان ، ونفاه الى المحلة الكبيرة ، وفرق بلاده على من أحب ، ولم يبق له الا القليل .

ذو الحجة

اوائله (يناير ١٧٧٧) :

شرع الأمير اسماعيل كتخدا في عمل مهم لزواج ابنته (أي حفل عرس أو « فرح ») . وكان قبل هذا حصل بينه وبين مراد بيك منازعة . ومبها أن مراد بيك أراد أن يأخذ من اسماعيل بيك السرو ورأس الخليج ، فوقع بينهما مخاصمة كاد يتولد منها فتنة ، فسعى في الصلح بينهما ابراهيم بيك ، فاصطلحا على غل .

وشرع في اثر ذلك اسماعيل بيك في عمل الفرح ، فاجتمعوا يوم السبت في وليمة عظيمة ، ووقف مراد بيك وفرق المحارم والمناذيل على الحاضرين ، ويطوف بنفسه على أقدامه ، وعمل المهم أياما كثيرة .

ونزل محمد باشا عزت (١) — باستدعاء — الى بيت اسماعيل بيك . وعندما وصل الى حارة قوصون . نزل الأمراء بأسرهم مشاة على أقدامهم لملاقاته ، فمشوا جميعا أمامه على أقدامهم ، وبأيديهم المباخر والقماقم . ولم يزالوا كذلك حتى طلوعوا الى المجلس .

ووقفوا في خدمته مثل المماليك ، حتى انقضى الطعام والشربات ، وقدموا له الهدايا والتقدم والحيول الكثيرة المسومة .

وكانت هذه الزفة من المواكب الجليطة ، ومشى

(١) الدالي التركي .

فيها الفيل وعليه خلعة جوخ أحمر .. فكان ذلك من النواذر !

وفي هذه السنة مات الأمير عبد الرحمن كتخدا ، وهو ابن حسن جاويش القازدغلي ، أستاذ سليمان جاويش ، أستاذ ابراهيم كتخدا مولى جميع الأمراء المصريين الموجودين الآن

وتولى كتخدا الوقت سنتين ، وشرع في بناء المساجد ، وعمل الخيرات ، وإبطال المنكرات .. فأبطل خمائر حارة اليهود .

وأول عماراته السبيل والكتاب الذي يعلوه بين القصرين ، وجاء في غاية الظرف ، وأحسن المباني . وأنشأ جامع المغاربة ، وعمل عند بابه سيلا وكتابا وميضأة تفتح بطول النهار . وأنشأ تجاه باب الفتوح مسجدا ظريفا بمنارة وصهريج ، ومدفن السيدة السطوحية . وأنشأ بالقرب من تربة الأزبكية سقاية ، وحوضا لسقى الدواب ، ويعلوه كتاب ، وفي الخطابة كذلك ، وعند جامع الدشطوطى كذلك .

وأنشأ وزاد في مقصورة الجامع الأزهر مقدار النصف طولا وعرضا ، يشتمل على خمسين عمودا من الرخام ، تحمل مثلها من السوائك المقوصرة المرتفعة المتسعة من الحجر المنحوت ، وسقف أعلاها بالخشب النقى ، وبنى به محرابا جديدا ومنبرا ، وأنشأ له بابا عظيما جهة حارة كتامة . وبنى بأعلاه مكتبا بقناطر معقودة على أعمدة من الرخام لتعليم الأيتام من أطفال المسلمين القرآن . وبداخله رحبة متسعة ، وصهريج عظيم ، وسقاية لشرب العطاش المارين . وعمل لنفسه مدفنا بتلك الرحبة ، وعليه قبة معقودة ، وتركيبية من رخام بديعة الصنعة . وبها أيضا رواق مخصوص بمجاورين الصعائدة المنقطعين لطلب العلم ، يسلك اليه من تلك الرحبة بدرج يصعد منه الى الرواق ، وبه مرافق ومنافع

ومطبخ ومخادع وخزائن كتب . وبني بجانب ذلك الباب منارة ، وأنشأ بابا آخر جهة مطبخ الجامع ، وعليه منارة أيضا .. وغير ذلك .

وعمر أيضا المشهد النفيسى ، ومسجده ، وبني صهريجا على هذه الهيئة الموجودة ، وجعل لزيارة النساء طريقا بخلاف طريق الرجال .

وبني أيضا مشهد السيدة زينب بقناطر السباع ، ومشهد السيدة سكينة بخط الخليفة ، والمشهد المعروف بالسيدة عائشة بالقرب من باب القرافة ، والسيدة فاطمة والسيدة رقية ، والجامع والرباط بحارة عابدين ، وكذلك مشهد أبو السعود الجارحى على الصفة التى هو عليها الآن ، ومسجد شرف الدين الكردي بالحسينية ، والمسجد بخط الموسكى . وبني للشيخ الحنفى دارا بجوار ذلك المسجد ، ينفذ اليه من داخل . وجدد المارستان المنصورى .

وله عمارت كثيرة ، وقناطر ، وجسور ، فى بلاد الأرياف ، وبلاد الحجاز ، حين كان مجاورا هناك . وبني القناطر بطندتا فى الطريق الموصلة الى محلة مرحوم .

ورتب للعيان الفقراء الأكسية الصوف المسماة بالزعايط ، فيفرق عليهم جملة كثيرة من ذلك عند دخول الشتاء فى كل سنة ، فيأتون الى داره أفواجا فى أيام معلومة ، ويعودون مسرورين بتلك الكساوى ، وكذلك المؤذنون يفرق عليهم جملة من الاحرامات الطولونية ، يرتدون بها وقت التسبيح فى ليالى الشتاء .

وكذلك يفرق جملة من الخبر المحلاوى والبز الصعدي والملايات والأخفاف والبوايج القيصرلى على النساء الفقيرات والأرامل . ويخرج عند بيته فى ليالى رمضان وقت الافطار عدة من القصاع الكبار المملوءة بالشريد المسقى بمرق اللحم والسمن

للفقراء المجتمعين ، ويفرق عليهم هبر اللحم النضيج ، فيعطى لكل فقير جعله وحسته فى يده ، وعندما يفرغون من الأكل يعطى كل واحد منهم رغيفين ونصفى فضة برسم سحوره .. الى غير ذلك .

وبلغت عدة المساجد التى أنشأها وجددها ثمانية عشر مسجدا ، وذلك خلاف الزوايا ، والأسبله ، والسقايات ، والمكاتب ، والأحواض ، والقناطر ، والمربوط للنساء الفقيرات والمنقطعات .

وكان له فى هندسة الأبنية ، وحسن وضع العمارت ، ملكة يقتدر بها على ما يرومه من الوضع . وضم لوقفه ثلاث قرى من بلاد الأرز بناحية رشيد وهى : تفينه وديبى وحصة كتامة ، وجعل إيرادها وما يتحصل من غلة أرزها لمصارف الخيرات وطعام الفقراء والمنقطعين . وزاد فى طعام المجاورين بالأزهر ومطبخهم الهريسة فى يومى الاثنين والخميس .

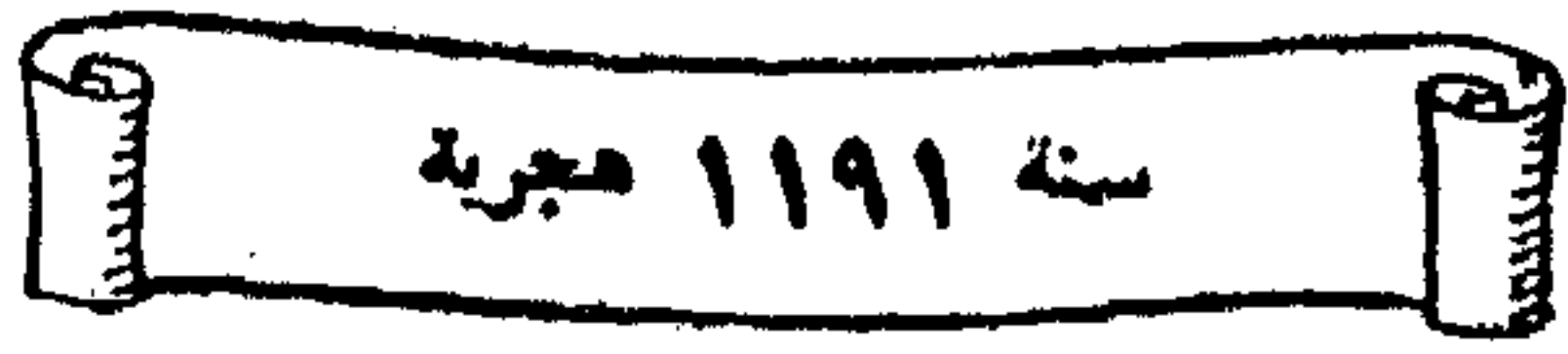
وقد تعطل غالب ذلك فى هذا التاريخ الذى نحن فيه لغاية سنة ١٢٢٠ هجرية (١٨٠٥ م) ، بسبب استيلاء الخراب ، وتوالى المحن ، وتعطل الأسباب . ولم يزل هذا شأنه ، الى أن استفحل أمر على بيك ، وأخرجه منفيلا الى الحجاز ، فأقام هناك اثنتى عشرة سنة .

فلما سافر يوسف بيك أميرا بالحج فى السنة الماضية ، صمم على احضاره صحبته الى مصر ، فأحضره فى تختروان ، وقد استولى عليه العى والهرم ، وكرب الغربة ، فدخل الى بيته مريضا فأقام أحد عشر يوما ومات .

ولم يخلف بعده مثله .. رحمه الله !

ومن مساويه ، قبول الرشا ، والتحيل على مصادرة بعض الأغنياء فى أموالهم . واقتدى به فى ذلك غيره ، حتى صارت سنة مقررة ، وطريقة مسلوكة ليست منكرا !

وكان سليط اللسان ، ويتصنع الحماقة ... فغفر
الله لنا وله .



ربيع الأول

في أوائله (إبريل ١٧٧٧ م) :

ورد أغا من الديار الرومية بطلب عساكر لسفر
العجم ، فاجتمع الأمراء وتشاوروا في ذلك ، فاتفق
رأيهم على احضار ابراهيم بيك طنان ، فأحضروه
من المحلة وقلدوه امانة ذلك .

جمادى الأولى

في أوائله (يونية ١٧٧٧ م) :

وقعت حادثة في طائفة المغاربة المجاورين بالجامع
الأزهر . وذلك أنه آل اليهم مكان موقوف ، وجحد
واضعوا اليد ذلك ، والتجأ الى بعض الأمراء ،
وكتبوا فتوى في شأن ذلك . واختلفوا في ثبوت
الوقف بالاشاعة ، ثم أقاموا الدعوى في المحكمة ،
وثبت الحق للمغاربة ، ووقع بينهم منازعات ،
وعزلوا شيخهم ، وولوا آخر . وكان المنسحق في
الخصومة واللسانة شيخا منهم يسمى الشيخ عباس ،
والأمير الملتجئ اليه الخصم يسمى يوسف بيك .
فلما تراقعوا وظهر الحق على خلاف غرض الأمير ،
حنق لذلك ، ونسبهم الى ارتكاب الباطل ، فأرسل
من طرفه من يقبض على الشيخ عباس المذكور من
بين المجاورين ، فطردوا المعينين ، وشتموهم وأخبروا
الشيخ أحمد الدردير ، فكتبوا مراسلة الى يوسف
بيك ، تتضمن عدم تعرضه لأهل العلم ، ومعاذة
الحكم الشرعي ، وأرسل صحبة الشيخ عبد الرحمن
الفرنوي وآخر .

فعندما وصلوا اليه وأعطوه التذكرة ، نهزمهم
وأمر بالقبض عليهم ، وسجنهم بالحبس .

ومن سيئاته العظيمة التي طار شررها ، وتضاعف
ضررها ، وعم الاقليم خرابها ، وتعدى الى جميع
الدنيا هبابها ... معاضدته لعلى بيك ليقوى به على
أرباب الرأسة . فلم يزل يلقي بينهم الفتن ، ويفرى
بعضهم على بعض ، ويسلط عليهم على بيك المذكور ،
حتى أضعف شوكات الأقوياء ، وأكد العداوة بين
الأصفياء ، واشتد ساعد على بيك .. فعند ذلك
التفت اليه ، وكتب بنابه عليه ، وأخرجه من مصر ،
وأبعده عن وطنه .. فلم يجد عند ذلك من يدافع
عنه ، وأقام هذه المدة في مكة غريبا وحيدا .

وأخرج أيضا — في اليوم الذي أخرجه فيه —
نيفا وعشرين أميرا من الاختيارية كما تقدم .

فعند ذلك ، خلا لعلى بيك وخشداشينه الجو ..
فباضوا وأفرخوا ، وامتد شرهم الى الآن الذي
نحن فيه .

فهو الذي كان السبب — بتقدير الله تعالى — في
ظهور أمرهم .

فلو لم يكن له من المساوى الا هذه ، لكفاه !
ولما رجع من الحجاز متعرضا ، ذهب اليه
ابراهيم بيك ومراد بيك ، وباقى خشداشينهم .
ليعودوه — ولم يكن رأيهم قبل ذلك ، فكان من
وصايته لهم :

كونوا مع بعضكم ...

واضبطوا أمركم ...

ولا تدخلوا الأعلاى بينكم ...

وهذا بدل عن قوله : أوصيكم بتقوى الله
تعالى ، وتجنبوا الظلم ، وافعلوا الخير ... فان
الدنيا زائلة ... وانظروا حالى ومآلى !

هكذا أخبرنى من كان حاضرا في ذلك الوقت .

ووصل الخبر الى الشيخ الدردير وأهل الجامع ،
فاجتمعوا في صبحها وأبطلوا الدروس والأذان
والصلوات ، ووقفوا أبواب الجامع ، وجلس
المشايع في القبلة القديمة ، وطلع الصقار على
المنارات . يكثر الصياح والدعاء على الأمراء !

وأغلق أهل الأسواق القريبة الحوانيت . وبلغ
الأمراء ذلك ، فأرسلوا الى يوسف بيك فأطلق
المسجونين ، وأرسل ابراهيم بيك - من طرفه -
ابراهيم أغا بيت المال .. فلم يأخذ جوابا

وحضر الأغا الى الغورية ، ونزل هناك ونادى
بالأمان ، وأمر بفتح الحوانيت ، فبلغ مجاورى
المغاربة ذلك ، فذهب اليه طائفة منهم ، وتبعهم
بعض العوام وبأيديهم العصي والمساوق ، وضربوا
أتباع الأغا ، ورجموهم بالأحجار .. فركب عليهم ،
وأشهر فيهم السلاح هو ومماليكه ، فقتل من
مجاورى المغاربة ثلاثة أنفار ، وانجرح منهم كذلك ،
ومن العامة

وذهب الأغا ، ورجع الفريق الآخر ، وبقي
الهرج الى ثانى يوم ، فحضر اسماعيل بيك والشيخ
السادات وعلى أغا كتحدا الجاويشية ، وغيرهم ..
فنزّلوا الأشرفية ، وأرسلوا الى أهل الجامع تذكرة
بإنقضاء الجمع ، وتمام المطلوب ، وكان ذلك
عند الغروب .. فلم يرضوا بمجرد الوعد ، وطلبوا
الجامكية والجراية ، فركبوا ورجعوا

وأصبح يوم الأربعاء والحال على ما هو عليه ،
واسماعيل بيك مظهر الاهتمام لنصرة أهل
الأزهر ، فحضر مع الشيخ السادات ، وجلسوا
بالجامع المؤيدى ، وأرسلوا للمشايع تذكرة
صحبة الشيخ ابراهيم السندوبى ، ملخصها أن
اسماعيل بيك تكفل بقضاء أشغال المشايخ وقضاء
حوائجهم ، وقبول فتواهم ، وصرف جملكهم
وجراياتهم .. وذلك بضمان الشيخ السادات له .

فلما حضر الشيخ ابراهيم بالتذكرة ، وقرأها
الشيخ عبد الرحمن العريشى جهارا وهو قائم على
أقدامه ، وسمعوها ، أكثروا من الهرج واللغط ،
وقالوا : هذا كلام لا أصل له !

وترددت الارساليات ، والذهاب والمجيء بطول
النهار ، ثم اصطلحوا وفتحوا الجامع في آخر
النهار ، وأرسلوا لهم في يوم الخميس جانبا من
دراهم الجامكية .

ومن جملة ما اشترطوه في الصلح ، عدم مرور
الأغا والوالى والمحتسب من حارة الأزهر ... وغير
ذلك شروط لم ينفذ منها شيء !

وعمل ابراهيم بيك ناظرا على الجامع عوضا
عن الأغا ، وأرسل من طرفه جنديا للمطبخ ،
وسكن الاضطراب .

وبعد مضي أربعة أيام من هذه الحادثة ،
مر الأغا ، وبعده الوالى كذلك ، فأرسل المشايخ
الى ابراهيم بيك يخبرونه ، فقال : ان الطريق يمر
بها البر والفاجر ، ولا يستغنى الحكام عن
المرور !

جمادى الآخرة

١٢ منه (١٨ يولية ١٧٧٧ م) :

قبض الأغا على انسان شريف من أولاد البلد
يسمى حسن المدافعى ، وضربه حتى مات . وسبب
ذلك أنه كان في جملة من خرج على الأغا بالغورية
يوم فتنة الجامع !

١٤ منه (٢٠ يولية ١٧٧٧ م) :

خرج اسماعيل بيك جهة العادلية مغضبا .
وسبب ذلك أن مراد بيك زاد في العسف
والتعدى ، خصوصا في طرف اسماعيل بيك .
وابراهيم بيك يسعى بينهم في الصلح .

واجتمعوا في آخر مجلس عند ابراهيم بيك ،
فتكلم اسماعيل بيك كلاما مفحما ، وقال :

أنا تارك لكم مصر ، وإمارتها ، وجاعلكم مثل
أولادى ، ولا أريد الا المعيشة وراحة السر ،
وأنتم لا تراعون لى حقا

فحضر في هذه الأيام الى اسماعيل بك مركب
غلال ، فأرسل مراد بيك وأخذ مافيها !

تم اتفاق مراد بيك مع بعض أغراضه ، أنهم
يركون من غد الى اسماعيل بيك ، ويدخلون
عليه في بيته ، ويقتلونه .

فعلم اسماعيل بيك بذلك ، فركب في الصباح
وخرج الى العادلية بعد أن عزل بيته وحريمه
ليلا ، وجلس بالأسبكية .

وركب مراد بيك ذاهبا الى اسماعيل بيك ،
فوجده قد خرج الى الأسبكية وكان ابراهيم
بيك طلع الى قصر العيني ، فذهب الى مراد بيك .

ولما أشيع خروج اسماعيل بيك ، ركب يوسف
بيك وخرج اليه ومعه آخرون ، ووصل الخبر الى
ابراهيم بيك ومراد بيك ومن انضم اليهم فركبوا
وحضروا الى القلعة ، وملكوا الأبواب ، وامتلات
الرميلة والميدان بعساكرهم ، واضطربت المدينة ،
وأغلق الناس الدكاكين ، وصحبتهم جماعة الى
باب النصر ، وفتحوا الباب ، وطرردوا الوالى ،
واشتد الحال ، وعظمت الفتنة ، فأراد الباشا اجراء
الصلح ، فأرسل أنوب أغا ورجع بجواب : عدم
رضاهم بالصلح

وفي يوم الأربعاء ، دخل عبد الرحمن أغا من
باب النصر ، وشق من وسط المدينة وأمامه المنادى
ينادى على الناس برفع بضائعهم من الحوائت .
فرقم الناس بواقى بضائعهم من الدكاكين .
وخرجوا من باب زويلة الى درب الأحمر ،

الى جامع المردانى ، ثم زحفوا الى التبانة ، الى
قرب المحجر ، وعملوا هناك متاريس ، ولاحت
لوائح الخذلان على من بالقلعة ودخل عليهم
الليل ، وانكف الفريقان ، وأصبح يوم الخميس ،
فدخل الكثير من البرانيين الى المدينة شيئا
فشيئا ، ورابطوا في جميع الجهات ... حتى
انحصروا بالقلعة ، وأخذوا ينقبون عليهم . فلما
شاهدوا الغلبة فيهم ، نزلوا من باب الميدان ،
وذهبوا جهة البساتين الى الصعيد ، فتخلف عنهم
فريق ، وخرج المتخلفون الى اسماعيل بيك
ويوسف بيك ، وطلبوا منهم الأمان ، وانضموا
اليهم

وعندما أشيع نزول ابراهيم بك ، ومراد بيك
من القلعة ، هجم الم رابطون بالمحجر وسوق
السلاح ، على الرملة ، ونهبوا خيامهم .
وفي الخميس بعد العصر ، دخل اسماعيل بك ،
ويوسف بيك من باب النصر ، وتوجهوا الى
بيوتهم .

وأصبح يوم الجمعة ، فشق عبد الرحمن أغا ،
ونادى بالأمان ، والبيع والشراء ، وراق الحال ...
٢٢ منه (٢٨ يولية ١٧٧٧ م) :

طلع اسماعيل بيك ويوسف بيك الى الديوان ،
فخلع الباشا عليهما خلعتى سمور ، واستقر
اسماعيل بيك شيخ البلد ومدير الدولة .

رجب

٤ منه (٨ أغسطس ١٧٧٧ م - ٤ مسرى ١٤٩٣) :
يودى بوفاء النيل ، ونزل الباشا وكسر السد
على العادة . وجرى الماء في الخليج ، وعاد الباشا
الى القلعة .

رمضان

منتصفه (١٧ أكتوبر ١٧٧٧ م) :

ولدت امرأة مولودا يشبه خلقة الفيل ... مثل وجهه وآذانه ، وله نابان خارجان من فمه . وأبوه رجل جمال ، وامراته لما رأت الفيل — وكانت في أشهر وحامها — تقلت شبهه في ولدها ، وأخذ الناس يتفرجون عليه في البيوت والأزقة !!

٢٩ منه (٢١ أكتوبر ١٧٧٧ م) :

ركب امراء اسماعيل بيك وصناجقه وعساكره في آخر الليل ، واحتاطوا بيت اسماعيل بيك الصغير — أخى على بيك الغزاوى — فركب في مماليكه وخاصته ، وخرج من البيت ، فوجدوا الطرق كلها مسدودة بالعسكر والأجناد ، فدخل من عطفة الفرن يريد الفرار ، وخرج على جهة قنطرة عمر شاه ، فوجد العسكر والأجناد أمامه وخلفه ، فصار يقاتلهم ويتخلص منهم من عطفة الى عطفة ، حتى وصل الى عطفة اليبديق ، وأصيب بسيف على عاتقه ، وسقطت سماته ، وصار مكشوف الرأس الى أن وصل الى تجاه درب عبد الحق بالأزبكية ، فلاقاه عثمان بيك — أحد صناجق اسماعيل بيك — فردّه ، وسقط فرسه ، واحتاطوا به ، فنزل على دكان في أسوأ حال ، مكشوف الرأس ، والدم خارج من كركه ، فمصبوا رأسه بعمامة رجل جمال ، وأخذ عثمان بيك الى بيته ، وتركه وذهب الى سيده ، فأخبره ، فخلع عليه فروة وفرسا . وأرسلوا اليه الوالى ، فخنقه ، ووضعوه في تابوت ، وأرسلوه الى بيته ، فبات به ميتا ، وأخرجوه في صباحها في مشهد ، ودفنوه ...

وكان اسماعيل بيك قد استوحش منه ، وظهر عليه في أحكامه وأوامره ، وكلما أبرم شيئا عارضه

فيه ، وازدحم الناس على بيته ، وأقبلت اليه أرباب الحكومات والدعاوى ، وصار له عزوة كبيرة ، وانضم اليه كشاف واختيارية ، وحدثه نفسه بالانفراد .

وتخيل منه اسماعيل بيك ... فتركه وما يفعله ، وأظهر أنه مرمود في عينيه ، واقطع بالحريم من أول شهر رمضان ، ثم سافر في أواخره في النيل لزيارة سيدى أحمد البدوى ، ثم رجع وبيت مع أتباعه ومن يثق به ، وقاموا عليه وقتلوه ... كما ذكر .

ولما انقضى أمره ، شرع اسماعيل بيك في إبعاد ونفى من كان يلوذ به ، وينتمى اليه .

ذوالقعدة

٨ منه (٨ ديسمبر ١٧٧٧ م) :

سافرت تجريدة لجهة الصعيد للأمراء القبالي ، لأنهم تقوا واستولوا على البلاد ، وقبضوا الخراج ، وملكوا من جرجا الى فوق ، وحسن بيك أمير الصعيد مقيم ، وليس فيه قدرة على مقاومتهم . ومنعوا ورود القلال ، حتى غلا سعرها .

٢١ منه (٢١ ديسمبر ١٧٧٧ م) :

خرج اسماعيل بيك الى ناحية دير الطين ، وعزم على التوجه بنفسه الى قبلى ، وأرسل الباشا فرمات لسائر الأمراء ، والوجاقية ، وأمرهم جميعا بالسفر . فخرجوا جميعا ، ونصبوا طاقاتهم عند المعادى ، ونزل الباشا وجلس بقصر العينى .

٢٧ منه (٢٧ ديسمبر ١٧٧٧ م) :

عدى اسماعيل بيك الى البر الثانى ، وترك بمصر عبد الرحمن أغا مستحفظان كتحدا ، ورضوان بيك بلنبا ، وعثمان بيك طبل وإبراهيم بيك قشطة

صهره ، وحسين بيك ، ومقدام الأبواب ، لحفظ
البلد . فكان المقادم بدورون بالطوف في الجهات
ليلا ونهارا .. مع هدوء سر الناس ، وسكون
الحال ، في مدة غياب الجميع !

ذواحجة

٦ منه (٤ يناير ١٧٧٨ م) :

وصلت مكاتبات من اسماعيل بيك ، ومن الأمراء
الذين بصحبته ، بأنهم وصلوا الى المنية ، فلم يجدوا
بها أحدا من القبليين ، وأنهم في أسيوط ، ومعهم
اسماعيل أبو على من كبار الهوارة .

وفي هذه السنة مات الأمير يوسف بيك الكبير
— وهو من أمراء محمد بيك أبو الذهب — أمره
في سنة ١١٨٦ هجرية ، وزوجه بأخته ، وشرع في
بناء داره على بركة القيل ، داخل درب الحمام ،
تجاه جامع الماس .

وكان يسلك اليها من هذا الدرب ، ومن طرق
الشيخ الظلام ، وكان هذا الدرب كثير العطف ،
ضيق المسالك ، فأخذ بيوتة — بعضها شراء ،
وبعضها غصبا — وجعلها طريقا واسعة وعليها بوابة
عظيمة . وأراد أن يجعل أمام باب داره رحبة
متسعة ، فعارضه جامع خير بيك حديد ، فعزم على
هدمه ونقله الى آخر الرحبة ، فسأل المرحوم الوالد
(والد المؤلف) ، وكان يعتقد ، ويجنح الى قوله ،
فقال له : لا يجوز ذلك . فامتثل وتركه على حاله .

واستمر يعمر في تلك الدار نحو خمس سنوات ،
وأخذ بيت الداودية الذي بجواره ، وهدمه جميعه ،
وأدخله فيها ، وصرف في تلك الدار أموالا عظيمة ،
فكان يبني الجهة منها حتى يتمها بعد تبليطها
وترخيصها بالرخام الدقي الخردة المحكم الصنعة ،

والسقوف والأخشاب والرواشن ، والخرط
والأدهان ... ثم يوسوس له شيطانه فيهدمها الى
آخرها وبينها ثانيا على وضع آخر ، وهكذا ..
كان دأبه !

واتفق أنه ورد اليه من بلاده القبلية ثمانون
ألف أردب غلال ، فوزعها بأسرها على الموانة في
ثمن الجبس والجير ، والأحجار والأخشاب ،
والحديد وغير ذلك !

وكان فيه حدة زائدة ، وتخليط في الأمور
والحركات ، ولا يستقر بالمجلس .. بل يقوم ويقعد ،
ويصرخ ويروق حاله في بعض الأوقات ... فيظهر
فيه بعض انسانية . ثم يتغير ويتعكر من أدنى
شيء !

ولما مات سيده محمد بيك ، وتولى اماره
الحج ، ازداد عتوا وعسفا وانحرافا ، خصوصا
مع طائفة الفقهاء والمتعلمين ، لأموار نقمها عليهم .

ومن هذه الأمور .. أنه اتفق أن الشيخ عبد
الباقي ، ابن الشيخ عبد الوهاب العفيفي ، طلق
على زوج بنت أخيه في غيابه ، على يد الشيخ حسن
الجداوي المالكي — على قاعدة مذهبه — وزوجها
من آخر .

وحضر زوجها من الفيوم ، وذهب الى ذلك
الأمير ، وشكا له الشيخ عبد الباقي ، فطلبه فوجده
غائبا في منية عفيف ، فأرسل اليه أعوانا أهانوه ،
وقبضوا عليه ، ووضعوا الحديد في رقبته ورجليه ،
وأحضره في صورة منكرة ، وحبسه في حاصل
أرباب الجرائم من الفلاحين ...

فركب الشيخ على الصعيدي العدوي ، والشيخ
الجداوي ، وجماعة كثيرة من المتعلمين ، وذهبوا
اليه .

وخطبه الشيخ الصعيدي ، وقال له : ماهذه
الأفعال ، وهذا التجارى ؟

فقال له : أفعالكم يامشايع أقبح .. !
فقال له : هذا قول فى مذهب المالكية ،
معمول به .

فقال : من يقول ان المرأة تطلق زوجها اذا غاب
عنها ، وعندها ماتنفقه ، وما تصرفه ، ووكيله يعطيها
ماتطلبه ، ثم يأتى من غيبته فيجدها مع غيره ؟ !

فقالوا له : نحن أعلم بالأحكام الشرعية ..
فقال : لو رأيت الشيخ الذى فسخ الزواج !
فقال الشيخ الجداوى : أنا الذى فسخت الزواج
على قاعدة مذهبي ...

فقام على أقدامه وصرخ وقال : والله أكسر
رأسك !

فصرخ عليه الشيخ على الصعيدي ، وسبه ،
وقال له :

لعنك الله ! ولعن اليسرجى الذى جاء بك ! ومن
باعك ! ومن اشتراك ! ومن جعلك أميرا ! !

فتوسط بينهم الحاضرون من الأمراء ، يسكنون
حدثه ، وأحضروا الشيخ عبد الباقي من الحبس ،
فأخذوه وخرجوا وهم يسبونوه ، وهو يسمعهم .. !

سنة ١١٩٢ هجرية

المحترم

٧ منه (٥ فبراير ١٧٧٨ م) :

حضر اسماعيل كتخدا عزبان وبعض صناع
اسماعيل بيك .

٩ منه (٧ فبراير ١٧٧٨ م) :

وصل اسماعيل بيك ، وعدى من معادى

الخبيرى ، ودخل الى مصر ، وذهب الى بيته ، وكثر
الهرج فى الناس بسبب حضوره ، ومن وصل قبله
— على هذه الصورة — ثم تبين الأمر بأن حسن
بيك الجداوى وخشداشينه وجماعة الفلاح بأسرهم ،
وكشاف وممالك وأجناد ، ومغاربة . خامر الجميع
على اسماعيل بيك ، والتفوا على ابراهيم بيك ومراد
بيك ومن معهم . فعند ذلك ركب اسماعيل بيك
بمن معه وطلب مصر ، حتى وصلها فى أسرع وقت
وهو فى أشد ما يكون من القهر والغيظ . وفى الصباح
أرسل اسماعيل بيك ومنع المعادى من التعدي .

وفى يوم الاثنين ، طلعوا الى القلعة ، وعملوا
ديوانا عند الباشا ، وحضر الموجودون من الأمراء
والوجاقلية والمشايع . وتشاوروا فى هذا الشأن ،
فلم يستقر رأى على شىء ، ونزلوا الى بيوتهم ،
وشرعوا فى توزيع أمتعتهم وتعزيل بيوتهم .
واضطربت أحوالهم .

١٤ منه (١٢ فبراير ١٧٧٨ م) :

نزل اسماعيل بيك وصناعه بالعادية ، فى هذه
الليلة ، وباتت الناس فى وجل .

١٥ منه (١٣ فبراير ١٧٧٨ م) :

أشيع خروج اسماعيل بيك ومن معه ، ووقع
التهب فى بيوتهم وركبوا فى صبح ذلك اليوم
وذهبوا الى جهة الشام ، فكانت مدة اماره اسماعيل
بيك وأتباعه على مصر — فى هذه المرة — ستة
أشهر وأياما .

وعدى مراد بيك ومصطفى بيك وآخرون ، فى
ذلك اليوم ، وكذلك ابراهيم أغا الوالى — الذى
كان فى أيامهم — وشق المدينة ونادى بالأمان ،
وأرسل ابراهيم بيك يطلب من الباشا فرمانا بالاذن
بالدخول .

١٧ منه (١٣ يونية ١٧٧٨ م) :

ركب مراد بيك وخرج الى مرمى الشباب منتفخا من القهر ، مفكرا في أمره مع العلوية . فحضر اليه عبد الرحمن بيك وعلى بيك الحبشي من العلوية ، فعندما أراد عبد الرحمن بيك القيام ، عاجله مراد بيك ومن معه .. وقتلوه .. وفر على بيك الحبشي وغطى رأسه بفوقانيته ، وانزوى في شجر البجيز ، فلم يروه .

فلما ذهبوا ، ركب وسار مسرعا حتى دخل على حسن بيك الجداوى في بيته ، وركب مراد بيك وذهب الى بيته ، واجتمع على حسن بيك أغراضه ، وعشيرته ، وأحمد بيك شنن ، وسليمان كتحدا وموسى أغا الوالى ، وحسن بيك رضوان أمير الحج ، وحسن بيك سوق السلاح ، وإبراهيم بيك بلفيا ... وكرنكوا في بيت حسن بيك الجداوى بالداودية ، وعملو متاريس في ناحية باب زويلة ، وناحية باب الخرق والسروجية والقنطرة الجديدة .

واجتمع على مراد بيك خشداسينه وعشيرته وهم مصطفى بيك الكبير ومصطفى بيك الصغير وأحمد بيك الكلارجى . وركب إبراهيم بيك من قبة العزب ، وطلع الى القلعة ، وملك الأبواب ، وضرب المدافع على بيت حسن بيك الجداوى ، ووقع الحرب بينهم ، وأغلقت الأسواق والحوانيت ، واستمر الضرب بين الفريقين في الأزقة والحارات . ويزحفون على بعضهم تارة ، ويتأخرون أخرى ، وينقبون البيوت على بعضهم ، فحصل الضرر للبيوت الواقعة في حيزهم ، من النهب والحرق والقتل . ثم ان المحمدية تسلق منهم طائفة من الخليج ، وطلعوا من عند جامع الحين من بين المتاريس ، وفتحوا بيت عبد الرحمن أغا من ظاهره ، وملكوه ، وركبوا عليه المدافع ، وضربوا على بيت الجداوى ، فعند ذلك عاين العلوية القلب . فركبوا ، وخرجوا من باب زويلة الى باب النصر . والمحمدية

فكتب لهم الباشا فرمانا وأرسله صحبة ولده وكتخدائه ، وهو سعيد بك .

٢١ منه (١٩ فبراير ١٧٧٨ م) :

طلع إبراهيم بيك وأتباعه الى الديوان ، فخلع الباشا على إبراهيم بيك ، واستقر في مشيخة البلد كما كان ، واستقر أحمد بك شنن صنجقا كما كان ، وتقلد عثمان أغا خازن دار إبراهيم بيك صنجقية — وهو الذى عرف بالأشقر — وقلدوا مصطفى كاشف المنوفية صنجقية أيضا ، وعلى كاشف أغات مستحفظان ، وموسى أغا — من جماعة على بيك — واليا كما كان أيام سيده .

في أواخره (مارس ١٧٧٨ م) :

وردت أخبار بأن إسماعيل بيك ومن معه وصلوا الى غزة . واستقر المذكورون بمصر ، علوية ، ومحمدية ، والعلوية شائعة على المحمدية ، ويرون المنة لأنفسهم عليهم ، والفضيلة لهم بخامرتهم معهم . ولولا ذلك ماخلوا مصر ، ولا يسكن المحمدية التصرف في شيء الا بأذنهم ورأيهم ، بحيث صاروا كالمحجور عليهم ، لا يأكلون الا ما فضل عنهم .

جمادى الأولى

٨ منه (٤ يونية ١٧٧٨ م) :

حضر الى مصر إبراهيم بيك أوده باشا من غزة مفارقا لإسماعيل بيك ، وقد كان أرسل قبل وصوله يستأذن في الحضور ، فأذنوا له . وحضر وجلس في بيته ، وتخليل منه رضوان بيك ، وقصد فيه فالتجأ الى مراد بيك وانضم اليه ، وقال له مراد بيك : لا تخش من أحد . فحسرك ذلك ماكن في صدور العلوية .

خلفهم ، شاهرين السيوف يحجون بالخيال . فلما خرجوا الى الخلا ، التقوا معهم ، فقتل حسن بيك رضوان أمير الحج ، وأحمد بيك شنن ، وإبراهيم بيك بلفيا المعروف بشلاق ، وغيرهم أجناد وكشاف ومماليك . وفر حسن بيك الجداوى ورضوان بيك ، ولم يقتل أحد من المحمدين ، سوى مصطفى بيك الكبير ، أصابته رصاصة في كتفه ، انقطع بسببها أياما ثم شفى . وأما حسن بيك ورضوان بيك فهربا في طائفة قليلة ، وخرج عليهم العربان فقاتلوهما قتالا شديدا ، وتفرقا من بعضهما ، وتخلص رضوان بيك وذهب في خاصته الى شبين الكوم . وأما حسن بيك الجداوى فلم تزل العرب تحاوره حتى أضعفوه ، وتفرق من حوله . وشيخ العربان سعد صحصاح يتبعه ويقول له :

أين تذهب يا ابن الملعون .. ونحو ذلك . ثم حلق عليه رتيمة شيخ عرب بلى ، فتقنطر به الحصان في ملة كتان ، فقبضوا عليه وأخذوا سلاحه ، وعروه وكتفوه ، وصفعه رتيمة على قفاه ووجهه اثم سحبوه بينهم ماشيا على أقدامه وهو نحاف ، وأرسلوا له كاشفا . فلما حضر اليه وواجهه ، لاطفه ، فقال له :

الى أين تذهب بى ؟ فقال له : محل ماتريد . فلما دخل الى مصر سار الى بولاق ، ودخل بيت الشيخ أحمد الدمنهورى ، فركب جماعة كثيرة من المحمدية وذهبوا الى بولاق ، وطلبوه ، فامتنع من اجابتهم . فلم يجسروا على أخذه قهرا من بيت الشيخ ، فداخله الوهم ، وطلع الى السطح ، ونظ الى سطح آخر . ولم يزل حتى نزل بالقرب من وكالة الكتان ، فصادف بعض المماليك فضربه ، وأخذ حصانه وركبه ، وذهب راحا بمفرده ، وأشيع هروبه .

فركت اليه الأجناد ، وحلقوا عليه الطرق ، فصار يقاتل من يدركه . ولم يجد طريقا مسلوكا الى

الخلا . فدخل المدينة ، وذهب الى بيت إبراهيم بيك فوجده جالسا مع مراد بيك ، فاستجار بإبراهيم بيك فأجاره وأمنه ، ومكث في بيته خمسة أيام وهو كالمختل في عقله مما قاساه من معاينة الموت مرارا . ثم رسوا له أن يذهب الى جدة وأرسلوه الى السويس في محفة . فلما نزل بالمركب أمر الرئيس أن يذهب به الى القصير فامتنع ، فأراد قتله ، فذهب بالمركب الى القصير . فطلع الى الصعيد .

جماى الآخرة

فيه : حضر الى مصر سليمان كتخدا الشرايى ، كتخدا اسماعيل بيك ، وعلى يده مكاتبة من اسماعيل بيك مضمونها : يريد الاذن بالتوجه الى أخميم أو الى السرو ورأس الخليج ، يقيم هناك ، ويبقى إبراهيم بيك قمشة بمصر رهينة ، ويكون وكيله في تعلقاته وقبض فائضه والصلح أحسن وأولى . فعملوا ديوانا وأحضروا المشايخ والقاضى وعرضوا عليهم تلك المكاتبة ، واشتدوا في ذلك ، فانحط الرأى بأن يرسلوا له جوابا بالسفر الى جدة من السويس ويطلقوا له في كل سنة أربعين كيسا وستة آلاف أردب غلال وجبوب ، وأن يرسل إبراهيم بيك صهره كما قال الى مصر ويكون وكيله عنه ، ومن بصحبته من الأمراء يحضرون الى مصر بالأمان ويقيمون برشيد ودعياط والمنصورة . . . ونحو ذلك . وأرسلوا المكاتبة صجة سليم كاشف تمرلك أخى اسماعيل بيك المقتول وآخرين .

وفيه : رسوا بنفى إبراهيم بيك أوده باشه وسليمان كتخدا الشرايى وكان أشيع تقليد إبراهيم بيك الصنجدية في ذلك اليوم وتها لذلك وحضر في الصباح عند إبراهيم بيك . فلما دخل رأى عنده مراد بيك فاختليا معه . فأخرج إبراهيم بيك من جيبه مكتوبا مسكوه عليه من اسماعيل بيك خطا

له ، مضمونه : أنه بلغنا ما صنعت في ايقاع الفتنة بين الجماعة ، وهلاك الطائفة الخائنة . . وفيه : أن يأخذ من الرجل المعهود كذا من النقود يوزعها على جهات كذاها له . . وربنا يجمعنا في خير . فلما تناوله من ابراهيم بيك وقرأه قال في الجواب : كل منكم لا يجهل مكاييد اسماعيل بيك ، وأنكر ذلك بالكلية . فلم يقبلوا عذره ، ولم يصدقوه ، وقام وذهب الى بيته ، فأرسلوا خلفه محمد كتخدا أباطة ، فأخذه وصحبته مملوك كان فقط ، ونزل به الى بولاق وثقوه الى رشيد ، وكذلك نفوا سليمان كتخدا الشرايبي واحتاطوا بموجود ابراهيم بيك .

١١ منه (٧ يولية ١٧٧٨ م) :

وصل ابراهيم باشا والى جدة ، وذهب الى العادلية وجلس هناك بالقصر حتى شهلوه ، وسفروه الى السويس بعد ما ذهبوا اليه وودعوه .

١٩ منه (١٥ يولية ١٧٧٨ م) :

ركب الأمراء وطلعوا الى باب الينكجيرية والعزب وأرسلوا الى الباشا كتخدا الجاويشية وأغات المتفرقة والترجمان وكاتب حوالة ، وبعض الاختيارية ، يأمرونه بالنزول الى بيت حسن بيك الجداوى ، وهو بيت الداودية . فلما قالوا له ذلك قال : وأى شئ ذنبى حتى أعزل ، فرجعوا وأخبروهم بمقالة الباشا ، فأمرؤا أجنادهم بالركوب ، فطلعوا الى حوش الديوان واجتمعوا به حتى امتلأ منهم ، فارتعب الباشا منهم ، فركب من ساعته ونزل من القلعة الى بيت الداودية ، وأحضروا الجمال وعزلوا متاعه في ذلك اليوم . فكانت مدة ولايته سنتين وثلاثة أشهر .

رجب

٢١ منه (١٥ أغسطس ١٧٧٨ م - ١٠ مسرى ١٢٩٤) :

كان وفاء النيل المبارك . وزاد النيل في هذه السنة زيادة مفرطة . حتى انقطعت الطرقات من كل ناحية واستمر الى آخر توت (أكتوبر ١٧٧٨ م) .

شعبان

٢٢ منه (١٥ سبتمبر ١٧٧٨ م) :

حضر من أخبر أن جماعة من الأجناد حضروا من ناحية غزة وصحبتهم عبد الرحمن أغا مستحفظان على الهجن ، ومروا من خلف الجرة ، وذهبوا الى قبلى ، وتخلف عنهم عبد الرحمن أغا فى حلوان لغرض من الأغراض ، ينتظره من مصر . فركب من ساعته مراد بيك فى عدة ، وذهبوا الى حلوان ليلا على حين غفلة واحتاطوا بها وبدار الأوسية وقبضوا على عبد الرحمن أغا وقطعوا رأسه . ورجع مراد بيك وشق المدينة ، والرأس أمامه على رمح . ثم أحضروا جثته الى بيته الصغير بالكعكيين ، وغسلوه وكفنوه ، وخرجوا بجنازته وصلوا عليه بالماردانى . ثم ألحقوا به الرأس فى الرميلة ، ودفنوه بالقرافة ، ومضى أمره .

رمضان

فى اواخره (أكتوبر ١٧٧٨ م) :

هرب رضوان بيك على شبين الكوم وذهب الى قبلى . فلما فعل ذلك عينوا ابراهيم بيك الوالى ، فنزل الى رشيد وقبض على على بيك الحبشى وسليمان كتخدا وقتلها ، وأما ابراهيم بيك أوده باشه فهرب الى القبطان واستجار به .

شوال

١٩ منه (١٠ نوفمبر ١٧٧٨ م) :

خرج المحمل والحجاج صحبة أمير الحج رضوان بيك بلفيا .

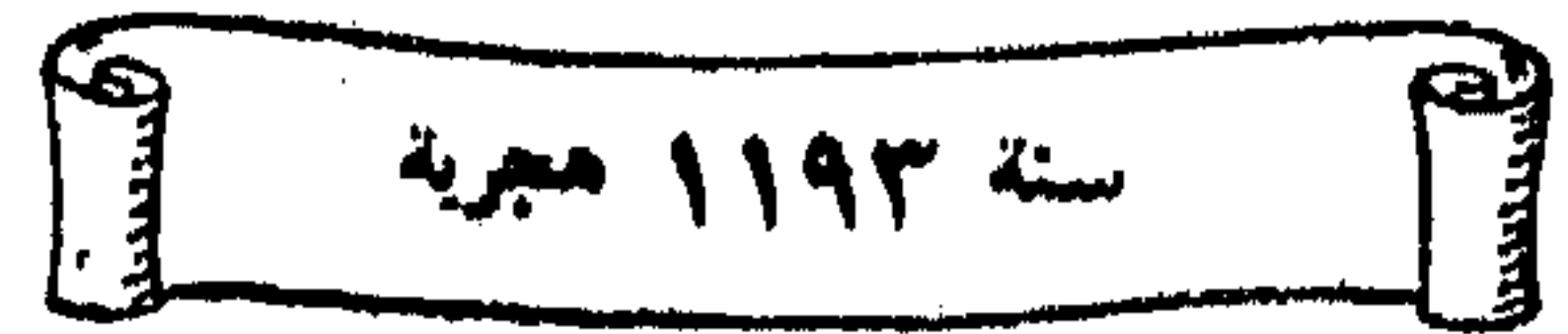
٢٧ منه (١٨ نوفمبر ١٧٧٨ م) :

سافر المحمل من البركة .

ذوالقعدة

١٥ منه (٤ ديسمبر ١٧٧٨ م) :

نزل أرباب العكاكيز وهم على كتف جاجان وأغات المتفرقة والترجمان ، وكاتب حوالة وأرباب الخدم ، وسافروا لملاقاة الباشا الجديد .



المحرم

السبت ٥ منه (٢٣ يناير ١٧٧٩ م) :

وصل الى مصر اسماعيل باشا والى مصر ، وبات ببر انبابة ليلة السبت المذكور ، وركب الأمراء في صبحها وقابلوه ، ورجعوا وعدى الآخر وركب الى العادلية وجلس بالقصر ، وتولى أمر السماط مصطفى بيك الصغير .

الثلاثاء ٩ منه (٢٧ يناير ١٧٧٩ م) :

ركب الباشا بالموكب ودخل من باب النصر ، وشق القاهرة وطلع الى القلعة ، وعملوا له شنكا ومدافع ، ووصل الخبر بنزول اسماعيل بيك الى البحر وسفره من الشام الى الروم .. وغاب أمره .

ربيع الأول

في اواخره (ابريل ١٧٧٩ م) :

وفعت حادثه بالجامع الأزهر بين طائفة الشوام

وطائفة الأتراك بين المغرب والعشاء . فهجم الشوام على الأتراك وضربوهم . فقتلوا منهم شخصا وجرحوا منهم جماعة . فلما أصبحوا ذهب الأتراك الى ابراهيم بيك ، وأخبروه بذلك ، فطلب الشيخ عبد الرحمن العرايشى مفتى الحنفية ، والمتكلم على طائفة الشوام وسأله عن ذلك ، فأخبره عن أسماء جماعة ، وكتبهم في ورقة ، وعرفه أن القتالين تغيبوا وهربوا ، ومتى ظهر وا أحضرهم اليه .. ولما توجه من عنده تفحص ابراهيم بيك عن مسميات الأسماء ... فلم يجد لهم حقيقة ! . فأرسل الى الشيخ أحمد العروسى شيخ الأزهر وأحضر بقية المشايخ وطلب الشيخ عبد الرحمن فتغيب ، ولم يجدوه ، فاغتاظ ابراهيم بيك ومراد بيك وعزلوه عن الاقتاء ، وأحضروا الشيخ محمد الحريرى وألبسوه خلعة ليكون مفتى الحنفية عوضا عن الشيخ عبد الرحمن ، وحثوا خلفه بالطلب ليخرجوه من البلدة منفيافشفع فيه شيخ السادات ، وهرب طائفة الشوام بأجمعهم ، وسمر الأغا رواقهم ، ونادوا عليهم . واستمر الأمر على ذلك أياما ، ثم منعوا المجادلة والطبيرة من دخول الرواق ، ويقطع من خبزهم مائة رغيف تعطى للأتراك دية المقتولين ، وكتب بذلك محضر باتفاق المشايخ والأمراء ، وفتحوا الرواق ، ومرض الشيخ العريشى من قهره .. وتوفى .

جمادى الآخرة

(يونية ١٧٧٩ م) :

جاءت الأخبار بأن حسن بيك ورضوان بيك قوى أمرهم ، وجمعوا جموعا ، وحضروا الى دجرجا ، والتف عليهم أولاد همسام والجغافرة واسماعيل أبو على . فتجهز مراد بيك وسافر قبله أيوب بيك الصغير . ثم سافر هو أيضا . فلما قربوا من دجرجا ، ولّى القبالي وصعدوا الى فوق ، فأقام مراد بيك فى دجرجا الى أوائل رجب . وقبض على

اسماعيل أبى على وقتله ونهب ماله وعبيده ، وفرق
بلاده على كشافه وجماعته .

رجب

١٥ منه (٢٩ يولية ١٧٧٩ م) :

ظهر بمصر وضواحيها مرض . سموه بأبى الركب ،
وفشا في الناس قاطبة حتى الأطفال . وهو عبارة عن
حمى ، ومقدار شدته ثلاثة أيام . وقد يزيد على
ذلك ، وينقص بحسب اختلاف الأمزجة ، ويحدث
وجعا في المفاصل والركب والأطراف ، ويوقف حركة
الأصابع وبعض ورم ، ويبقى أثره أكثر من شهر ،
ويأتى الشخص على غفلة ، فيسخن البدن ويضرب
على الانسان دماغه وركبه ، ويذهب بالعرق
والحمام .. وهو من الحوادث الغريبة .

٢٠ منه (٣ اغسطس ١٧٧٩ م) :

وصل مراد بيك من ناحية قبلى ، وصحبته
منهوبات وأبقار وأغنام كثيرة .

٢٢ منه (٥ اغسطس ١٧٧٩ م - ٢ مسرى ١٤٩٥) :

أوفى النيل المبارك . ثم زاد في ليلتها زيادة كثيرة
حتى علا على السد وجرى الماء في الخليج بنفسه .
وأصبح الناس فوجدوا الخليج جاريا ، وفيه
المراكب . فلم تحصل الجمعية ، ولم ينزل الباشا
على العادة .

شعبان

في أواخره (سبتمبر ١٧٧٩ م)

وصل الى مصر قابجى باشا ويده أوامر بعزل
اسماعيل بيك عن مصر ، ويتوجه الى جدة . وأن
ابراهيم باشا والى جدة ، يأتى الى مصر . وفرمان
آخر بطلب الخزينة .

شوال

(اكتوبر - نوفمبر ١٧٧٩ م) :

فيه : وصلت الأخبار بموت على بيك السروجى
وحسن بيك سوق السلاح بغزة .

١٨ منه (٢٩ اكتوبر ١٧٧٩ م) :

عمل موكب المحمل ، وخرج الحجاج وأمير الحج
مراد بيك ، وخرج في موكب عظيم وطلب كثير
وتفاخر . وماجت مصر وهاجت ، في أيام خروجه ،
بسبب الأطلاب ، وجمع الأموال ، وطلب الجمال
والبغال والحمير . وغضبوا بفال الناس ، ومن
وجدوه راكبا على بغلة أنزلوه عنها ، وأخذوها منه
قهرا . فان كان من الناس المعتبرين أعطوه ثمنها
والأفلا ، وغلت أسعارها جدا .

ولم يعهد حج مثل هذه السنة في كل شيء .
وسافر فيه خلائق كثيرة من سائر الأجناس ، وسافر
صحبة مراد بيك أربعة صناعق ، وهم : عبد الرحمن
بيك عثمان ، وسليمان بيك الشاورى ، وعلى بيك
المالطى ، وذو الفقار بيك ، وأمراء وأغوات ..
وغير ذلك أكابر كثيرة وأعيان وتجار .

وفيه : حضر واحد أغا وعلى يده تقرير لاسماعيل
باشا على مصر كما كان .. وكان — لما أتاه العزل —
نزل من القلعة في غرة رمضان ، وصام رمضان
في مصر العتيقة . ولما انقضى رمضان تحول الى
العادية ليتوجه الى السويس ويذهب الى جدة
— حسب الأوامر السابقة — فقد الله بموت
ابراهيم باشا ، وحضر التقرير له بالولاية ثانيا .

ذوالقعدة

٦ منه (١٥ نوفمبر ١٧٧٩ م) :

ركب اسماعيل باشا الى القلعة من باب الجبل .
بعد التقرير له بالولاية ثانيا .

سنة ١١٩٤ هجرية

سفر

١١ منه (١٧ فبراير ١٧٨٠ م) :

دخل الحجاج الى مصر وأمير الحج مراد بيك ، ووقف لهم العربان في الصفرة والجديدة ، وحضروا الحجاج بين الجبال وحاربوهم نحو عشر ساعات ومات كثير من الناس والغز والأجناد ، ونهبت بضائع وأحمال كثيرة ، وكذلك من الجمال والدواب . والعرب بأعلى الجبال ، والحج أسفل ... كل ذلك والحج سائر .

رجب

٣ منه (٥ يولية ١٧٨٠ م) :

اجتمع الأمراء ، وأرسلوا الى الباشا أرباب العكاكيز ، وأمرؤه بالنزول من القلعة معزولا . فركب في الحال ونزل الى مصر العتيقة ، ونقلوا عزاله ومتاعه في ذلك اليوم واستلموا منه الضربخانة ، وعمل ابراهيم بيك قائمقام مصر . فكانت مدة ولاية اسماعيل باشا - في هذه المرة - ثمانية أشهر تنقص ثلاثة أيام

وكان أصله رئيس الكتاب باسلامبول ، وكان مراد بيك .. هذا ، أصله من مماليكه ! فباعه لبعض التجار في معاوضة ، وحضر الى مصر ولم يزل حتى صار أميرها . وحضر سيده هذا في أيام امارته ... وهو - مراد بيك - الذي عزله من ولايته ، ولكن كان يتأذب معه ، ويهابه كثيرا ، ويذكر سيادته عليه . وكان هذا الباشا أعوج العنق للغاية ، وكان قد خرج له خراج فعالجه بالقطع فعجزت العروق ، وقصرت ، فاعوج عنقه ، وصارت لحيته عند صدره ، ولا يقدر على الالتفات الا

بكليته ... الا أنه كان رئيسا عاقلا ، صاحب طبيعة ، ويحب المؤانسة والمسامرة .

شعبان

١٠ منه (١١ أغسطس ١٧٨٠ م - ٧ مسرى ١٢٩٦) :

أوفى النيل المبارك ، وكسر السد في صباحها ، بحضرة ابراهيم بيك قائمقام مصر والأمراء

وفي اواخره (أغسطس ١٧٨٠ م) :

شرع الأمراء في تجهيز تجريدة ، وسفرها الى جهة قبلى ، لاستفحال أمر حسن بيك ورضوان وانه انضم اليهم كثير من الأجناد وغيرهم ، وذهب اليهم جماعة اسماعيل بيك . فعندما تحققوا ذلك ، أخذوا في تجهيز تجريدة وأميرها مراد بيك وصحبته ، وطلبوا الاحتياجات واللوازم ، وحصل منهم الضرر . وطلب مراد بيك الأموال من التجار وغيرهم .. مصادرة ، وجمعوا المراكب ، وعطلوا الأسباب ، وبرزوا بخيامهم الى جهة البساتين .

شوال

٢٠ منه (١٩ أكتوبر ١٧٨٠ م) :

كان خروج المحمل والحجاج صحة أمير الحج مصطفى بيك الصغير

سنة ١١٩٥ هجرية

المحرم

١٥ منه (١١ يناير ١٧٨١ م) :

قبض ابراهيم بيك على ابراهيم أغا بيت المال ، المعروف بالمسلماني ، وضربه بالنبايت حتى مات وأمر بالقائه في بحر النيل ، فألقوه وأخرجوه عياله بعد أيام من عند شبرا فأتوا به الى بيته وغسلوه وكفنوه ودفنوه .. ولم يعلم لذلك سبب .

صفر

١٦ منه (١١ فبراير ١٧٨١ م) :

نزل الحجاج ودخلوا الى مصر صحبة المحمل ،
وأمر الحج مصطفى بيك .

١٩ منه (١٤ فبراير ١٧٨١ م) :

جاءت الأخبار بأن اسماعيل بيك وصل من
الديار الرومية الى أدرنة وطلع من هناك ، ولم يزل
يتحيل حتى خلص الى الصعيد وانضم الى حسن
بيك ورضوان بيك وباقي الجماعة .

في اواخره (فبراير ١٧٨١ م) :

وصلت الأخبار من ناحية قبلى بأن مراد بيك
خنقه ابراهيم بيك أودة باشا ... قيل انه اتهمه
بمكاتبات الى اسماعيل بيك ، وحبس جماعة آخرين
خلافه .

وفيه : وصلت الأخبار بورود باشا الى ثغر
الاسكندرية واليا على مصر ، وهو محمد باشا
ملك .

جمادى الأولى

٦ منه (٣٠ ابريل ١٧٨١ م) :

وصل مراد بك ومن معه الى مصر ، وصحبته
ابراهيم بيك قشطة : صهر اسماعيل بيك ،
وسليم بيك : أحد صناع اسماعيل بيك .. بعد
ما عقد الصلح بينه وبينهم . وأحضر هؤلاء —
صحبه — رهائن .

وأعطى لاسماعيل بيك .. أخميم وأعمالها ،
وحسن بيك .. قنا وقوص وأعمالها ، ورضوان
بيك .. اسينا .

ولما تم الصلح بينه وبينهم على ذلك ، أرسل
لهم هدايا وتقادم ، وأحضر صحبه من ذكر ..
فكانت مدة غيابه ثمانية أشهر وأياما ، ولم يقع
بينهم مناوشات ولا حرب : بل كانوا يتقدمون
بتقدمه ، ويتأخرون بتأخره حتى تم ما تم .

وفي منتصفه (٩ مايو ١٧٨١ م) :

سافر على أغا كتخدا الجاوشية ، وأغات المتفرقة
والترجمان ، وباقي أرباب الخدم .. لملاقاة الباشا .

رجب

في غرته (٢٣ يونية ١٧٨١ م) :

وصل الباشا الى بر انبابة ، وبات هناك . وعدت
الأمراء فى ضبجها للسلام عليه ، ثم ركب الى
العادية .

وفى يوم الاثنين ركب الباشا بالموكب من العادية
ودخل من باب النصر ، وشق من وسط المدينة ،
وطلع الى القلعة ، وضربوا له المدافع من باب
الينكجيرية .. وكان وجيها ، جليلا ، منور الوجه
والشبية .

وفى يوم الخميس عملوا الديوان ، وحضر الأمراء
والمشايخ ، وقرىء التقليد بحضرتهم ، وخلع على
الجميع الخلع المعتادة .

شعبان

١٤ منه (٦ اغسطس ١٧٨١ م) :

يوم الأحد المبارك ، ليلة النصف من شعبان ،
الموافق لأول مسرى القبطى (١٤٩٧) ، كان وفاء
النيل المبارك ، ونزل الباشا ، وكسروا السد
بحضرتهم على العادة صبح يوم الاثنين .

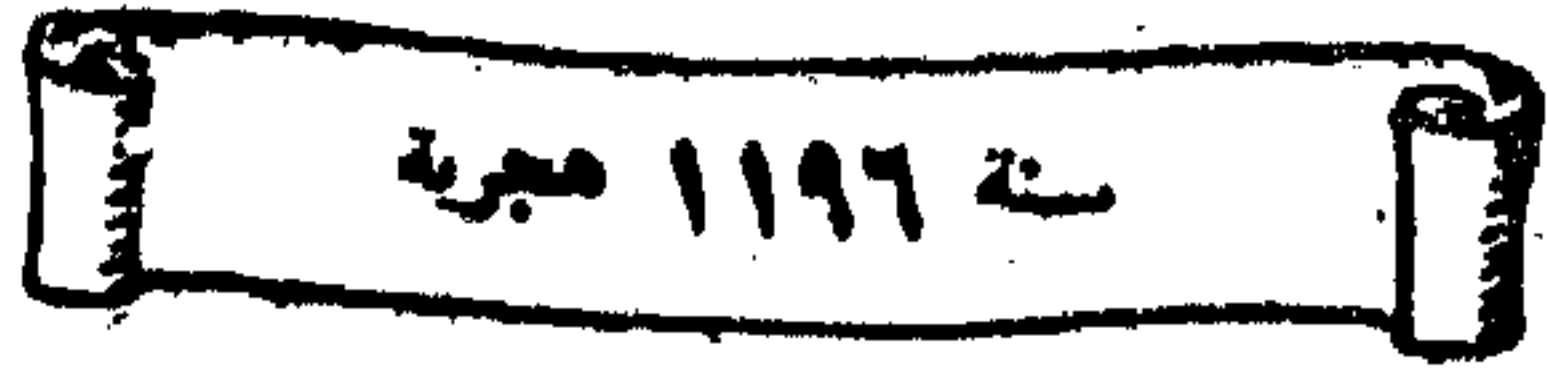
وممن مات فى هذه السنة الامام الفصيح ،
المعتقد الشهير الذكر الشيخ ابراهيم بن محمد بن
عبد السلام الرئيس الزمزمى المكي الشافعى .
ولد بمكة سنة ١١١٠ هجرية . ولازم المرحوم
الوالد حسن الجبرتى — سنة مجاورته بمكة —
ملازمة كلية ، وأخذ عنه علم الفلك والأوقاف
والاستخراجات والرسم وغير ذلك . ومهر فى ذلك
واقتنى كتباً نفيسة فى سائر العلوم بددها اولاده
من بعده وباعوها بأبخس الأثمان .

فقلت له : كيف وصلت الى هذه اليتيمة ؟
وما مقدار ما دفعته فيها من المهر والقيمة ؟

فأخبرني أنه اشتراها من ابن الشيخ بعشرين
ريالا .. وكتاب المجسطى ، وكتاب التبصرة ، وشرح
التذكرة ، ونسخة البارع في غاية الجودة ، وزيج
ابن الشاطر ، وغير ذلك من الكتب التي لا توجد
في خزائن الملوك .. وكلها بمثل ذلك الثمن
البخس ...

فقضيت أسفا ! وأخذ الجميع مع ما أخذ ،
وذهب الى بلاده .

وهكذا حال الدنيا !



سفر

(اواخر يناير واول فبراير ١٧٨٢ م) :

نزل مراد بيك وشرح (١) بالاقليم البحرية ،
وطاف البلاد بالشرقية ، وطلب منهم أموالا ، وفرد
عليهم مقادير من المال عظيمة ، وكلفا وحق طسرق
معينين .. وغير ذلك ما لا يوصف !

ثم نزل الى الغربية وفعل بها كذلك ، ثم المنوفية

شعبان

في منتصفه (٢٦ يولية ١٧٨٢ م) :

ورد أغا بطلب محمد باشا ملك الى الباب
ليتولى الصدارة ، فنزل من القلعة الى قصر العيني ،
وأقام بقية شهر شعبان ، ونزل في غرة رمضان
وسافر الى الاسكندرية .. فكانت مدة ولايته ١٣
شهرا ونصفا .

وهاداه الأمراء ولم يحاسبوه على شيء . ونزل
في غاية الاعزاز والاكرام .

وكان من أفاضل العلماء ، متضلعا من سائر

وكان عنده ، من جملة كتبه ، زييج الراصد
لغيبك السمرقندي ، نسخة شريفة بخط العجم
(الخط الفارسي) ، في غاية الجودة والصحة
والإتقان ، وعليها تقييدات وتحريرات وفوائد
شريفة لا يسمح الدهر بمثل تلك النسخة . وكنت
كثيرا ما أسمع من المرحوم الوالد ذكرها ومدحتها ،
ويقول : ليس في الدنيا الا نسختي ونسخة الشيخ
ابراهيم الزمزمي ونسخة حسن افندي قطه مسكين !
ولا يعتمد على غيرهم في الصحة ، لأنهم كتبوا
وصححوا في عهد الراصد

ونسخة الوالد مكتوب عليها بخط رستم شاه
ما نصه : « قد اشترينا هذا الكتاب في دار سلطنة
هراة باثني عشر ألف دينار » .. وتحت ذلك اسمه
وختمه .

فلما كان في سنة ست وتسعين ورد علينا بعض
الحجاج الجزائرية وسألني عن كتب يشتريها —
من جملتها الزيج المذكور — وأرغبني في زيادة
الثمن ، فلم تسمح نفسي في شيء من ذلك .

ثم سافر الى الحج ورجع وأتاني ، ومع خادمه
رزمة كبيرة فوضعها بين أيدينا وفتحها وأخرج منها
نسخة الزيج المذكورة ، وفرجني عليها ، وقال :
أيها أحسن ؟ نسختك التي ضننت بها ، أو هذه ؟
.. وكنت لم أرها قبل ذلك . فرأيتها شقيقتها ،
وتزيد عنها في الحسن صغر حجمها ، وكثرة
التقييدات بهامشها ، وطيارات كثيرة بداخلها في
المسائل المعضلة — مثل التسييرات والانتهايات
والنمودارات وغير ذلك — وجميعها بحسن الخط
والوضع ، فرأيتها المخدرة التي كشف عنها القناع ،
وانما هي المعشوقة بالسماع (١) ..

(١) حين تدلهم الحوادث ، وتدهم الخطوب ، وتتوالى الكوارث
على أمة يكتنفها الظلام الحالك من جميع جنباتها ونواحيها .. ثم
تجد — تحت رماد تكباتها المتكاثف — هذا الوهج المقدس من حب
العلم ، وهذا الافتتان والشفغ بكتبه .. تعلم أن هذه أمة لن تخمد
لها جدوة ، ولن ينطفئ لها نور ، ولن يخبر لها شعاع ...

الفنون ، ويجب المذاكرة والمباحثة والمسامرة
وأخبار التواريخ وحكايات الصالحين وكلام القوم .
وكان طاعنا في السن ، منور الشيبة ، متواضعا .

رمضان

اواسطه (اواخر اغسطس ١٧٨٢ م) :

حضر الباشا الجديد ، ونزل اليه الملاقاة .

شوال

١٠ منه (١٨ سبتمبر ١٧٨٢ م) :

سـطلع الباشا الجديد الى قصر العينى ، فبات به
وركب بالموكب فى صباحها ، ومر من جهة الصليبية ،
وطلع الى القلعة .. وذلك على خلاف العادة .

وفيه : جاءت الأخبار على أيدي السفارواصلين
من اسلا مبول بأنه وقع بها حريق عظيم لم يسمع بمثله .
واحترق منها نحو الثلاثة أرباع ، واحترق خلق
كثير فى ضمن الحريق ، وكان أمرا مهولا .

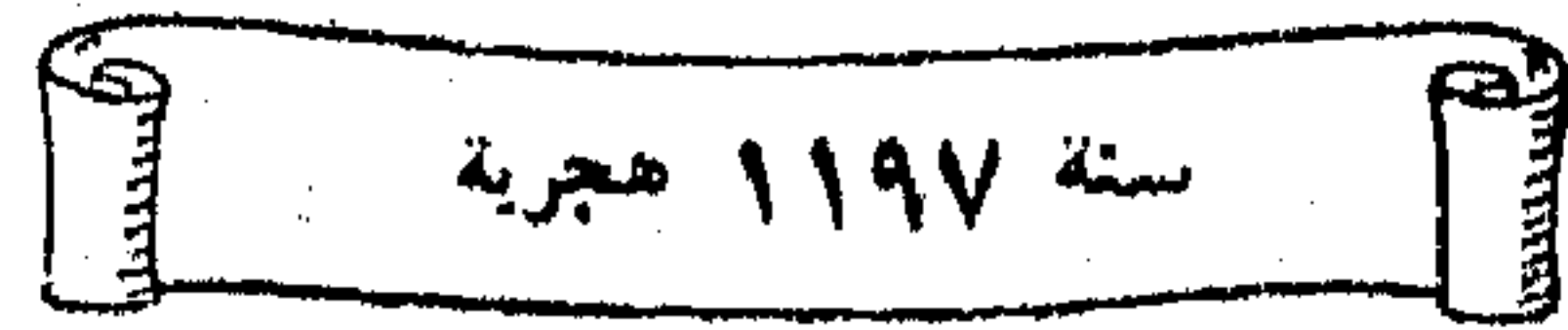
وبعد ذلك حصل بها فتنة أيضا ، ونفوا الوزير
عزت محمد باشا وبعض رجال الدولة .

ذوالقعدة

ليلة ١٨ منه (٢٥ أكتوبر ١٧٨٢ م) :

هرب سليم بيك و ابراهيم بيك قشطة ، وتبعهم
جماعة كبيرة نحو الثمانين ، فخرجوا ليلا على الهجن
وجرائد الخيل ، وذهبوا الى الصعيد .

وأصبح الخبر شائعا بذلك ، فارتبك ابراهيم
بيك ومراد بيك . ونادى الأغا والوالى بترك
الناس المشى بعد العشاء .



فيها تسحب أيضا جماعة من الكشاف والمماليك ،
وذهبوا الى قبلى .

فشرعوا فى تجهيز تجريدة ، وعزم مراد بيك على
السفر ، وأخذ فى تجهيز اللوازم ، فطلب الأموال ،
فقبضوا على كثير من مساتير الناس والتجار
والمتسبين .. وحبسوهم وصادروهم فى أموالهم ،
وسلبوا ما بأيديهم .. فجمعوا من المال ما جاوز
الحد ، ولا يدخل تحت الحد !

ربيع الآخر

فى منتصفه (٢٠ مارس ١٧٨٣ م) :

برز مراد بيك للسفر ، وأخرج خيامه الى جهة
البساتين ، وخرج صحبته الأمير لاجين بيك ،
وعثمان بيك الشرقاوى ، وعثمان بيك الأشقر ،
وسليمان بيك أبو نبوت .. وكشافهم ومماليكهم
وطوائفهم ، وسافروا بعد أيام .

جمادى الآخرة

فى اواخره (اواخر مايو ١٧٨٣ م) :

وردت الأخبار بأن رضوان بيك — قرابة على
بيك — حضر الى مراد بيك وانضم اليه . فلما
فعل ذلك انكسرت قلوب الآخرين وانخدلوا
ورجعوا القهقري ، ورجع مراد بيك أيضا الى
مصر ، وترك هناك مصطفى بيك ، وعثمان بيك
الشرقاوى ، وعثمان بيك الأشقر .

رجب

٢٦ منه (٢٧ يونية ١٧٨٣ م) :

اتفق مراد بيك و ابراهيم بيك على نفى جماعة
من خشداشينهم ، وهم ابراهيم بيك والوالى ،
وأيوب بيك الصغير ، وسليمان بيك الأغا
ورسموا لأيوب بيك أن يذهب الى المنصورة فأبى
وامتنع من الخروج ، فذهب اليه حسن كتخدا
الجربان — كتخدا مراد بيك — واحتال عليه ،
فركب وخرج الى غيط مهمشة ، ثم سافر الى
المنصورة .

وأما ابراهيم بيك الوالى فركب بضوائفه ومماليكه وعدى الى بر الجيزة ، فركب خلفه على بيك أباطة ولاچين بيك ، وحجزوا هجته وجماله عند المعادى ، وعدوا خلفه فأدركوه عند الأهرام ، فاحتالوا عليه وردوه الى قصر العينى ، ثم سفروا الى ناحية السرو ورأس الخليج .

وأما سليمان بيك فانه كان غائبا باقليم الغربية والمنوفية يجمع من الفلاحين فردا وأموالا ومظالم ! فلما بلغه الخبر رجع الى منوف ، فحضر اليه المعينون لنفيه ، وأمروه بالذهاب الى المحلة الكبرى ، فركب بجماعته وأتباعه فوصل الى مسجد الخضر ، فاجتمع بأخيه ابراهيم بيك الوالى هناك ، فأخذته صحبته وذهبا الى جهة البحيرة .

في غايته (أول يولية ١٧٨٣ م) :

طلع الأمراء الى الديوان ، وقلدوا خمسة من أغوات الكشاف صناجق ، وهم : عبد الرحمن خازندار ابراهيم بيك سابقا ، وقاسم أغا كاشف المنوفية سابقا (وعرف بالموسقو) وهو من مماليك محمد بيك واشراق ابراهيم بيك ، وحسين كاشف (وعرف بالشفيت بمعنى اليهودى) ، وعثمان كاشف ، ومصطفى كاشف السلحدار .. وهؤلاء الثلاثة من ضرف مراد بيك .

شعبان

(يولية ١٧٨٢ م) .

وردت الأخبار من ثغر سكندرية بوصول باشا الى الثغر — واسمه محمد باشا السلحدار — واليا على مصر ، فنزل الباشا القديم من القلعة الى القصر بشاطئ النيل .

في اواخره (اواخر يولية ١٧٨٣ م) :

وصل سلحدار الباشا الجديد بخطة قائمقامية لابراهيم بيك .

وفيه : وصلت الأخبار بأن سليمان بيك

وابراهيم بيك رجعوا من ناحية البحيرة الى طندتا ، وجلسوا هناك ، وأرسلوا جوابات الى الأمراء بمصر بذلك ، وأنهم يطلبون أن يعينوا لهم ما يتعيشون به .

وفيه : أرسلوا خلعة الى عثمان بيك الشرقاوى بأن يستقر حاكما بجرجا ، وطلبوا مصطفى بيك ، وسليمان بك أبا نبوت ، وعثمان بيك الأشفر للحضور لمصر ... فحضروا واستقر عثمان بيك الشرقاوى بجرجا .

رمضان

في غرته (٣١ يولية ١٧٨٣ م) :

هرب سليمان بيك الأغا ، وابراهيم بيك الوالى من طندتا وعدوا الى شرقية بليس ، ومروا من خلف الجبل ، وذهبوا الى الصعيد . ورجع على كئخدا ، ويحيى كئخدا سليمان بيك ، الى مصر بالحملة والجمال وبعض مماليك وأجناد .

في اواخره (اواخر اغسطس ١٧٨٣ م) :

هرب أيضا أيوب بيك من المنصورة وذهب الى الصعيد أيضا . وتواترت الأخبار بأنهم اجتمعوا مع بعضهم واتفقوا على العصيان . فأرسلوا لهم محمد كئخدا أباطه ، وأحمد أغا جميلتان ، وطلبوهم الى الصلح ، ويعينون لهم أماكن يقيمون بها ويرسلون لهم احتياجاتهم . فأبوا ذلك . فطلبوا عثمان بيك الشرقاوى ومصطفى بيك للحضور فامتنعا أيضا ، وقالوا : لا نحضر ولا نصطلىح الا ان رجع اخواننا رجعا معهم ، ويردون لهم امرياتهم وبلادهم وبيوتهم ، ويبتلوا من صنجقوه وأمروه عوضهم .

فلما حضر الجواب بذلك شرعوا فى تجهيز تجريدة ، وأخذوا يفتشون أماكن الأمراء المذكورين ، فأخذوا ما وجدوه بمنزل مصطفى بيك .

للسلام على ابراهيم بيك فقط في الخلاء . ولم يذهب الى أحد من القادمين .

وسكن الحال على ذلك أياما ، وشرع ابراهيم بيك في اجراء الصلح وصفاء خاطر بينهم وبين مراد بيك ، وأمرهم بالذهاب اليه ، وسلموا عليه ، ثم ركب هو الآخر اليهم — ما عدا الثلاثة المعزولين — وكل ذلك وهو ينقل في متاع بيته وتعزيل ما فيه .

ثم انه ركب في يوم الجمعة وعدى الى جزيرة الذهب ، وتبعه كشافه وطوائفه ، وأرسل الى بولاق وأخذ منها الأرز والغلة والشعير والبقسماط وغير ذلك ، فأرسل له ابراهيم بيك لاجين بيك وسليمان بيك أبا نبوت ليردوه عن ذلك .. فنهرهم وطردهم .. فرجعوا !

ثم انه عدى الى ناحية الشرق وذهب الى قبلى ، وتبعه أغراضه وأتباعه وحملته من البر والبحر .

وفي هذه السنة قصر مد النيل وانهب قسطنطين الصليب بسرعة ، فشرقت الأراضي القبلية والبحرية وعزت الغلال بسبب ذلك ، وبسبب نهب « الأمراء ! » ، وانقطاع الوارد من الجهة القبلية . وشطح سعر القمح الى عشرة ريالات الاردب . واشتد جوع الفقراء .

ووصل مراد بيك الى بنى سويف ، وأقام هناك وقطع الطريق على المسافرين ، ونهبوا كل ما مر بهم في المراكب الصاعدة والهابطة ..

واتهموا أناسا بأمانات وودائع لمصطفى بيك وعثمان بيك الشرقاوى ، منهم الدالى ابراهيم وغيره ، فجمعوا بهذه « النكتة ! » أموالا كثيرة ..

شوال

٢٠ منه (١٨ سبتمبر ١٧٨٣ م) :

كان خروج المحمل والحجاج ، وأمير الحج مصطفى بيك الكبير .

ولما انقضى أمر الحج برروا للتجريدة — وأميرها ابراهيم بيك الكبير — وجمعوا المراكب وحجزوها من أربابها ، وعطلوا أسباب التجارة والمسافرين ، وجمعوا الأموال — كما تقدم — من المصادرات والملتزمين والفلاحين وغير ذلك .. وكان أمرا مهولا أيضا !

وبعد أيام وصل الخبر بأن ابراهيم بيك ضمهم للصلح واصطاح معهم ، وأنه واصل صحبتهم جميعا .

ذوالقعدة

١٦ منه (١٣ أكتوبر ١٧٨٣ م) :

حضر ابراهيم بيك ، ووصل بعده الجماعة ، ودخلوا الى مصر ، وسكنوا في بيوت صغار — ما عدا عثمان بيك ومصطفى بيك فانهم نزلوا في بيوتهم .

وحضر صحبتهم أيضا على بيك وحسين بيك الاسماعيلية ، فلم يعجب مراد بيك ما فعله ابراهيم بيك ، ولكن أسره في نفسه ، ولم يظهره . وركب

إذا وصل فساد الحكام الى مثل هذا ، قيل تدهش إذا صار
البلاد مطعما للفرقة والعادين ؟

يوميات الجبرتي

الراحة فيكم ، وبراحتكم ترتاح الناس وتأمين السبل .

فأطهر الامتثال ، ووعد بالحضور بعد أيام . وقال لهم :

« اذا وصلتكم الى بنى سويف ، ترسلون لى عثمان بيك الشرقاوى وأيوب بيك الدفتردار لأشترط عليهم شروطى . فان قبلوها ، توجهت معهم . والا عرفت خلاصى معهم ! » .

وانفصلوا عنه على ذلك ... وودعوه وسافروا .

صفر

٢٣ منه (١٧ يناير ١٧٨٤ م) :

حضر المذكورون الى مصر .

وصل الحجاج الى مصر .

٢٥ منه (١٩ يناير ١٧٨٤ م) :

دخل أمير الحج مصطفى بيك بالمحمل .

ربيع الأول

مستهل (٢٤ يناير ١٧٨٤ م) :

خرج الأمراء الى ناحية معادى الخيرى ،

وحضر مراد بيك الى بر الجيزة وصحبته جمع

كبير من الغز والأجناد والعربان والغوغاء من أهل

الصعيد والهورارة . ونصبوا خيامهم ووطاقهم

قبالتهم فى البر الآخر ، فأرسل اليه ابراهيم بيك ،

عبد الرحمن بيك عثمان وسليمان بيك الشابورى

وآخرين فى مركب . فلما عدوا اليه ، لم يأذن لهم

فى مقابلته ، وطردهم . ونزل أيضا كتخدا الباشا

سنة ١١٩٨ هجره

المحرم

فيه : (ديسمبر ١٧٨٣ م) :

سافر مراد بيك الى مية ابن خصيب مغضبا .. وجلس هناك .

وفيه : حضر الى مصر محمد باشا والى مصر ،

فأنزلوه بقصر عبد الرحمن كتخدا بشاطىء النيل .

فأقام به يومين ، ثم عملوا له موكبا وطلع الى القلعة

من تحت الربيع على الدرب الأحمر .

فى منتصفه (١٠ ديسمبر ١٧٨٣ م) :

اتفق رأى ابراهيم بيك والأمراء الذين معه

على ارسال محمد افندى البكرى ، والشيخ أبى

الأنوار شيخ السادات ، والشيخ احمد العروسى

شيخ الأزهر الى مراد بيك ... ليأخذوا

خاطره ، ويطلبوه للصلح مع خشداشينه ، ويرجع

اليهم ، ويقبلوا شروطه ما عدا اخراج أحد من

خشداشينهم . فلما سافروا اليه وواجهوه ، وكلّموه

فى الصلح ، فتعلل بأعذار ، وأخبر أنه لم يخرج

من مصر الا هروبا ، وخوفا على نفسه ، فانه

تحقق عنده توافقههم على غدره . فان ضمنتهم

وحلفتم لى بالأيمان أنه لا يحصل لى منهم ضرر ...

وافقتكم على الصلح ، والا .. فدعوني بسيدهم

عنهم .

فقالوا له : لسنا نطلع على القلوب ، حتى

نحلف ونضمن ! ولكن الذى نظنه ، ونعتقده ،

عدم وقوع ذلك بينكم ، لأنكم اخوة ، ومقصودنا

وصحبته اسماعيل أفندي الخلوتى فى مركب آخر ، ليتوجهوا اليه أيضا لجريان الصلح . فلما توسطوا البحر ، ووافق رجوع الأولين ، ضربوا عليهم بالمدافع ، فكادت تفرق بهم السفن ، ورجعوا وهم لا يصدقون بالنجاة .

فلما رأى ذلك ابراهيم بيك ، ونظر امتناعه عن الصلح ، وضربه بالمدافع ... أمر هو الآخر بضرب المدافع عليهم نظير فعلهم ، وكثر الرمى بينهم من الجهتين على بعضهم البعض ، وامتنع كل من الفريقين عن التعدية الى الجهة الأخرى ، وحجزوا المعادى من الطرفين . واستمر الحال بينهم على ذلك من أول الشهر الى عشرين منه ... واشتد الكرب والضنك على الناس وأهل البلاد ، وانقطعت الطرق القبلية والبحرية برا وبحرا ، وكثر تعدى المفسدين ، وغلت الأسعار ، وشح وجود الغلال ، وزادت أسعارها .

وفى تلك المدة كثر عبث المفسدين ، وأفحش جماعة مراد بيك فى النهب والسلب فى بر الجيزة ، وأكلوا الزروع ، ولم يتركوا على وجه الأرض عودا أخضر ، وعين ل قبض الأموال من الجهات ، وغرامات الفلاحين

وظن الناس حصول الظفر لمراد بيك ، واشتد خوف الأمراء بمصر منه ، وتحدث الناس بعزم ابراهيم بيك على الهروب .

٢٧ منه (١٩ فبراير ١٧٨٤ م) .

أرسل ابراهيم بيك المذكور خمسة من الصناجق وهم : سليمان بيك الأغا وسليمان بيك أبو نبوت وعثمان بيك الأشقر و ابراهيم بيك الوالى وأيوب بيك ، فعدوا الى البر الآخر بالقرب من البابة ليلا ، وساروا مشاة ، فصادفوا طابورا ف ضربوا عليهم بالبندق فانهزموا منهم ، وملكوا مكانهم ، وذلك بالقرب من بولاق التكرور . كل

ذلك والرمى بالمدافع متصل من عرضى ابراهيم بيك ثم عدى خلفهم جماعة أخرى ومعهم مدفعان ، وتقدموا قليلا قليلا من عرضى مراد بيك ، وضربوا على العرضى بالمدفعين فلم يجبههم أحد . فباتوا على ذلك وهم على غاية من الحذر والخوف . وتتابع بهم طوائفهم وخيولهم .

فلما ظهر نور النهار نظروا فوجدوا العرضى خاليا وليس به أحد ، وارتحل مراد بيك ليلا وترك بعض أثقاله ومدافعه . فذهبوا الى العرضى وأخذوا ما وجدوه ، وجلسوا مكانه ، ونهب أوباشه المراكب التى كانت محجوزة للناس ، وعدى ابراهيم بيك ، وتتابعوا فى التعدية ، وركبوا خلفهم الى الشيمى ، فلم يجدوا أحدا .

فأقاموا هناك أربعة أيام ، ورجع ابراهيم بيك وبقية الأمراء الى مصر . ودخلوا بيوتهم ، وانقضت هذه الفتنة الكدابة على غير طائل ، ولم يقع بينهم مصاف ولا مقاتلة ، وهرب مراد بيك ، وذهب بمن معه يهلكون الزرع حصادا ، ويسعون فى الأرض فسادا .

جاردى الأولى

فى أواخره (حوالى منتصف ابريل ١٧٨٤ م) :

اتفق رأى ابراهيم بيك على طلب الصلح مع مراد بيك . فسافر لذلك لاجين بيك وعلى أغا كتخدا جاووجان . وسبب ذلك ، أن عثمان بيك الشرقاوى وأيوب بيك ومصطفى بيك وسليمان بيك و ابراهيم بيك الوالى ، تحزبوا مع بعضهم ، وأخذوا ينقضون على ابراهيم بيك الكبير ، واستخفوا بشأنه ، وقعدوا له كل مرصد . وتخل منهم وتحرز ، وجرت مشاجرة بين أيوب بيك وعلى أغا كتخدا جاووجان بحضرة ابراهيم بيك ، وسبه وشتمه وأمسك عامته ، وحل قولانه وقال له : « ليس هذا المنصب مخلدا عليك » . فاغتاظ

ابراهيم بيك لذلك وكنمه في نفسه ، وعز عليه على أغا لأنه كان بينه وبينه محبة أكيدة ، ولا يقدر على فراقه ، فشرع في اجراء الصلح بينه وبين مراد بيك ، فاجتمع اليه الأمراء وتكلموا معه وقالوا له : كيف تصنع .. ؟ قال : نصطليح مع أخينا .. أولى من التشاحن ، ونزيل الغل من بيننا لأجل راحتنا وراحة الناس ، ويكون كواحد منا ، وإن حصل منه خلل أكون أنا وأنتم عليه . وتحالفوا على ذلك ، وسافر لاجين بيك وعلى أغا .

وبعد أيام حضر حسن كتخدا الجربان — كتخدا مراد بيك — الى مصر ، واجتمع بابراهيم بيك ، ورجع ثانيا . وأرسل ابراهيم بيك صحبته ولده ومرزوق بيك طفلا صغيرا ، ومعه الدادة والمرضة . فلما وصلوا مراد بيك أجاب بالصلح ، وقدم لمرزوق بيك هدية وتقادم ، ومن جملتها بقرة ... ولابنتها رأسان !

وحضر بهما الى مصر ، وشاع خبرها ، فذهبت بصحبة أخينا وصديقنا مولانا السيد اسماعيل الوهبي الشهير بالخشاب — فوصلنا الى بيت أم مرزوق بيك الذي بحارة عابدين ، ودخلنا الى اسطبل مع بعض السواس ، فرأينا بقرة مصفرة اللون بياض ، وابنتها خلفها سوداء ولها رأسان كاملا الأعضاء ، وهي تأكل بفم أحد الرأسين وتشتر (تجتر) بفم الرأس الثاني ... فتعجبنا من عجب صنع الله وبديع خلقته ... فكانت من المعجائب الغريبة المؤرخة !

رجب

في ١٠ منه (٣٠ مايو ١٧٨٤ م) :

حضر مرزوق بيك وصحبته حسن كتخدا الجربان ، فأوصله الى أبيه ، ورجع ثانيا الى مراد بيك .

وشاع الخبر بقدم مراد بيك ، وعمل مصطفى

بيك وليمة ، وعزم من بصحبته ، وأحضر لهم آلات الطرب ، واستمروا على ذلك الى آخر النهار ...

١١ منه (٣١ مايو ١٧٨٤ م) :

وفي ثاني يوم اجتمعوا عند ابراهيم بيك وقالوا له : « كيف يكون قدوم مراد بيك ؟ ولعله لا يستقيم حاله معنا ! » .

فقال لهم : « حتى يأتي ... فان استقام معنا فيها ، والا أكون — أنا وأنتم — عليه » .

فتحالفوا وتعاهدوا وأكدوا المواعيق .

فلما كان يوم الجمعة وصل مراد بيك الى غمازة ، فركب ابراهيم بيك على حين غفلة وقت القائلة في جماعته وطائفته ، وخرج الى ناحية البساتين ، ورجع من الليل وطلع الى القلعة وملك الأبواب ومدرسة السلطان حسن والرميلة والصلبية والتبانة ، وأرسل الى الأمراء الخمسة يأمرهم بالخروج من مصر ، وعين لهم أماكن يذهبون اليها ، فمنهم من يذهب الى دمياط ، ومنهم من يذهب الى المنصورة وفارسكور ... فامتنعوا من الخروج واتفقوا على الكرنكة والخلاف ... ثم لم يجدوا لهم خلاصا بسبب أن ابراهيم بيك ملك القلعة وجهاتها ، ومراد بيك واصل يوم تاريخه وصحبته السواد الأعظم من العساكر والعربان .

ثم انهم ركبوا وخرجوا بجمعيتهم الى ناحية القليوبية ، ووصل مراد بيك لزيارة الامام الشافعي . فعندما بلغه خبر خروجهم ذهب من فوره من خلف القلعة ، ونزل على الصحراء ، وأسرع في السير حتى وصل الى قناطر أبي المنجا ، ونزل هناك ، وأرسل خلفهم جماعة فلحقوهم عند شبرا شهاب .

وأدركهم مراد بيك ، والتطموا معهم ، فتقنطر مراد بيك بفرسه ، فلحقوه وأركبوه غيره ... فعند

ذلك ولى راجعا . وانجرح بينهم جماعة قلائل ،
وأصيب سليمان بيك برصاصة نفذت من كتفه
ولم يمت .

ورجع مراد بيك ومن معه الى مصر على غير
طائل ، وذهب الأمراء الخمسة المذكورون وعدوا
على وردان ، وكان بصحبته رجل من كبار العرب
— يقال له طرهونه — يدلهم على الطريق الموصلة
الى جهة قبلى ، فسار بهم فى طريق مقفرة ليس بها
ماء ولا حشيش يوما وليلة حتى كادوا يهلكون من
العطش . وتأخر عنهم أناس من طوائفهم وانقطعوا
عنهم شيئا فشيئا الى أن وصلوا الى ناحية سقارة ،
فراوا أنفسهم بالقرب من الأهرام فضايق خناقهم
وظنوا الوقوع ، فأحضروا الهجن وأرادوا الركوب
عليها والهروب ويتركوا أثقالهم ، فقامت عليهم
طوائفهم فقالوا لهم : كيف تذهبون وتركونا مشتين؟
وصار كل من قدر على خطف شيء أخذه وهرب ،
فسكنوا عن الركوب وانتقلوا من مكانهم الى
مكان آخر .

وفى وقت الكلبة ركب ملوك من ممالكهم
ونضر الى مراد بيك — وكان بالروضة — فأعلمه
بالخبر ، فأرسل جماعة الى الموضع الذى ذكره
له ، فلم يجدوا أحدا ، فرجعوا .

واغتم أهل مصر لذهابهم الى جهة قبلى لما
يترتب على ذلك من التعب وقطع الجالب ، مع
وجود القحط والغلاء . وبات الناس فى غم
شديد ..

٢١ منه (١٠ يونية ١٧٨٤) :

شاع الخبر بالقبض عليهم . وكان من أمرهم
أنهم لما وصلوا الى ناحية الأهرام ، ووجدوا
أنفسهم يقابلين البلد ، أحضروا الدليل وقالوا له :
انظر لنا طريقا نسلك منه ... فركب لينظر فى
الطريق ، وذهب الى مراد بيك وأخبره بمكانهم ،

فأرسل لهم جماعة ، فلما نظروهم مقبلين عليهم
ركبوا الهجن وتركوا أثقالهم وولوا هاربين .
وكانوا أكرموا لهم كميناً ، فخرج عليهم ذلك
الكمين ومسكوا بزمامهم من غير رفع سلاح ولا
قتال ، وحضروا بهم الى مراد بيك بجزيرة الذهب
فباتوا عنده . ولما أصبح النهار أحضر لهم مراد
بيك مراكب وأنزل كل أمير فى مركب وصحبته
خمس ممالك وبعض خدام ، وسافروا الى جهة
بحرى فذهبوا بعثمان بيك وأيوب بيك الى
المنصورة ، ومصطفى بيك الى فارسكور ،
وابراهيم بيك الوالى الى طندتا ، وأما سليمان بيك
فاستمر ببولاق التكرور حتى برأ جرحه .

مضان

منتصفه (٢ اغسطس ١٧٨٤) :

اتفق الأمراء المنفيون على الهروب الى قبلى ،
فأرسلوا الى ابراهيم بيك الوالى لياتى اليهم من
طندتا ، وكذلك الى مصطفى بيك من فارسكور .
وتواعدوا على يوم معلوم بينهم ، فحضر ابراهيم
بيك الى عثمان بيك وأيوب بيك خفية فى
المنصورة . وأما مصطفى بيك فانه نزل فى المراكب
وعدى الى البر الشرقى بعد الغروب ، وركب وسار
فركب خلفه رجل يسمى طه شيخ فارسكور
— وكان بينه وبين مصطفى بيك حزازة — وأخذ
صحبه رجلا يسمى الأشقر فى نحو ثلاثمائة فارس
وعدوا خلفه فلحقوه آخر الليل والطريق ضيقة بين
البحر والأرز المزروع ... فلم يتمكنهم الهروب ولا
القتال . فأراد الصنجق أن يذهب بمفرده فدخل
فى الأرز بفرسه فانغرس فى الطين فقبضوا عليه
هو وجماعته ، فعروضهم وأخذوا ما كان معهم
وساقوهم مشاة الى البحر ، وأنزلوهم المراكب
وردوهم الى مكانهم محتفظين عليهم . وأرسلوا
الخبر الى مصر بذلك .

وأما الجماعة الذين في المنصورة فانهم انتظروا
... إلى بيك في الميعاد فلم يأتهم ، ووصلهم الخبر
... فوقع له مركب عثمان بيك وإبراهيم بيك
وساروا ، وتخلف أيوب بيك بالمنصورة . فلما
قربوا من مصر سبقتهم الرسل إلى سليمان بيك
فركب من الجيزة وذهب إليهما وذهبا إلى قبلى ،
وأرسل مراد بيك محمد كاشف الألفى وأيوب
كاشف ، فأخذا مصطفى بيك من فارسكور وتوجها
به إلى ثغر الاسكندرية ، وسجنوه بالبرج الكبير
— وعرف من أجل ذلك بالاسكندراني .

وأخضروا أيوب بيك إلى مصر وأسكنوه في
بيت صغير . وبعد أيام رده إلى بيته الكبير وردوا
له الصنجدية أيضا في منتصف شوال .

شوال

الاثنين ٦ شوال (٢٣ أغسطس ١٧٨٤ م - ١٩ مسرى
١٥٠٠ ق) :

كان وفاء النيل المبارك . ونزل الباشا يوم
الثلاثاء في عربة ، وكسر السد على العادة .

٢١ شوال (٧ سبتمبر ١٧٨٤ م) :

كان خروج المحمل صحبة أمير الحج
مصطفى بيك الكبير في موكب حقير جدا
بالنسبة للمواكب المتقدمة ، ثم ذهب إلى
البركة في يوم الخميس ، وقد كان تأخر
له مبلغ من مال الصرة وخلافها ، فطلب ذلك من
إبراهيم بيك فأحالته على مراد بيك من الميرى الذى
طرفه وطرف أتباعه ، فقال : نعم طرفى ذلك ، لكنه
قبض فردة البلاد واختص بها ، ولم يأخذ منها الا
قدرا يسيرا . وكانوا قبل ذلك قرروا فردة على
البلاد وقبضها إبراهيم بيك ولم يأخذ منها مراد
بيك الا أقل من مأموله — وقصده يقطع ما عليه
من الميرى — لذلك فلم يلتفت إبراهيم بيك لقوله
وأحال عليه أمير الحج .

وركب من البركة راجعا إلى مصر ، وورثه
وإياه ... فلم يسع مراد بيك الا الدفع وتشهيل
الحج ، وعاد إلى مصر وخرج إلى قصره بالروضة ،
وأرسل إلى الجماعة الذين بالوجه القبلى . فلما
علم إبراهيم بيك بذلك أرسل إليه يستعطفه ،
وترددت بينهما الرسل من العصر إلى بعد
العشاء ...

ونظر إبراهيم بيك فلم يجد عنده أحدا من
خشداشيته ، واجتمعوا كلهم على مراد بيك ...
فضاق صدره وركب إلى الرملة فوقف بها ساعة
حتى أرسل الحملة صحبة عثمان بيك الأشقر وعلى
بيك أباطة ، وصبر حتى ساروا وتقدموا عليه مسافة
ثم سار نحو الجبل وذهب إلى قبلى وصحبته
على أغا كتخدا الجاوشية ، وعلى أغا مستحفظان ،
والمحتسب وصناجقه الأربعة .

فلما بلغ مراد بيك ركوبه وذهابه ركب خلفهم
حصاة من الليل ثم رجع إلى مصر وأصبح منفردا
بها . وقد قائد أغا أغات مستحفظان ، وصالح أغا
الوالى القديم وجعله كتخدا الجاوشية ، وحسن
أغا كتخدا ، ومصطفى بيك محتسب . وأرسل إلى
محمد كاشف الألفى ليحضر مصطفى بيك من محبسه
بثغر اسكندرية ، ونادى بالأمان في البلد ، وزيادة
وزن الخبز ، وأمر بإخراج الغلال المخزونة لتباع
على الناس .

ذوالقعدة

٥ منه (٢٠ سبتمبر ١٧٨٤ م) :

في ليلته حضر مصطفى بيك ونزل في بيته أميرا
وصنجدقا على عادته كما كان .

وفيه : قلد مراد بيك مملوكه محمد كاشف
الألفى صنجدقا ، وكذلك مصطفى كاشف الأخيى
صنجدقا أيضا .

١٧ منه (٢ أكتوبر ١٧٨٤ م) :

حضر عثمان بك الشرقاوى ، وسليمان بك الأغا ، وإبراهيم بك الوالى ، وسليمان بك أبو نبوت ... وكان مراد بك أرسل يستدعيهم كما تقدم .

فلما حضروا الى مصر سكنوا بيوتهم كما كانوا على امارتهم .

في اواخره (اوائل أكتوبر ١٧٨٤ م) :

وصل واحد أغا من الدولة ويده مقرر للبasha على السنة الجديدة . فطلب البasha الأمراء لقراءته عليهم ، فلم يطلع منهم أحد ، وأهمل ذلك مراد بك ولم يلتفت اليه .

ذو الحجة

١٤ منه (٢٩ أكتوبر ١٧٨٤ م) :

رسم مراد بك بنفى رضوان بك — قرابة على بك الكبير — الذى كان خامر على اسماعيل بك وحسن بك الجداوى ، وحضر مصر صحبة مراد بك ، وانضم اليه وصار من خاصته . فلما خرج إبراهيم بك من مصر أشيع أنه يريد صلحه مع اسماعيل بك وحسن بك ، فصار رضوان بك كالجملة المعترضة ... فرسم مراد بك بنفيه فسافر من ليلته الى الاسكندرية .

١٥ منه (٣٠ أكتوبر ١٧٨٤ م) :

أرسل مراد بك الى البasha وأمره بالنزول ، فأنزلوه الى قصر العبنى معزولا ، وتولى مراد بك قائم مقام ، وعلق الستور على بابه — فكانت ولاية هذا البasha أحد عشر شهرا ، سوى الخمسة الأشهر التى أقامها بغير اسكندرية . وكانت أيامه كلها شذائد ومحن وغلاء .

في اواخره (اوائل نوفمبر ١٧٨٤ م) :

شرع مراد بك فى اجراء الصلح بينه وبين إبراهيم بك . فأرسل له سليمان بك الأغا ، والشيخ أحمد الدردير ، ومرزوق بك ولده ... فتهيأوا وسافروا فى ثامن عشرينه (١٢ نوفمبر ١٧٨٤ م) .

وانقضت هذه السنة — كالتى قبلها — فى الشدة والغلاء ، وقصور النيل ، والفتن المستمرة ، وتواتر المصادرات والمظالم من الأمراء ، وانتشار أتباعهم فى النواحي لجبى الأموال من القرى والبلدان ، واحداث أنواع « المظالم » (ويسمونهم مال الجهات) ، ودفع المظالم والفردة ... حتى أهلكوا الفلاحين ، وضاق ذرعهم ، واشتد كربهم ، وطفشوا من بلادهم ...

فحولوا الطلب على الملتزمين ، وبعثوا اليهم المعينين فى بيوتهم ، فاحتاج مساتير الناس لبيع أمتعتهم ودورهم ومواشيهم بسبب ذلك ... مع ما هم فيه من المصادرات الخارجة عن ذلك ، وتتبع من يشم فيه رائحة الغنى فيؤخذ ويحبس ويكلف بطلب أضعاف ما يقدر عليه .

وتوالى طلب السلف من تجار البن والبهار عن المكوسات المستقبلية . ولما تحقق التجار عدم الرد استعوضوا خساراتهم من زيادة الأسعار !

ثم مدوا أيديهم الى الموارث ... فاذا مات الميث أحاطوا بموجوده ، سواء كان له وارث أو لا ؟

وصار « بيت المال » من جملة المناصب التى يتولاها شرار الناس بجملة من المال يقوم بدفعه فى كل شهر ! ... ولا يعارض فيما يفعل فى الجزئيات وأما الكليات فيختص بها الأمير ... فحل بالناس ما لا يوصف من أنواع البلاء الا من تداركه الله

برحمته ، أو اختلس شيئا من حقه ، فإن اشتهروا عليه عوقب على استخراجهم ...

وفسدت النيات ، وتغيرت القلوب ، وتفرقت الطبائع ، وكثر الحسد والحقد في الناس لبعضهم البعض ... فاستتبع الشخص عورات أخيه ، ويدلّ به إلى الظالم ... حتى خرب الاقليم ، وانقطعت الطرق ، وعربدت أولاد الحرام ، وفقد الأمن ، ومنعت السبل إلا بالخفارة وركوب الفرر .

وجلا الفلاحون من بلادهم من الشراقي والظلم ، وانتشروا في المدينة بنسائهم وأولادهم يصيحون من الجوع ، ويأكلون ما يتساقط في الطرقات من قشور البطيخ وغيره ... فلا يجد الزبال شيئا يكتسه من ذلك ...

واشتد بهم الحال حتى أكلوا الميتات من الخيل والحمير والجمال . فاذا خرج حمار ميت تراحموا عليه وقطعوه وأخذوه ، ومنهم من يأكله نيئا من شدة الجوع !

ومات الكثير من الفقراء بالجوع ... هذا والغلاء مستمر ، والأسعار في الشدة ، وعز الدرهم والدينار من أيدي الناس ، وقل التعامل إلا فيما يؤكل ... وصار سمر الناس وحديثهم في المجالس ذكر المأكول والقمح والسمن ونحو ذلك لا غير ! ولولا لطف الله تعالى ، ومجيء الغلال من نواحي الشام والروم ، لهلكت أهل مصر من الجوع !

وبلغ الأردب من القمح ألفا وثلاثمائة نصف فضة ، والفول والشعير قريبا من ذلك . وأما بقية الحبوب والأبزار فقل أن توجد .

واستمر ساحل الفلة خاليا من الغلال بطول السنة ، والشون كذلك مقفولة ، وأرزاق الناس وحلائفهم مقطوعة . وضاع الناس بين صلحهم وغبنهم ، وخروج طائفة ورجوع الأخرى . ومن

خرج إلى جهة قبض أموالها وغلالها . وإذا سئل المستقر في شيء تعلل بما ذكر . ومحصل هذه الأفاعيل — بحسب الظن الغالب — أنها حيل على سلب الأموال والبلاد ، وفخاخ ينصبونها ليصيدوا بها أسما عيل بك !

وفي أواخره أيضا وصلت مكاتبة من الديار الحجازية عن الشريف سرور ووكلاء التجار — خطابا للأمرء والعلماء — بسبب منع غلال الحرمين وغلال المتجر ، وحضور المراكب مغبرة بالأتربة ... والشكوى من زيادة المكوسات عن الحد .

فلما حضرت قرىء بعضها وتفوفل عنها ، وبقي الأمر على ذلك ...

وممن مات في هذه السنة السيد الفاضل على بن عمر بن محمد بن علي ... ويتصل نسبه — في الجد الخامس عشر — بالقطب سيدي عبد الرحيم القناوي الشريف الحسيني .

ولد يقنا ، وقدم مصر ، وتلقن الطريقة عن الأستاذ الحفني ثم حجب إليه السياحة ، فورد الحرمين ، وركب من جدة إلى سورت ، ومنها إلى البصرة وبغداد ، وزار من بهما من المشاهد الكرام ، ثم دخل المشهد فزار أمير المؤمنين على ابن أبي طالب رضي الله عنه ، ثم دخل خراسان ، ومنها إلى غزني وكابل وقندهار ، واجتمع بالسلطان أحمد شاه فأكرمه وأجزل له العطاء ، ثم عاد إلى الحرمين ، وركب من هناك إلى بحر سيلان ، فوصل إلى بنارس واجتمع بسلطانها ، وذهب إلى بلاد جاوة ، ثم رجع إلى الحرمين ، ثم سار إلى اليمن ، ودخل صنعاء واجتمع بامامها ، ودخل زبيد واجتمع بمشايخها وأخذ عنهم واستأنسوا به ، وصار يعقد لهم حلق الذكر على طريقته وأكرمهم ثم عاد إلى الحرمين ، ثم إلى مصر وذلك سنة

اثنتين وثمانين . وكانت مدة غيبته نحو عشرين سنة .

ثم توجه في آخر هذه السنة الى الصعيد ، واجتمع بشيخ العرب همام — رحمه الله تعالى — وأكرمه اكراما زائدا .

ودخل قنا ، فزار جده ، ووصل رحمه . ومكث هناك شهورا ثم رجع الى مصر ، وتوجه الى الحرمين من القلزم ، وسافر الى اليمن ، وظل الى صنعاء ، ثم عاد الى كوكبان — وكان امامها اذ ذاك العلامة السيد ابراهيم بن أحمد الحسيني .

واتنظم حاله ، وراج أمره ، وشاع ذكره ، وتلقن منه الطريقة جماعة من أهل زبيد .

واستمال بحسن مذاكرته ومداراته طائفة من الزيدية ببلدة تسمى « زممر » — وهي بلدة باليمن بالجبال . وهم لا يعرفون الذكر ولا يقولون بطرق الصوفية ... فلم يزل بهم حتى أجبه ، وأقام حلقة الذكر عندهم وأكرموه .

ثم رجع من هناك الى جدة ، وركب من القلزم الى السويس ، ووصل مصر سنة أربع وتسعين . فنزل بالجنالية ، فذهبت اليه بصحبة شيخنا السيد مرتضى ، وسلمنا عليه .

وكنت أسمع به ولم أره قبل ذلك اليوم ، فرأت منه كمال المودة ، وحسن المعاشرة ، وتمام المروءة ، وطيب المفاكهة .

وسمعت منه أخبار رحلته الأخيرة . وترددنا عليه وتردد علينا كثيرا . وكان نزل في بعض الأحيان الى بولاق ، وبقيم أياما بزاوية على بيك بصحبة العلامة الشيخ مصطفى الصاوي والشيخ بدوي الهيتمي .

وحضر الى منزلي ببولاق مرارا — باستدعاء وبدون استدعاء .

ثم تزوج بمصر . وأتى اليه ولده السيد مصطفى من البلاد زائرا .

وما زال على حاله في عبادة وحسن توجه الى الله ، مع طيب معاشرة ، وملازمة الأذكار ، صحبة العلماء الأخيار ، حتى تمرض بعللة الاستسقاء مدة وتوفي ليلة الثلاثاء غرة جمادى الأولى من السنة . وصلى عليه بالأزهر ، ودفن بالقرافة بين يدي شيخه الحفنى .

وكان ابنه غائبا فحضر بعد مدة من موته ، فلم يحصل من ميراثه الا شيئا نزرأ .. وذهب ما جمعه في سفراته حيث ذهب ...

ومات الوجيه النيل ، والجليل الأصل ، السيد حسين باشجاوش الأشراف ، ابن ابراهيم كتخدا تفكجيان ، ابن مصطفى افندى الخطاط . كان انسانا حسنا جامعاً للفضائل واللطف والمزايا . واقتنى كتباً كثيرة في الفنون — وخصوصا في التاريخ .

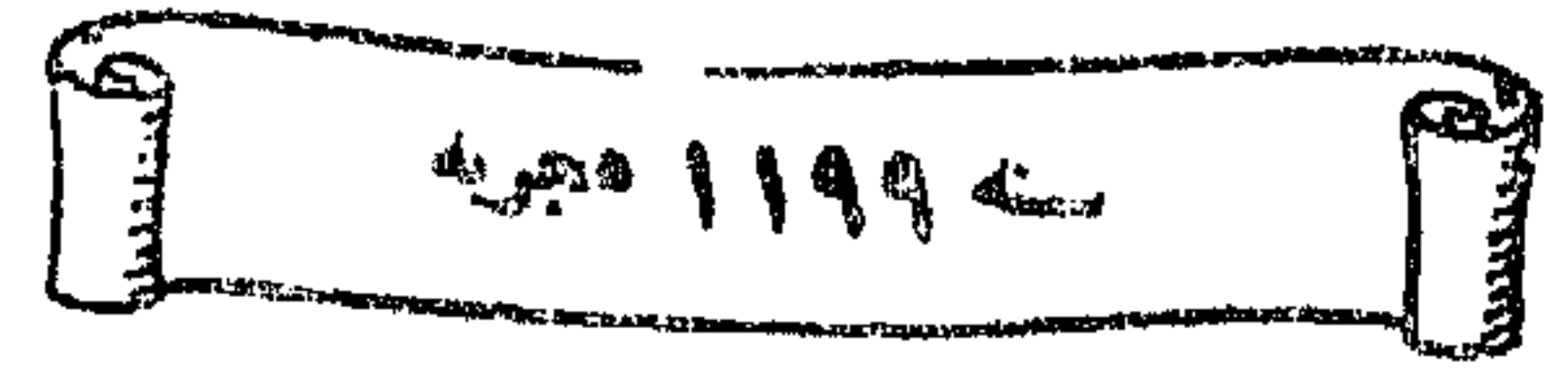
وكان مألوف الطباع ، ودودا ، شريف النفس ، مهذب الأخلاق ... فلم يخلف بعده مثله رحمه الله تعالى .

ومات الأمير الجليل ابراهيم كتخدا البركاوى . وأصله مملوك يوسف كتخدا عزبان البركاوى .

نشأ في سيادة سيده ، وتولى في مناصب وجاقهم ، وقرأ القرآن في صغره ، وجود الخط ، وحبب اليه العلم وأهله .

ولما مات سيده كان هو المتعين في رئاسة بيتهم دون خشداشيه — لرأسته وشهامته — ففتح بيت سيده ، وانضم اليه خشداشيه وأتباعه ، واشترى الممالك ودربهم في الآداب والقراءة وتجويد الخط .

وأدرك محاسن الزمن الماضي . وكان يته ماوى
الفضلاء وأهل المعارف والمزايا والخطاطين . واقتنى
كتباً كثيرة جداً في كل فن وعلم ، حتى أن الكتاب
المعدوم إذا احتيج إليه لا يوجد إلا عنده ... ويمير
للناس ما يرومونه من الكتب للانتفاع في المطالعة
والنقل — رحمه الله تعالى .



المهم

استهل العام بيوم الاثنين المبارك ، وأرخه أديب
العصر الشيخ قاسم بقوله :

يا أهل مصر استبشروا
فالله فرج كل هم

وأتى الرخصاء مؤرخاً :

عام بفضل الله عم

١١١ ٩١٢ ٦٦ ١١٠

= ١١٩٩

فكان الفال بالنطق ، وأخذت الأشياء في
الانحلال قليلاً .

في ٧ منه (٢٠ نوفمبر ١٧٨٤ م) :

جاءت الأخبار بأن الجماعة المتوجهين لأبراهيم
بيك في شأن الصلح — وهم : الشيخ الدردير
وسليمان بيك الأغا ومرزوق جلبى — اجتمعوا
بأبراهيم بيك ، فتكلموا معه في شأن ذلك . فأجاب
بشروط منها أن يكون هو على عادته ، أمير البلد ،
وعلى أن اتخذ الجاويشية في منصبه . فلما
وصل الرسول بالمكاتبة ، جمع مراد بيك الأمراء
وعرفهم ذلك ، فأجابوا بالسمع والطاعة ، وكتبوا
جواب الرسالة وأرسلوها صحبة الذي حضر بها .

في ١٩ منه (٢٤ نوفمبر ١٧٨٤ م) :

سافر أيضاً أحمد بيك الكلارجى وسليم أغا
أمين البحرين .

في ٢٠ منه (٢ ديسمبر ١٧٨٤ م) :

وصلت الأخبار بأن إبراهيم بيك تقض الصلح
الذي حصل ، وقيل أن صلحه كان مداهنة لأغراض
لا تتم له بدون ذلك . فلما تمت احتج بأشياء أخرى ،
وتقضى ذلك .

صفر

في ٦ منه (١٩ ديسمبر ١٧٨٤ م) :

حضر الشيخ الدردير وأخبر بما ذكر ، وأن
سليمان بيك وسليم أغا استمروا معه .

في منتصفه (٢٨ ديسمبر ١٧٨٤ م) :

وصل الحجاج مع أمير الحج مصطفى بيك .
وحصل للحجاج في هذه السنة مشقة عظيمة من
الفلاء وقيام العربان بسبب عوائدهم القديمة
والجدبة . ولم يزوروا المدينة المنورة — على
صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام — لمنع
السبل ، وهلك عالم كثير من الناس والبهايم من
الجوع ، وانقطع منهم جانب عظيم ، ومنهم من
نزل في المراكب إلى القلزم وحضر من السويس إلى
القصور ، ولم يبق إلا أمير الحج وأتباعه . ووقفت
العربان لحجاج المغاربة في سطح العقبة ، وحصروهم
هناك ، ونهبوهم وقتلوهم عن آخرهم ، ولم ينج
منهم إلا نحو عشرة أنفار .

وفي أثناء نزول الحج وخروج الأمراء لملاقاة
أمير الحج ، هرب إبراهيم بيك الوالى — وهو
أخو سليمان بيك الأغا — وذهب إلى أخيه
بالمئة ، وذهب صحبته من كان بمصر من أتباع
أخيه . وسكن الحال أياماً .

وفي اواخره (يناير ١٧٨٥ م) :

سافر أيوب بك الكبير وأيوب بك الصغير بسبب تجديد الصلح . فلما وصلوا الى بنى سويف ، حضر اليهم سليمان بك الأغا وعثمان بك الأشقر بامستدعاء منهم ثم أجاب ابراهيم بك الى الصلح ، ورجعوا جميعا الى المنية .

ربيع الأول

في اوائله (يناير ١٧٨٥ م) :

حضر حسن أغا بيت المال بمكاثبات بذلك . وفي أثر ذلك حضر أيوب بك الصغير وعثمان بك الأشقر ، فقابلا مراد بك ، وقدم مراد بك لعثمان بك تقادم . ثم رجع أيوب بك الى المنية ثانية .

ربيع الآخر

في ٤ منه (١٤ فبراير ١٧٨٥ م) :

وصل ابراهيم بك الكبير — ومن معه من الأمراء — الى معادى الخيرى بالبر الغربى . فعدى اليه مراد بك وباقي الأمراء والوجاقلية والمشايخ ، وسلموا عليه ، ورجعوا الى مصر ، وعدى في اثرهم ابراهيم بك .

في ٥ منه (١٥ فبراير ١٧٨٥ م) :

حضر ابراهيم بك الى مصر ، ودخل الى بيته ، وحضر اليه في عصرتها مراد بك في بيته ، وجلس معه حصة طويلة .

في ١٠ منه (٢٠ فبراير ١٧٨٥ م) :

عمل الديوان ، وحضرت لابراهيم بك الخلم من الباشا فلبسها بحضرة مراد بك والأمراء والمشايخ . وعند ذلك قام مراد بك وقبل يده وكذلك بقية الأمراء ، وتقلد على أغا كتحدا الجاوشية كما كان ، وتقلد على أغا أغات

مستحفظان كما كان . فاغتاز لذلك قائد أغا الذى كان ولاء مراد بك ، وحصل له قلق عظيم ، وصار يتراعى على الأمراء ويقع عليهم في رجوع منصبه ، وصار يقول : ان لم يردوا الى منصبى والا قتلت على أغا . وصم ابراهيم بك على عدم عزل على أغا ، واستوحش على أغا وخاف على نفسه من قائد أغا . ثم ان ابراهيم بك قال : ان عزل على أغا لا يتولاها قائد أغا أبدا . ثم انهم لبسوا سليم أغا أمين البحرين ، وقطع منها أمل قائد أغا ، وما وسعه الا السكوت .

جمادى الآخرة

في اوائله (ابريل ١٧٨٥ م) :

طلب عثمان بك الشرقاوى ولاية جرجا فلم يرض ابراهيم بك وقال له : « نحن نعطيك كذا من المال واترك ذلك ، فان البلاد خراب وأهلها ماتوا من الجوع » .

منتصفه (٢٥ ابريل ١٧٨٥ م) :

خرج عثمان بك المذكور ، بماليكه وأحناده ، مسافرا الى الصعيد بنمسه ، ولم يسمع لقولهم ، ولم يلبس تقليدا لذلك على العادة ... فأرسلوا له جماعة ليردوه فأبى من الرجوع .

الخميس ١٨ منه (٢٨ ابريل ١٧٨٥ م) :

مات على بك أباطة الابراهيمى فانزعج عليه ابراهيم بك ، وكان الأمراء خرجوا بأجمعهم الى ناحية قصر العينى ومصر القديمة خوفا من ذلك . فلما مات على بك وكثير من ماليكهم ، داخلهم الرعب ورجعوا الى بيوتهم .

الاحد ٢١ منه (١ مايو ١٧٨٥ م) :

طلعوا الى القلعة ، وخلصوا على لاجين بك

وجعلوه حاكم جرجا ، ورجع ابراهيم بيك الى بيته أيضا ، وكان اذ ذاك قائمقام .

وفيه : كثر الموت بالطاعون وكذلك الحميات ، ونسى الناس أمر الغلاء . وفيه مات سليمان بيك أبو نبوت بالطاعون . وفي منتصف رجب خف أمر الطاعون .

شعبان

منتصفه (٢٣ يونيه ١٧٨٥ م) :

ورد الخبر بوصول باشا مصر الجديد الى ثغر اسكندرية ، وكذلك باشا جدة .

ووقع قبل ورودهما بأيام فتنة الاسكندرية بين أهل البلد وأغات القلعة والسردار بسبب قتل من أهل البلد قتله بعض أتباع السردار ، فثار العامة وقبضوا على السردار وهانوه وجرسوه على حمار ، وحلقوا نصف لحيته ، وطاقوا به البلد وهو مكشوف الرأس وهم يضربونه ويصفعونه بالنعال .

وفيه : وقعت فتنة بين عربان البحيرة . وحضر متهم جماعة الى ابراهيم بيك وطلبوا منه الاعانة على أخصامهم فكلّم مراد بيك في ذلك ، فركب مراد بيك وأخذهم صحبته ونزل الى البحيرة فتواطأ معه الأخصام وأرشوه سرا ، فركب ليلا وهجم على المستعنين به وهم في غفلة مطمئنون ، فقتل منهم جماعة كثيرة ، ونهب مواشيهم وابلهم وأغنامهم ، ثم رجع الى مصر بالعنائم .

غاياته (٧ يولية ١٧٨٥ م) :

حضر باشا جدة الى ساحل بولاق ، فركب على أغا كتخدا الجاوشية وأرباب العكاكيز وقابلوه وركبوا صحبته الى العادلية ليسافر الى السويس .

رمضان

غرفته (٨ يوليو ١٧٨٥ م) :

ثار فقراء المجاورين والقاطنين بالأزهر ، وقفلوا أبواب الجامع ، ومنعوا منه الصلوات — وكان ذلك يوم الجمعة فلم يصل فيه ذلك اليوم .

وكذا أغلقوا مدرسة محمد بيك المجاورة له ، ومسجد المشهد الحسيني ، وخرج العميان والمجاورون يرمحون بالأسواق ويخطفون ما يجدونه من الخبز وغيره . وتبعهم في ذلك الجعيدية وأراذل السوق . وسبب ذلك قطع رواتبهم وأخبارهم المعتادة .

واستمروا على ذلك الى بعد العشاء . فحضر سليم أغا أغات مستحفظان الى مدرسة الأشرفية ، وأرسل الى مشايخ الأروقة والمشار اليهم في السفاهة ، وتكلم معهم ووعدهم ، والتزم لهم بأجراء رواتبهم ، فقبلوا منه ذلك وفتحوا المساجد .

شوال

الاحد ٨ منه (١٤ أغسطس ١٧٨٥ م) الموافق ٩ مسرى :

كان وفاء النيل ، وكانت زيادته كلها في هذه التسعة أيام فقط ، ولم يزد قبل ذلك شيئا ، واستمر بطول شهر أيب وماؤه أخضر ، فلما كان أول شهر مسرى زاد في ليلة واحدة أكثر من ثلاثة أذرع . واستمرت دفعات الزيادة حتى أوفى أذرع الوفاء يوم التاسع .

وفيه : وقع جسر بحر أبي المنجا بالقليوبية ، فعينوا له أميرا فأخذ معه جملة أخشاب ونزل وصحبته ابن أبي الشوارب شيخ قلوب ، وجمعوا الفلاحين ودقوا له أوتادا عظيمة ، وغرقوا به نحو خمسة مراكب ، واستمروا في معالجة سده مدة أيام فلم ينجع من ذلك شيء . وكذلك وقع يبحر مويس .

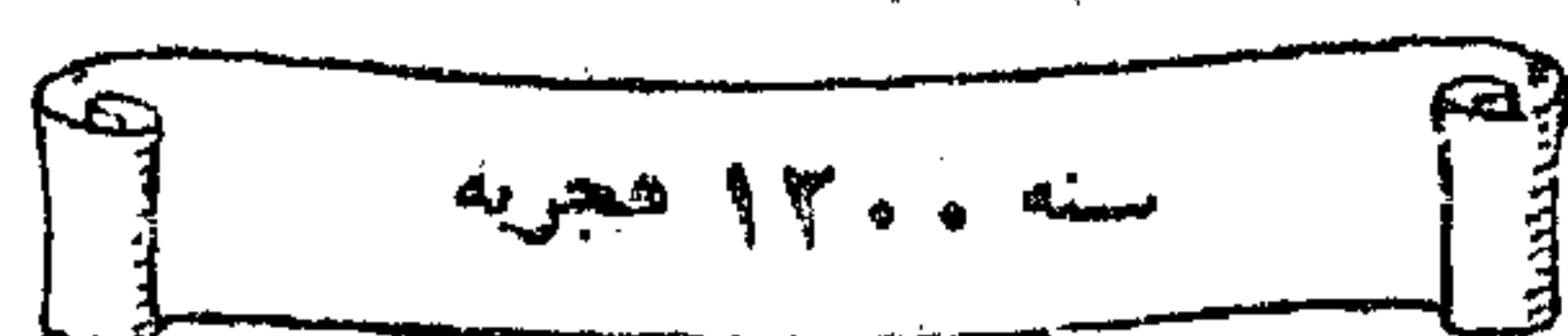
٢٢ منه (٢٨ أغسطس ١٧٨٥ م) :

خرج أمير الحج مصطفى بك بالمحمل والحجاج .

ذوالقعدة

١٨ منه (٢٢ سبتمبر ١٧٨٥ م) :

سافر كتخدا الجاوشية وصحبته أرباب الخدم الى الاسكندرية لملاقاة الباشا . والله تعالى أعلم .



المحرم

الجمعة أوله (٤ نوفمبر ١٧٨٥) :

في ذلك اليوم وصل الباشا الجديد الى بر انبابة — واسمه محمد باشا يكن — فبات هناك ليلة الجمعة .

وفي الصباح ذهب اليه الأمراء وسلموا عليه على العادة ، وعدوا به الى قصر العينى فجلس هناك الى يوم الاثنين .

الاثنين ٤ منه (٧ نوفمبر ١٧٨٥ م) :

ركب الباشا بالموكب ، وشق من الصليبة ، وطلع الى القلعة ، واستبشر الناس بقدومه .

صفر

الخميس ١٢ منه (١٥ ديسمبر ١٧٨٥) :

حضر مبشر الحج بمكاتيب العقبة ، وأخبر أن الحجاج لم يزوروا المدينة أيضا في هذه السنة مثل العام الماضى بسبب طمع أمير الحج في عدم دفع العوائد للعربان وصرة المدينة ، وأن أحمد باشا أمير الحج الشامى أكد عليه في الذهاب وأنعم عليه بجملته من المال والعليق والذخيرة ، فاعتسل بأن الأمراء بمصر لم يوفوا له العوائد ولا الصرة في العام الماضى وهذا العام . واستمر على امتناعه .

وحضر الشريف سرور ، شريف مكة ، وكلية بحضرة أحمد باشا وقال : « اذا كان كذلك فنكتب عرض محضر ونخبر السلطان بتقصير الأمراء ، وتضع عليه خطك وختمك ... وللسلطان النظر بعد ذلك » . فأجاب الى ذلك ، ووضع خطه وختمه ، وسار متوجها الى الديار المصرية . ووقع الضجيج والعويل في الحجاج لعدم زيارتهم المدينة . فلما وصل الجاويش بهذه الأخبار اغتم الناس ، وأظهر ابراهيم بك الفيظ على أمير الحج ، وحلف لا يخرج الى ملاقاته وأرسل الى مراد بك — وكان بالقصر جهة العادلية — فأحضره وقال له كذلك ، ثم اختلوا مع بعضهم في العشية وتحدثوا بالنجوى بينهم ، وحضر اليهم الجاويش في صباحها فخلعوا عليه كالعادة ، ورجع بالملاقة ، وخرج الأمراء في ثانى يوم الى خارج بأجمعهم ونصبوا خيامهم

الاثنين ١٦ منه (١٩ ديسمبر ١٧٨٥) :

وصل الحجاج ودخلوا الى مصر ، ونزل أمير الحج بالحنسلاطية بباب انصر ، ولم ينزل بالحصوة أولا على العادة .

الثلاثاء ١٧ منه (٢٠ ديسمبر ١٧٨٥) :

دخل أمير الحج بالمحمل بموكب دون المعتاد ، وسلم المحمل الى الباشا .

الأربعاء ١٨ منه (٢١ ديسمبر ١٧٨٥ م) :

اجتمع الأمراء بيت ابراهيم بك ، وأحضروا مصطفى بك أمير الحج ، وتشاجر معه ابراهيم بك ومراد بك بسبب هذه الفعلة وكتابه العرضحال ، وادعوا عليه أنه تسلم جميع الملائل ، وطلبوا منه حساب ذلك ، وقالوا له : « فضحتنا في مصر وفي الحجاز وفي الشام وفي الروم وجميع الدنيا » . واستمروا على ذلك الى قرب المساء .

ثم ان مراد بيك أخذ أمير الحج الى بيته فبات عنده .

وفي صباحها حضر ابراهيم بيك عند مراد بيك ، وأخذ أمير الحج الى بيته ووضع في مكان محجورا عليه ، وأمر الكتاب بحسابه فحسابوه فاستقر في طرفه مائة ألف ريال وثلاثة آلاف ، وذلك خلاف ما على طرفه من الميرى .

الجمعة ٢٠ منه (٢٢ ديسمبر ١٧٨٥) :

طلع ابراهيم بيك الى القلعة وأخير الباشا بما حصل ، وأنه حبسه حتى يوفي ما استقر بذمته ، فاستمر أياما وصالح وذهب الى بيته مكرما .

وفي ذلك اليوم — بعد صلاة الجمعة — خرج مجاورو الأزهر بسبب أخبارهم ، وقللوا أسواب الجامع ، فحضر اليهم سليم أغا والتزم لهم بأجراء رواتبهم بكرة تاريخه ، فسكنوا وفتحوا الجامع وانتظروا ثاني يوم فلم تأت بهم شيء فأغلقوه ثانيًا وصعدوا على المنارات يصيحون ، فحضر سليم أغا بعد العصر ونجز لهم بعض المطوبات وأجرى لهم الجراية أياما ثم انقطع ذلك . وتكرر الغلق والفتح مرارا .

وفي ليلة خروج الأمراء الى ملاقة الحجاج ، ركب مصطفى بيك الاسكندري وأحمد بيك الكلاجهي وذهبا الى جهة الصعيد ، والتفوا على عثمان بيك الشرقاوي ولاجين بيك ، وتناشوا الجهات والبلاد ، وأفحشوا في ظلم العباد .

ربيع الأول

منتصفه (١٦ يناير ١٧٨٦ م) :

شرع مراد بيك في السفر الى جهة بحري بقصد القبض على رسلان والنجار قطاع الطريق ، فسافر . وسمع بحضوره المذكوران فهربا فأحضر ابن حبيب وابن حمد وابن فودة وألزمهم باحضارها

فاعتذروا اليه ، فحبسهم ثم أطلقهم على مال ... وذلك بيت القصيد ! وأخذ منهم رهائن ثم سار الى طملوها وطالب أهلها برسلان ، وقال لهم انه يأوى عندكم ، ثم نهب القرية وسلب أموال أهلها وسبى نساءهم وأولادهم ، ثم أمر بدمها وحرقتها عن آخرها . ولم يزل قاصبا وطاقه عليها حتى أتى على آخرها هدمًا وحرقًا وجرفها بالجراريف حتى محوا أثرها وسووها بالأرض ، وفرق كشافه في مدة اقامته عليها في البلاد والجهات لجبى الأموال ، وقرر على القرى ما سولته له نفسه ، ومنع من الشفاعة وبث المعينين لطلب الكلف الخارجة عن المعقول ، فإذا استوفوها طلبوا حق طرقهم ، فإذا استوفوها طلبوا المقرر ... وكل ذلك طلبا حثيثا والا أحرقوا البلدة ونهبوها عن آخرها .

ولم يزل في سيره على هذا النسق حتى وصل الى رشيد ، فقرر على أهلها جملة كبيرة من المال وعلى التجار وبياعين الأرز ، فهرب غالب أهلها . وعين على الاسكندرية صالح أغا كتحدا الجاوشية سابقا ، وقرر له حق طريقه خمسة آلاف ريال . وطلب من أهل البلد مائة ألف ريال . وأمر بهدم الكنائس . فلما وصل الى الاسكندرية هرب تجارها الى المراكب وكذلك غالب النصارى ، فلم يجد الا قنصل الموسيقى فقال : « أنا أدفع لكم المطلوب بشرط أن يكون بموجب فرمان من الباشا أحاسن به سلطانكم » . فانكف عن ذلك ، وصالحوه على كراء طريقه ، ورجع ، وارتحل مراد بيك من رشيد . ولما وصل الى حبيجون هدمها عن آخرها ، وهدم أيضا كفر دسوق ، واستمر — هو ومن معه — يعبثون بالأقاليم والبلاد حتى أخرجوها وأتلفوا الزروع ! !

جمادى الأولى

غرقه (٢ مارس ١٧٨٦ م) :

وصلت الأخبار بقدومه الى زنكلون ، ثم ثنى عنانه وعرج على جهة الشرق يفعل بها فعله بالمنوفية والغربية . وأما صناعته الذين تركهم بمصر فانهم تسلطوا على مصادرات الناس في أموالهم — وخصوصا حسين بيك المعروف بشفت (بمعنى يهودى) — فانه تسلط على هجم البيوت ونهبها بأدلى شبهة .

وفي عصر هذا اليوم : ركب حسين بيك المذكور بجنوده وذهب الى الحسينية وهجم على دار شخص يسمى أحمد سالم الجزار متولى رياسة دراويش الشيخ البيومى ، ونهبه — حتى مصاغ النساء والفراش — ورجع ... والناس تنظر اليه !

وكذلك أرسل جماعة من سراجينه بطلب الخواجا محمود بن حسن محرم ، فلاطفهم وأرضاهم بدراهم ، وركب الى ابراهيم بيك فأرسل له كتخداه وكتخدا الجاويشية فتلفطوا به وأخذوا خاطره وصرفوه عنه ، وعبى له الخواجا هدية بعد ذلك وقدمها اليه .

الجمعة ٢ منه (٣ مارس ١٧٨٦ م) :

في الصباح ثارت جماعة من أهالى الحسينية بسبب ما حصل في أمس من حسين بيك ، وحضروا الى الجامع الأزهر ومعهم طبول ، والتف عليهم جماعة كثيرة من أوباش العامة والجعيدية وبأيديهم نبايت ومساق وذهبوا الى الشيخ الدردير فوسمهم وساعدتهم بالكلام ، وقال لهم : « أنا معكم » . فخرجوا من نواحي الجامع وقفلوا أبوابه وصعد منهم طائفة الى أعلى المنازل يصيحون ويضربون بالطبول ، وانتشروا بالأسواق في حالة متكرة وأغلقوا الحوانيت . وقال لهم الشيخ الدردير :

« في غدا نجتمع أهالى الأطراف والحدارات وبولا ومصر القديمة وأركب معكم ، وننهب بيوتهم — ينهبون بيوتنا ، ونموت شهداء أو ينصرونا عليهم » .

فلما كان بعد المغرب حضر سليم أغا مستحفظا ومحمد كتخدا أرثوود الجلفى كتخدا ابراهيم بيك وجلسوا في الغورية ، ثم ذهبوا الى الشيخ الدردر وتكلموا معه وخافوا من تضاعف الحال ، وقاا للشيخ : « اكتب لنا قائمة بالمنهوبات ونأتى بها ، محل ما تكون » .

واتفقوا على ذلك وقروا الفاتحة وانصرفوا وركب الشيخ في صباحها الى ابراهيم بيك وأرسل الى حسين بيك فأحضره بالمجلس وكلمه في ذلك ، فقال في الجواب : « كلنا نهابون ! وأنتهب ، ومراد بيك ينهب ، وأنا أنهب كذلك ! وانفض المجلس وبردت القضية ! !

وفي عقبها بأيام قليلة : حضر من ناحية قب سلطنة وبها تمر وسمن وخلافه ، فأرسل سليم بيك الأغا وأخذ ما فيها جميعه وادعى أن له عنه أولاد وافي مالا منكسرا . ولم يكن ذلك لأوا وافي وانما هو لجماعة تسببون فيه من مجاور الصعايدة وغيرهم ، فتعصب مجاورو الصعايدة وأبطلوا دروس المدرسين ، وركب الشيخ الدردر والشيخ العروسى والشيخ محمد المصيلحى وآخرون وذهبوا الى بيت ابراهيم بيك وتكلموا معه بحض سليمان بيك كلاما كثيرا مفجعا ، فاحتج سليم بيك بأن ذلك متاع أولاد وافي وأنا إخذته بقيه من أصل مالى عندهم . فقالوا : « هذا لم يك لهم ، والما هو لأربابه ، وهم ناس فقراء . فـ كان لك عند أولاد وافي شيء فخذ منهم » . فـ بعضه وذهب بعضه !

١٠ منه (١١ مارس ١٧٨٦ م) :

قدم مراد بيك من ناحية الشرق . ودخل في ليلتها من المنهوبات من الجمال والأغنام والأبقار والجواميس وغير ذلك شيء كثير يجلب عن الحصر ! وفيه : سافر أيوب بيك الى ناحية قبلى لمصلحة الأمراء الغضاب وهم : مصطفى بيك ، وأحمد بيك الكلارجى ، وعثمان بيك الشرقاوى ، ولجين بيك ... لأنهم بلغوا قصدهم من البلاد وظلم العباد !

جمادى الآخرة

منتصفه (١٥ ابريل ١٧٨٦ م) :

حضر عثمان بيك الشرقاوى من ناحية قبلى . وفيه : أنعم مراد بيك على بعض كشافه بفردة دراهم على بلاد المنوفية ... كل بلد مائة وخمسون ريالاً ..

وفيه : اجتمع الناس بطندتا لعمل مولد سيدى أحمد البدوى المعتاد المعروف بسولد الشرنبابليه . وحضر كاشف الغريبة والمنوفية على جارى العادة ، وكاشف الغريبة من طرف ابراهيم بيك الوالى المولى أمير الحج ، فحصل منه عسف ، وجعل على كل جمل يباع فى سوق المولد نصف ريال فرانسة . فأغار أعوان الكاشف على بعض الأشراف وأخذوا جمالهم ... وكان ذلك فى آخر أيام المولد . فذهبوا الى الشيخ الدردير - وكان هناك بقصد الزيارة - وشكوا اليه ما حل بهم ، فأمر الشيخ بعض أتباعه بالذهاب اليه ، فامتنع الجماعة من مخاطبة ذلك الكاشف ، فركب الشيخ بنفسه وتبعه جماعة كثيرة من العامة .

فلما وصل الى خيمة كتبخدا الكاشف دعاه فحضر اليه - والشيخ راكب على بغلته - فكلمه ووبخه وقال له « أنتم ماتخافوا من الله ! » . ففى أثناء كلام الشيخ لكتبخدا الكاشف هجم

على الكتبخدا رجل من عامة الناس وضربه بنبوت . فلما عين خدامه ضرب سيدهم هجموا على العامة بنبايتهم وعصيتهم وقبضوا على السيد أحمد الصافى تابع الشيخ وضربوه عدة نبايت ، وهاجت الناس على بعضهم ، ووقع النهب فى الخيم وفى البلد ، ونهبت عدة دكاكين ، وأسرع الشيخ فى الرجوع الى محله ، وراق الحال بعد ذلك (١) . وركب كاشف المنوفية - وهو من جماعة ابراهيم بيك الكبير - وحضر الى كاشف الغريبة ، وأخذوه وحضر به الى الشيخ ، وأخذوا بخاطره ، وصالحوه ونادوا بالأمان .

وانقض المولد ورجع الناس الى أوطانهم ، وكذلك الشيخ الدردير . فلما استقر بمنزله حضر اليه ابراهيم بيك الوالى وأخذ بخاطره أيضاً ، وكذلك ابراهيم بيك الكبير وكتبخدا الجاويشية .

فى ١٧ منه (١٧ ابريل ١٧٨٦ م) :

ركب حسين بيك الشفت وقت القائلة وحضر الى بيت صغير بسوق الماطيين وصحبته امرأة ، فصعد اليه ، ونقب فى حائط ، وأخرج منه برمة ملوئة ذهباً ... فأخذها وذهب .

وخبر ذلك أن هذا البيت كان لرجل زيات فى السنين الخالية ، فاجتمعت لديه هذه الدنانير ، فوضعها فى برمة من الفخار وأفرج لها نقبا فى كتف الحائط ووضعها فيه ، وبنى عليها وسواها بالجبس . وكانت هذه المرأة ابنة صغيرة تنظر اليه . ومات ذلك الرجل ، وبيعت الدار بعد مدة ووقفها الذى اشتراها .

وتداولت الأعوام ، وآل البيت الى وقف المشهد الحسينى ، وسكنه الناس بالأجرة ، ومضى على

(١) من الجلى أن الشعب كان ملئ الصدور بالحفيظة والحق والفضب على هذا الفساد . وواضح أنه كان يحاول - بين الحين والحين - الانتفاض على ذلك الحكم الجائر . ولكن هبوط مستوى الوعي العام ، وعدم وجود زعامة تلتف حول رايها فكرة الجماعة ... كانا سببا فى انطفاء الثورات فور اشتعالها .

مع غيم مطبق ، وأظلم منها الدجوى ، واستمرت من الظهور الى الغروب .

٢٩ منه (٢٩ أبريل ١٧٨٦ م) :

حضر مصطفى بك أيضا .

وفي هذا الشهر تقب الشطار حاصلا في وكالة المسيرة التي بباب الشمربة ، وكان يظهر الحاصل المذكور قهوة متخربة ، فتساق اليها بعض الحرامية ، ونقبوا الحاصل ، وأخذوا منه صندوقا في داخله اثنا عشر ألف بندقي ، عنها ثلاثون ألف ريال في ذلك الوقت . وفيه من غير جنس البندقى أيضا ذهب ودراهم وثياب حرير وطرح النساء المحلاوى التي يقال لها « الحبر » .

وبعد أيام قبضوا على رجلين ، أحدهما فطاطرى والآخر مخطلاتى — بتعريف الخفراء ، بعد حبسهم ومعاقتهم — فأخذوا منهما شيئا واستمرا محبوسين .

رجب

غمرته (٣٠ أبريل ١٧٨٦ م) :

نزم مراد بك على التوجه الى سد خليج منوف المعروف بالفرعونية ، وكان منذ سنين لم يحسن ، واندفع اليه الشرقى حتى تهور وشرق بسببه بحر دمياط وتعطلت مزارع الأرز .

وفيه : وضلت الأخبار من ثغر الاسكندرية بأنه ورد اليها مركب البيليك ، وذلك على خلاف العادة . ثم حضر عقبه أيضا قليون آخر فيه أحمد باشا والى جدة ، ثم تعقبهما آخر وفيه غلال كثيرة . نقلوها الى الثغر وشرعوا في عمل بقسمات فكثرت اللفظ بمصر بسبب ذلك .

في ١٠ منه (٩ مايو ١٧٨٦ م) :

ورد مطرى من البر ، وقابجى من البحر ، ومعهما مكاتبات .

ذلك نحو الأربعين عاما وتلك المرأة تتخيل ذلك في ذهنها وتكتسه ولا يمكنها الوصول الى ذلك المكان بنفسها . وقلت ذات يدها واحتسجت ، فذهبت الى حريم حسين بك المذكور وعرفتهن القضية . وأخبر الأمير بذلك فقال : « لعل بعض الساكنين أخذها » . فقالت : « لا يعرفها أحد غيرى » . فأرسل الى ساكن الدار وأحضره وقال له : « أخل دارك في غد وانتظرنى ولا تفرع من شيء » . ففعل الرجل ، وحضر الصنجق وصحبته المرأة ، فأرته الموضع فنقبوه وأخرجوا منه تلك البرمة ، وأعطى صاحب المكان « احسانا » ، وركب وصاحب المكان بتعجب ا

وركب أيضا قبل ذلك وذهب الى بيت رجل يقال له الشيخ عبد الباقي أبو قليطة لبلا ، وأخذ منه صندوقا مودعا عنده أمانة لنصر بن شديد البدوى شيخ عرب الحويطات يقال ان فيه شيئا كثيرا من الذهب العين وغيره

وهجم أيضا على بيت بالقرب من المشهد الحسينى في وقت القائلة ، وكان ذلك البيت مفقولا وصاحبه غائب ، فحلح الباب وطلع اليه وأخذ منه عشرة أكياس مملوءة ذهبا وخرج وأغلق الباب كما كان : وركب هو ومماليكه والأكياس في أحضانهم على قرايس سروج الخيل ، وهو بجملتهم يحمل كيا أمامه والناس تنظرهم ا

في ٢٠ منه (٢٠ أبريل ١٧٨٦ م) :

حضر أبوب بك ولاجين بك وأحمد بك من ناحية فلى ، ودخلوا بيوتهم بالمنهوبات والمواشى . وتأخر مصطفى بك .

٢٧ منه (٢٧ أبريل ١٧٨٦ م) :

هبّت رياح عاصفة جنوبية نسفت رمالا وأتربة

الخميس ١٢ منه (١١ مايو ١٧٨٦ م) :

قرئت المكاتبات بالديوان . ومضمونها طلب الخزائن المنكسرة وتشهيل مرتبات الحرمين من الغلال والصرر في السنين الماضية ، واللوم على عدم زيارة المدينة . وفيه الحث والوعد والوعيد والأمر بصرف العلوفات وغلال الأنبار ، وفيه المهلة ثلاثون يوما . فكثر لفظ الناس والقال والقليل .

وأشيع ورود مراكب أخرى الى ثغر الاسكندرية ، وأن حسن باشا القبطان واصل أيضا في أثر ذلك وصحبته عساكر محاربون .

وفيه : حضر معلم ديوان الاسكندرية . قيل انه هرب ليلا .

ثم ان ابراهيم بيك أرسل يستحث مراد بيك في الحضور من سد الفرعونية ، ثم بعث اليه على أغا كتخدا جاووجان ، والمعلم ابراهيم الجوهري ، وسليمان أغا الحنفى ، وحسن كتخدا الجربان ، وحسن أفندى ثقبون كاتب الحوالة سابقا وأفندى الديوان حالا ... فأحضروه الى مصر يوم الثلاثاء ولم يتم سد التبعة بعد أن غرق فيها عدة مراكب ومراسى حديد وأخشاب أخذوها من أربابها من غير ثمن ، وفرد على البلاد الأموال وقبض أكثرها ... وذهب ذلك جميعه من غير فائدة ثم ان الأمراء عملوا جمعيات وديوانا بيت ابراهيم بيك وتشاوروا في تنجيز الأوامر . وفي أثناء ذلك تشحطت الغلال ، وارتفع القمح من السواحل والعرصات ، وغلا سعره وقل وجوده حتى امتنع بيع الخبز من الأسواق ، وأغلقت الطواوين فنزل سليم أغا ، وهجم المخازن ، وأخرج الغلال ، وضرب القمحيين والمتسبين ومنعهم من زيادة الأسعار ، فظهر القمح والخبز بالأسواق وراق الحال وسكنت الأقاويل .

وفي هذا الشهر - أعنى شهر رجب - حصلت عدة حريقات ، منها حريقتان في ليلة واحدة :

أحدهما بالأزبكية ، وأخرى بخطتنا بالصنادقية . وظهرت النار من دكان رجل صنادقى - وهى مشحونة بالأخشاب والصناديق المدهونة - عند خان الجبلية . فرعت النار فى الأخشاب ووجت فى ساعة واحدة ، وتعلقت بشبايك الدور ، وذلك بعد حصّة من الليل .

وهاج الناس والسكان ، وأسرعوا بالهدم وصب المياه ، وأحضر الوالى القصارين حتى طفئت .

وفيه أيضا أن امرأة تعلقت برجل من المجاذيب يقال له الشيخ على البكرى ، مشهور ومعتقد عند العوام .

وهو رجل طويل ، حليق اللحية ، يمشى عريان ، وأحيانا يلبس قميصا وطاقية ، ويمشى حافيا ... فصارت هذه المرأة تمشى خلفه أينما توجه ، وهى يأزارها ، وتخط فى ألفاظها ، وتدخل معه الى البيوت ، وتطلع الحريمات .

واعتقدها النساء ، وهادوها بالدراهم والملابس ، وأشاعوا أن الشيخ « لحظها » وجذبها ، وصارت من الأولياء .

ثم ارتقت فى درجات الجذب ، وثقلت عليها الشربة ، فكشفت وجهها ، ولبست ملابس كالرجال . ولازمته أينما توجه ، ويتبعها الأطفال والصغار ، وهوام العوام .

ومنهم من اقتدى بهما أيضا ، ونزع ثيابه ، وتحنجل فى مشيه ! وقالوا انه اعترض على الشيخ والمرأة ، فجذبه الشيخ أيضا ، أو أن الشيخ لمسه فصار من الأولياء .

وزاد الحال ، وكثر خلفهم أوباش الناس ، والصغار ، وصاروا يخطفون أشياء من الأسواق ، ويصير لهم فى مرورهم ضجة عظيمة !

واذا جلس الشيخ فى مكان وقف الجميع ،

وازدحم الناس للفرجة عليه . وتصعد المرأة على دكان أو علوة ، وتتكلم بفاحش القول ، ساعة بالعربي ، ومرة بالتركي ... والناس تنصت لها ، وقبلها ندها ! ويتبركون بها ! وبعضهم يضحك ، ومنهم من يقول : الله ... الله ... وبعضهم يقول : دستور يا أسادي ! .. وبعضهم يقول : لا تعترض بشيء ...

فمر الشيخ في بعض الأوقات — على مثل هذه الصورة والفضحة — ودخلوا من باب بيت القاضي الذي من ناحية بين القصرين . وبذلك العطفة سكن أحد الأجناد يقال له جعفر كاشف ، فقبض على الشيخ ، وأدخله إلى داره ، ومعه المرأة وباقي المجاذيب ، فأجلسه وأحضر له شيئا يأكله ، وطرد الناس عنه ، وأدخل المرأة والمجاذيب إلى الحبس ، وأطلق الشيخ لحال سبيله ، وأخرج المرأة والمجاذيب فضربهم ، وعذربهم ، ثم أرسل المرأة إلى المارستان ، وربطها عند الحائنين ، وأطلق باقي المجاذيب بعد أن استغاثوا وتابوا ولبسوا ثيابهم ... وطارت الشربة من رؤوسهم !

وأصبح الناس يتحدثون بقصتهم . واستمرت المرأة محبوسة بالمارستان حتى حدثت الحوادث فخرجت وصارت شخنة على أفرادها ، ويعتقدها الناس والنساء ، وجمعت عليها الجمعيات وموالد وأشياء ذلك !

وفيه ورد الخبر من الديار الشامية بحصول طاعون عظيم في بلادهم ، وحصل عندهم أيضا قحط وغلاء في الأسعار .

شعبان

٢ منه (٢١ مايو ١٧٨٦ م) :

ركب سليم أغا في عصرته إلى جامع السلطان حسن بن قلاوون الذي بسوق السلاح ، وأحضر

معه فعلة وفتح باب المسجد المسدود — وهو الباب الكبير الذي من ناحية سوق السلاح — فهدموا الدكاكين التي حدثت أسفله والبناء الذي يصدر الباب . وكانت مدة سده في هذه المرة إحدى وخمسين سنة ، وكان سببها المقتلة التي قتل فيها الأحد عشر أميرا بيت محمد بك الدفتردار في سنة ١١٤٩ هـ (١٧٣٦ م) .

وسبب فتحه أن بعض أهل الخطة تذاكر مع الأغا في شأنه وأعلمه بحصول المشقة على الناس المصلين في الدخول إليه من باب الرميطة . وربما فاتهم حضور الجماعة في مسافة الذهاب ، وأن الأسباب التي سد الباب من أجلها قد زالت وانقضت ونسيت ، فاستأذن سليم أغا إبراهيم بك ومراد بك في فتحه فأذنا له ففتح وصنع له بابا جديدا عظيما ، وبنى له سلالمة ومصاطب ، وأحضر نظاره وأمرهم بالصرف عليه ، ويأتي هو في كل يوم يباشر العمل بنفسه ، وعمر ما تشعث منه ونظفوا حيطانه ورخامه ، وظهر بعد الحفاء ، وازدحم الناس للصلاة فيه ، وآتوا إليه من الأماكن البعيدة .

٥ منه (٤ يونيو ١٧٨٦ م) :

توفي مصطفى بك المرادي المجنون .

في ٢٠ منه (١٨ يونيو ١٧٨٦ م) :

كثر الأرجاف بسجى مراكب إلى الاسكندرية وعساكر وغير ذلك .

رمضان

٥ منه (٢ يوليو ١٧٨٦ م) :

حضر واحد أغا من الديار الرومية وعلى يده مكتبة بالحث على المطلوبات ، فطلع الأمراء إلى القلعة ليلا واجتمعوا بالباشا وتكلموا مع بعضهم كلاما كثيرا ، وقال مراد بك للباشا : « ليس لكم

١٠ منه (٧ يوليو ١٧٨٦ م) :

سافروا في هذه الليلة .

وفيها : ركب ابراهيم بيك بعد الافطار وذهب الى مراد بيك وجلس معه ساعة ثم ركبوا وطلعا الى القلعة ، وطلع أيضا المشايخ باستدعاء من الأمراء وهم : الشيخ البكرى والشيخ السادات والشيخ العروسى والشيخ الدردير والشيخ الحريرى ... وقابلوا الباشا وعرضوا عليه العرضاحلات . وكان المشي لبعضها الشيخ مصطفى الصاوى وغيره ، فأعجبهم انشاء الشيخ مصطفى وأمرؤا بتغيير ما كان من انشاء غيره . وانخضع مراد بيك في تلك الليلة للباشا جدا ، وقبل أتكه وركبتيه ويقول له : « ياسلطانم ! نحن في عرضك في تسكين هذا الأمر ودفعه عنا ، ونقوم بما علينا ونرتب الامور وننظم الأخوال على القوانين القديمة » . فقال الباشا « ومن يضمنكم ويتكفل بكم ؟ » . قال : « أنا الضامن لذلك ، ثم ضمانى على المشايخ والاختيارية » .

١٣ منه (١٠ يوليو ١٧٨٦ م) :

وصلت الأخبار بوصول حسن باشا القبطان الى ثغر الاسكندرية . وكان وصوله يوم ثائرة (٧ يوليو ١٧٨٦) قبل العصر وصحبه عدد مراكب ، فزاد الاضطراب وكثر اللفظ فتمموا أمر العرضاحلات وأرسلوها مسجبة ساحدار الباشا والطبرى وواحد أغا ، ودفعوا لكل فرد منهم ألف ريال وسافروا من يومهم .

وفيه : وردت الأخبار بأن مشايخ عرب الهنادى والبحيرة ذهبوا الى الاسكندرية وقابلوا أحمد باشا الجداوى فالبسهم خلعا وأعطاهم دراهم وكذلك أهل دمنهور .

وفيه : حضرت صدقات من مولاي محمد ، صاحب المغرب ، ففرقت على فقراء الأزهر ، وخدمة الأضرحة والمشايخ المفتين ، والشيخ البكرى ،

عندنا الا حساب . أمهلونا الى بعد رمضان ، وحاسبنا على جميع ما هو في طرفنا .. نورده . وأرسل الى من وصل الى الاسكندرية يرجعون الى حيث كانوا ، والا فلا نشهل حجا ولا صرة ولا ندفع شيئا ... وهذا آخر الكلام .

كل ذلك و ابراهيم بيك يلاطف كلا منهما . ثم اتفقوا على كتابة عرضحال من الوجاقلية والمشايخ ويذكر فيه أنهم أقلعوا وتابوا ورجعوا من المخالفة والظلم والطريق التى ارتكبوها ، وعليهم القيام باللوازم ، وقرروا على أنفسهم مصلحة يقومون بدفعها لقبطان باشا والوزير وباشة جدة ، وقدرها ثلثمائة وخمسون كيسا . وقاموا على ذلك ونزلوا الى بيوتهم .

ليلة ٧ منه (٤ يوليو ١٧٨٦ م) :

جمع ابراهيم بيك المشايخ وأخبرهم بذلك الاتفاق ، وشرعوا في كتابة العرضاحلات ، أحدها للمدولة وآخر لقبطان باشا ، بالمهلة حتى يأتى الجواب ، وآخر لباشة جدة الذى فى الاسكندرية .

وفى صباحها : وردت مكاتبة من أحمد باشا الحزار يخبر فيها بالحركة والتحذير وأخبار بورود مراكب أخرى بالاسكندرية ومراكب وصلت الى دمياط ... فزاد اللفظ والقال والقبل .

وفيه : ركب سليمان أغا مستحفظان ونادى فى الأسواق على الأروام والقليونجية والأتراك بأنهم يسافرون الى بلادهم . ومن وجد منهم بعد ثلاثة أيام قتل .

وفيه : اتفق رأى ابراهيم بيك ومراد بيك أنهم يرسلون لاجين بيك ومصطفى بيك السلحدار الى رشيد لأجل المحافظة والاتفاق مع عرب الهنادى ويطلبون أحمد باشا والى جدة ليأتى الى مصر ويذهب الى منصبه .

والشيخ السادات ، والعمرين ... على يد الباشا ،
بموجب قائمة ومكاتبة .

١٥ منه (١٢ يوليو ١٧٨٦ م) :

حضر مصطفى جرجي باش سراجين مراد بيك
سابقا وسردار ثغر رشيد حالا . وكان السبب في
حضوره أنه حضر الى رشيد أحد القباطين وصحبته
عدة وافرة من العسكر ، فطلع الى بيت السردار
المذكور وأعطاه مكاتبة من حسن باشا خطابا للأمراء
بمصر وأمره بالتوجه بها فحضر بتلك المكاتبة
مضمونها التطين ببعض الفاظ .

وفيه : اتفق رأى الأمراء على ارسال جماعة من العلماء
والوجاقلية الى حسن باشا ، فتعين لذلك الشيخ
أحمد العروسي والشيخ محمد الأمير والشيخ محمد
الحريري . ومن الوجاقلية اسماعيل أفندي الخلوتي
وابراهيم أغا الورداني . وذهب صحبتهم أيضا
سليمان بيك الشابوري . وأرسلوا صحبتهم مائة
فرق بن ، ومائة قنطار سكر ، وعشر بقج ثياب
هندية ، وتفاصيل وعودا وغبرا وغير ذلك .

١٨ منه (١٥ يوليو ١٧٨٦ م) :

سافروا على أنهم يجتمعون به ويكلمونه
ويسألونه عن مراده ومقصده ، ويذكرون له امتثالهم
وطاعتهم وعدم مخالفتهم ورجوعهم عما سلف من
أفاعيلهم ، ويذكرونه حال الرعية وما توجبه الفتن
من الضرر والتلف .

١٩ منه (١٦ يوليو ١٧٨٦ م) :

حضر تفكجي باشا من طرف حسن باشا وذهب
الى ابراهيم بيك وأفطر معه وخلع عليه خلعة سمور
وأعطاه مكاتبات ، وكان صحبتته محمد أفندي حافظ
من طرف ابراهيم بيك أرسله الأمراء قبل ذلك بأنام
عندما بلغهم خبر القادمين ليستوعب الأحوال . ثم

ان ذلك التفكجي جلس مع ابراهيم بيك حصة من
الليل وذهب الى محله ، وحضر على أغا كتخدا
الجاويشية فركب مع ابراهيم بيك وطلعا الى الباشا
في سادس ساعة من الليل ، ثم نزلا وسافر التفكجي
في صباحها وصحبته الحافظ .

وكان فيما جاء به ذلك التفكجي طلب ابراهيم
بيك أمير الحج ، فلم يرض بالذهاب وقال أيضا
لابراهيم بيك : « ان حضرة الباشا بلغه أنكم
تستعدون للحرب ، ولصبتكم مدافع وغير ذلك ، وأنا
لم أر شيئا من ذلك » .

فقال له ابراهيم بيك : « معاذ الله اننا نحارب
رجال دولة سلطاننا أو نعصى عليه ولا يليق ذلك » .

فقال : « انكم أرسلتم تقولون له أنكم تبتم
ورجعتم عن الأفعال المتقدمة ، ثم انكم أرسلتم أمراء
منكم ينهبون البلاد ويطلبون الكلف الزائدة — ومن
جملتها أردبا بن ... والبن لا يطلع الا في بلاد
اليمن ا » . فقال له : « هذا كلام المنافقين » .

وكان لاجين بيك ومصطفى بيك — لما سافرا
للمحافظة بعد التوبة بيومين — فعلوا أفاعيلهم
بالبلاد ، وطلبوا هذه الكلف ، وحرقوا وردان ...
فضجت أهالي البلاد . وذهبوا الى عرضي حسن باشا
وشكوا منازل بهم ، فأخذ بخواطرهم وكتب لهم
فرمانا برفع الخراج عنهم سنتين ، وأرسل مع ذلك
التفكجي العتاب واللوم في شأن ذلك ويقول لهم :
« أرسلوا لهم وارفعوهم عن خلق الله تعالى » ...
فلم يفعلوا .

وفي تلك الليلة : ذهب سليم أغا الى ناحية باب
الشعرية وقبض على الحافظ اسحاق وأخذه على
صورة أرباب الجرائم من أسافل الناس ، وذهب به
الى بولاق ، فلحقه مصطفى بيك الاسكندراني
ورده .

٢١ منه (١٨ يوليو ١٧٨٦ م) :

وصلت الأخبار بورود حسن باشا الى ثغر رشيد يوم سادس عشره (١٣ يوليو ١٧٨٦) ، وأنه كتب عدة فرمانات بالعربى وأرسلها الى مشايخ البلاد وآكابر العربان والمقادم ، وحق طريق المعينين بالفرمانات ثلاثون نصفافضة لاغير ، وذلك من نوع الخداع والنيل وجذب القلوب ، ومثل قولهم أنهم يقرروا مال الفدان سبعة أنصاف ونصف نصف ، حتى كادت الناس تطير من الفرح ، وخصوصا الفلاحين لما سمعوا ذلك . وأنه يرفع الظلم ويمشى على قانون دفتر السلطان سليمان وغير ذلك .

وكان الناس يجهلون أحكامهم ... فمالت جميع القلوب اليهم وانحرفت عن الأمراء المصرية وتمنوا سرعة زوالهم .

وسورة ذلك الفرمان — وهو الذى أرسل الى أولاد حبيب من جملة ما أرسل :

« صدر هذا الفرمان الشريف ، الواجب القبول والتشريف ، من ديوان حضرة الوزير المعظم ، والدستور المكرم ، على الهمة ، وناصر المظلوم على من ظلم ، مولانا العزيز ، غازى حسن باشا ، صارى عسكر السفر البحرى المنصور حالا ، ودوناته همايون . أيدت سيادته السنية ، وزادت رتبته العلية ... الى مشايخ العرب أولاد حبيب بناحية دجوة ، وفقهم الله تعالى ... »

« نعرفكم أنه بلغ حضرة مولانا السلطان — نصره الله — ما هو واقع بالقطر المصرى من الجور والظلم للفقراء وكافة الناس ، وأن سبب هذا خائنو الدين ابراهيم بيك ومراد بيك وأتباعهما ، فتعينا بحط شريف من حضرة مولانا السلطان — أيده الله — بعساكر منصوره بحرا لدفع الظلم ولايقاع الانتقام من المذكورين ، وتعين عليهم عساكر منصوره برا بسارى عسكر عليهم من حضرة مولانا السلطان نصره الله . »

« وقد وصلنا الى ثغر اسكندرية ثم الى رشيد فى ١٦ رمضان (١٣ يوليو ١٧٨٦) ، فحررنا لكم هذا الفرمان لتحضروا وتقابلونا وترجعوا الى أوطانكم مجبورين مسرورين ان شاء الله تعالى . »
« فحين وصوله اليكم تعملوا به وتعتمدوه .
والحذر ثم الحذر من المخالفة .. وقد عرفناكم . »

ثم ان الأمراء زاد قلقهم واجتمعوا في ليلتها بيت ابراهيم بيك وعملوا بينهم مشورة في هذا الأمر الذى دهمهم ، وتحققوا اتساع الخرق ، والنيل آخذ في الزيادة .

فعند ذلك تجاهروا بالمخالفة ، وعزموا على المحاربة . واتفق الرأى على تشهيل تجريدة وأميرها مراد بيك ، فيذهبون الى جهة قوة ، ويمنعون الطريق ، ويرسلون الى حسن باشا مكاتبات بتحريض الحساب والقيام بغلاق المطلوب ، ويرجع من حيث أتى . فان امتثل والا حاربناه ، وهذا آخر الكلام .

ثم جمعوا المراكب ، وعبوا الذخيرة والبقساط . وذلك كله فى يوم الثلاثاء والأربعاء . ونقلوا عزالهم ومتاعهم من البيوت الكبار الى اماكن لهم صغار جهة المشهد الحسينى والشنوانى والأزهر ، وعطلوا القناديل والتعليق المعدة لمهرجان رمضان . وزاد الارجاف ، وكثر اللفط ، ولاحت عليهم لوائح الخذلان ، ورخص أسعار الغلال بسبب بيعهم الغلال المخزونة عندهم ... كما قيل : مصائب قوم عند قوم فوائد ...

٢٤ منه (٢١ يوليو ١٧٨٦ م) :

خرج مراد بيك والأمراء المسافرون معه الى ناحية بولاق ، وبرزوا خيامهم ، وعدوا في ليلتها الى بر انبابة ، ونصبوا وطاقهم هناك .
وتعين للسفر — صحبة مراد بيك — مصطفى

بيك الداوودية الذى عرف بالاسكندراني ، ومحمد بيك الألقى ، وحسين بيك الشفت ، ويحيى بيك ، وسليمان بيك الأغا ، وعثمان بيك الشرقاوى ، وعثمان بيك الأشقر .

وركب ابراهيم بيك بعد المغرب وذهب اليهم وأخذ بخاطرهم ورجع ، فأقاموا في بر انيابة يوم الجمعة ، حتى تكامل خروج العسكر . وأخذ مراد بيك ما احتاحه من ملأى الحج جمالا وبقداط وغيره ... حتى الذى قبض من مال العرة .

وأرسلوا في ليلتها على أغا كتخدا الجاويشية ، وسليمان أغا الحنفى الى الباشا ، وطلبوا منه الدراهم التى كانوا استخلصوها من مصطفى بيك أمير الحج وأودعوها عند الباشا ، فدفعها لهم بتامها .

٢٦ منه (٢٣ يوليو ١٧٨٦ م) :

سافر مراد بيك من بر انيابة وأصبح معه سلام أغاسى الباشا ليكون سفيرا بينه وبين قبطان باشا .

٢٨ منه (٢٥ يوليو ١٧٨٦ م) :

في ليلتها سافر مصطفى بيك الكبير أيضا ولحق بمراد بيك .

٢٩ منه (٢٦ يوليو ١٧٨٦ م) :

في الليل حضر المشايخ ومن معهم من ثغر وشيد ، فوصلوا الى بولاق بعد الغشاء ، وباتوا هناك وذهبوا الى بيوتهم في الصباح ، فأخبروا أنهم اجتمعوا على حسن باشا ثلاث مرات ... الأول للسلام ، فقابلهم بالاجلال والتعظيم ، وأمر لهم بمكان نزلوا فيه ، ورتب لهم ما يكفيهم من الطعام المهيا في الافطار والسحور ، ودعاهم في ثانى يوم وكلمهم كلمات قليلة .

وقال له الشيخ العروسى : « يا مولانا ... رعية

مصر قوم ضعاف ، وبيوت الأمراء مختلطة ببيوت الناس » .

فقال : « لا تخشوا من شيء . فان أول ما أوصانى مولانا السلطان أوصانى بالرعية » . وقال : « ان الرعية وديعة الله عندي . وأنا استودعتك ما أودعني الله تعالى » . فدعوا له بخير ...

ثم قال : « كيف ترضون أن يملككم مملوكان كافرين ، وترضونهم حكاما عليكم يسومونكم بالعذاب والظلم ؟ لماذا لم تجتمعوا عليهم وتخرجوهم من بينكم ؟ » .

فأجابه اسماعيل أفندى الخلوتى بقوله : « يا سلطانم ! هؤلاء عصبة شديده البأس ويد واحدة » .

فقضب من قوله ونهره وقال : « تخوفنى بآسهم ؟ » .

فاستدرك وقال : « انما أعنى بذلك أنفسنا ، لأنهم - بظلمهم - أضعفوا الناس » . ثم أمرهم بالانصراف .

واجتمعوا عليه مرة ثالثة - بعد صلاة الجمعة - فاستأذنوه في السفر فقال لهم . « في غد أكتب لكم مكاتبة للرعية تقرأونها على الملا في الجامع الأزهر » فقال له الشيخ العروسى : « هذا أمر لا يمكننا فعله في هذا الوقت » . فقبل عذره وقال : « يكفى الاستفاضة » .

ثم تركهم يومين وكتب لهم مكاتبات وسلمها ليد سليمان بيك الشايبورى وأمرهم بالانصراف ، فودعوه وساروا . وأخفيت تلك المكاتبات .

غايته (٢٧ يوليو ١٧٨٦ م) :

أرسل الباشا عدة أوراق الى أفراد المشايخ ، وذكر أنها وردت من صدر الدولة . وأما

العرضحالات التي أرسلوها صحة السلحدار والطبرى فانهما لمسا وصلا الى الاسكندرية واطلع عليها حسن باشا حبزها ومنع المراسلة الى اسلامبول ، وقال : « أنا دستور مكرم ... والأمر مفوض الى في أمر مصر » . وسأل السلحدار عن الأوراق التي من صدر الدولة هل أرسلها الباشا الى أربابها . فأخبره أنه خاف من اظهارها ، فاشتد غضبه على الباشا وسبه بقوله : « خائن ، منافق ! » فلما رجع السلحدار في تاريخه وأخبر الباشا ... فعند ذلك أرسلها كما تقدم .

شمال

٢ منه (٢٩ يوليو ١٧٨٦ م) :

أشيع أن مراد بيك ملك مدينة فوة وهرب من بهسا من العسكر ووقع بينهم مقتلة عظيمة ، وأنه أحد المراكب التي وجدها على ساحلها ... ثم ظهر عدم صحة ذلك .

٢ منه (٣٠ يوليو ١٧٨٦ م) :

نزلت الكسوة من القلعة على العادة الى المشهد الحسيني ، وركب ابراهيم بيك الكبير و ابراهيم بيك أمير الحج الى قراميدان ، ونزل الباشا كذلك ، وأكد على أمير الحج في التشهيل ، فاعتذر اليه بتعطيل الأسباب ، فوعده بالمساعدة .

٤ منه (٣١ يوليو ١٧٨٦ م) :

اشاعوا اشاعة مثل الأولى مصطنعة ، وأظهروا البشر والسرور .

وركب ابراهيم بيك في ذلك اليوم ، وذهب الى الشيخ البكري ، وعيد عليه ، ثم الى الشيخ المروسي ، والشيخ الدردير .. وصار يحكى لهم ، وتصاغر في نفسه جدا ، وأوصاهم على المحافظة ، وكف الرعاية عن أمر يهدثونه ، أو قومة أو حركة

في مثل هذا الوقت — فانه كان يخاف ذلك جدا ، وخصوصا لما أشيع أمر الفرمانات التي أرسلها الباشا للمشايخ ، وتسامع بها الناس ...

وفي وقت ركوب ابراهيم بيك من بيت الشيخ البكري حصلت زعجة عظيمة ببركة الازيكية وسببها أن مملوكا أسود ضرب رجلا من زراع المقائى فجرحه ، فوقع الصياح من رفقاءه واجتمع عليهم خلق كثير من الأوباش . وزاد الحال حتى امتلأت البركة من المخلوقات ، وكل منهم سأل عن الخبر من الآخر ، ويختلفون أنواعا من الأكاذيب .

فلما رجع ابراهيم بيك الى داره أرسل من طرد الناس ، وفحصوا عن أصل القضية ، وفتشوا على الضارب فلم يجدوه فأخذوا المضروب فطيروا خاطره وأعطوه دراهم

وفيه : أرسل مراد بيك بطلب ذخيرة وبقساط ، وركب أيوب بيك الصغير وذهب الى مصر العتيقة وعثمان بيك الطنبورجي الى بولاق ، ونزلوا جملة مدافع ومنها « الغضبان » و « أبو مائلة » . وكان أيوب بيك هذا متمرضا عدة شهور ومنقطعا في الحريم ، ففرق وشفى في ساعة واحدة .

٥ منه (أول اغسطس ١٧٨٦ م)

كان مولد السيد أحمد البدوي ببولاق ، وكراء مشايخ الأتباع المراكب ليسافروا فيها فأخذوها بأجمعها لأجل الذخيرة والمدافع ، ووسفوها وأرسلوا منها جملة .

٦ منه (٢ اغسطس ١٧٨٦ م) :

حضرت مراكب من مراكب الغائبين ، وفيها ممالك ومجاريح وأجناد ، وأخبروا بكسرة مراد بيك ومن معه ، وأصبح الخبر شائعا في المدينة

وثبت ذلك . ورجعت المراكب بما فيها ، وأخبروا عما وقع وهو أنه لما وصل مراد بيك الى الرحمانية فعدى سليمان بيك الأغا وعثمان بيك الشرقاوى والألفى الى البر الشرقى فحصل بينهم اختلاف وغضب بعضهم ورجع القهقرى فكان ذلك أول الفشل ثم تقدموا الى محله العلويين فأخلوا منها الأروام فدخلوا اليها وملكوها . وأرسلوا الى مراد بيك يطلبون منه الامداد ، فأمر بعض الأسراء بالتعدي اليهم فامتنعوا وقالوا : « نحن لانفارقك ونموت تحت أقدامك » فحنق منهم وأرسل عوضهم جماعة من العرب ثم ركبوا وفصدوا أن يتقدموا الى قوة ، فوجدوا أمامهم طائفة من العسكر ناصيين متاريس فلم تكتهم التقدم لوعر الطريق وضيق الجسر وكثرة القنى ومزارع الأرز ، فتراموا بالبنادق فرمح سليمان بيك فعر بقناة وسقط فحصلت فيهم ضجة وظنوها كسرة ، فرجعوا القهقرى ودخل الرعب في قلوبهم ورجعت عليهم العرب نهبويهم فعدوا الى البر الآخر .

وكان مراد بيك مستقرا في مكان توصل اليه من طريق ضيقة لا تسع الا لفارس بمفرده ، فأشاروا عليه بالانتقال من ذلك المكان ... وداخلهم الحوف وتخلوا تحلات !

وما زالوا في نقض واهرام الى الليل ، ثم أمر بالارتحال فحملوا حبلاتهم ورجعوا القهقرى وما زالوا في سيرهم وأشيع فيهم الالهزام وتطارت الأخبار بالكسرة ، وتيقن الناس أن هذا أمر الهى ليس بفعل فاعل .

وفه : حصلت كرشة من ناحية الصاغة . وسببها عبد منلوك أراد الركوب على حمار بعض المكارية فازدحم عليه الحمارة ، ورمحوا خلفه .. فصارت كرشة ! ورمحت الصغار .. فأغلقوا الدكاكين بالأشرفية والغورية والعقادين وغير ذلك .

ثم تبين أن لا شيء ، ففتح الناس الدكاكين ا وفى ذلك اليوم حضر أناس من الممالك مجاريح ، وزاد الأرجاف فنزل الباشا وقت الغروب الى باب العزب وأراد ابراهيم بيك أن يملك أبواب القلعة فلم يتمكن من ذلك وأرسل الباشا فطلب القاضى والمشايخ فطلع البعض وتأخر البعض الى الصباح ، وبات السيد البكرى عند الباشا بباب العزب ، وكان له بها مندوحة ذكرها بعد ذلك الباشا لحسن باشا وشكره عليها وأحبه وذهب للسلام عليه عند قدومه دون غيره من بقية المشايخ .

٧ منه (٣ اغسطس ١٧٨٦ م) :

في الصباح طلّعوا بأجمعهم — وكذلك جماعة الوجاقلية — ونصب الباشا البيرق على باب العزب ونزل جاويش مستحفظان وجاويش العزب وأمامهم القابجية والمناداة على الأضاشات وغيرهم ، وكل من كان طائعا لله وللسلطان يأتى تحت البيرق ، فطلع عليه جميع الأضاشات والتجار وأهل خان الخليلي وعامة الناس ، وظهرت الناس المخفيون والمستضعفون والذين أنحلهم الدهر ، والذي لم يجد ثياب زيه استعار ثيابا وسلاحا حتى امتلات الرميّة وقرا ميدان من الخلائق ، وأرسل محمد باشا يستحث حسن باشا في سرعة القدوم ويخبره بما حصل . وكان قصد حسن باشا التأخر حتى يسافر الحج وتأتى العساكر البرية ، فاقتضى الحال ولزم الأمر في عدم التأخر .

وأما ابراهيم بيك فانه اشتغل في نقل عزاله ومتاعه بطول الليل في بيوته الصغار ، فلم يترك الا غرث مجلسه الذى هو جالس فيه ، ثم انه جلس ساعة وركب الى قصر العيني وجلس به .

وأما ابراهيم بيك — أمير الحج — فانه طلع الى باب العزب وطلب الأمان ، فأرسل له الباشا فرمانا بالأمان وأذن له في الدخول .

وكذلك حضر أيوب بك الكبير وأيوب بك الصغير وكتخدا الجايشية وسليمان بك الشابوري وعبد الرحمن بك عثمان وأحمد جاويش المجنون ومحمد كتخدا أز نور ومحمد كتخدا أباطة وجماعة كثيرة من الغز والأجناد وكذلك رضوان بك بلفيا، فسكران كل من حضر لطلب الأمان فإن كان من الأمراء الكبار فإنه يقف عند الباب ويطرقة ويطلب الأمان ويستمر واقفا حتى يأتيه فرمان الأمان ويؤذن له في الدخول من غير سلاح .. وإن كان من الأصاغر فإنه يستمر بالرميلة أو قراميدان أو يجلس على المصاطب .

فلما تكامل حضور الجميع ، أبرز الباشا خطا شريفا وقرأه عليهم وفيه المأمورات المتقدمة ذكرها ، وطلب إبراهيم بك ومراد بك فقط ، وتأمين كل من يطلب الأمان ، واستمر أمير الحج على منصبه . ثم أنه خلع على حسن كاشف — تابع حسن بك قسبة رضوان — وقلده أغات مستحفظان . وخلع على محمد كتخدا أز نور وقلده الزعامة . وقلد محمد كتخدا أباطة أمين احتساب . ونزلوا الى المدينة ونادوا بالأمان والبيع والشراء . وكذلك نزل الأمراء الى دورهم — ما عدا إبراهيم بك أمير الحج ، فإن الباشا عوقه عنده ذلك اليوم . وكذلك أذنوا للناس بالتوجه الى أماكنهم بشرط الاستعداد والاجابة وقت الطلب . ولم يتأخر الا المحافظون على الأبواب . وأما مراد بك فإنه حضر الى بر انبابة واستمر هناك ذلك اليوم ثم ذهب في الليل الى جزيرة الذهب وركب إبراهيم بك ليلا وذهب الى الآثار .

وفي عصر ذلك اليوم : نزل الأغا ونبه على الناس بالطلوع الى الأبواب .

وفيه : حضر سليمان بك الأغا ، وطلب الأمان ، فأعطوه فرمان الأمان وذهب الى بيته . وأصبح يوم الخميس فنزلت القابجية ، ونهبت

على الناس بالطلوع ... فطلعوا ، واجتمعت الخلائق زيادة على اليوم الأول ، وحضر أهالي بولاق ، ونزل الأغا ، فنادى بالأمان والأمان ... وفي ذلك اليوم ، قبل العصر ، ركب عثمان خازندار مراد بك سابقا ، وذهب الى سيده ... وكان من جملة من أخذ فرمانا بالأمان . فلما نزل الى داره أخذ ما يحتاجه وذهب ، فلما بلغ الباشا هروبه ، اغتاض من فعله .

ثم ان الباشا تخيل من إبراهيم بك أمير الحج ، فأمر بالنزول الى بيته ، فنزل الى جامع السلطان حسن ، وجلس به ، فأرسل له الباشا بالذهاب الى منزله .. فذهب

وفي صبح ثاني يوم : ركب سليمان بك وأيوب بك الكبير والصغير وخرجوا الى مضرب الشباب ، وركب إبراهيم بك أمير الحج وذهب الى بولاق وأحب أن يأخذ الجمال من المناخ فمنعه عسكر المغاربة ، ثم ذهب عند رفقائه بمضرب الشباب .

فلما بلغ الباشا ذلك أرسل لهم فرمانا بالعود ، فطردوا الرسول ومزقوا فرمان وأقاموا بالمصاطب حتى اجتمعت عليهم طوائفهم وركبوا ولحقوا باخوانهم . فلما حصل ذلك اضطربت البلد وتوهموا صعودهم على الجبل بالمدافع ، ويضربوا على القلعة ، وغير ذلك من التوهمات .

وركب قائد أغا بعد صلاة الجمعة وعلى أغا خازندار مراد بك سابقا وصحبته جملة من المماليك والعسكر .. وهم بالطرايش ويدهم مكاحل البندق والقرايينات وفتائلها موقودة ، فوصلوا الى الرميلة ، فضربوا عليهم مدفعين ، فرجعوا الى ناحية الصليية ونزلوا الى باب زوبلة ومروا على الخورية والأشرفية وبين القصرين ، وطلعوا من باب النصر وأمامهم المنادة : أمان واطمئنان ! حكمكم مارسهم إبراهيم بك ومراد بك ... وحكم الباشا بطل ! !

فلما سمع الناس ذلك ورأوه على تلك الصورة
انزعجوا وأغلقوا الدكاكين المفتوحة وهاجت الناس
وحاصوا حيصة عظيمة وكثر فيهم اللغط .

ولما بلغ الباشا هروب المذكورين حصن القلعة
والمحمودية والسلطان حسن ، وأرسل الأغسا
فنادى على الالضاشات بالطلوع الى القلعة .

وفي تلك الليلة : ضرب المنسر كهر الطماعين ،
ونهبوا منه عدة أماكن ، وقتل بينهم أشخاص ،
واقطعت الطرق حتى الى بولاق ومصر القديمة ،
وصارت التعدية من عند رصيف الخشاب .

وفي يوم السبت ركب ابراهيم بيك وحسين بيك
وأثوا الى المناخ أيضا .

وأرادوا أخذ الجمال فمنعهم المغاربة ، وقيل
أخذوا منهم جملة . وعربدوا في ذلك اليوم عريضة
عظيمة من كل ناحية ، وأرسل الباشا قبل المغرب
فطلب تجار المغاربة فاجتمعوا وطلعوا بعد العشاء
وباتوا بالسييل الذي في رأس الرملة . وشدد
الباشا في اجتماع الالضاشات ومن يتنسب للوجاقات
فقل له ان منهم من لا يملك قوت يومه ، وسبب
تفرقهم الجوع وعدم النفقة . فطلب أغات مستحفظان
وأعطاه أربعة آلاف ريال لينفقها فيهم .

وفيه : عدى مراد بيك من جزيرة الذهب الى
الآثار ، وكان ابراهيم بيك ركب الى حلوان وضربها
وأحرقها بسبب أن أهل حلوان نهبوا مركبا من
مراكبه .

ولما عدى مراد بيك الى البر الشرقى أرسل
الى ابراهيم بيك فحضر اليه واصطلح معه لأن
ابراهيم بيك كان مغتاظا منه بسبب سفرته وكسرتة ،
فان ذلك كان على غير مراد ابراهيم بيك وكان
قصده أنهم يستمرون مجتمعين ومنضمين واذا
وصل القبطان أخلوا من وجهه ان لم يقدروا على

دفعه أو مصالحته ، وتركوا له البلد ومصريه
الرجوع الى بلاده فيعودون بعد ذلك بأي طريق
كان ، وكان ذلك هو الرأي فلم يمتثل مراد بيك
وقال : « هذا عين الجبن » . وأخذ في أسباب
الخروج والمخاربة ، ولم يحصل من ذلك الا ضياع
المال والفشل والانهزام الذي لا حقيقة له ...
وكان الكائن .

ولما اصطلحا تفرقت طوائفهما يعيشون في
الجهات ويخطفون ما يجدونه في طريقهم من جمال
السقائين وحمير الفلاحين ، وبعضهم جلس في مرمى
النشاب ، وبعضهم جهة بولاق ، ونهبوا نحو عشرين
مركبا كانت راسية عند الشيخ عثمان ، وأخذوا
ما كان فيها من الغلال والسمن والأغنام والتمر
والعسل والزيت .

١١ منه (٧ أغسطس ١٧٨٦ م) :

زاد تنطيطهم وهجومهم على البلد من كل
ناحية ، ويدخلون أحزابا ومتفرقين . ودخل قائد
أغا وأتى الى بيته الذي كان سكن فيه وسكنه
بعده حسن آغا المتولى — وهو بيت قصبة رضوان
— فوجد بابه مغلوقا ، فأراد كسره بالبلط فأعياه .
وخاف من طارق فذهب الى باب آخر من ناحية
القريبة ف ضرب عليه الحراس بنادق فرجع بقهره
يخطف كل مصادفه . ولم يزالوا على هذه الفعال
الى بعد الظهر من ذلك اليوم .

وأشتد الكرب ، وضاق خناق الناس ، وتعطلت
أسبابهم ، ووقع الصياح في أطراف الحارات من
الحرامية والسراق والمناسر نهارا ، والأغا والوالى
والمحتسب مقيمون بالقلعة لا يجسرون على النزول
منها الى المدينة .

وتوقع كل الناس نهب البلد من أوباشها ، وكل
ذلك والمآكل موجودة والغلال معرمة كثيرة بالرقع ،

ورخصت أسعارها ، والأخباز كثيرة ، وكذلك أنواع الكعك والفطير .

وأشيع وصول مراكب القبطان الى شلقان ، ففرح الناس وطلعوا المنارات والأسطحة العالية ينظرون الى البحر ، فلم يروا شيئا ، فاشتد الانتظار وزاغت الأبصار .

فلما كان بعد العصر سمع صوت مدافع على بعد ، ومدافع ضربت من القلعة ، وفرحوا واستبشروا وحصل بعض الاطمئنان . وصعدوا أيضا على المنارات فراوا عدة مراكب وتقارير وصلت الى قرب ساحل بولاق ، ففرح الناس وحصل فيهم ضجيج .

وكان مراد بيك وجماعة من صناعقه وأمرائه قد ذهبوا الى بولاق ، وشرعوا في عمل متاريس جهة السبئية ، وأحضروا جملة مدافع على عجل ، وجمعوا الأخشاب وحطب الذرة وأفراد وغيرها ، فوردت مراكب الأروام قبل اتمامهم ذلك فتركوا العمل وركبوا في الوقت ورجعوا ، وضجت الناس وصرخت الصبيان وزغرنت النساء ، وكسروا عجل المدافع ...

وفيه : أرسل الأمراء مكاتبة الى المشايخ والوجاقات يتوسلون بهم في الصلح ، وأنهم يتوبون ويعودون الى الطاعة ، فقرئت تلك المكاتبات بحضرة الباشا ، فقال الباشا : « ياسبحان الله ! كم يتوبون ويعودون ! ولكن كتبوا لهم جوابا معلقا على حضور قبطان باشا » .. فكتبوه وأرسلوه .

١٢ منه (٨ اغسطس ١٧٨٦ م) :

في وقت العشاء وصل حسن باشا القبطان الى ساحل بولاق ، وضربوا مدافع لقدمه ، واستبشر الناس وفرحوا وظنوا أنه مهدي الزمان ، فبات في مراكبه الى الصباح وطلع بعض أتباعه الى القلعة وقابلوا الباشا .

ثم ان حسن باشا ركب من بولاق وحضر الى مصر من ناحية باب الخرق ، ودخل الى بيت ابراهيم بيك وجلس فيه وصحبه أتباعه وعسكره ، وخلفه الشيخ الأترم المغربي ومعه طائفة من المغاربة ، فدخل بهم الى بيت يحيى بيك ، وراق الحال وفتحت أبواب القلعة واطمأن الناس ، ونزل من بالقلعة الى دورهم . وشاع الخبر بذهاب الأمراء المصرية الى جهة قبلى من خلف الجبل ، فسافر خلفهم عدة مراكب وفيها طائفة من العسكر واستولوا على مراكب من مراكبهم وأرسلوها الى ساحل بولاق ، وأنفذ حسن باشا رسلا الى اسماعيل بيك وحسن بيك الجداوى يطلبهما للحضور الى مصر .

وفيه : خرجت جماعة من العسكر ففتحوا عدة بيوت من بيوت الأمراء ونهبوها ، وتبعهم في ذلك الجميدية وغيرهم فلما بلغ القبطان ذلك أرسل الى الوالى والأغا وأمرهم بمنع ذلك وقتل من يفعله ولو من أتباعه ثم ركب بنفسه وطاف البلد وقتل نحو ستة أشخاص من العسكر وغيرهم وجد معهم منهوبات فأنكفوا عن النهب ، ثم نزل على باب زويلة وشق من الغورية ودخل من عطفة الحراطين على باب الأزهر وذهب الى المشهد الحسينى فزاره ونظر الى الكسوة ، ثم ركب وذهب الى بيت الشيخ البكرى بالأزبكية فجلس عنده ساعة ، وأمر بتسمير بيت ابراهيم بيك الذى بالأزبكية وبيت أبواب بيك الكبير وبيت مراد بيك ، ثم ذهب الى بولاق ورجع بعد الغروب الى المنزل ، وحضر عنده محمد باشا مخففا واختلى معه ساعة

١٣ منه (٩ اغسطس ١٧٨٦ م) :

ذهب اليه مشايخ الأزهر وسلموا عليه ، وكذلك التجار وشكوا اليه ظلم الأمراء ، فوعدهم بحير واعتذر اليهم باشتغاله بمهمات الحج وضيق الوقت وتعطل أسبابه .

وفيه : عمل الباشا الديوان وقلد حسن أغا مستحفظان صنجدية ، وخلع على علي بيك جركس الاسماعيلى صنجدية كما كان فى أيام سيده اسماعيل بيك ، وخلع على غيطاس كاشف — تابع صالح بيك — صنجدية ، وخلع على قاسم كاشف — تابع أبى سيف — صنجدية أيضا . وخلع على مراد كاشف — تابع حسن بيك الأزبكايى — صنجدية ، وخلع على محمد كاشف — تابع حسين بيك كشكش — صنجدية ، وقلد محمد أغا أرئوود الوالى أغات الجمليان ، وقلد موسى أغا الوالى — تابع على بيك — أغات تفكجية ، وخلع على باكير أغا تابع محمود بيك وجعله أغات مستحفظان ، وخلع على عثمان أغا الجلفى وقلده الزعامة عوضا عن محمد أغا .

ولما تكامل لبسهم التفت اليهم الباشا ونصحهم وحذرهم وقال للوجاقية : « الزموا طرائقكم وقوانينكم القديمة ، ولا تدخلوا بيوت الأمراء الصناجق الا لمقتض ، واكتبوا قوائكم بعلقاتكم وعوائدكم أمضيها لكم » .

ثم قاموا وانصرفوا الى بيوتهم ، ونزل الأغا وأمامه المناداة بالتركى والعربى بالأمان على أتباع الأمراء المتوارين والمخفيين ... وكل ذلك تدبير وترتيب الاختيارية . وقلدوا من كل بيت أميرا لئلا يتعصبوا لأنفسهم ولا تتحد أغراضهم .

وفيه : أرسل حسن باشا الى نواب القضاء وأمرهم أن يذهبوا الى بيوت الأمراء ويكتبوا ما يجدونه من متروكاتهم ويودعوه فى مكان من البيت ويختتموا عليه ففعلوا ذلك .

وفى تلك الليلة : وردت خمس مراكب رومية وضربوا مدافع وأجيبوا بمثلها من القلعة .

١٤ منه (١٠ أغسطس ١٧٨٦ م) :

ركب حسن باشا وذهب الى بولاق وهو بى

الدلالة وعلى رأسه هيئة قلب من جلد السمور ، ولابس عباءة بطراز ذهب ، وكان قبل ذلك يركب بهيئته المعتادة ، وهى هيئة القباطين ، وهى فوقانية جوخ صاية بدلاية حرير على صدره ، وعلى رأسه طربوش كبير يعمم بشال أحمر ، وفى وسطه سكينه كبيرة ، ويديه مخرصة لطيفة هيئة حربة بطرفها مشعب حديد على رسم الجلالة .

وفيه : نادى الأغا على كل من كان سراجا بطلا ، أو فلاحا أو قواسا بطلا ... يسافر الى بلده . ومن وجد بعد ثلاثة أيام يستحق العقوبة . وفيه أيضا : نودى على طائفة النصارى بألا يركبوا الدواب ، ولا يستخدموا المسلمين ، ولا يشتروا الجوارى والعبيد ، ومن كان عنده شئ من ذلك باعه أو أعنته ، وأن يلزموا زبيهم الأصلى من شد الزنار والزنوط .

وفيه : أرسل حسن باشا الى القاضى وأمره بالكشف عن جميع ما أوقفه المعلم ابراهيم الجوهري على الديور والكنايس من أطيان ورزق وأملاك ... والمقصود من ذلك كله استجلاب الدراهم والمصالح !

١٥ منه (١١ أغسطس ١٧٨٦ م — الموافق ٦ مسرى) :

نودى على طائفة النصارى بالأمان ، وعدم التعرض لهم بالأيذاء . وسببه تسلط العامة والصغار عليهم ...

وفيه : كثر تعدى العساكر على أهل الحرف : كالقهوجية ، والحمامية ، والمزينين ، والخياطين ... وغيرهم . فبدأت أحدهم الى الحمامى ، أو القهوجى ، أو الخياط ... ويقطع سلاحه ويعلقه ، ويرسم ركنه فى ورقة أو على باب دكان ، وكأنه صيره شريكه وفى حمايته . ويذهب حيث شاء ، أو يجلس متى شاء ... ثم يحاسبه ، ويقاسمه فى المكسب . وهذه عادتهم : اذا ملكوا بلدة ذهب كل

ذى حرفة الى حرفته التى كان يحترفها فى بلده ،
ويشارك البلدى فيها ... فثقل على أهل البلدة
هذه الفعلة لتكلفهم ما لا ألفوه ولا عرفوه .

وفيه : اجلسوا على أبواب المدينة رجلا
أوده باشا ، ومعه طائفة من المسكر نحو الثلاثين
أو العشرين .

وفيه : نودى بوفاء النيل ، فأرسل حسن باشا
فى صباح يوم الجمعة كتخداه والوالى ، فكسر
السد على حين غفلة ، وجرى الماء فى الخليج ولم
يعمل له موسم ولا مهرجان مثل العادة ، بسبب
القلقة وعدم انتظام الأحوال ، والخوف من هجوم
الأمراء المصرية ، فانهم لم يزالوا يقيمون جهة
حلوان .

وفيه : نودى بتوقيف الأشراف ، واحترامهم ،
ورفع شكواهم الى نقيب الأشراف ، وكذلك
المنسوبون الى الأبواب ... ترفع الى وجاقه .

وان كان من أولاد البلدة فالى الشرع
الشريف ! (١)

وفيه : مرت جماعة من العسكر على سوق
الغسورية فخطفوا من الدكاكين أمتعة وأقمشة ،
فهاجت أهل الدكاكين ، والناس المارون ، وأغلقت
الحوانيت ، وثار كرشة الى باب زويلة ...
وصادف مرور والى ، فقبض على ثلاثة منهم ،
واستخلص ما بأيديهم ، وهرب الباقون .

وكان والى والاغا ، كل منهما صحبته ضابطان
من جنس العسكر !

وفيه : نودى بمنع القواسة وأسافل الناس من
لبس الشيلان الكشميرى ، والتختم أيضا !

وفيه : وصلت مراكب القباطين الواردين من
جهة دمياط الى ساحل بولاق — وفيهم اسماعيل

(١) أى ان السارق من السادة الأشراف ، يشكى الى نقيب
الأشراف ! والسارق من « المنسوبين الى الأبواب » ، ترفع الشكوى
فيه الى « وجاقه » أما السارق من « أولاد البلد » ، فتقطع يده !

كتخدا حسن باشا — فضربت لهم مدافع من
القلعة .

وفيه : قبضوا على ثلاثة من العسكر أفسدوا
بالنساء بناحية الرميلة ، فرفعوا أمرهم — وأمر
الخطافين — الى القبطان ، فأمر بقتلهم ، فضربوا
أعناق ثلاثة منهم بالرميطة ، وثلاثة فى جهات
متفرقة ...

وفيه : نودى بإبطال شركة العسكر لاهل
الحرف ، ومن أتاه عسكرى يشاركه ، أو أخذ شيئا
بغير حق ، فليمسك ، ويضرب ، وتوثق أكتافه ،
ويؤتى به الى الحاكم .

وحضر الوالى — وصحبته الجاويش —
وقبض على من وجده منهم بالحمامات والقهاوى .
طردهم وزجرهم ... وذلك بسبب تشكى
الناس . فلما حصل ذلك اطمأنوا وارتاحوا منهم .

١٧ منه (١٢ اغسطس ١٧٨٦ م) :

خلعوا على محمديك — تابع الجرف — وجعلوه
كاشفا على البحيرة .

وفيه : جاء الخبر عن الأمراء أن جماعة من العرب
نحو الألف اتفقوا أنهم يكبسون عليهم ليلا
ويتناولونهم وينهبونهم ، فذهب رجل من العرب
وأخبرهم بذلك الاتفاق ، فأخلوا من خيامهم وركبوا
خيولهم وكسوا بمرأى من وطاقهم . فلما جاءت
العربان وجدوا الخيام خالية فاشتغلوا بالنهب ...
فكبس عليهم الأمراء من كمينهم فلم ينج من العرب
الا من طال عمره .

وفيه : نودى على طائفة النساء ألا يجلسن على
حوانيت الصياغ ، ولا فى الأسواق الا بقدر الحاجة .

١٨ منه (١٤ اغسطس ١٧٨٦ م) :

عملوا الديوان ، وقلدوا مراد بك أمير الحج .
وسماه حسن باشا « محمدا » ... كراهة فى اسم

مراد بيك ، فصار يكتب في الامضاء « محمد بيك حسن » .

وكان هذا اليوم هو ثانی يوم ميعاد خروج المحمل من مصر ، فان معتاده في هذه العصور سابع عشر شوال .

٢٠ منه (١٦ أغسطس ١٧٨٦ م) :

كتبت فرمانات لشيخ العرب أحمد بن حبيب بغفر البرين والموارد من بولاق الى حد دمياط ورشيد على عادة أسلافه — وكان ذلك مرفوعا عنهم من أمام على بيك — ونودى له بذلك على ساحل بولاق

وفيه : أخرجت خبايا وودائع الأمراء من بيوتهم السفار ، لهم ولأتباعهم . وختم أيضا على أماكن ، وتركت على ما فيها . ووقع التفتيش والفحص على غيرها ، وطلبوا الفقراء فجبعوهم وحبسوهم ليدلوا على الأماكن التي في العطف والحارات .

وطلبت زوجة ابراهيم بيك ، وحبست في بيت كتخدا الجاويشيه — هي وضررتها أم مرزوق بيك — حتى صالحوا بجملة من المال والمصاغ ، خلاف ما أخذ من المستودعات عند الناس .

وطولبت رليخا — زوجة ابراهيم بيك — بالتناج الجوهري وغيره

وطلبت زوجة مراد بيك ، فاختمت .

وطلب من السيد البكري ودائع مراد بيك فسلمها

٢٢ منه (١٨ أغسطس ١٧٨٦ م) :

عمل الباشا ديوانا وخلع على علي أغا كتخدا انجاوشية وقلده صنجقا ودفتردار وشيخ البلد ومشير الدولة ، فصار صاحب الحل والعقد واليه المرجع في جميع الأمور الكلبة والجزئية . وقلد محمد أغا الترجمان وجعله كتخدا الجاويشيه عوضا عن المذكور ، وخلع على سليمان بيك الشابوري

وقلده صنجقا كما كان أيضا في الدهور السالفة ، وخلع على محمد كتخدا ابن أباطة المحتسب وجعله ترجمانا عوضا عن محمد أغا الترجمان ، وخلع على أحمد أغا بن ميلاد وجعله محتسبا عوضا عن ابن أباطة .

٢٣ منه (١٩ أغسطس ١٧٨٦ م) :

ركب المشايخ الى حسن باشا ، وتشفعوا عنده في زوجة ابراهيم بيك ، وذلك بإشارة على بيك الدفتردار .. فأجابهم بقوله : « تدفع ما على زوجها للسلطان وتخلص » .

فقالوا له : « النساء ضعاف . وينبغي الرفق بهن » .

فقال : « ان أزواجهن لهم مدة سنين ينهبون البلاد ، ويأكلون أموال السلطان والرعية وقد خرجوا من مصر على خيولهم ، وتركوا الأموال عند النساء فان دفعن ما على أزواجهن تركت سبيلهن . والا أذقناهن العذاب » .

وانفض المجلس وقاموا وذهبوا . وفيه : ورد الخبر عن الأمراء أنهم ذهبوا الى أسيوط وأقاموا بها .

٢٤ منه (٢٠ أغسطس ١٧٨٦ م) :

حصل التشديد والتفتيش والفحص عن الودائع ، ونودى في الأسواق بأن كل من كان عنده وديعة أو شيء من متاع الأمراء الخارجين ، ولا يظهره ولا يقر عليه في مدة ثلاثة أيام .. قتل من غير معاودة ان ظهر بعد ذلك !

وفيه : طلب حسن باشا من التجار المسلمين والافرنج والأقباط دراهم سلفة لتسهيل لوازم الحج ، وكتب لهم وثائق وأجلهم ثلاثين يوما ، ففردوها على أفرادهم — بحسب حال كل تاجر — وجمعوها . وفيه : حصلت كائنة على ابن عياد المغربي ببولاق ، وقتله اسماعيل كتخدا حسن باشا .

وفيه : نادوا على النساء بالمنع من النزول في
مراكب الخليج والأزبكية وبركة الرطلى .
وفيه : كتبوا مكاتبات — من حسن باشا ،
ومحمد باشا الوالى ، والمشايخ ، والوجاقات —
خطابا لاسماعيل بيك وحسن بيك الجداوى ..
باستعجالهم للحضور الى مصر .

٢٥ منه (٢١ أغسطس ١٧٨٦ م) :

نودى على النساء ألا يخرجن الى الأسواق .
ومن خرجت بعد اليوم ، شنت .. فلم ينتهين !!
أحضر حسن باشا المطربازية واليسرجية وأخرج
جوارى ابراهيم بيك وباقى الأمراء بيضا وسودا
وحبوشا ونودى عليهن بالبيع والمزاد فى حوش
البيت ... فبيعوا بأبخس الأثمان على العثمانية
وعسكرهم .
وفى ذلك عبرة لمن اعتبر ..

٢٦ منه (٢٢ أغسطس ١٧٨٦ م) :

أحضروا أيضا عدة جوار من بيوت الأمراء ومن
مستودعات كانوا مودعين فيها ، وأخذوا جوارى
عثمان بيك الشرقاوى من بيته ، ومحظيته التى فى
بيته الذى عند حيضان المصلى ، فأخرجوها بيد
القليونجية . وكذلك جوارى أيوب بيك الصغير
وما فى بيوت سليمان أغا الحنفى من جوار وأمتعة ،
وكذلك بيوت غيره من الأمراء ، وأحاطوا بعدة
بيوت بدرب الميضاة بالصليية وطيلون ودرب
الحمام وحارة المغاربة وغيرهم فى عدة أخطاط فيها
ودائع وأغالل ، فأخذوا بعضها وختموا على باقيها ،
وأحضروا الجوارى بين يدى حسن باشا فأمر
ببيعهم ، وكذلك أمر ببيع أولاد ابراهيم بيك مرزوق
وعديله ، والتشديد على زوجاته .

ثم ان شيخ السادات ركب الى الشيخ أحمد
الدردير ، وأرسلوا الى الشيخ أحمد العروسى

والشيخ محمد الحريرى فحضروا وتشاوروا فى هذا
الأمر ، ثم ركبوا وطلعوا الى القلعة وكلموا محمد
باشا وطلبوا منه أن يتكلم مع قبطان باشا فقال لهم :
« ليس لى قدرة على منعه ، ولكن اذهبوا اليه
واشفعوا عنده » . فالتسوا منه المساعدة فأجابهم
وقال : « اسبقونى وأنا أكون فى أثركم » .

فلما دخلوا على القبطان وحضر أيضا محمد باشا
وخطبوه فى شأن ذلك — وكان المخاطب له شيخ
السادات — قال له : « انا سررنا بقدمك الى مصر
لما ظنناه فك من الانصاف والعدل . وان مولانا
السلطان أرسلك الى مصر لاقامة الشريعة ومنع
الظلم . وهذا الفعل لا يجوز . ولا يحل بيع الأحرار
وأمهات الأولاد » . ونحو ذلك من الكلام .

فاغتاط وأحضر أفندى ديوانه وقال : « اكتب
أسماء هؤلاء حتى أرسل الى السلطان وأخبره
بمعارضتهم لأوامر » .

ثم التفت اليهم وقال : « أنا أسافر من عندكم
والسلطان يرسل لكم خلافى فتتطروا فعله أما
كفاكم أنى كل يوم أقتل من عساكرى طائفة على
أيسر شئ مراعاة وشفقة ؟ ولو كان غيرى لنظرتم
فعل العسكر فى البيوت والأسواق والناس ! » .
فقالوا له : « انما نحن شافعون ، والواجب علينا
قول الحق » .

وقاموا من عنده وخرجوا ، وتغير خاطره من
ذلك الوقت على شيخ السادات .

وفيه : قبض اسماعيل — كتحدا حسن باشا —
على الحاج سليمان بن ساسى التاجر ، وجماعة من
طيلون ، وألزمه بخمسمائة كيس .. فولول واعتذر
بمعجزه عن ذلك . فلم يقبل ولطمه على وجهه ،
وشدد عليه .. فراجعوه وتشفعوا فيه ، الى أن
قررها مائة كيس . فحلف أنه لا يملك الا ثلاثمائة

فرق بن - وليس له غيرها . فأرسل وختم عليها في حواصلها .

واستمر في الاعتقال حتى غلق المائة كيس .. على نفسه منها خمسون ، ومثلها على الطولونية . وسبب ذلك حادثة ابن عباد ، لأنهم أولاد بلاده . ولما قتله بيولاقي ، ورجع وهو في حدته ، فدخل الى خان الشرايبي ، فوجد الحاج سليمان المذكور جالسا بالخان مع التجار ، فقال له : « بلغ منكم - يا جريية - حتى تقتلوا عسكر السلطان ! ان ابن عباد قتل من طائفتي شخصين ودبتهما تلزمكم . وهي خمسمائة كيس ، تحضرونها في غد ، والا قتلتم عن آخركم ! »

فلما أصبح فعل معهم ما ذكر ، وهذا محض ظلم وبغى !

٢٧ منه (٢٢ أغسطس ١٧٨٦ م) .

كان خروج المحمل صحبة أمير الحج محمد بيك المبدول بالموكب على العادة ، ماعدا طائفة الينكجارية والعزب خونا من اختلاط العثمانية بهم ، وحضر حسن باشا القبطان الى مدرسة الفورية لأجل الفرجة المشاهدة ، ولم يزل جالسا حتى مر الموكب والمحمل . ولما مرت عليه طوائف الأشاير كانت تقف الطائفة منهم تحت الشباك ويقرأون الفاتحة ، فيرسل لهم ألف نصف فضة في قرطاس .

ولما انقضى أمر ذلك ركب بجماعة قليلة ، وازدحمت الناس للفرجة عليه - وكان لابسا على هيئة ملوك العجم ، وعلى رأسه تاج من ذهب مزرد ، مخروط الشكل ، وعليه عصابة لطيفة منحرير مرصعة بالجواهر ، ولها ذوائب على آذانه وحواجبه ، وعليه عباءة لطخ قصب أصفر !

٢٨ منه (٢٤ أغسطس ١٧٨٦ م) .

نودى على النصارى واليهود بأن يغيروا أسماءهم

التي على أسماء الأنبياء - كإبراهيم وموسى وعيسى ويوسف واسحاق - وأن يحضروا جميع ما عندهم من الجوارى والعبيد ، وان لم يفعلوا وقع التفتيش على ذلك في دورهم وأماكنهم ، فصالحوا على ذلك بما حصل العفو وأذن لهم بأن يبيعوا ما عندهم من الجوارى والعبيد ويقبضوا ثمنها لأنفسهم ولا يستخدموا المسلمين ، فأخذ جوا ما عندهم وباعوا بعضه وأودعوه عند معارفهم من المسلمين (١) .

وفيه : حضر مبشر بتقرير الباشا على السنة الجديدة . وحضر الباشا الجديد الى بولاق .

٢٩ منه (٢٥ أغسطس ١٧٨٦ م) .

أرسل حسن باشا القبطان جملة من العسكر البحرية وصحبته اسماعيل كتخدا الى عرب البحيرة لكونهم خاضروا مع المصرية ووقع الحلف بينهم وبين قبيلتهم ، ثم حضروا مع أخصامهم بين يدي القبطان واسطلحوا ثم نكثوا وتحاربوا مع بعضهم فحضرته الفرقة الأولى واستجدوا بحسن باشا فأرسل لهم اسماعيل كتخدا بطائفة من العسكر في المراكب فهربوا ورجع اسماعيل كتخدا ومن معه على الفور .

وفيه : وصلت العساكر البرية صحبة عابدي باشا ودرويش باشا الى بركة الحج . وكان أمير الحج مقيما بالحجاج بالعادلية ، ولم يذهبوا الى البركة على العادة بسبب قدوم هؤلاء .

(١) حكى جانب اجناد معروفون جهلاء ... يلبسون ما يشاء الحكماء والسفهاء ، ويلعبون احدثهم ليشهد حفلا أو مسبة ... فيردهم الناس للفرجة عليه ... حتى يستطيعوا الاحتفاظ بهذا المستوى من الرفق المضحك ، لا بد لهم من ابتزاز الا مال . وتوالي موجات ابتزازهم . فتخذ احيانا صورة الاضطهاد الديني .

وما نحسب ان للدين دخلا في ذلك أبدا ... فلم يكن هؤلاء الحكام الغاشمين دأب الا أن « ينزلوا الظلم بطائفة - أي طائفة - من مصالحها على مال ... فيحصل العفو ! » ... ولم يبلغ ظمروهم غير ذلك دينا ...

ذوالقعدة

السبت غرته (٢٦ أغسطس ١٧٨٦ م) :

ارتحل الحجاج من العادلية ، وحضر عابدى باشا ودرويش باشا الى العادلية ، وخرج حسن باشا الى ملاقاتهم ، ودخلت طوائف عساكرهما الى المدينة وهم بهينات مختلفة وأشكال منكرة ، وراكبون خيولا وآكاديش كأمثال دواب الطواحين وعلى ظهورها لبايد شبه البراذع متصلة بكفل الاكديش ، وبعضهم بطراير سود طوال شبه الدلاة . والبعض معمم ببوشية ملونة مفشولة على طربوش واسع كبير محيط عليه قطعة قماش لابسها في دماغه — والطربوش مقلوب على قفاه — مثل حزمة البراطيش ، وهم لابسون زبوط وبشوت محزمين عليها ... وصورهم بشعة ، وعقائدهم مختلفة ، وأشكالهم شتى ، وأجناسهم متفرقة ، ما بين أكراد ولاوند ودروز وشوام ... ولكن لم يحصل منهم ايذاء لأحد ، واذا اشتروا شيئا أخذوه بالمصلحة ، فأتوا بالخيام عند سيل قيعاز تلك الليلة .

الأحد ٢ منه (٢٧ أغسطس ١٧٨٦ م) :

ركب عابدى باشا ودرويش باشا ، وذهبوا الى البساتين من خارج البلد . فمروا بالصحراء وباب الوزير ، وأجروا عليهم الرواتب من الخبز واللحم والأرز والسمن وغيره .

وفيه : نودى على النصارى باحضار ما عندهم من الجوارى والعبيد ساعة تاربحه . ثم نزلت العساكر وهجمت على بيوت النصارى ، واستخرجوا ما فيها ... فكان شئ كثيرا . وأحضروهم الى القبطان فأخرجوهم الى المزاد وباعوهم ، واشترى غالبهم العسكر ، وصاروا يبيعونهم على الناس بالمرايحة .

فاذا أراد انسان أن يشتري جارية ذهب الى بيت

الباشا ، وطلب مطلوبه ، فيعرض عليه الجوارى من مكان عند باب الحريم . فاذا أعجبه جارية ، أو أكثر ، حضر صاحبها الذى اشتراها ، فيخبره برأس ماله ، ويقول : « وأنا آخذ مكسى كذا » ، فلا يزيد ولا ينقص . فإن أعجبه الثمن دفعه ، والا تركها وذهب .

ثم وقع التشديد على ذلك ، وأحضروا الدلائل والنحاسين ، القدم والجدد ، واستدلوا منهم على الميوعات .

وفيه : جمع القبطان الهندسين ليستخير منهم عن الخيايا والدفائن التى صنعوها فى البيوت وغيرها .

الاثنين ٣ منه (٢٨ أغسطس ١٧٨٦ م) :

أمر القبطان الأمراء والحاجق والوجاقلية أن يذهبوا للسلام على عابدى باشا ودرويش باشا ... فذهب الحاجق أولا بسائر أتاعيم طه انقهم ، وتلاههم الوجاقلية ... فسلوا ورجعوا من البساتين ، وكلاهما فى جمع كثير .

الثلاثاء ٤ منه (٢٩ أغسطس ١٧٨٦ م) :

حضر عابدى باشا عند القبطان ، وسلم عليه ، ثم طلع الى القلعة وسلم على محمد باشا المتولى ، ثم نزل وخرج الى مخيمه بالبساتين .

وفيه : قرر على بيوت النصارى الذين خرجوا بصحبة الأمراء المصرية مبلغ دراهم مجموع متفرقها خمسة وسبعون ألف ريال .

وفيه : أمر أيضا باحصاء بيوت جميع النصارى ودوزهم وما هو فى ملكهم ، وأن يكتب جميع ذلك فى قوائم ، ويقرر عليها أجرة مثلها فى العام ، وأن يكشف فى السجل على ما هو جار فى أملاكهم .

ثم قرر عليهم أيضا خمسمائة كيس ، فوزعوها

وفيه : حضر قاصد من طرف اسماعيل بيك وعلى يده مكاتبات من المذكور يجبر فيها بأنه وصل الى دجرجا وقصده الإقامة هناك لأجل المحافظة في تلك الجهة حتى تسافر العسكر ، فاذا التقوا مع الأمراء وكسروهم وهزموهم يكون هو ومن معه في أقيمتهم وقت الحرب ومائعا عند الهزيمة .

السبت ٨ منه (٢ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

قبض القبطان على المعلم واصف وحبسه وضربه وطالبه بالأموال . وواصف هذا أحد الكتاب المباشرين المشهورين ، ويعرف الايراد والمصاريف ، وعنده نسخ من دفتر الروزنامة ، ويحفظ الكليات والجزئيات ، ولا يخفى عن ذهنه شيء من ذلك ، ويعرف التركي .

الأحد ٩ منه (٣ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

قبض على بعض نساء المعلم ابراهيم الجوهري من بيت حسن أغا كتجدا على بيك أمين احتساب سابقا ، فأقرت على خبايا أخرجوا منها امتعة وأواني ذهب وفضة وسروجا وغير ذلك .

الاثنين ١٠ منه (٤ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

حصلت جمعية بالحكمة بسبب جمرك البهار . وذلك أن ابراهيم بيك شيخ البلد أخذ من التجار في العام الماضي مبلغا كبيرا من حساب الباشا ، وذلك قبل حضوره من ثغر الاسكندرية ، فلما حضر دفعوا له البواقي وحاسبهم وطالبهم بذلك المبلغ فماتلوا ووعده الى حضور المراكب .

فلما حضرت المراكب في أوائل رمضان من هذه السنة أحضرهم وطالبهم ، فلم يزالوا يسوفونه ويعتذرون له — وذلك خوفا من ابراهيم بيك — ويعسدون القول على ابراهيم بيك فيقول لهم لا تفضحوني ، ويلطفهم ويداهنهم كما هي عادته ، والباشا يطالبهم ... فلما ضاق خناقهم أخبروه أن

على أفرادهم . وحصل لفقرائهم الضرر الزائد . وفيل انهم حسبوا لهم الجوارى المأخوذة منهم من أصل ذلك ... على كل رأس أربعون ريالا . وفرر أيضا على كل شخص ديناراً جزية : العمال كالدون ... وذلك خارج عن الجزية الديوانية المقررة !

الخميس ٦ منه (٣١ أغسطس ١٧٨٦ م) :

عمل محمد باشا ديوانا ، وخلع على مصطفى أغا — تابع حسن أغا ، تابع عثمان أغا وكيل دار السعادة سابقا — وقلده وكيل دار السعادة كأستاذ أستاذه ... وكانت شاغرة من أيام على بيك .

وفيه أيضا : سمحوا في جمرك البهار والسلخانة لباب الينكجيرية كما كان قدسا . وكان ذلك مرفوعا عنهم من أيام ظهور على بيك .

وفيه : انتقل عابدي باشا ودرويش باشا من ناحية البساتين الى قصر العينى بشاطئ النيل ، وجلسوا هناك .

وفيه : دفع قبطان باشا بعض دراهم السلفة التي كان اقترضها من التجار ، فدفع مال الافريج جانبا لتجار المغاربة ... بفلاق الباقي ..

وفيه : قبض القبطان على راهب من رهبان النصارى ، واستخلص منه صندوقا من ودائع النصارى .

وفيه أيضا : قبض على شخص من الأجناد من بينه بحوشقدم ، وأخرجوا من داره زلعتين مسدودتين في كل واحدة منهما يرفعها ثمانية من الرجال العتالين بالآلة ، لا يعلم ما فيها ...

الجمعة ٧ منه (١ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

عمل شيخ السادات عزومة لحسن باشا عند تربة أجداده بالقرافة .

ابراهيم بيك يطلب ذلك ويقول : « أنا محتاج لذلك في هذا الوقت . ووالدى الباشا يمهل وأنا أحاسبه به بعد ذلك »... ولم يجبروه أنه أخذه ، فلم يرض ولم يقبل ، وصار يرسل الى ابراهيم بيك يشكو له من التجار ومطلبهم ، فيرسل ابراهيم بيك مع رسوله معينين من سراجينه يقولون للتجار : « ادفعوا مطلوبات الباشا » فإذا حضر اليه التجار تملق لهم ويقول : « اشترتوا لحيثي واشتروني » ... فلم يزل التجار في حيرة بينهما . وفصد ابراهيم بيك أن التجار يدفعون ذلك التقدر ثانيا الى الباشا ، وهم يثاقلونه خوفا من أن يقهرهم في الدفع ثم حصلت الحركات المذكورة وحضور القبطان وخروج ابراهيم بيك واخوانه ، فبقى الأمر على السكوت . فلما راق الحال واطمأن الباشا أرسل بطالب التجار بالمبلغ ، وهو أربعة وأربعون ألف ريال فرائسة . فعند ذلك أفصحوا له عن حقيقة الأمر ، وأنهم دفعوا ذلك لابراهيم بيك قبل حضوره الى مصر ، فاشتد غظه وقال : « ومن أمركم بذلك ، ولا يلزمني . ولا بد من أخذ عوائدي على الكامل » . ثم انهم ذهبوا الى حسن باشا واستجاروا به فأمرهم أن يترافعوا الى الشرع . فاجتمعوا يوم الأحد في المحكمة ، وأقام الباشا من جهته وكلا وأرسله صحة أنقار من الوجاقامة ، واجتمعت التجار حتى ملأوا المحكمة . وطلبوا حضور العلماء .. فلم يحضروا . وانقض المجلس بغير تمام .

ثم حضر التجار في ثاني يوم ، وحضر العلماء .. ولم يحضر وكيل الباشا .

ثم أبرز التجار رجعة بختم ابراهيم بيك وتسلمه المبلغ مؤرخة في ١٢ شعبان أيام قائمقاميته ووكالته عن الباشا ، وأبرزوا فتاوى أيضا . وسئل العلماء فأجابوهم بقولهم : « حيث ان الباشا أرسل فرمانا

لابراهيم بيك أن يكون قائما مقامه ووكله عنه الى حين حضوره ... فلكون فعل او كبل كالأصل ، وتحلص ذمة التجار ، وليس للباشا مطالبتهم ، ومطالبته على ابراهيم بيك ... على أن ذلك ليس حقا شرعيا » .

وكتب القاضى اعلاما بذلك وأرسله الى الباشا ، وانقض المجلس على دماغ الباشا !

الخميس ١٣ منه (٧ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

تعب للسفر عدة من العساكر البحرية في المراكب ، ولحقت بالمراكب السافرة .

الجمعة ١٤ منه (٨ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

حضر أحمد باشا - والى جدة - الذي كان مقيما بشعر الاسكندرية ، الى ثغر بولاق ، فذهب لملاقاته على بيك الدفتر دار ، وكتجا الحاشية ، وأرباب الخدم . فركب صحنهم ، وبوجه الى ناحية العادلية ، وجلس هناك بالتصبر .

السبت ١٥ منه (٩ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

حضر حسن باشا ، وعابدي باشا ، ودرويش باشا الى بيت الشيخ الكرى بالأزبكية باستدعاء ، وجلسوا هناك الى العصر . وقدم لهم تقادم وهدايا . وحضروا اليه في مراكب من الخليج .

الأحد ١٦ منه (١٠ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

أحضروا عند حسن باشا رجلا من الأجناد يسمى رشوان كاشف من ممالك محمد بيك أبي الذهب ، فأمر برمي عنقه .. ففعلوا به ذلك وعلقوا رأسه قبالة باب البيت .

قيل ان سبب ذلك أنه كان بجرجا أيام الحركة ، فلما خرج رفقاؤه حضر الى مصر وطلب الأمان فأمنوه ، ولم يزل بمصر الى هذا الوقت ، فحدثته نفسه بالهروب الى قبلى فركب جواده وخرج

فقبض عليه المحافظون وأحضروه الى حسن باشا فأمر برمي عنقه . وقيل ان السبب غير ذلك .

وفيه : وصلت مراسلة من كبير العساكر البحرية وأخبروا أنهم وقع بينهم وبين الأمراء القبالي لظمة ورموا على بعضهم مدافع وقنابر من المراكب ، فانتقل المصريون من مكانهم وترفعوا جهة الجبانة ، وصار البلد حائلا بين الفريقين ، وساحل أسبوط طرد لايحمل المراكب ، ومن الناحية الأخرى جزيرة تعوقهم عن التقرب اليهم ، وصوروا صورة ذلك وهيئته في كاغد لأجل المشاهدة ، وأرسلوها مع الرسول .

وفيه : عمل الديوان بالقلعة ، وتقلد قاسم بيك أبو سيف ولاية جرجا وسارى عسكر التجريدة المعينة ضجة عابدى باشا ودرويش باشا ، ومعهم من الصناجق أيضا على بيك جركس الاسماعيلى وغيطاس بيك المصالحى ومحمد بيك كشكش ، ومن الوجاقلية خمسمائة نفر ... وأخذوا فى التجهيز والسفر .

الاثنين ١٧ منه (١١ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

حضر الى ساحل بولاق أغا من الدار الرومية ، وهو أمير اخور ، وعلى يده مثالات وخلع وهو جواب عن الرسالة بالأخبار الحاصلة ، وخروج الأمراء .. فركب أغات مستحفظان ، ومن له عادة بالركوب لملاقاته ، وطلع حسن باشا ، وعابدى باشا ، وأحمد باشا الجداوى ، ودرويش باشا ، والأمراء ، والصناجق ، والوجاقات ، والقاضى ، والمشايخ .. واجتمعوا بالقلعة ، وحضر الأغا من بولاق بالموكب ، والنوبة خلفهم ، وبقبة الأغوات وهم يحملون بقجا على أيديهم ، والمكاتبات فى أكياس حرير على صدورهم .

ولما دخلوا باب الديوان قام الباشوات والأمراء على أقدامهم ، وتلقوهم ، ثم بدأوا بقراءة المرسوم

المخاطب به حسن باشا ، فقرأوه ، ومضمونه التبريل والتعظيم لحسن باشا ، وحسن الشاء عليه بما فعله من حسن السياسة ، والوصية على الرعية ، وصرف العلائف والغلال .

وفيه : ذكر اسماعيل بيك وحسن بيك والتعريض والتأكيد على القتل والانتقام من العصاة ..

ولما فرغوا من قراءة ذلك ، أخرجوا الخلعة المخصوصة به ، فلبسها — وهى فروة سمور وققطان أصفر مقصب مفرق الأكمام — فلبسه من فوق .. وسيف محوهر تقلد به

ثم قرأوا المرسوم الثانى ، وهو خطاب لمحمد باشا بكن ، المتولى . ومعه الخطاب للقاضى والعلماء والأمراء والوجاقلة ، والثناء على الجميع ، والنسق المتقدم فى المرسوم السابق . ثم لبس الخلعة المخصوصة به — وهى فروة وققطان .

ثم قرأوا المرسوم الثالث ، وهو خطاب لأحمد باشا ، والى جدة ، بمثل ذلك . ولبس خلعتة أيضا — وهى فروة وققطان .

ثم قرئ المرسوم الرابع ، وفيه الخطاب لعابدى باشا ، ومضمونه ما تقدم . ولبس أيضا خلعتة وفروته .

ثم قرئ المرسوم الخامس ، ومضمونه الخطاب لدرويش باشا ، وذكر ما تقدم . ولبس خلعتة .

ثم مرسوم بالخطاب لعلى بيك الدفتردار ، ومضمونه الشاء عليه من عدم التأخر عن الاجابة والنسق .

ثم فرمان ثان ، وهو خطاب لأمير الحج ، والوصية بتعلقات الحج ..

فما فرغوا من ذلك الا بعد الظهر ، ثم ضربوا مدافع كثيرة ، ودخلوا الى داخل ، وجلسوا مع بعضهم ساعة ، ثم ركبوا ونزلوا الى أماكنهم . وكان ديوانا عظيما ، وجمعة كبيرة لم تعهد قبل

ذلك . ولم يتفق أنه اجتمع في ديوان خمسة
باشوات في آن واحد ..

الأربعاء ١٩ منه (١٣ سبتمبر ١٧٨٦) :

عمل الباشا ديوانا ، وخلع على باكير أغا
مستحفظان وقلده صنجقا ، وخلع على عثمان أغا
الوالى وقلده أغات مستحفظان عوضا عن باكير
أغا

الخميس ٢٠ منه (١٤ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

خلع الباشا على اسماعيل كاشف من أتباع
كشكش وقلده واليا عوضا عن عثمان أغا المذكور ،
وأقر أحمد أفندي الصفائي في وظيفته روزنامجي
أفندي على عادته ، وكانوا عزموا على عزله
وأرادوا نصت غيره فلم يتها ذلك .

وفيه : وصل ابراهيم كاشف من طرف اسماعيل
بيك وحسن بيك ، وأخبر بقدمهما ، وأنها وصلا
الى شرق أولاد يحيى ، وأرسلا يستأذنان في المقام
هناك بالجمعية ، حتى تصل العساكر المعينة فيكولوا
معهم .. فلم يجبه حسن باشا الى ذلك ، وحثه على
الحضور فيقاله ، ثم يتوجه من مصر ثانيًا ، ثم
أجيت الى المقام حتى تأتيهم العساكر .

وأخبرا أيضا أن الأمراء القبليين لم يزالوا مقيمين
بساحل أسيوط على رأس المجرور ، وبنوا هناك
متاريس ونصبوا مدافع ، وأن المراكب راسية
تجاههم ولا تستطيع السير في ذلك المجرور الا
باللبان .. لقوة التيار ومواجهة الريح للمراكب .

وفيه : استعفى على بيك جركس الاسماعيلي
من السفر ، فأعفى .. وعين عوضه حسن بيك
رضوان .

وأنفق حسن باشا على العسكر : فأعطى لكل
أمير خمسة عشر ألف ريال ، وللوجاقلية سبعة عشر
ألف ريال .

وأنفق عابدى باشا في عسكره النفقة أيضا :
فأعطى لكل عسكرى خمسة عشر قرشا .. ففضبت
طائفة الدلاة ، فاجتمعوا بأسرهم وخرجوا الى
العادية يريدون الرجوع الى بلادهم . وحصل في
وقت خروجهم زعجة في الناس . وأغلقت الحوانيت
ولم يعرفوا ما الخبر !

ولما بلغ حسن باشا خبرهم ركب بعسكره
وخرج يريد قتلهم . وخرج معه المصريون ، وركب
عابدى باشا أيضا ولحقه عند قصر قايماز — وكان
هناك أحمد باشا الجداوى ، فنزل اليه أيضا ،
 واجتمعوا اليه ، واستعطفوا خاطره ، وسكنوا
غضبه ، وأرسلوا الى جماعة الدلاة فاسترضوهم
وزادوا لهم في نفقتهم ، وجعلوا لكل نفر أربعين
قرشا .. وردوهم الى الطاعة .

ورجع حسن باشا وعابدى باشا الى أماكنهم
قبيل الغروب .

وفي صبح ذلك اليوم سافر اسماعيل كاشف
بطائفة من العسكر في البحر الى جهة قبلى .

وفيه (أعنى يوم الخميس) : أخرجوا جملة
غللال من حواصل بيوت الأمراء الخارجين ..
فأخرجوا من بيت أيوب بيك الكبير ، وبيت أحمد
أغا الجميلية ، وسليمان بيك الأغا ، وغيرهم .

وفيه أيضا : أخذت عدة ودائع من عدة أماكن ،
وتشاجر رجل جندي مع خادمه ، وضربه وطرده ،
ولم يدفع له أجرته .. فذهب ذلك الخادم الى
حسن باشا ، ورفع اليه قصته ، وذكر له أن عنده
صندوقا مملوءا من الذهب من ودائع الغائبين .
فأرسل صحبته طائفة من العسكر فدلهم على مكانه
فأخرجوه وحملوه الى حسن باشا .. وأمثال ذلك .

الجمعة ٢١ منه (١٥ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

فتحوا بيت المعلم ابراهيم الجوهري وباعوا

ما فيه وكان شيئا كثيرا من فرش ومصاغ وأوان وغير ذلك .

السبت ٢٢ منه (١٦ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

برز عابدى باشا ودرويش باشا وأخرجا خيامهما الى البساتين قاصدين السفر .

وفيه : ركب على بيك الدفتردار وذهب الى بولاق ، وفتح الخواصل وأخرج منها الغلال لأجل البقسماط والعليق .

الاحد ٢٣ منه (١٧ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

نودى على الغز والأجناد والأتباع البطالين أن يخدموا عند الأمراء .

الاثنين ٢٤ منه (١٨ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

سافر عابدى باشا ودرويش باشا .

وأخرج الأمراء الصناجق خيامهم ، ونصبوا مكان المرتحلين .

وفيه حضر باشا من ناحية الشام — وهو أمير كبير من أمراء شين أغلى — وصحبته نحو ألف عسكرى ، فنزل بهم بالعادية .

الثلاثاء ٢٥ منه (١٩ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

دخلت عساكر المذكور الى القاهرة ، وأميرهم توجه الى ناحية البساتين من نواحي باب الوزير .

وفيه : غمز على مكان بيت أنوب بيك الكبير مسدود الباب ، ففتح وأخرج منه أشياء كثيرة ، وكذلك بيت المعلم ابراهيم الحوهرى مكان مرتفع مهدوم الدرج ، وكان ذلك المكان لولده وقد مات من نحو ستين . فلما مات هدم الدرج التى بتوصل منها اليه حزنا عليه وتركه بما فيه ، فصعدوا اليه وأخرجوا منه أشياء كثيرة من فرش وأمتعة مزركشة وأواني ذهب وفضة وصينى وغير ذلك فأحضرت

جميعها الى حسن باشا وباعها بين يديه بالمزاد فى عدة أيام .

وفيه : قتل حسن باشا شخصين من عسكر عابدى باشا ، تخلفا عنه ، فقبض عليهما وأحضرهما اليه ، فأمر بقتلهما ، ففعلوا بهما ذلك تجاه الباب .

الخميس ٢٧ منه (٢١ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

سافر أمير شين أغلى بعساكره جهة قبلى .

الجمعة ٢٨ منه (٢٢ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

نودى بفرمان بمنع زفاف الأطفال للختان فى يوم الجمعة بالطبول . وسبب ذلك أن حسن باشا صلى بجامع المؤيد شيخ ، الذى بباب ذويلة ، فعندما شرع الخطيب فى الخطبة واذا بضجة عظيمة وطبول مرعجة ، فقال الباشا : « ما هذا ؟ » فأخبروه بذلك فأمر بمنع ذلك فى مثل هذا الوقت .

ذو الحجة

الاثنين غرته (٢٥ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

أشيعت أخبار وروايات ووقائع بين الفريقين وأن جماعة من القبالي حضروا بأمان عند اسماعيل بيك .

الثلاثاء ٢ منه (٢٦ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

حضر الى مصر ، فيض الله افندى ، رئيس الكتاب ، فتوجه الى حسن باشا ، فتلقيه بالاجلال والتعظيم ، وقابله من أول المجلس . ثم طلع الى القلعة وقابل محمد باشا أيضا ، ثم نزل الى دار أعدت له ، ثم انتقل الى دار بالقلعة عند قصر يوسف .

الخميس ٤ منه (٢٨ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

حضر أغا ، وعلى يده تقرير لمحمد باشا على السنة الجديدة ، فركب من بولاق الى العادية ، وخرج اليه أرباب الخدم والدفتردار وأغات مستحفظان ، وأغات العزب والوجاقلية ، ودخل

بموكب عظيم من باب النصر ، وشق القاهرة ،
وطلع الى القلعة .

السبت ٦ منه (٣٠ سبتمبر ١٧٨٦ م) .

نودي بأن من كانت له دعوة وانقضت حكومتها
في الأيام السابقة ، لاتعاد ولا تسمع ثانيا ، وسبب
ذلك تسلط الناس على بعضهم في التداعي .

وفيه : ردت السلفة التي كانت أخذت من تجار
المغاربة ، وهي آخر السلف المدفوعة .

الأربعاء ١٠ منه (٤ أكتوبر ١٧٨٦ م) :

كان عيد النحر ، وفيه وردت أخبار من الجهة
القبليّة بوفوع مقتلة عظيمة بين الفريقين ، وقتل
من المصرية عمر كاشف الشرقية ، وحسن كاشف
وسليمان كاشف ، ثم انحازت العسكر الى المراكب ،
ورجع الأمراء الى وطاقهم ، فاغتم حسن باشا
لتسادي أمرهم ، وكان يرجو انقضاءه قبل دخول
الشتاء ويأخذ رؤوسهم ويرجع بهم الى سلطانه
قبل هبوط النيل لسير المراكب الرومية .. حتى انه
سنع من فتح الترع التي من عاداتها الفتح بعد
الصليب — كبحر أبى المنجا ومويس والقرنين —
خوفا من نقص الماء فتتعوق المراكب الكبار .

وفيه : حضر واحد ططرى ، وعلى يده مرسوم ،
فطلب حسن باشا محمد باشا المتولى فنزل اليه وجمع
الديوان عنده ، فقرأ عليهم ذلك المرسوم وحاصله :
الحث والتشديد والاجتهاد في قتل العصاة ،
والفحص عن أموالهم وموجوداتهم ، والانتقام ممن
تكون عنده وديعة ولا يظهرها ، وعدم التفريط في
ذلك .. وطلب حلوان عن البلاد ، فأنظ ثلاث
سنوات .

وفيه : حضر ابراهيم بيك قشطة الاسماعيلي —
وصحبته زوجته ، ابنة اسماعيل بيك ، وحريم

اسماعيل بيك أيضا — وسكنوا في دارهم التي
ببركة الأزبكية .

الخميس ١٨ منه (١٢ أكتوبر ١٧٨٦ م) :

حضر عثمان بيك طبل الاسماعيلي ، فذهب
عند على بيك الدفتردار . وتوجه صحبته الى حسن
باشا ، فسأله عن أحوال العسكر ، وأخبره أنهم
محتاجون لنفقة وذخيرة ، وأن عساكر عابدى باشا
ثعبانون بسبب قلة النفقة ، وحاصل عندهم قلقة ،
وأن الأمراء القبالي ترفعوا الى طحطا .. فأمر حسن
باشا بتشهيل بقسمات واحتياجات ، وأوصل عثمان
بيك مائتين وسبعين كيسا برسم النفقة .

الاحد ٢١ منه (١٥ أكتوبر ١٧٨٦ م) :

سافر عثمان بيك المذكور ، وأرسلوا خلفه
المراكب المشحونة بالبقسمات والشعير والسمن
والزيت .

٢٤ منه (١٨ أكتوبر ١٧٨٦ م) :

خلع على أحمد جاويش المجنون ، وتقلد كتخدا
مستحفظان .

في اواخره (اواخر أكتوبر ١٧٨٦ م) :

أرسل عابدى باشا مكاتبة حضرت له من الأمراء
القبالي . وصورتها — وهى جواب عن رسالتهم ،
وهى باللغة التركية ، وحاصل ما فهمته من ذلك :
« أنكم تخاطبوننا بالكفرة والمشركين والظلمة
والعصاة .

« وانا — بحمد الله تعالى — موحدون ،
واسلامنا صحيح ، وحجينا بيت الله الحرام .

« وتكفير المؤمن كفر ، ولسنا عصاة ولا مخالفين .
وما خرجنا من مصر عجزا ولا جينا من الحرب الا
طاعة للسلطان ولنائبه ، فانه أمرنا بالخروج حتى
تسكن الفتن وحققنا للدماء ، ووعدنا أنه يسعى لنا

في الصلح .. فخرجنا لأجل ذلك ولم نرض بأشهار
السلاح في وجوهكم ، وتركنا بيوتنا وحريمتنا في
عرض السلطان ، ففعلتم بهم ما فعلتم ، ونهبتهم
أموالنا وبيوتنا ، وهتكتم أعراضنا وبغتم أولادنا
وأحرارنا وأمهات أولادنا .. وهذا الفعل ماسعنا
به ولا في بلاد الكفر .

« وما كفاكم ذلك حتى أرسلتم خلفنا العساكر
يخرجونا من بلاد الله ، وتهددونا بكثرتكم . وكم
من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، وأن عساكر
مصر أمرها في الحرب والشجاعة مشهور في سائر
الأقاليم ، والأيام بيننا .

« وكان الأولى لكم الاجتهاد والهمة في خلاص
البلاد التي غصبها منكم الكفار واستولوا عليها ،
مثل بلاد القرم والودن واسماعيل وغير ذلك » .
وأمثال هذا القول ، وتخشين الكلام تارة
وتليينه أخرى . وفي ضمن ذلك آيات وأحاديث
وضرب أمثال وغير ذلك .

فأجابهم عابدي باشا ونقض عليهم ، ونسب
كاتبهم الى الجهل بصناعة الانشاء ، وغير ذلك مما
يطول شرحه .

وانقضت هذه السنة وما وقع بها من الحوادث
الغريبة .

ومات في هذه السنة الشيخ العلامة المحقق ،
والفهامة المدقق ، شيخنا الشيخ محمد بن موسى
الجناجي ، المعروف بالشافعي . وهو مالكي
المذهب . أحد العلماء المعدودين ، والجهابذة
المشهورين . تلقى عن مشايخ عصره ، ولازم
الشيخ الصعيدي ملازمة كلية ، وصار مقرئه
ومعيدا لدروسه .

وأخذ عن الشيخ خليل المغربي والسيد البليدي .
وحضر على الشيخ يوسف الحفني والملوي .

وتنهر في المعقول والمنقول ، ودروس الكتب
المشهورة الدقيقة ، مثل : « المغنى » لابن هشام ،
والأشمونى ، والفاكهى ، والسعد ، وغير ذلك .
وأخذ علم الصرف عن بعض علماء الأروام !
وعلم الحساب والجبر والمقابلة وشباك ابن الهائم
عن الشيخ حسين المحلاوى .

واشتهر فضله في ذلك وألف فيها رسائل .
وله في تحويل النقود بعضها الى بعض رسالة
نقيسة تدل على براعته وغوصه في علم الحساب .
وكان له دقائق وجودة استحضر في استخراج
المجهولات وأعمال الكسورات والقسمه
والجذورات ، وغير ذلك من قسمة الموارث
والمناسخات والأعداد الصم والحل والموازن ...
ما انفرد به عن نظائره ...

وكان مهذب الأخلاق جدا ، متواضعا ، لا يعرف
الكبر ولا التصنع أصلا ، يلبس أى شئ من الثياب
الناعمة والخشنة ، ويذهب بعماره الى جهة
بولاق وبشترى البرسيم ويحمله عليه ويرك
فوقه ، ويحمل طبق المعجن الى القرن على رأسه ،
ويذهب في حوائج اخوانه .

ولما بنى محمد بك أبو الذهب مسجده تجاه
الأزهر تقرر في وظيفة خزن الكتب ليابة عن محمد
أفندي حافظ ، مضافة الى وظيفة تدريس مع
المشايخ المقررين ... فلازم التقيد بها ، وينوب
عنه أخوه الشيخ حسن في غيابه .

وكان أخوه هذا ينسخ أجزاء القرآن بخط
حسن في غاية السرعة ، ويتحدث مع الناس وهو
يكتب من حفظه ولا يغلط .

ولم يزل المترجم (أى صاحب السيرة) يملئ
ويفيد ، ويبدى ويبعد ، مقبلا على شأنه ، ملحوظا
بين أقرانه ، حتى وافاه الحمام في سابع عشرين
جمادى الآخرة من السنة مطعونا (١) . وصلى عليه

(١) أى انه مات بالطاعون .

بالأزهر في مشهد حافل ، ودفن بترية المجاورين .

ومات فيها أيضا لأجل المكرم أحمد بن عياد
المغربي الجربى .

كان من أعيان أهل تونس ، وتولى بها
الدواوين ، وأثرى ، فوقع بينه وبين اسماعيل
كتخدا حمودة — باشة تونس — أمور أوجبت
جلاءه عنها . فنزل في مركب بأهله وأولاده وماله ،
وحضر الى اسكندرية . فلما علم به القبطان أراد
القبض عليه ، وأخذ أمواله ، فشفع فيه نعمان
أفندى قاضى الشر — وكان له محبة مع القبطان
— فأفرج عنه ، فأهدى ابن عياد لنعمان أفندى
ألف دينار في نظير شفاعته كما أخبرنى بذلك نعمان
أفندى المذكور .

ثم حضر الى مصر ، وسكن بولاق بشاطئ
النيل بجوار دارنا التى كانت لنا هناك ، ومعه ابنه
صغيرا ، وتحوا اثنتى عشرة سرية من السراى
الحسان ، طوال الأجسام ، وهن لابسات ملابس
الجزائر بهيئة بدیعة تفتن الناسك . وكذلك عدة
من الفلمان المماليك ... كأنما أفرغ الجميع في
قالت الحمال .. وهم الجميع بذلك الزى !

وصحبه أيضا صناديق كثيرة ، وتحائف
وأمتعة ... فأقام بذلك المكان متجمعا عن الناس ،
لا يخرج من البيت قط ، ولا يحالط أحدا من
أهل البلدة ، ولا يعاشر الا بعض أفراد من أبناء
جنسه يتونونه في النادر . فأقام نحو ثمانى سنوات .
ومات أكثر جواريه ومماليكه وعبيده .

وخرج بعده من تونس اسماعيل كتخدا أيضا
فارا من حمودة باشا ابن على باشا ، وحضر الى
مصر ، وحج ، ورجع الى اسلامبول واتصل بحسن
باشا ولازمه فاستوزره وجعله كتخداه .

فلما حضر حسن باشا الى مصر أرسل اليه ابن
عياد مقدمة وهدية فقبلها .

وحضر أيضا في أثره اسماعيل كتخداه المذكور ،
فأغراه به لما في نفسه منه من سابق العداوة .
والظلم كمين في النفس : القوة تظهره ، والضعف
يخفيه .

فأرسل حسن باشا بطلب ابن عياد للحضور اليه
بأمان فاعتذر وامتنع ، فسكت عنه أياما ثم أرسل
يستقرض منه مالا فأبى أن يدفع شيئا ، ورد الرسل
أقبح رد ، فرجعوا وأخبروا اسماعيل كتخدا —
وكان بخان الشرايى بسبب المطلوب من التجار
— فحقن لذلك وتحرك كامن ما في قلبه من العداوة
السابقة ، وركب في الحال وذهب الى بولاق
ودخل الى بيته وناداه ، فأجابه بأحسن الجواب ،
وأبى أن ينزل اليه ، وامتنع في حرمه ، وقال له :
« أما كمالك أنى تركت لك تونس حتى أتيتنى الى
هنا ؟ » ... وضرب عليه بنادق الرصاص ، فقتل
من أتباعه شخصين ، فهجم عليه اسماعيل كتخدا ،
وظلموا اليه وتكاثروا عليه وقتلوه ، وقطع رأسه ،
وأراد قتل ولده أيضا فوقعته عليه أمه فتركوه .
وأخرجوا جثته خارج الزقاق ، فألقوها في طريق
المارة . وأخرجوا ساءه وخدمه واحتاطوا
بالبیت وختموا عليه .

ورجع اسماعيل كتخدا الى خان الشرايى وهو
ملطخ بالدم ، وبه الحاج سليمان الساسى ... فلقطه
على وجهه وقال : « بلغ منكم — باجربيون —
تفعلون هذه الفعال ، وتحاربون رجال الدولة ؟ »
... وقبض عليه وصادره ..

وما الدهر ، في حال السكون ، بساكن
ولكنه مستجمع لوثوب

سنة ١٢٠١ هجره

المحرم

الاثنين ٧ منه (٣٠ أكتوبر ١٧٨٦ م) :

حضر اسماعيل بيك في تطريدة الى مصر ،
فركب بمفرده وهو ملثم بمنديل . وحضر عند
حسن باشا وقابله ، وهو أول اجتماعه به . فجلس
معه مقدار درجتين لا غير ، واستأذنه في القيام ،
فخلع عليه فروة سمور وقام وذهب الى بيت
مملوكه على بيك جركس ، وهو بيت أيوب بيك
الصغير الذي في الحبانية .

وكان السبب في حضوره على هذه الصورة أنه
في يوم الخميس ٣ المحرم (٢٦ أكتوبر ١٧٨٦ م)
التقوا مع الأمراء القبليين واتفقوا معهم عند
المنشية ، فكان بينهم وقعة عظيمة وقتل من الفريقين
جملة كبيرة وأبلى فيها المصريون البحرية والقبليّة
مع بعضهم ، وتنحت عنهم العساكر العثمانية
ناحية ، وهجمت القبالي ، وألقوا بأنفسهم في نار
الحرب ، وطلب كل غريم غريمه . ثم اندفعت
العثمانية مع البحرية وظهر من شجاعة عابدى باشا
ما تحدث به الفريقان في شجاعته .

وأصيب اسماعيل بيك برشة رصاص دخلت في
فمه وطلعت من خده ، فولى منهزما ، وألقى
نفسه في البحر ، وركب في قنجة ، وحضر الى مصر
على الفور ، ولم يدر ماذا جرى بعده .

فلما حضر على هذه الصورة وأشيع وقوع
الكسرة والهزيمة على التجريدة اضطربت الأقاويل ،
واختلفت الروايات ، وكثرت الأكاذيب ، وأربح
العثمانيون ، وأرسل حسن باشا الرسل لاحتضار
العساكر التي بالاسكندرية وكذلك أرسل الى
بلاد الروم .

السبت ١٢ منه (٤ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

حضر حسن بيك الداوى ، وجماعة من
الوحدات والعساكر ، فذهب حسن بيك الى حسن
باشا ، وقابله — وقد أصيب بسيف على يده —
فخلع عليه فروة ، ثم ذهب الى بيته القديم .. وهو
بيت الداودية .

وكذلك حضر بقية الأمراء الصناجق ، وأصيب
قاسم بيك بضربة جرحت أنفه .

وكذلك حضر عابدى باشا ، وطلع الى قصر
العينى وأقام به .

وفيه : حضر ططرى وعلى يده مرسوم بعزل محمد
باشا عن ولاية مصر وولاية عابدى باشا مكانه ،
وأن محمد باشا يتوجه الى ولاية ديار بكر عوضا
عن عابدى باشا . فشرع عابدى باشا في نقل عزاله
الى بولاق ، فتحدث الناس أن ذلك من فعل حسن
باشا لأن بينهما أمورا باطنية .

الاثنين ١٤ منه (٦ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

عمل حسن باشا ديوانا في بيته اجتمع فيه
جميع الأمراء والصناجق والمشايخ ، وألبس
اسماعيل بيك خلعة وجعله شيخ البلد وكبيرها ،
وألبس حسن بيك خلعة وفلده أمير الحج . ثم
قال يخاطب الجمع : « هذا اسماعيل بيك حضر
اليكم وصار كبيركم ، فشدوا عزمكم وتأهبوا
لقتال أخصامكم وكل انسان يقاتل عن نفسه ..
فسكتوا جميعا ولم يجيبوه فقال أحمد جرجى
أرنؤود : « كيف يخرجون من غير مصروف ؟ وكل
انسان يلزمه أتباع وخدم ودواب » . فقال :
« الذى يأكله الانسان في يوم يقسمه على
يومين » . فخرجوا من مجلسه وهم كاظمون
لغيظهم .

هذا واسماعيل بيك متملئ من جرحه ،

والسيد عثمان الحمامي يعالجه ، وأخرج من عنقه ست عشرة زرقة من زرد الزرخ ، فإن الرصاص لما أصابه منعه الزرخ من الغوص في الجسد فغاص نفس الزرد ، فأخرجه السيد عثمان بالآلة واحدة بعد واحدة بغاية المشقة والألم ، ثم عالجه بالأدهان والمراهم حتى برىء في أيام قليلة .

وفيه : حضر الى اسماعيل بيك رجل بدوى وأخبر أن الجماعة القبليين زحفوا الى بحرى ووصلت أوائلهم الى بنى سويف ، وأخبر أنه مات منهم مصطفى بيك الداوودية ، ومصطفى بيك السلحدار ، وعلى أغا — خازن دار مراد بيك سابقا — ونحو خمسة عشر أميرا من الكشاف ، وأن نفوسهم قويت على الحرب .

الثلاثاء ١٥ منه (٧ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

حضر اسماعيل أغا كمشيش — وكان ممن تخلف في الأسر عند القبليين — فأفرجوا عنه وأرسلوا معه مكاتبة يذكر فيها طلب الصلح وتوبتهم السابقة .. واستعدادهم للحرب ان لم يجابوا في ذلك .

الأربعاء ١٦ منه (٨ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

نزل محمد باشا من القلعة ، وذهب الى بولاق .

الخميس ١٧ منه (٩ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

نودى على النفر والألضاشات والأجناد والممالك بأن يتبع كل شخص متبوعه وبابه . ومن وجد بعد ثلاثة أيام بطالا — ولم يكن معه ورقة — يستحق العقوبة .. وكذلك حضور الغائبين بالأرياف .

وفيه : أخذ أحمد باشا القبطان — المعروف بحماجي أوغلى — المراكب الرومية التى بقيت في النيل وجملتها نقاير وصعد بهم الى ناحية دير الطين قريبا من التين ، وشرعوا في عمل متاريس وحفر

حنادق هناك ، ونقلوا جملة مدافع أيضا .

وكان أشيع طلوع عابدى باشا الى القلعة في ذلك اليوم فلم يطلع ، وحضر عند حسن باشا وتكلم معه كلاما كثيرا وقال : « كيف أطلع وأتسلطن في هذا الوقت والأعداء زاحفون على البلاد ، وأولاد أخى قتلوا في حربهم ؟ ولا أطلع حتى آخذ بثأرهم أو أموت » .

ثم قام من عنده ورجع الى قصر العبنى .

وفيه : سافر عمر كاشف الشعراوى لملاقة لحجاج الى القلزم ، وحضرت مكاتيب الجبل على العادة القديمة ، وأخبروا بالأمن والراحة .

الجمعة ١٨ منه (١٠ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

خرج رضوان بيك بلفيا ، وسليمان بيك الشابورى ، وعبد الرحمن بيك عثمان .. وبرزوا خيامهم ناحية البساتين .

وفيه : عمل حسن باشا ديوانا ، وخلع على ثلاثة أشخاص من أمراء حسن بيك الجداوى وقلدهم صناجق وهم : شاهين وعلى وعثمان .

وفيه : حضر الى مصر ذو الفقار الخشاب — كاشف الفيوم ، المعروف بأبى سعده .

السبت ١٩ منه (١١ نوفمبر ١٧٨٦ م) .

خرج غالب الأمراء الى ناحية البساتين ، وورد الخبر عن القبليين أنهم لم يزالوا مقيمين في ناحية بنى سويف .

وفيه : أنفق حسن باشا ثلث النفقة على العسكر . فأعطى اسماعيل بيك عشرين ألف دينار ، وحسن بيك خمسة عشر ألفا ، ولكل صنجق عشرة آلاف ، ولكل طائفة وجاق أربعة آلاف .. فاستقل اليكجرية حصتهم ، وكتبوا لهم عرضحال يطلبون الزيادة في نفقتهم .

وفيه : طلب حسن باشا دراهم سلفة من التجار فوزعوها على أفرادهم ، فحصل لفقرائهم الضرر وهرب أكثرهم وأغلقوا حوانيتهم وحواصلهم فصاروا يسرونها وكذلك البيوت ، وطلبوا أيضا الخيول والبغال والحمير وكبسوا البيوت والأماكن لاستخراجها . وعزت الخيول جدا وغلت أثمانها .

الاثنين ٢١ منه (١٣ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

قبض حسن باشا على اسماعيل أغا كمشيش وأمر بقتله ، وأخرجوه من بين يديه وعلى رأسه دفة ، فشفع فيه الوجاقلية فعفا عنه من القتل وسجنوه .

وسبب ذلك أنه أحضر صحبته عدة مكاتيب سرا خطابا لبعض أنصار ، فظهروا على ذلك .. فوقع له ما وقع .

وفيه : عمل حسن باشا ديوانا عظيما جمع فيه الأمراء والأعيان وفرأوا مكاتبات أرسلها القبليون يطلبون الصلح والأمان ، ويذكرون لعابدى باشا ما نهب له في المعركة ، وأن يرسل قائمة بذلك ويردون له ما ضاع بتمامه . فقال عابدى باشا لحسن بيك الجداوى : « ما تقول في هذا الكلام ؟ » قال : « أقول لا تأخذه الا بالسيف كما أخذوه منا بالسيف » . فقال : « وهذا جوابي » .

ثم ان حسن بيك قال لحسن باشا : « يامولانا ، الراى أن لا يصحبنا أحد من المحمدية مطلقا ، فانهم أعداؤنا فيلحقنا منهم الضرر » . فأجابه الى ذلك وأمر بجمع خيولهم .

ثم ان حسن باشا قال يخاطب الأمراء خطابا عاما : « اسمعوا ! ربما تحدثكم نفوسكم وتقولون هؤلاء عثمانية لا نملكهم بلادنا ، أو أنهم مقصرون معنا في النفقة ، والمصرية غرضهم مع بعضهم .. فتذهبوا معنا ثم يقع منكم الخيانة والخامرة » . ثم حلف

أنه ان وقع منهم شيء من ذلك ليكون سببا في خراب مصر سبع سنوات ولا يبقى بها أحد .

وانفض الديوان ووقع الاتفاق على أن يكتبوا لهم جوابا عن رسالتهم ، ملخصها : ان كان قصدهم الصلح والأمان وقبول التوبة فانهم يجابون الى ذلك . ويحضر ابراهيم بيك ومراد بيك ويأخذ لهم حضرة القبطان أمانا شافيا من مولانا السلطان ويوجه لهم مناسب أينما يريدون في غير الاقليم المصري يتعيشون فيها بعيالهم وأولادهم وما شاءوا من مماليكهم وأتباعهم . وأما بقية الأمراء فان شاءوا حضروا الى مصر وأقاموا بها ، وكانوا من جملة عسكر السلطان ، وان شاءوا عينوا لهم أماكن من الجهات القبلية يقيمون بها ، وان أبوا ذلك فليستعدوا للحرب والقتال .

الثلاثاء ٢٢ منه (١٤ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

قبض حسن باشا على عمر كاشف الذى سكنه بالشيخ الظلام ، وعلى محمد أغا البارودى ، وأمر بحبسهما عند اسماعيل بيك . وسبب ذلك المكاتبات التى تقدم ذكرها مع اسماعيل أغا كمشيش .

الأربعاء ٢٣ منه (١٥ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

سافر محمد افندى مكتوبجى حسن باشا بالمكاتبة الى القبليين .

وفيه : قتل رجل من عسكر القليونجية رجلا بربريا ، فاجتعت طائفة البرابرة وأخذوا قتيلهم ، وذهبوا به الى حسن باشا ، فأحضر القليونجى القاتل ... وقتله .

الخميس ٢٤ منه (١٦ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

نزل الأغا والجاوشية ونادوا على جميع الالضاشات بالذهاب الى بولاق ليسافروا فى المراكب سحبة الوجاقلية ، وكل من بات فى بيته استحق

العقوبة . وطاف الأغا عليهم يخرجهم من أماكنهم ويقف على الخانات ويسأل عن بها منهم ويأمرهم بالخروج . فأغلق الناس حوانيتهم ، وبطل سوق خان الخليلي في ذلك اليوم ، وخرج منهم جماعة ذهبوا الى بولاق ، ومنهم من طلع الى الأبواب حسب الأمر . وحصل لفقرائهم كرب شديد لكونهم لم يأخذوا نفقة ، بل رسموا لهم أنهم يأكلون على سباط بلكهم ، ويعلقون على دوابهم ... وطعامهم البقساط والأرز والعدس لاغير ، وذلك لعزة اللحم وعدم وجوده ، فإن اللحم الضاني بالمدينة بثلاثة عشر نصف فضة ان وجد ، والجاموسى بشمانية أنصاف . وزاد سعر الغلة بعد الانحطاط ، وكذلك السمن والزيت .

وفيه : نقل محمد أغا البارودى وعمر كاشف من بيت اسماعيل بيك ، وحبسوا بباب مستحفظان بالقلعة .

وفيه : أرسل القبالي أحد أولاد أخى عابدى باشا ، وكان مأسورا عندهم ، وأرسلوا صحبته منهوبات عابدى باشا ، وجملة من العساكر المجروحين وأرسلوا على كل عسكرى بدينار .

الأحد ٢٧ منه (١٩ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

حضر محمد افندى المكتوبجى من عند الجماعة — وصحبته على أغا مستحفظان — بجواب الرسالة السابق ذكرها ، فأخبر أنهم ممثلون لجميع ما يؤمرون به ما عدا السفر الى غير مصر ، فإن فراق الوطن صعب .

ويذكر عنهم أنه لم يشق عليهم شيء أعظم من تمكن أخصامهم من البلاد — أعنى اسماعيل بيك وحسن بيك — وذلك هو السبب الحاض لهم على القدوم والمحاربة .

فان لم يقبل منهم ذلك فالقصد أن يبرز لحربهم

أخصامهم ومن العساكر المشائية ... « فتكون الغلبة لنا ، أو علينا . فان كانت علينا ، وظفروا بنا ، استحقوا الامارة دوننا . وان كانت لنا ، وظفروا بهم ، فالأمر لكم بعد ذلك : ان شئتم قبلتم توبتنا ، ورددتم لنا مناصبنا ، وشرطتم علينا شروطكم ، فقمنا بها قايما لا تتحول عنه أبدا ما بقينا . وان شئتم ، فوجهتمونا الى أى جهة ، امتثلنا ذلك »

فلما ذكرا ذلك لحسن باشا ، قال لعلى أغا : « أنا ما جئت الى مصر لأعمل لهم على قدر عقولهم . وانما السلطان أمرني بما أمرت به فان كانوا مطيعين ، فليمتثلوا الأمر . والا فسيقون وبال عصيانهم » .

وكتب لعلى أغا جوابا بذلك ، وخلع عليه فروة سمور ، وسافر من وقته ورجع الى أصحابه ، وصحبته شخص من طرف الباشا .

ولما ذهب اليهم محمد افندى المكتوبجى أنعموا عليه وأكرموه ، وأعطاه مراد بيك خاصة ألف ريال ، فجعل يشنى عليهم ، ويمدح مكارم أخلاقهم .

صفر

الخميس اوله (٢٣ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

حضرت خزينة حسن باشا من ثغر الاسكندرية فدفع باقى النفقة للعسكر والأمراء .

وفيه : وصل الخبر ، أن الأمراء القبالي زحفوا الى بحرى ، ووصلت أوائلهم الى برا الحيزة وآخرهم بالرقق ، وفرضوا الكلف على بلاد الحيزة .

وفيه خرجت خيام اسماعيل بيك وحسن بيك الى ناحية طرا ، وحجزوا المعادى والمراكب ، وانحازت كلها الى البر الشرقى .

وفيه : طلب اسماعيل بيك دراهم سلفة من التجار ، فاعتذروا بقلّة الموجود بأيديهم ، وأغنياؤهم جلّوا الى الحجاز ولم يدفعوا له شيئا . وادعى على تجار

البن ، بمبلغ دراهم باقى حساب من مدته السابقة ،
فصالحوه عنها بأربعة آلاف دينار .

الجمعة ٢ منه (٢٤ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

لودى على المحمدية المقيمين بمصر أنهم يذهبون
الى اسماعيل بيك ويقابلونه : سواء كان جنديا ،
أو أميرا ، أو مملوكا ... ومن تأخر استحق
العقوبة . وقبض على أنفار منهم ، وسجنوا بالقلعة ،
وختم على دورهم ... من جبلتهم جعفر كاشف ،
الساكن عند بيت القاضى من ناحية بين القصرين .
وفيه : حضر الأغا الذى كان بصحبة على أغا المتوجه
بالرسالة ، وحضر بجوابات من القبالي ملخصها :
اننا طلبنا العفو مرارا فلم تغفوا ، ولم تقبلوا توبتنا .
وحيث كان كذلك ، فالله أولى وبه الاعانة .

السبت ٣ منه (٢٥ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

خرج حسن باشا ، واسماعيل بيك ، وحسن بيك ،
وبقية الأمراء ، وبرزوا الى نواحي البساتين
وفى تلك الليلة — أعنى ليلة الأحد — وقعت
حادثة لشخص من الأجناد يقال له اسماعيل كاشف ،
بيته فى عطفة بخط الخيمة ، قتله مماليكه .
وسبب ذلك — على ما سمعنا — تقصيره فى
حقهم ، وفى تصرفه عدة حصص جارية فى التزامه .
فكتب تقاسيظها بتمامها باسم زوجته ، ولم يكتب
لهم شيئا من ذلك .

وكان جارا ظالما ، معدودا فى جملة كشاف مراد
بيك . فلما حصلت المناذاة على المحمدية ، ذهب الى
اسماعيل بيك وقابله ، فطرده وأمره بلزوم بيته
والأ بخرج منه ... فذهب الى بيته وأرسل الى
اسماعيل بيك حصانين بعددهما : أحدهما مركوبه ،
والثانى لأحد مماليكه . وأرسل معهما درعين على
سبيل التقدمة والهدية ، ليستميل خاطره .

وكان مملوكه صاحب الحصان غائبا فى شغل ،
فلما حضر فلم يجد الجواد ، سأل عنه فأخبره
خشداشه بصورة الحال ، فدخل الى سيده وسأله
فنهزه وشتمه فخرج مقهورا ، وجلس يتحدث مع
رفيقه ، فقالوا لبعضهم : « هذا الرجل سيدنا ...
لا نرى منه الا الأذى ، ولا نرى منه احسانا ، ولا
حلاوة لسان . وكذلك الحصص كتبها لزوجته ،
ولم يفعل معنا خيرا عاجلا ولا آجلا » .

وحملهم الفيظ على أنهم دخلوا عليه بعد العشاء
وقتلوه ، فصرخت زوجته من أعلى ، ونزلت اليهم
فقتلوا أيضا ، هى وجاريتها ، فسمعت الجيران
وكثر العائط .

وحضر الوالى فوقف المملوكان وضربا عليه
بنادق الرصاص ، وتقبوا بيوت الجيران ، ونطوا
منها ...

فلم يزل حتى قبض عليهما وقتلها على رأس
العطفة ، وأصبح الخبر شائعا بين الناس بذلك .

الأحد ٤ منه (٢٦ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

حضر نجاب الحج ، وأخبر أن العرب وققت
للحجاج فى طريق المدينة ، وحاربوهم سبعة أيام ،
وانجرح أمير الحج وقتل غالب أتباعه ، وخازنداره ،
ومن الحجاج نحو الثلث ، ونهبوا غالب حملهم
بسبب عوائلهم القديمة .

الاثنين ٥ منه (٢٧ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

شق الأغا وأمامه المنادى يقول :

ان ابراهيم بيك ومراد بيك مطرودا السلطان ،
ومن كان مختفيا أو غائبا ، وأراد الظهور أو الحضور
فليظهر أو يحضر ، وعليه الأمان ، ولا بأس عليه ،
ومن خالف فلا يلومن الا نفسه .

وفيه : انتقل عساكر القليونجية ، وعدوا الى البر
الغربى ، ونصبوا هناك متاريس . وأما الأمراء

القبليون ، فانهم أخرجوا أثقالهم من المراكب وطلعوها بأجمعها الى البر ، وتركوا المراكب تذهب الى حال سبيلها ، وانحازوا جميعا عند الأهرام .

الأحد ١١ منه (٣ ديسمبر ١٧٨٦ م) :

نزل الحجاج ودخلوا مصر على حين غفلة ، وهم في أسوأ حال من العرى والجوع ، ونهبت جميع أحمال أمير الحج وأحمال التجار ، وجمالهم وأثقالهم وأمتعتهم ، وأسر العرب جميع النساء بالأحمال . وكان أمرا شنيعا جدا .

ثم ان الحجاج استغاثوا بأحمد باشا الجزائر أمير الحج الشامي ، فتكلم مع العرب في أمر النساء ، فأحضروهن عرابا ليس عليهن الا القمصان ، وأجلسوهن جميعا في مكان .

وخرجت الناس أفواجا ، فكل من وجد امرأته أو أخته أو أمه أو بنته وعرفها ، اشراها ممن هي في أسره ، وصارت المرأة من ساء العرب تسوق الأربعة من الجمال والحسنة بأحمالها ، فلا تجد مانعا . وسب ذلك كله ، رعونة أمير الحج فانه لما أراد أن توجه بالحجاج الى المدينة ، أرسل الى العرب ، فحضر اليه جماعة من أكابرهم ، فدفع لهم عوائد سميت ، وفسط البواقي على السنين المستقلة بموجب فرمان ، وحجز عنده أربعة أشخاص رهائن ، فبدا له أن كواهم بالنار في وجوههم ، فبلغ ذلك أصحابهم ، فقعدوا للحجاج في الطريق فبلغ أمير الحج ذلك ، فذهب من طريق أخرى ، فوجدهم رايطين فيها أيضا ، فقاتلوه قتالا هينا ، ففر هاربا ، وترك الحجاج والعرب ، فنهبوا حملته ، وقتلوا مماليكه ، ولم يبق معه الا القليل فهرب بمن نقي معه ، واختفى عن الحجاج ثلاثة أيام ولم يره أحد . وفعلت العرب في الحجاج ما فعلوه ، وأخذوا ما أخذوه ، فلم ينج منهم الا من طال

عمره ، وسلم نفسه أو اقتناها ، الى غير ذلك . وأخذوا المحمل أيضا ولم يردوه .

الاثنين ١٢ منه (٤ ديسمبر ١٧٨٦ م) :

دخل أمير الحج المذكور وخلفه محمل زوروه من المحامل القديمة ، وأشاعوا رجوعه بالكذب .. وفيه : هجم القبليون على المتاريس ، وأرادوا أن يملكوها في غفلة آخر الليل ، لعلمهم أن الأمراء والباشا ذهبوا الى مصر ، واشتغلوا بالحجاج وكان حسن باشا ، أمس ذلك اليوم ، لما بلغه حضور الحجاج ، ركب من فوره ، وذهب الى العادلية ، فقابل أمير الحج ورجع من ليلته الى الوطاق فلما هجموا على المتاريس ، كان المتترسون مستيقظين ، فضربوا عليهم المدافع من البر والبحر ، من الفجر الى شروق الشمس ، فرجعوا الى مكانهم من غير طائل ثم هجموا أيضا يوم الثلاثاء بعد الظهر ، فضربوا عليهم ورجعوا .

الأربعاء ١٤ منه (٦ ديسمبر ١٧٨٦ م) :

ركب الأمراء القبليون ، وحملوا أحمالهم ، وصعدوا الى دهشور ، وحلسوا هناك ، وحضر منهم جماعة من الأجناد بأمان ، وانضموا الى البحرين .

٢٠ منه (١٢ ديسمبر ١٧٨٦ م) :

حضر أحمد كتحدا على ، ومعه بعض كشاف ، وممالك

وفه : حصل العفو عن الأضاشات وغيرهم من المتعشين

وسبب ذلك أنه لما زاد اللاح في طلبهم ، وصار الأغا يكثر من تكرار المنادة والتفتيش عليهم في الخانات والمساكن ، وكل من صادفه بالغ في آذاه .. ضاق ذرعهم من ذلك . وشكا بعضهم للاختيارية ،

بعضهما ، فسعى فيض الله أفندي الرئيس بينهما
في ازالة ذلك .

ثم ذهب محمد باشا الى حسن باشا ، واجتمع
معه في قصر الآثار .

وفيه : حضرت مكتبة من القبالي يطلبون
الأمان ، وأن يعينوا لهم أماكن في الجهة القبليّة
يقيمون بها ويعيشون هناك ، فأجيبوا الى ذلك ،
ويختاروا مكانا يردونه ، بشرط أن يكونوا جماعة
قليلة ، ويحضر باقي الأمراء والعسكر الى مصر
بالأمان ، فلم يرضوا بالافتراق ، ولم يجابوا الا
بمثل الجواب الأول ، واستقروا ناحية بنى سويف ،
ورجعت عنهم عرب الهنادى وفارقوهم .

ربيع الأول

الجمعة أوله (٢٢ ديسمبر ١٧٨٦ م) :

فيه : حضر طبرى من الدولة ، وعلى يده مثال
لحسن باشا بأن يقيم بصر ، ولا يخرج مع
العساكر بل يستمر محافظا في المدينة ، فتحقق الناس
اقامته ، وعدم سفره .

وفيه : شرع الأمراء في التعدية الى الجهة الغربية .
فأول من عدى على بيك الدفتردار ، فعدى الى
الشمى بأثقاله . وكذلك بقية الأمراء صاروا في كل
يوم يعدى منهم جماعة .

وفيه : شرع حسن باشا في عمل « شركفك » ،
فشرعوا في عمله على ساحل بولاق تجاه الديوان .
وهو عبارة عن متريز مصنوع من أخشاب متباعدة
على مقصات من خشب ، وهى قطع مفصلات ،
يجمعها أغربة من حديد ، وعلى تلك المدادات عدة
حراب حديد مسمرة عليها ، محددة الأطراف ،
وبين كل مقصين — سفل الأخشاب الممتدة — مدفع
موضوع على شبه بسطة من الخشب ، ومساحة
ذلك نحو أربعمئة وخمسين ذراعا . وهو يوضع

فتكلموا مع حسن باشا — وكان المخاطب له أحمد
جربجى أرثوود اختيار تفكجيان — فقال له :

« ياسلطانم ! الجماعة الألفاضات مكروبون من
هذا الحال . وغالبهم فقراء . ومنهم من لا يملك
قوته . وما أعطيتموهم نفقة » .

فقال : « لست هذه الحادثة أحدثناها ... بل
ذلك أمر قديم . لأنهم نتسبون الى الوجاقات »

فقال له : « نعم . ولكن العادة القديمة كان كل
وجاق له دفتر وفيه عدة معدودة منهم ولهم
جدكات وعوائد وكساوى ... وهذا الأمر بطل من
مدة سنين » .

فلما فهم حقيقة الحال أعفاهم وأمر الأغا فنادى
عليهم بالعفو ، وكل من كان له عادة قدمة يتبعها
ويكتب اسمه في الدفتر ، يأخذ جديك .. فاطمأنوا
لذلك ...

ثم ترك هذا الأمر ، وقعدوا في حوانيتهم ،
وسكنت نفوسهم ...

اواخره (ديسمبر ١٧٨٦ م) :

أمر حسن باشا بمحاسبة محمد باشا المعزول ،
فذهب اليه أرباب الحدم والمكازيز ، واختيارية
الوجاقات ، والأفندية ، وذهبوا اليه ببولاق ،
وتحاسبوا معه ، ودققوا عليه في الحساب ، فطلع
عليه ألف ومائتان وخمسة وعشرون كيسا ، فطلب
أن يخصم منها باقى عوائده التى بذمهم الأمراء
وغيرهم . فعرفوا حسن باشا عن ذلك ، فلم يقبل
وقال :

« ان كان له شيء عند أحد يأخذه منه ، ولا بد
من احضار الدراهم التى طلعت عليه ، فانى محتاج
الى ذلك في المصاريف اللازمة للعسكر » فشددوا
عليه في الطلب ، فضاق خناقه ، واعتذر وبكى ،
وكتب على نفسه تمسكا بذلك ، واستوحشا من

على هيئات مختلفة ، مربعا ومدورا ، والعسكر من داخله متحصنون به ، واذا هجمت عليه الخيول رشقت بها تلك الحراب .

الاثنين ٤ منه (٢٥ ديسمبر ١٧٨٦ م) :

ركبت طوائف العسكر والوحدات ، ومسروا نظامهم من تحت قصر الآثار ، وحسن باشا ينظرهم فأعجبه نظامهم وترتيبهم وحسن زيهم ، ثم تتابعوا في التعدي .

الاثنين ١١ منه (اول يناير ١٧٨٧ م) :

سافر عابدى باشا ، بمن بقى معه من العسكر .

الخميس ١٤ منه (٤ يناير ١٧٨٧ م) :

كسف جرم القمر جميعه . وكان ابتداءه من رابع ساعة الى ثامن ساعة من الليل .

منتصفه (٥ يناير ١٧٨٧ م) :

حضرت عساكر من الأضات ، مثل قبرص وقرمان وغير ذلك . وجاء الخبر عن الأمراء القبالي ، أنهم وصلوا الى أسبوط ، وتخلف عنهم جملة من المماليك والأتباع في نواحي المنيا وغيرها . فمنهم من حضر الى مصر ، ومنهم من اختفى في البلاد .

وفيه : اشتكت الناس من غلاء الأسعار ، وتكلم الشيخ العروسي مع حسن باشا بسبب ذلك ، وقال له :

« في زمن العصاة ، كان الأمراء نهبون وبأخذون الأشياء من غير ثمن . والحمد لله هذا الامر ارتفع من مصر بوجودكم ، وما عرفنا موجب الغلاء أى شئ » .

فقال : « أنا لا أعرف اصطلاح بلادكم ! » .

وتشاور مع الاختيارية في شأن ذلك ، فوقع الاتفاق على عمل جمعية في باب الشكجيرية ، واحضار الأغا والمحتسب والمعلمين ، ويحصلون

تسعيرة ، وينادون بها ، ومن خالف ، أو احتكر شيئا قتل .

السبت ١٦ منه (٦ يناير ١٧٨٧ م) :

اجتمعوا في باب مستحفظان ، وحضر الشيخ العروسي أيضا واتفقوا على تسعيرة ، في الخبز واللحم والسمن وغير ذلك ، وركب الأغا وبجانبه المحتسب ، ونادوا في الأسواق ، فجعلوا اللحم الضانى بشمانية أنصاف ، وكان بعشرة ، والجاموسي بستة ، بعد سبعة ، والسمن المسلى بشمانية عشر ، والزبد بأربعة عشر ، والخبز عشرة أواق بنصف فضة ، وهكذا . فعزت الأشياء ، وقل وجود اللحم ، واذا وجد كان في غاية الرداءة ، مع ما فيه من العظم والكبد والفشة والكرشة .

السبت ٢٣ منه (١٣ يناير ١٧٨٧ م) :

سافر محمد باشا المنفصل من بولاق الى رشيد .

اواخره (يناير ١٧٨٧ م) :

وصل الخبر بأن رضوان بيك قرابة على بيك الكبير المنافق ، وعلى بيك الملط ، وعثمان بيك ، وجماعة علوية ، حضروا الى عرضي التجريدة ، وأخذوا الأمان من اسماعيل بيك وعابدى باشا . وأنهم قادمون الى مصر ، وأن القبالي استقروا بوادى طحطا مكانهم الأول ، الذي قاتلوا فيه .

ربيع الآخر

الخميس ٥ منه (٢٥ يناير ١٧٨٧ م) :

وصل المذكورون الى مصر ، وقابلوا حسن باشا ، وتوجهوا الى بيوتهم .

وفيه : ألبسوا أوده باشا بوابه ، وكان شاعرا من أيام علي بيك الكبير نحو من ثمان عشرة سنة .

الاحد ٨ منه (٢٨ يناير ١٧٨٧ م) :

ضربوا مدافع كثيرة رقت الضحى ، وكان أشيع

أهلها . فانه بلغنى أنه تعين مع حسن باشا : كذا كذا ألف من الجنس الفلانى ، وكذا كذا ألف من جنس العسكر الفلانى ، وأهم متأخرون فى الحضور عنه تحت الاحتياج ، وكذلك فى عساكر البر ، الواصلة من الجهة الشامية ، ومعهم ثمانون ألف ثور ، ومائة ألف جاموس ، برسم جر المدافع . وفى المدافع ما يسحبه خمسون ثورا ... » . ونحو ذلك ، حتى أدخل عليهم الوهم وظنوا صدقه .. !

وانحلت عرا الناس عنهم ، وخصوصا بما مناهم به من اقامة العدل ، ومنع الظلم والجور ، وغير ذلك ، حتى جذب قلوب العالم وتحولوا عن الأمراء ، وتمنوا زوالهم فى أسرع وقت ، وهيج الناس وأثارهم قبل وصول حسن باشا ، وملك القلعة ، ومهد له الأمور ... فجزاه ، بعد تمكنه ، بالخدلان والعزل ، والحساب والتدقيق ، وغير ذلك .

الأربعاء ٣ منه (٢١ فبراير ١٧٨٧ م) :

ورد نجاب ، وصحبته مكتوب ، من عابدى باشا الى حسن باشا ، وأخبر بوقوع الحرب بين الفريقين ، فى يوم الجمعة ٢٨ ربيع الآخر ، عند الأمير ضرار ، وكانت الهزيمة على القبالى . ولكن بعد أن كسروا الجردة مرتين ، وهجموا على « شركفك » ، فضربوا عليهم من داخله بالمدافع والبنادق ، وقتل لاجين بيك عند شركفك ، وقتل الكثير من عرب الهنادى ، وقبض على كبيرهم أسيرا . ومات من المصاحبين للعسكر ذو الفقار الخشاب وجماعة من الوجاقلية : منهم على جربجى المشهدى . وكانت الحرب بينهم نحو ست ساعات ، وكانت وقعة عظيمة وقتل من الفريقين ما لا يحصى .

وكان حضور هذا النجاب على الفور من غير تحقيق فلما ورد ذلك ، سر الباشا سرورا كثيرا ، وأمر بعمل شنك ، فضربوا مدافع كثيرة من قصر

فى أمسه أن التجريدة نصرت . وقتل من القبالى أناس كثيرة . فلما سمع الناس تلك المدافع ، ظنوا تحقيق ذلك ، وكثرت الأكاذيب والأقاويل ، ثم تبين أن لاشيء ، وأنها بسبب رجوع بعض مراكب رومية من ناحية الفشن ، بسبب قلة ماء النيل . ومن عاداتهم أنهم اذا وصلوا للمرساة ، ضربوا مدافع فيجابوا بشلها

منتصفه (٤ فبراير ١٧٨٧ م) :

حضر محمد كتنخدا الأشقر بسبب تجهيز ذخيرة ولوازم ومصاريف ، فهيئت ، وأرسلت ، وكذلك قبل ذلك مرارا كثيرة ، وأخبر أن التجريدة وصلت الى دجرجا ، وأن القبالى ارتحلوا منها وصعدوا الى فوق ، وتباعدوا عن البلد نحو ست ساعات . ثم انقطعت الأخبار .

جمادى الأولى

فيه : زاد قلق حسن باشا بسبب تأخر الجوابات وطول المدة .

وفيه : عين حسن باشا ، على محمد باشا برشيد ، وشدد عليه فى طلب الدراهم . وضايقوه حتى باع أمتعه وحوائجه ، وغلق ماعليه ، وتوفيت زوجته ، فحزن عليها حزنا شديدا مع ما هو فيه من الكرب ، ولم يفده من فعائله وهمته التى فعلها بصر عند قدوم حسن باشا شىء ، وجازاه بعد ذلك بأقبح المجازاة ! فانه لولا أفاعيله وتمويهاته وأكاذبه ، ما تمكن حسن باشا من دخول مصر . فانه كان يعظم الأمر على الأمراء المصريين ، وبهول تهويلات كثيرة عليهم ، وعلى المشايخ ، واختيارية الوجاقات ويقول :

« اياكم والعناد ... واياكم أن توقعوا حربا ، فانكم تخربون بلادكم ، وتكونون سببا فى هلاك

العيني والقلعة ، وضربوا النوبة السلطانية في برج القلعة ، وكذلك نوبة حسن باشا تحت القصر ، وأرسل المبشرين الى الأعيان ، كالشيخ البكرى ، والشيخ السادات ، وأكابر الوجاقات ، وحضروا جميعا للتهنئة .

وفي عصر ذلك اليوم أحضر آلات اللهو والضرب ، فضربوا نوبة بين يديه ، وعمل في ليلتها شنكا وحرقة صواريخ ونفوطا ، وابتهج ابتهاجا عظيما ، وسكن ما كان به من الوجل .

السبت ٦ منه (٢٤ فبراير ١٧٨٧ م) :

حضرت عدة مكاتبات من أمراء التجريدة ، فأخبروا فيها بتلك الواقعة ، وأن القبالي صعدوا ، بعد الهزيمة ، الى عقبة الهو على جرائد الخيل . فلم يصعدوا خلفهم ، لصعوبة المسلك على الأحمال والأثقال ، وأنهم منتظرون حضور مراكبهم وما فيها من الذخيرة ، فيحملوا الأحمال ، ويسيروا بأجمعهم خلفهم من الطريق المستقيم ، التي توصل الى خلف العقبة . وأخبروا أيضا ، أنهم استولوا على حملاتهم ومتاعهم ، حتى بيع الجمل وعليه النقاقير بخمسة رياللات ونحو ذلك .

ومن الحوادث في هذه الأيام : وقوع الموت الذريع في الأبقار ، حتى صارت تتساقط في الطرقات . ومات لابن بسيوني غازي ، بناحية سندبون خاصة ، مائة وستون ثورا . وقس على ذلك .

الأربعاء ١٠ منه (٢٨ فبراير ١٧٨٧ م) :

طلب الباشا حوضا ليعمله حنيفة ، فأخبره الحاضرون ، وعرفوه بالحوض الذي تحت الكباش ، المعروف بالحوض المرصود . فأمر باحضاره ، فأرسلوا اليه الرجال والجمالين ، وأرادوا رفعه من مكانه ، وازدحمت عليه الناس من الرجال والنساء ،

لما تسامعوا بذلك ، لينظروا ماشاع وثبت في أذهانهم من أن تحته كنزا ، وهو مرصود على شيء من العجائب ، أو نحو ذلك ، وإن الباشا يريد الكشف عن أمره . فلما حصل ذلك الازدحام ، ووجده الحمالون ثقيلًا جدا - وهم لا يعرفون صناعة جر الأثقال - وحركوه عن مكانه يسيرا ، وبلغ الباشا ما حصل من ازدحام العامة ، أمر بتركه . فتركوه ومضوا ، فذهب العامة في أكاذيبهم كل مذهب : فمنهم من يقول انهم لما حركوه ، وأرادوا جره ، رجع بنفسه ثانيا ، ومنهم من يقول غير ذلك من السخافات .

الثلاثاء ١٦ منه (٦ مارس ١٧٨٧ م) :

وصل نيف وثلاثون رأسا من قتلى القبليين ، فألقوهم عند باب القلعة بالرميلة ، على سرير من جريد النخل ، وأبقوهم ثلاثة أيام . ثم دفنوهم ، ووجد فيهم رأس عزوز كنتخدا عزبان .

وفي ذلك اليوم أمر الباشا بشنق رجلين من الغيطانية تشاجرا مع طائفة من العسكر وضرباهم ، وأخذوا سلاحهم . ورفعت الشكوى الى الباشا فأمر بشنق الغيطانية ظلما على الشجرة التي عند القنطرة فيما بين طريق مصر القديمة وطريق الناصرية .

السبت ٢٠ منه (١٠ مارس ١٧٨٧ م) :

تقلد حسن أغا - كتبخدا على بيك الدفتردار ، المعروف بحسن جلبى - الحسبة ، وعزل ابن ميلاد .

الاثنين ٢٢ منه (١٢ مارس ١٧٨٧ م) :

نظر أصحاب الدرك عدة هجانة مرت من ناحية الجبل ، معهم أمتعة وثياب مرسله الى القبالي ، من نسائهم . فركبوا خلفهم ، فلم يدركوهم ، وأشاعوا أنهم قبضوا عليهم من غير أصل . ووصل خبرهم حسن باشا ، فاغتاظ على الأغا والوالى ، وأمرهما

بالذهاب الى بيوتهم ، ويسمرونها عليهن . ففعلوا ذلك ، وقبضوا على الأنغوات الطواشية والسقائين ، وحصلت ضجة في البلد ، بين الظاهر والعصر ، بسبب ذلك . وفرت زوجة ابراهيم بيك الى بيت شيخ السادات .

ثم ان رضوان بيك قرابة على بيك تشنغ في تسمير البيوت ، فقبلت شفاعته ، وأرسل لمعادى الحبيرى والحيزة ، ومنعهم من التعدية ، وحجزوهم الى البر الشرعى .

الثلاثاء ٢٤ منه (١٤ مارس ١٧٨٧ م) :

وردت بجابة وعلى أيديهم مكاتبات من عابدى باشا ، يخبر فيها بأن يحيى بيك ، وحسن كتنخدا الجربان ، حضرا اليه بأمان ، وخلع عليهم فراوى ، وصحتهم عدة من الكشاف والماليك ، وذلك بعد أن وصلوا الى اسنا ، وان القبلى ذهبوا الى ناحية أبريم فتخلف عنهم المذكورون .

الخميس ٢٦ منه (١٦ مارس ١٧٨٧ م) :

حضر اسماعيل القبطان ، وكان بصحبته حمامجى أوغلى ، وأخبر أن العسكر العثمانية ملكوا أسوان ، وأن الأمراء القبلى ذهبوا الى أبريم ، وأنهم فى أسوأ حال ، من العرى والجوع ، وغالب مماليتهم لابسون الزعابيب مثل الفلاحين ، وتخلف عنهم كثير من أتباعهم : فمنهم من حضر الى عابدى باشا بأمان ، ومنهم من تشتت فى البلاد ، ومنهم من قتل الفلاحون ، وغير ذلك من المبالغات .

فى اواخره (النصف الثانى من مارس ١٧٨٧ م) :

خلع حسن باشا على رضوان بيك العلوى وقلده كشوفية الغريبة ، وقاد على بيك الملط كشوفية المتوفية ، وقرر لهما على كل بلد أربعة آلاف نصف فضة ، ونزلا الى طنندا لأجل خفارة مولد السيد أحمد البدوى .

وفى هذا الشهر عمت البلوى بموت الأبقار والثيران ، فى سائر الاقليم البحرى ، ووصل الى مصر ، حتى انها صارت تتساقط فى الطرقات وغيطان المرعى ، وجافت الأرض منها : فمنها ما يدركونه بالذبح ، ومنها ما يموت . ورخص سعر اللحم البقرى جدا لكثرتة ، حتى صار يباع بمصر ، آخر النهار ، كل رطلين بنصف فضة .. مع كونه سينا غير هزيل . وعافته الناس ، وبعضهم كان يخاف من أكله .

وأما الأرناق فكان يباع فيها بالأحمال ، ويبتع البقرة بما خلفها .. بدينار . وكثر عويل الفلاحين وبكائهم على البهائم ، وعرفوا بموتها قدر نعمتها ، وغلا سعر السمن واللبن والأجبان ، بسبب ذلك ، لقلتها .

جمادى الآخرة

الأربعاء ١ منه (٢١ مارس ١٧٨٧ م) :

كان يوم النوروز السلطانى ، وانتقال الشمس لبرج الحمل .

الأحد ٥ منه (٢٥ مارس ١٧٨٧ م) :

حضر حمامجى أوغلى ، وأخبر أن القبلى ذهبوا الى أبريم ، وأن الباشا والوقاجلية والعسكر رجعوا الى اسنا ، وأرسلوا يستشيرون الباشا فى الذهاب خلفهم ، أو الرجوع أو الإقامة .

الاثنين ٦ منه (٢٦ مارس ١٧٨٧ م) :

سافر حمامجى أوغلى بالجوابات ، الى الجهة القبلىة ، وفيها الأمر بحضور عابدى باشا ، واسماعيل بيك ، وباقى الأمراء الى مصر ، وأن حسن بيك ومحمد بيك الميدول ، ويحيى بيك ، يقيمون باسنا محافظين .

الخميس ١٦ منه (٥ ابريل ١٧٨٧ م) :

نودى على النساء ، ألا يخرجن الى موسم
الخمسين المعروف عند القبطه بالنسيم ، وذلك يوم
الاثنين صبيحة عيدهم .

الاثنين ٢٠ منه (٩ ابريل ١٧٨٧ م) :

نودى بإبطال المعاملة بالذهب الناقلى التجديد ،
راستمرت المناداة على النساء فى عدم خروجهن الى
الأسواق . وسبب ذلك وقائعهن مع العسكر ، منها
أنهم وجدوا بيت يوسف بك سكن حمامجى
أولملى نحو سبعين امرأة مقتولة ومدفونة
بالأسطبلات ، ومن النساء من لعبت على العسكر
وأخذت ثيابه ، وأمثال ذلك ، فنودى عليهن
بسبب ذلك ، فتضرر المحترفات منهن ، مثل
البالات ، والدايات ، وبياعات الغزل والقطن ،
والكتان ، ثم حصل الاطلاق وسومحوا فى الخروج .

السبت ٢٥ منه (١٤ ابريل ١٧٨٧ م) :

حضرت نجابة من قبلى ، وحضر أيضا حمامجى
أوغلى ، وأخبروا أن الباشا والأمراء وصلوا
الى دجرجا .

اواخره (النصف الثانى من ابريل ١٧٨٧ م) :

وصل جماعة من الوجاقلية ، وحضر على كاشف
الشعراوى ، ولبس قمطانا على كشوفية الشرقية .

رجب

الخميس مستهل (١٩ ابريل ١٧٨٧ م) :

قبض حسين باشا على أحمد قبودان ، المعروف
بحمامجى أوغلى ، وجبسه وجبس أيضا تابعه عثمان
التوقلى ، وكان يسعى معه فى الخبائث ، وكذلك
رجل يقال له مصطفى خوجه .

الأربعاء ٧ منه (٢٥ ابريل ١٧٨٧ م) :

نودى على النساء ، أنهن اذا خرجن لحاجة ،
يخرجن فى كمالهن ، ولا يلبسن الحبرات الصندل ،
ولا الأفرنجى ، ولا يربطن على رءوسهن العمائم
المعروفة بالقازدغلية ، وذلك من مبتدعات نساء
القازدغلية . وذلك أنهن يربطن الشاشات الملونة
المعروفة بالدورات ، ويجعلنها شبه الكعك ، ويملنها
على جباههن ، مقوصات بطريقة مملومة لهن .
وصار لهن نساء يتولين صناعة ذلك بأجرة على
قدر مقام صاحبته ، ومنهن من تعطى الصانعة لذلك
دينارا أو أكثر أو أقل ، وفعل ذلك جميع النساء
حتى الجوارى السود !

الاحد ١١ منه (٢٩ ابريل ١٧٨٧ م) :

حضر عابدى باشا ، واسماعيل بك ، وعلى بك
الدقردار ، ورضوان بك بلفيا ، وحسن بك
رضوان ، ومحمد بك كشكش ، وعبد الرحمن
بىك عثمان ، وسليمان بك الشابورى ، وباقى
الوجاقلية .. الى مصر ، وذهبوا الى بيوتهم ، وبات
الباشا فى مصر القديمة .

الاثنين ١٢ منه (٣٠ ابريل ١٧٨٧ م) :

ركب عابدى باشا ، وطلع الى القلعة من غير
موكب ، وطلع من جهة الصليية ، وذلك قبل أذان
الظهر بنحو خمس درجات . فلما استقر بها ضربوا
له مدافع من الأبراج . وبعد انقضاء المدافع ،
أرعدت السماء رعودا متتابعة الى العصر ، وأمطرت
مطرا غزيرا . وذلك فى الرابع والعشرين من برمودة
القبطى والتاسع عشر من نيسان الرومى .

وأما حسن بك الجداوى ، فانه تخلف بقنا
هو وأتباعه ، وكذلك عثمان بك ، وسليم بك
الاسماعيلى باسنا ، وعلى بك جركس بأرمنت ،
وعثمان بك وشاهين بك الحسينى ، ويحيى بك ،

وباكير بيك ، ومحمد بيك المبدول .. كذلك تخلفوا متفرقين في البنادر لأجل المحافظة . وقاسم بيك أبو سيف في منصبه بدجرجا .

وأراد الباشا واسماعيل بيك أن يبقوا طائفة من الوجدالية ، ومعهم طائفة من العسكر . فأبوا وقالوا : « حتى نذهب الى مصر ونعدل حالنا ، وبعد ذلك نأتى » .

وفيه : وصل الخبر بأن القبالي رجعوا الى أسوان ، وشرعوا في التعدية الى أسنا . فأرسل اسماعيل بيك الى الاختيارية ، فحضرها عنده بعد العصر ، وتكلموا في شأن ذلك ، بحضرة على بيك أيضا .

الثلاثاء ١٣ منه (أول مايو ١٧٨٧ م) :

اجتمعوا في صبح ذلك اليوم ، وانفصل المجلس كالأول .

اواخره (حوالى منتصف مايو ١٧٨٧ م) :

وصل الخبر بأنهم زحفوا الى بحرى ، وأن حسن بيك تأخر عنهم .

شعبان

السبت اوله (١٩ مايو ١٧٨٧ م) :

جاء الخبر أن القبالي وصلوا الى دجرجا ، وأن حسن بيك والأمراء وصلوا في التأخر الى المنية . وعملت جمعيات ودواوين بسبب ذلك ، وشرعوا في طلوع تجريدة . ثم وقع الاختلاف بين الباشا والأمراء ، واستقر الأمر بينهم في الرأي ، أن يرسلوهم في الصلح ، وأنهم يقيمون في البلاد التي كانت بيد اسماعيل بيك وحسن بيك ، ويرسلوا أيوب بيك الكبير والصغير ، وعثمان بيك الأشقر ، وعثمان بيك المرادى ، يكونوا بمصر رهائن ، وكتبوا بذلك مكاتبات ، وأرسلوها صحيحة محمد

أفندى المكتوبجى ، وسليمان كاشف قبور ، والشيخ سليمان الفيومى .

وفيه : تقلد غيطاس بيك اماره الحج .

وفيه : قررت المظالم على البلاد ، وهى المعروفة برفع المظالم . وكان حسن باشا عندما قدم الى مصر أبطلها ، وكتب برفعها فرمات الى البلاد . فلما حضر اسماعيل بيك ، حسن له اعادتها ، فأعيدت ، وسموها التحرير ، وكتب بها فرمات ، وعينت بها المعينون ، وتفرقوا في الجهات والأقاليم بطلبها مع مايتبعها من الكلف ، وحق الطرق وغيرها . فدهى الفلاحون وأهل القرى بهذه الداهية ثانيا ، على ما هم فيه من موت البهائم ، وهيف الزرع ، وسلطة الفيران الكثيرة على غيطان الغلة والمقائى ، وغيرها ، وما هم فيه من تكلف المشاق الطارىء عليهم أيضا ، بسبب موت البهائم في الدراس ، وإدارة السواقى بأيديهم وعوافيهم ، أو بالحير أو الخيل أو الجمال ، لمن عنده مقدرة على شرائها ، وغلت أثمانها بسبب ذلك الى الغاية فتغيرت قلوب الخلق جميعا على حسن باشا ، وخاب ظنهم فيه ، وتمنوا زواله ، وفشا شر جماعته وعساكره القليونجية في الناس ، وزاد فسقهم وشرهم وطمعهم ، فانتهكوا حرمة المصر وأهله الى الغاية .

الأربعاء ٥ منه (٢٣ مايو ١٧٨٧ م) :

توفي أحمد كتخدا المجنون ، وقلدوا مكانه في كتخدائته مستحفظان رضوان جاويز تابعه ، عوضا عنه .

وفيه : قتل عثمان التوقلى بالرميلة رفيق حمامجى أوغلى بعد أن عرقب بأنواع العذاب مدة حبسه ، واستصفيت منه جميع الأموال التي كان يملكها واختلسها ، ودل على غيرها حمامجى أوغلى ، واستمر حمامجى أوغلى في الترسيم .

وفيه : قبض على سراج متوجها الى قبلى ومعه
دراهم وأمتعة وغير ذلك ، فأخذت منه ، ورمى
عنقه ظلما بالرميلة .

رمضان

الأحد مستهله (١٧ يونية ١٧٨٧ م) :

اختصرت الأمراء من وقدة القناديل في البيوت
عن العادة .

وفيه : عبي اسماعيل بيك هدية جليلة وأرسلها الى
حسن باشا ، وهى سبع فروق بن ، وخمسون تفصيلة
هندي عال مختلفة الأجناس ، وأربعة آلاف نصفية
دنائير نقد مطروقة ، وجملة من بخور العود والعنبر ،
وغير ذلك . فأعطى للشياطين ، على سبيل الانعام ،
أربعة عشر قرشا رومية ، عنها خمسمائة وستون
نصف فضة .

الأحد ٨ منه (٢٤ يونية ١٧٨٧ م) :

حضر حسن بيك الجداوى الى مصر .

الثلاثاء ١٠ منه (٢٦ يونية ١٧٨٧ م) :

حضر المحمل صحبة رجل من الأشراف ، وذلك
أنه لما وقع للحجاج من العربان ما وقع في العام
الماضى ، ونهبوا الحجاج ، وأخذوا المحمل ، بقى
عندهم ، الى أن جيش عليهم الشريف سرور ،
وحاربهم وقتلهم قتالا شديدا ، وأفنى منهم خلائق
لا تحصى ، واستخلص منهم المحمل ، وأرسله الى
مصر صحبة ذلك الشريف . وقيل ان الشريف الذى
حضر به ، هو الذى اقتداه من العرب بأربعمائة
ريال نرانة . فلما حضر خرج الى ملاقاته الأشاير ،
والمحمدارية ، وأرباب الوظائف ، ودخلوا به
أيضا من باب النصر وأمامه الأشاير والطبول
والزمرور ، وذلك الشريف راكب أمامه أيضا .

وفيه : وقعت بعد أذان العصر بساعتين حادثة

مهولة مزعجة بخط البندقائين ، وذلك أن رجلا
عطارا ، سسمى أحمد ميلاد ، وحانوته تجاه خان
البهار ، اشترى جانب بارود انكليزى من الفرنج
في برميلين وبطة ، ووضعها في داخل الحانوت ..
فحضر اليه جماعة من أهل النبع وساموه على
جانب بارود ، وطلبوا منه شيئا ليروه ويجربوه .
فأحضر البطة ، وصب منها شيئا في المنقد الذى
يعد فيه الدراهم ، ووضعوه على قطعة كاغد ،
وأحضروا قطعة يدك ، وطيروا ذلك البارود عن
الكاغد فأعجبهم ، ومن خصوصية البارود
الانكليزى ، اذا وضع منه شئ على كاغد ، وطبر
.. فالنار لا تؤثر في الكاغد ، ثم رموا بالقطعة اليك
على مصطبة الحانوت ، وشرع بزن لهم ، وهم
يضعونه في ظرفهم ، ويتساقط فيما بين ذلك من
حباته ، وانتشر بعضها الى ناحية اليدك ، وهم
لا يشعرون ، فاشتعلت تلك الحبات ، واتصلت بما في
أيديهم ، وبالبطة ، ففرقت مثل المدفع العظيم ،
واتصلت النار بذنك البرميلين كذلك .. فارتفع
عقد الحانوت وما جاوره ، بما على تلك العقود من
الأبنية والبيوت والربيع والطباق ، في الهواء ،
والتهبت بأجمعها نارا ، وسقطت بمن فيها من
السكان على من كان أسفلها من الناس الواقفين
والمارين ، وصارت كوما يظن من لم يكن رآه قبل
ذلك ، أنه له مائة عام .. وذلك كله في طرفة عين ،
بحيث ان الواقف في ذلك السوق أو المار ، لم
يمكنه الفرار ، والبعد أصيب في بعض أعضائه ،
اما من النار واما من الردم .

وكان السوق في ذلك الوقت مزدحما بالناس ،
خصوصا وعصرية رمضان ، وذلك السوق مشتمل
على غالب حوائج الناس ، وبه حوانيت العطارين
والزياتين والقبائنية والصيارف وياعى الكنافة
والقطائف والبطيخ والعدلاوى ، ودكاكين
المزينين ، والقهاوى . وغالب جيران تلك الجهة

وسكان السبع قاعات وشمس الدولة .. باتون في تلك الحصنة ، ويجلسون على الحوانيت لأجل التسلى . والحاصل أن كل من كان حاصلا بتلك البقعة في ذلك الوقت — سواء كان غاليا ، أو مسفلا ، أو مارا ، أو واقفا لحاجة ، أو حالسا — أصيب البتة .

وكان ذلك العطار يبيع غالب الأصناف : من رصاص وقصدير ، ونحاس وكحل ، وكبريت ، وعند موازين شبه الجلل . فلما اشتعل ذلك البارود . صارت تلك الجلل ، وقطع الرصاص ، والكحل ، والمغنطيس .. تتطاير مثل جلل المدافع ، حتى أحرقت واجهة الربع المقابل لها .

وكان خان البهار مقفولا متحربا ، وبابه كبير مسماري ، فضدمه بعض الجلل وكسره ، واشتعل بالنار ، واتصل بالطباق التي تعلو ذلك الخان . ووقعت ضجة عظيمة . وكل من كان قريبا وسلم ، أسرع بطلب الفرار والنخاة ، وما يدري أى شيء القضية !

فلما وقعت تلك الضجة ، وصرخت النساء من كل جهة ، وانزعجت الناس انزعاجا شديدا ، وارتحت الأرض ، واتصلت الرجة الى نواحي الأزهر والمشهد الحسيني ، وظنوها زلزلة — شرع نجار خان الحمزاوى في نقل بضائعهم من الجواصل ، فان النار تطايرت اليه من ظاهره

وحضر الأغا والوالى : فتسلم الأغا جهة الحمزاوى ، وتسلم والى جهة شمس الدولة ، وتسعوا النار حتى أخمدها ، وختموا على دكاكين الناس التي بذلك الخط ، وأرسلوا فختموا بيت أحمد ميلاد الذي خرجت النار من حانوته ، بعد أن أخرجوا منه النساء ، ثم أخرجوا عنهم بأمر اسماعيل بك

وأحضروا في صباحها نحو المائتى فاعل ، وشرعوا

في نبش الأتربة وإخراج القتلى ، وأخذ ما يجدونه من الأسباب والأمتعة ، وما في داخل الحوانيت من البضائع والتود ، وما سقط من الدور من فرش وأوان ومصاغ النساء ، وغير ذلك شيء كثير .. حتى الحوانيت التي لم يصبها الهدم فتحوها وأخذوا ما فيها ، وأصحابها ينظرون ، ومن طلب شيئا من متاعه يقال له : هو عندنا حتى تثبته .. هذا اذا كان صاحبه ممن يخاطب ويسعى اليه ...

وقيامة قائمة ! ومن يقرأ ومن يسمع !

ووقفت أنساعهم بالنبايت من كل جهة بطردون الناس ، ولا يمكنون أحدا من أخذ شيء .

وأما القتلى ، فان من كان في السوق ، أو قريبا من تلك الحانوت والنار ، فانه احترق . ومن كان في العلو من الطباق ، انهرس . ومنهم من احترق بعضه وانهرس باقه .

واذا ظهر وكان عليه شيء أو معه شيء .. أخذوه ، وان كانت امرأة ، جردوها ، وأخذوا حليها ومصاغها . ثم لا يمكنون أقاربهم من أخذهم الا بدراهم يأخذونها ، وكأنما فتح لهم باب الغنمة ! على حد قول الشاعر : « مصائب قوم عند قوم فوائد ! »

ولما كشفوا عن أحمد ميلاد وحانوته ، وجدوه تمزق واحترق وصار قطعاً مثل الفحم ، فجمعوا منه ست قطع ، وأخذوا شيئا كثيرا من حانوته ، ودراهم وودائع كانت أسفل الحانوت ، لم تصبها النار ، وكنتم عليها الردم والتراب

وكذلك حانوت رجل زبات انهدم على صاحبه . فكشفوا عنه ، وأخرجوه متا ، وأخذوا من حانوته مبلغ دراهم ! وكذلك من بيت صباغ الحرير بجوار الحمزاوى انهدمت داره أيضا ، وأخذوا ما فيها ، ومن جملتها صندوق ضمه دراهم لها صورة ، ونحو ذلك .

واستمر الحال على ذلك أربعة أيام ، وهم في حفر ونبس ، وأخرج قتلى وجنائز ، وبلغت القتلى التي أخرجت نيفا عن مائة نفس .. وذلك خلاف من بقى تحت الردم : منهم امام الزاوية المجاورة لذلك ، فانها انحسفت أيضا على الامام ، وبقى تحت الردم .

ولم يجدوا بقية أعضاء أحمد ميلاد ، وققدوا دماغه فجمعوا أعضاءه ووضعوها في كيس قماش ودفنوه ، وسدوا على تلك الخطة من الجهتين ، وتركوها كما هي مدة أيام ، ونظفت وعمرت بعد ذلك فكانت هذه الحادثة من أعظم الحوادث المزعجة المؤرخة .. وما راء كمن سمعا !

الخميس ١٢ منه (٢٨ يونية ١٧٨٧ م) :

حضر الرسل من عند القبليين ، وحضر أيوب بيك الكبير رهينة عن المماليك المحمدية ، وعثمان بيك الطنبرجى عن مراد بيك ، وعبد الرحمن بيك عن ابراهيم بيك . فذهبوا الى حسن باشا وقابلوه ، وكذلك قابلوا عابدى باشا ، ثم اجتمع الأمراء عند حسن باشا وتكلموا في شأن هؤلاء الجماعة وقالوا :

« هؤلاء ليسوا المظلومين ، ولم يأت الا أيوب بيك الكبير من المظلومين ، ولم يأت عثمان بيك الأشقر ، وأيوب بيك الصغير » .

فاتفق الرأي على إعادة الجواب . فكتبوا جوابات أخرى وأرسلوها صحة سلحدار حسن باشا .

وفي هذا الشهر أخذت القرصان ثلاثة غلايين ، وفيها أناس من أتباع الدولة وأعيانها .

وفيه : وصل الخبر بوقوع حريق عظيم ببندر جدة ، وتوفى أحمد باشا واليها .

وفيه : عفى على بيك الدفتردار كساوى للأمراء ، فأرسل الى اسماعيل بيك وحسن بيك الجداوى ورضوان بيك ، وباقي الصناجق والأمراء ، حتى

لحريمهم وأتباعهم . وأرسل أيضا لطائفة الفهماء وفيه : فتح السفر من جهة الموسقو ، وتقدم باكير قبطان باشا قائمقام عن حسن باشا .

وفي منتصفه : وقعت حادثة بشعر بولاق بين طائفة القليونية والفلاحين باعة البطيخ .. وذلك ان شخصا قليونجيا ساوم على بطيخة ، وأعطاه دون ثمنها ، فامتنع وتشاجر معه ، فوكزه العسكرى بسكين ، فزقق الفلاح على شيعته ، وزقق الآخر على رفقاته .. فاجتمع الفريقان ، ووقع بينهم مقتلة كبيرة ، قتل فيها من الفلاحين نحو ثلاثين انسانا ، ومن القليونجية نحو أربعة .

الأحد ٢٢ منه (٨ يولية ١٧٨٧ م) :

قررت تفريضة على بلاد الأرياف ، أعلى وأوسط وأدنى : الأعلى خمسة وعشرون ألف نصف فضة ، والأوسط سبعة عشر ألفا ، والأدنى تسعة آلاف . وذلك خلاف ما يتبعها من الكلف ، وحق الطرق .

وفيه : رفعوا خفارة البحرين عن ابن حبيب ، وكذلك الموارد ، والتزم بها رضوان بيك ، على خمسين كيسا يقوم بها في كل سنة لطرف الميرى . وسبب ذلك منافسة وقعت بينه وبين ابن حبيب ، فانه لما تولى المنوفية ومر على دجوة ، أرسل له ابن حبيب مقدمة فاستقلها . ثم أرسل اليه بعد ارتحاله من الناحية يطلب منه جمالا ، وأشياء ، فامتنع ابن حبيب ، فأرسل يطلبه ليقابله ، فلم يذهب اليه واعتذر . ولما رجع نزل اليه ابنه على بالضيافة ، فعاتبه على امتناع أبيه من مقابلته ، وأضر له في نفسه ، وتكلم معه حسن باشا في رفع ذلك عنهم والتزم بالقدر المذكور — وطريقة العشائية الميل الى الدنيا بأى وجه كان — فأخرج فرمانا بذلك .

شوال

٢ منه (١٨ يولية ١٧٨٧ م) :

برزت الأمراء المعينون لجمع الفردة وهم : سليم بيك الاسماعيلي للغربية ، وشاهين بيك الحسيني لاقليم المنصورة ، وعلى بيك الحسيني لاقليم المنوفية ، ومحمد بيك كشكش للشرقية ، وعثمان بيك الحسيني للبحيرة ، وعثمان كاشف الاسماعيلي للفيوم ، ويوسف كاشف الاسماعيلي للبنها ، وأحمد كاشف للجيزة .

٨ منه (٢٤ يولية ١٧٨٧ م) :

حضر سلحدار باشا ، وسليمان كاشف قنبور ، المسافرين بالجوابات الى الأمراء القبليين . وذلك أنهم أرسلوا بطلب بلاد أخرى زيادة على ماعينوا لهم وقالوا : « ان هذه البلاد لا تكفينا » .

فأمر لهم حسن باشا بخمسة بلاد أخرى ، فقال اسماعيل بيك : « اطلبوا منهم حلوانها » .

فقال اسماعيل كاشف قنبور : « اجعلوا ما أخذ من بيوتهم في نظير الحلوان » .

فقال : « كذلك » .

١٠ منه (٢٦ يولية ١٧٨٧ م) :

حضر قاصد من الحجاز بمراسلة من الشريف سرور ، يخبر فيها بعضيان عرب حرب وغيرهم ، وفعودهم على الطريق ، ومنعهم السيل ، ويحتاج أن أمير الحج يكون في قوة واستعداد ، وأن الحرب قائمة بينهم وبين الشريف ، وخرج اليهم في نحو خمسة عشر ألفا .

منتصفه (٢١ يولية ١٧٨٧ م) :

كمل عمارة التكية المجاورة لقصر العبنى المعروفة بتكية البكتاشية ، وكانت موقوفة على

طائفة من الأعجام المعروفين بالبكتاشية ، وكانت قد تلاشى أمرها وآلت الى الخراب ، وصارت في غاية من القذارة ومات شيخها وتنازع مشيختها رجل أصله من سراجين مراد بيك ، وغلام يدعى أنه من ذرية مشايخها المقبورين ، فغلب على الغلام ذلك الرجل لانتسابه الى الأمراء ، وسافر الى اسكندرية فصادف محيى حسن باشا ، واجتمع به ، وهو بهيئة الدراويش — وهم يميلون لذلك النوع — وصار من أخصائه لكونه من أصل عقيدته ، وحضر صحبتته الى مصر ، وصار له ذكر وشهرة ، ويقال له الدراويش صالح . فشرع في تعمير التكية المذكورة من رشوات مناصب المكوس التي توسط لأربابها مع حسن باشا . فعمرها وبني أسوارها وأسوار الغبطان الموقوفة عليها ، المحيطة بها ، وأنشأ بها صهريحا في فسحة القبة ، ورتب لها تراتيب ومطبخا ، وأنشأ خارجها مصلى باسم حسن باشا .

فلما تم ذلك عمل ولبة ، ودعا جميع الأمراء ، فحصل عندهم وسوسة واعتذروا وركبوا بعد العصر بجميع مماليكهم وأتباعهم وهم بالأسلحة متحذرين ، فمد لهم ساطا وجلسوا عليه ، وأوهموا الأكل لظنهم الطعام مسموما ، وقاموا وتفرقوا في خارج القصر والمراكب ، وعمل شنك وحرقة نفوط وبارود ، ثم ركبوا في حصة من الليل وذهبوا الى بيوتهم .

١٩ منه (٤ اغسطس ١٧٨٧ م) :

وصل باشة جده الى بولاق ، وركب حسن باشا والأمراء ، وذهبوا للسلام عليه .

وفيه حضرت بشارة من شريف مكة بنصرته على العرب ، وهزيمتهم ، وأنه قتل منهم نحو الثلاثة آلاف ، فاطمان الناس .

وفيه : مرض عابدى باشا .

٢٤ منه (٩ اغسطس ١٧٨٧ م) :

خرج المحمل وأمير الحج غيطاس بك ، في موكب محتقر ، بدون الينكجيرية والعزب ، مثل العام الماضي . فخرجوا الى الحصوة ، وأقاموا هناك ، ولم يذهبوا الى البركة .

الثلاثاء غايته (١٤ اغسطس ١٧٨٧ م) :

ارتحل الحجاج من الحصوة الى البركة بعد العصر ، وارتحلوا في ضحوة يوم الأربعاء غرة شهر ذى القعدة .

ذوالقعدة

الجمعة ٣ منه (١٧ اغسطس ١٧٨٧ م) : الموافق ١٣ مسرى القبطى :

أوفى النيل المبارك أذرعه ، ونودى بذلك ، وعمل الشنك ، وركب حسن باشا في صبحها ، وكسروا السد بحضرته . وجرى الماء في الخليج ، ولم يحضر عابدى باشا لمرضه .

الاثنين ٦ منه (٢٠ اغسطس ١٧٨٧ م) :

نودى على الممالك ألا يخرجوا من بيوت أسيادهم ، ولا يركبوا على انفرادهم ويمشوا في المدينة .

وكان من السنن السابقة في آداب الممالك ألا يركبوا من بيوت أسيادهم منفردين أبدا ، فترك ذلك في جملة المتروكات ، وتزوج الممالك ، وصار لهم بيوت وخدم ، ويركبون ويغدون ويروحون ، ويشربون الدخان وهم راكبون في الشارع الأعظم ، وفي أيديهم شبكات الدخان من غير انكار ، وهم في الرق ، ولا يخطر ببالهم خروجهم عن الأدب لعدم انكار أسيادهم ، وترخيصهم لهم في الأمور . فإذا مات بعض الأعيان ، يادر أحد الممالك الى

سيده الأمير صاحب الشوكة وقبل يده ، وطلب منه أن ينعم عليه بزوجة الميت ، فيجيبه الى ذلك ، فيركب في الوقت والساعة ويذهب الى بيت المتوفى — ولو قبل خروج جنازته — وينزل في البيت ويجلس فيه ، ويتصرف في تعلقاته ، ويحوزه ويملكه بما فيه ، ويقوم بمجلس الرجال ينتظر انقضاء العدة ، ويأمر وينهى ، ويطلب الغداء والعشاء والفقور ، والقهوة والشربات من الحريم ، ويتصرف تصرف الملاك . وربما وافق ذلك غرض المرأة . فإذا رآته شابا مليحا قويا ، وكان زوجها المقبور بخلاف ذلك ، أظهرت له المخبات والمدخرات ، فيصبح أميرا من غير تأمر ، وتتعدد عنده الخيول والخدام ، والفراشون والأصحاب ، ويركب ويذهب ويجىء الى بيت سيده ، وفي حاجاته وغير ذلك .

فجرى يوما بمجلس حسن باشا ذكر ركوب الممالك على انفرادهم في الأسواق ، بحضرة بعض الاختيارية ، فقالوا : « انه قلة أدب ، وخلاف العادة القديمة التي رأيناها وترينا عليها » . فقال الباشا : « اكتبوا فرمانا بمنع ذلك » . ففعلوا ذلك ، ونادوا به ... من قبيل الشغل الفارغ !

٧ منه (٢١ اغسطس ١٧٨٧ م) :

ثقل عابدى باشا في المرض وأشيع موته .

١١ منه (٢٥ اغسطس ١٧٨٧ م) :

حضر حسين بك المعروف بشفت ، من قبلى في جملة الرهائن ، وقابل الباشا ، وأقام ببصر .

منتصفه (٢٩ اغسطس ١٧٨٧ م) :

عوفى عابدى باشا من مرضه ، وشرعوا في طلب المال الشتوى ، فضج الملتزمون ، وتكلم الوجاقلية في الديوان وقالوا :

« من أين لنا ما نسفه ، وما صدقنا بخلاص

ذو الحجة

الجمعة مستهله (١٤ سبتمبر ١٧٨٧ م) :

فيه : حضر الأغا وعلى يده مقرر لعابدى باشا على السنة الجديدة

وفيه أيضا : قوى عزم حسن باشا على السفر الى بلاد الروم ، وأعطى لاسماعيل بيك جملة مدافع وقنابر وآلات حرب ، وصنع له قليونا صغيرا ، وقرر ألفا وخمسمائة عسكرى يقيمون بمصر

الخميس ١٤ منه (٢٧ سبتمبر ١٧٨٧ م) :

عمل حسن باشا ديوانا بالقصر ، وحضر عنده عابدى باشا والمشايخ ، وسائر الأمراء ، بسبب قراءة مراسيم حضرت من الدولة فقرأوا منها ثلاثة وفيها طلب حسن باشا الى الديار الرومية ، بسبب حركة السفر الى الجياد ، وأن المسقو زحفوا على البلاد ، واستولوا على مابقى من بلاد القرم وغيرها . والثانى فيه ذكر العفو عن ابراهيم بيك ، ومراد بيك من القتل ، وآل يقيم ابراهيم بيك بقنا ومراد بيك باسنا ، ولا اذن لهم فى دخول مصر جملة كافية . وفيه : نودى على صرف الريال الفرائسة بمائة نصف فضة ، وكان وصل الى مائة وعشرة . فتضرر الناس من ذلك .

الجمعة ٢٢ منه (٥ اكتوبر ١٧٨٧ م) :

ركب الأمراء بأسرهم لوداع حسن باشا ، وكان فى عزمه النزول فى المراكب بعد صلاة الجمعة . فلما تكاملوا عنده ، قبض على الرهائن وهم : عثمان بيك المرادى المعروف بالطبرجى ، وخصين بيك شفت ، وعبد الرحمن بيك الابراهيمى . ثم أمر بالقبض على حسن كتحدا الجربان ، وسليمان كاشف قنبور ، فهرب حسن كتحدا وساق جواده ، فتبعه جماعة من العسكر . فلم يزل رامحا ، وهم

المظالم ، والسينى ، والفردة ١٩ ولم يبق عندنا ، ولا عند الفلاحين شيء ، أعطونا الجامكية ، ثم ندفعها لكم فى المال الشتوى . فانهط الرأى على كتابة رجع الجامكية ، وفرح الناس بذلك . ثم تبين أن لا أحد يأخذ رجعة الا بقدر ما عليه من الميرى ، وإن زاد له شيء يبقى له وديعة بالدفتر ، وإن لم يكن له جامكية يدفع ما عليه نقدا . فصار بعض المتترمين يأتى بأسماء برانيسة ، وينسبها لنفسه ، لأجل غلاق المطلوب منه ، فانفضح ذلك أيضا بالنسبة له ، ومراجعة الدفتر . ثم منسوا كتابة الرجوع ، وصار الأفسندية يتكشفون على الدفاتر ويسلدون ويسلدون بأنفسهم : فمن زاد له شيء تبقى بالدفتر ، ومن زاد عليه شيء طلب منه .

٢٠ منه (٣ سبتمبر ١٧٨٧ م) :

ذهب الأمراء الى حسن باشا وشيخ : اسماعيل بيك ، وحسن بيك ، وعلى بيك ، وباقي الأمراء . فتكلم معهم بسبب الأموال التى جعلها عليهم ، والميرى المطلوب منهم ، ومن أتباعهم ، وقال لهم : « أنا مسافر بعد الأضحى ، ولا بد من تشهيل المطلوبات » . فاعتذروا وطلبوا المهلة ، فشنع عليهم ووبخهم بالكلام التركى ، ومن جملة ما قال لهم :

« أقم وجوهكم مثل الحيط ! » وأمثال ذلك . فخرجوا من عنده وهم فى غاية من القهر ، وكان ذلك باغراء اسماعيل بيك . ولما ذهب اسماعيل بيك الى بيته ، طلب أمراءه ، وشنع عليهم ، كسا شنع عليه الباشا . وحلف أن كل من تبقى عليه شيء — ولو ألف درهم — سله للباشا يقطع رأسه .

الخميس لحايته (١٢ سبتمبر ١٧٨٧ م) :

طلبوا عند عابدى باشا ، فطالبهم بالميرى أيضا ، وشنع عليهم — خصوصا قاسم بيك أبو سيفه — وحلف أنه يحبسهم حتى يدفعوا ما عليهم .

خلفه ، حتى دخل بيت حسن بيك الجداوى ، ودخل الى باب الحريم . وكان حسن بيك بالقصر ، فرجع المسكر ، وأخبروا الباشا بحضرة اسماعيل بيك . فطلب حسن بيك وسأله اسماعيل بيك فقال :

« ان كان فى بيتى خذوه » . فأرسلوا وأحضروه ، ووضعوه صحبة المقيدين .

وفيه عزلوا عثمان أغا مستحفظان ، وقادوا محمد كاشف — المعروف بالمقيم ، كتحدا اسماعيل بيك — أنات مستحفظان .. عوضه !

السبت ٢٣ منه (٦ أكتوبر ١٩٠٧) .

سافر حسن باشا من مصر وأخذ معه الرهائن ، وسافر صحبته ابراهيم بيك قشقة ليشيعه الى رشيد ، وزار فى طريقه سيدى أحمد البدوى بطندقا . ولم يحصل من مجيئه الى مصر ، وذهابه منها الا الضرر . ولم يبطل بدعة ، ولم يرفع مظلمة ، بل تقسرت به المظالم ، والحوادث . فالفهم كانوا يفعلونها قبل ذلك مثل السرقة ، ويخافون من اشاعتها ، وبلوغ خبرها الى الدولة ، فيسكرون عليهم ذلك ...

وخابت فيه الآمال والظنون . وهلك بقدمه البهائم التى عليها مدار نظام العالم ، وزاد فى المظالم «التحرير» . لأنه كان عندما قدم أبطل رفع المظالم ، ثم أعاده بإشارة اسماعيل بيك ، وسماه التحرير ، فجعله مظلمة زائدة ، وبقي قال رفع المظالم والتحرير . فصار يقبض من البلاد خلاف أموال الخراج عدة أقلام منها المضاف ، والبرانى ، وعوائد الكشوفية ، والفرد المتعددة ، ورفع المظالم والتحرير ، ومال الجهات ، وغير ذلك ...

ولومات حسن باشا بالاسكندرية أو رشيد لملك عليه الاقليم أسفا اوبنوا على قبره مزارا وقبة وضرىعا بقصد الزيارة ! !

ومات فى هذه السنة الامام العلامة ، واللودعى الفهامة ، لسان المتكلمين ، وأستاذ المحققين ، الفقيه النبيه ، المستحضر الأصولى ، المنطقى الفرضى الحسوب ، الشيخ عبد الباسط السنديولى الشافعى .

تفقه على أشياخ العصر المتقدمين ، وأجازه أكابر الحديث . ولأزم الشيخ محمد الدفرى ، وبه تخرج فى الفقه وغيره ، وأنجب ودرس ، وأفاد وأفتى فى حياة شيوخه .

وكان حسن اللقاء ، جيد الحافظة ، يملئ دروسه عن ظهر قلبه وحافظته ، عجب الاستحضر للفروع الفقهية والعقلية والنقلية .

ومما شاهدته من استحضاره أنه وردت فتوى فى مسألة مشكلة فى المناسخة ، فتصدى لتحريرها وقسمتها جماعة من الأفاضل — ومنهم الشيخ محمد الشافعى الجناحى ... وناهيك به فى هذا الفن ! — وتعبوا فيها يوما وليلة حتى حرروها على الوجه المرضى ، ثم قالوا : « دعنا نكتبها فى سؤال على بياض ونرسلها للتصدرين للافتاء ، وننظر ماذا يقولون فى الجواب ... ولو بالمهلة » . ففعلوا ذلك وأرسلوها للشيخ المترجم مع بعض الناس وهو لا يعلم بشيء مما عانوه . فغاب الرسول مدة لطيفة وحضر بالجواب على الوجه الذى تعب فيه الجماعة يوما وليلة ... فقضوا عجا من جودة استحضاره ، وحدة ذهنه ، وقوة فهمه ...

الا أنه كان قليل الورع عن بعض سفساف الأمور !

اتفق أنه تنازع مع عجوز فى فدان ونصف طين مدة سنين ، وأهين بسببها مرارا فى أيام مشيخة الشيخ عبد الله الشبراوى والشيخ الحفنى .

ورأته مرة يتداعى معها عند شيخنا الشيخ أحمد العروسى ، فنهأه الشيخ العروسى عنها ، ولأمه فلم ينته ، فاحتد الشيخ وقال : « والله لو

بياعين القطن والبطانة والقماش والمنجدين ، واليهود وغير ذلك . فانزعج الناس ، وأغلقوا وكائل البن والغورية ودكاكين الميدان .

السبت ١٥ منه (٢٧ أكتوبر ١٧٨٧ م) :

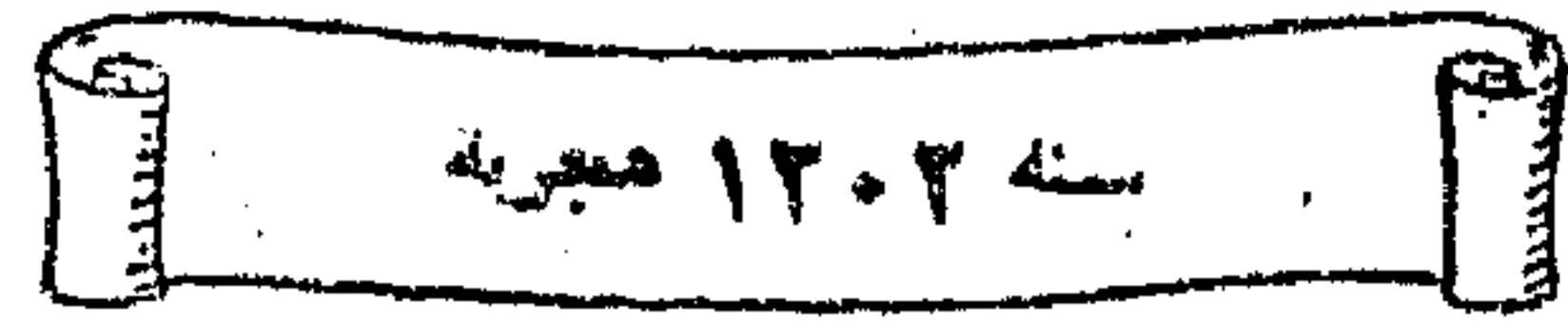
اجتمع جملة من الطوائف المذكورة ، وحضروا الى الجامع الأزهر ، وضجوا واستغاثوا من هذا النازل . وحضر الشيخ العروسي ، فقاموا في وجهه وأرادوا قفل أبواب الجامع ، فمنعهم من ذلك ، فصاحوا عليه وسبوه ، وسحبوه بينهم الى جهة رواق الشوام فمنع عنه المجاورون ، وأدخلوه الى الرواق ، ودافعوا عنه الناس ، وقفلوا عليه باب الرواق ، وصحبه طائفة من المتعممين ، وكتبوا عرضا الى اسماعيل بيك بسبب ذلك ، وأرسلوه صحبة الشيخ سليمان الفيومي ، وانتظروه حتى رجع اليهم ومعه تذكرة من اسماعيل بيك مضمونها الأمان والنفو عن الطوائف المذكورة . وفيها أن هذا المطلوب انما هو على سبيل القرض والسلفة من القادر على ذاك فلما قرئت عليهم التذكرة ، قالوا . « هذه مخادعة . وعند ما ينفذ الجمع ، وتفتح الدكاكين ، بأخذونا واحدا بعد واحد » . ثم قام الشيخ وركب ، وحوله الجهم الفقير ، والغوغاء ، وبعض المجاورين .. بدفع الناس عنه بالعصى ، والعامه يصيحون عليه ، ويسمعونه الكلام غير اللائق ، الى أن وصل الى باب زويلة ، فنزل بجامع المؤبد ، وأرسل الى اسماعيل بيك يحمره بهذا الحال .

فحنق اسماعيل بيك ، وظن أنها مفتعلة من الشيخ ، وأنه هو الذي أغرامهم على هذه الأفعال فأجابه الرسل ، وحلفوا له ببراءته من ذلك ، وليس قصده الا الخلاص منهم . فقال :

« أنا أرسلت اليهم بالأمان ، ودعوهم ينفضوا . وما أحد يطالبهم بشيء » .

كان هذا الفدان ونصف لى في الجنة ، ونازعتني هذه المعجوز عليه ... لتركته لها ! » .

ولم يزل ينازعها وتنازعه الى أن مات ! وغير ذلك أمور يستحي من ذكرها في حق مثله ... وبذلك قلت وجاهته بين نظرائه .. توفي في أول جمادى الآخرة من السنة ، وصلى عليه بالأزهر ، ودفن بتربة المجاورين . رحمه الله ، وغفر لنا وله



المحتم

السبت مستهله (١٣ أكتوبر ١٧٨٧ م) :

عزل المحتسب ، وتولى آخر يسمى يوسف أغا الخربتاوى . وتولى عثمان بيك طبل الاسماعيلى على دجرجا .

وفيه : انفرد اسماعيل بيك الكبير في أمانة مصر ، وصار يده العقيد والحل والابرار والنقض ، واستوزر محمد أغا البارودى وجعله كتخداه . واستمر اسماعيل كتخداه حسن باشا بمصر ، لقبض بواقى المطلوبات ، وسكن بيت حسن كتخداه الجربان بباب اللوق .

وفيه : قبض اسماعيل بيك على الحاج سليمان ابن ساسى ، وحبسه ببيت محمد أغا البارودى ، وصادره في خمسين كيسا .

في ٥ منه (١٧ أكتوبر ١٧٨٧ م) :

طلب اسماعيل بيك دراهم قرضة مبلغا كبيرا ، فوزعوا منها جانبا على تجار البن والبهار ، وجانبا على الذين يقرضون البن بالمرايحة للمضطرين ، وجانبا على نصارى القبط ، وعلى الأروام والشوام ، وعلى طوائف المغاربة بطولون والغورية ، وعلى المتسبين في الغلال بالسواحل والرقع ، وكذلك

فانفضوا وتفرقوا .

ومضى على ذلك يومان .. فأرسلوا الى أهل الصاغة ، والجواهرجية ، والنحاسين ، وطالبوهم بالمقرر والموزع عليهم ، فلم يجدوا بدا من الدفع . ثم طالبوا وكالة الجلابة .. وتطرق الحال الى باقى الناس ، حتى يباعين الفسيخ . ومجموع ذلك نحو اثنتين وسبعين حرفة .

وفيه : حضر على كاشف من جهة قبلى ، وقد كان سافر بعد سفر حسن باشا برسالة الى الأمراء القبالي ، وأخبر أنهم مستقرون فى أماكنهم ، ولم يتحركوا .

٢٦ منه (٧ نوفمبر ١٧٨٧ م) :

سافر أمير الأنزم بالملاقة الى الحج ، وكان من عادته السفر فى أول الشهر . ولم يحضر فى هذه السنة نجاب الجبل ، وأخذوا من بلاد أمير الحج بلدين ، وأخذوا أيضا بيته الذى كان سكن به . فلما استقر بحبى بيك بمصر أخذه وسكنه لكونه زوج بنت صالح بيك ، وهو بيت أبيها ، وهو أحق به .

صفر

الاثنين أوله (١٢ نوفمبر ١٧٨٧) :

فيه : كملت القيسارية التى عمرها اسماعيل بيك بجانب السبيل الذى بسويقة لاجين ، فأنشأ بها احدى وعشرين حانوتا وقهوة ، وجعلها مربعة الأركان — وهذا السبيل من انشاء سيده ابراهيم كتحدا — ولما أتمها نقل اليها سوق درب الجمايز بعد العصر ، وانتقل اليه الدلالون والناس والقماشون فى عصرية يوم الثلاثاء ثانية . وبطل سوق درب الجمايز من ذلك اليوم .

وليس لاسماعيل بيك من المحاسن الا نقل هذا السوق من تلك الجهة ووضع فى هذه الجهة ، كما لا يخفى .

الثلاثاء ٢ منه (١٣ نوفمبر ١٧٨٧ م) :

اشتد العنف فى الرعية بسبب طلب السلفة ، وتعدى الحال الى يباعين المخلل والصوفان ، وتضرر الفقراء من ذلك .

الأحد ٧ منه (١٨ نوفمبر ١٧٨٧ م) :

سافر محمد باشا والى جدة الى السويس .

السبت ١٣ منه (٢٤ نوفمبر ١٧٨٧ م) :

طلع اسماعيل بيك والأمراء الى الديوان بالقلعة ، وأخرج قوائم مزاد البلاد التى تأخر على ملتزميها الميرى ، فتصدر لشرائها كتحدها محمد أغا البارودى ، فاشتري نحو سبعين بلدا . وفى الحقيقة هى راجعة الى مخدومه ، يفرقها على من يشاء من أغراضه .. فشرع أولا فى طلب الشتوى ، وزاد على من أخذ البلاد سنة ونصفا . ثم ادعى ان حسن باشا أخذ سنة من الحلوان ، ودخلت فى حسابه ، وطلب سنة ونصفا أخرى ، وطلب المال الصيفى أيضا . فمعجز الملتزمون ، ففعل هذه الفعلة ، وأخرج قوائم مزادهم الى الديوان ، واستخلصها من ملتزميها .

وفى تلك الليلة حضرت جماعة من لشاف النواحي القبلية ، وأخبروا أن الأمراء القبالي حضروا الى أسيوط ، وأوائلهم تعدى منفلوط . فهرب من كان هناك من الكشاف وغيزهم ، وحضروا الى مصر . فلما تحققت هذه الأخبار ، طلع فى صباحها اسماعيل بيك الى الديوان ، واجتمع الأمراء والوجاقلية والمشايخ . فتكلم اسماعيل بيك وقال :

« يا أسيادنا يا مشايخ ، يا أمراء ، ويا وجاقلية ، ان الجماعة القبليين تقضوا عهد السلطان ، وانتقلوا من أماكنهم ، وزحفوا على البلاد ، فهمل الواجب قتالهم ودفعهم ؟ »

قالوا : « نعم » .

فقال :

« ان المخالفين اذا تقضوا عهد السلطان ، ولزم

الحال الى قتالهم ، يصرف على المقاتلين من العسكر من خزينة السلطان ، وليس هنا خزينة ، فكل منكم يقاتل عن نفسه .

فأجابه اسماعيل أفندى الخلوتى وقال :
« ونحن أى شىء تبغى عندنا ، حتى نصرفه ، وقد صرنا كلنا شحاتين لا نملك شيئا » .
فقال له الباشا :

« هذا الكلام لا يناسب ، ولا ينبغى أنك تكسر قلوب العسكر بمثل هذا الكلام ، والأولى أن تقول لهم : أنا وآتتم شىء واحد ، ان جعت جوعوا معى ، وان شبعتم اشبعوا معى » .

ثم انحط الراى بينهم على أن يكتبوا عرضا للدولة ، والاخبار عن تقضهم ، وعرضا لهم بالتحذير . وقال الباشا :

« نرسل نعلم الدولة ، وننظر ما يكون الجواب . فان زحفوا قبل مجىء الجواب ، خرجنا اليهم وقاتلناهم » .

ثم كتبوا فرمانات لجميع الغز والأجناد الغائبين بالأرباف بالحضور ، وبكى اسماعيل بيك بالمجلس ، ونهه في بكائه . فقال له الاختيارية :

« لا تبك بايك ا » ثم كتبوا مكاتبة من الباشا ، ومن الوجاقلية والمشايخ ، وأرسلوها صحبة واحد من طرف الباشا ، وسراج من طرف اسماعيل بيك ، وأرسلوا الى محمد باشا المسافر الى جدة بالرجوع من السويس الى مصر بأمر من الدولة .

الأحد ١٤ منه (٢٥ نوفمبر ١٧٨٧ م) :
حضر جاويز الحاج من العقبة .

الأربعاء ١٧ منه (٢٨ نوفمبر ١٧٨٧ م) :

نبهوا على ممالك الأمراء القبليين ، وكشافهم الكائنين بمصر ، بالاجتماع والحضور . فأرسل كل من كان مستخدما عنده جماعة من الأمراء والصناجق وغيرهم ، فجمعهم في مكان في بيته . ومن كان غائبا

في حاحة ، أرسلوا اليه وأحضروه . فلما تكاملوا أخذوا خيولهم وأسلحتهم ، وأبقوهم في الترسيم . وأما على بيك الدفتردار ، فانه لم يسلم فيمن عنده ، وكان منقطعا في الحريم لصداع برأسه ووجع في عينيه من مدة شهرين .

الجمعة ١٩ منه (٣٠ نوفمبر ١٧٨٧ م) :

كان نزول الحجاج ودخولهم الى مصر ، وكانوا أغلقوا أبواب مصر ، وأجلسوا عليها حرسجية ، فلم يدخل الحجاج الا من باب النصر فقط ... فتضرر الناس من الازدحام في ذلك الباب .

وارتاح الحجاج في هذا العام ، ولم يحصل لهم تعب ، وزاروا المدينة الشريفة .

وفه : نزل الأغا ، وصحبته كتخدا الباشا ، وأمامهما المذاذاة على كل من كان مختفيا من أتباع الأمراء القبليين ومماليكهم .. بالظهور ، ويطلعوا يقابلوا الباشا . وكل من ظهر عنده أحد بعد ثلاثة أيام ، فانه يستأهل الذى يجرى عليه .

وفه : قيسوا على جماعة من الممالك والأجناد — وهم الذين كانوا في الترسيم — وأنزلوهم في مراكب ، وأرسلوهم الى ثغر اسكندرية ، وحبسوهم بالبرج ، ومنهم جماعة بأبى قير .

وكان على بيك توقف في تسليم المنتسبين اليه ، فلم يزل به اسماعيل بيك حتى سلم فيهم .

السبت ٢٠ منه (اول ديسمبر ١٧٨٧ م) :

دخل أمير الحج غيطاس بيك ، وصحبته المحمل .

وفيه : قال اسماعيل بيك للمشايخ :

« اكتبوا للدولة يرسلوا لنا عساكر » .

فقال الشيخ العروسى :

« لا نحتاج الى ذلك ، فان العساكر الرومية لا تنفع بين العساكر المصرية ، والأولى استجلاب خواطر الجند بالاحسان اليهم ، والذى تعطوه للأغراب أعطوه لأهل بلادكم أولى » .

وفيه : شرع اسماعيل بيك في طلب تفريضة من البلاد والقرى ، فجعلوا على كل بلد مائة دينار وعشرة ، خلاف مايتبع ذلك من الكلف وحق الطرق وغير ذلك ، وعين لقبضها خازن داره وغيره .

وفيه : قبضوا على باقى ماليك الأمراء القبلية وأجنادهم ، وأنزلوهم المرائب أيضا ، وبعضهم أنزلوه عربانا ليس عليه سوى القميص والصديري واللباس ، وطاقيّة أو طربوش معمم عليه بحمرمة أو منديل ، ولحق ذلك .

ولم تزل الحرسجية مقيمين على الأبواب ، وحصل منهم الضرر للناس والرعية ، والمتسجين والفلاحين الواردين من القرى بالجبن والسمن والتبن ، ونحو ذلك . وكل من أراد العبور من باب منعه من الدخول حتى يأخذوا منه دراهم ، ولو كان بنفسه !

الأحد ٢٨ منه (٩ ديسمبر ١٧٨٧ م) :

نزل الأغا ، وأمامه الوالى ، وأودة باشة البوابة ، وأمامهم المنادة على جميع الألفاشات المنتسبين الى الوجاقات ، بأنهم يأخذون لهم أوراقا من أبوابهم وكل من وجد ، وليس معه ورقة بعد ثلاثة أيام ، يحصل له مزيد الضرر . ويبدأ المنادى فرمان من الباشا .

وفيه : ركب اسماعيل بيك ونزل الى بولاق ليتفرج على « شركفلك » الذى صنعه وتبشغله . وقد زاد فى صنعه عما فعله حسن باشا ، بأن ركه على عجل يجروانه ، وزاد فى اتقانه . وسبك جلا كثيرة للمدافع ... فلما رآه أعجبه ، وشرع أيضا فى عمل شركفلكين اثنين ، وجهر ذخيرة عظيمة من بقسمات وغيره .

الاثنين ٢٩ منه (١٠ ديسمبر ١٧٨٧ م) :

حضر الرسول الذى كان توجه بالرسالة للأمراء

القبليين ، وهو الذى من طرف الباشا ، وصحبته آخر من طرف اسماعيل بيك ، وعلى يدهما جوابان : أحدهما خطاب للباشا ، والثاني خطاب للمشايخ .

واجتمعوا صبح ذلك اليوم بالديوان ، وقرأوا الجوابات . وملخصها : أنكم نسبتونا لنقض العهود . والحال أن النقص حصل منكم بتسفير اخواتنا الرهائن ، وذهابهم مع قبطان باشا الى الروم . وما فعلتم فى بيوتنا وحريتنا . ولا حصل ذلك ، احتله البعض منا ، وزحفوا الى بحرى ، فركبنا خلفهم نردهم ، فلم يمثلوا ، فأقمنا معهم ... وكلام هذا معناه .

فلما قرأوا ذلك بحضرة الجمع ، اقتضى الرأى كتابة مراسلة أخرى من الباشا والمشايخ . وفيها الملاطفة فى الخطاب والاقتذار ، وأرسلوها . وأخذوا فى الاهتمام والتسهيل .

ربيع الأول

٢ منه (١٢ ديسمبر ١٧٨٧ م) :

ركب الأغا ، وشق الأسواق ، وصار يقف على الوكائل والخانات ، وينتش على الألفاشات ، ودخل سوق خان الخليلي ، ونبه على أفرادهم ، وقال لهم : « فى غد أحضر فى التبديل . وكل من وجده من غير ورقة جسدك ، فعلت به وفعلت ، وقطعت آذاله أو أنه » .

وفيه : عزل أحمد أفندى الصفائى روزنامجى من روزنامه لمرضه ، وتقلد أحمد أفندى - المعروف بأبى كلبة قلقة الأنبار - روزنامجى ، عوضا عنه .

٦ منه (١٦ ديسمبر ١٧٨٧ م) :

أرسلوا بجوابات الرسالة الشيخ أحمد بن يونس ،

وكتبوا لهم أيضا سمهود وبرديس ، زيادة على ما بأيديهم من البلاد . والحال أن الجميع بأيديهم .

٧ منه (١٧ ديسمبر ١٧٨٧ م) :

حضر عابدى باشا ، واسماعيل بيك ، الى بيت الشيخ البكرى باستدعاء ، بسبب المولد النبوى . فلما استقر بهم الجلوس ، التفت الباشا الى جهة حارة النصارى وسأل عنها ، فقيل له : انها بيوت النصارى . فأمر بهدمها ! والمناداة عليهم من ركوب الحمير ! فسعوا فى المصالحة ، وتمت على خمسة وثلاثين ألف ريال : منها على الشوام سبعة عشر ألفا ، وباقيها على الكتبة !

٢٨ منه (٧ يناير ١٧٨٨ م) :

حضر الشيخ أحمد يونس والذي توجه صحبته من طرف الباشا ، واجتمعوا فى صباحها بالديوان عند الباشا ، وقرأوا المكاتبات ، مضمونها الجواب السابق ، وعدم الرجوع ، وأنهم طالبون أخصامهم ، وأما الباشا والوجاقلية والمشايخ فليس لهم علاقة فى شئ من ذلك ، وليس لهم الا أمراء تخدمهم ، أيا من كان .

ثم ان الشيخ احمد يونس قال للباشا : « يامولانا .. ملخص الكلام أنكم لو أعطيتموهم من الاسكندرية الى اسوان ، مايرضيهم الا دخول مصر » .

فقال الباشا : « أنا عندى فتوى من شيخ الاسلام باسلامبول على جواز قتالهم ، وكذلك أريد فتوى من علماء مصر بموجب ذلك ، وأخرج اليهم وأقاتلهم ، وأبذل نفسى ومالى .. » . فوعده بذلك .

٣٠ منه (٩ يناير ١٧٨٨ م) :

حضر الشيخ المرومى الى الجامع الأزهر ، وكتبوا أسؤالا مضمونه :

« ما قولكم .. دام فضلكم .. فى جماعة أمراء وكشاف ، تغلبوا على البلاد المصرية ، وحصل منهم الفساد والافساد ، ومنعوا خراج السلطان ، وأكلوا حقوق الفقراء والحرمين ، ومنعوا زيارة النبى عليه الصلوة والسلام ، وقطعوا علوفات الفقراء ، وجاكي المستحقين والأنبار ، وأرسل لهم السلطان يأمرهم وينهاهم ، فلم يطيعوا ، ولم يمتثلوا . وكرر عليهم أوامره ، فلم ينتهوا ، فعين عليهم عساكره ، وأخرجهم من البلاد . ثم ان نائبه صالحهم ، وفرض لهم أماكن ، وعاهدهم على ألا يتعدوها حقنا للدماء ، وقطعا للنزاع ، وسكونا للفتن . وأخذ منهم رهائن على ذلك ، ورجع لمخدومه . فعند ذلك تحركوا ثانيا ، وزحفوا على البلاد ، وسعوا فى ايقاع الفساد ، وقطعوا الطرق ، ونقضوا العهود . فهل يجوز لنائب السلطان دفعهم وقتالهم ، بشرط عدم ازالة الضرر بالضرر ... أم كيف الحال .. ؟ » .

وكتبوا بجواز قتالهم ، ودفعهم ، ويجب على كل مسلم المساعدة ، وطلعوا بها الى الباشا .

ربيع الآخر

أوله (١٠ يناير ١٧٨٨ م) :

كتب الباشا فرمانا ، على موجب الفتوى ، ونزل به أغات مستحفظان ، ونادى به جهارا ، وكذلك التنبيه على جميع الوجاقلية باتباع أبوابهم ، وحضور الغائبين منهم ، والاستعداد للخروج .

٣ منه (١٢ يناير ١٧٨٨ م) :

اتفق اسماعيل بيك على الأمراء الصناجق ، وأرسل لهم الترحيلة . فأرسل الى حسن بيك الجداوى ثمانية عشر ألف ريال ، فغضب عليها وردھا ، ووبخ محمد كتخدا البارودى ، وركب مغضبا وخرج الى نواحي العادلية . فركب اليه فى

صبحها اسماعيل بيك ، وعلى بيك الدفتردار
وصالحاه ، وزاداه في الدراهم حتى رضى ، وتكلم
مع اسماعيل بيك في تشديده على الرعية والالضاشات
وقال له :

« لاي شىء تتعصب هؤلاء الناس ؟ ان كنت
تريد تخرجهم سحرة ، ومن غير نفقة ، فما أحد
يقا تل سحرة .. وان كنت تعطيه م نفقة فالذى تعطيه
لهم ، أعطه للفرسان المقاتلين وأما الوجاقات فليس
عليهم الا درك البلد والقلعة » .

الخميس ٨ منه (١٧ يناير ١٧٨٨ م) :

سافر امام الباشا ، وعلى كاشف — من طرف
اسماعيل بيك — بجوابات للأمراء القبليين ،
حاصلها . اما الرجوع الى أماكنهم على موجب
الاتفاق والصلح ، بشرط أن تدفعوا ميرى البلاد
التي تعدتكم عليها ، والا ... فنحن أيضا ننقض
الصلح بيننا وبينكم .

ثم وصل الخبر بأن ابراهيم بيك ارتحل من
طحطا غرة الشهر (١٠ يناير ١٧٨٨) وحضر الى
المنيا عند قسيه مراد بيك ، وأن مراد بيك فرق
البلاد من بحرق المنيا على أتباعه وأتباع الأمراء
الذين بصحبته . ثم وقع التراخى في أمر التجريدة ،
وحصل التوائى والاهمال والترك ، وخرجت
الخيول الى المراعى .

الجمعة ١٦ منه (٢٥ يناير ١٧٨٨ م) :

نزل عابدى باشا الى بولاق ، وركب اليه
اسماعيل بيك وبقية الأمراء ، وأمامه مدافع الزمبلك
على الجمال ، فتفرج على الشركفلكات ، وسيروا
أمامه الثلاثة غلايين الى مصر القديمة ، وضربوا
مدافعها .. ثم عاد وطلع الى القلعة .

الثلاثاء ٢٠ منه (٢٩ يناير ١٧٨٨ م) :

عزل احمد أفندى أبو كلبه من الروزنامة ،

وتقلدها عثمان أفندى العباسى على رشوة دفعها
وضاع على أحمد أفندى مادفعه من الرشوة ا
الأربعاء ٢١ منه (٣٠ يناير ١٧٨٨ م) :

حضر امام الباشا وعلى كاشف ، وأخبرا أن
ابراهيم بيك حضر عند مراد بيك بالمنيا ، وأن
جماعة من صناجقهم ، وأمرائهم ، وصلوا الى
بنى سويف وبحريها وأنهم قالوا في الجواب :
« اتنا تركنا لهم الجهة البحرية ، وأخذنا الجهة
القبليية فان قاتلونا عليها قاتلناهم ، وان انكفوا
عنا فلسنا واصلين اليهم ، ولا طالبين منهم مصر ،
ونعقد الصلح على ذلك ، فيرسلوا لنا بعض المشايخ
والاختيارية بتوافق معهم على أمر يحسن السكوت
عليه » .

فعملوا ديوانا اجتمع به الجميع ، وتحالفوا
واتفقوا على ارسال جواب صحبة قاصد من طرف
الباشا ، مضمونه :

انهم يرسلون من جهتهم أميرين كبيرين ، فهما
الكفاءة لفصل الخطاب ، ليحصل معهما التوافق ،
ونرسل صحبتهما ما أشاروا به ...

الاثنين ٢٦ منه (٤ فبراير ١٧٨٨ م) :

حضر واحد بشلى وعلى بده مكاتبات من
حسن باشا خطابا الى الباشا واسماعيل بيك وعلى
بيك وحسن بيك ورضوان بيك واسماعيل كتجداه
والشيخ البكرى . وأخير بوصول عسكر أرثوود
الى ثغر الاسكندرية ، وعليهم كبير ومعه هدية
الى الأمراء .

الخميس ٢٩ منه (٧ فبراير ١٧٨٨ م) :

طلع الأمراء الى الديوان ، وتكلموا من جهة
النفقة . فقال قاسم بيك : أما أنا فلا يكفينى
خمسون ألف ريال . فقال له اسماعيل بيك :
فعلى هذا أمثالك . ويحتاج حسن بيك ورضوان

بيك وعلى بيك كل واحد مائة ألف ، فلأزم أنا
نرسل الى السلطان يرسل لكم خزائنه حتى تكفيكم .
فرد عليه على بيك وقال : « أنا صرفت على
التجريدة الأولى ، وشملت أربع باشوات والأمراء
والأحناد ، وأنت من جملتهم ، وما صادرت أحدا
في نصف فضة » .

فاغتاظ اسماعيل بيك وقال : « اعمل كبير البلد ،
وافعل مثل ما فعلت ، وأنا أعطيك المال الذي تحت
يدى .. الذي جمعته من الناس . خذه واصرفه
بمعرفتك » .

وقام من المجلس منتورا ، فردده الباشا واختلى
به وبعلى بيك وحسن بيك ورضوان بيك ساعة
زمانية ، وتشاوروا مع بعضهم ، ثم قاموا ونزلوا .

جمادى الأولى

مستهلته (٨ فبراير ١٧٨٨ م) :

حضر ططرى وييسده مرسومات ، فاجتمعوا
بالديوان وفرأوها : أحدها بطلب مشاق ويدك
والثاني بسبب الجماعة القبليين ان كانوا مقيمين
بالأماكن التي عينها لهم حسن باشا فلا تتعرضوا
لهم ، وان كانوا زحفوا وتعدوا وتقضوا ، فاخرجوا
اليهم ، وقتلوههم ، وان احتجتم عساكر أرسلنا
لكم . والثالث مقرر لعابدى باشا على السنة
الجديدة . والرابع بالتوضيعة على الفقراء وغلال
الحرمين والأنبار والجامكية ... وأمثال ذلك من
الكلام الفارغ ...

وفيه ورد الخبر بموت محمد باشا يكن المنفصل
عن ولاية مصر .

٣ منه (١٠ فبراير ١٧٨٨ م) :

حضر المرسل من الجهة القبلية - وصحته
صالح أغا الوالى - بجوابات حاصلها أنهم يطلبون
من طحطا الى قبلى ، ويطلبون حريمهم ، وأن يردوا

لهم ما أخذوه من بلادهم . وكذلك يطلبون أتباعهم
وماليكهم الذين أرسلوهم الى الاسكندرية .
فان أجيبوا الى ذلك لا يعددوا بعدها على شىء
أصلا .

فلما قرئت المكاتبة بحضرة الجمع فى الديوان ،
قال اسماعيل بيك للباشا : لا يمكن ذلك ، ولا
يتصور أبدا والا افعلوا ما بدا لكم ، ولا علاقة لى ،
ولا أكتب فرمانا . فانى أخاف على نفسى ان زدتهم
على ما أعطاهم حسن باشا . ولا بد من دفعهم
الميرى .

ثم كتبوا لهم جوابا وسافر به صالح أغا المذكور
وأخر من طرف اسماعيل بيك .

٨ منه (١٥ فبراير ١٧٨٨ م) :

وقع بين أهل بولاق وبين العسكر معركة ،
بسبب افسادهم وتعذيبهم ، وفسفهم مع النساء ،
وأذية السوق وأصحاب الخوانيت ، وخطفهم الأشياء
بدون ثمن ، فاجتمع جمع من أهل بولاق ، وخرجوا
الى خارج البلدة يريدون الذهاب الى الباشا ،
يشكون منازل بهم من البلاء . فلما علم عسكر
القليونجية ذلك ، اجتمعوا بأسلحتهم وحضروا
اليهم ، وقتلوههم ، وانهزم القليونجية . فنزل الأغا
وتلافى الأمر ، وأخذ يحاطر العامة ، وسكن الفتنة ،
وحاطب العسكر ووبخهم على أفعالهم فقالوا له :
« وكيلك فلان وفلان ، هما اللذان يسلطاننا
على هذه الأفعال » .

فأحضر أحدهما وقتله وفر الآخر .

١٧ منه (٢٤ فبراير ١٧٨٨ م) :

حضر صالح أغا بجواب ، وأخبر بصلح الأمراء
القبليين . على أن يكون لهم من أسيوط وما فوقها ،
ويقوموا بدفع ميرى البلاد وغلالها ، ولا يتعدوا
بعد ذلك ، وأنهم يطلبون أناسا من كبار الوجاقات
والعلماء ليقيم الصلح بأيديهم . فحصل الباشا ديوانا ،

وأحضر الأمراء والمشايخ واتفقوا على إرسال الشيخ محمد الأمير واسماعيل أفندي الخلوتى وآخرين ، وسافروا يوم الأربعاء ١٩ منه (٢٦ فبراير ١٧٨٨ م)

٢٥ منه (٣ مارس ١٧٨٨ م) :

هبث رياح عاصفة جنوبية حارة واستمرت اثني عشر يوما .

جمادى الآخرة

الأحد مستهله (٩ مارس ١٧٨٨ م) :

ورد الخبر بأن جماعة من الأمراء القبليين حضروا الى بنى سويف .

الثلاثاء ٣ منه (١١ مارس ١٧٨٨ م) :

وصل الخبر بأن مراد بيك حضر أيضا الى بنى سويف ، فى نحو الأربعين ، فشرع المصريون فى التشكيل والاهتمام ، وأخرجوا خيامهم ووطاقهم الى ناحية البساتين .

الخميس ٥ منه (١٣ مارس ١٧٨٨ م) :

طلع الأمراء الى الباشا وتكلموا معه ، وأخبروه بما ثبت عندهم من زحف الجماعة الى بحرى ، وطلبوه للنزول صحبتهم ، فقال لهم :

« حتى ترجع الرسل بالجواب ، أو نرسل لهم جوابا آخر وننظر جوابهم » . فامثلوا الى رايه . فكتب مكتوبا مضمونه : انكم طلبتم الصلح مرارا وأجبناكم بما طلبتم ، أعطيناكم ما سألتكم ، ثم بلغنا أنكم زحفتكم ورجعتم الى بنى سويف ، فما عرفنا أى شئ هذا الحال ... والقصد أنكم تعرفونا عن قصدكم ، وكيفية حضوركم ، وإن كنتم نقضتم الصلح والا لا ... فترجعوا الى ما حددناه لكم ، وما وقع عليه الاتفاق .

وأرسله صحبة مرسل من طرفه .

الجمعة ٦ منه (١٤ مارس ١٧٨٨ م) :

سحبوا الشركلكات من بولاق ، وذهبوا بها الى الوطاق ، وشرع اسماعيل بيك فى عمل متاريس عند طرا والمصرة ، وكذلك فى بر الجيزة ، وجمع البنائين والفعلة والرجال ، وأمر بحفر خندق ، وبني أبراجا من حجر ، وحيطانا لتصف المدافع والمتاريس فى البرين .

الاثنين ٩ منه (١٧ مارس ١٧٨٨ م) :

تكلموا ، خروج الأمراء . وفى تلك الليلة حرب بعض الأجناد والكشاف الى قلنى . فأرسل اسماعيل بيك أغات مستحفظان ، فأحاط بدورهم ، وأخرج حريمهم منها ونهبها عن آخرها وأكثره متاع النساء .

الأربعاء ١١ منه (١٩ مارس ١٧٨٨ م) :

نزل الأغا ، ونادى على جميع الانشاشات والأنفار بالطلوع الى القلعة ، ويأخذ كل شخص ألف فضة .

الخميس ١٢ منه (٢٠ مارس ١٧٨٨ م) :

حضر الشيخ محمد الأمير ومن بصحبته ، وأخبروا أنهم تركوا ابراهيم بيك ومراد بيك فى بنى سويف ، وأربعة من الأمراء وهم : سليمان بيك الأغا ، وابراهيم بيك الوالى ، وآيوب بيك الصغير ، وعثمان بيك الشرقاوى بزاوية المصلوب ، وحاصل جوابهم :

« ان يكن صلحا فليكن كاملا ، وتقدم معهم بالبلد عند عيالتنا ، ونصير كلنا اخوة ، وتقيم تأرنا فى ثأرهم ، ودمنا فى دمهم ، وعفا الله عما سلف . فان لم يرضوا بذلك ، فليستعدوا للقاء ... وهذا آخر الجواب والسلام » . وأرسلوا جوابات بمعنى ذلك الى المشايخ ، وعلى أنهم يسعون فى الصلح ، أو يخرجوا لهم على الخيل كما هى عادة المصريين فى الحروب .

وفي هذه الأيام : حصل وقف حال وضيق في المعاش ، وانقطاع للطرق ، وعدم أمن ، ووقوف العربان ، ومنع السبل وتعطيل أساب ، وعسر في الأسفار برا وبحرا ، فاقتضى رأى الشيخ العروسي أنه يجتمع مع المشايخ ، ويركزون إلى الباشا ويتكلمون معه في شأن هذا الحال .

فاستشعر اسماعيل بيك بذلك ، فدبج أمرا و « صور ! » حضور ططرى من الدولة وعلى يده مرسوم ! ..

الجمعة ١٣ منه (٢١ مارس ١٧٨٨ م) :

أرسل الباشا في عصر هذا اليوم للمشايخ والوجاقلة ، وجمعهم ، وقرأوا عليهم ذلك فرمان ومضمونه :

الحت والأمر والتشديد ، على محاربة الأمراء القسالى ، وطردهم وابعادهم .

فلما فرغوا من ذلك تكلم الشيخ العروسي وقال : « أخبرونا عن حاصل هذا الكلام ، فإنا لا نعرف بالتركي » فأخبروه فقال :

« ومن المانع لكم من الخروج ، وقد ضاق الحال بالناس ، ولا تقدر أحد من الناس أن يصل إلى بحر النيل ، وقربة الماء بحسبة عشر نصف فضة ... وحضرة اسماعيل بيك مشغول ببناء حيطان ومتارس ، وهذه ليست طرقة المصيرين في الحروب ، بل طريقته المصادمة وانفصال الحرب في ساعة ، أما غالب أو مغلوب . وأما هذا الحال ، فانه يستدعى طولا ... وذلك يقتضى الحراب والتعطيل ووقف الحال » .

فقال الباشا :

« أنا ماقلت لكم هذا الكلام أولا . وثانبا هيا شهلوا أحوالكم ، وبهوا على الخروج يوم الاثنين وأنا قبلكم » .

الأحد ١٥ منه (٢٣ مارس ١٧٨٨ م) :

حضر شخصان من الططر ، ودخلا من باب النصر ، وأظهرا أنهما وصلا من الديار الرومية على طريق الشام وعلى يدهما مرسومات لحاصلها الاخبار بحضور عساكر برية وعليهم باشا كبير وذلك أيضا لا أصل له !

ونودي في ذلك اليوم بالخروج إلى المتارس ، وكل من خرج بطلع أولا إلى القلعة ويأخذ نفقة من باب مستحفظان ، وقدرها خمسة عشر ريالاً . فطلع منهم جملة ، وأخذوا نفقاتهم ، وخرجوا إلى المتارس بالحيزة .

الاثنين ١٦ منه (٢٤ مارس ١٧٨٨ م) :

نزل الباشا من القلعة ، وذهب إلى قصر الآثار ، ونصب وطاقه هناك ولم يأخذ معه ذخيرة ولا كلارا ، بل تكفل بمصرفه اسماعيل بيك وختم كلاره قبل نزوله .

الأربعاء ٢٥ منه (٢ أبريل ١٧٨٨ م) :

وردت مكاتبات من الديار الحجازية وأخبروا فيها بوفاة الشريف سرور شريف مكة ، وولاية أخيه الشريف ، غالب .

الأحد ٢٩ منه (٦ أبريل ١٧٨٨ م) :

مات إبراهيم بيك قشطه صهر اسماعيل بيك ، مطعوناً .

وفيه : عزل اسماعيل بيك المعلم يوسف كساب ، الجمركى بديوان بولاق ، ونفاه إلى بلاد الأفرنج . وقيل انه غرقه ببحر النيل ، وقلد مكانه مخائيل كحيل على عشرين ألف ريال .. دفعها .

رجب

مستهل (٧ أبريل ١٧٨٨ م) :

.. نادى المنادى بالخروج ، وهدد من تخلف ،

واستمروا متترسين بالبرين ، وبعض الأمراء ناحية طرا ، وبعضهم بمصر القديمة في خلاعاتهم ، وبعضهم بالجيزة كذلك ، الى أن ضاق الحال بالناس ، وتعطلت الأسفار ، وانقطع الجالب من قبلى وبحرى .

وأرسل اسماعيل بيك الى عرب البحيرة والهنادى ، فحضروا بجمعهم وأخلاطهم ، وانتشروا في الجهة الغربية من رشيد الى الجيزة ، ينهبون البلاد ، ويأكلون الزروع ، ويضربون المراكب في البحر ، ويقتلون الناس . حتى قتلوا في يوم واحد من بلد النجيلة نيفا وثلاثمائة انسان . وكذلك فعل عرب الشرق والجزيرة بالبر الشرقى ، وكذلك رسلان وباشا النجار بالمنوفية . فتعطل السير برا وبحرا .. ولو بالخفارة . حتى أن الانسان يخاف أن يذهب من المدينة الى بولاق أو خارج باب النصر !

٥ منه (١١ ابريل ١٧٨٨ م) :

نهب سوق انبابة .

وفيه : قتل حمزة كاشف ، المعروف بالدويدار ، بجثة نصرانيا روميا صائغا .. اتهمه مع حريمه فقبض عليه ، وعذبه أياما ، وقلع عينيه وأسنانه ، وقطع أنفه وشفتيه وأطرافه حتى مات ... بعد أن استأذن فيه حسن بيك الجداوى ..

وعندما قبض عليه أرسل حسن بيك ونهب حانوته من جوهر ومصاغ ومتاع الناس ، وغير ذلك . وطلق الزوجة بعد أن أراد قتلها ، فهربت عند المست نفيسة زوجة مراد بيك .

وفيه : تشاجر شخص من أولاد البلد ، يقال له ابن البسطى ببيع الصينى مع رجل نظرونى ، فشكاه النظرونى الى محمد كاشف - تابع احمد - كتحدا المجنون - فأرسل اليه يطلبه .. فامتنع عليهم ، فأرادوا القبض عليه قهرا ، فغلب عليهم

وضربهم وطردهم . فأرسل له آخرين ففعل بهم كذلك ..

فركب الكاشف ، والنظرونى معه ، الى الوالى وأرشوه ، وذهب معهم الى اسماعيل بيك ، وأخذوا معهم أشخاصا شهدوا على ذلك الشاب أنه فاجر وقاطع طريق ومؤذ لجيرانه ، واستأذنه في قتله . فذهب اليه الوالى بجماعة كثيرة ، وقبض عليه ، وقتله تحت شباك داره وأمه تنظر اليه !

فلما كان في صباحها اجتمع أهل حارة الشاب بباب الشعرية ، وخرجوا ومعهم بيارق وأعلام ، وخلفهم النساء يندبن ويصرخن وينعين . وحضروا الى الجامع الأزهر . وبعد حصة طلبوا الى العرضى خارج مصر ، فخرجوا ، فأظهر اسماعيل بيك الغيظ والتأسف ، وأخذ بخاطرهم ، ووعدهم بأخذ الثأر ممن تسبب في قتله ، وأمر باحضار النظرونى ، فتغيب ، فأمر بالتفتيش عليه .

وانفض الجمع ، وبردت القضية وراحت على من راح ، والأمر لله وحده !

٦ منه (١٢ ابريل ١٧٨٨ م) :

أخذ اسماعيل بيك فرمانا من الباشا بفردة على البلاد لسليم بيك أمير الحج ، ليستعين بها على الحج ، وقرر على كل بلد مائة ريال وجملا .

٨ منه (١٤ ابريل ١٧٨٨ م) :

اجتمع الأمراء والوجاقلية والمشايخ بقصر العينى ، فأظهر لهم اسماعيل بيك فرمان ، وعرفهم احتياج الحال لذلك . فقام الاختيارية ، وأغلظوا عليه ومانعوا في ذلك .

١٢ منه (١٨ ابريل ١٧٨٨ م - الموافق ١٢ برمودة ١٥٠٤ ق) :

أمطرت السماء صبح ذلك اليوم .

١٦ منه (١٩ أبريل ١٧٨٨ م) :

هبّت رياح جنوبية باردة قوية . واثارت غباراً كثيراً واستمرت الى ثانى يوم .

١٧ منه (٢٣ أبريل ١٧٨٨ م) :

وصل نحو الألف من عسكر الأرتوود الى ساحل بولاق ، وعليهم كبير يسمى اسماعيل باشا ، فخرج اسماعيل بيك ، وحسن بيك ، وعلى بيك وورشوان بيك ، لملاقاته ، ومدوا له ساطا عند مكان الحلى القديم .

١٨ منه (٢٤ أبريل ١٧٨٨ م) :

أمطرت السماء من بعد الفجر الى العشاء ، وأطبق الغيم قبل الغروب ، وأرعد رعداً قوياً ، وأبرق برقاً ساطعاً ، ثم خرجت فرتونة نكباء شرقية شمالية ، واستمر البرق والمطر يتسلسل غالب الليل . وكان ذلك في ١٧ برمودة . فسبحان الفعال لما يريد !

٢٠ منه (٢٦ أبريل ١٧٨٨ م) :

كان عيد النصر . وفيه تقررّت الفرقة المذكورة ، وسافر لقبضها سليم بيك أمير الحج ، ولم يعد من قيام الوجدانية وسعيهم في ابطالها شيء . فانهم لما عارضوا في ذلك فتح عليهم طلب المساعدة : وليس بأيدي الملتزمين شيء يدفعونه فقال : اذا كان كذلك فاننا نقبضها من البلاد فلم يسعهم الا الاجابة .

٢١ منه (٢٧ أبريل ١٧٨٨ م) :

حضر الى ثغر بولاق أغا أسود ، وعلى يده مقرر لعابدى باشا ، وخلعة لشريف مكة فطلع عابدى باشا الى القلعة ، وعمل ديواناً في يوم الثلاثاء ، واجتمع بالأمرء والمشايخ والقاضى وقرأوا المقرر . ووصل صحبة الأغا المذكور ألف قرش رومى ، أرسلها حضرة السلطان تفرق على طلبة العلم بالأزهر ويقرأون له صحيح البخارى ، ويدعون له بالنصر !

٢٣ منه (٢٩ أبريل ١٧٨٨ م) :

سافر سليم بيك ، ونزل الى القليوبية . وفيه قتل اسماعيل باشا كبير الأرتوود ، رئيس عسكره وكان بخشاء ويخاف من سطوته . قيل انه أراد أن يأخذ العسكر ويذهب بهم الى الأمرء القبليين رغبة في كثرة عطائهم ، فطالبه بنفقة ، وألح عليه ، وقال له : ان لم تعطهم والا هربوا حيث شاءوا . فحضر عنده وفاوضه في ذلك فلاطفه وأكرمته واختلى به واغتاله ، وقطع رأسه وألقاه من الشباك لجماعته

٢٥ منه (اول مايو ١٧٨٨ م) :

كتبوا قائمة بأسماء المجاورين والطلبة ، وأخبروا الباشا أن الألف قرش لا تكفى طائفة من المجاورين . فزادها ثلاثة آلاف قرش من عنده ، فوزعوها بحسب الحال : أعلى وأوسط وأدنى . فخص الأعلى : عشرون قرشاً ، والأوسط عشرة ، والأدنى أربعة . وكذلك طوائف الأروقة بحسب الكثرة والقلّة .

ثم أحضروا أجزاء البخارى وقرأوه ، وصادف ذلك زيادة أمر الطاعون والكروب المختلفة !

٢٨ منه (٤ مايو ١٧٨٨ م) :

توفى صاحبنا حسن أفندى قلعة الغربية وتقلد عوضه صهره مصطفى أفندى ميسو كاتب اليومية . وفيه : توفى أيضاً خليل أفندى البغدادى الشطرنجى .

شبان

الأربعاء اوله (٧ مايو ١٧٨٨ م) :

عدى بعض الأمرء بخيامهم الى البر الغربى ، ثم رجعوا في ثانيه ، ثم عدى البعض ورجع البعض . وكل ذلك ايها مات بالسفر وتمويهات من اسماعيل بيك . وفي الحقيقة قصده عدم الحركة . وضاعت

أنفس المقيمين بالمطارس ، وقلقوا من طول المدة ،
وتفرق غالبيتهم ، ودخلوا المدينة .

الأحد ٥ منه (١١ مايو ١٧٨٨ م) :

حضر الى مصر رجل هندي ، قيل انه وزير
سلطان الهند حيدر بيك ، وكان قد ذهب الى
اسلامبول بهدية الى السلطان عبد الحميد ، ومن
جملتها : منبر وقبلة مصنوعان من العود القاقلى
صنعة بديعة ، وهما قطع مفصلات يجمعها شناكل
وأغربة من فضة وذهب ، وسرير يسع ستة أنفار ،
وطائران يتكلمان باللغة الهندية .. خلاف البيغا
المشهور . وأنه طلب منه امدادا يستعين به على
حرب أعدائه الانكليز المجاورين لبلاده ، فأعطاه
مرسومات الى الجهات بالاذن لمن يسير معه ، فسار
الى الاسكندرية ، ثم حضر الى مصر ، وسكن
بيولاقي . وهو رجل كالمقعد يجلس على كرسى من
فضة ، ويحمل على الأعناق .

وقد ماتت العساكر التى كانت معه ، ويريد
اتخاذ غيرها من أى جنس كان . وكل من دخل
فيهم برسم الخدمة وسموه بعلامة فى جبهته لاتزول ،
فنفرت الناس من ذلك . . .

وملابسهم مثل ملابس الإفرنج ، وأكثرها من
ثيت هندي مقمطة على أجسامهم ، وعلى رأسهم
شقات أفرنجية .

٧ منه (١٢ مايو ١٧٨٨ م) :

رجع الأمراء والوجاقلية الى بيوتهم ، وأشاعوا
أن الأمراء القبليين رحلوا ورجعوا القهقرى الى
قبلى .

١٠ منه (١٦ مايو ١٧٨٨ م) :

خرجوا ثانيا ، وأشيع حضورهم الى الشيمى .

الجمعة ١٧ منه (٢٢ مايو ١٧٨٨ م) :

فى ليلتها خرج الأمراء بعد الغروب ، وأشيع
وصول القبليين ، وهجومهم على المطارس .

وفى صبح ذلك اليوم حصلت زعجة وضجة ،
وهرب الناس من القرافتين ، ونودى بالخروج ،
فلم يخرج أحد . ثم برد هذا الأمر .

وفى تلك الليلة ضربوا أعناق خمسة أشخاص
من أتباع الشرطة ، يقال لهم « البصاصون » .
وسبب ذلك أنهم أخذوا عملة وأخفوها من حاكمهم ،
واختصوا بها دونه ، ولم يشركوه معهم .

الاثنين ٢٧ منه (٢ يونية ١٧٨٨ م) :

مات محمد أغا مستحفظان ، المعروف بالتميم .

الأربعاء ٢٩ منه (٤ يونية ١٧٨٨ م) :

كسفت الشمس وقت الضحوة الكبرى ، وكان
المنكسف منها نحو الثلاثة أرباع . وأظلم الجو الا
سيرا ، ثم انجلى ذلك عند الزوال .

رضان

٣ منه (٧ يونية ١٧٨٨ م) :

قلدوا اسماعيل بيك ، خازندار اسماعيل بيك —
الذى كان زوجه باحدى زوجات أحمد كتحدا
المجنون — أغات مستحفظان ، وقلدوا خازندار
حسن بيك الجداوى واليا ، عوضا عن اسماعيل
أغا الجزايرلى .. لعزله .

فى ١٢ منه (١٦ يونية ١٧٨٨ م) :

حضر ابراهيم كاشف من اسلامبول ، وكان
اسماعيل بيك أرسله بهدية الى الدولة ، فأوصلها
ورجع الى مصر بجوابات القبول ، وأنه لما وصل
الى اسلامبول ، وجد حسن باشا نزل الى المراكب
مسافرا الى بلاد الموسقو ، وبينه وبين اسلامبول

وحصلت زعجة في بولاق تلك الليلة ، وأغلقوا
الدكاكين ، وقتل من القليونية نحو العشرين ،
ومن المغاربة دون ذلك .

فلما بلغ اسماعيل بيك ذلك اغتاض ، وأرسل الى
المغاربة يأمرهم بالانتقال من مكانهم ، فانتقلوا الى
القاهرة وسكنوا بالحانات .

فلما كان ثاني يوم ، نزل الأغا والوالى وناديا
في الأسواق على المغاربة الحجاج بالخروج من
المدينة الى ناحية العادلية ، ولا يقيموا بالبلد ،
وكل من آواهم يستاهل ما يجرى عليه .. فاستنعوا
من الخروج وقالوا :

« كيف نخرج الى العادلية ونموت فيها
عطشا ! » ، وذهب منهم طائفة الى اسماعيل كتحدوا
حسن باشا ، فأرسل الى اسماعيل بيك بالروضة
يترجى عنده فيهم . فامتنع ولم يقبل الشفاعة وحلف
أن كل من مكث منهم بعد ثلاثة أيام قتله . فتجمعوا
أحزابا واشتروا أسلحة ، وذهب منهم طائفة الى
الشيخ العروسي ، والشيخ محمد بن الجوهري .
فتكلموا مع اسماعيل بيك : فنادى عليهم بالأمان .

أواخره (أوائل يولية ١٧٨٨ م) :

ورد خبر من دمياط ، بأن النصارى أخذوا من
على ثغر دمياط اثني عشر مركبا .

شوال

الثلاثاء ٤ منه (٨ يولية ١٧٨٨ م) :

حضه سليم بيك من سرحته .

الأربعاء ٥ منه (٩ يولية ١٧٨٨ م) :

أرسل الأغا بعض أتباعه بطلب شخصين من
عسكر القليونية ، من ناحية بين السورين ،
بسبب شكوى رفعت اليه فيهما . فضرب أحدهما
أحد المعينين .. فقتله ، فقبضوا عليه ، ورموا عنقه
أيضا بجانبه .

نحو أربع ساعات . فذهب اليه وقابله ورجع معه
في شكترية الى اسلامبول ، وطلع الهدية بحضرته .
وقد كان أشيع هناك بأن ابراهيم بيك ، ومراد
بيك ، دخلا الى مصر وخرج من فيها ، وحصل
هناك هرج عظيم بسبب ذلك . فلما وصل ابراهيم
كاشف هذا بالهدية ، حصل عندهم اطمئنان وتحققوا
منه عدم صحة ذلك الخبر .

في ٢٤ منه (٢٨ يونية ١٧٨٨ م) :

نهب العرب قافلة التجار والحجاج الواصلة من
السويس ، وفيها شيء كثير جدا من أموال التجار
والحجاج . ونهب فيها التجار خاصة ، ستة آلاف
جمل ، ما بين قماش وبهار ، وبن وأقمشة وبضائع .
وذلك خلاف أمتعة الحجاج ، وسلبوهم حتى ملابس
أبدانهم ، وأسروا النساء وأخذوا ما عليهن . ثم
باعوهن لأصحابهن عرابا ، وحصل لكثير من الناس
وغالب التجار الضرر الزائد ، ومنهم من كان جميع
ماله بهذه القافلة فذهب جميعه ، ورجع عريانا ، أو
قتل وترك مرميا .. !

في ٢٥ منه (٢٩ يونية ١٧٨٨ م) :

وقع بين طائفة المغاربة الحجاج النازلين بشاطيء
النيل ببولاق ، وبين عسكر القليونية مقاتلة ،
وسبب ذلك .. أن المغاربة نظروا بالقرب منهم جماعة
من القليونية المتقيدين بقليون اسماعيل بيك ،
ومعهم نساء يتعاطون المنكرات الشرعية . فكلهم
المغاربة ونهوه عن فعل القبيح ، وخصوصا في مثل
هذا الشهر ، أو أنهم يتباعدون عنهم .. فضربوا عليهم
طبنجات . فثار عليهم المغاربة ، فهرب القليونية
الى مراكزهم ، فظن المغاربة خلفهم ، واشتبكوا
معهم ، ومسكوا من مسكوه ، وذبحوا من ذبحوه ،
ورموا الى البحر ، وقطعوا حبال المراكب ، ورموا
صواريخها .

وفيه : حضر طائفة العربان الذين نهبوا القافلة الى مصر ، وهم من العيايدة ، وقابلوا اسماعيل بيك ، وصالحوه على مال !.. وكذلك الباشا ، واتفقوا على شيل ذخيرة أمير الحج ، وخلع عليهم . ولما نهبت القافلة ، اجتمع الأكابر والتجار ، وذهبوا الى اسماعيل بيك ، وشكوا اليه ما نزل بهم ... فوبخهم ، وأظهر الشماتة فيهم !

وقال لهم : « أنتم ناس أكابر . أنا أطلب العرب لشيل الذخيرة ، وأنتم تحجزونهم لأنفسكم ، وترغبونهم في زيادة الأجرة لأجل أغراضكم ومتاجرهم ، وتعطلوا أشغال الدولة ، ولا تستأذنوا أحدا .. فجزاؤكم ما حل بكم » .

ثم ذهبوا الى الباشا أيضا ، وكلموه فقال لهم مثل ذلك ، وقال أيضا : « انه بلغنى أنكم تختلسون الكثير من المحزوم والبضاعة ، وتأتون بها من غير جمر ولا عشور ، فوقع لكم ذلك قصاصا بركة جدى لأنى شريف ! وأنتم أكلتم حقى » .

فأجابه بعضهم - وهو السيد باكير - وقال له : « يا مولانا الوزير ، جرت العادة أن التجار يفعلون ذلك ، ويقولون ما أمكنهم . وعلى الحاكم التفتيش والفحص ! » .

فاغتاز من جوابه ، وقال : « انظروا هذا ... كيف يجاوبنى ويشافهنى ، ويرد على الكلام والخطاب ! ما رأيت مثل أهل هذه البلدة ، ولا أقل حياء منهم ! » وصارت بده ترتعش من الغيظ ، وخرجوا من بين يديه آيسين .. والحاضرون يلطفون له القول ويأخذون بخاصره ، وهو لا ينجلي عنه الغيظ ، وهو يقول : « كيف أن مثل هذا العامى السوقى برد على هذا الجواب ؟! ولولا خوفى من الله لفعلت به وفعلت .. » . فلو قال له أن حقك هذا الذى تدعيه مكس وظلم ، أو نحو ذلك .. لقتله بالفعل ... والأمر لله وحده ! وانفصل الأمر على ذلك .

السبت ٨ منه (١٢ يولية ١٧٨٨ م) :

نزلوا بكسوة الكعبة من القلعة الى المشهد الحسينى على العادة .

الثلاثاء ١١ منه (١٥ يولية ١٧٨٨ م) :

في ثالث ساعة من الليل ، حصلت زعجة عظيمة ، وركب جميع الأمراء وخرجوا الى المتاريس . وأشيع أن الأمراء القبليين عدوا الى جهة الشرق ، وركب الوالى والأغا ، وصاروا يفتحون الدروب بالعتلات ، ويخرجون الأجناد من بيوتهم الى العرضى . وباتوا بقية الليل فى كربة عظيمة ، وأصبح الناس هائجين ، والمناداة متتابعة على الناس والألضاشات والأجناد والعسكر بالحروج ، وظن الناس هجوم القبليين ودخولهم المدينة .

فلما كان أواخر النهار حصلت سكتة ، وأصبحت القضية باردة : ونهر أن بعضهم عدى الى الشرق وقصدوا الهجوم على المتاريس فى غفلة من الليل ، فسبق العين بالحبر ، فوقع ماذكر . فلما حصل ذلك رجعوا الى بياضة ، وشرعوا فى بناء متاريس ، ثم تركوا ذلك وترفعوا الى فوق : ولم يزل المصريون مقيمين بطرا ماعدا اسماعيل بيك ، فانه رجع بعد يومين لأجل تشهيل الحج .

السبت ٢٢ منه (٢٦ يولية ١٧٨٨ م) :

خرج سليم بيك أمير الحج بموكب المحمل . وكان مثل العام الماضى فى قلة ، بل أقل ، بسبب اقامة الأمراء بالمتاريس .

ذوالقعدة

١ منه (٣ اغسطس ١٧٨٨ م) :

فى ذلك اليوم رسموا بنفى سليمان بيك الشابورى الى المنصورة ، وتقاسموا بلاده . وفيه : رجع الأمراء من المتاريس الى مصر

القديمة كما كانوا ، ولم يبق بها الا المرابطون قبل ذلك .

٢ منه (٤ أغسطس ١٧٨٨ م) :

ثار جماعة الشوام وبعض المغاربة بالأزهر على الشيخ العروسي ، بسبب الجراية ، وقللوا في وجهه باب الجامع وهو خارج يريد الذهاب ، بعد كلام وصياح ، ومنعوه من الخروج ، فرجع الى رواق المغاربة ، وجلس به الى الغروب . ثم تخلص منهم وركب الى بيته . ولم يفتحوا الجامع ، وأصبحوا فخرجوا الى السوق ، وأمروا الناس بغلق الدكاكين ، وذهب الشيخ الى اسماعيل بيك وتكلم معه فقال له :

« أنت الذي تأمرهم بذلك وتريدون بذلك تحريك الفتن علينا ، ومنكم أناس يذهبون الى أخصامنا ويعودون » فتبرأ من ذلك ، فلم يقبل .

وذهب أيضا ، وصحبته بعض المتعممين ، الى الباشا بحضرة اسماعيل بيك . فقال الباشا مثل ذلك ، وطلب الذين يشيرون الفتن من المجاورين ، ليؤدبهم وينفيهم ، فمانعوا في ذلك ، ثم ذهبوا الى على بيك الدفتردار — وهو الناظر على الجامع — فتلافي القضية ، وصالح اسماعيل بيك ، وأجروا لهم الأخباز بعد مشقة وكلام من جنس ماتقدم ، وامتنع الشيخ العروسي من دخول الجامع أياما ، وقرأ درسه بالصالحية .

١٤ منه (١٦ أغسطس ١٧٨٨ م) :

أوفى النيل أذرعه ، وركب الباشا في صبحها ، وكسر سد الخليج .

٢٠ منه (٢٢ أغسطس ١٧٨٨ م) :

انفتح سد ترعة مويس ، فأحضر اسماعيل بيك ، عمر كاشف الشعراوي — وهو الذي كان تكفل بها ، لأنه كاشف الشرقية — ولامه ، ونسب

للتقصير في تمكينها ، وألزمه بسدها .. فاعتذر بعدم الامكان ، وخصوصا وقد عزل من المنصب ، وأعوانه صاروا مع الكاشف الجديد . فاغتاظ منه ، وأمر بقتله . فاستجار برضوان كتحدا مستحفظان ، فشفع فيه ، وأخذته عنده ، وسعى في جريسته ، وصالح عليه .

٢١ منه (٢٣ أغسطس ١٧٨٨ م) :

أحضروا سليمان بيك الشايفوري من المنصورة .

ذواحجة

الثلاثاء غرته (٢ سبتمبر ١٧٨٨ م) :

حضر قليونان روميان الى بحر النيل ببولاق ، يشتمل أحدهما على واحد وعشرين مدفعا ، والثاني أقل منه ، اشتراهما اسماعيل بيك .

وفيه : زاد سعر الغلة ضعف الثمن بسبب انقطاع الجالب .

الاثنين ١٤ منه (١٥ سبتمبر ١٧٨٨ م) :

عمل الباشا ديوانا بقصر العيني ، وتشاوروا في خروج تجريدة ، وشاع الخبر بزحف القبلين .

الأربعاء ١٦ منه (١٧ سبتمبر ١٧٨٨ م) :

عمل الباشا ديوانا بقصر العيني ، جمع به سائر الأمراء والوجاقية والشايع ، بسبب شخص الجي ، حضر بمكاتبات من قرال الموسيقى . ولحضوره نبأ ينبغي ذكره ، كما نقل اليها ، وهو : أن قرال الموسيقى لما بلغه حركة العثماني في ابتداء الأمر على مصر ، أرسل مكاتبة الى أمراء مصر ، على يد القنصل المقيم بغير الاسكندرية ، يحذروهم من ذلك ، ويحضهم على تحصين الثغر ، ومنع حسن باشا من العبور . فحضر القنصل الى مصر واختلى بهم ، وأطلعهم على ذلك فأهملوه ، ولم يلتفتوا اليه ، ورجع من غير رد

جواب . وورد حسن باشا ، فعند ذلك اتبها ، وطلبوا القنصل ، فلم يجدوه ، وجرى ما جرى ، وخرجوا الى قبلى ، وكاتبوا القنصل ، فأعاد الرسالة الى قراله وركب هجانا واجتمع بهم ورجع . وصادف وقوع الواقعة بالمنشية فى السنة الماضية وكانت الهزيمة على المصريين ، وشاع الخبر فى الجهات بعودهم .

وقد كان أرسل لنجدتهم عسكريا من قبله ومراكب ومكاتبات. صحبة هذا الألجى ، فحضر الى ثمر دمياط فى أواخر رمضان ، فرأى انعكاس الأمر ، فعربد بالشعر وأخذ عدة تقارير ، ورجع الى مرساه وأقام بها ، وكاتب قراله وعرفه صورة الحال . وأن من بمصر الآن من جنسهم أيضا ، وإن العثملى لم يزل مقهورا معهم . فأجمع رأيه على مكاتبة المستقرين وامدادهم ، فكتب اليهم وأرسلها صحبة هذا الألجى ، وحضر الى دمياط ، وأنفذ الخبر سرا بوصوله ، وطلب الحضور بنفسه ، فأعلموا الباشا بذلك سرا وأرسلوا اليه بالحضور .

فلما وصل الى شلقان ، خرج اليه اسماعيل بيك فى تطريدة كأن لم يشعر به أحد ، وأعد له منزلا ببولاق ، وحضر به ليلا وأنزله بذلك القناق . ثم اجتمع به صحبة على بيك ، وحسن بيك ، ورضوان بيك ، وقرأوا المكاتبات بينهم . فوصل اليهم عند ذلك جماعة من أتباع الباشا ، وطلبوا ذلك الألجى عند الباشا .. وذلك بإشارة خفية بينهم وبين الباشا ، فركبوا معه الى قصر العبنى ، وأرسل الباشا فى تلك الليلة التنايه لحضور الديوان فى صباحها . فلما تكاملوا ، أخرج الباشا تلك المراسلات وقرئت فى المجلس ، والترجمان يفسرها بالعربى ، وملخصها : « خطايا الى الأمراء المصرية .. باله بلغنا صنع ابن عثمان الخائن الغدار معكم ، ووقوع الفتنة فكم ، وقصده أن بعضكم يقتل بعضا ، ثم

لا يبقى على من يبقى منكم ، ويملك بلادكم ، ويفعل بها عوائده من الظلم والجور والخراب . فانه لا يضع قدمه فى قطر الا ويعمه الدمار والخراب . فتيقظوا لأنفسكم ، واطردوا من حل ببلادكم من العثمانية ، وارفعوا بندرتنا ، واختاروا لكم رؤساء منكم ، وحصنوا ثغوركم ، وامنعوا من يصل اليكم منهم .. الا من كان بسبب التجارة ، ولا تخشوه فى شيء ، فنحن فكيفكم مؤنته ، وانصبوا من طرفكم حكاما بالبلاد الشامية كما كانت فى السابق ، ويكون لنا أمر بلاد الساحل ، والواصل لكم كذا وكذا مركبا ، وبها من كذا العسكر والمقاتلين . وعندنا من المال والرجال ما تطلبون ، وزيادة على ما تظنون . »

فلما قرئ ذلك ، اتفقوا على ارسالها الى الدولة ، فأرسلت فى ذلك اليوم ، صحبة مكاتبة من الباشا والأمراء ، وأنزلوا ذلك الألجى فى مكان بالقلعة مكرما ..

الاثنين ٢١ منه (٢٢ سبتمبر ١٧٨٨ م) :

وجهوا خمسة من المراكب الرومية الى جهة قبلى ، وأبقوا اثنين ، وأرسلوا بها عثمان بيك طبل الاسماعيلى وعساكر رومية . والله أعلم .

ومات فى هذه السنة الامام العلامة ، أحد المتصدرين ، وأوحد العلماء المتبحرين ، حلال المشكلات ، وصاحب التحقيقات ، الشيخ حسن بن غالب الجداوى المالكى الأزهرى .

ولد بالجديدة فى سنة ثمان وعشرين ومائة وألف — وهى قرية قرب رشيد وبها نشأ .

وقدم الجامع الأزهر ، فتفقه على بلديه الشيخ فمس الدين محمد الجداوى ، وعلى ألقه المالكية فى عصره : السيد محمد بن محمد السلامونى ، وحضر على الشيخ على خضر العمروسى ، وعلى

السيد محمد البليدي والشيخ علي الصعيدي .
أخذ عنهم الفنون بالاتقان ، ومهر فيها حتى عد من
الأعيان ، ودريس في حياة شيوخه وأفتى .

وهو شيخ بهي الصورة ، طاهر السريرة ،
حسن السيرة ، فصيح اللهجة ، شديد العارضة ،
يفيد الناس بتقريره الفائق ، ويحل المشكلات بذهنه
الرائق . وحلقة درسه عليها الخفر ، وما يليقه كأنه
نثار جواهر ودرر .

وكان ينزل الى بلده الجديدة في كل سنة مرة ،
ويقيم بها أياما ، ويجتمع عليه أهل الناحية ويهادونه
 ويفصلون على يديه قضاياهم ودعواوبهم ومواريتهم ،
ويؤخرون وقائعهم الحادثة بطول السنة الى
حضوره ، ولا يتقون الا بقوله ... ثم يرجع الى
مصر بما اجتمع لديه من الأرز والسمن والعسل
والقمح وغير ذلك ما يكفي عياله الى قابل ... مع
الحشمة والعفة ...

ومات الامام العالم العلامة ، الفقيه المحدث
النحوي ، الشيخ حسن الكفراوي الشافعي
الازهري .

ولد ببلدة كفر الشيخ حجازي بالقرب من المحلة
الكبرى . فقرأ القرآن ، وحفظ المتون بالمحلة ، ثم
حضر الى مصر وحضر شيوخ الوقت — مثل الشيخ
أحمد السجاعي والشيخ عمر الطحلاوي والشيخ
محمد الحفني والشيخ علي الصعيدي — ومهر في
الفقه والمعقول ، وتصدر ودرس وأفتى واشتهر
ذكره .

ولازم الاستاذ الحنفى ، وتداخل في القضايا
والدعوى ، وفصل الخصومات بين المتنازعين ،
وأقبل عليه الناس بالهدايا والجمالات ، ونما أمره ،
وراش جناحه ، وتجل بالملابس وركوب البغال ،
وأحرق به الأتباع ، واشترى بيت الشيخ عمر
الطحلاوي بحارة السنواني — بعد موت ابنه

سبدي على — فزادت شهرته ، ووفدت عليه
الناس ، وأطعم الطعام ، واستعمل مكارم الأخلاق
... ثم تزوج بنت المعلم درع الجزار بالحسينيه ،

وسكن بها ، فجيش عليه أهل الناحية ، وأه لو
النجدة والزعارة والشطارة ، وصار له بهم نجدة
ومنة على من يخالفه أو يعانده .. ولو من الحكام .
وتردد الى الأمير محمد بيك أبى الذهب قبل
استقلاله بالامارة ، وأحبه وحضر مجالس دروسه
في شهر رمضان بالمشهد الحسيني . فلما استبد
بالأمر لم يزل يراعى له حق الصحبة ، وبقبل شفاعة
في المهمات ، ويدخل عليه من غير استئذان في أى
وقت أراد ... فزادت شهرته ، ونفذت أحكامه
وقضاياه .

واتخذ سكنا على بركة جناق أيضا .

ولما بنى محمد بيك جامعه كان هو المتعين فيه
بوظيفة رئاسة التدريس والافتاء رمشيحة الشافعية ،
وثالث ثلاثة المفتين الذين قرره الأمير المذكور
وقصر عليهم الافتاء ، وفرض لهم أمكنة يجلسون
فيها أنشأها لهم بظاهر الميضاة بجوار التكية التي
جعلها لطلبة الأتراك بالجامع المذكور حصنة من
النهار في ضحوة كل يوم للافتاء بعد القائه دروس
الفقه . ورتب لهم مايكفيهم ، وشرط عليهم عدم
قبول الرشاش والجمالات ... فاستمروا على ذلك
أيام حياة الأمير .

واجتمع المترجم بالشيخ صادومة المشعوذ ،
ونوه بشانه عند الأمراء والناس ، وأبرزه لهم في
قالب، الولاية ، وجعل شعوذته وسيمياه من قبيل
الخوارق والكرامات .. الى أن اتضح أمره ليوسف
بيك ، فتحامل عليه وعلى قرينه الشيخ المترجم من
أجله ، ولم يتمكن من ايدائهما في حياة سيده .

فلما مات سيده قبض على الشيخ صادومة
وألقاه في بحر النيل ، وعزل المترجم من وظيفة
المحمدية والافتاء ... فانكسف باله ، وخمد مشعال

ظهوره بين أقرانه الا قليلا ... حتى هلك يوسف
بيك قبل تمام الحول ، ونسيت القضية ، وبطل
أمر الوظيفة والتكية ، وتراجع حاله .. لا كالأول .
ووافاه الحمام بعد أن تمرض شهورا وتعلل ،
وذلك في عشرين شعبان من السنة .

ومن مؤلفاته اعراب الآجرومية ، وهو مؤلف
نافع مشهور بين الطلبة .

وكان قوى البأس ، شديد المراس ، عظيم
الهمة والشكيمة ، ثابت الجنان عند العظائم ، يغلب
على طبعه حب الرياسة ، والحكم والسياسة ،
ويحب الحركة بالليل والنهار ، ويميل السكون
والقرار . . . وذلك مما يورث الخلل ، ويوقع في
الزلل . .

فان العلم اذا لم يقرن بالعمل ، ويصاحبه
الخوف والوجل ، ويجمل بالتقوى ، ويزين
بالعفاف ، ويحل باتباع الحق والانصاف ... أوقع
صاحبه في الخذلان ، وصيره مثله بين الأقران ..
اللهم الطف بنا ، ووفقنا ، وارحمنا ، وأحسن
عاقبتنا ، وقنا ، واكفنا شر أنفسنا ، يا أرحم
الراحمين ، اللهم آمين .

ومات أيضا العلامة الأديب ، واللودعي اللبيب ،
المتقن المتقن ، الشيخ محمد بن علي المعروف
بالشافعي التونسي ، نزيل مصر .
ولد بتونس سنة ١١٥٢ ، ونشأ في قراءة
القرآن وطلب العلم . وقدم الى مصر سنة ١١٧١ ،
وجاور بالأزهر برواق المغاربة ، وحضر علماء
العصر في الفقه والمقولات ، ولزم دروس الشيخ
علي الصعدي وأبي الحسن القلعي التونسي شيخ
الرواق .

وعاشر اللطفاء والنجباء من أهل مصر ، وتخلق
بأخلاقهم ، وطالع كتب التاريخ والأدب ، وصار له
ملكة في استحضار المناسبات الغريبة والنكات ،

وتزوج وتزيا بزى أولاد البلد ، وتحلى بذوقهم ،
ونظم الشعر الحسن ...

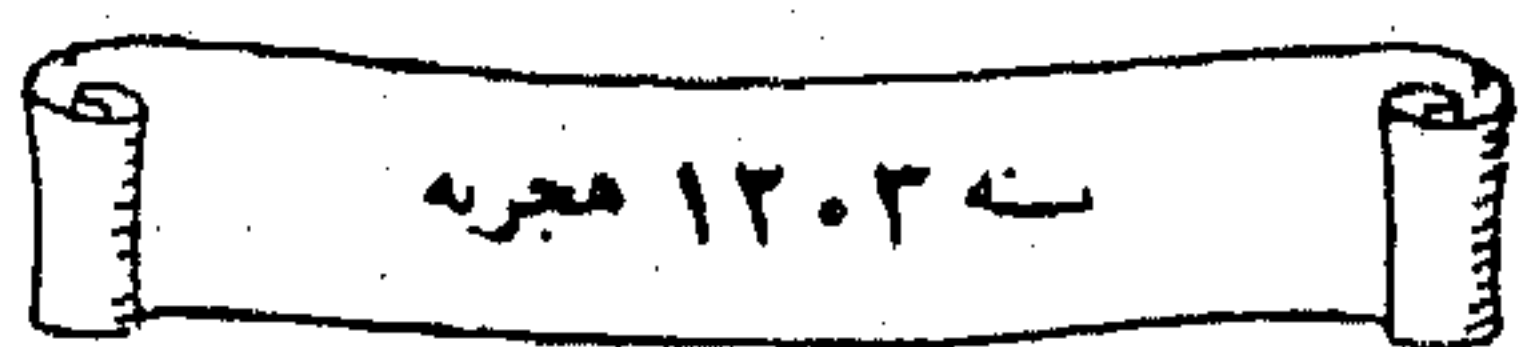
ومات صاحبنا الشاب الصالح العفيف الموفق
الشيخ مصطفى بن جاد .

ولد بمصر ، ونشأ بالصحراء بعمارة السلطان
قايتباي . ورغب في صناعة تجليد الكتب وتذهيبها ،
فعانى ذلك ومارسه عند الأسطى أحمد الدقوسى
حتى مهر فيها ، وفاق أستاذه ، وأدرك دقائق الصنعة
والتذهيبات والنقوشات بالذهب المحلول والفضة
والأصباغ الملونة ، والرسم والجداول والأطباع
وغير ذلك .

وانفرد بدقيق الصنعة بعد موت الصناع الكبار .
مثل الدقوسى وعثمان افندى ابن عبدالله - عتيق
المرحوم الوالد - والشيخ محمد الشناوى .

وكان لطيف الذات ، خفيف الروح ، محبوب
الطباع ، مألوف الأوضاع ، ودودا مشفقا ، عفيفا
صالحا ...

ولم يزل مقبلا على شأنه ، قانعا بصناعته ،
يستنسخ بعض الكتب ويبيعها ليربح فيها ، الى أن
وافاه الحمام ... عوضنا الله فيه خيرا ، فانه كان بى
رعوفا ، وعلى شفيقا ، ولا يصبر عنى يوما كاملا ،
مع حسن العشرة والمودة والمحبة ... لا لغرض من
الأغراض .. ولم أر بعده مثله (١) .



المحترم

الخميس اوله (٢ أكتوبر ١٧٨٨ م) :

فيه : زاد اجتهاد اسماعيل بيك في البناء عند

(١) ان الجبرى ، وقد انطلق يوفى الصداقة حقها ، لم يستطع
ان يجس قلمه عن الانطلاق في وصف مكارم الأخلاق ، التى
ما اجتمعت لصانع الا وفقه الله فاصبح في عمله قنانا ، يذكر فنه
وفضله بعد حين اشرف على قرنين من الزمان ...

طرا ، وأنشأ هناك قلعة بحافة البحر ، وجعل بها مساكن ومخازن وحواصل ، وأنشأ حيطانا وأبراجا وكرانك ، وأبنية ممتدة من القلعة الى الجبل ، وأخرج اليها الجبخانه والذخيرة وغير ذلك .

الجمعة ٩ منه (١٠ أكتوبر ١٧٨٨ م) :

سافر عثمان كتنخدا عزبان الى اسلامبول بعرض حال بطلب عسكر ، واذن باقتطاع مصاريق من الخزينة .

السبت ٢٤ منه (٢٥ أكتوبر ١٧٨٨ م) :

سافر اسماعيل باشا باش الأرثوود بجماعته ، ولحقوا بالغالين ... والجماعة القبليون متترسون بناحية الصول ، وعاملون سبعة متاريس ، والمراكب وصلت الى أول متراس ، فوجدوهم مالكين مزم الجبل ، فوققوا عند أول متراس ومدافعهم تصيب المراكب ، ومدافع المراكب لا تصيبهم ، وهم ممتنعون بأنفسهم الى فوق . وانخرقت المراكب عدة مرات ، وطلع مرة من أهل المراكب جماعة أرادوا الكس على المتراس الأول ، فخرج عليهم كمين من خلف مزرعة الذرة المزروع ، فقتل من طائفة المغاربة جماعة ، وهرب الباقون ، ونصت رءوس القتلى على مزاريق ليراها أهل المراكب .

الاثنين ٢٦ منه (٢٧ أكتوبر ١٧٨٨ م) :

سافر أيضا عثمان بيك الحسنى ، وامتنع ذهاب السفار واياهم الى الجهة القبلىة ، وانقطع الوارد ، وشطح سعر الغلة . وبلغ النيل غايته فى الزيادة ، واستمر على الأراضى من غير نقص ، الى آخر شهر بابة القبطى ... وروى جميع الأراضى

الثلاثاء ٢٧ منه (٢٨ أكتوبر ١٧٨٨ م) :

حضر سراج من عند القبليين ، وعلى يده مكاتبات بطلب صلح ، وعلى أنهم يرجعون الى البلاد التى عينها لهم حسن باشا ، ويقومون بدفع

المال والغلال للميرى ، ويطلقون السبل للمسافرين والتجار ... فانهم سئموا من طول المدة ، ولهم مدة شهور منتظرين اللقاء مع أخصامهم ، فلم يخرجوا اليهم ... فلا يكونون سببا لقطع أرزاق الفقراء والمساكين .

فكتبوا لهم أجوبة للاجابة لمطلوبهم ، بشرط ارسال رهائن ، وهم : عثمان بيك الشرقاوى ، وابراهيم بيك الوالى ، ومحمد بيك الألفى ، ومصطفى بيك الكبير .

ورجع الرسول بالجواب ، وصحبته واحد بشلى من طرف الباشا .

صفر

غرفته (١ نوفمبر ١٧٨٨ م) :

حضر جماعة مجاريح .

فى ٢ منه (٢ نوفمبر ١٧٨٨ م) :

حضر المرسال الذى توجه بالرسالة ، وصحبته سليمان كاشف من جماعة القبليين ، والبشلى وآخر من طرف اسماعيل باشا الأرثوودى ، وأخبروا أن الجماعة لم يرضوا بارسال رهائن . ثم أرسلوا لهم على كاشف الجيزة وصحبته رضوان كتنخدا باب التفكجية ، وتلطفوا معهم على أن يرسلوا عثمان بيك الشرقاوى وأيوب بيك .. فامتنعوا من ذلك ، وقالوا من جملة كلامهم :

« لعلكم تظنون أن طلبنا فى الصلح عجز ، أو أننا محصورون ، وتقولون بينكم فى مصر : انهم يريدون بطلب الصلح التحيل على التعدية الى البر الغربى ، حتى يملكوا الاتساع . واذا قصدنا ذلك أى شىء يمنعنا فى أى وقت شئنا ؟ . وحيث كان الأمر كذلك ، فنحن لا نرضى الا من حد أسيوط ، ولا نرسل رهائن ، ولا تتجاوز محلنا » .

فى ٧ منه (٧ نوفمبر ١٧٨٨ م) :

فلما رجع الجواب بذلك ، أرسل الباشا فرمانا الى

اسماعيل باشا بمحاربتهم ، فبرز اليهم بعساكره ،
وجميع العسكر التي بالمراكب ، وحملوا عليهم
حملة واحدة .

٨ منه (٨ نوفمبر ١٧٨٨ م) :

أخلوا لهم ، وملكوا منهم متراسين ، فخرج
عليهم كمين بعد أن أظهروا الهزيمة . فقتل من
العساكر جملة كبيرة .

٩ منه (٩ نوفمبر ١٧٨٨ م) .

ثم وقع الحرب بينهم ، واستمرت المدافع تضرب
بينهم من الجهتين ، والحرب قائمة بينهم سجلا ،
وكل من الفريقين يعمل الحيل وينصب الشباك على
الآخر . ويكمن ليلا فيجد الرصد ، ولم تنفصل
بينهم الحرب على شيء .

منتصفه (١٥ نوفمبر ١٧٨٨ م) :

شرع اسماعيل بيك في عمل تفريدة على البلاد ،
فقررروا الأعلى عشرين ألف فضة ، والأوسط خمسة
عشر ، والأدنى خمسة آلاف . وذلك خلاف حق
الطرق وما يتبعها من الكلف ، وعمل ديوان ذلك
في بيت على بيك الدفتردار بحضرة الوجاقلية ،
وكتبت دفاترها وأوراقها في مدة ثلاثة أيام .

ربيع الأول

مستهلّه (٣٠ نوفمبر ١٧٨٨ م) :

الحال على ما هو عليه . وحضر رسول من القبلين
بطلب الصلح ، ويطلبون من حد أسيوط الى فوق
شرقا وغربا ، ولا يرسلون رهائن . ووصل ساع
من ثغر الاسكندرية بالبشارة لاسماعيل كتحدا
حسن باشا بولاية مصر ، وأن اليرق والداقم
وصل ، والقبحي والكتخدا ، وأرباب المناصب
وصلوا الى الثغر ، فردهم الريح عندما قربوا من

المرسة الى جهة قبرص ، فشرع عابدي باشا في
نقل متاعه من القلعة .

ولما حضر الرسول بطلب الصلح رضى
المصرية بذلك ، وأعادوه بالجواب .

٤ منه (٣ ديسمبر ١٧٨٨ م) :

حضر أحمد أغا ، أغات الجمالية المعروف
بشويكار ، لتقرير ذلك . فعمل عابدي باشا ديوانا
اجتمع فيه الأمراء والمشايخ والاختيارية ، وتكلم
أحمد أغا ، وقال :

« نأخذ من أسيوط الى قبلى شرقا وغربا بشرط
أن ندفع ميرى البلاد من المال والغلال ، ونطلق
سراح المراكب والمسافرين بالغلال والأسباب ...
وكذلك أتم لاتمنعون عنا الواردين بالاحتياجات
الا ما كان من آلة الحرب ... فلكم منعه .

» وبعد أن يتقرر بيننا وبينكم الصلح ، نكتب
عرض محضر منا ومنكم الى الدولة ، وننظر ما يكون
الجواب . فان حضر الجواب بالعفو لنا ، أو تعيين
أماكن لنا .. لانخاف ذلك ، ولا تعدى الأوامر
السلطانية ، بشرط أن ترسلوا لنا فرمان الذى
يأتى بعينه نطلع عليه .

فأجيبوا الى ذلك كله ، ورجع أحمد أغا بالجواب
صحيحة ذلك اليوم ، صحيحة عبد الله جاويش ،
وشهر حوالة والشيخ بدوى من طرف المشايخ .

وحصر في أثر ذلك مراكب غلال ، وانحلت
الأسعار ، وتواجدت الغلال بالرقع ، وكثرت بعد
انقشاعها .

ثم وصلت الأخبار بأن القبلين شرعوا في
عمل جسر على البحر ، من مراكب مرصوصة
متدة من البر الشرقى الى البر الغربى ،
وثبتوه وسمره بمسامير ورباطات ، وثقلوه
بمراس وأحجار مركوزة بقرار البحر ،
وأظهروا أن ذلك لأجل التعدية . ورجعت المراكب ،

وصحبتها العسكر المحاربون ، واسماعيل باشا الأرثوودي ، وعثمان بك الحسنى ، والقلبيونجية وغيرهم ، وأشيع تقرير الصلح وصحته .

١٠ منه (٩ ديسمبر ١٧٨٨ م) :

أخبر بعض الناس قاضى العسكر ، أن بمدفن السلطان الفورى ، بداخل خزانة فى القبة ، آثارا للنبي صلى الله عليه وسلم : وهى قطعة من قميصه ، وقطعة عضا ، وميل . فأحضر مباشر الوقف ، وطلب منه احضار تلك الآثار ، وعمل لها صندوقا ووضعها فى داخل بقعة ، وضخها بالطيب ، ووضعها على كرسى ، ورفعها على رأس بعض الأتباع ، وركب القاضى ، والنائب ، وصحبه بعض المتعممين مشاة بين يديه ، يجهرن بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى وصلوا بها الى المدفن ووضعوها فى داخل الصندوق ، ورفعوها فى مكانها بالخزانة .

١٧ منه (١٦ ديسمبر ١٧٨٨ م) :

حضر شهر حوالة ، وعبد الله جاويش ، وأخبروا بأنهم لما وصلوا الى الجماعة ، تركوهم ستة أيام حتى ، تمسوا شغل الجسر ، وعدوا عليه الى البر الغربى ، ثم طلبوهم ... فعدوا اليهم ، وتكلموا معهم ، وقالوا لهم :

« ان عابدى باشا قرر معنا الصلح على هذه الصورة ، وتكفل لنا بكامل الأمور . ولكن بلغنا فى هذه الأيام أنه معزول من الولاية ... وكيف يكون معزولا ونعقد معه صلحا ؟ ... هذا لا يكون الا اذا حضر اليه مقرر ، أو تولى غيره يكون الكلام معه » .

وكتبوا اليه جوابات بذلك ، ورجع بها الجماعة المرسلون ، وأشيع عدم التمام ... فاضطربت الأمور ، وارتفعت الفلال ثانيا ، وغلا سعرها ، وشح الخبز من الأسواق .

١٩ منه (١٨ ديسمبر ١٧٨٨ م) :

عمل الباشا ديوانا جمع فيه الأمراء والمشايخ والاختيارية والقاضى ، فتكلم الباشا ، وقال : « انظروا يا ناس ! هؤلاء الجماعة ما عرفنا لهم حالا ، ولا دينا ، ولا قاعدة ، ولا عهدا ، ولا عقدا انا رأينا النصارى اذا تعاقبوا على شىء لا ينقضونه ، ولا يختلون عنه بدقيقة . وهؤلاء الجماعة كل يوم لهم صلح ونقض وتلاعب ، وأننا أجبناهم الى ما طلبوا ، وأعطيناهم هذه المملكة العظيمة ، وهى من ابتداء أسبوط الى منتهى النيل شرقا وغربا . ثم انهم نكثوا ذلك ، وأرسلوا يحتجون بحجة باردة . واذا كنت أنا معزولا ، فان الذى يتولى بعدى لا ينقض فعلى ، ولا يطله . ويقولون فى جوابهم : نحن عصاة وقطاع طريق ... وحيث أقسروا على أنفسهم بذلك ، وجب قتالهم أم لا ؟ » .

فقال القاضى والمشايخ : « يجب قتالهم بمجرد عصيانهم وخروجهم عن طاعة السلطان » .

فقال : « اذا كان الأمر كذلك ، فانى أكتب لهم مكاتبه ، وأقول لهم : اما أن ترجعوا وتستقروا على ما وقع عليه الصلح ، واما أن أجهز لكم عساكر ، وأنفق عليهم من أموالكم ، ولا أحد يعارضنى فيما أفعله ... والا تركت لكم بلدتكم وسافرت منها ، ولو من غير أمر الدولة ! » .

فقالوا جميعا : « نحن لا نخالف الأمر » .

فقال : « أضع القبض على نسائهم وأولادهم ودورهم وأسكن نساءهم وحريمهم فى الوكائل ، وأبيع تعلقاتهم وبلادهم وما تملكه نساؤهم ، وأجمع ذلك جميعه ، وأنفقه على العسكر . وان لم يكف ذلك ... تمته من مالى » .

فقالوا : « سمعنا وأطعنا » .

وكتبوا مكتابة خطابا لهم بذلك ، وختم عليها الباشا والأمراء وأرسلوها .

٢٣ منه (٢٢ ديسمبر ١٧٨٨ م) :

نزل الأغا ونادى فى الأسواق بأن كل من كان عنده ودعة للأمراء القبليين يردها لأربابها ، قائم ظهر بعد ثلاثة أيام عند أحد شئ استحق العقوبة . وكل ذلك تدير اسماعيل بيك .

٢٥ منه (٢٤ ديسمبر ١٧٨٨ م) :

حضر محان وباش سراجين ابراهيم بيك ، وأخبر أن الجماعة عزموا على الارتحال والرجوع وفك الجسر ... فعمل الباشا ديوانا فى صحتها ، وذكروا المراسلة ... وضمن الباشا غائلتهم ، وضمن المشايخ غائلة اسماعيل بيك وكتبوا موصرا بذلك وختموا عليه ، وأرسلوه صحبة مصطفى كتحدا باش اختبار عزبان ... وتحقق رفع الحصر ، وورود بعض المراكب ، وانحلت الأسعار قليلا .

ربيع الآخر

فى مستهله (٣٠ ديسمبر ١٧٨٨ م) :

حضر شيخ السادات الى بيته الذى عمره بحوار المشهد الحسينى ، وشرع فى عمل المولد ، واعتنى بذلك . ونادوا على الناس بفتح الحوانيت بالليل ، ووقود القناديل من باب زويلة الى بين القصرين . وأحدثوا سيارات وأشابر ومواكب ، وأحمال قناديل ومشاعل وطبولا وزمورا ... واستمر ذلك خمسة عشر يوما وليلة .

٤ منه (٢ يناير ١٧٨٩ م) :

حضر عابدى باشا باستدعاء الشيخ له ، فتعدى بيت الشيخ ، وصلى الجمعة بالمسجد ، وخلع على الشيخ وعلى الخطيب . ثم ركب الى قصر العينى .

وفيه : وصل ططرى من الديار الرومية وعلى يده مرسومات ، فعملوا فى صبحها ديوانا بقصر العينى ، وقرئت المرسومات ، فكان مضمون أحدها :

تقريراً لعابدى باشا على ولاية مصر ، والثانى : الأمر والحث على حرب الأمراء القبليين ، وابعادهم من القطر المصرى . والثالث : بطلب الأفرنجى المرهون الى الديار الرومية .

فلما قرئ ذلك ، عمل عابدى باشا شنكا ومدافع من القصر والمراكب والقلعة ، وانكشف بال اسماعيل كتحدا ، بعد أن حضر اليه البشر بالمنصب ، وأظهر البشر والعظمة ، وأنفذ المبشرين ابلا الى الأعيان ، ولم يصبر الى طلوع النهار ، حتى أنه أرسل الى محمد أفندى البكرى المبشر فى خامس ساعة من الليل ، وأعطاه مائة دينار ، وحضر اليه الأمراء والعلماء فى صبحها للتهنئة . وثبت ذلك عند الخاص والعام . وتقل عابدى باشا عزاله وحرمة الى القلعة .

١٢ منه (١٠ يناير ١٧٨٩ م) :

رجع مصطفى كتحدا من ناحية قبلى ، ويده جوابات ، وأخبر أن ابراهيم بيك الكبير ترفع الى قبلى ، وصحبته ابراهيم بيك الوالى ، وسليمان بيك الأغا ، وأيوب بيك . وملخص الجوابات : أنهم طالبون من حد الدنيا .

١٤ منه (١٢ يناير ١٧٨٩ م) :

عمل الباشا ديوانا حضرة المشايخ والأمراء ، فلم يحصل سوى سفر الأفرنجى .

فى اواخره (اواخر يناير ١٧٨٩ م) :

حضر سراج باشا ابراهيم بيك ، ويده جوابات ، يطلبون من حد منفلوط فأجيبوا الى ذلك ، وكتبت لهم جوابات بذلك ، وسافر السراج المذكور .

جمادى الأولى

غرتة (٢٨ يناير ١٧٨٩ م) :

قلدوا غيطاس بيك اماره الحج .

في ٣ منه (٢٠ يناير ١٧٨٩ م) :

وصل ططريون من البر على طريق دميماط بمكاتبات ، مضمونها : ولاية اسماعيل كتحدا حسن باشا على مصر ، وأخبروا أن حسن باشا دخل الى اسلامبول في ربيع الأول ، وتقض ما أبرمه وكيل عابدي باشا ، وألبس قابجي كتحدا اسماعيل المذكور بحكم نيابته عنه قفطان المنصب ثالث ربيع الآخر .

وتعين قابجي الولاية ، وخرج من اسلامبول بعد خروج الططر بيومين . وحضر الططر في مدة ثلاثة وعشرين يوما فلما وصل الططر ، سر اسماعيل كتحدا سرورا عظيما ، وأنفذ المبشرين الى بيوت الأعيان .

وفيه : ورد الخبر بانتقال الأمراء القبليين الى المنيا ، وسافر رضوان بيك الى المنوفية ، وقاسم بيك الى الشرقية ، وعلى بيك الحسنى الى الغربية .

٢٠ منه (١٦ فبراير ١٧٨٩ م) :

جمع اسماعيل بيك الأمراء والوجاقلية ، وقال لهم : يا اخواننا ، ان حسن باشا أرسل بطلب منى باقى الحلوان فمن كان عنده بقية فليحضر بها ويدفعها فأحضروا حسن افندى شقبون ، افندى الديوان ، وحسبوا الذى طرف اسماعيل بيك وجماعته ، فبلغ ثلثمائة وخمسين كبا . وطلع على لرف حسن بيك وأتباعه نحو أربعمائة كيس ، وعلى طرف على الدفتردار مائة وستين كبا .

وكانوا أرسلوا الى على بيك ، فلم يأت . فقال لهم حسن بيك : « أى شئ هذا العجب ؟ ! » والأغراض بلاد على بيك فارسكور ، وبرمبال وسرس الليانة حلوانهم قليل ! » .

وزاد اللفظ والكلام ، فقام من بينهم اسماعيل بيك ونزل وركب الى جزيرة الذهب .. وكذلك

حسن بيك خرج الى قبة العزب ، وعلى بيك ذهب الى قصر الجلفى بالشيخ قمر .. وأصبح على بيك فركب الى الباشا ، ثم رجع الى بيته .

ثم ان على بيك قال : لا بد من تحرير حسابي ، وما تعاطيته وما صرفته من أيام حسن باشا الى وقتنا ، وما صرفته على أمير الحج تلك السنة .

وادعى أمير الحج - الذى هو محمد بيك المبدولى - ببواق ، ووقع على الجداوى . فاجتمعوا بيت رضوان كتحدا - تابع المجنون - وحضر حسن ، كتحدا على بيك ، وكيل عن مخدومه ، ومصطفى أغا الوكيل وكلا عن اسماعيل بيك . وحرروا الحساب .. فطلع على طرف على بيك ثلاثة وعشرون كيسا ، وطلع له ببواق فى البلاد نيف وأربعون كيسا .

بمادى الآخرة

في مسهله (٢٧ فبراير ١٧٨٩ م) :

حضر فرمان من الدولة بنفى أربعة أغوات ، وهم : عريف أغا ، وعلى أغا ، وادريس أغا ، واسماعيل أغا ... فحقن لذلك جوهر - أغا دار السعادة - وشرع فى كتابة مرافعة .

١٠ منه (٨ مارس ١٧٨٩ م) :

وصل فرمان لاسماعيل كتحدا وخوط فيه بلفظ الوزارة ..

١١ منه (٩ مارس ١٧٨٩ م) :

عمل اسماعيل باشا المذكور ديوانا فى بيته بالأزبكية . وحضر الأمراء والمشايخ ، وقرأوا المكاتبة . وفيها الأمر بحساب عابدي باشا .

وبعد انقضاء الديوان ، أمر الروزنامجى والأفندية بالذهاب الى عابدي باشا ، وتحرير حساب الستة أشهر ، من أول توت الى برمهات ،

لأنها مدة اسماعيل باشا ، وما أخذوه زيادة عن عوائده . وأخذ منه الضربخانة ، وسلمها الى خازن داره ، وقطعوا راتبه من المذبح .

وفي عصريتها : أرسل الى الوجاقلية والاختارية . فلما حضروا قال لهم اسماعيل باشا : بلغنى ألكم جمعتم ثمانمائة كيس ، فما صنعتُم بها ؟ فقالوا : دفعناها الى عابدى باشا ، وصرفها على العسكر . فقال : لاى شئ ؟ قالوا : لقتل العدو . قال : والعدو قتل ؟ قالوا : لا . قال : حينئذ اذا احتاج الحال ، ورجع العدو ، أطلب منكم كذلك قدرها ! قالوا : ومن أين لنا ذلك ؟ قال : اذن اطلبوها منه ، واحفظوها عندكم فى باب مستحفظان لوقت الاحتياج !

وفيه : تواترت الأخبار باستقرار ابراهيم بيك بمنفلوط ، وبنى له بها دارا ، وصحبه أيوب بيك . وأما مراد بيك وبقية الصناجق ، فانهم ترفعوا الى فوق .

١٢ منه (١٠ مارس ١٧٨٩ م) :

حضر حسن كتنخدا الجربان من الروم . وكان اسماعيل بيك أرسل يتشفع فى حضوره بسعاية محمد أغا البارودى ، وعلى أنه لم يكن من هذه القبيلة ، لأنه مملوك حسن بيك أبى كرش ، وحسن بيك مملوك سليمان أغا كتنخدا الجاويشية . ولما حضر أخبر أن الأمراء الرهائن أرسلوهم الى شنق قلعة منفين بسبب مكاتبات وردت من الأمراء القبالي الى بعض متكلمى الدولة — مثل القزلار ، وخلافه — بالسعى لهم فى طلب العفو .

فلما حضر حسن باشا ، وبلغه ذلك ، نفاهم وأسقط رواتبهم . وكافوا فى منزلة واعزاز ، ولهم رواتب وجمكية : لكل شخص خمسمائة قرش فى الشهر .

فى ٢٠ منه (١٨ مارس ١٧٨٩ م) :

تحرر حساب عابدى باشا ، فطلع لاسماعيل باشا نحو ستمائة كيس ، فتجاوز له عن نصفها ، ودفع له ثلاثمائة كيس ، وطلع عليه لطرف الميرى نحوها ، أخذوا بها عليه وثيقة ، وسامحه الأمراء من حيايهم معه ، وهادوه وأكرموه ، وقدموا له تقادم ، وأخذ فى أسباب الارتحال والسفر ، وبرز خيامه الى بركة الحج .

فى اواخره (اواخر مارس ١٧٨٩ م) :

ورد الخبر مع الساعة بوصول الأطواخ لاسماعيل باشا ، واليرى والداقم الى ثغر الاسكندرية .

رجب

الاثنين ٣ منه (٢٠ مارس ١٧٨٩ م) :

سافر عابدى باشا من البر على طريق الشام الى ديار بكر ، ليجمع العساكر الى قتال الموسقو ، وذهب من مصر بأموال عظيمة ، وسافر صحبته اسماعيل باشا الأرثوودى ، وأبقى اسماعيل باشا من عسكر القليونجية والأرثوودية من اختارهم لخدمته ، وأضافهم اليه .

الاثنين ١٠ منه (٦ ابريل ١٧٨٩ م) :

وصلت الأطواخ والداقم الى الباشا ، فابتهج لذلك ، وأمر بعمل شنك وحراقة بركة الأزبكية . وحضر الأمراء الى هناك ، ونصوا صواري وتعاليق ، وعملوا حراقة ووقدة ليلتين .

الجمعة ١٤ منه (١٠ ابريل ١٧٨٩ م) :

ركب الباشا وذهب الى مقابر الامام الشافعى . فزاره ، ورجع الى قبة العزب خارج باب النصر . ونودى فى ليلتها على الموكب .

السبت ١٥ منه (١١ ابريل ١٧٨٩ م) :

فى صبحه خرج الأمراء والوجاقلية والعساكر

الخميس ٢٧ منه (٢٣ ابريل ١٧٨٩ م) :

ورد مرسوم من الدولة ، فعل الباشا الديوان في ذلك اليوم ، وقرأوه . وفيه :

الأمر بقراءة صحيح البخارى بالأزهر ، والدعاء بالنصر للسلطان على الموسقو ، فانهم تغلبوا ، واستولوا على قلاع ، ومدن عظيمة من مدن المسلمين ، وكذلك يدعون له بعد الأذان في كل وقت . وأمر الباشا بتقرير عشرة من المشايخ من المذاهب الثلاثة بقرآون البخارى في كل يوم ، ورتب لهم في كل يوم مائتين نصف فضة ، لكن مدرسون عشرون نصفاً من الضربخانة ، ووعدهم بتقريرها لهم على الدوام بفرمان .

وفيه : شرع الباشا في تبييض حيطان الجامع الأزهر بالنورة والمغرة .

الأحد ٣٠ منه (٢٦ ابريل ١٧٨٩ م) :

حضر الشيخ العروسي والمشايخ ، وجلسوا في القبلة القديمة جلوساً عاماً ، وقرأوا أجزاء من البخارى ، واستداموا على ذلك بقية الجمعة . وقرر اسماعيل بيك أيضاً عشرة من الفقهاء كذلك بقرآون أبضا البخارى نظير العشرة الأولى . وحضر الصناع وشرعوا في البياض والدهان وجلاء الأعمدة ، وبطل ذلك الترتيب .

ثمان

في ٢ منه (٢٨ ابريل ١٧٨٩ م) :

نودى بإبطال التعامل بالزيوف المغشوشة ، والذهب الناقص ، وان الصيارفة يتخذون لهم مقصات يقطعون بها الدراهم الفضة المنحسة وكذلك الذهب المغشوش الخارج . واذا كان الدينار ينقص ثلاثة قراريط ، يكون بطالاً ، ولا يتعامل به ، وانما يباع لليهود الموردين بسعر

الرومية والمصرية ، واجتمع الناس للفرجة . وانتظم الموكب أمامه ، وركب بالشعار القديم ، وعلى رأسه الطلخان والقفطان الأطلس ، وأمامه السعاة والجاويشية والملازمون وخلفه النوبة التركية . وركب أمامه جميع الأمراء بالشعار والبيشانات بزينتهم ونظامهم القديم المعتاد ، وشق القاهرة في موكب عظيم .

ولماطلع الى القلعة ضرب له المدافع من الأبراج . وكان ذلك اليوم متراكم الغيوم ، وسح المطر من وقت ركوبه الى وقت جلوسه بالقلعة ... حتى ابتلت ملابسه وملابس الأمراء والعسكر وحوائجهم ، وهم مستبشرون بذلك .

وكان ذلك اليوم خامس برمودة القبطى .

الثلاثاء ١٨ منه (١٤ ابريل ١٧٨٩ م) :

عمل الديوان . وطلع الأمراء والمشايخ ، وطلع الجهم الكثير من الفقهاء ، ظانين وطامعين في الخلع . فلما قرىء التقرير في الديوان الداخل ، خلع على الشيخ العروسي والشيخ البكرى والشيخ الحريرى والشيخ الأمير ، والأمراء الكبار فقط .

ثم ان اسماعيل بيك التفت الى المشايخ الحاضرين وقال : « تفضلوا يا أسيادنا ، حصلت البركة » ، فقاموا وخرجوا .

الخميس ٢٠ منه (١٦ ابريل ١٧٨٩ م) :

أمر الباشا المحتسب بعمل تسعيرة ، وتنقيص الأسعار ، فنقصوا سعر اللحم نصف فضة ، وجعلوا الضانى : بستة أنصاف ، والجاموسى بخمسة ، فشح وجوده بالأسواق ، وصاروا يبيعونه خفية بالزيادة ، ونزل سعر الغلة الى ثلاثة ريال ونصف الأردب ، بعد تسعة ونصف .

المصاغ الى دار الضرب ، ليعاد جديدا ، فلم يمثل الناس لهذا الأمر ، ولم يوافقوا عليه ، واستمروا على التعامل بذلك في المبيعات وغيرها ، لأن غالب الذهب على هذا النقص وأكثر ، واذا يبيع على سعر المصاغ ، خسروا فيه قريبا من النصف ، فلم يسهل بهم ذلك ، ومشوا على ما هم عليه مصطلحون فيما بينهم

وفي أوائله أيضا : تواترت الأخبار بموت السلطان عبد الحميد في الحادى عشر من رجب ، وجلوس ابن أخيه السلطان مصطفى مكانه ، وهو السلطان سليم خان ، وعمره نحو الثلاثين سنة . وورد في اثر الاشاعة ، صحة التجار والمسافرين ، دراهم وعليها اسمه وطرته ، ودعى له في الخطبة أول جمعة في شعبان المذكور .

الثلاثاء ٩ منه (٥ مايو ١٧٨٩ م) :

حضر على بيك الدفتردار من ناحية دجوة . وسبب ذهابه اليها أن أولاد حبيب قتلوا عبدا لعلى بيك بمنية عفيف ، بسبب حادثة هناك . وكان ذلك العبد موصوفا بالشجاعة والفروسية ، فعز ذلك على على بيك فأخذ فرمانا من الباشا بركوبه على أولاد حبيب ، وتحريب بلدهم ، ونزل اليهم وصحبته باكير بيك ، ومحمد بيك المبدول . وعندما علم الحبايية بذلك ، وزعوا متاعهم ، وارتحلوا من البلد ، وذهبوا الى الجزيرة .

فلما وصل على بيك ومن معه الى دجوة ، لم يجدوا أحدا ، ووجدوا دورهم خالية ، فأمروا بهدمها ، فهدموا مجالسهم ، ومقاعدهم ، وأوقدوا فيها النار ، وعملوا فردة على أهل البلد ، وما حولها من البلاد ، وطلبوا منهم كلنا وحق طرق ، وتفحصوا على ودائعهم ، وأماتتهم ، وغلالهم في جيرة البلاد ، مثل : طحلة وغيرها ، فأخذوها ، وأحاطوا بزرعهم ، وما وجدوه بالنواحي من بهائمهم

ومواشيهم ثم تداركوا أمرهم ، وصالحوه بسعى الوسائط بدراهم ، ودفعوها ، ورجعوا الى وطنهم ، ولكن بعد خرابها ، وهدمها .

وفيه : أرسل الباشا سلحداره بخطاب للأمرء القبالي يطلب منه الغلال والمال الميرى حكم الاتفاق .

رمضان

في ٤ منه (٢٩ مايو ١٧٨٩ م) :

وصل الى مصر آغا معين بأجراء السكة والخطبة باسم السلطان سليم شاه ، فعزل الباشا ديوانا ، وقرأ المرسوم الوارد بذلك ، بحضرة الجمع . والسبب في تأخيره لهذا الوقت : الاهتمام بأمر السفر ، واشتغاله رجال الدولة بالعزل ، والتولية .

وورد الخبر أيضا بعزل حسن باشا من رئاسة البحر الى رئاسة البر ، وتقلد الصدارة ، وتولى عوضه قبطان باشا حسين الجردلى ، وأخبروا أيضا بقتل بستجى باشا .

وفي أوائله : فتحوا ميرى سنة خمسة (أى سنة ١٢٠٥ هـ) مقدم معجلة .

اواخره (النصف الثانى من يونية ١٧٨٩ م) :

حضر عثمان كتحدا عزبان من الديار الرومية ، ويده أوامر ، وفيها : الحث على محاربة الأمرء القبالي ، والخطاب للوجاقلية ، وباقى الأمرء بأن يكونوا مع اسماعيل بيك بالمساعدة ، والاذن لهم بصرف ما يلزم صرفه من الخزينة ، مع تشهيل الخزينة للدولة .

شوال

١٠ منه (٤ يوليو ١٧٨٩ م) :

وصل ططرى ، وعلى يده أوامر منها : حسن عيار المعاملة من الذهب ، والفضة ، وأن يكرز

عابسة ... فيشأغلهم ويلأطفهم ، ويلين خواطرهم
بالأكرام ، فلا يزدادون الا قسوة وفظاظة . فيعدهم
على وقت آخر ، فيسمعون قبيح القول ، ويشتطون
في أجرة طريقهم .

وربما لم يجدوا صاحب الدار أو يكون مسافرا :
فيدخلون الدار — وليس فيها الا النساء —
ويحصل منهم ما لا خير فيه من الهجوم عليهن .
وربما نططن من الحيطان ، أو هربن الى بيوت
الجيران !

وسافر رضوان بيك — قرابة على بيك الكبير
— الى المنوفية ، وأنزل بها كل بلية ، وعسف
بالقري عسفا غيفا قبيحا ... بأخذ البلص
والتساويف ، وطلب الكلف الخارجة عن المعقول ...
الى أن وصل الى رشيد . ثم رجع الى مولد السيد
البدوي بطندتا ، ثم عاد . وفي كل مرة من مروره
يستأنف العسف والجور .

وكذلك قاسم بيك بالشرقية ، وعلى بيك الحسنى
بالغربية .

وقلد اسماعيل بيك مصطفى كاشف ، الم رابط
بقلعة طرا . فعسف بالمسافرين الذاهبين والآيين الى
جهة قبلى : فلا تمر عليه سفينة ، صاعدة أو منحدرة
الا طلبها اليه ، وأمر باخراج ما فيها ، وتفتيشها
بحجة أخذهم الاحتياجات للأمراء القبليين من
السياب وغيرها ، أو ارسالهم أشياء أو دراهم
ليوتهم . فان وجد في السفينة شيئا من ذلك ، نهب
ما فيها من مال المسافرين والمتسبين ، وأخذه عن
آخره ، وقبض عليهم وعلى الرئيس ، وجسهم ،
ونكل بهم ، ولا يطلقهم الا بمصلحة ! وان لم يجد
شيئا فيه شبهة ، أخذ من السفينة ما اختاره ،
وحجزهم فلا يطلقهم الا بمال يأخذه منهم !

وتحقق الناس فعله ، فصانعوه ابتداء .. تقية
لشره ، وحفظا لمالهم ومتاعهم . فكان الذى يريد

عيار الذهب المصرى تسعة عشر قيراطا ، ويصرف
بمائة وعشرين نصفا ، بنقص أربعة أنصاف عن
الواقع فى الصرف بين الناس . والاسلامبولى بمائة
وأربعين ، وبنقص عشرة . والفندقلى بمائتين ،
بنقص خمسة . والريال الفسراينة بمائة ، بنقص
خمسة أيضا . والمغربى بخمسة وتسعين ، بنقص
خمسة أيضا ، وهو المعروف بأبى مدفع . والبندقى
بمائتين وعشرة ، بنقص خمسة عشر .

فنزل الأغا والوالى ، ونادى بذلك ، فخر الناس
حصة من أموالهم .

فى غايته (٢٣ يوليه ١٧٨٩ م) :
خرج أمير الحج غيطاس بيك بالمحمل وركب
الحجاج .

ذوالقعدة

منتصفه (٧ أغسطس ١٧٨٩ م) :
أوفى النيل المبارك أذرع الوفاء ، ونزل الباشا
الى فم الخليج . وكسر السد بحضرته على العادة .

وانقضى هذا العام بحوادثه .

وحصل فى هذه السنة الازدلاف ، وتداخل العام
الهلالى فى الخراجى .. ففتحوا طلب المال الخراجى
القابل قبل أوانه ، لضرورة الاحتياج ، وضيق
الوارد بتعطيل الجهة القبلىة ، واستيلاء الأمراء
الخارجين عليها .

ووجه اسماعيل بيك الطلب من أول السنة بياقى
الحلوان الذى قرره حسن باشا ، ثم المال الشتوى ،
ثم الصيفى . وفى أثناء ذلك ، المطالبة بالفرد المتوالية
المقررة على البلاد من الملتزمين . ووجه على الناس
قباح الرسل ، والمعنين من السراجين والدلاة ،
وعسكر القليونجية ... فيدهمون الانسان ،
ويدخلون عليه فى بيته — مثل التجريدة — الخمسة
والعشرة بأيديهم البنادق والأسلحة ، بوجوه

السفر الى قبلى ، بتجارة أو متاع ، يذهب اليه
ببعض الوسائط ، وبصالحه بما يطيب به خاطره ،
ويبر بسلام ، فلا يتعرض له .

وكذلك الواصلون من قبلى : يأتون طائعين الى
تحت القلعة ، ويطلع اليه الرئيس والمسافرون ،
فيصالحونه .

وعلم الناس هذه القاعدة ، واتبعوها ، وارتاحوا
عليها في الجملة ، واستعوضوا الخسارة من غلو
الأثمان . وكذلك فعل نساء سائر الأمراء القبليين ،
وهادين ، وأرشوه عن ارسالهن الى أزواجهن من
الملابس والأمتعة سرا ... حتى كن في الآخر يرسلن
اليه ما يرمن ارساله ، وهو يرسله بمعرفة ا وتأتى
أجوبتهم على يده الى بيوتهن خفية . واتخذ له يدا
وجميلا ، وطوقهم منته بذلك .

وشاع في بلاد الأرثوود وجبال الروملى ، رغبة
اسماعيل بيك في العساكر .. فوفدوا عليه بأشكالهم
المختلفة ، وطلباعهم المنحرفة ، وعدم أديانهم ،
وانعكاس أوضاعهم . فأسكن منهم طائفة بالجيزة ،
وطائفة ببولاق ، وطائفة بمصر القديمة . وأجرى عليهم
التفقات والعلوفات . وجلب له الياسرجية الممالك ،
فاشتري منهم عدة وافرة -- وأكثرهم عسزق
ومشنبون ، وأجناس غير معهودة -- واستعملهم من
أول وهلة في الفروسية ، ولم يدربهم في آداب ولا معرفة
دين ولا كتاب ... كل ذلك حرصا على مقاومة
الأعداء ، وتكثير الجيش . وتابع ارسال الهدايا
والأموال والتحف الى الدولة ، وأحضر السروجية
والصواغ والعقادين ، فصنعوا ستة سروج للسلطان
وأولاده -- وذلك قبل موت السلطان عبد الحميد
-- على طريقة وضع سروج المصريين بعبايات
مزركشة . وهى مع السرج والقصعة والقربوس
مرصعة بالجواهر والبروق والذهب والركابات ،
واللجامات ، والبلامات . والشماريخ ، والسلاسل .

كلها من الذهب البنسدى الكسرا والراس
والرشمات كلها من الحرير المصنوع بالمخيش ،
وسلوك الذهب وشماريخ المرجان والزمرد ، وجميع
الشراريب من القصب المخيش ا وبها تعاليق المرجان
والمعادن ... صناعة بديعة ، وكلفة ثمينة ... أقاموا
في صناعة ذلك عدة أيام بيت محمد أغا البارودى ا

واشتري كثيرا من الأواني والقصور الصيني
الأسكى معدن ، وملاها بأنواع الشرابات المصنوع
من السكر المكرر : كشراب البنفسج ، والورد ،
والحماض ، والصندل المطيب بالمسك ، والعنبر وماء
الورد ، والمريبات الهندية : مثل مربى القرنفل ،
وجوز بوا ، والبساسة ، والزنجيل والكابلى .
وأرسل ذلك مع الخزينة بالبحر ، صحبة عثمان
كنخدا عزبان ، ومعها عدة خيول من الجياد ،
وأقمشة هندية ، وعود وعنبر ، وطرائف ، وأرز
وبن ، وأفافيه ، وماء الورد المكرر ، وغير ذلك ا

ولم يتفق لأحد ، فيما تقدم من أمراء مصر ، أن
أرسل مثل ذلك ، ولم نسمع به ، ولم نره في تاريخ ..
فان نهاية ما رأينا أن الأشربة يضعونها في ظروف
من الفخار التى قيمة الطرف منها خمسة أنصاف
أو عشرة ... حتى الذى يصنعه شربلى باشا ، الذى
يأتى من اسلامبول لحصوص السلطان . وأما هذه
فأقل ما فيها يساوى مائة دينار ... وأكثر من ذلك !

ومات في هذه السنة العلامة الماهر الحسوب ،
الفلكى أبو الاتقان ، الشيخ مصطفى ... الخياط
صناعة .

أدرك الطبقة الأولى من أرباب الفن -- مثل
رضوان أفندى ، ويوسف الكلارجى ، والشيخ
محمد النشيلي ، والكرتلى ، والشيخ رمضان
الخوانكى ، والشيخ محمد العمرى ، والشيخ الوالد
حسن الجبرتى -- وأخذ عنهم ، وتلقى منهم ، ومهر في

وقام له الأستاذ بأوده ومصرفه ولوازم عياله مدة اشتغاله بذلك ، وأجازه على ذلك اجازة سنية ... أخبرني من لفظه أنه أقام يصرف من فضل ذلك أشهرا بعد تمام المطلوب .

وله مؤلفات وتحريرات نافعة في هذا الفن ، منها « جداول حل عقود مقومات القمر بطريق الدر اليتيم » لابن المجدي — وهو عبارة عن تسهيل ماصنفه العلامة رضوان أفندي في كتابه « آسنى المواهب » في عشرة كراريس — جمع فيه تعديل الحاصة المعدلة بالمركز للوسط ، فيجمع مع الوسط في سطر ، وفي الأصل يجمع في سطرين . ولا يخفى ما فيه من سهولة العمل ... يعلم ذلك من له دربة بالفن .

ولم يزل مشغلا بالنفع والحساب والافادة — مع اشتغاله بصناعة الخياطة وتفصيل الثياب — وهو جالس في زاوية المكان يكتب ويمارس مع الطلبة ... والصناع بوسط المكان يفصلون الثياب ويحيطونها ، ويباشرهم أيضا فيما يلزم مباشرته ، الى أن توفي في هذه السنة في بيته جهة الرملة وقد جاوز التسعين (١) .

ومات سلطان الزمان ، السلطان عبد الحميد بن أحمد خان . وتولى بعده ابن أخيه السلطان سليم ابن مصطفى ، وفقه الله تعالى آمين

سنة ١٢٠٤ هجره

المحترم

فيه : وصلت الأخبار بأن الموسقو أغاروا على عدة قلاع وممالك اسلامية منها جهات الأوزى ،

(١) ان شعبا يجد فيه « خياط » من الدوافع ما يدفعه الى الجمع بين مهنته والاشتغال بالعلم — في غياهب هذا الفساد المستشري — لهو شعب حتى لن يموت ...

الحساب والتقويم وحل الأزياج والتحاويل ، والحل والتركيب ، وتحاويل السنين ، وتداخل التواريخ الخمسة ، واستخراج بعضها من بعض ، وتواقيعها وكبائسها وبسائطها ومواسمها ، ودلائل الأحكام والمناظرات ، ومظنات الكسوف والحسوف ، واستخراج أوقاتها وساعاتها ودقائقها ... مع الضبط والتحرير ، وصحة الحدس وعدم الخطأ . وأقر له أشياخه ومعاصروه بالاتقان والمعرفة ، وانفرد بعد أشياخه ، ووفد عليه طلاب الفن وتلقوا عنه وأنجبوا — وأجلهم عصرينا وشيخنا العلامة المتقن الشيخ عثمان بن سالم الورداني ، أطال الله بقاءه ونفع به .

ولازم المترجم المرحوم الوالد مدة مديدة ، وتلقى عنه ، وحج معه في سنة ١١٥٣ ، وسعته يقول عنه : « الشيخ مصطفى فريد عصره في الحسابيات ، والشيخ محمد النشلي في الرسميات ، وحسن أفندي قطة مسكين في دلائل الأحكام » .

وكان في كل عام يستخرج دستور السنة من مقومات السيارة ، ومواقع التواريخ ، وتواقيع القبط ، والمواسم والأهلة ، ويعرب السنة الشمسية لنفع العامة ، وينقل منها سخا كثيرة يتناولها الخاص والعام يعلمون منها الأهلة وأوائل الشهور العربية والقبطية والرومية والعبرانية ، والتواقيع والمواسم ، وتحاويل البروج ، وغير ذلك .

والتمس منه الأستاذ سيدى أبو الأمداد أحمد ابن وفا تحريك الكواكب الثابتة لغاية سنة ١١٨٠ فأجابه الى ذلك ، واشتغل به أشهرا حتى أتم حساب أطوالها وعروضها وجهاتها ، ودرجات ممرها ، ومطالع غروبها وشروقها وتوسطها ، وأبعادها ومواضعها بأفق عرض مصر ... بغاية التحقيق والتدقيق ، على أصول الرصد الجديد السمرقندي .

وكانت تغل على اسلامبول كالصعيد على مصر ،
وأن اسلامبول واقع بها غلاء عظيم .

اواخره (النصف الثاني من اكتوبر ١٧٨٩ م) :

حضر واحد أغا ، وييده مرسومات بسبب
الأمراء القبليين ، بأنهم ان كانوا تعدوا الجهات
التي صالحوا عليها حسن باشا ، ولم يدفعوا المال ،
ولا الغلال ، فلأزم من محاربتهم ، ومقاتلتهم . وان
لم يمتثلوا ، يخرجوا اليهم ويقاتلوهم ، فان السلطان
أقسم بالله أنه يزيل الفريقين ، ولا يقبل عذرهم
في التأخير .

فقرأوا تلك المرسومات في الديوان ، ثم أرسلوها
مع مكاتبات صحبة واحد مصري ، وآخر من طرف
الأغا القادم بها ، وآخر من طرف الباشا .

ربيع الآخر

في اوائله (حوالى منتصف نوفمبر ١٧٨٩ م) :

رجع الرسل بجوابات من الأمراء القبليين ،
ملخصها : أنهم لم يتعدوا ما حددوه مع حسن
باشا ، الا بأوامر من عابدى باشا ، فانه حدد لنا
من منفلوط . ثم ان اسماعيل بيك بنى حاجزا ،
وقلاعا ، وأسوارا بطرا ، وذلك دليل وقرينة على
أن ماوراء ذلك يكون لنا ، وأنه اختص بالأقاليم
البحرية ، وترك لنا الأقاليم القبلية ، ولا مزية
للأمراء الكائنين بمصر علينا ، فانه يجمعنا وياهم
أصل واحد ، وجنس واحد ، وان كنا ظلمة فهم
أظلم منا !

وأما الغلال والمال ، فإفاننا أرسلنا لهم جانب
غلال ، فلم ترجع المراكب التي أرسلناها ثانيا .
فيرسلوا لنا مراكب ، ونحن نعيها ونرسلها .
وذكروا أيضا أنهم أرسلوا صالح أغا كتحدا
الجاويشية سابقا الى اسلامبول ، ونحن في انتظار
رجوعه بالجواب ، فعند رجوعه يكون العمل

بمقتضى ما يأتى به من المرسومات ، ولا نخالف
أمر السلطان .

جمادى الأولى

في هذا الشهر : وردت أخبار بعزل وزير
الدولة ، وشيخ الاسلام ، وأغات الينكجرية
ونقيهم ، وأن حسن باشا تولى الصدارة وهو
بالسفر ، وأنه محصور بمكان يقال له اسماعيل ،
لأن الموسقو أغاروا على ماوراء اسماعيل ، وأخذوا
مابعده من البلاد ، ثم انه هادن الموسقو ، وصالحهم
على خمسة أشهر الى خروج الشتاء . وأن السلطان
أحضر الأمراء المصرية الرهائن المنفيين بقلعة
« ليميا » ، وهم : عبد الرحمن بيك الابراهيمي ،
وعثمان بيك المرادى ، وسليمان كاشف . وأما
حسين بيك فانه مات بليما .

ولما حضروا أنزلوهم في قناكات ، وعين لهم
رواتب ، ويحضرهم السلطان في بعض الأحيان
الى الميدان ، ويعملوا رماحة بالخيل ، وهو ينظر
اليهم ، ويعجبه ذلك ، ويعطيهم انعاما !

وورد الخبر أيضا ، أن صالح أغا وصل الى
اسلامبول ، فصالح على الأمراء القبالي ، وتم
الأمر بواسطة نعمان أفندى منجم باشا ، ومحمود
بيك ، وأرسلوا بالأوراق الى حسن باشا ، فحقق
لذلك ، ولم يمضه ، وانصرف على نعمان أفندى ،
ومحمود بيك ، وأمر بعزلهما من مناصبهما ، ونقيهما
واخراجهما من دار السلطنة ، فنفى نعمان أفندى
الى أماسيه ، ومحمود بيك الى جهة قريبة من
اسلامبول ، وشاط طيخهم ، وسافر صالح أغا من
اسلامبول .

شعبان

فيه : ورد الخبر بموت حسن باشا . وكان موته
في منتصف رجب وكأنه مات مقهورا من الموسقو .

رمضان

١٢ منه (٢٦ مايو ١٧٩٠ م) :

حصلت زلزلة لطيفة في سادس ساعة من الليل .
وفيه أيضا : وصل ثلاثة اشخاص من الديار
الرومية ، فأخذوا ودائع كانت لحسن باشا بمصر ،
فتسلموها ممن كانت تحت أيديهم ، ورجعوا .

شوال

الجمعة ١٢ منه (٢٦ يونيه ١٧٩٠ م) :

قبل الفجر احترق بيت اسماعيل بيك عن آخره .

٢٥ منه (٨ يوليو ١٧٩٠ م) :

عزل حسن كتحدا المحتسب من الحسبة ،
وقلدوها رضوان أغا محرم من وجاق الجاوشية ،
فأبهى حسن أغا أنه كان متكفلا بجراية الجامع
الأزهر ، فان كان المتولى تكفل بها مثله ، استمر
فيها ، والا ردوا له المنصب ، وهو يقوم بها
للمجاورين كما كان . فلما قالوا لرضوان أغا
ذاك ، لم يسهه الا القيام بذلك ... وهى ديسية
شيطانية ، لا أصل لها . فان أخباز الجامع الأزهر
لها جهات بعضها معطل ، والناظر عليه على بيك
الدقردار ، وحسن أغا كتحدها يصل ويقطع من
أى جهة أراد من الميرى أو من خلافه . قدس هذه
الديسية يريد بها تعجيز المتولى ليرجع اليه
المنصب . ومعلوم أن المتولى لم يتقلد ذلك الا
برشوة دفعها ، وبلزم من نزوله عنها ضياع غرامته ،
وجرسته بين أقرانه . فما وسعه الا القيام بذلك ،
وفردها على مظالم الحسبة التى يأخذها من السوق ،
ويدفعها للخباز بصنع بها خبزا للمجاورين ،
والمنقطعين فى طلب العلم ليكون قوتهم وطعامهم
من الظلم ، والسحت المكرر ، وذلك نحو خمسة
آلاف نصف فضة فى كل يوم . واشتهر ذلك وعلمه

العلماء والمجاورون وغيرهم . وربنا طالبوه
بالمكسر ، أو اعتذروا بقولهم « الضرورات تبيح
المحظورات ا » .

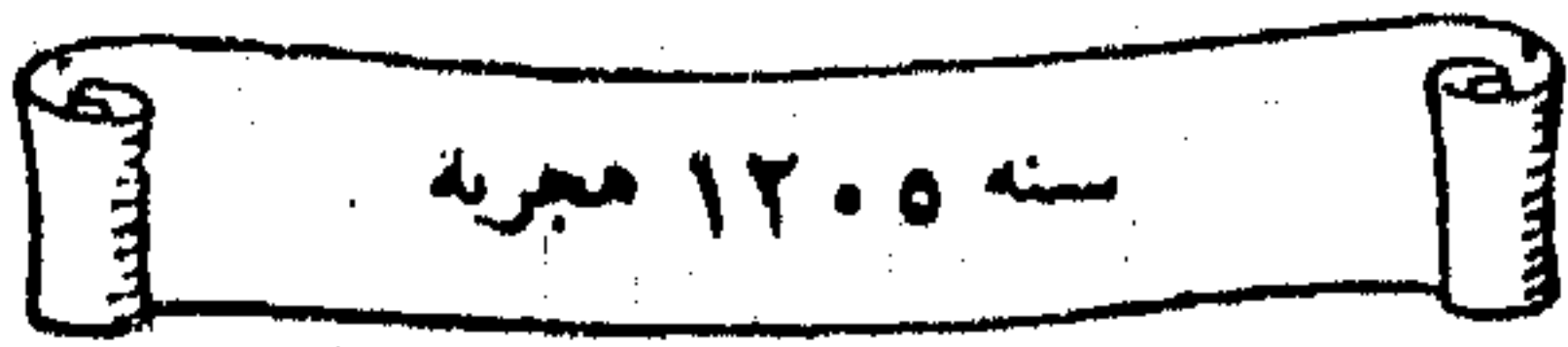
ذو الحجة

السبت ٣ منه (١٤ اغسطس ١٧٩٠ م) :

أوفى النيل أذرعه ، وكسر السد بحضرة الباشا
والأمراء على العادة ، وجرى الماء فى الخليج .
وفيه : وقعت واقعة بين عسكر القليونجية
والأرثوودية بسوق السلاح ، وقتل بينهم جماعة
من الفريقين ، ثم تحزبوا أحزابا ، فكان كل من
واجه حزبا من الطائفة الأخرى ، أو انفرد ببعض
منها .. قتلوه ، ووقع بينهم ما لا خير فيه . وداخل
الناس الخوف من ذلك ، فيكون الانسان مارا
بالطريق ، فلا يشعر الا وكثرة وطائفة مقبلة
وبأيديهم البنادق والرصاص ، وهم قاصدون طائفة
من أخصامهم بلغهم أنهم فى طريق من الطرق .
واستمر هذا الأمر بينهم نحو خمسة أيام ، ثم
أدرك القضية اسماعيل بيك وصالحهم .

فى اواخره (اوائل سبتمبر ١٧٩٠ م) :

حضر جماعة من الأرثوود الى بيت محمد أغا
البارودى ، وقبضوا منه مبلغ دراهم من علوفتهم ،
ونزلوا من عند الخليج المرخم ، وازدحموا فى
المركب ، فانقلبت بهم ، وغرق منهم نحو ستة
أنفار ، وقيل تسعة ، وطلع من طلع فى أسوأ حال .



المحترم

١١ منه (٢٠ سبتمبر ١٧٩٠ م) :

ورد أغا وعلى يده تقرير لاسماعيل باشا على
السنة الجديدة ، فعملوا له موكبا ، وطلع الى

القلعة ، وقرى المقر بحضرة الجمع ، وضربوا له مدافع .

وفيه : قبض اسماعيل بيك على المعلم يوسف كساب معلم الدواوين ، وأمر بتفريقه في بحر النيل .

وفيه : نفوا صالح أغا ، أغات الأرثوود . قيل ان السبب في ذلك أنه تواطأ مع الأمراء القبالي بواسطة المعلم يوسف المذكور ، على أنه يملكهم المراكب الرومية ، والقلاع التي بناحية طرا ، والجيزة ، وعملوا له مبلغا من المال التزم به الذمي يوسف ، وكتب على نفسه تمسكا بذلك .

وفيه : كثر تعدى أحمد أغا الوالي على أهل الحسينية ، وتكرر قبضه وايدأؤه لأناس منهم بالحبس والضرب . وأخذ المال ، بل ونهب بعض البيوت .

الجمعة ٢٢ منه (١ أكتوبر ١٧٩٠ م) :

أرسل أحمد أغا الوالي أعوانه بطلب أحمد سالم الجزار شيخ طائفة البيومية ، وله كلمة وصوله بتلك الدائرة ، وأرادوا القبض عليه . فثارت طوائفه على أتباع الوالي ، ومنعوه منهم ، وتحركت حيتهم عند ذلك ، وتجمعوا وانضم اليهم جمع كثير من أهل تلك النواحي وغيرها ، وأغلقوا الأسواق ، والدكاكين ، وحضروا الى الجامع الأزهر ، ومعهم طبول ، وقفلوا أبواب الجامع ، وصعدوا على المنارات ، وهم يصرخون ، ويصيحون ، ويضربون على الطبول ، وأبطلوا الدروس فقال لهم الشيخ العروسي :

« أنا أذهب الى اسماعيل بيك في هذا الوقت ، وأكلمه في عزل الوالي » . وتخلص منهم بذلك ، وذهب الى اسماعيل بيك ، فاعتذر بأن الوالي ليس من جماعته ، بل هو من جماعة حسن بيك

الجداي ، وأمر بعض أتباعه بالذهاب اليه ، واخباره بجمع الناس والمشايع وطلبهم عزل الوالي ، فلم يرض بذلك . وقال :

« ان كان أنا أعزل الوالي تابعي ، يعزل هو الآخر الأغا تابعه ، ويعزل رضوان كتحدا المجنون من المقاطعة ، ويرفع مصطفى كاشف من طرا ، ويطرده عكر القليونجية ، والأرثوود ! » وترددت بينهم الرسل بذلك .

ثم ركب حسن بيك وخرج الى ناحية العادلية مثل المغضب ، وصار أحمد أغا الوالي يركب بجماعة كثيرة ، ويشق من المدينة ليغيب العامة ، وكذلك تجمع من العامة خلائق كثيرة ، ووقع بينه وبينهم بعض مناوشات في مروره ، وانجرح بينهم جماعة ، وقتل شخصان . ثم ركب المشايخ وذهبوا الى بيت محمد أفندي البكري ، وحضر هناك اسماعيل بيك ، وطيب خاطرهم ، والتزم لهم بعزل الوالي . ومر الوالي في ذلك الوقت على بيت الشيخ البكري ، وكثير من العامة مجتمع هناك ، ففرع فيهم بالسيف ، وفرق جمعهم ، وسار من بينهم ، وذهب في طريقه ، ثم زاد الحال ، وكثرت غوغاء الناس ، ومشوا طوائف يأمرؤن بغلق الدكاكين .

صفر

الثلاثاء ٢ منه (١٢ أكتوبر ١٧٩٠ م) :

اجتمع بالأزهر الكثير منهم واستمرت القضية ، ثم طلع اسماعيل بيك ، والأمراء الى القلعة ، واصطلحوا على عزل الوالي والأغا ، وجعلوهما صنجقين ، وقلدوا خلفهما الأغا من طرف اسماعيل بيك ، والوالي من طرف حسن بيك .

ونزل الوالي الجديد من الديوان الى الأزهر ، وقابل المشايخ الحاضرين واسترضاهم ، ثم ركب

الى بيته ، وانفض الجمع . وكأنها طلعت بأيديهم ..
والدى كان راكب حمار ، ركب فرسا !

ه منه (١٤ أكتوبر سنة ١٧٩٠ م) :

غيمت السماء غيما مطبقا ، وسحت أمطار غزيرة
كأفواه القرب ، مع رعد شديد الصوت ، وبرق
متتابع متصل قوى اللمعان يخطف بالأبصار ،
مستديم الاشتعال .. كل ذلك والأمطار نازلة حتى
سقطت الدور القديمة على الناس ، ونزلت السيول
من الجبل ، حتى ملأت الصحراء ، وخارج باب
النصر ، وهدمت التراب ، وخسفت القبور .
وصادف ذلك اليوم دخول الحجاج الى المدينة ،
فحصل لهم غابة المشقة ، وأخذ السيل صيوان أمير
الحج بما فيه ، وانحدر به من الحصوة الى بركة
الحج ، وكذلك خيام الأمراء وغيرهم . وسالت
السيول من باب النصر ، ودخلت البلد ، وامتلات
الوكائل بالمياه ، وكذلك جامع الحاكم ، وقتلت
أناس في حواصل الخانات ، وصار خارج باب
النصر بركة عظيمة متلاطمة الأمواج ، وانهدم من
دور الحسينية أكثر من النصف . وكان أمرا مهولا
جدا ...

وفيه : حصل أيضا كائنة عبد الوهاب افندى
بشناق الواعظ . وذلك انه مات رجل من البشناقة
من أهل بلده — وكان قد جعله وصيا على تركته —
فاستولى عليها ، واستأصلها . وكان للرجل المتوفى
تركة بناحية الاسكندرية . فسافر المذكور الى
الاسكندرية وحاز باقى التركة أيضا ، ورجع الى
مصر . وحضر الوارث وطالبه بتركة مورثه ، فأظهر
له شيئا نورا ، فذهب الوارث الى القاضى ، فدعاه
القاضى وكلمه فى ذلك .

فقال له : « أنا وصى مختار ، وأنا مصدق ،
وليس عندى خلاف ما سلمته له » .

فقال له القاضى : « انه يدعى عليه بكذا وكذا ،
وعنده اثبات ذلك » .

وطال بينهما الكلام ، وتناول على القاضى ،
واستجمله فطلع القاضى الى الباشا وشكا له ،
فأمر باحضاره ... فحضر فى جمع الديوان ، وناقشوه
فلم يتزلزل عن عناده الى أن نسب الكل الى
الانحراف عن الحق .

فحقق الباشا منه ، وأمر برفعه من المجلس .
فقبضوا عليه ، وجروه وضربوه ، ورموا بتاجه
الى الأرض ، وجسوه فى مكان .

وصادف أيضا ورود مكتوب من ناحية المدينة
من مفتيها كان أرسله المذكور اليه لسبب من
الأسباب ، وذكر فيه الباشا بقوله « التعيس
الحربى » ، وكذلك الأمراء بنحو ذلك ، فأرسله
المفتى ، وأعاده على يد بعض الناس الى اسماعيل
بيك ، حقدًا منه عليه لكرهة خفية بينهما سابقة ،
وأوصله اسماعيل بيك أيضا الى الباشا ... فازداد
غيظا ، وأرعد وأبرق ، وأحضر بشناق افندى من
محبيه وقت القائلة ، وأراه ذلك المكتوب ...
فسقط فى يده واعتذر . فلطمه على وجهه وتنف
لحيته ، وأراد أن يضربه بخنجره فشفع فيه أكابر
أتباعه ، ثم أخذوه وسجنوه . وأمر بمحاسبه عمى
ما أخذه من التركة — فحوسب وطولب ، وبقي
بالحبس حتى وفى ما طلع عليه . وشفع فيه على بيك
الدفتردار وخلصه من الترسيم .

اواخره (اوائل نوفمبر ١٧٩٠ م) :

قلدوا أحمد بيك الوالى كشوفية الدقهلية ،
وعثمان بيك الحسنى الغربية وشاهين بيك شرقية
بلييس ، وعلى بيك جركس المنوفية ، وصار جماعة
أحمد بيك وأتباعه عند سفرهم يخطفون دواب
الناس من الأسواق ، وخيول الطواحين . ولما

سرحوا في البلاد حصل منهم ما لا خير فيه من ظلم
الفلاحين ، مما هو معلوم من أفعالهم .. !

ربيع الأول

نوفمبر ١٧٩٠ م

فيه : كمل بناء بيت اسماعيل بيك وبياضه ،
وأتمه على هيئة متقنة وترتيب في الوضع ، وتقل
اليه قطع الأعمدة العظام التي كانت ملقاة في مكان
الجامع الناصري الذي عند فم الخليج ، وجعلها
في جدرانها ، وبنى به مقعدا عظيما متسعا ، ليس
له مثيل في مقاعد بيوت الأمراء في ضخامته ،
وعظمه ، وهو في جهة البركة ، وغرس بجانبه
بستانا عظيما ، وظن ان الوقت قد صفا له ..

جمادى الأولى

يناير ١٧٩١ م

ابتدأ أمر الطاعون ، وداخل الناس منه وهم
عظيم .

وفيه : قلدوا عبد الرحمن بيك عثمان ، وحملوه
صنjq الخزينة ، وشرعوا في تشييله . واجتهد
اسماعيل بيك في سفر الخزينة على الهيئة القديمة ،
ولبس المناصب والسدادرة وأرباب الخدم . وقد
بطل هذا الترتيب والنظام من نيف وثلاثين سنة ،
فأراد اسماعيل بيك اعادته ليكون له بذلك منقبة
ووجاهة عند دولة بنى عثمان ، فلم يرد الله بذلك
وعاجله الرجز .

وفي أواخره ، أشيع في الناس أن في ليلة السابع
والعشرين نصف الليل نحصل زلزلة عظيمة ،
وتستمر سبع ساعات . ونسبوا هذا القول الى
أخبار بعض الفلكيين من غير أصل ، واعتقده
الخاصة فضلا عن العامة ، وصمموا على حصوله
من غير دليل لهم على ذلك .

فلما كانت تلك الليلة خرج غالب الناس الى
الصحراء والى الأماكن المتسعة : مثل بركة الأزيكية
والفيل وخلافهما ، ونزلوا في المراكب ، ولم يبق في
بيته الا من ثبته الله ، وباتوا ينتظرون ذلك الى
الصباح ، فلم يحصل شيء ، وأصبحوا يتضحكون
على بعضهم !

وكم ذا بمصر من المضحكات
ولكنه ضحك كالبكا

رجب

مارس ١٧٩١ م

فيه : زاد أمر الطاعون ، وقوى عمله بطول
شهرى رجب وشعبان ، وخرج عن حد
الكثرة ، ومات به ما لا يحصى من الأطفال ،
والشبان ، والجوارى ، والعبيد ، والمماليك ،
والأجناد ، والكشاف ، والأمراء ، ومن أمراء
الألوف الصناجق نحو اثني عشر صنjq ، ومنهم :
اسماعيل بيك الكبير المشار اليه ، وعسكر
القليونجية ، والأرنؤود الكائنون ببولاق ، ومصر
القديمة ، والجيزة ... حتى كانوا يخفرون خفرا لمن
بالجيزة بالقرب من مسجد أبى هريرة ، ويلقونهم
فيها ، وكان يخرج من بيت الأمير في المشهد الواحد
الخمس ، والستة ، والعشرة وازدحموا على
الحوائيت في طلب العدد ، والمغسلين ، والحمالين ،
ويقف في انتظار المغسل أو المغسلة الخمسة
والعشرة ، تتضاربون على ذلك ، ولم يبق للناس
شغل الا الموت وأسبابه ، فلا تجد الا مريضا أو
ميتا ، أو عائدا ، أو معزيا ، أو مشيعا ، أو راجعا
من صلاة حنازة ، أو دفن ، أو مشغولا في تجهيز
ميت ، أو باكيا على نفسه موهوما . ولا تبطل صلاة
الجنائز من المساجد ، والمصليات ، ولا صلى الا
على أربعة أو خمسة ، أو ثلاثة ، ونذر جدا من
بشتكى ولا يموت . ونذر أيضا ظهور الطعن .

ولم يكن بمعنى، بل يكون الانسان جالسا، فيرتعش من البرد، فيدثر، فلا يفيق الا مغلطا، أو يموت من نهاره، أو ثاني يوم، وربما زاد، أو نقص، أو كان بخلاف ذلك .. !! واستمر الطاعون الى أوائل رمضان، ثم ارتفع ولم يقع بعد ذلك الا قليلا نادرا، ومات الأغا، والوالى في أثناء ذلك، فولوا خلافتها، فماتا أيضا، واتفق أن الميراث انتقل ثلاث مرات في جمعة واحدة !

ولما مات اسماعيل بيك تنازع الرئاسة حسن بيك الجداوى، وعلى بيك الدفتردار، ثم اتفقوا على تأمير عثمان بيك طبل تابع اسماعيل بيك على مشيخة البلد، وسكن بيت سيده، وقلدوا حسن بيك قصبة رضوان أمير حج . ثم انهم أظهروا الخوف، والتوبة، والاقلاع، وابطال الحوادث والمظالم، وزيادات المكوس، ونادوا بذلك، وقلدوا أسراء عوضا عن المقبورين من مماليكهم .

رمضان

غرة (٤ مايو ١٧٩١ م) .

حضر طبرى وعلى يده مرسوم بعزل اسماعيل باشا، وأن يتوجه الى المورة، وأن باشة المورة، محمد باشا الذى كان بجدة فى العام الماضى، المعروف بعزت هو والى مصر . فعملوا الديوان، وقرئت المرسومات، فقال الأمراء :

« لا نرضى بذهابك من بلدنا، وأنت أحسن لنا من الغريب الذى لا نعرفه » . فقال :

« وكيف يكون العسل، ولا يمكن المخالفة » ، فقالوا :

« نكتب عرضحال الى الدولة، ونرجو تمام ذلك » . فقال :

« لا يتم ذلك، فان المتولى، كأنكم به وصل

الى الاسكندرية » . وعزم على النزول صبح تاريخه .

ثم انهم اتفقوا على كتابة عرضحال بسبب تركه اسماعيل بيك، خوفا من حضور معين بسبب ذلك، وعين للسفيرة الشيخ محمد الأمير .

١٥ منه (١٨ مايو ١٧٩١ م) :

نزل الباشا من القلعة الى بولاق، وقصد السفر على الفور، وطلب المراكب، وأنزل بها متاعه ويرقه . فلما رأوا منه العجلة، وعدم التأنى، وقصدتهم تأخيرته الى حضور الباشا الجديد، ويحاسب على مادخل فى جهته، فاجتمعوا عليه صجة الاختيارية، وكلموه فى التأنى، فعارضهم، وعاندهم وصمم على السفر من الغد، فأغلظوا عليه فى القول، وقالوا له :

« هذا غير مناسب، يقال ان الباشا أخذ مال مصر وهرب » ، فقال :

« وأى شئ أخذته منكم : » . قالوا له :

« لا بد من عمل حساب، فان الحساب لا كلام فيه، ولا بد من التأنى، حتى نعمل الحساب » ، فقال :

« أنا أبقي عندكم الكتخدا، فحاسبوه نيابة عنى . والذى يطلع لكم فى طرفى خذوه منه » . فلم يرضوا بذلك . فقال :

« أنا لا بد من سفرى، اما السوم، أو غدا » ، فقاموا من عنده على غير رضا، وأرسلوا والى، والأغا يناديان على ساحل البحر، على المراكب، بأن كل من سافر بشئ من متاع الباشا أو بأحد من أتباعه، يستاهل الذى يجرى عليه، وطرّدوا التواتية من المراكب، ولم يتركوا فى كل مركب الا شخصا واحدا نوتيا فقط، وتركوا عند بيت الباشا جماعة حراس .

وفيه : حضر خازن دار الباشا الجديد وأخبر
بوصول مخدمه الى ثغر الاسكندرية ، ومعه خلعة
القائمقامية لعثمان بيك طبل ، ومكاتبة الى الأمراء
بعدم سفر الملاقاة ، وأرباب الخدم على العادة ،
وأخبر أنه واصل الى رشيد في البحر بالنقاير ،
فنزل لملاقاته أغات المتفرقة فقط .

وفيه : رفعوا مصطفى كاشف من طرا ، وعملوه
كتخدأ عثمان بيك ، شيخ البلد .

وفيه : أشيع بأن عبد الرحمن بيك الابراهيمي
حضر من طريق الشام ، ومر من خلف الجبل ،
وذهب الى سيده بالصعيد .

شوال

الجمعة غرته (٣ يونية ١٧٩١ م) :

حضر الباشا الجديد الى ساحل بولاق ، فعملوا
له سقالة ، وركب الأمراء ، وعدوا الى بر انبابة ،
وسلموا عليه ، وعدى صحبتهم ، وركب الى قصر
العيني .

الاثنين ٤ منه (٦ يونية ١٧٩١ م) :

فيه : أوكب (الباشا الجديد) - في موكب
أقل من العادة بكثير - الى القلعة من ناحية
الصليبة ، وضربوا له مدافع من القلعة .

وفيه : سافر الشيخ محمد الأمير بالعرضحال ،
وكانوا أخرؤا سفره الى أن وصل الباشا الجديد ،
وغيروه بعد أن عرضوا عليه الأمر ، ثم انهم عملوا
حساب الباشا المعزول ، فطلع عليه للباشا المتولى
مائتا كيس ، من ابتداء منصبه وهو ١٧ رجب ،
وللأمراء مبلغ أيضا ، فسدد ذلك : بعضه أوراق
وبعضه نقد ، وبعضه أمتعة ، وأذنوا له بالسفر ،
فشرع في نزول متاعه بالمراكب بطول يومى الخميس
والجمعة ، وأراد أن يسافر يوم السبت . ففى تلك
الليلة ، وصل بشلى من الروم ، ويده مرسوم ،

فعمل الباشا فى صباحها ديوانا حضر فيه المشايخ ،
والأمراء ، وأبرز الباشا المرسوم ، فكان مضمونه
محاسبة الباشا المعزول من ابتداء شهر توت
واستخلاص ما تأداه من ابتداء المدة .

١٦ منه (١٨ يونية ١٧٩١ م) :

فيه : أرسلوا ثانيا وحجروا على الباشا المعزول
ونكتوا عزاله من المراكب وحبسوا النواتية ونادوا
عليه ثانيا مرة .

وفيه : تواردت الأخبار بأن الأمراء القبالي
تجركوا الى الحضور الى مصر ، فانه لما حصل
ماحصل ، من موت اسماعيل بيك والأمراء ،
حضر مراد بيك من أسيوط الى المنيا ، وانتشر باقى
الأمراء فى المقدمة ، وعدى بعضهم الى الشرق ،
ووصلت أوائلهم الى كفر العياط . وأما ابراهيم
بيك فانه لم يزل مقيما بمنفلوط ، ومنتظرا ، تحال
الحجاج ، ثم يسير الى جهة مصر ، فأرسلوا على
بيك الجديد الى طرا عوضا عن مصطفى كاشف ،
وأرسلوا صالح بيك الى الجيزة ، وأخذوا فى
الاهتمام .

وفيه : حفر خندق من البحر الى المتاريس ،
وفردوا فلاحين على البلاد للحفر ، مع اشتغالهم
بأمور الحج ، ودعواهم نقص مال الصرة ، وتعطيل
الجامكية المضافة لدفتر الحرمين ، وتوجيه المعينين
من القليونجية على الملتزمين .

الأحد ٢٤ منه (٢٦ يونية ١٧٩١ م) :

حضر السيد عمر أفندى مكرم الأسيوطى
بمكاتبة من الأمراء القبليين خطابا الى شيخ البلد
والمشايخ وللباشا سرا .

وفيه : سافر اسماعيل باشا المنفصل من بولاق
بعد أن أدى ما عليه .

الاثنين ٢٥ منه (٢٧ يولية ١٧٩١ م) :
خرج المحمل صحبة أمير الحج حسن بيك
قصة رضوان .

الثلاثاء ٢٦ منه (٢٨ يولية ١٧٩١ م) :
اجتمعوا بالديوان عند الباشا ، وقرئت المكاتبات
الواصلة من الأمراء القبليين ، فكان حاصلها :
« انا في السابق طلبنا الصلح مع اخواننا ،
والصفح عن الأمور السالفة ، فأبى المرحوم اسماعيل
بيك ، ولم يطمئن لطرفنا ، وكل شيء نصيب ،
والأمور مرهونة بأوقاتها . والآن اشتقنا الى عيالنا ،
وأوطاننا ، وقد طالت علينا الغربة ، وعزمنا على
الحضور الى مصر على وجه الصلح ، وييدنا أيضا
مرسوم من مولانا السلطان ، وصل اليها صحبة
عبد الرحمن بيك بالعفو والرضا ، والماضي لا يعاد ،
ونحن أولاد اليوم ، وأن أسيادنا المشايخ يضمنون
غائلتنا » ١

فلما قرئت تلك المكاتبه ، التفت الباشا الى
المشايخ ، وقال :

« ماتقولون ؟ » . فقال الشيخ العروسي :
« ان كان التفاهم بينهم وبين أمرائنا المصرية
الموجودين الآن ، فانا نترجى عندهم . وان كان
ذلك بينهم وبين السلطان ، فالأمر لنائب مولانا
السلطان » .

ثم اتفق الرأي على كتابة جواب حاصله :
« ان الذى يطلب الصلح ، يقدم الرسالة بذلك
قبل قدومه ، وهو بمكانه . وذكرتم أنكم تائبون ،
وقد تقدم منكم هذا القول مرارا ، ولم نر له أثرا ،
فان شرط التوبة رد المظالم ، وأنتم لم تفعلوا ذلك ،
ولم ترسلوا ما عليكم من الميرى فى هذه المدة .
فان كان الأمر كذلك ، فترجعوا الى أماكنكم ،
وترسلوا المال والغلال ، وترسل عرضحال الى

الدولة بالأذن لكم ، فان الأمراء الذين بمصر لم
يدخلوها بسيوفهم ، ولا بقوتهم ، وانما السلطان هو
الذى أخرجكم ، وأدخلهم . واذا حصل الرضا فلا
مانع لكم من ذلك ، فانا الجميع تحت الأمر » .
وعلم على ذلك الجواب الباشا ، والمشايخ ،
وسلموه الى السيد عمر ، وسافر به فى يوم
الثلاثاء المذكور .

ثم اشتغلوا بمهمات الحج ، وادعوا قصص مال
الصرة ستين كيسا ، ففردوها على التجار ودكاكين
الغورية ، وارتحل الحج من الحصوة ، وصحبته
الركب القاسى .

وذلك فى يوم السبت غايته . وبات بالبركة .
وارتحل فى غرة ذى القعدة .

ذوالقعدة

غرة (٢ يولية ١٧٩١ م) :

عملوا الديوان بالقلعة ، ورسوموا بنفى من كان
مقيما بمصر من جماعة القبليين ، فنفوا : أيوب بيك
الكبير ، وحسن كتحدا الجربان الى طندتا ، وكتبوا
فرمانا بخروج الغريب ، وفرمانا آخر بالأمن والأمان ،
وأخذهما الوالى والأغا ، ونادوا بذلك فى صبحها
فى شوارع البلد ، ونبهوا على تعمير الدروب ،
وقفل أبواب الأطراف ، وأجلسوا عند كل مركز
حراسا .

٥ منه (٦ يولية ١٧٩١ م) :

نزل الأغا ، وأمامه المنادة بفرمان على الأجناد
والطوائف والمماليك بالخروج الى الخلا .
وفيه : وصل قاصد من الديار الرومية ، وهو
أغا معين بطلب تركة اسماعيل بيك ، وباقي الأمراء
الهالكين بالطاعون ، فأنزله بيت الزعفرانى .
وكررروا المنادة بالخروج الى ناحية طرا ، وكل
من تأخر بعد الظهر يستحق العقوبة .

١٨ منه (١٩ يولية ١٧٩١ م) :

أصبح الصباح ، فلم يخرج أحد من الناس ،
وأشيع أن الأمراء القبليين ، نزلوا أثقالهم في
المراكب ، وتمنعوا الى قبلى ، ويقولون ان قصدهم
الرجوع . وبقي الأمر على السكوت بطول النهار ،
والناس في بهتة ، والأمراء متخيلون من بعضهم
البعض ، وكل من على بيك الدفتردار ، وحسن
بيك الجداوى يسىء الظن بالآخر . ولم يخطر
بالبال مخامرة عثمان بيك طبل ، ولا الباشا ، فان
عثمان بيك تابع اسماعيل بيك الخصم الكبير ، وقد
تعين عوضه في اماره مصر ، ومشيختها ... والباشا
لم يكن من الفريقين .

فلما كان الليل تحول الباشا والأمراء ، وخرجوا
الى ناحية العادلية ، وأخرجوا شركفكك صحبتهم ،
وجملة مدافع ، وعملوا متاريس ، فما فرغوا من
عمل ذلك الا ضحوة النهار من يوم الجمعة ، وهم
واقفون على الخيول ، فلم يشعروا الا والأمراء
القبالي ، نازلون من الجبل بخيولهم ، ورجالهم ،
لكنهم في غاية من الجهد والمشقة . فلما نزلوا
وجدوا الجماعة ، والمتاريس أمامهم ، فتشاور
المصريون مع بعضهم في الهجوم عليهم ، فلم يوافق
عثمان بيك على ذلك ، وثبطهم عن الاقدام ،
ورجعوا جميع الحملة الى مصر ، ووقفوا على
جرائد الخيل ، فتمنع القبليون وتباعدوا عنهم ،
ونزلوا عند سبيل علام يأخذون لهم راحة حتى
يتكاملوا .

فلما تكاملوا ، ونصبوا خيامهم ، واستراحوا
الى العصر ، ركب مصطفى كاشف — صهر حسن
كتخدا على بيك ، وهو من مماليك محمد بيك
الألفى — وصحبته نحو خمسة مماليك ، وذهب
الى سيده ، ثم ركب محمد بيك المبدول أيضا
بأتباعه وذهب الى ابراهيم بيك ، ثم ركب قاسم
بيك بأتباعه وذهب الى مراد بيك ، لأنه في الأصل

وفي تلك الليلة — وقت المغرب — طلع الأمراء
الى الباشا ، وأشاروا عليه بالنزول والتوجه الى
ناحية طرا ، فنزل في صباحها وخرج الى ناحية طرا
كما أشاروا عليه .

وكذلك خرج الأمراء ، وطاف الأغا والوالى
بالشوارع وهما يناديان على الألفاشات المنتسبين
الى الوجاقات بالصعود الى القلعة ، والباقي بالخروج
الى متاريس الجيزة .

وطلع الأوده باشا والاختيارية ، وجلسوا في
الأبواب .

٧ منه (٨ يولية ١٧٩١ م) :

أشيع أن الأمراء القبليين يريدون التخريم من
وراء الجبل الى جهة العادلية ، فخرج أحمد بيك ،
وصالح بيك تابع رضوان بيك الى جهة العادلية ،
وأقاموا هناك للمحافظة بتلك الجهة ، وأرسلوا
أيضا الى عرب العائد فحضروا أيضا هناك .

وفيه : وصل القبليون الى حلوان ، ونصصوا
وطاقهم هناك ، وأخذ المصريون حذرهم من خلف
متاريس طرا .

٩ منه (١٠ يولية ١٧٩١ م) :

توجه المشايخ الى ناحية طرا ، وسلموا على
الباشا ، والأمراء ، ورجعوا ، وذلك بإشارة الأمراء
ليشاع عند الأخصام أن الرعية والمشايخ معهم .
وبقى الأمر على ذلك الى يوم الثلاثاء التالى .

١٧ منه (١٨ يولية ١٧٩١ م) :

نزل الأغا والوالى ، وأمامهم المنادة على الرعية ،
والعامة الكافة بالخروج في صبح الخميس صحبة
المشايخ ولا يتأخر أحد . وحضر الشيخ العروسى
الى بيت الشيخ البكرى ، وعملوا هناك جمعية ،
وخرج الأغا من هناك ينادى فى الناس ، ووقع
الهرج والمرج !

من أتباعه ، ثم ركب مصطفى كاشف الغزاوى — وهو أخو عثمان بيك طبل شيخ البلد — وذهب أيضا اليهم ، واستوثق لأخيه . فكتب له ابراهيم بيك بالحضور ، فلم يتمكن من الحضور الا بعد العشاء الأخيرة ، حتى انقرد عن حسن بيك ، وعلى بيك

فلما فعل ذلك وفارقهما سقط في أيديهما ، وغشى على على بيك ، ثم أفاق . وركب مع حسن بيك وصناجقه وهم : عثمان بيك ، وشاهين بيك ، وسليم بيك المعروف بالدمرجى الذى تأمر عوضا عن على بيك الحبشى ، ومحمد بيك كشكش ، وصالح بيك الذى تأمر عوضا عن رضوان بيك العلوى ، وعلى بيك الذى تأمر عوضا عن سليم بيك الاسماعيلى — وذهب الجميع من خلف القلعة على طريق طرا ، وذهبوا الى قبلى ، حيث كانت أخصامهم — فسبحان مقلب الأحوال !! ولما حضر عثمان بيك ، وقابل ابراهيم بيك ، أرسله مع ولده مرزوق بيك الى مراد بيك ، فقابله أيضا ، ثم حضرت اليهم الوجاقلية والاختيارية ، وقابلوهم ، وسلموا عليهم .

٢١ منه (٢٢ يولية ١٧٩١ م) :

شرع أتباعهم فى دخول مصر بطول الليل . ولما طلع النهار ، دخلت أتباعهم بالحملات ، والجمال شىء كثيرا جدا ، ثم دخل ابراهيم بيك ، وشق المدينة ، ومعه صناجقه ومماليكه — وأكثرهم لابسون الدروع — ثم دخل بعده سليمان بيك ، والأغا ، وأخوه ابراهيم بيك الوالى ، ثم عثمان بيك الشرقاوى ، وأحمد بيك الكلارجى ، وأيوب بيك الدفتردار ، ومصطفى بيك الكبير ، وعلى آغا ، وسليم آغا ، وقائد آغا ، وعثمان بيك الأشقر الابراهيمى ، وعبد الرحمن بيك الذى كان

باسلامبول ، وقاسم بيك الموسقو ، وكشافهم ، وأغواتهم .

وأما مراد بيك فانه دخل من على طريق الصحراء ، ونزل على الرميلى ، وصحبته عثمان بيك الاسماعيلى شيخ البلد ، وأمرأؤه ، وهم : محمد بيك الألفى ، وعثمان بيك الطنبرجى — الذى كان باسلامبول أيضا — وكشافهم ، وأغواتهم .

واستمر انجرارهم الى بعد الظهر خلاف من كان متأخرا ، أو منقطعا ، فلم يتم دخولهم الا فى ثانى يوم .

وأما مصطفى آغا الوكيل ، فانه التحا الى الباشا ، وكذلك مصطفى كاشف طرا ... فأخذها الباشا صحته ، وطلعا الى القلعة ، ودخل الأمراء الى بيوتهم ، وباتوا بها ، ونسوا الذى جرى .

وأكثر البيوت كان بها الأمراء المالكون بالطاعون ، وبقي بها سائهم ، ومات غالب نساء الغائبين ، فلما رجعوا وجدوها عامرة بالحريم ، والجوارى ، والخدم ، فتزوجوهن ، وجددوا فراشهم ، وعملوا أعراسهم . ومن لم يكن له بيت ، دخل ما أحب من البيوت ، وأخذ بهما فيه من غير مانع ، وجلس فى مجالس الرجال ، وانتظر تمام العدة ان كان بقى منها شىء ... وأورثهم الله أرضهم ودنارهم وأموالهم وأزواجهم !

وفيه : ركب سليم آغا ونادى على طائفة القلونية والارنؤود والشوام بالسفر ، ولا يتأخر منهم أحد وكل من وجد بعد ثلاثة أيام استحق ما نزل به

ثم ان المماليك صاروا كل من صادفوه منهم ، أو رأوه أهانوه ، وأخذوا سلاحه . فاجتمع منهم طائفة وذهبوا الى الباشا فأرسل معهم شخصا من الدلاة أنزلهم الى بولاق فى المراكب . وصار أولاد البلد والصغار يسخرون بهم ، ويصفرون عليهم بطول الطريق .

وسكن مراد بيك بيت اسماعيل بيك - وكأنه
كان يبنيه من أجله !

٢٢ منه (٢٣ يولية ١٧٩١ م) :

طاف الأغاوهويناى على القليونية والأرتوود .

٢٦ منه (٢٧ يولية ١٧٩١ م) :

صعد الأمراء الى القلعة ، وقابلوا الباشا -
وكانوا لم يروه ولم يرههم قبل ذلك اليوم - فخلع
عليهم الحلع ، ونزلوا من عنده ، وشرعوا في تجهيز
تجريدة الى الهاريين ، لأنهم حجزوا ما وجدوه من
مراكبهم ، وأمتعتهم ، وكتب الباشا عرضحال في
ليلة دخولهم ، وأرسله صحبة واحد ططرى الى
الدولة بحقيقة الحال ، وعينوا للتجريدة ابراهيم
بيك الوالى ، وعثمان بيك المرادى متقلدا امارة
الصعيد ، وعثمان بيك الأشقر . وأحضر مراد بيك
حسن كتحدا على بيك بأمان ، وقابله ، وقيده
بتسهيل التجريدة ، وعمل البقساط ، ومصرف
البيت من اللحم والخبز والسمن وغير ذلك ، ووجه
عليه المطالب حتى صرف ما جمعه وخواه ، وباع متاعه
وأملاكه ورهنها ، واستدان . ولم يزل حتى مات
بقهره ، وقلدوا على أغا مستحفظان سابقا ، وجعلوه
كتحدا الجاوشية .

ذواحجة

٢١ منه (٢١ اغسطس ١٧٩١ م : ١٧ مسرى ١٥٠٧ ق) :

أوفى النيل أذرعه ، ونزل الباشا الى قصر السد ، وحضر
القاضى والأمراء ، وكسر السد بحضرتهم ، وعملوا
الشنك المعتاد ، وجرى الماء في الخليج ، ثم توقفت
الزيادة ، ولم يزد بعد الوفاء الا شيئا قليلا ، ثم
نقص واستمر يزيد قليلا ، وينقص الى الصليب ،
فضجت الناس ، وتشحطت الغلال ، وزاد سعرها ،
وانكبوا على الشراء ، ولاحت لوائح الغلاء .
وفيه : شرع الأمراء في التعدى على أخذ البلاد

من أربابها من الوجاقلية وغيرهم ، وأخذوا بلاد
أمير الحج .

وفيه : صالح الباشا الأمراء على مصطفى أغا
الوكيل ، وأخلوا له داره ، وقد كان سكن بها
عثمان بيك الأشقر ، فأخلاها له ابراهيم بيك ،
ونزل من القلعة اليها ، ولازم ابراهيم بيك
ملازمة كلية

وكذلك مصطفى كاشف الذى كان بطرا لازم
مراد بيك واختص به ، وصار جليسه ونديمه .

ومات في هذه السنة شيخنا ، علم الأعلام ،
والساحر اللاعب بالأفهام ، الذى جاب في اللغة
والحديث كل فج ، وخاض من العلم كل لج ..
الشيخ أبو الفيض السيد محمد بن محمد بن محمد
ابن عبد الرازق ، الشهير بمرتضى الحسينى
الزبيدى الحنفى .

ولد سنة ١١٤٥ (١٧٣٣ م) ، ونشأ ببلاده ،
وارتحل في طلب العلم ، وحج مرارا . واجتمع
بكثير من الشيوخ والعلماء .. وقرأ على الشيخ
عبد الرحمن العيدروس مختصر السعد ، ولازمه
ملازمة كلية ، وألبسه الحرقة ، وأجازته بمروياته
ومسموعاته .

قال : وهو الذى شوقنى الى دخول مصر : بما
وصفه لى من علمائها وأمرائها وأدبائها وما فيها
من المشاهد الكرام .. فاشتقت نفسى لرؤياها ،
وحضرت مع الركب ، وكان الذى كان ..

ورد الى مصر في تاسع صفر سنة ١١٦٧ (١٧٥٢ م)
وسكن بخان الصاغة ، وحضر على كثير من
مشايخها ، وتلقى عنهم ، وأجازوه ، وشهدوا بعلمه
وفضله وجودة حفظه .

واعتنى بشأنه اسماعيل كتحدا عزبان ، ووالاه
بيره حتى راج أمره ، وترولق حاله ، واشتهر ذكره
عند الخاص والعام ، ولبس الملابس الفاخرة ،

وركب الخول السومة . وسافر الى الصعيد ثلاث مرات ، واجتمع بأكابره وأعيانه وعلمائه .

وكذلك ارحل الى الجهات البحرية — مثل دمياط ورشيد والمنصورة وباقي البنادر العظيمة — مرارا ، حين كانت مزينة بأهلها ، عامرة بأكابرها . وأكرمه الجميع . واجتمع بأكابر النواحي وأرباب العلم والسلوك ، وتلقى عنهم ، وأجازوه وأجازهم . وصنف عدة رحلات في انتقالاته في البلاد القبلية والبحرية تحتوى على لطائف ومحاورات ومدائح — نظما ونثرا — لو جمعت لكانت مجلدا ضخما .

وشرع في شرح القاموس (١) حتى أتمه في عدة سنين في نحو أربعة عشر مجلدا ، وسماه « تاج العروس » .

ولما أكمله أولم وليمة حافلة ، جمع فيها طلاب العلم وأشياخ الوقت ، بغيط المعدية ، وذلك في سنة ١١٨١ (١٧٦٧ م) ، وأطلعهم عليه ، واغبطوا به ، وشهدوا بفضل وسعة اطلاعه ورسوخه في علم اللغة ، وكتبوا عليه تقاريرهم ثرا ونظما . وكتب للمرحوم الوالد — بسأله الاجازة والتقريب — بقوله :

أمولاي ، بحر العلم ، يامن سناؤه

بفوق صياء الشمس في الشرق والغرب

ويا وراث النعمان فتها وحكمة

وزهدا له قد شاع في البعد والقرب

عبيدكم الظمان قد جاء يرتجى

« ملاحظة » منها يفوز قضا الأرب

ويسأل في هذا الكتاب اجازة

بتقريبه ، حتى يفوق على الكتب

حباكم اله العرش منه كرامة

وعيشا هنيئا في أمان بلا كبر

(١) هو معجم « القاموس المحيط » للفيروزآبادي . وهو من أهم مراجع اللغة العربية . و « تاج العروس في شرح القاموس » للزبيدي ... له أكبر نصيب من اسمه .

ولما أنشأ محمد بيك أبو الذهب جامعه المعروف به بالقرب من الأزهر ، وعمل فيه خزانة للكتب ، واشترى جملة من الكتب ووضعها بها .. أنهوا اليه « شرح القاموس » هذا ، وعرفوه أنه اذا وضع بالخزانة كمل نظامها ، وانفردت بذلك دون غيرها . ورغبوه في ذلك فطلبه . وعرضه عنه مائة ألف درهم فضاة ، ووضعها فيها .

وقد رغب الناس في معاشرته لكونه غريبا ، وعلى غير صورة العلماء المصريين وشكلهم ، ويعرف باللغة التركية والفارسية — بل وبعض لسان الكرج — فانجذبت قلوبهم اليه ، وتناقلوا خبره وحديثه ..

.. ودعاه كثير من الأعيان الى بيوتهم ، وعملوا من أجله ولأثم فاخرة . فيذهب اليهم — مع خواص الطلبة والمقرىء والمستملى وكاتب الأسماء — فيقرأ لهم شيئا من الأجزاء الحديثة .. بحضور الجماعة وصاحب المنزل وأصحابه وأحبابه وأولاده — وبناته ونسأؤه من خلف الستائر — وبين أيديهم مجامر البخور بالعنبر والعود مدة القراءة ، ثم يختمون ذلك بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، على النسق المعتاد .

ويكتب الكاتب أسماء الحاضرين والسامعين — حتى النساء والصبيان والبنات — واليوم والتاريخ ، ويكتب الشيخ تحت ذلك : « صحيح ذلك » .

وهذه كانت طريقة المحدثين في الزمن السابق . يقول الحقيير (يعنى الجبرتي نفسه) : انى كنت مشاهدا وحاضرا فى غالب هذه المجالس والدروس ، ومجالس آخر خاصة بمنزله وبسكنه القديم بخان الصاغة ، وبمنزلنا بالصنادقية وبولاق ، وأماكن آخر كنا نذهب اليها للنزاهة — مثل غيط المعدية والأزبكية وغير ذلك — فكنا نشغل غالب الأوقات بسرد الأجزاء الحديثة وغيرها ، وهو كثير ، بثبوت

المسبوعات على النسخ ، وفي أوراق كثيرة موجودة الى الآن .

ولما حضر محمد باشا عزت الكبير رفع شأنه عنده ، وأصعده اليه ، وخلع عليه فروة سمور ، ورتب له تعيينا من كلاره لكفايته من لحم وسمن وأرز وخطب وخبز ، ورتب له علوفة جزيلة بدفتر الحرمين والسائرة ، وغلالا من الأنبار .

وأنهى الى الدولة شأنه ، فأثاء مرسوم بعرتب جزيل بالضربخانة ، وقدره مائة وخمسون نصفا فضة في كل يوم .. فعظم أمره ، واتشر صيته .. وطار ذكره في الآفاق ، وكاتبه ملوك النواحي من الترك والحجاز والهند واليمن والشام والبصرة والعراق وملوك المغرب والسودان وفزان والجزائر والبلاد البعيدة .

وكرت عليه الوفود من كل ناحية ، وترادفت عليه منهم الهدايا والصلات والأشياء الغريبة .

وأرسلوا اليه من أغنام فزان — وهى عجينة الخلقة ، عظيمة العجة ، يشبه رأسها رأس العجل — وأرسلها الى أولاد السلطان عبد الحميد ، فوقع لهم موقعا .

وكذلك أرسلوا له من طيور البيضاء والجوارى والبيد والطواشية .. فكان يرسل من طرائف الناحية ، الى الناحية المستغرب ذلك عندها .. ويأتيه في مقابلها أضماها .

وأتاه من طرائف الهند وصنعاء اليمن وبلاد سرت وغيرها أشياء نفيسة ، وماء الكادي والمريات والعود والعنبر والعطرشاه بالأرطال .

وصار له عند أهل المغرب شهرة عظيمة ، ومنزلة كبيرة ، واعتقاد زائد .. وربما اعتقدوا فيه القطبانية العظمى .. حتى ان أحدهم اذا ورد الى مصر حاجا ولم يزره ولم يصله بشئ .. لا يكون حجه كاملا . فاذا ورد عليه أحدهم سأل عن اسمه ولقبه

وبلده وخطته وصناعته وأولاده ، وحفظ ذلك أو كتبه . ويستخير من هذا عن ذاك — بلطف ورقة — فاذا ورد عليه قادم من قابل سأل عن اسمه وبلده فيقول له فلان من بلدة كذا .. فلا يخلو اما أن يكون عرفه من غيره سابقا ، أو عرف جاره أو قريبه ، فيقول له : « فلان طيب ؟ » . فيقول : « نعم سيدى » . ثم يسأل عن أخيه فلان ، وولده فلان ، وزوجته ، وابنته ، ويشير له باسم حارته وداره وما جاورها .. فيقوم ذلك المغربى ويقعد ، ويقبل الأرض تارة ويسجد تارة ، ويعتقد أن ذلك من باب الكشف الصريح .

فتراهم ، في أيام طلوع الحج ونزوله ، مزدحمين على باب من الصباح الى الغروب . وكل من دخل منهم قدم بين يدي نجواه شيئا : اما موزونات فضة أو تمرا أو شحما .. على قدر فقره وغناه .

وبعضهم يأتيه بمراسلات وصالات من أهل بلاده وعلمائها وأعيانها ، ويلتمسون منه الأجوبة : فمن ظفر منهم بقطعة ورقة — ولو بمقدار الأنملة — فكأنما ظفر بحسن الخاتمة وحفظها معه كالتيسية ، ويرى أنه قد قبل حجه .. والا فقد باء بالخيبة والندامة ، وتوجه عليه اللوم من أهل بلاده ، ودامت حسرته الى يوم مياعده . وقس على ذلك شئ لم يقل ..

ولما حضر حسن باشا الى مصر ، لم يذهب اليه .. بل حضر هو لزيارته ، وخلع عليه فروة تليق بمقامه . وقدم له حصانا مرختا بصرج وعباءة ، قيمته ألف دينار ، أعده وهياه قبل ذلك .

وكانت شفاعته عنده لا ترد . وان أرسل اليه ارسالية في شئ تلقاها بالقبول والاجلال ، وقبل الورقة — قبل أن يقرأها — ووضعها على رأسه ، ونفذ ما فيها في الحال .

ونظمه كثير ، ونثره بحر غزير ، وفضله شهير ، وذكره مستطير .

وكنيت كثيرا ما أجتلى وجه وداده ، وأوقد نار
الفكرة بقدح واري زاده ، واستظل بدوحه المربع .
وأستمد من بحر السريح ، وأسامره بما يذكرنا
عهود الرقتين ، وأنتزه من صفات فضله وذاته في
الربيعين ..

وكانت بالمراق لنا لال
سرقنا من رب الزمان
جعلنا من تاريخ الليالي
وعنوان المسرة والأماني
وبالجملة فانه كان في جمع المعارف صدرا لكل
ناد ، حتى فوض الدهر منه رفيع العماد ، وآذنت
شمسه بالزوال ، وغربت بعد ما طلعت من مشرق
الاقال ...

وزهرة الدنيا وان أنت
فانها تسفى بباء الزوال

وكانت صفته : ربة نحيف البدن ، ذهبي اللون
متناسب الأعضاء ، معتدل اللحية قد وخطه الثوب
في أكثرها ، مترفها في ملبسه ، وبستم — مثل أهل
مكة — عمامة منحرفة بشاش أبيض ، ولها عذة
مرخية على قفاه ، ولها حبكة وشراب حرير
طولها قريب من فتر ، وطرفها الآخر داخل شئ
العمامة وبعض أطرافه ظاهر .

وكان لطيف الذات ، حسن الصفات ، بشوشا
بسوما ، وفورا محتشما ، مستحضرا للنواذر
والمناسبات ، ذكيا لودعا ، فطنا المصيا ، رؤف
فضله نصير ، وما له في سعة الحفظ نظير .

جعل الله مثواه قصور الجنان ، وصريحه مطاف
وفود الرحمة والغفران .

* * *

ومات في هذه السنة الأمير المجل ، والنبيه
المفضل ، على بن عبد الله ، الرومي الأصل ،

مولي الأمير أحمد كخدا صالح . اشتراه سيده
صغيرا ، فتربى في الحريم . .

وأقرأه القرآن وبعض متون الفقه ، وتعلم
الفروسية ورعى السهام ، وترقى حتى عمل
خازن دارا عنده .

وكان يته سوردا للأفاضل .. فكان يكرمهم
ويحترمهم ويتعلم منهم الفلم ، ثم أعنته وأنزله
حاكما في بعض ضياعه ، ثم رقاها الي أن عمله
رئيسا في باب المتفرقة ، وتوجه أميرا على طائفته
صحبة الخزانة الي الأبواب السلطانية .. مع
شهادة وصرامة ، ثم عاد الي مصر .

وكان ممن يعقد في شيخنا السيد علي المقدسي ،
ويجتمع به كثيرا ، وكان له حافظه جيدة في
استخراج النروع . وأتقن فن رمي النشاب الي
أن صار أستاذاه .

وانفرد في وقته في صنعة القسي والسهام
والدهانات .. فلم يلحقه أهل عصره .

وأضر بعينه ، وعالجها كثيرا فلم يشفه ..
فصبر واحتسب . ومع ذلك فبرد عليه أهل قته
وبسألونه فيه ، ويستمدون على قوله .

ولقد أتاه — وهو في هذه الضرارة — رجل من
أهل الروم اسمه حسن ، فأنزله في بيته وعلمه
هذه الصنعة حتى فاق ، في زمن قليل ، أقرانه ،
وسلم له أهل عصره .. وحشد طلب منه أن
بأذن له فيها ..

واجتمع أهل الصنعة في منزله لحضور هذا
المجلس . فأرسل الي شيخنا السيد محمد سرقضي
وطلب منه شيئا يناسب المجلس ، فكتب — عن
لسانه :

« الحمد لله الذي علم الانسان مالم يعلم ،
وهدي بفيض فضله الي الطريق الأقوم .
« والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد

النبي الأكرم ، الناصر لدين الحق بالسيف
والسنان المقوم ، وعلى آله وصحبه ما رمى
مجاهد في سبيل الله سهما والي الجنة فندم .
« أما بعد .. فيقول الفقير الى الله تعالى على
ابن عبد الله -- مولى المرحوم أحمد كنفذا صالح
-- لله ذنوبه ، وعثر عيوبه ، ورحم من مضى
من سلفه ، وجعل البركة في عقبه وخلقه ؛

« اعلما -- اخواني في الله ورسوله -- أن كل
صفة لها شيخ وأستاذ . وقد قالوا : « صفة بلا
أستاذ ، يتركها الفساد » . وأن صفة القوس
والنشاب ، بين الأقراء والأصحاب ، على سر
الأحقاب .. شريفة ، وطريقة بين السلف والخلف
متبولة منيعة ، اذ بها تمير باب الجهاد ، وتصح
قلاع أهل الكفر والفساد ..

« وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم في
الكتاب ، بأعداد القوة ، وفسر ذلك برسى
النشاب (١) .. حيث قال جل ذكره : « وأعدوا لهم
ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به
عدو الله وعدوكم » .

(ثم قيل السيد مرتضى في صيغة هذه الإجازة
وسميت ، الى أن تقول :)

(١) حض الله تعالى في كتابه الحكيم على القتال في سبيله ،
ودعا برسوله صلى الله عليه وسلم الى الجهاد اعلاء لكلمة الحق .
ولكن الخطر ، كل الخطر ، هو أن يفسر « السيد مرتضى »
هذه الآية الكريمة بأن « اعداد القوة » تقتصر على الرس
والنشاب ..

فالذا كان الرمي بالنشاب آخر ما انتهت اليه المقول من مظاهر
القوة في رابطة ، فعلى المدوة الاخرى من البحر الأبيض المتوسط
كان قوم يتكبدون للشرق كيدا ، ويهددون له بالهزيمة .
وابناء الشرق يشقون بقيادة تنكر « يقدمون بين ايديهم موزونات
الفضة ، ويلتمسون منهم الاحوية ... فمن ظفر منهم بقطعة ورقة
... ولو بتلوي الأضلة -- فكانما ظفر بعض من الغناتمة ، وحفظها
منه كالتصميم » .

ثم لا يتورع مؤلف « الرصاء » أنفسهم من تفسير آيات الله في
القتال واحاديث برسوله في الجهاد ... بان اذعنهم هو الرمي
بالنشاب ، والقرن التاسع عشر -- قرن البخار والكهرباء --
سلى الابواب ، ولم يبق على حملة نابليون على مصر الا بضعة
أسواق !

« فلما رأيت هذا الاتفاق في صنعة ، والاذعان
بمحسن معرفته ، والاحكام -- مع التفقه في سائر
الأوقات -- لأصول صناعته ، صدرت مني هذه
الإجازة الخاصة له بشهادة الاخوان في هذه
الصنعة الشريفة البيان ، كما أجازني به
الشيخ الصالح الكامل الماهر البارع المرحوم
عبد الله أفندي ابن محمد البهنوي ، بحق أخذه
لذلك عن شيخه المرحوم الحاج على الألباني ،
عن شيخه محمد الاسطبولي ، بأيناده المتصل
الى عبد الرحمن الهزاري ، والامام صاحب
الاختيار مؤلف « الايضاح » المروف بالطبري ،
بحق أخذهما عن أئمة هذا الفن المشهورين :
طاهر البلخي ، واسحق الرفاء ، وأبي هاشم
الباوردي .. بأصانيدهم المتصلة عن شيخ الى
شيخ الى أن ينتهي ذلك الى سيدنا اسماعيل
عليه الصلاة والسلام -- وحسبك من علو سنده
ينتهي الى هذا الامام !

« وأوصيه -- كما أوصي أخواني وتسى --
المخالطة بالأدب الجميل ، وتواضع النفس ،
وحملها على مكارم الأخلاق ، وألا يرفع نفسه
على أحد ، وألا يحقر أحدا من خلق الله ، وأن
يجعل دأبه لزوم الصمت ، والقناعة بالقليل ، مع
المداومة على ذكر الله .. بالسكينة والوقار ، وأن
يسمى الله في أول مسكه في صنعة ، ويستبد من
الله القوة والحوول ، ولا يضجر ، ولا يئس من روح
الله ، ولا يئس نفسه ولا قوسه ولا سهامه ، ولا
يصاير نفسه بالعجز .. فانه يصل الى ما وصل
اليه غيره ، فان الرجال بالهمم .. ففي الحديث :
« المؤمن القوي أحب الى الله من المؤمن
الضعيف ، وفي كل خير » . وأن يديم النظر الى
معرفة الميوب العارضة للنفس والسهام ، وعقد
الأوتار ، ويتصاعد لذلك ، وكيفية ازالة العيب
ان حدث ، ويعرف من أي حدث ، وألا ييأس

سلاح الجهاد لكافر ، ويفتش دين من يشترى
ان كان رجلا ، أو صبيا فيحتاج ذلك الى اذن والده
.. فاذا علم اسلامه ووثق فيأخذ عليه العهد ألا
يرمى به مسلما ، ولا معاهدا ولا كلبا ولا شيئا
من ذوات الأرواح .. الا أن يكون صيدا أو ما
يجب قتله .

« وألا يعلم صنعته الا لأهله الذى يثق بدينه .
فقد روى أنه لا يحل منع العلم عن مستحقه ،
ويجب اعطاؤه بحقه .. سيما ان كان عارفا بقدر
العلم ، راغبا فيه ، طالبا لوجه الله تعالى .. لا
للمباهاة والمفاخرة .

« ويجب عليه أن يروض تلامذته ويؤلف بينهم ،
ويسرهم على العمل ، ولا يعاتبهم الا فى خلوة
.. وهو — مع ذلك — لازم الهيبة ، كثير
السكوت ، متأن فى الأمور ، غير عجول للجواب .
« والتقوى أصل كل شيء ، وهى رأس مال
الإنسان .

« ونختتم الكلام بالحمد والثناء للرب المالك
المتان ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد
ولد عدنان ، وعلى آله وصحبه الأعيان »
وكان عند المترجم كتب نفيسة فى كل فن .
رحمه الله .

ومات فى هذه السنة الأمير محمد أغا البارودى
— وهو مملوك أحمد أغا ، مملوك ابراهيم كتحدا
القازدغلى — رباه سيده وجعله خازن داره ، وعقد
له على ابنته . فلما توفى سيده ، طلقها وتزوج
بزوجة سيده — هانم بنت ابراهيم كتحدا من
الست البارودية — وهى أم أولاده .

وتقيد بخدمة اسماعيل بيك ، وتداخل معه ،
حتى نصبه فى كتحداية ، وأحبه ، واحتوى على
عقله ، فسلم له قياده فى جميع أشغاله ، وارتاح

اليه ، وجعله أمين الشون والضربخانة وغيرهما ،
فعظم شأنه ، وارتفع قدره ، وطار صيته بالأقاليم
المصرية .

وصار الايراد اليه ، والمصرف من يده ، فيصرف
جماكى العسكر ولوازم الدولة وهداياها ،
ومصاريف العمائر والتجاريد ، واحتياجات أمير
الحج من اللوازم ، من الجمال والأرحال والقرب
والخيش والعليق والذخيرة التى تسافر فى البحر
والبر ، وعوائد العرب وكساويهم ، والهجن
والبغال ، وأرباب الصيت وغير ذلك . واذا كان
وقت خروج المحمل ، فلا يرى أمير الحج الا جميع
احتياجاته ولوازمه حاضرة مهيأة على أتم ما يكون .
وزوج ابنة سيده لخازن داره على أغا ، وعمل
لهما مهما عظيما عدة أيام . وحضر اسماعيل بيك
والأمراء والأعيان ، وأرسلوا اليه الهدايا العظيمة ،
وكذلك جميع التجار والنصارى والكتاب القبط
ومشايع البلدان .

وبعد تمام أيام العرس ولياليه بالسماعات والآلات
والملاعب والنقوطة ، عملوا للعروس زفة بهيئة لم
يسبق نظيرها ، ومشى جميع أرباب الحرف وأرباب
الصنائع ، مع كل طائفة عربية ، وفيها هيئة صناعتهم
ومن يشتغل فيها مثل : القهوجى بآلته وكونونه ،
والحلوانى والفطاطرى والحباك والقزاز بنوله ..
حتى مبيض النحاس والحيطان والمعاجينى ،
وبياعين البز وأرباب الملاحى والنساء المغانى
وغيرهم — كل طائفة فى عربة — وكان مجموعها
نيفا وسبعين حرفة ، وذلك خلاف الملاعب
والبهالوين والرقاصين والجنك . ثم الموكب وبعده
الأغوات والحريم ، والملازمون والسعاة
والجاويشية . وبعدها عربة العروس من صناعة
الافرنج ، بديعة الشكل ، وبعدها ممالك الخزنة
والملبسون الزروخ ، وبعدهم النوبة التركية
والنفيرات .

١٢٠٦ هـ

المحرم

الأربعاء مستهله (٢١ أغسطس ١٧٩١ م) :

عينوا صالح أغا ، كتحدا الجاوشية ، الى السفر الى الديار الرومية ، وسحبته هدية ، وشربات ، وأشياء . وصالح أغا هذا هو الذى بعثوه قبل ذلك لاجراء الصلح على يد نعمان أفندى ، ومحمود بيك ، وكاد أن يتم ذلك ، وأفسد ذلك حسن باشا ، ونفى نعمان أفندى بذلك السبب وذلك قبل موت حسن باشا بأربعة أيام فلما رجعوا الى مصر فى هذه المرة عينوه أيضا للامسالية السابقة ومعرفته بالأوضاع . وكان صالح أغا هذا عندما حضروا الى مصر ، سكن بيت البارودى ، وتزوج بزوجته .

٥ منه (٤ سبتمبر ١٧٩١ م) :

ركب الأمراء لوداع صالح أغا ، ونزل من مصر القديمة .

وفيه : هبط النيل ، ونزل مرة واحدة ، وذلك فى أيام الصليب ، ووقف جريان الخليج والترع وشرقت الأراضي ، فلم يرو منها الا القليل جدا ، فارتفعت الغلال من السواحل ، والرقع ، وضجت الناس ، وأيقنوا بالقحط ، ويشسوا من رحمة الله . وغلا سعر الغلة من ريالين الى ستة ، وضجت الفقراء وعيظوا على الحكام ، فصار الأغا يركب الى الرقع والسواحل ، ويضرب المتسبين فى الغلة ، ويسمرهم فى آذانهم ثم صار ابراهيم بيك يركب الى بولاق ، ويقف بالساحل ، وسعر الغلة بأربعة ريال الأردب ، ومنعهم من الزيادة على ذلك ، فلم ينجع .

وكذلك مراد بيك كرر الركوب ، والتحريج على عدم الزيادة ، فيظهرون الامتثال وقت مرورهم ، فاذا التقوا عنهم ، باعوا بمرادهم ، وذلك مع كثرة ورود الغلال ، ودخول المراكب ، وغالبها للأمراء ، وينقلونها الى المخازن والبيوت .

سمانت زفة غربية الوضع ، لم يتفق مثلها بعدها . ومات فى غرة رمضان ، وبموته ارتفع الطاعون ! وقيل :

واذا كان منتهى العمر موتا
فسواء طويله والقصير

ومات الصنو الوجيه ، والفريد النبيه ، محمد آفندى ابن سليمان أفندى ابن عبد الرحمن أفندى ابن مصطفى أفندى ككليويان (ويقال لها فى اللغة العامة جيلان) .

نشأ فى عفة وصلاح وخير وطلب العلم ، وعالى الجزئيات والرياضيات ، ولازم الشيخ المرحوم الوالد (١) ، وقرأ عليه كثيرا من الحسابيات والفلكيات ، والهيئة والتقويم ، ومهر فى ذلك ، واقتظم فى عداد أرباب المعارف ، واشترى كتب كثيرة فى الفن ، واستكتب وكتب بخطه الحسن ، واقتنى الآلات والمستظرفات ، وحسب وقوم الدساتير السنوية — عشرة أعوام مستقبلة — بأهلتها وتواريخها وتواقيعها .

ورسم كثيرا من الآلات الغربية والمنحرفات ، وكان شغله وحسابه فى غابة الضبط والصحة والحسن .

وكان لطيف الذات ، مهذب الأخلاق ، قليل الادعاء ، جميل الصحبة وقورا .

ومات أيضا بالطاعون فى شعبان ، وتبددت كتبه وآلاته .

ومات أيضا ، النبيه اللطيف ، والمفرد العفيف ، أحمد أفندى الوزان بالضربخانة . وكان انسانا حسنا ، جميل الأوضاع ، مترهف الطباع ، محتشما وقورا ، ودودا محبوبا لجميع الناس .

(١) والد الشيخ عبد الرحمن الجبرنى .

سفر

اوائله (اوائل اكتوبر ١٧٩١ م) :

وصل قاصد وعلى يده مرسوم بالعفو والرضا عن الأمراء ، فعملوا الديوان عند الباشا ، وقرأوا المرسوم ، وصورة ما بنى عليه ذلك : أنه لما حضر السيد عمر أفندى بمكاتبتهم السابقة الى الباشا ، ويترجون وساطته في اجراء الصلح ، فأرسل مكاتبة في خصوص ذلك من عنده ، وذكر فيها أن من بمصر من الأمراء لا طاقة لهم بهم ، ولا يقدرّون على منعهم ، ودفعهم ، أنهم واصولون ، وداخلون على كل حال . فكان هذا المرسوم جوابا عن ذلك ، وقبول شفاعة الباشا ، والاذن لهم بالدخول بشرط التوبة والصلح بينهم ، وبين اخوانهم . فلما فرغوا من قراءة ذلك ضربوا شنكا ومدافع .

الثلاثاء ١٢ منه (١١ اكتوبر ١٧٩١ م) :

حضر الشيخ الأمير الى مصر من الديار الرومية ، ومعه مرسومات خطابا للباشا ، والأمراء . فركب المشايخ ولاقوه من بولاق ، وتوجه الى بيته ، ولم يأت للسلام عليه أحد من الأمراء ، وأنعمت عليه الدولة بألف قرش ، ومرتب بالضربخانة قرش في كل يوم ، وقرأ هناك البخارى عند الآثار الشريفة بقصد النصرة !!

ربيع الأول

(نوفمبر ١٧٩١ م)

فيه : عمل المولد النبوى بالأزيكية ، وحضر مراد بيك الى هناك ، واصطلح مع محمد أفندى البكرى ، وكان منحرفا عنه بسبب وديعته التي كان أودعها عنده ، وأخذها حسن باشا .

فلما حضر الى مصر ، وضع يده على قرية كان اشتراها الأفندى من حسن جلبي بن على بيك الغزاوى ، وطلب من حسن جلبي ثمن القرية الذي

قبضه من الشيخ ، ليستوفى بذلك بعض حقه . وطال النزاع بينهما بسبب ذلك ، ثم اصطلحا على قدر قبضه مراد بيك منهما . وحضر مراد بيك الى الشيخ في المولد ، وعمل له وليمة ، واستمر عنده حصّة من الليل ، وخلع على الشيخ فروة سمور . وفيه : عملوا ديوانا عند الباشا ، وكتبوا عرضحال بتعطيل الميرى بسبب شراقي البلاد . وفيه : سافر محمد بيك الألفى الى جهة شرقية بلبس .

وفيه : حضر ابراهيم بيك الى مسجد أستاذة للكشف عليه ، وعلى الخزانة ، وعلى ما فيها من الكتب ، ولازم الحضور اليه ثلاثة أيام ، وأخذ مفتاح الخزانة من محمد أفندى حافظ ، وسلمه لنديمه محمد الجراحى ، وأعاد لها بعض وقفها المرصد عليها بعد أن كانت آلت الى الحراب ، ولم يبق بها غير البواب أمام الباب .

ربيع الآخر

(ديسمبر ١٧٩١ م)

قرروا تفريدة على تجار الغورية ، وطيلون ، وخان الخليلى ، وقبضوا على أنفار أنزلوهم الى التكية ببولاق ليلا في المشاعل ، ثم ردوهم . ووزع كبار التجار ما تقرر عليهم على فقرائهم بقسائم ، وناكد بعضهم بعضا ، وهرب كثير منهم ، فسمروا دورهم وحوانيتهم ، وكذلك فعلوا بكثير من مساتير الناس ، والوجاقلية ، وضج الخلائق من ذلك .

جمادى الأولى

مستهل (٢٧ ديسمبر ١٧٩١ م) :

كتبوا فرمانا بقبض مال الشراقي ، ولودى به فى النواحي . وانقضى شهر كيهك القبطى ، ولم ينزل من السماء قطرة ماء ، فحرثوا المزرع ببعض الأراضى التى طشها الماء ، وتولدت فيها الدودة ،

وكرت الفيران جدا ، حتى أكلت الثمار من أعلى الأشجار ، والذي سلم من الدودة من الزرع ، أكله الفار .. ولم يحصل في هذه السنة ربيع للبهائم (١) الا في النادر جدا ، ورضى الناس بالعليق (٢) ، فلم يجدوا التبن ، وبلغ حمل الحمار من قصل التبن الأصفر الشبيه بالكناسة — الذي يساوى خمسة أنصاف قبل ذلك — مائة نصف . ثم انقطع مرور الفلاحين بالكلية بسبب خطف السواس ، وأتباع الأجناد ، فصار يباع عند العلافين من خلف الضبة ، كل حفاة بنصفين ... الى غير ذلك !!

وفيه : حضر صالح أغا من الديار الرومية .

شوال

(مايو - يونية ١٧٩٢ م)

فيه : سافر صالح أغا بهدية ، ومكاتبات الى الدولة ورجالها .

ذوالقعدة

(يونية - يوليه ١٧٩٢ م)

فيه : وردت الأخبار بعزل الصدر الأعظم يوسف باشا ، وتولية محمد باشا ملكا . وكان صالح أغا قد وصل الى الاسكندرية ، فغيروا المكاتبات وأرسلوها اليه .

وفيه : حضر أغا بتقرير لوالى مصر على السنة الجديدة ، وطلع الموكب الى القلعة وعملوا له شنكا .

ذوالحجّة

في اواخره (حوالى منتصف اغسطس ١٧٩٢ م) :

شرع ابراهيم بيك في زواج ابنته عديلة هانم للأمير ابراهيم بيك المعروف بالوالى — أمير الحج

(١) اى زراعة البرسيم .

(٢) بعض الغول أو الشعر أو اللدة توضع للماشية على التبن .

سابقا — وعمر لها بيتا مخصوصا ، بجوار بيت الشيخ السادات ، وتغالوا في عمل الجهاز ، والحلى ، والجواهر وغير ذلك من الأواني ، والفضيات ، والذهبيات . وشرعوا في عمل الفرح ببركة الفيل ، ونصبوا صواري أمام البيوت الكبار ، وعلقوا فيها القناديل ، ونصبوا الملاعب والملاهي ، وأرباب الملاعب . وفردت التفاريد على البلاد ، وحضرت الهدايا والتقدم من الأمراء والأكابر ، والتجار . ودعا ابراهيم بيك الباشا ، فنزل من القلعة ، وحضر صحبتته خلع وفراو ، ومصاغ للعروس من جوهر ، وقدم اه ابراهيم بيك تسعة عشر من الخيل منها عشرة معددة ، وسبعة لؤلؤ ، وأقمشة هندية ، وشبقات دخان مجوهره ، وعملوا الزفة في رابع المحرم . وخرجت من بيت أبيها في عربة غريبة الشكل صناعة الافرنج ، في هيئة كمال من غير ملاعب ولا خزعبلات ، والأمراء والكشاف وأعيان التجار مشاة أمامها .

وفيه : حضر عثمان بيك الشرقاوى ، وصحبته رهائن حسن بيك الجداوى — وشاهين بيك وآخرون — وسكن في مكان صغير .

وفيه : وصلت الأخبار بأن على بيك انفصل من حسن بيك ومن معه ، وسافر على جهة القصير ، وذهب الى جدة .

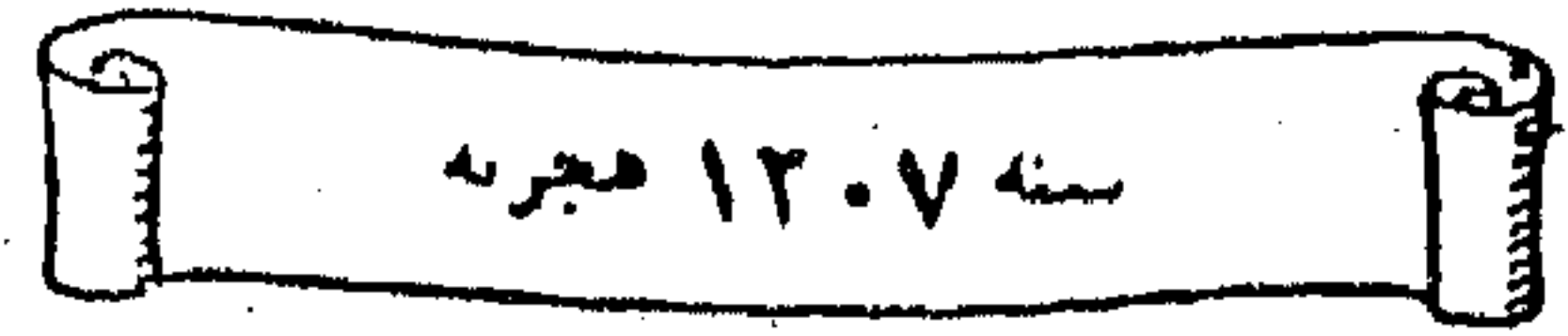
ومات في هذه السنة السيد السند الامام الفهامة المعتمد ، فريد عصره ، ووحيد شامه ومصره ، الوارد من زلال المعارف على معينها ، المؤيد بأحكام شريعة جده .. حتى أبان صبح يقينها ، السيد العلامة أبو المودة محمد خليل ابن السيد العارف ، الذى ينتهى نسبه الى السيد محمد مراد بن على الحسينى الحنفى الدمشقى .

لم نرهم ، لكن سمعنا خبره ، ووردت علينا منه

مكائنات ، ووشى طروحه المحبرات ، وتناقل الينا
أوصافه الجميلة ، ومكارم أخلاقه الجميلة . كذا
شامة الشام ، وغرة الليالى والأيام أورد عوده
بالشام وأثر ، ونشأ بها فى حجر والده والدهر
أيض أزهر ، وقرأ القرآن ، وطالع فى العلوم
والأدبيات واللغة التركية ، والانشاء والتوقيع .
وكان رحمه الله مغرما بصيد الشوارد ، وقيد
الأوابد ، واستعلام الأخبار ، وجمع الآثار ، وتراجم
العصرين ، على طريق المؤرخين .

وراسل فضلاء البلدان البعيدة ، والتمس من كل
جمع تراجم أهل بلاده ، وأخبار أعيان أهل القرن
الثانى عشر . وكان هو السبب الأعظم الداعى لجمع
هذا التاريخ على هذا النسق (١) .

وفى حلب الشهباء ، عصفت رياح المنية بروضة
الخصيب ، وهضرت يد الردى يانع غصنه الرطيب ،
فاحتضر بأمر الملك المقتدر ، وذلك فى أواخر صفر
من هذه السنة ، وهو مقتبل الشبيبة ، ولم يحلف
بعده فى الفضائل والمكارم مثله رحمه الله .



المحرم

(أغسطس - سبتمبر ١٧٩٢ م)

استهل والأمر فى شدة من الغلاء ، وتنام
المظالم ، وخراب البلاد . وشتات أهلها ، وانتشارهم

(١) يذكر المؤلف الشيخ عبد الرحمن الجبرنى من « الترجمة »
انه كان يجمع تراجم كبار العلماء والأطباء ، وكانت تتم الرسالة
من طريق الرحوم الشيخ السيد محمد مرفى .

ولما مات « المترجم » ظفر الشيخ عبد الرحمن الجبرنى بالأوراق
التي كان جمعها ، وعى نحو مئتين كرايين ، فذكر فيها نبوه
ومن اخذ عنه أو ساجله ، أو جالس من رليق وصاحب ، وساء
« المعجم المختص » .

ويقول الرحوم الشيخ عبد الرحمن الجبرنى : « ورد علينا
لمى « المترجم » نفثت الهمة ، وطرحت تلك الأوراق فى زوايا
الاممال مدة طويلة ، حتى كادت تتناثر وتضيع ، الى ان حصل
هندي باعت فى نفسى على جمعها - مع ضم الرنانع والحوادث
المجددات - على هذا النسق » .

بالمدينة ، حتى ملأوا الأسواق والأزقة ، رجالا
ونساء وأطفالا ، يكون ويصيحون ليلا ونهارا
من الجوع ، ويموت من الناس فى كل يوم جملة
كثيرة من الجوع !!

وفيه أيضا : هبط النيل قبل الصليب بعشرة
أيام ، وكان ناقصا عن ميعاد الرى نحو ذراعين ،
فارتجت الأحوال ، وانقطعت الآمال . وكان الناس
ينتظرون الفرج بزيادة النيل ، فلما نقص انقطع
أملهم ، واشتد كربهم ، وارتفعت الغلال من
السواحل والعرصات ، وغلت أسعارها عما كانت .
وبلغ الأردب ثمانية عشر ريالا ، والشعير
بخمسة عشر ريالا ، والفول بثلاثة عشر ريالا ،
وكذلك باقى الحبوب ، وصارت الأوقية من الخبز
بنصف فضة . ثم اشتد الحال حتى بيع ربع الويبة
بريال . وآل الأمر الى أن صار الناس يفتشون
على الغلة ، فلا يجدونها . ولم يبق للناس شغل ،
ولا حكاية ، ولا سمر بالليل والنهار فى مجالس
الأعيان وغيرهم الا مذاكرة القمح والفول والأكل
ونحو ذلك .

وشحت النفوس ، واحتجب المساتير ، وكثر
الصياح والعيول ليلا ونهارا ، فلاتكاد تقع الأرجل
الا على خلائق مطروحين بالأزقة . واذا وقع حمار
أو فرس ، تراحموا عليه ، وأكلوه نيئا ، ولو كان
منتنا .. حتى صاروا يأكلون الأطفال !!

ولما انكشف الماء ، وزرع الناس البرسيم ،
ونبت .. أكلته الدودة ، وكذلك الغلة فقلب أصحاب
المقدرة الأرض ، وحرثوها ، وسقوها بالماء من
السواقي ، والنطالات ، والشواذيف ، واشتروا
لها التقاوى بأقصى القيم ، وزرعوها فأكله الدود
أيضا . ولم ينزل من السماء قطرة ، ولا أندية ،
ولا صقيع ، بل كان فى أوائل كيهك شرويدات ،
وأهوية حارة ثقيلة . ولم يبق بالأرياف الا القليل
من الفلاحين ، وعمهم الموت والجلاء !

ربيع الأول

في أواخره (١٥ نوفمبر ١٧٩٢ م) :

حضر صالح أغا من الديار الرومية ، وعلى يده مرسومات بالعفو ، وثلاث خلع : أحداها للبasha ، والآخران لابراهيم بيك ومراد بيك . فاجتمعوا بالديوان وقرأوا المرسومات ، وضربوا مدافع . وأحضر صحبته صالح أغا وكالة دار السعادة ، وانتزعها من مصطفى أغا ، واستولى على ملايلها .

وفيه : وصلت غلال رومية ، وكثرت بالساحل ، فحصل للناس اطمئنان وسكون . ووافق ذلك حصاد الذرة ، فنزل السعر الى أربعة عشر ريالاً .. الأردب . وأما التبن فلا يكاد يوجد ، وإذا وجد منه شيء ، فلا يقدر من يشتريه على ايصاله لداره أو دابته ، بل يبادر لخطفه السواس ، وأتباع الأجناد في الطريق . وإذا سمعوا واستشعروا بشيء منه في مكان ، كبسوا عليه وأخذوه قهراً فكان غالب مئونة الدواب قصب الذرة الناشف . ويسرح الكثير من الفقراء والشحاذين في نواحي الجسور ، فيجمعون ما يمكنهم جمعه من الحشيش اليابس ، والتجيل الناشف ، ويأتون به ، ويطوفون به الأسواق ، ويبيعونه بأعلى الأثمان . ويتضارب على شرائه الناس ، وان صادفهم السواس ، والقواسة خطفوه من على رؤوسهم وأخذوه قهراً !

وفيه : وصلت الأخبار بأن على بيك الدفتردار لما سافر من القصير ، طلع على المويلح ، وركب من هناك مع العرب الى غزة ، وأرسل سرا الى مصر ، وطلب رجلاً نصرانياً من أتباعه .. فذهب اليه صحبة الهجان ، بمطلوبات وبعض احتياجات .

ولما وصل الى جهة غزة أرسل الى أحمد باشا الجزائر يعلمه بوصوله . فأرسل للملاقاته خيلاً ورجالاً ، فذهب اليه ، وصحبته نحو الثلاثين نفراً

لاغير . فلما وصل الى قرب عكا خرج اليه أحمد باشا ، ولاقاه ، ووجهه الى حيفا ، ورتب لهم بها رواتب .

وأما مراد بيك فانه خرج الى بر الجيزة من أول السنة ، وجلس في قصر اسماعيل بيك الذي عمره هناك ، واشتغل بعمل جبخانة وآلات حرب وبارود وجلل وقتاير ، وطلب الصناعات والحدايق ، وشرع في انشاء مراكب وغلايين رومية ، وزاد في بناء القصر ووسعه ، وأنشأ به بستانا عظيماً وغير ذلك .

وسافر عثمان بيك الشرقاوى الى ثغر الاسكندرية ، وجبى الأموال في طريقه من البلاد .

ربيع الآخر

الأربعاء ٢٧ منه (١٢ ديسمبر ١٧٩٢ م - ٥ كيهك ١٥٠٩ ق) :

أمطرت السماء مطراً متوسطاً ، وفرح به الناس .

جمادى الأولى

السبت اوله (١٥ ديسمبر ١٧٩٢ م) :

عدى مراد بيك من بر الجيزة ، فدخل الى بيته وأخبروا عن عثمان بيك الشرقاوى أنه رجع الى رشيد .

الثلاثاء ٤ منه (١٨ ديسمبر ١٧٩٢ م) :

حضر الذكور الى مصر .

الخميس ٦ منه (٢٠ ديسمبر ١٧٩٢ م) :

خرج مراد بيك وابراهيم بيك وباقي أمرائهم الى جهة العادلية ، فأقاموا أياماً قليلة ، ثم ذهب مراد بيك الى ناحية أبى زعبل . وكذلك ابراهيم بيك الوالى ، وصحبته جماعة من الأمراء الى ناحية الجزيرة . وفي وقت خروجهم نهب أتباعهم ما صادفوه من الدواب ، وصاروا يكبسون الكوائل

التي بباب الشعرية ، ويأخذون ما يجدونه من جمال
الفلاحين السفارة وحميرهم لها .

فأما مراد بيك فانه لما وصل الى أبي زعبل ،
وجد هناك طلائفة من عرب الصوالحة في خيشهم ،
لا جنية لهم — فنهبهم وأخذ أموالهم ومواشيهم ،
وقتل منهم نحو خمسة وعشرين شخصا ، ما بين
علمان وشيوخ ! وأقام هناك يوما ، وقبض على
مشايخ البلد « أبو زعبل » ، وحبسهم ، وقرر
عليهم غرامة أحد عشر ألف ريال . ولم يقبل فيهم
شفاعة أستاذهم ، وشتمه ، وضربه بالعصا . وأما
عرب الجزيرة ، فانهم ارتحلوا من أماكنهم .

شعبان

(مارس - أبريل ١٧٩٣ م)

وقع الاهتمام بسد خليج الفرعونية بسبب
اختراق البحر الشرقي ، ونضوب مائه ، وظهرت
بالنيل كيما ن رمل هائلة من حد المقياس الى البحر
المالح ، وسار البحر الغربي سلسول جدول تخوضه
الأولاد الصغار ، ولا يمر به الا صغار القوارب .
وانقطع الجالب من جميع النواحي الا ما تحمله
المراكب الصغار بأضعاف الأجرة ، وتعطلت دواوين
المكوس فأرسلوا الى سد الترعة رجلا مسلمانى ،
وصحبته جماعة من الأفرنج ، وأحضروا الأخشاب
العظيمة ، ورتبوا عمل السد قريبا من كفر الخضرة ،
وركبوا آلات في المراكب ، ودقوا ثلاثة صفوف
خوابير من أخشاب طوال . فلما أتموا ذلك كانت
الصناع فرغت من تطبيق ألواح في غاية الشخن
شبه البوابات العظام وهي مسمرة بمسامير عظيمة
ملحومة بالرصاص ، وصفائح الحديد مثقوبة
بثقوب مقامة على مايوازيها من نجوش منجوشة
بالخوابير المركوزة في الماء ، فاذا نزلوا بيوابة الحموها
بتلك خوابير ، وتبعتهم الرجال بالجوابى المملوءة
بالحصا والرمل من أمام ، ومن خلف . وتبع ذلك

الرجال الكثيرة يعلقان الأتربة والطين ، ففعلوا
ذلك حتى قارب التمام ، ولم يبق الا اليسير ،
ثم حصل الفتور في العمل بسبب أن المباشر على
ذلك أرسل لمراد بيك بالحضور ليكون اتمامها
بحضرته ، ويخلق عليه ، ويعطيه ما وعده به من
الانعام ، فلم يحضر مراد بيك ، وغلبهم الماء ،
وتلف ، جانب من العمل . وكان أيوب بيك الصغير
حاضرا ، وفي نفسه أن لا يتم ذلك لأجل بلاده ،
فأصبح مرتحلا ، وتركوا العمل ، وانقض الجمع !

وقد أقام العمل في ذلك من أوائل شعبان الى
أواسط شوال . ثم نزل اليها جماعة آخرون ،
وطلبوا جملة مراكب موسوقة بالأحجار ، وشرعوا
في عمل سد المكان القديم عن قم الترعة ، ودقوا
أيضا خوابير كثيرة ، وألقوا أحجارا عظيمة .
وفرغت الأحجار ، فأرسلوا بطلب غيرها ، فلم
يسعفهم القطاعون ، فشرعوا في هدم الأبنية
القديمة ، والجوامع التي بساحل النيل ، وقلعوا
أحجار الطواحين التي بالبلاد القريبة من العمل .
واستمروا على ذلك حتى قويت الزيادة ، ولم يتم
العمل ، ورجعوا كالأول ، وذهب في ذلك من
الأموال والغرامات والسخرات ، وتلف من المراكب
والأخشاب والحديد ، ما لا يحصى ، ولا يعد !!

شوال

أوائله (حوالى منتصف مايو ١٧٩٣ م) :

ورد الخبر بأن على بيك سافر من عند أحمد
باشا الى اسلامبول ، صحبة قابجي معين . فلما
قرب من اسلامبول ، أرسلوا من وجهه الى برصا
ليقيم بها ، ورتبوا له كفايته .. في كل شهر خمسمائة
قرش رومى .

ومات في هذه السنة الأجل الصالح ، الناسك

المسلك العارف ، الشيخ محمد بن عبد الحافظ
أخندي أبو ذاكر الخلوتي الحنفى .

أخذ الطريق عن السيد مصطفى البكرى
والشيخ الحنفى ، وحضر الفقه على العلامة الشيخ
محمد الدلجى والشيخ أحمد الحماقى ، وأدرك
الأسقاطى والمنصورى . ولم يتزوج قط ، وكف
بصره ، وانقطع فى بيته احدى وعشرين سنة بمفرده ،
وليس عنده قريب ولا غريب ، ولا جارية ولا عبد ،
ولا من يخدمه فى شىء مطلقا .

وبيته متسع — جهة التبانة — وبابه مفتوح
دائما . وعنده الأغنام والدجاج والأوز والبط ،
والجميع مطلقون فى الحوش وهو يباشر علفهم
واطعامهم وسقيهم الماء بنفسه ، ويطبخ طعامه بنفسه
.. وكذلك يغسل ثيابه .

واشتهر فى الناس بأن الجن تخدمه — وليس
يبعده ! — لأنه كان من أهل المعارف والأسرار ،
ويأتى اليه الكثير من الطلبة للاخذ عنه ، والتلقى
منه .

وكان له يد طولى فى كل شىء ، ومشاركة
جيدة فى العلوم والمعارف والأسماء والروحانيات
والأوقاف ، واستحضر تام فى كل ما يسأل عنه .
وعنده عدة كثيرة من السنائر (القطط) ويعرفها
بالواحدة بأسمائها وأنسابها وألوانها ويقول :
« هذه تحفة بنت بستانة ، وهذه كمونة بنت
ياسمين ، وهذه فلانة أخت فلانة !! »

توفى — رحمة الله — فى شهر شوال من هذه
السنة .

ومات أيضا المجذوب المعتقد ، السيد على
البكرى (١) . لقام سنين متحردا ، ويمشى فى
الأسواق عريانا ، ويخلط فى كلامه ، وييده نبوت

(١) سبب لبنتهم هذه .. أنهم كانوا يسكنون بسوقه البكرى
.. وليس لأنهم من البكرية .

طويل يصحبه معه فى غالب أوقاته — وقد تقدم
ذكره وذكر المرأة التى تبعته المعروفة بالشيخة أمونة .
وكان يعلق لحيته ونسب فيه اعتقاد عظيم .

فينصتون الى تخليطاته ، ويوجهون الفساضة
ويؤولونها على حسب أغراضهم ، ومقتضيات
أحوالهم .. ووقائعهم .

وكان له أخ من مساتير الناس ، فحجر عليه ،
ومنعه من الخروج ، وألبسه ثيابا ، ورغب الناس فى
زيارته ، وذكر مكاشفاته وخوارق كراماته !

فأقبل عليه الناس من كل ناحية ، وترددوا لزيارته
من كل جهة ، وآتوا اليه بالهدايا والنذور .. وجروا
على عوائدهم فى التقليد ..

وازدحم عليه الخلئق — وخصوصا النساء —
فراج بذلك أمر أخيه واتسعت ذنياه ، ونصبه شبكة
لصده ، ومنعه من حلق لحيته فنبئت وعظمت ،
وسمن بدنه وعظم جسمه .. من كثرة الأكل
والراحة !

وقد كان قبل ذلك عريانا شقبا ، يبيت غالب
لياليه بالجوع طاويا من غير أكل ، بالأزقة فى الشتاء
والصيف . وقيد به من يخدمه ويراعيه فى منامه
ويقظته ، وقضاء حاجته ، ولا يزال يحدث نفسه ،
ويخلط فى ألفاظه وكلامه ، وتارة يضحك وتارة
يشتم .. ولا بد من مصادفة بعض الألفاظ لما فى نفس
بعض الزائرين وذوى الحاجات .. فيعدون ذلك
كشفا واطلاعا على ما فى نفوسهم وخطوات قلوبهم
ويحتمل أن يكون كذلك ! ! فإنه كان ممن البله
المجاذيب المستغرقين فى شهود حالهم .

ولم يزل هذا حاله .. حتى توفى فى هذه السنة ،
 واجتمع الناس لمشهده من كل ناحية ، ودفنوه
بمسجد الشرايى — بالقرب من جامع الرويعى —
فى قطعة من المسجد ، وعملوا على قبره مقصورة
ومماما للزيارة ، واجتمعوا عند مدفنه فى ليال

وميمادات ، وقراء ومنشدين ، وتزدهم عنده
أصناف الخلائق .. ويختلط النساء بالرجال .

ومات أخوه أيضا بعده بنحو سنتين .



المحرم

١٦ منه (٢٤ أغسطس ١٧٩٣ - ١٨ مسرى
١٥٠٩ ق) :

أوفى النيل أذرعه . وانحلت الأسعار ، وبورك
في رمى الغلال ، حتى أن الفدان الواحد زكا
بقدر خمسة أفدنة !

وبلغ النيل الى الزيادة المتوسطة وثبت الى أول
بابة ، وشمل الماء غالب الأرض بسبب التفات الناس
لسد المجارى ، وحفر الترع ، واصلاح الجسور .

صفر

أوائله (أوائل سبتمبر ١٧٩٣ م) :

وصل قابجى من الديار الرومية بطلب مال
المصالحة والحلوان ، فأنزله في دار ، وهادوه ،
ورتبوا له مصروفا .

ومن الحوادث أن الناس انتظروا جاويز الحج ،
وتشوفوا لحضوره .

ولم يذهب اليهم في هذه السنة ملاقة بالوش
ولا بالألزم .

وأرسل ابراهيم بيك هجانا يستخير عن الحج ،
فذهب .

ليلة ٢٣ منه (٣٠ سبتمبر ١٧٩٣ م) .

رجع الهجان وأخبر أن العرب تجمعوا على الحج
من سائر النواحي ، عند مغاير شعيب ، ونهبوا
الحجاج ، وكسروا المحمل ، وأحرقوه ، وقتلوا
غالب الحجاج والمغاربة معهم ، وأخذوا أجمالهم ،
ودوابهم ، ونهبوا أثقالهم ، وانجرح أمير الحج ،

وأصابه ثلاث رصاصات ، وغاب خبره ثلاثة
أيام ، ثم أحضره العرب ، وهو عريان في أسوأ
حال ، وأخذوا النساء بأحمالهن ، والذي تبقى
منهم أدخلوه الى قلعة العقبة ، وتركهم الهجان بها
من غير ماء ، ولا زاد ، فنزل بالناس من الغم
والحزن تلك الليلة مالا مزيد عليه !

٢٧ منه (٤ أكتوبر ١٧٩٣ م) :

عينوا محمد بيك الألفى وعثمان بيك الأشقر ،
ليسافرا بسبب ذلك ، فخرجا ، وخطف أتباعهم في
ذلك اليوم مصادفوه من الجمال والبغال والحمير
وقرب السقائين التى تنقل الماء من الخليج ،
ولهبوا الخبز من الطواوين والمخابز ، والكعك
والعيش من الباعة !

وفي يوم خروجهم وصل جماعة من الحجاج ،
ودخلوا في أسوأ حال من العرى والجوع والتعب .
فلما وصلوا الى نخل تلاقوا مع باقى الحجاج
على مثل ذلك ، ووجدوا أمير الحج ذهب
الى غزة ، وصحبته جماعة من الحجاج ، وأرسل
يطلب الأمان . ولم يزوروا المدينة في هذه السنة .
وأرسل من صرة المدينة اثنين وثلاثين ألف ريال
مع عرب حرب .

وضاع في هذه الحادثة من الأموال والمعزوم
شئ كثير جدا ، وأخبروا أن موسم هذا العام كان
من أعظم المواسم ، لم يتفق مثله من مدة مديدة .

ربيع الأول

الاثنين أوله (٧ أكتوبر ١٧٩٣ م) :

دخل باقى الحجاج على مثل حالة من وصل منهم
قبل ذلك .

الثلاثاء ٢ منه (٨ أكتوبر ١٧٩٣ م) :

عملوا الديوان بالقلعة ، واجتمع الأمراء
والوجاقلية والمشايخ ، وقرئ المرسوم الذى

حضر بصحبة الأغا ، فكان مضمونه طلب الحلوان والخزينة ، وقدر ذلك تسعة آلاف وأربعمائة كيس ، وعشرة آلاف وخمسة وأربعون نصفاً فضة تسلم ليد الأغا المعين من غير تأخير .

وفيه : عملوا على زوجات أمير الحج ثلاثين ألف ريال ، وأرسلوا الى بيت حسن كاشف المعمار ، فأخذوا ما فيه من الغلال وغيرها ، لأنه قتل في معركة العرب مع الحجاج ، وألبسوا زوجته الخاتم قهراً عنها ، ليزوجوها لملوك من ممالك مراد بيك ، وهى بنت على أغا المعمار ، ووجدت على زوجها وجدا عظيماً ، وأرسلت جماعة لاحتضار رمتة من قبره الذى دفن فيه فى صندوق على هيئة تابوت .

وفيه : شرع الأمراء فى عمل تفريدة على البلاد بسبب الأموال المطلوبة ، وقرروها : عال ، وهو أربعمائة يال .. ووسط ، وهو ثلثمائة .. والدون ، مائة وخمسون ، وكتبوا أوراقها على الملتزمين ليحصلوها منهم .

الخميس ٤ منه (١٠ أكتوبر ١٧٩٣ م) :

سافر حسن ، كتحدا أبوب بيك ، بأمان لعثمان بيك ليحضره من غزة . ووصل المتسفرون بجشة حسن كاشف المعمار .

جمادى الأولى

٢٠ منه (٢٤ ديسمبر ١٧٩٣ م) :

وصل عثمان بيك طبل الاسماعلى أمير الحج الى مصر مكسوف البال ، ودخل الى بيته .

وفيه : حضر الصدر الأعظم يوسف باشا الى الاسكندرية ليتوجه الى الحجاز ، فاعتنى الأمراء بشأنه ، وأرسلوا له ملاقة ، وتقادم ، وهدايا ، وفرشوا له قصر العينى ، ووصل الى مصر ، وطلع من المراكب الى قصر العينى ، وأرسلوا له تقادم

وضيافات ، ثم حضروا للسلام عليه فى زحمة وكبكية ، فخلع على ابراهيم بيك ومراد بيك خلعا ثمينة ، وقدم لهما حصانين بسرجين مرختين ، ثم نزل له الباشا المتولى بعد يومين ، وسلم عليه ، ورجع الى القلعة ، وأقاموا لخفارتة عبد الرحمن بيك الابراهيمى ، جلس بالقصر المواجه لقصر العينى .

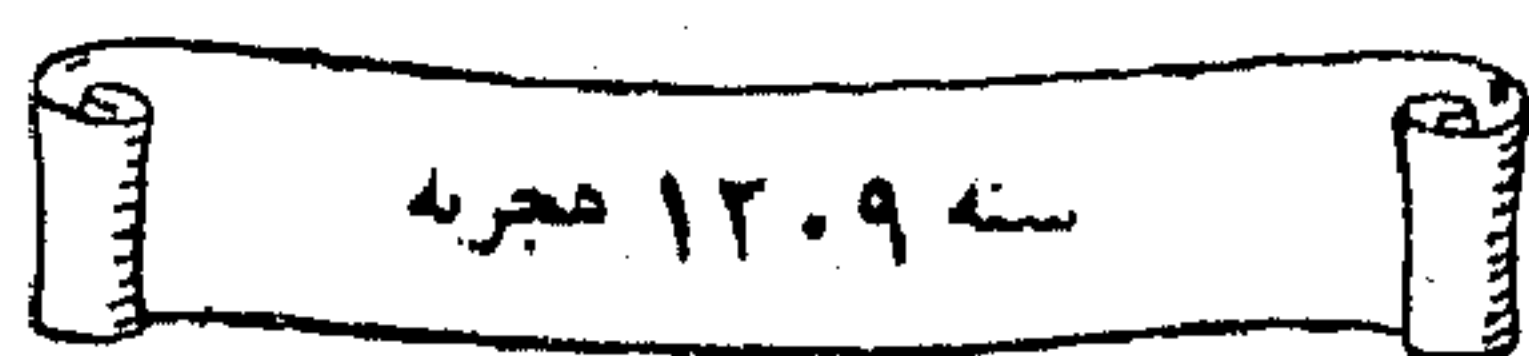
وقد تخيلوا من حضوره ، وظنوا ظنوناً ...

جمادى الآخرة

٣ منه (٦ يناير ١٧٩٤ م) :

طلع يوسف باشا الى القلعة باستدعاء من الباشا المتولى ، فجلس عنده الى بعد الظهر ، ونزل فى موكب حافل الى محله بقصر العينى وأرسل له ابراهيم بيك ومراد بك مع كتخدائهم هدية ، وهى خمسمائة أردب قمح ، ومائة أردب أرز ، وتعبات أقمشة هندية وغير ذلك .

وأقام بالقصر أياماً ، وقضوا أشغاله ، وهياًوا له اللوازم والمراكب بالسويس . وركب فى أواسط جمادى الآخرة وذهب الى السويس ليسافر الى جدة من القلزم



لم يقع بها شئ من الحوادث الخارجية سوى جور الأمراء وتتابع مظالمهم واتخذ مراد بيك الجيزة سكناً ، وزاد فى عمارته ، واستولى على غالب بلاد الجيزة : بعضها بالثمن القليل ، وبعضها غصباً ، وبعضها معاوضة . واتخذ صالح أغا أيضاً له داراً بجانبه ، وعمرها وسكنها بحريمه ليكون قريباً من مراد بيك .

المحرم

٢٧ منه (٢٤ أغسطس ١٧٩٤ م - ٢٠ صفر ١٢١٠ ق) .

أوش النيل أذرعته ، وكسر السد بحضرة الباشا والأمراء ، وجرى الماء في الخليج .

سفر

(سبتمبر ١٧٩٤ م)

ورد الخبر بوصول صالح باشا وإلى مصر ، إلى اسكندرية ، وأخذ محمد باشا في أهبة السفر ، ونزل وسافر إلى جهة اسكندرية .

ربيع الأول

٢٠ منه (١٥ أكتوبر ١٧٩٤ م) :

وصل صالح باشا إلى مصر وطلع إلى القلعة .
(أواخره أكتوبر وأوائل نوفمبر ١٧٩٤ م) :

ورد الخبر بوصول تقليد الصدارة إلى محمد باشا عزت - المنفصل عن مصر - وورد عليه التقليد وهو باسكندرية . وكان صالح أغا الوكيل ذهب ضحيته ليشيعه إلى اسكندرية ، فأنعم عليه بفرمان مرتب على الضربخانة باسم حريمه ألف نصف فضة في كل يوم .

ربيع الآخر

١٥ منه (٩ نوفمبر ١٧٩٤ م - ٢ هاتور ١٢١١ ق) :

أمطرت السماء مطرا غزيرا قبل الفجر . وكان ذلك بعيد بابة القبطى .

ذو الحجة

(يونية - يولية ١٧٩٥ م)

وقع به من الحوادث أن الشيخ الشرقاوى له حصّة في قرية بشرقية بلبس ، حضر إليه أهلها ، وشكوا من محمد بك الألفى ، وذكروا أن أتباعه حضروا إليهم وظلموهم ، وطلبوا منهم ما لا قدرة

لهم عليه ، واستغاثوا بالشيخ . فاغتاط ، وحضر إلى الأزهر ، وجمع المشايخ ، وقفلوا أبواب الجامع ، وذلك بعدما خاطب مراد بك ، وإبراهيم بك ، فلم يبدوا شيئا .. ففعل ذلك في ثانى يوم ، وقفلوا الجامع ، وأمرؤا الناس بغلق الأسواق والحوانيت .

ثم ركبوا في ثانى يوم ، واجتمع عليهم خلق كثير من العامة ، وتسعواهم ، وذهبوا إلى بيت الشيخ السادات ، وازدحم الناس على بيت الشيخ من جهة الباب والبركة ، بحيث يراهم إبراهيم بك . وقد بلغه اجتماعهم ، فبعث من قبله أيوب بك الدفتردار فحضر إليهم ، وسلم عليهم ، ووقف بين يديهم ، وسألهم عن مرادهم . فقالوا له :

« نريد العدل ، ورفع الظلم والجور ، وإقامة الشرع ، وإبطال الحوادث والمكوسسات التي ابتدغتموها وأحدثتموها » .

فقال : « لا يمكن الإجابة إلى هذا كله ، فأننا إن فعلنا ذلك ضاقت علينا المعاش والنفقات » . فقليل له : « هذا ليس بعذر عند الله ولا عند الناس ، وما الباعث على الاكثار من النفقات وشراء الممالك ، والأمير يكون أميرا بالاعطاء ، لا بالأخذ » . فقال : « حتى أبلغ » .

وانصرف ، ولم يمد لهم بجواب ، وانفض المجلس ، وركب المشايخ إلى الجامع الأزهر . واجتمع أهل الأطراف من العامة والرعية ، وباتوا بالمسجد ، وأرسل إبراهيم بك إلى المشايخ يمضدhem ، ويقول لهم : « أنا معكم ، وهذه الأمور على غير خاطري ، ومرادى » . وأرسل إلى مراد بك يخيفه عاقبة ذلك . فبعث مراد بك يقول :

« أجيئكم إلى جميع ما ذكرتموه الا شئين : ديوان بولاق ، وطلبكم المنكر من الجامكية . وتبطل ما عدا ذلك من الحوادث والظلم ، وندفع لكم جامكية سنة تاريخه أثلاثا » .

ثم طلب أربعة من المشايخ عندهم بأسمائهم ، فذهبوا اليه بالجيزة ، فلاحظهم ، والتبس منهم السعي في الصلح على ماذكر . ورجعوا من عنده ، وباتوا على ذلك تلك الليلة .

وفي اليوم الثالث حضر الباشا الى منزل ابراهيم بيك ، واجتمع الأمراء هناك . وأرسلوا الى المشايخ ، فحضر الشيخ السادات ، والسيد النقيب ، والشيخ الشرقاوى ، والشيخ البكرى ، والشيخ الأمير . وكان المرسل اليهم رضوان ، كتخدا ابراهيم بيك ، فذهبوا معه ، ومنعوا العامة من السعي خلفهم . ودار الكلام بينهم ، وطال الحديث ، وانحط الأمر على أنهم تابوا ورجعوا ، والتزموا بما شرطه العلماء عليهم ، وانعقد الصلح على أن يدفعوا سيمائة وخمسين كيسا موزعة ، وعلى أن يرسلوا غلال الحرمين ، ويصرفوا غلال الشون ، وأموال الرزق ، ويطلبوا رفع المظالم المحدثه ، والكشوفيات والتفاريذ والمكوس ، ما عدا ديوان بولاق ، وأن يكفوا أتباعهم عن امتداد أيديهم الى أموال الناس . ويرسلوا صرة الحرمين . والعوائد المقررة من قديم الزمان ، ويسيروا في الناس سيرة حسنة .

وكان القاضي حاضرا بالمجلس ، فكتب حجة عليهم بذلك ، وفرمن عليها الباشا ، وختم عليها ابراهيم بيك ، وأرسلها الى مراد بيك فختم عليها أيضا ، وانجلت الفتنة ورجع المشايخ ، وحول كل واحد منهم وأمامه وخلفه جملة عظيمة من العامة . وهم بنادون : « حسب مارسم ساداتنا العلماء : بأن جميع المظالم والحوادث والمكوس بطالة من مملكة الديار المصرية » .

وفرح الناس ، وظنوا صحته ، وفتحت الأسواق ، وسكن الحال على ذلك نحو شهر ، ثم عاد كل ما كان مما ذكر ... وزيادة .

ونزل عقيب ذلك مراد بيك الى دمياط ، وصرب عليها الضرائب العظيمة وغير ذلك .

ومات في هذه السنة ، الذي المعلم ابراهيم الجوهري ، رئيس الكتبة الأقباط بمصر . وأدرك من العظمة ونفاذ الكلمة وعظم الصيت والشهرة — مع طول المدة بمصر — ما لم يسبق مثله من أبناء جنسه فيما نعلم .

وأول ظهوره من أيام المعلم رزق — كاتب على بيك الكبير — ولما مات على بيك والمعلم رزق ، ظهر أمره ونما ذكره ، في أيام محمد بيك فلما انقضت أيام محمد بيك وترأس ابراهيم بيك ، قلده جميع الأمور ، فكان هو المشار اليه في الكلمات والجزئيات .. حتى دفاتر الزوzana والميرى وجميع الاراد والمنصرف ، وجميع الكتبة والسيارف من تحت يده وإشارته .

وكان من دهاقين العالم ودهاتهم ، لا يعزب عن ذهنه شيء من دقائق الأمور ، ويدارى كل انسان بما يليق به من المداراة ، ويحايى ويهادى ويواسى ويفعل ما يوجب انجذاب القلوب والمحبة ، ويهادى ويبيح الهدايا العظيمة والشموع الى بيوت الأمراء . وعند دخول رمضان يرسل الى غالب أرباب المظاهر ، ومن دونهم ، الشموع والهدايا والأرز والسكر والكساوى .

وعمرت في أيامه الكنائس ودبور النصرى ، وأوقف عليها الأوقاف الجليلة والأطيان ، ورتب لها المرتبات العظيمة والأرزاق الدارة والغلال .

وحزن ابراهيم بيك لموته ، وخرج في ذلك اليوم الى قصر العينى حتى يشاهد جنازته ، وهم ذاهبون به الى المقبرة ، وتأسف على فقدته تأسفا رائدا . وكان ذلك في شهر ذى القعدة من السنة .

سنة ١٢١٠ هجرية

(١٧٩٥ - ١٧٩٦ م)

لم يقع بها شيء من الحوادث التي يعتنى

بتقييدها ، سوى مثل ما تقدم من جور الأمراء
والمظالم ..

* * *

ومات في هذه السنة ، العمدة العلامة ، والرحلة
الفهامة ، الفقيه الفاضل ، ومن ليس له في الفضل
مناضل ، الشيخ حسن بن سالم الهوارى المالكى ،
أحد طلبة شيخنا الشيخ الصغيدى . وبعد وفاة
شيخه ولى مشيخة رواق الصعايدة .

وكان فيه صلابة زائدة ، وقوة جنان وشدة
تجارى . واشترى خرابة بسوق القشاشين —
بالقرب من الأزهر — وعمرها دارا لسكنه ، وتعدي
حدوده وحاف على أماكن جيرانه ، وهدم مكتب
المدرسة السنانية ، وكان مكتبا عظيما ذا واجهتين
وعמודين وأربع بوائك وزاوية ، جداره من الحجر
النحيت ، عجيبة الصنعة في البروز والاتقان .
فهدمه وأدخله في بناءه من غير تحاش أو خشية
لوم مخلوق ، أو خوف خالق .

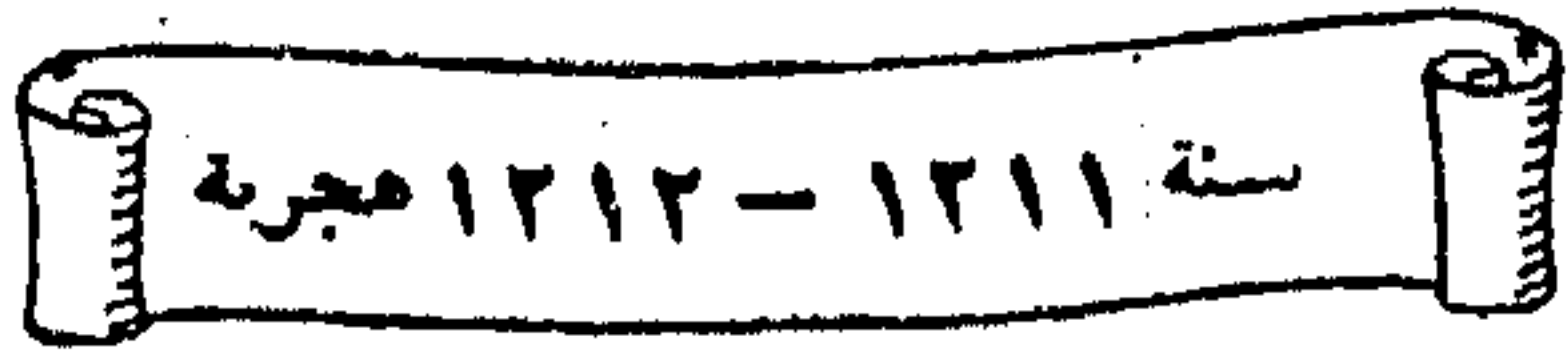
وأوقف أعوانه من الصعايدة المنتسبين للمجاورة
وطلب العلم ، يسخرون من يمر بهم من حمير
الترايين ، وجمال الأعيان المارين عليهم ،
فيستعملونها في قتل تراب الشيخ .. لأجل التبرك :
أما قهرا أو محاباة .

وكذلك المؤن ، حتى تمها على هذه الصورة ،
وسكن فيها ، وأحرق به الجلاوزة من الطلبة
يفدون ويروحون في الخصومات والدعاوى ،
ويأخذون الجعالات والرشوات ، من المحق والمبطل ،
ومن خالف عليهم ضربوه وأهانوه .. ولو عظيما ،
من غير مبالاة ولا حياء !

ومن عزلهم أو لامهم كفروه ، ونسبوه الى الظلم
والتعدي والاستهزاء بأهل العلم والشرية . وزاد
الحال ، وصار كل من رؤساء الجماعة شيخا على
انفراده ، يجلس في ناحية ببعض الحوانيت ، يقضى
ويأمر وينهى .

وفحش الأمر الى أن نادى عليهم حاكم الشرطة ..
فانكفوا .

ومرض شيخهم بالتشنج شهورا وتوفى ،
رحمه الله .



(١٧٩٦ - ١٧٩٨ م)

لم يقع فيها من الحوادث التى تشوف لها
النفوس ، أو تشتاق اليها الحواطر ، فتقيد في بطون
الطروس .. سوى ما تقدمت اليه الاشارة ، من
أسباب نزول النوازل ، وموجبات ترادف البلاء
التراسل ، ووقوع الانذارات الفلكية ، والآيات
المخوفة السماوية .. وكلها أسباب عادية وعلامات ،
من غير أن ينسب لتلك الآثار تأثيرات .

فبالنظر في ملكوت السموات والأرض يستدلون ،
وبالنجم هم يهتدون ... فمن أعظم ذلك ، حصول
الخسوف الكلى في منتصف شهر الحجة (٣١ مايو
١٧٩٨ م) ختام سنة اثنى عشرة بطالع مشرق
الجوزاء ... المنسوب اليه اقليم مصر .

وحضر طائفة الفرنسيين اثر ذلك في أوائل السنة
التالية .. كما سيأتى خبر ذلك مفصلا ان شاء الله
تعالى .

وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون

« صدق الله العظيم »

وهي أولى سنى الملاحم العظيمة ، والحوادث الجسيمة ، والوقائع النازلة ، والنوازل الهائلة ، وتضاعف الشرور ، وترادف الأمور ، وتوالى المحن ، واختلال الزمن ، وانعكاس المطبوع ، وانقلاب الموضوع ، وتتابع الأهوال ، واختلاف الأحوال ، وفساد التدبير ، وحصول التدمير ، وعموم الخراب ، وتواتر الأسباب . وما كان ربك مهلك القرى بظلم واهلها مصلحون .

المحترم

٨ منه (٢٢ يونية ١٧٩٨ م) :

حضر الى الثغر عشرة مراكب من اهل الانكليز ، ووقفت على البعد بحيث يراها اهل الثغر . وبعد قليل حضر خمسة عشر مركبا ايضا ، فانتظر اهل الثغر ما يريدون ، واذا بقاياك صغير واصل من عندهم وفيه عشرة أنفار ، فوصلوا البر واجتمعوا بكبار البلد — والرئيس اذ ذاك فيها والمشار اليه بالايام والنقض السيد محمد كريم (١) — فكلوهم واستخبروهم عن غرضهم ، فأخبروا أنهم انكليز حضروا للتفتيش على الفرنسيين لأنهم خرجوا بعمارة عظيمة يريدون جهة من الجهات ، ولا ندرى أين قصدهم . فربما دهموكم فلا تقدرؤن على دفعهم ولا تتمكنون من منعهم . فلم يقبل السيد محمد كريم منهم هذا القول ، وظن أنها مكيدة وجاوبوهم بكلام خشن . فقالت رسل الانكليز « نحن نقف بمراكبنا في البحر محافظين على الثغر لانحتاج منكم الا الامداد بالماء والزاد بشمنا » . فلم يجيبوهم لذلك وقالوا : « هذه بلاد السلطان ، وليس للفرنسيين ولا لغيرهم عليها سبيل .. فاذهبوا عنا » . فعندها

(١) الغالب على الظن انه مغربي الاصل استوطنت أسرته الاسكندرية . وكان في اول أمره ثبانيا يزن البضائع اشهر ذكره حتى احبه الناس . قلده مراد بيك أمر الديوان والجمارك والثغر .

عادت رسل الانكليز ، وأقلموا في البحر ليمتاروا من غير الاسكندرية ... وليقضي الله أمرا كان مفعولا .

ثم ان اهل الثغر أرسلوا الى كاشف البحيرة ليجمع العربان ويأتى معهم للمحافظة بالثغر .

١٠ منه (٢٤ يونية ١٧٩٨ م) :

وردت مكاتبات على يد الساعة من ثغر الاسكندرية (تفيد ما تقدم) .

فلما قرئت هذه المكاتبات بمصر حصل بها اللفظ الكثير من الناس ، وتحدثوا بذلك فيما بينهم ، وكثرت المقالات والأراجيف .

في ١٢ منه (٢٧ يونية ١٧٩٨ م) :

وردت مكاتبات مضمونها أن المراكب التي وردت الثغر عادت راجعة ، فاطمان الناس ، وسكن القليل والقال . وأما الأمراء فلم يهتموا بشيء من ذلك ، ولم يكثرثوا به اعتمادا على قوتهم وزعمهم أنه اذا جاءت جميع الافرنج لا يقفون في مقابلتهم ، وأنهم يدوسونهم بخيولهم !

٢٠ منه (٤ يولية ١٧٩٨ م) :

وردت مكاتبات من الثغر ومن رشيد ودمنهور بأن في يوم ثامن عشره (٢ يولية ١٧٩٨ م)

وردت مراكب وعمارات للفرنسيين كثيرة ، فأرسوا في البحر ، وأرسلوا جماعة يطلبون القنصل (١) وبعض أهل البلد . فلما نزلوا اليهم عوقوهم عندهم . فلما دخل الليل تحولت منهم مراكب الى جهة العجمي (٢) ، وطلعوا الى البر ، ومعهم آلات الحرب والمساكر ، فلم يشعر أهل الثغر وقت الصباح الا وهم كالجراد المنتشر حول البلد ، فعندها خرج أهل الثغر وما انضم اليهم من العربان المجتمعين وكاشف البحيرة ، فلم يستطيعوا مدافعتهم ، ولا أمكنهم ممانعتهم ولم يثبتوا لحربهم ، وانهزم الكاشف ومن معه من العربان ، ورجع أهل الثغر الى الترس في البيوت والحيطان ، ودخلت الافرنج البلد ، وانبث فيها الكثير من ذلك العدد (٣) .

كل ذلك وأهل البلد لهم بالرمل يدافعون ، وعن أنفسهم وأهلهم يقاتلون ويمانعون ... فلما أعياهم الحال ، وعلموا أنهم مأخوذون بكل حال ، وليس ثم عندهم للقتال استعداد ، لخلو الأبراج من آلات الحرب والبارود وكثرة العدو وغلبته ... طلب أهل الثغر الأمان ، فأمنوهم ، ورفعوا عنهم القتال ومن حصونهم أنزلوهم ، ونادى الفرنسيين بالأمان في البلد ، ورفع بنديراته عليها ، وطلب أعيان الثغر فحضروا بين يديه ، فألزمهم بجمع السلاح واحضاره اليه ، وأن يضعوا الجوكار في صدورهم فوق ملبوسهم .

(١) كان القنصل في هذا الوقت ابن اخي «ماجاليون» القنصل السابق لفرنسا في مصر .

(حافظ موضح - فتح مصر الحديث ص ٨٠)

(٢) قرية لصيد السمك صغيرة تبعد حوالي الأربعة أميال غربى الاسكندرية . وكانت خطة بوناپرت توزيع قواته لانزالها الى البر في جملة مواقع الاستيلاء في وقت واحد على الاسكندرية ودمياط ثم التوغل من هذين المركزين في الدلتا والوصول الى القاهرة بسرعة (دكتور محمد فؤاد شكرى - الحملة الفرنسية وظهور محمد على من ١٢٤٠) .

(٣) لم يغسر الفرنسيون في فتح الاسكندرية اكثر من نحو أربعين قتيلًا ، مع لمانين الى مائة من الجرحى .

(حافظ موضح - فتح مصر الحديث ص ١٠٤)

والجوكار ثلاث قطع من جوخ أو حرير أو غير ذلك ، مستديرة في قدر الريال سوداء وحمراء وبيضاء ، توضع بعضها فوق بعض بحيث تكون كل دائرة أقل من التي تحتها حتى تظهر الألوان الثلاثة كالدوائر المحيط بعضها ببعض .

ولما وردت هذه الأخبار مصر ، حصل للناس انزعاج ، وعول أكثرهم على الفرار والهجاء .

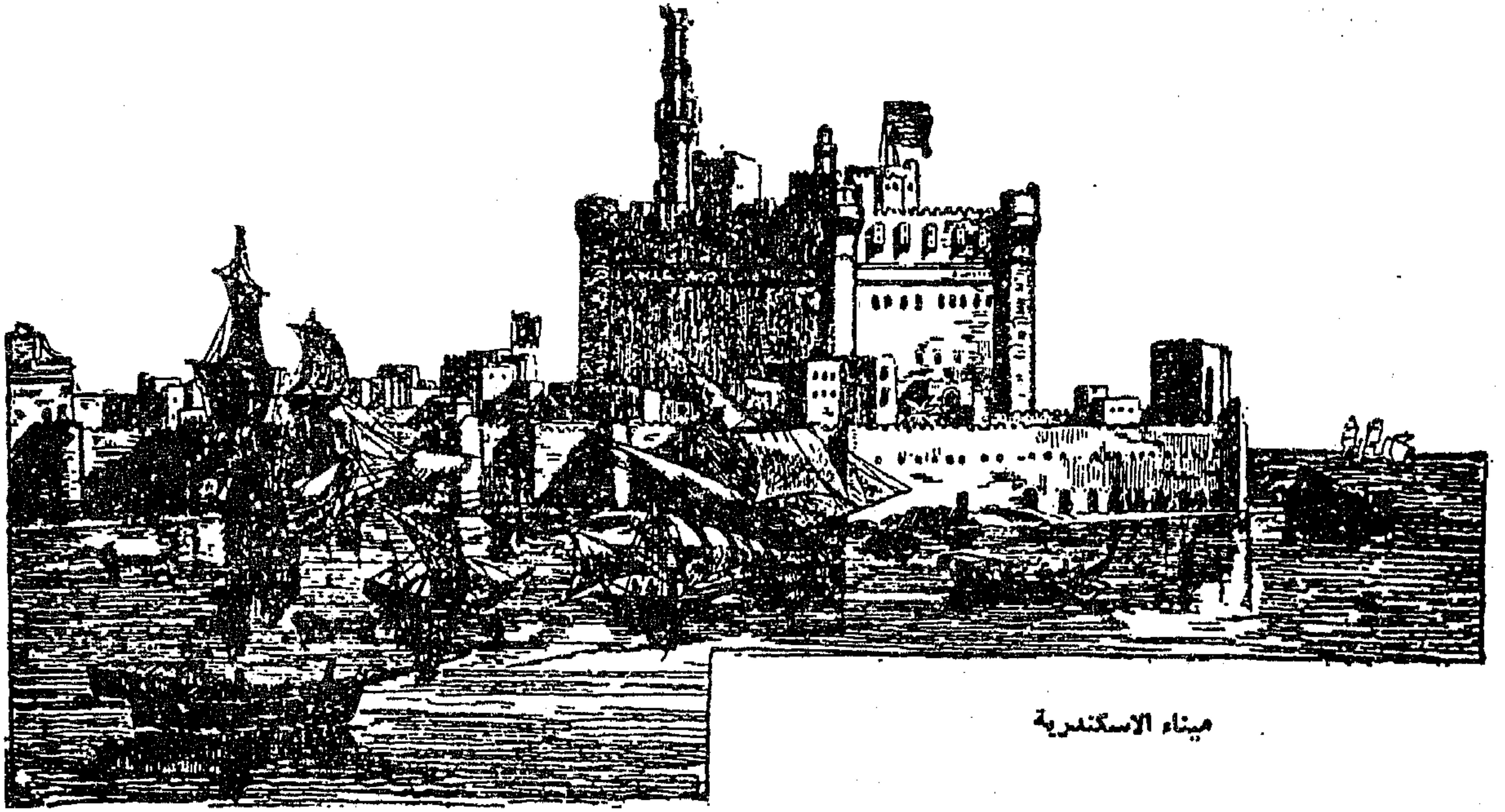
وأما ما كان من حال الأمراء بمصر ، فإن ابراهيم بيك ركب الى قصر العيني وحضر عنده مراد بيك من الجيزة لأنه كان مقيما بها ، واجتمع باقي الأمراء والعلماء والقاضى ، وتكلموا في شأن هذا الأمر الحادث ، فاتفق رأيهم على أن يرسلوا مكاتبة بخير هذا الحادث الى اسلامبول ، وأن مراد بيك يجهز العساكر ويخرج لملاقاتهم وحربهم . وانفض المجلس على ذلك ، وكتبوا المكاتبة ، وأرسلها بكر باشا مع رسوله على طريق البر (١) ، ليأتيه بالترياق من العراق (٢) وأخذوا في الاستعداد للثغر وقضاء اللوازم والمهمات في مدة خمسة أيام ، فصاروا يصادرون الناس ويأخذون أغلب ما يحتاجون اليه بدون ثمن .

ثم ارتحل مراد بيك بعد صلاة الجمعة . وبرز خيامه ووطاقه الى الجسر الأسود ، فمكث به يومين حتى تكامل العسكر وصنابقه وعلى باشا الطرابلسي وناصف باشا - فانهم كانوا من أخصائه ومقيمين معه بالجيزة - وأخذ معه عدة كثيرة من المدافع والبارود ، وسار من البر مع العساكر الخيالة . وأما الرجال - وهم اللدائش القليجية والأروام والمغاربة - فانهم ساروا في البحر مع الغلايين الصغار التي أنشأها الأمير المذكور .

ولما ارتحل من الجسر الأسود أرسل الى

(١) بطريق البر .

(٢) هو مثل شعبي قديم ، نصه : « على مايجى الترياق من العراق ، يكون المليل مات »



ميناء الاسكندرية

الوحشة من القلوب وحصول الاستثناس .
والثاني — الخوف من الدخيل في البلد .

وفي يوم الاثنين وردت الأخبار بأن الفرنسيين
وصلوا الى دمنهور ورشيد ، وخرج معظم أهل
تلك البلاد على وجوههم ، فذهبوا الى فوة
ونواحيها ، والبعض طلب الأمان وأقام ببلده وهم
العقلاء .

وقد كانت الفرنسيين — حين حلولهم
بالاسكندرية — كتبوا مرسوما وطبوه وأرسلوا
منه نسخا الى البلاد التي يقدمون عليها .. تطمينا
لهم . ووصل هذا المکتوب مع جملة من الأسارى
الذين وجدوهم بمالطة ، وحضروا صحتهم ،
وحضر منهم جملة الى بولاق — وذلك قبل وصول
الفرنسيين بيوم أو يومين — ومعهم منه عدة نسخ
ومنهم مغاربة وفيهم جواسيس ، وهم على شكلهم
من كفار مالطة ، ويعرفون باللغات .

وصورة ذلك المکتوب :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لا اله الا الله لا ولد
له ولا شريك له في ملكه .

« من طرف الفرنساوية المبني على أساس

مصر يأمر بعمل سلسلة من الحديد في غاية الثخن
والمتانة ، طولها مائة ذراع وثلاثون ذراعا ، لتنصب
على البغاز عند برج مغيزل من البر الى البر لمنع
مراكب الفرنسيين من العبور لبحر النيل — وذلك
باشارة على باشا — وأن يعمل عندها جسر من
المراكب وينصب عليها متاريس ومدافع ، ظنا منهم
أن الأفرنج لا يقدرّون على محاربتهم في البر ، وانهم
يعبرون في المراكب ويقاثلونهم وهم في المراكب ،
وانهم يصابرونهم ويطاولونهم في القتال حتى
تأتيهم النجدة .

وكان الأمر بخلاف ذلك ... فان الفرنسيين عندما
ملكوا الاسكندرية ، ساروا على طريق البر الغربي
من غير ممانع . وفي أثناء خروج مراد بيك والحركة
... بدت الوحشة في الأسواق ، وكثر الهرج بين
الناس والارجاف ، وانقطعت الطرق ، وأخذت
الحرامية في كل ليلة تطرق أطراف البلد ، وانقطع
مشي الناس من المرور في الطرق والأسواق من
المغرب ، فنادى الأغا والوالى بفتح الأسواق
والقهاوى ليلا ، وتعليق القناديل على البيوت
والدكاكين ، وذلك لأمرين : الأول — ذهاب

العريّة والتسوية السريعة الكبير أمير الجيوش
الفرنساوية بولابرتة يعترف أهالي مصر جميعهم
أن من زمان مديد الصناجق الذين يتسلطون في
بلاد المصرية يتعاملون بالذل والاحتقار في حق
الملة الفرنسية ، ويظلمون تجارها بأنواع الأيذاء
والتعدي . فعنصر الآن ساعة عقوبتهم ، وآخرنا من
مدة عصور طويلة هذه الزمرة المماليك المجلوبين
من بلاد الأبازة والجراكسة يفسدون في الأقليم
الحسن الأحسن الذي لا يوجد في كرة الأرض
كلها .

« فاما رب العالمين القادر على كل شيء ، فانه
قد حكم على انقضاء دولتهم .

« يا أيها المصريون ...

« قد قيل لكم اننى ما نزلت بهذا الطرف الا
بقصد ازالة دينكم ، فذلك كذب صريح ... فلا
تصدقوه ، وقولوا للمفترين اننى ما قدمت اليكم الا
لأخلص حقكم من يد الظالمين ، واننى — أكثر
من المماليك — أعبد الله سبحانه وتعالى ، وأحترم
نبيه والقرآن العظيم .

« وقولوا أيضا لهم ان جميع الناس متساوون
عند الله ، وأن الشيء الذي يفرقهم عن بعضهم هو
العقل والفضائل والعلوم فقط ، وبين المماليك
والعقل والفضائل تضارب ... فماذا يميزهم عن
غيرهم حتى يستوجبوا أن يملكوا مصر وحدهم ،
ويختصوا بكل شيء أحسن فيها : من الجوارى
الحسان ، والخيول العتاق ، والمساكن المفرحة .

« فان كانت الأرض المصرية التزاما للمماليك ،
فليرونا الحجة التي كتبها الله لهم ! ولكن رب العالمين
رءوف وعادل وحليم .

« ولكن بعونه تعالى ، من الآن فصاعدا ،
لا يئأس أحد من أهالي مصر عن الدخول في المناصب
السامية ، وعن اكتساب المراتب العالية — فالعلماء

والفضلاء والعقلاء بينهم سيديرون الأمور
وبذلك يصلح حال الأمة كلها .

« وسابقا كان في الأراضي المصرية المدن العظيمة
والخلجان الواسعة ، والمتجر المتكاثر ... وما
ذلك كله الا الظلم والطمع من المماليك .

« أيها المشايخ والقضاة ، والأئمة والجريج
وأعيان البلد ...

« قولوا لأمّكم ان الفرنسية
أيضا مسلمون مخلصون ، واثبات
أنهم قد نزلوا في رومية الكبرى ، وخربوا فيه
كرسى البابا الذي كان دائما يحث النصارى
محاربة الاسلام ، ثم قصدوا جزيرة مالطة وطر
منها الكواليرية (١) الذين كانوا يزعمون أن
تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين .

« ومع ذلك الفرنسية في كل وقت من الأوامر
صاروا محيين مخلصين لحضرة السلطان العثمان
وأعداء أعدائه . أدام الله ملكه .. ومع ذلك
المماليك امتنعوا من اطاعة السلطان ، غير ممت
لأمره ، فبا أطاعوا أصلا الا لطمع أنفسهم .

« طوبى ثم طوبى لأهالي مصر الذين يتتبع
معنا بلا تأخير ! فيصلح حالهم ، وتعالى مراتبهم
« طوبى أيضا للذين يتعدون في مساكنهم
مائلين لأحد من الفريقين المتحاربين ، فاذا عر
بالأكثر تسارعوا اليها بكل قلب !

« لكن الويل ثم الويل للذين يعتمدون
المماليك في محاربتنا فلا يجدون بعد ذلك طريقة
الخلاص ولا يبقى منهم أثر !

« المادة الأولى : جميع القرى الواقعة في
قرية بثلاث ساعات عن المواضع التي يمر

(١) او « الكفاليرية » ، مأخوذة من الكلمة الافرنجية التي
« فارس » . وهم طائفة — من مخلفات الحروب الصليبية
استقرت في مالطة ...

عسكر فرنساوية ، فواجب عليها أن ترسل للسـر
عسكر من عندها وكلاء كيما يعرف المشار اليه
أنهم أطاعوا وأنهم نصبوا علم فرنساوية الذي هو
أبيض وكحلى وأحمر .

« المادة الثانية : كل قرية تقوم على العسكر
الفرنساوى تحرق بالنار .

« المادة الثالثة : كل قرية تطيع العسكر
الفرنساوى أيضا تنصب صنجاك السلطان
العثمانى .. محبنا دام بقاءه .

« المادة الرابعة : المشايخ فى كل بلد يختصون
حالا جميع الأرزاق والبيوت والأموال التى تتبع
الممالك ، وعليهم الاجتهاد التام لتلا يضيع أدنى
شئ منها .

« المادة الخامسة : الواجب على المشايخ
والعلماء والقضاة والأئمة أنهم يلزمون وظائفهم .
وعلى كل أحد من أهالى البلدان أن يبقى فى مسكنه
مطمئنا ، وكذلك تكون الصلاة قائمة فى الجوامع
على العادة .

« والمصريون بأجمعهم ينبغى أن يشكروا الله
سبحانه وتعالى لانقضاء دولة الممالك قائلين
بصوت عالى : أدام الله اجلال السلطان العثمانى !
أدام الله اجلال العسكر فرنساوى ! لعن الله
الممالك ! وأصلح حال الأمة المصرية .

« تحريرا بعسكر اسكندرية فى ١٣ شهر
سيدور من اقامة الجمهور فرنساوى » .
بمعنى فى آخر شهر المحرم سنة ١٢١٣ هجرية .

٢٢ منه (٦ يولية ١٧٩٨ م) :

وردت الأخبار بأن الفرنسيس وصلوا الى
نواحي فوة ثم الى الرحمانية .

ص

الاحد غرته (١٥ يولية ١٧٩٨ م) :

وردت الأخبار بأن فى يوم الجمعة ٢٩ من المحرم

(١٣ يولية ١٧٩٨ م) ، التقى العسكر المصرى
مع الفرنسيس ، فلم تكن الا ساعة وانهزم
مراد بيك ومن معه . ولم يقع قتال صحيح ،
وانما هى مناوشة من طلائع العسكرين
بحيث لم يقتل الا القليل من الفريقين ،
واحترقت مراكب مراد بيك بما فيها من الجبجبة
والآلات الحربية ، واحترق بها رئيس الطبجية
خليل الكردلى ... وكان قد قاتل فى البحر قتالا
عجيبا . فقدر الله أن علقت نار بالقلم وسقط منها نار
الى البارود فاشتعلت جميعها بالنار . واحترق
المركب بما فيه من المحاربين وكبيرهم وتطايروا فى
الهواء . فلما عاين ذلك مراد بيك داخله الرعب ،
وولى منهزما ، وترك الأثقال والمدافع ، وتبعته
عساكره . ونزلت المشاة فى المراكب ورجعوا طالين
مصر .

ووصلت الأخبار بذلك الى مصر ، فاشتد
انزعاج الناس ، وركب ابراهيم بيك الى ساحل
بولاق ، وحضر الباشا والعلماء ورؤوس الناس ،
وأعملوا رأيهم فى هذا الحادث العظيم . فاتفق رأيهم
على عمل متاريس من بولاق الى شبرا ، ويتولى
الاقامة ببولاق ابراهيم بيك وكشافه ومماليكه
وقد كانت العلماء عند توجه مراد بيك تجتمع
بالأزهر كل يوم ، ويقراون البخارى وغيره من
الدعوات ، وكذلك مشايخ فقراء الأحمدية
والرفاعية والبراهمة والقادرية والسعدية ، وغيرهم
من الطوائف وأرباب الأشاير ، ويعملون لهم
مجالس بالأزهر .. وكذلك أطفال المكاتب ويذكرون
الاسم اللطيف وغيره من الأسماء .

الاثنين ٢ منه (١٦ يولية ١٧٩٨ م) :

حضر مراد بيك الى بر انبابة ، وشرع فى عمل

متاريس هناك ممتدة الى بشتيل (١) . وتولى ذلك هو وصناجقه وأمرأؤه وجماعة من خشدائينه ، واحتفل في ترتيب ذلك وتنظيمه بنفسه هو وعلى باشا الطرابلسي ونصوح باشا . وأحضروا المراكب الكبار والغلايين التي أنشأها بالجيزة ، وأوقفها على ساحل انبابة ، وشحنها بالعساكر والمدافع فصار البر الغربى والشرقى ملوئين بالمدافع والعساكر والمتاريس والخيالة والمشاة .

ومع ذلك فقلوب الأمراء لم تطمئن بذلك ، فانهم من حين وصول الخبر لهم من الاسكندرية ، شرعوا في نقل أمتعتهم من البيوت الكبار المشهورة المعروفة الى البيوت الصغار التي لا يعرفها أحد ، واستمروا طول الليالى ينقلون الأمتعة ويوزعونها عند معارفهم وثقاتهم ، وأرسلوا البعض منها لبلاد الأرياف ، وأخذوا أيضا في تشهيل الأحمال واستحضار دواب للشيل وأدوات الارتحال . فلما رأى أهل البلدة منهم ذلك ، داخلهم الخوف الكثير والفرع ، واستعد الأغنياء وأولو المقدرة للهروب . ولولا أن الأمراء منعوهم من ذلك وزجروهم ، وهددوا من أراد النقلة ، لما بقى بمصر منهم أحد .

وفي يوم الثلاثاء ٣ منه (١٧ يولية ١٧٩٨ م) :

نادوا بالنكير العام وخروج الناس للمتاريس ، وكرروا المناداة بذلك كل يوم . فأغلق الناس الدكاكين والأسواق ، وخرج الجميع لبر بولاق . فكانت كل طائفة من طوائف أهل الصناعات ، يجمعون الدراهم من بعضهم ، وينصبون لهم خياما أو يجلسون في مكان خرب أو مسجد ، ويرتبون لهم فيما يصرف عليهم ما يحتاجون له من الدراهم

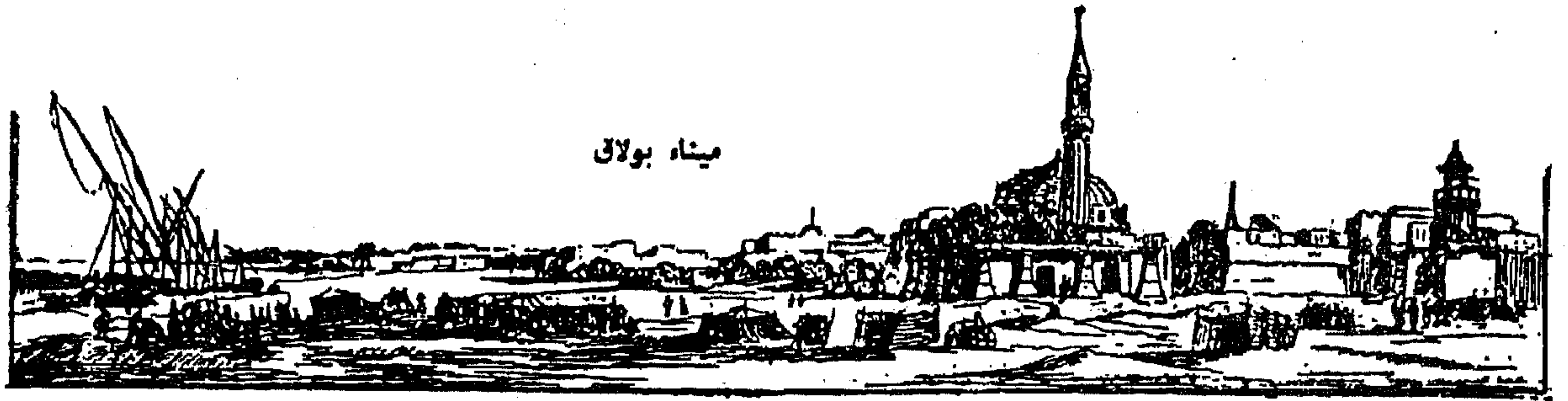
(١) كانت قوات مراد بيك تمتد منتشرة من بشتيل وانبابة الى الاهرامات وكان جيشه يتألف من نحو الخمسين ألفا من المماليك ومن انضم اليهم من الانتكشارية وغيرهم وهذا عدا العريان الذين تالفت منهم الى حد كبير ميسرة الجيش الممتدة الى الاهرامات . (دكتور محمد مؤاد شكري - الحملة الفرنسية و ظهور محمد على ص ١٣٨)

التي جمعوها من بعضهم . وبعض الناس يتطوع بالانفاق على البعض الآخر ، ومنهم من يجهز جماع من المغاربة أو الثوام بالسلاح والأكل وغير ذلك بحيث أن جميع الناس بذلوا وسعهم ، وفعلوا ما في قوتهم وطاقتهم ، وسحت نفوسهم بانفاق أموالهم ، فلم يشح في ذلك الوقت أحد بشيء يملكه ، ولكن لم يسعفهم الدهر .

وخرجت الفقراء وأرباب الأثاير بالطبول والزمور والأعلام والكاسات وهم يضجرون ويصيحون ويذكرون بأذكار مختلفة . وصعد السيد عمر أفندى تقيب الأشراف الى القلعة ، فأنزله منها بيرقا كبيرا أسته العامة اليرق النبوى . فنشره بين يديه من القلعة الى بولاق ، وأماما وحوله ألوف من العامة بالنبايت والعصى يهللون ويكبرون ويكثرون من الصياح ، ومعهم الطبول والزمور وغير ذلك .

وأما مصر ، فانها باقية خالية الطرق ، لاتجد بها أحدا سوى النساء في البيوت والصغار وضعفاء الرجال الذين لا يقدرّون على الحركة ، فانهم مستترون مع النساء في بيوتهم . والأسواق مصفرة ، والطرق مجفرة من عدم الكس والرش . وغلا سعر البارود والرصاص بحيث بيع الرطل من البارود بستين نصفا ، والرصاص بتسعين ، وغلا جنس أنواع السلاح ، وقل وجوده . . وخرج معظم الرعايا بالنبايت والعصى والمساوق ، وجلس مشايخ العلماء بزواوية على بيك بولاق يدعون ويتهللون الى الله بالنصر ، وأقام غيرهم من الرعايا البعض بالبيوت ، والبعض بالزوايا ، والبعض في الخيام .

ومحصل الأمر أن جميع من بمصر من الرجال تحول الى بولاق ، وأقام بها من حين نصب ابراهيم بيك العرضى هناك ، الى وقت الهزيمة ، سوى القليل من الناس الذين لا يجدون لهم مكانا ولا



ثم في كل يوم تكثر الاشاعة بقرب الفرنسيين الى مصر ، ويختلف الناس في الجهة التي يقصدون المجيء منها ، فمنهم من يقول : « انهم واصلون من البر الغربى » ، ومنهم من يقول : « بل يأتون من الشرقى » ، ومنهم من يقول : « بل يأتون من الجهتين » . هذا وليس لأحد من أمراء العساكر همة أن يبعث جاسوسا أو طليعة تناوشهم القتال قبل دخولهم وقربهم ووصولهم الى فناء المصر . بل كل من ابراهيم بيك ومراد بيك جمع عسكره ، ومكث مكانه لا ينتقل عنه ، ينتظر ما فعل بهم . وليس ثمة قلعة ولا حصن ولا معقل وهذا من سوء التدبير واهمال أمر العدو .

الجمعة ٦ منه (٢٠ يولية ١٧٩٨ م) :

وصل الفرنسيين الى الجسر الأسود .

السبت ٧ منه (٢١ يولية ١٧٩٨ م) (١) :

وصلوا الى أم دينار (٢) فعندها اجتمع العالم

(١) في هذا اليوم عين كليبر السيد محمد الفريانى في وظيفة محافظ (حاكم) الاسكندرية بعد التمس على حاكمها السيد محمد كريم .

(عبد الرحمن الرافى - تاريخ الحركة القومية ج ١ ص ١٩١)

(٢) مع ذلك كان امراء المالك يركبون الجمل والفر ، وكانوا ايضا يمثلون الحرم على النجاة والتخاذه في اشد الاوقات حرجا ، فبينما كان الجيش الفرنسى زاحفا على العاصمة لم يكن مراد بيك وابراهيم بيك على وفاق بل كان يباعد بينهما التنافس القديم على السلطة . ولم يخف هذا التنافس على الفرنسيين فقد علم به نابليون وهو في أم دينار يرسم الخطط ويستطلع اخبار القوة التى سيواجهها . فهناك وصلته اخبار الجفاء الذى بين مراد بيك وابراهيم بيك .

(عبد الرحمن الرافى - الحركة القومية ج ١ ص ١٩٢)

ماوى ، فيرجعون الى بيوتهم يبيتون بها ثم يصبحون الى بولاق . وأرسل ابراهيم بيك العربان المجاورة لمصر ، ورسم لهم أن يكونوا في المقدمة بنواحي شبرا وما والاها . وكذلك اجتمع عند مراد بيك الكثير من عرب البحيرة والجيزة والصعيد والخيبرية والقيعان وأولاد على والهنادى وغيرهم وفى كل يوم يتزايد الجمع ، ويعظم الهول ، ويضيق الحال بالفقراء الذين يحصلون اقواتهم يوما فيوما لتعطل الأسباب واجتماع الناس كلهم في صعيد واحد . وانقطعت الطرق ، وتعدى الناس بعضهم على بعض لعدم التفات الحكام واشتغالهم بما دهمهم .

واما بلاد الأرياف فانها قامت على ساق تقتل بعضهم بعضا ، ونهب بعضهم بعضا وكذلك العرب غارت على الأطراف والنواحي وصار قطر مصر من أوله الى آخره في قتل ونهب واخافة طريق وقيام شر وانغارة على الأموال وافساد المزارع ، وغير ذلك من أنواع الفساد الذى لا يحصى .

وطلب أمراء مصر .. التجار من الافرنج بمصر : فحبسوا بعضهم بالقلعة وبعضهم بأماكن الأمراء ، وصاروا يفتشون في محال الافرنج على الأسلحة وغيرها . وكذلك يفتشون بيوت النصارى الشوام والأقباط والأروام والكنائس والأديرة على الأسلحة . والعامه لا ترضى الا أن يقتلوا النصارى واليهود فيمنعهم الحكام عنهم ، ولولا ذلك المنع لقتلتهم العامة وقت الفتنة .

العظيم من الجند والرعايا والفلاحين المجاورة بلادهم لمصر . ولكن الأجناد متنافرة قلوبهم ، منحلة عزائمهم ، مختلفة آراؤهم ، حريصون على حياتهم وتنعمهم ورفاهيتهم ، مختالون في ريشهم ، مغترون بجمعهم ، محتقرون شأن عدوهم ، مرتبكون في رويتهم ، مغمورون في غفلتهم . وهذا كله من أسباب ما وقع من خذلانهم وهزيمتهم . وقد كان الظن بالفرنسيين أن يأتوا من البرين ، بل أشيع في عرضى ابراهيم بيك ، أنهم قادمون من الجهتين ، فلم يأتوا الا من البر الغربى .

ولما كان وقت القائلة ، ركب جماعة من العساكر التى بالبر الغربى ، وتقدموا الى ناحية بشتيل — بلد مجاورة لانبابة — فتلاقوا مع مقدمة الفرنسيين ، فكروا عليهم بالخيول . فضربهم الفرنسيين ببنادقهم المتتابعة الرمى ، وأبلى الفريقان ، وقتل أيوب بيك الدفتردار (١) وعبد الله كاشف الجرف (٢) وعدة كثيرة من كشاف محمد بيك الألفى ومماليكهم ، وتبعهم طابور من الأفرنج في نحو الستة آلاف ، وكبيره ديزيه الذى ولى على الصعيد بعد تملكهم .

وأما بونايرته الكبير فانه لم يشاهد الواقعة بل حضر بعد الهزيمة ، وكان بعيدا عن هؤلاء بكثير (٣) . ولما قرب طابور الفرنسيين من متاريس مراد بيك ترمى الفريقان بالمدافع ، وكذلك العساكر المحاربون البحرية ، وحضر عدة وافرة من عساكر

(١) مدبر الشئون المالية .

(٢) من البكوات المماليك .

(٣) يقول الاستاذ الرافعى (تاريخ الحركة القومية ج ١ ص ٢١٦) « هذا ما رواه الجبرى من هذا الدور من المعركة ، ولا يمكننا ان نمر على قوله ان بونايرته الكبير لم يشاهد الواقعة دون ان نبدي شيئا من الدهشة لانه كيف تصور الجبرى ان بونايرته لم يشاهد الواقعة مع انه قائدها ورأس خططها ومدبر الامر فيها ؟ ولا ندرى من اين جاء الجبرى انه لم يحضر الا بعد الهزيمة وكان بعيدا من هؤلاء بكثير .. مع ان بونايرت كان في القلب يرقب حركات القتال ويتتبع كل صغيرة وكبيرة فيه ... على اى وجه قلنا الرواية لا نجد ليثا لها وكل ما نقوله فيها انها خطأ » .

الأرناءود من دمياط ، وطلعوا الى انبابة وانضموا الى المشاة وقاتلوا معهم في المتاريس .

فلما عاين وسمع عسكر البر الشرقى القتال ، ضج العامة والغوغاء من الرعية وأخلط الناس بالصياح ورفع الأصوات بقولهم : « يارب ويالطيف ويارجال الله » ونحو ذلك ، وكأنهم يقاتلون ويحاربون بصياحهم وجلبتهم ! فكان العقلاء من الناس يصرخون عليهم ويأمرونهم بترك ذلك ، ويقولون لهم « أن الرسول والصحابه والمجاهدين ، انما كانوا يقاتلون بالسيف والحرب وضرب الرقاب لا برفع الأصوات والصراخ والنباح » فلا يستمعون ولا يرجعون عما هم فيه ، ومن يقرأ ومن يسمع ! وركب طائفة كبيرة من الأمراء والأجناد من العرضى الشرقى (١) — ومنهم ابراهيم بيك الوالى (٢) — وشرعوا في التعدي الى البر الغربى فى المراكب ، فتزاحموا على المعادى لتكون التعدي من محل واحد — والمراكب قليلة جدا — فلم يصلوا الى البر الآخر حتى وقعت الهزيمة به على المحاربين . هذا والرياح النكباء اشتد هبوبها ، وأمواج البحر فى قوة اضطرابها ، والرمال يعلو غبارها وتنسفها الرياح فى وجوه المصريين ، فلا يقدر أحد أن يفتح عينيه من شدة الغبار وكون الرياح من ناحية العدو ، وذلك من أعظم أسباب الهزيمة كما هو منصوص عليه .

ثم ان الطابور الذى تقدم لقتال مراد بيك انقسم على كيفية معلومة عندهم فى الحرب ، وتقارب من المتاريس بحيث صار محيطا بالعسكر من خلفه وأمامه ، ودق طبوله ، وأرسل بنادقه المتتالية والمدافع . واشتد هبوب الرياح ، وانعقد الغبار ، وأظلمت الدنيا من دخان البارود وغبار الرياح ،

(٢) يعنى جيش ابراهيم بيك الذى كان مرابطا بالبر الشرقى للنيل .

(٣) صهر ابراهيم بيك رئيس المماليك .



نابليون بونابرت



مراد بيك

وكان من جملة من ألقى نفسه في البحر سليمان بيك ، المعروف بالأغا، وأخوه ابراهيم بيك الوالى ، فأما سليمان بيك فنجا وغرق ابراهيم بيك الصغير وهو صهر ابراهيم بيك الكبير .

ولما انهزم العسكر الغربى حول الفرنسيين المدافع والبنادق على البر الشرقى وضربوها . وتحقق أهل البر الآخر الهزيمة فقامت فيهم ضجة عظيمة ، وركب فى الحال ابراهيم بيك والباشا والأمراء والعسكر والرعايا وتركوا جميع الأثقال والخيام كما هى لم يأخذوا منها شيئا .

فأما ابراهيم بيك والباشا والأمراء فساروا الى جهة العادلية . وأما الرعايا فهاجوا وماجوا ذاهبين الى جهة المدينة ودخلوها أفواجا أفواجا ، وهم جميعا فى غاية الخوف والفرع وترقب الهلاك ، وهم يضجون بالعويل والنحيب ويبتهلون الى الله من شر هذا اليوم العصيب ، والنساء يصرخن بأعلى أصواتهن من البيوت وقد كان ذلك قبل الغروب .

فلما استقر ابراهيم بيك بالعادلية أرسل يأخذ حريمه ، وكذلك من كان معه من الأمراء فأركبوا النساء : بعضهن على الخيول ، وبعضهن على البغال ، والبعض على الحمير والجمال ، والبعض ماش كالجوارى والخدم . واستمر معظم الناس طول

وصمت الأسماع من توالى الضرب بحيث خيل للناس أن الأرض تزلزلت ، والسماء عليها سقطت . واستمر الحرب والقتال نحو ثلاثة أرباع ساعة . ثم كانت هذه الهزيمة على العسكر الغربى (١) ، فغرق الكثير من الخيالة فى البحر لاحاطة العدو بهم وظلام الدنيا ، والبعض وقع أسيرا فى أيدي الفرنسيين وملكوا المتاريس . وفر مراد بيك ومن معه الى



ادد الماليك بهرب

الجيزة ، فصعد الى قصره ، وقضى بعض أشغاله فى نحو ربع ساعة ، ثم ركب وذهب الى الجهة القبلىة .. وبقيت القتلى والثياب والأمتعة والأسلحة والفرش ملقاة على الأرض ببر إنابة تحت الأرجل .

(١) يعنى جيش مراد بيك لانه بالبر الغربى .

الليل خارجين من مصر .. البعض بحريمه ، والبعض
 تنجو بنفسه ، ولا يسأل أحد عن أحد ، بل كل
 واحد مشغول بنفسه عن آبيه وابنه فخرج تلك
 الليلة معظم أهل مصر .. البعض لبلاد الصعيد ،
 والبعض لجهة الشرق — وهم الأكثر — وأقام
 بمصر كل مخاطر بنفسه لا يقدر على الحركة ،
 ممثلاً للقضاء متوفعاً للمكروه ، وذلك لعدم قدرته
 وقلة ذات يده وما ينفقه على حمل عياله وأطفاله
 ويصرفه عليهم في الغربة ... فاستسلم للمقدور ،
 والله عاقبة الأمور .

والذي أزعج قلوب الناس بالأكثر أن في عشاء
 تلك الليلة ، شاع في الناس أن الأفرنج عدوا إلى
 بولاق وأحرقوها ، وكذلك الجيزة ، وأن أولهم
 وصل إلى باب الحديد يحرقون ويقتلون ويفجرون
 بالنساء .

وكان السبب في هذه الاشاعة أن بعض
 القلنجية ، من عسكر مراد بيك الذي كان في
 الغليون بمرسى انبابة ، لما تحقق الكسرة ، أضرم
 النار في الغليون الذي هو فيه . وكذلك مراد بيك
 لما رحل من الجيزة أمر بانجرار الغليون الكبير



زوجة احد البكوات

من قبالة قصره ليصحبه معه إلى جهة قبلى ، فمشوا
 به قليلاً ووقف ، لقلة الماء ، في الطين . وكان به عدة
 وافر من آلات الحرب والجبحانة فأمر بحرقه
 أيضاً ، فصعد لهيب النار من جهة الجيزة وبولاق ..
 فظنوا بل أيقنوا أنهم أحرقوا البلدين فهاجوا
 واضطربوا زيادة عما هم فيه من الفزع والروع
 والجزع ، وخرج أعيان الناس وأفندية الوجاقات
 وأكابرهم وتقيب الأشراف وبعض المشايخ
 القادرين .

فلما عين العامة والرعية ذلك ، اشتد ضجرهم
 وخوفهم ، وتحركت عزائمهم للهروب واللحاق بهم .
 والحال أن الجميع لا يدرون أى جهة يسلكون ،
 وأى طريق يذهبون ، وأى محل يستقرون ..
 فتلاحقوا وتسابقوا وخرجوا من كل حذب ينسلون ،
 ويبيع الحمار الأعرج أو البغل الضعيف بأضعاف
 ثمنه ، وخرج أكثرهم ماشياً أو حاملاً متاعه على
 رأسه وزوجته حاملة طفلها ، ومن قدر على مركوب
 أركب زوجته أو ابنته ومشى هو على أقدامه .

وخرج غالب النساء ماشيات حاسرات وأطفالهن
 على أكتافهن يبكين في ظلمة الليل ، واستمروا على
 ذلك طول ليلة الأحد وصباحها ، وأخذ كل إنسان
 ما قدر على حمله من مال ومتاع .

فلما خرجوا من أبواب البلد وتوسطوا الفلاة ،
 تلقىهم العربان والفلاحون ، فأخذوا متاعهم ولباسهم
 وأحمالهم بحيث لم يتركوا لمن صادفوه ما يستريح به
 عورته أو يسد جوعته . فكان ما أخذته العرب
 شيئاً كثيراً يفوق الحصر بحيث أن الأموال والذخائر
 التي خرجت من مصر في تلك الليلة أضعاف ما بقي
 فيها بلا شك ، لأن معظم الأموال عند الأمراء
 والأعيان وحريمهم ، وقد أخذوه صحبتهم .

وغالب مساتير الناس وأصحاب المقدرة أخرجوا
 أيضاً ما عندهم . والذي أقعده العجز ، وكان عنده



هجوم البدو على المهاجرين

مغربى يعرف لغتهم .. وآخر صحبته (١) ، فغابا وعادا فأخبرا أنهما قابلا كبيرا القوم وأعطياه الرسالة ، فقرأها عليه ترجمانه ، ومضمونها الاستفهام عن قصدهم . فقال على لسان الترجمان : « وأين عظماءكم ومشايخكم ؟ لم تأخروا عن الحضور إلينا لترتب لهم ما يكون فيه الراحة ؟ » وطمعنهم وبش في وجوههم . فقالوا : « نريد أمانا منكم » . فقال : « أرسلنا لكم سابقا » يعنون الكتاب المذكور . فقالوا : « وأيضا لأجل اطمئنان الناس » . فكتبوا لهم ورقة أخرى مضمونها :

« من معسكر الجيزة لأهل مصر ... »

« اننا أرسلنا لكم في السابق كتابا فيه الكفاية ، وذكرنا لكم أننا ما حضرنا إلا بقصد ازالة الممالك الذين يستعملون الفرنساوية بالذل والاحتقار ، وأخذ مال التجار ومال السلطان . »

« ولما حضرنا إلى البر الغربى ، خرجوا إلينا ، فقابلناهم بما يستحقونه ، وقتلنا بعضهم ، وأسروا بعضهم . ونحن في طلبهم حتى لم يبق أحد منهم بالقطر المصرى . »

(١) في كتب الفرنسيين ان الذين فكروا في فتح باب الخابرة هم جماعة من تجار الافرنج في القاهرة ، وذكروا انهم اجتمعوا بكخبيا الوالى - نائبه - واقنعوه بضرورة ذلك .
(حافظ عوض - فتح مصر الحديث ص ١٤٧)

مايعز عليه من مال أو مصاغ ، أعطاه لجاره أو صديقه الراحل . ومثل ذلك أمانات وودائع الحجاج من المغاربة والمسافرين ، فذهب ذلك جميعه . وربما قتلوا من قدروا عليه أو دافع عن نفسه ومتاعه ، وسلبوا ثياب النساء وفضحوهن وهتكوهن ، وفيهن الخوندات والأعيان .. فمنهم من رجع من قريب - وهم الذين تأخروا في الخروج وبلغهم ما حصل للسابقين - ومنهم من جازف متكلا على كثرته وعزوته وخفارتة ، فسلم أو عطب . وكانت ليلة وصباحها في غاية الشناعة جرى فيها ما لم يتفق مثله في مصر ، ولا سمعنا بما شابه بعضه في تواريخ المتقدمين . فما راء كمن سمع ! ولما أصبح يوم الأحد المذكور ، والمقيمون لا يدرون مايفعل بهم ، ومتوقعون حلول الفرنسيين ووقوع المكروه ، ورجع الكثير من الفارين وهم في أسوأ حال من العرى والفرع .. تبين أن الأفرنج لم يعدوا إلى البر الشرقى ، وأن الحريق كان في المراكب . فاجتمع في الأزهر بعض العلماء والمشايخ وتشاوروا ، فاتفق رأيهم على أن يرسلوا مراسلة إلى الأفرنج وينتظروا ما يكون من جوابهم ... ففعلوا ذلك وأرسلوها صحبة شخص

« وأما المشايخ والعلماء وأصحاب المرتبات والرعية فيكونون مطمئنين ، وفي مساكنهم مرتاحين » ...

الى آخر ما ذكرته .

ثم قال لهم : « لا بد أن المشايخ والشوربية يأتون إلينا لترتب له ديوانا لنتخبه من سبعة أشخاص عقلاء يدبرون الأمور » .

ولما رجع الجواب بذلك اطمأن الناس ، وركب الشيخ مصطفى الصاوى والشيخ سليمان الفيومى وآخرون الى الجيزة فتلقاهم وضحك لهم . وقال : « أنتم المشايخ الكبار » فأعلموه أن المشايخ الكبار خافوا وهربوا . فقال : « لأى شئ يهربون ؟ اكتبوا لهم بالحضور ، ونعمل لكم ديوانا لأجل راحتكم وراحة الرعية وأجراء الشريعة » . فكتبوا منه عدة مكاتبات بالحضور والأمان . ثم انفصلوا من معسكرهم بعد العشاء وحضروا الى مصر ، واطمأن برجوعهم الناس ، وكانوا فى وجل وخوف على غيابهم .

وأصبحوا فأرسلوا الأمان الى المشايخ ، فحضر الشيخ السادات والشيخ الشرقاوى والمشايخ ، ومن انضم إليهم من الناس الفارين من ناحية المطرية . وأما عمر أفندى نقيب الأشراف فإنه لم يطمئن ولم يحضر ، وكذلك الروزنامجى والأفندية .

وفى ذلك اليوم اجتمعت الجمعية وأوباش الناس ونهبوا بيت ابراهيم بيك ومراد بيك اللذين بخطة قوصون وأحرقوهما ، ونهبوا أيضا عدة بيوت من بيوت الأمراء وأخذوا ما فيها من فرش ونحاس وأمتعة وغير ذلك وباعوه بأبخس الأثمان .

الثلاثاء ١٠ منه (٢٤ يولية ١٧٩٨ م) :

عدت الفرنساوية الى بر مصر (١) وسكن بونا برته

(١) يذكر حافظ موسى أن دخول نابليون القاهرة كان يوم الاربعاء ١١ صفر (٢٥ يوليو) .

بيت محمد بيك الألفى بالأزبكية ، بخط الساكت ، الذى أنشأه الأمير المذكور فى السنة الماضية ، وزخرفه وصرف عليه أموالا عظيمة ، وفرشه بالفرش الفاخرة . وعند تمامه وسكنه فيه ، حصلت هذه الحادثة فأخلوه وتركوه بما فيه . فكأنه انما كان يبنيه للأمير الفرنسي . وكذلك حصل فى بيت حسن كاشف جركس بالناصرية .

ولما عدى كبيرهم وسكن بالأزبكية ، استمر غالبهم بالبر الآخر ، ولم يدخل المدينة الا القليل منهم ، ومشوا فى الأسواق من غير سلاح ولا تعد ، بل صاروا يضاحكون الناس ويشترون ما يحتاجون اليه بأعلى ثمن .. فياخذ أحدهم الدجاجة ويعطى صاحبها فى ثمنها ريال فرانسة ، وياخذ البيضة بنصف فضة قياسا على أسعار بلادهم وأثمان بضائعهم (١) .

فلما رأى العامة منهم ذلك ، أنسوا بهم ، واطمأنوا لهم ، وخرجوا اليهم بالكعك وأنواع الفطير والخبز والبيض والدجاج وأنواع المأكولات وغير ذلك .. مثل السكر والصابون والدخان والبن ، وصاروا يبيعون عليهم بما أحبوا من الأسعار ، وفتح غالب السوق الحوانيت والقهاوى (٢)

الخميس ١٢ منه (٢٦ يولية ١٧٩٨ م) :

أرسلوا بطلب المشايخ والوجاقية عند قائم مقام صارى عسكر ، فلما استقر بهم الجلوس خاطبهم وتشاوروا معهم فى تعيين عشرة أنفار من المشايخ للديوان وفصل الحكومات . فوقم الاتفاق على الشيخ عبد الله الشرقاوى والشيخ خليل البكرى

(١) للاستفاضة راجع ما كتبه كاتب فرنسى فى وصف الابام الاولى التى اعقت دخول نابليون مدينة القاهرة فى كتاب فتح مصر الحديث لاحمد حافظ موسى (ص ١٥٢)

(٢) يذكر حافظ موسى أن هؤلاء الجنود قد امتلأت جيوبهم من ذهب المالك ونفستهم وأن الاموال التى يبتاعون بها البضائع ليست أموالهم !



بونابرت يرأس اجتماع شيوخ القاهرة

المناصب لجنس المالك ، فعرفوهم أن سوق مصر لا يخافون الا من الأتراك ، ولا يحكمهم سواهم ! ومؤلاء المذكورون من بقايا البيوت القديمة الذين لا يتجاسرون على الظلم كغيرهم . وقلدوا ذا الفقار — كنتخدا محمد بيك — كنتخدا بونابرت ، ومن أرباب المشورة الخواجه موسى ... كانوا وكلاء الفرنساوى ووكيل الديوان حنا بينو .

وفيه : اجتمع أرباب الديوان عند رئيسه . فذكر لهم ما وقع من نهب البيوت فقالوا له : « هذا فعل الجعيدية وأوباش الناس » . فقال : « لاي شىء يفعلون ذلك ؟ وقد أوصيناكم بحفظ البيوت والختم عليها » . فقالوا : « هذا أمر لا قدرة لنا على منعه ، وانما ذلك من وظيفة الحكام » . فأمروا الأغا والوالى أن ينادوا بالأمان وفتح الدكاكين والأسواق والمنع من النهب ، فلم يسمعوا ولم ينتهوا . واستمر غالب الدكاكين والأسواق معطلة ، والناس غير مطمئنين . وفتح الفرنسيين بعض

والشيخ مصطفى الصاوى والشيخ سليمان الفيومى والشيخ محمد المهدي والشيخ موسى السرسى والشيخ مصطفى الدمهورى والشيخ أحمد العرشى والشيخ يوسف الشبرخيتى والشيخ محمد الدواخلى (١) .

وحضر ذلك المجلس أيضا مصطفى كنتخدا بكر باشا والقاضى ، وقلدوا محمد أغا المسلمانى أغات مستحفظان ، وعلى أغا الشعراوى والى الشرطة ، وحسن أغا محرم أمين احتساب . وذلك بإشارة أرباب الديوان ، فانهم كانوا متنعين من تقليد

(١) يذكر الدكتور محمد نؤاد شكرى فى كتاب « عبد الله جاك بينو » أن بونابرت أصدر امره بتأسيس الديوان فى ٢٥ يوليو ١٧٩٨ م . وأن المجلس تألف من عشرة من المصريين هم : الشيخ الشرقاوى رئيسا والشيخ البكرى والشيخ الصاوى نائبين للرئيس والشيخ المهدي سكرتيرا والشيخ الفيومى والشيخ السرسى والشيخ الدمهورى والشيخ العرشى والشيخ الشبرخيتى والشيخ الدواخلى أعضاء . كما ضم الديوان اليه ممثلين من جالية الافرنج فى هذه البلاد ثلاثة من الاوربيين ، هم كاف ، وولار ، ومودوف . ومين مونج نومسيرا فرنسيا وكلف بالانتراف على أعمال الديوان . فلم يكن أعضاؤه من المصريين وحدهم .

البيوت المغلقة التي للأمراء ودخلوها وأخذوا منها أشياء وخرجوا وتركوها مفتوحة .. فعندما يخرجون منها يدخلها طائفة الجعيدية ويستأصلون ما فيها . واستمروا على ذلك عدة أيام .

ثم انهم تتبعوا بيوت الأمراء وأتباعهم وختنوا على بعضها وسكنوا بعضها . فكان الذي يخاف على داره من جماعة الوجاقلية أو من أهل البلد ، يعلق له بنديرة على باب داره ، أو يأخذ له ورقة من الفرنسيين بخطهم يلصقها على داره .

وفيه : قلدوا برطلين النصراني الرومى — وهو الذى تسميه العامة « فرط الرمان » — كتخدا مستحفظان .

وركب بموكب من بيت نصارى عسكر ، وأمامه عدة من طوائف الاجناد والبطالين مشاة بين يديه ، وعلى رأسه حشيشة من الحرير الملون . وهو لابس فروة بز عادة ، وبين يديه الخدم بالحرايب المفضضة .

ورتب له بيوك باشى وقلقات عينوا لهم مراكز بأخطاط البلد يجلسون بها

وسكن المذكور بيت يحيى كاشف الكبير بحارة عابدين ، أخذه بما فيه من فرش ومتاع وجوار وغير ذلك .

والمذكور من أسافل نصارى الأروام العسكرية القاطنين بمصر ، وكان من الطبجية عند محمد بيك الألفى ، وله حانوت بخط الموسيقى يبيع فيه القوارير الزجاج أيام البطالة

وقلدوا أيضا شخصا أفرنجيا وجعلوه أمين البحرين ، وآخر جعلوه أغات الرسالة . وجعلوا الديوان بيت قائد أغا بالأزبكية قرب الرومى ، وسكن به رئيس الديوان ، وسكن روتوى — قائمقام مصر — بيت ابراهيم بيك البوالى المطل على بركة الفيل ، وسكن شبيخ البلد بيت

ابراهيم بيك الكبير ، وسكن مجلون (١) بيت مراد بيك على رصيف الخشاب ، وسكن بوسليك مدبر الحدود بيت الشيخ البكرى القديم .

ويجتمع عنده النصارى القبط كل يوم ، وطلبوا الدفاتر من الكتبة

ثم ان عساكرهم صارت تدخل المدينة شيئا فشيئا حتى امتلأت منها الطرقات ، وسكنوا فى البيوت ... ولكن لم يشوشوا على أحد ، ويأخذون المشتروات بزيادة عن ثمنها ... ففجر السوق ، وصغروا أقراص الخبز ، وطحنوه بترابه . وفتح الناس عدة دكاكين بجوار مساكنهم يبيعون فيها أصناف المأكولات : مثل الفطير والكعك والسكك المقلى واللحوم والفراخ المحمرة وغير ذلك .

وفتح نصارى الأروام عدة دكاكين لبيع أنواع الأشربة ، وخمائر وقهاوى .

وفتح بعض الافرنج البلديين بيوتا يصنع فيها أنواع الأطعمة والأشربة على طرائقهم فى بلادهم . فيشتري الأغنام والدجاج والخضارات والأسماك والعسل والسكر وجميع اللوازم ... ويطبخه الطباخون ، ويصنعون أنواع الأطعمة والحلاوات . ويعمل على بابه علامة لذلك يعرفونها بينهم . فاذا مرت طائفة بذلك المكان تريد الأكل دخلوا الى ذلك المكان ، وهو يشتمل على عدة مجالس — دون وأعلى — وعلى كل مجلس علامته ومقدار الدراهم التى يدفعها الداخل فيه . فيدخلون الى ما يريدون من المجالس ، وفى وسطه دكة من الخشب — وهى الخوان التى يوضع عليها الطعام ، وحولها كراسى — فيجلسون عليها ، ويأتيهم

(١) مجالون الذى قام بأعمال القنصلية الفرنسية نائبا من مصر ، وقابل بوناپرت فى عرض البحر قبل النزول الى الشواطئ المصرية .

(دكتور محمد فؤاد شكرى — ميد الله جالك مينو من ١٠٢)

الفراشون بالطعام على قوانينهم ، فيأكلون ويشربون على نسق لا يتعدونه .

وبعد فراغ حاجتهم يدفعون ما وجب عليهم — من غير نقص ولا زيادة — ويذهبون لحالهم . وفيه : تشفع أرباب الديوان في أسرى الماليك ، فقبلوا شفاعتهم وأطلقوهم ، فدخل الكثير منهم الى الجامع الأزهر ، وهم في أسوأ حال ، وعليهم الثياب الزرق المقطعة ، فمكثوا به يأكلون من صدقات الفقراء المجاورين به ، ويتكفون المارين . وفي ذلك عبرة للمعتبرين !

السبت ١٤ منه (٢٨ يولية ١٧٩٨ م) :

اجتمعوا بالديوان وطلبوا دراهم سلفة — وهى مقدار خمسمائة ألف ريال — من التجار المسلمين والنصارى والقطب والشوام وتجار الأفرنج أيضا . فسألوا التخفيف . فلم يجابوا ، فأخذوا في تحصيلها . وفيه : نادوا من أخذ شيئا من نهب البيوت يحضر به الى بيت قائمقام ، وان لم يفعل وظهر بعد ذلك ، حصل له مزيد الضرر . ونادوا أيضا على نساء الأمراء بالأمان ، وأنهن يسكن بيوتهن ، وان كان عندهن شيء من متاع أزواجهن يظهره ، فان لم يكن عندهن شيء من متاع أزواجهن يصلحن على أنفسهن ويأمن في دورهن . فظهرت الست نفيسة زوجة مراد بيك وصالحت عن نفسها وأتباعها من نساء الأمراء والكشاف بمبلغ قدره مائة وعشرون ألف ريال فرنسا ، وأخذت في تحصيل ذلك من نفسها وغيرها . ووجهوا عليها الطلب ، وكذلك بقية النساء ، بالوسائط المتداخلين في ذلك كنصارى الشوام والأفرنج البلديين وغيرهم ، فصاروا يعملون عليهن ارهاصات وتخوفات ، وكذلك مصالحات على الغز والأجناد المختفين والغائبين والفارين ... فجمعوا بذلك أموالا كثيرة ، وكتبوا للغائبين أوراقا بالأمان بعد المصالحة . ويختم على تلك الأوراق المتقيدون بالديوان .

الأحد ١٥ منه (٢٩ يولية ١٧٩٨ م) :

طلبوا خيول والجمال والسلاح .. فكان شيئا كثيرا ، وكذلك الأبقار والأشوار ، فحصل فيها أيضا مصالحات ، وأشاعوا التفتيش على ذلك ، وكسروا عدة دكاكين بسوق السلاح وغيره ، وأخذوا ما وجدوه فيها من الأسلحة .. هذا وفي كل يوم ينقلون على الجمال والحمير من الأمتعة والفرش والصناديق والسروج وغير ذلك مما لا يحصى ، ويستخرجون الحبايا والودائع ، ويطلبون البنائين والمهندسين والخدام الذين يعرفون بيوت أسيادهم ، بل يذهبون بأنفسهم ويدلونهم على أماكن الحبايا ومواضع الدفائن ، ليصير لهم بذلك قربة ووجاهة ، ووسيلة ينالون بها أغراضهم .

وفيه : قبضوا على شيخ الجعيدية ، ومعه آخر ، وبندقوا عليهما بالرصاص بركة الأزبكية ، ثم على آخرين أيضا بالرميعة . وأحضر النهابون أشياء كثيرة من الأمتعة التى نهبوا عند ما داخلهم الخوف ، ودل بعضهم على بعض .

الثلاثاء ١٧ منه (٣١ يولية ١٧٩٨ م) :

طلبوا أهل الحرف من التجار بالأسواق ، وقرروا عليهم دراهم — على سبيل القرض والسلفة — مبلغا يعجزون عنه ، وأجلوا لها أجلا مقداره ستون يوما . فضجوا واستغاثوا وذهبوا الى الجامع الأزهر والمشهد الحسينى ، وتشفعوا بالمشايخ .. فتكلموا لهم ولطفوها الى نصف المطلوب ، ووسعوا لهم في أيام المهلة .

وفيه : شرعوا في تكسير أبواب الدروب والبوابات النافذة . وخرج عدة من عساكرهم يخلعون ويقلعون أبواب الدروب والعطف والطارات ، واستمروا على ذلك عدة أيام . وداخل الناس من ذلك وهم وخوف شديد ، وظنوا ظنونا ، وحصل عندهم فساد مخيلة ووسوسة ، تجسست في نفوسهم بالفاظ نطقوا بها وتصوروا حقيقتها وتناقلوها فيما بينهم كقولهم :

« ان عساكر الفرنسيين عازمون على قتل المسلمين وهم في صلاة الجمعة » . ومنهم من يقول غير ذلك .. وذلك بعد أن كان قد حصل عندهم بعض اطمئنان ، وفتحوا بعض الدكاكين . فلما حصلت هاتان النكتتان ، انكمش الناس ثانيا ، وارتجفت قلوبهم .

٢٠ منه (٣ اغسطس ١٧٩٨ م) :

حضرت مكاتيب الحجاج من العقبة ، فذهب ارباب الديوان الى باش العسكر وأعلموه بذلك ، وطلبوا منه أمانا لأمير الحج ، فامتنع وقال : لا أعطيه ذلك الا بشرط أن يأتي في قلة ، ولا يدخل معه مسالك كثيرة ولا عسكر .

فقالوا له : ومن يوصل الحجاج ؟ فقال لهم : أنا أرسل لهم أربعة آلاف من العسكر يوصلونهم الى مصر .

فكتبوا لأمير الحج مكاتبة بالملاطفة ، وأنه يحضر بالحجاج الى الدار الحمراء .. وبعد ذلك يحصل الخير .. فلم تصل اليهم الجوابات حتى كاتبهم ابراهيم بيك يطلبهم للحضور الى جهة بليس .. فتوجهوا على بليس ، وأقاموا هناك أياما .

وكان ابراهيم بيك ومن معه ارتحل من بليس الى المنصورة ، وأرسلوا الحريم الى القرين .

٢٣ منه (٦ اغسطس ١٧٩٨ م) :

خرجت طائفة من العسكر الفرنسيين الى جهة العادلية ، وصار في كل يوم تذهب طائفة بعد أخرى ويذهبون الى جهة الشرق .

الأربعاء ٢٥ منه (٨ اغسطس ١٧٩٨ م) :

في هذه الليلة خرج كبيرهم بونايرته — وكانت أوائلهم وصلت الى الخانكة وأبى زعل — وطلبوا كلفة من أبى زعل ... فامتنعوا . فقاتلوهم وضربوهم وكسروهم ونهبوا البلدة وأحرقوها وارتحلوا الى بليس .

وأما الحجاج فانهم نزلوا ببليس ، واكثرت

حجاج الفلاحين مع العرب ، فأوصلوهم الى بلادهم بالغربية والمنوفية والقليوبية وغيرها . وكذلك فعل الكثير من الحجاج ، فتفرقوا في البلاد بحريتهم ، ومنهم من أقام ببليس . وأما أمير الحج صالح بيك فانه لحق بابراهيم بيك وصحبته جماعة من التجار وغيرهم .

٢٨ منه (١١ اغسطس ١٧٩٨ م) :

ملك فرنساوية مدينة بليس من غير قتال ، وبها من بقى من الحجاج ، فلم يشوشوا عليهم وأرسلوهم الى مصر ، وصحبتهم طائفة من عساكرهم ، ومعهم طبل .

الاحد غايته (١٢ اغسطس ١٧٩٨ م) :

جاء الرائد ليلا الى الأمراء بالمنصورة ، وأخبرهم بوصول الافرنج وقربهم منهم . فركبوا نصف الليل وترفعوا الى جهة القرين ، وتركوا التجار وأصحاب الأثقال ... فلما طلع النهار حضر اليهم جماعة من العربان ، واتفقوا معهم على أنهم يحملونهم الى القرين ، وحلفوا لهم ، وعاهدوهم على أنهم لا يخونونهم .

فلما توسطوا بهم الطريق ، نقضوا عهدهم ، وخانوهم ، ونهبوا حمولهم ، وتقاسموا متاعهم وعروهم من ثيابهم — وفيهم كبير التجار السيد أحمد المحروقي ، وكان ما يخصه نحو ثلاثمائة ألف ريال فرانس تقودا ومتجرا من جميع الأصناف الحجازية — وصنعت العرب معهم ما لا خير فيه

ولحقهم عسكر فرنساوية .. فذهب السيد أحمد المحروقي الى سارى عسكر وواجهه — وصحبته جماعة من العرب المناقين — فشكا له ما حل به وباخوانه .. فلامهم على تقلهم وركونهم الى الممالك والعرب . ثم قبض على أبى خشبة شيخ بلد القرين ، وقال له : « عرفنى عن مكان المنهوبات » . فقال : « أرسل معى جماعة الى القرين » . فأرسل

معه جماعة دلهم على بعض الأحمال ، فأخذها
الافرنج ورفعوها ، ثم تبعوه الى محل آخر ،
فأوهمهم أنه يدخل ويخرج اليهم أحمالا كذلك ..
فدخل وخرج من مكان آخر وذهب هاربا !
فرجع أولئك العسكر بجمل ونصف جمل لاغير ،



معركة أبي قير البحرية

بيك وعدة من الأمراء والمساليك وتحاربوا معهم
ساعة أشرف فيها الفرنسيين على الهزيمة لكونهم
على الخيول ، وإذا بالخبر وصل الى ابراهيم بيك
بأن العرب مالوا على الحملة يقصدون نهبا ...
فعند ذلك فر بمن معه على أثره ، وتركوا قتال
الفرنسيين ، ولحقوا بالعرب وجلوهم عن متاعهم
وقتلوا منهم عدة ، وارتحلوا الى قطيا ، ورجع
صارى عسكر الى مصر .

الخميس ٤ منه (١٦ اغسطس ١٧٩٨ م) :

دخل صارى عسكر مصر ليلا بعد أن ترك عدة
من عساكره متفرقين في البلاد .

الجمعة ٥ منه (١٧ اغسطس ١٧٩٨ م) :

كان وفاء النيل المبارك ، فأمر صارى عسكر
بالاستعداد وتزيين العقبة كالعادة ، وكذلك زينوا
عدة مراكب وغلايين ، ونادوا على الناس بالخروج
الى النزهة في النيل والمقياس والروضة على عادتهم .

وقالوا : « هذا الذي وجدناه ، والرجل فر من
أيدينا » . فقال صارى عسكر : « لا بد من تحصيل
ذلك » . فطلبوا منه الاذن في التوجه الى مصر ،
فأصبح معهم عدة من عسكره أوصلوهم الى
مصر ، وأمامهم طبل ، وهم في أسوأ حال ...
وصحبتهم أيضا جماعة من النساء اللاتي كن خرجن
ليلة الحادثة ، وهن أيضا في أسوأ حالة ... تسكب
عند مشاهدتهن العبرات !

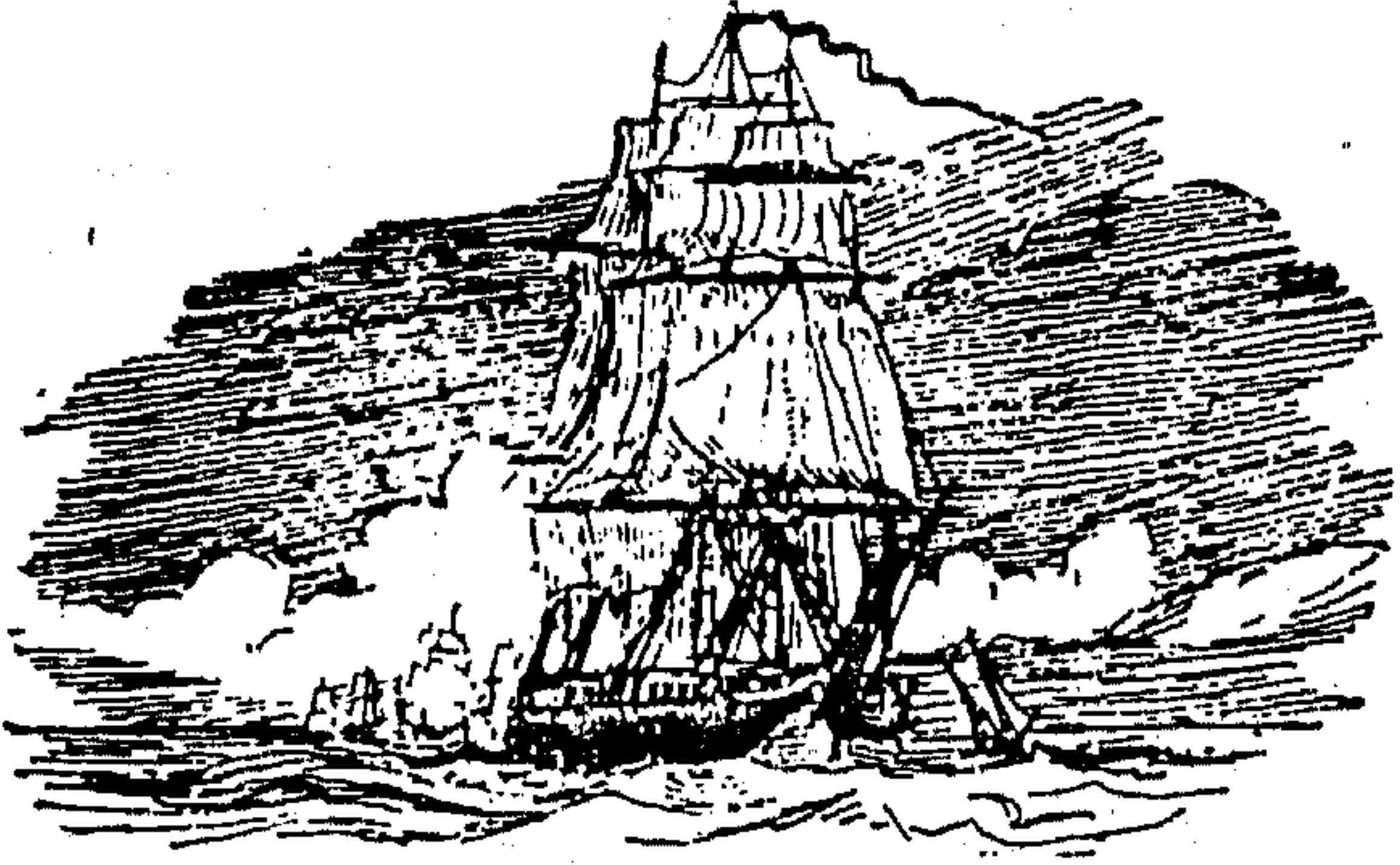
ربيع الأول

الثلاثاء ٢ منه (١٤ اغسطس ١٧٩٨ م) :

وصل الفرنسيون الى نوحى القرين . وكان
ابراهيم بيك ومن معه وصلوا الى الصالحية
وأودعوا مالهم وحريمهم هناك ، وضمنوا عليها
العربان وبعض الجنود . فأخير بعض العرب
الفرنساوية بمكان الحملة . فركب صارى عسكر
وأخذ معه الخيالة ، وقصد الاغارة على الحملة .
وعلم ابراهيم بيك بذلك أيضا ، فركب هو وصالح

كما أشار ، وردها الى صاحبها ... فانكف الناس عن التكلم في شأن ذلك .

والواقع أن الانكليز حضروا في اثرهم الى الشغز ، وحاربوا مراكبهم فسالوا منهم ، وأحرقوا القايق الكبير المسمى بنصف الدنيا (١) ، وكان به



السفينة « الشرق »

أموالهم وذخائرهم وكان مصفحاً بالنحاس الأصفر . واستمر الانكليز بمراكبهم بميناء الاسكندرية يغدون ويروحون يرصدون الفرنسيين (٢) .

وفي ذلك اليوم سافر عدة من عساكرهم الى بحرى والى الشرقية . ولما جرى الماء فى الخليج منعوا دخول الماء الى بركة الأزبكية ، وسدوا قنطرة الدكة بسبب وطاقهم ومدافعهم وآلتهم التى فيها .

وفيه : سأل صارى عسكر عن المولد النبوى ولماذا لم يعملوه كعادتهم . فاعتذر الشيخ الكرى بتعطيل الأمور وتوقف الأحوال . فلم يقبل وقال : « لا بد

(١) بريد البارجة أوربان (الشرق) ، ولعلها سميت فى مصر (نصف الدنيا) إشارة الى عظمتها او إشارة الى ان اسمها (الشرق) ومن الشرق والعرب تتكون الدنيا .

(الرافعى - تاريخ الحركة القومية ج ١ ص ٢٢٥)

(٢) كانت تتقدم اسطول الاميرال تلسن منذ اقترابه من خليج ابى قير سفينة مصرية . والمرجح ان هذه السفينة كانت تقل جماعة من البحارة المصريين تقدموا ليرشدوا الاسطول الانجليزى الى مسالك البحر فى تلك الجهة ، يساعدونه بذلك على الاسطول الفرنسى .

(الرافعى - تاريخ الحركة القومية ج ١ ص ٢٢٠)

وأرسل صارى عسكر أوراقا لكتخدا الباشا والقاضى وأرباب الديوان وأصحاب المشورة والمتولين للمناصب وغيرهم بالحضور فى صباحها . وركب صحتهم بموكبه وزينته وعساكره وطبوله وزموره الى قصر قنطرة السد ، وكسروا الجسر بحضرتهم ، وعملوا شتى مدافع ونفوطا حتى جرى الماء فى الخليج ، وركب - وهم صحتهم - حتى رجع الى داره . وأما أهل البلد فلم يخرج منهم أحد تلك الليلة للتنزه فى المراكب على العادة سوى النصارى الشوام والقبط والأروام والافرنج البلديين ونسائهم (١) ، وقليل من الناس البطالين حضروا فى صباحها .

وفيه : تواترت الأخبار بحضور عدة مراكب من الانكليز الى ثغر الاسكندرية ، وأنهم حاربوا مراكب فرنساوية الراسية بالميناء . وكانت أشيعت هذه الأخبار قبل ، وتحدث الناس بها .. فصعب ذلك على فرنساوية .

واتفق أن بعض النصارى الشوام نقل عن رجل شريف ، يسمى السيد أحمد الزرو من أعيان التجار بوكالة الصابون ، أنه تحدث بذلك ، فأمروا باحضاره وذكروا له ذلك ، فقال : « أنا حكيت ماسمعت من فلان النصرائى » . فأحضروه أيضا وأمروا بقطع لسانيهما أو يدفع كل واحد منهما مائة ريال فرانسه فكالا لهما وزجرا عن الفضول فيما لايعنيهما . فتشفع المشايخ .. فلم يقبلوا . فقال بعضهم : أطلقوهما ونحن نأتيكم بالدرهم ... فلم يرضوا . فأرسل الشيخ مصطفى الصاوى وأحضر مائتى ريال ودفعها فى الحضرة . فلما قبضها الوكيل ردها ثانيا اليه ، وقال : فرقها على الفقراء . فأظهر أنه فرقها

(١) أراد نابليون الاحتفال بوفاء النيل لاختفاء مظاهر الحزن التى كانت تكتلج فى قلوب الفرنسيين لضياح اسطولهم فى معركة ابى قير البحرية - وكانت قد اديعت فى ذلك اليوم نفسه - وتهدد الفرنسيون من اذاعوها بأشد انواع العقاب .

(عبد الرحمن الرافعى تاريخ الحركة القومية ج ١ ص ٢٦٨)

من ذلك . وأعطى له ثلثمائة ريال فرانسه معاونة .
وأمر بتعليق تعاليق وأحبال وقناديل .

واجتمع الفرنسيون يوم المولد ولعبوا ميادينهم ،
وضربوا طبولهم ودبأ بهم ، وأرسل الطبلخانة
الكبيرة الى بيت الشيخ البكرى ، واستمروا
يضربونها بطول النهار والليل بالبركة تحت داره
— وهى عبارة عن طبلات كبار مثل طبلات النوبة
التركية ، وعدة آلات ومزامير مختلفة الأصوات
مطربة — وعملوا فى الليل حراقة نفوط مختلفة
وسوارىخ تصعد فى الهواء .

وفيه : ألبس الشيخ البكرى فروة ، وتقلد نقابة
الأشراف ، ونودى فى المدينة بأن كل من كان له
دعوى على شريف فليرفعها الى النقيب .
وفيه : ورد الخبر بأن ابراهيم بيك والأمراء
المصرية ... استقروا بغزة .

الاثنين ١٥ منه (٢٧ أغسطس ١٧٩٨ م) :

سافر عدة كبيرة من عسكر فرنساوية الى
جهة الصعيد وكبيرهم ديزيه ، وصحبتهم يعقوب
القبطى ، ليعرفهم الأمور ويطلعهم على المخبات .

وفيه : حضر القاصد الذى كان أرسله كبير
الفرنساوية بمكاتبات وهدية الى أحمد باشا الجزار
بعكا — وذلك عند استقرارهم ببصر — وصحبته
أنصار من النصارى الشوام فى صفة تجار ومعهم
جانب أرز ، ونزلوا من ثغر دمياط فى سفينة من
سفائن أحمد باشا . فلما وصلوا الى عكا وعلم بهم
أحمد باشا ، أمر بذلك فرنساوى فنقلوه الى بعض
النقاير ، ولم يواجهه ولم يأخذ منه شيئا ، وأمره

بالرجوع من حيث أتى ، وعوق عنده نصارى الشوام
الذين كانوا بصحبته .

وفيه : حضر جماعة من عسكر فرنساوية الى بيت
رضوان كاشف بياب الشعيرة وصحبتهم ترجمان
ومهندس ... فانزعجت زوجته . وكانت قبل ذلك
بأيام صالحت على نفسها وبيتها بألف ريال وثلاثمائة
ريال ، وأخذت منهم ورقة ألصقتها على باب دارها ،
وردت ما كانت وزعت من المال والمتاع عند
معارفها .. واطمأنت .

فلما حضر اليها الجماعة المذكورون قالوا لها : « بلغ
صارى عسكر أن عندك أسلحة وملابس للمماليك » .
فأنكرت ذلك ، فقالوا : « لازم من التفتيش » .
فقلت : « دونكم » . فطلعوا الى مكان وفتحوا
مخبة فوجدوا بها أربعة وعشرين شروالا
ويلكات وأمتعة وغير ذلك . ووجدوا فى أسفلها
مخبة أخرى بها عدة كثيرة من الأسلحة والبنادق
والطنجات وصناديق بارود وغير ذلك ...
فاستخرجوا جميع ذلك ، ثم نزلوا الى تحت السلالم ،
وفجروا الأرض وأخرجوا منها دراهم كثيرة
وحجاب ذهب فى داخله دنائير . ثم أنزلوا صاحبة



ميناء دمياط

هنالك الخلعة بحضرة مشايخ الديوان ، والتزم بونا برته بتشهيل مهمات الحج وعلل محلا جديدا . وفيه : سأل أصحاب الحصص الالتزام في التصرف في حصصهم ، فطلبوا منهم حلوانا ... فلم يرتضوا بذلك . فواعدهم لتسام التحرير والاملاء ، وقالوا : « كل من كان له التزام وتقسيم ناطق باسمه ، يحضره ويمليه » . ففعلوا ذلك في عدة أيام .

وفيه : قدروا فرضة من المال على القرى والبلاد . ونشروا بذلك أوراقا ، وذكروا فيها أنها تحسب من المال . وقيدوا بذلك الصيارف من القبط ، ونزلوا في البلاد — مثل الحكام — يجسسون ويضربون ويشددون في الطلب .

وفيه : طلب صارى عسكر بونا بارتة المشايخ . فلما استقروا عنده ، نهض بونا بارتة من المجلس ورجع ويده طيلسانات ملونة بثلاثة ألوان ، كل طيلسان ثلاثة عروض : أبيض وأحمر وكحلي . فوضع منها واحدا على كتف الشيخ الشرقاوى فرمى به الى الأرض واستغنى ، وتغير بزاجه وانتقع لونه ، واحتد طبعه .

فقال الترجمان : يا مشايخ أتم هرتم أحبابا لصارى عسكر ، وهو يقصد تعظيمكم وتشريفكم بزيه وعلاماته ، فان تميزتم بذلك ، عظمتكم العساكر والناس ، وصار لكم منزلة في قلوبهم فقالوا له : لكن قدرنا يضيع عند الله وعند اخواننا من المسلمين . فاغتتاظ لذلك ، وتكلم بلسانه ، وبلغ عنه بعض المترجمين أنه قال عن الشيخ الشرقاوى : انه لا يصلح للرياسة ، ونحو ذلك . فلاطفه بقية الجماعة ، واستغفوه من ذلك . فقال : ان لم يكن ذلك فلازم من وضعكم الجوكار في صدوركم — وهى العلامة التى يقال لها الوردية — فقالوا : أمهلونا حتى نتروى في ذلك ... واتفقوا على اثني عشر يوما .

وفى ذلك الوقت حضر الشيخ السادات باستدعاء ، فصادفهم منصرفين . فلما استقر



مملوك مدمج بالسلاح

الدار ، ومعها جارية بيضاء ، وأخذوها مع الجوارى السود وذهبوا بهن ... فأقمن عندهم ثلاثة أيام ، ونهبوا ما وجدوه بالدار من فرش وأمتعة . ثم قرروا عليها أربعة آلاف ريال أخرى ، قامت بدفعها ... وأطلقوها . فرجعت الى دارها . وبسبب هذه الحادثة شددوا في طلب الأسلحة ، ونادوا بذلك ، وأنهم بعد ثلاثة أيام يفتشون البيوت .. وقال الناس : ان هذه حيلة على نهب البيوت : ثم بطل ذلك .

السبت ٢٠ منه (اول سبتمبر ١٧٩٨ م) :

قلدوا مصطفى بك كتحدا الباشا على اماره الحج ، فحضروا الى المحكمة عند القاضى ، ولبس

الجلوس ، بش له وضاحكه صارى عسكر ، ولاطفه
فى القول الذى يعربه الترجمان ، وأهدى له خاتم
ألماس ، وكلفه الحضور فى الغد عنده ، وأحضر له
جوكار أوثقه بفراجه ... فسكت وسأيره ، وقام
وانصرف . فلما خرج من عنده رفعه ... على أن
ذلك لا يخل بالدين !

وفى ذلك اليوم . نادى جماعة القلقات على
الناس بوضع العلامات المذكورة المعروفة بالنوردة
— وهى اشارة الطاعة والمحبة — فأثف غالب الناس
من وضعها ، وبعضهم رأى أن ذلك لا يخل بالدين
اذ هو مكره ، وربما ترتب على عدم الامتثال
الضرر .. فوضعها !

تم فى عصر ذلك اليوم نادوا بابطالها من العامة ،
وألزموا بعض الأعيان ومن يريد الدخول عندهم
لحاجة من الحاجات بوضعها ، فكانوا يضعونها اذا
حضروا عندهم ، ويرفعونها اذا انفصلوا عنهم ،
وذلك أيام قليلة ، وحصل ما يأتى ذكره ، فتركت .

وفى أواخره كان انتقال الشمس لبرج الميزان ،
وهو الاعتدال الخريفى ، فشرع الفرنساوية فى عمل
عيدهم ببركة الأزبكية . وذلك اليوم كان ابتداء
قيام الجمهور ببلادهم ، فجعلوا ذلك اليوم عيدا
وتاريخا .. فنقلوا أخشابا ، وحفروا حفرا ، وأقاموا
بوسط بركة الأزبكية صاريا عظيما بآلة وبناء ،
وردموها حوله ترابا كثيرا عاليا بمقدار قامه ، وعملوا
فى أعلاه قالباً من الخشب محدد الأعلى ، مربع
الأركان ، ولبسوا باقيه على سمت القالب قماشا
ثخينا طلوه بالخمرة الجزعة ، وعملوا أسفله قاعدة
نقشوا عليها تصاوير سواد فى بياض ، ووضعوا
قبالة باب الهواء بالبركة شبه بوابة كبيرة عالية من
خشب مقفص ، وكسوها بالقماش المدهون مثل
لون الصارى .

وفى أعلى القوصرة طلاء أبيض ، وبه تصاوير

بالأسود ، مصور فيه مثل حرب الممالك المصرية
معهم ، وهم فى شبه المنهزمين ... بعضهم واقع على
بعض ، وبعضهم ملتفت الى خلف .

وعلى موازاة ذلك من الجهة الأخرى بناحية
قنطرة الدكة التى يدخل منها الماء الى البركة ،
مثال بوابة أخرى على غير شكلها لأجل حراقة
البارود ، وأقاموا أخشابا كثيرة منتصبة مصطفة
منها الى البوابة الأخرى ، شبه الدائرة ، متسعة
محيطه بمعظم فضاء البركة بحيث صار عمود
الصارى الكبير المنتصف المذكور فى المركز ، وربطوا
بين تلك الأخشاب حبالا ممتدة ، وعلقوا بها صفيح
من القناديل ، وبين ذلك تماثيل لحراقة البارود
أيضا ... وأقاموا فى عمل ذلك عدة أيام

ربيع الآخر

الأربعاء أوله (١٢ سبتمبر ١٧٩٨ م) :

وردت الأخبار بأن مراد بيك ومن معه لما
بلغهم ورود الفرنسيين عليهم ، رجعوا الى جهة
الفيوم . وأن عثمان بيك الأشقر عدى الى البر
الشرقى وذهب من خلف الجبل الى أستاذه ابراهيم
بيك بغزة . وخرج جماعة من الفرنساوية الى جهة
الشرق ، ومعهم عدة جمال وأجمال ، فخرج عليهم
الغز والعرب الذين يصحبونهم ، فأخذوا منهم عدة
جمال بأحمالها ولم يلحقوهم .

الجمعة ٣ منه (١٤ سبتمبر ١٧٩٨ م) :

حضرت مكاتبة من ابراهيم بيك خطابا للمشايخ
وغيرهم مضمونها : أنكم تكونون مطمئنين ومحافظين
على أنفسكم والرعية ، وأن حضرة مولانا السلطان
وجه لنا عساكر وان شاء الله تعالى عن قريب نحضر
عندكم .

فلما وردت تلك المكاتبة — وقد كان سأل عنها
بونابرتة — فأرسلوها له ، وقرئت عليه فقال :
الممالك كذابون .

ووافق أيضا أنه حضر أغا رومي — وكان معوقا
بالاسكندرية — فمر بالشارع ، وذهب لزيارة
المشهد الحسيني ، فشاهده الناس فاستغربوا هيئته ،
وفرحوا برؤيته ، وقالوا : هذا رسول الجي حضر
من عند السلطان بجواب الى الفرنسيين يأمرهم
بالخروج من مصر .

واختلفت رواياتهم وآراؤهم وأخبارهم ، وتجمعوا
بالمشهد الحسيني ، وتبع بعضهم بعضا . وصادف
ذلك أن بونايرته في ذلك الوقت بلغه مما نقل وتناقل
بين الناس ، أنه ورد مكتوب الى المشايخ أيضا
وأخفوه . فركب من فوره ، وحضر الى بيت الشيخ
السادات بالمشهد الحسيني — وكان الوقت بعد
الظهر — فدخل على حين غفلة — ولم يكن تقدم
له مجيء — وهو في كبكبة وخيول كثيرة
وعساكر ... فانزعج الشيخ — وكان منحرف
المزاج — ونزل اليه ، وهو لا يعرف السبب في
مجيئه في مثل هذا الوقت على هذه الصورة ...
فعندما شاهده سأل عن ذلك المكتوب ، فقال :
لاعلم لي بذلك . ولم يكن بلغه الخبر . ثم جلس
مقدار ساعة ، وركب ومر بعسكره وطوافيه من
باب المشهد ... والناس قد كثر ازدحامهم بالجامع
والخطة ، وهم يلغظون ويخلطون . فلما نظروه ،
وشاهدوا جمعيتهم ، داخله أمر من ذلك ، فصاحوا
بأجمعهم ، وقالوا بصوت عال : « الفاتحة » !

فشخص اليهم وصار يسأل من معه عن
ازدحامهم ، فلفظوا له القول ، وقالوا له : انهم
يدعون لك وذهب الى داره ...

وكانت نكتة غريبة ، وساعة اتفاقية عجيبة كاد
ينشأ منها فتنة !

وفيه : شرعوا في خلع البوابات والدروب الغير
النافذة أيضا . ونقلوا الجميع الى بركة الأزبكية ،
عند رصيف الخشاب ، والبوابة الكبيرة يقطعونها

نصفين ، ويرفعونها بالعناب الى هناك . فاجتمع مع
ذلك شيء كثير جدا ، وامتأ من رصيف الخشاب
الى قريب وسط البركة .

السبت ١١ منه (٢٢ سبتمبر ١٢٩٨ م) :

كان يوم عيدهم الموعود به ، فضربوا في صبيحته
مدافع كثيرة ، ووصعوا على كل قائم من الخشب
نديرة من بنديراتهم الملونة ، وضربوا طبولهم .
 واجتمعت عساكرهم بالبركة ، الخيالة والرجالة ،
واصطفوا صفوفًا على طرائقهم المعروفة
بينهم ، ودعوا المشايخ وأعيان المسلمين والقبط
والشوام ... فاجتمعوا ببيت صاري عسكر بونايرته ،
وجلسوا حصة من النهار ، ولبسوا في ذلك اليوم
ملابس الافتخار ، ولبس المعلم جرجس
الجوهري لركة ، يطرز قصب على أكتافها الى
أكمامها ، وعلى صدرها شمسات قصب بأزرار ،
وكذلك فلتبوس .. وتعموا بالعمائم الكشميرية ،
وركبوا البغال الفارحة ، وأظهروا البشر والسرور
في ذلك اليوم الى الغاية .

ثم نزل عظماءهم — وصحبتهم المشايخ
والقاضي ، وكتخدا الباشا — فركبوا وذهبوا عند
الصاري الكبير الموضوع بوسط البركة .. وقد
كانوا فرشوا في أسفله سطا كثيرة

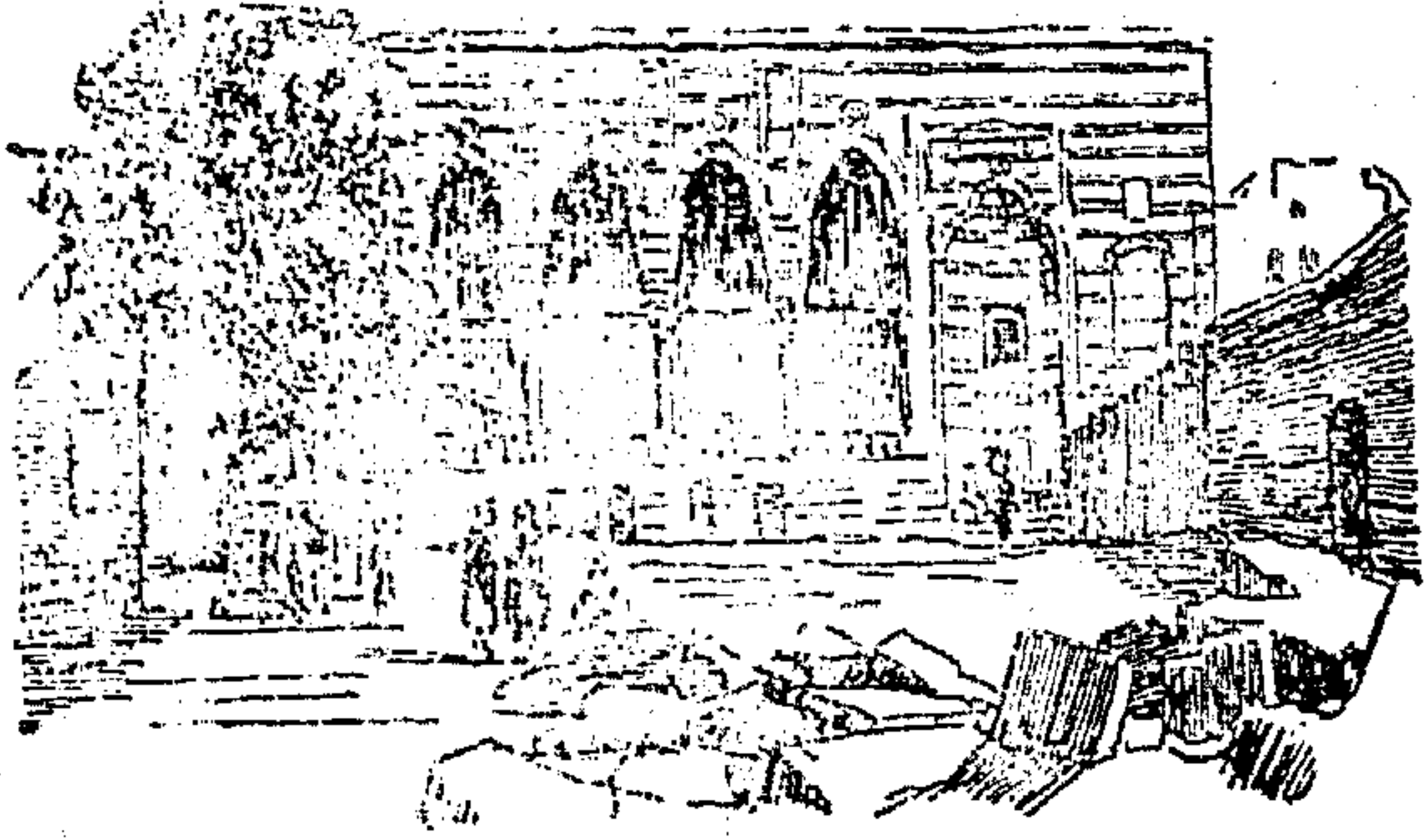
ثم ان العساكر لعبوا ميدانهم ، وعملوا هيئة
حربهم ، وضربوا البنادق والمدافع .. فلما انقضى
ذلك اصطفت العساكر صفوفًا حول ذلك الصاري ،
وقرأ عليهم كبير قسوسهم ورقة بلغتهم لا يدري
معناها الا هم ، وكأنها كالوصية أو النصيحة أو
الوعظ . ثم قاموا وانقض الجمع .

ورجع صاري عسكر الى داره فمد سماطا
عظيما للحاضرين .

فلما كان عند الغروب ، أوقدوا جميع القناديل
التي على الجبال والتماثيل والأحمال التي على

عندهم في ناحية من البيت ، وصحبها جماعة من النساء المسلمات والنساء الافرنجيات .

فلما أصبح النهار ركب المشايخ الى كتخدا الباشا والقاضي ، فركبا معا وذهبا الى بيت صاري عسكر الكبير .. فأحضرها وسلمها الى القاضي .. ولم يثبت عليها شيء من هذه الدعوى . وقرروا عليها ثلاثة آلاف ريال فرانسه ، وذهبت الى بيت لها مجاور لبيت القاضي وأقامت فيه لتكون في حمايته .



بيت القاضي

الخميس ١٦ منه (٢٧ سبتمبر ١٧٩٨ م)

نادوا في الأسواق بأن كل من كان عنده بغلة يذهب بها الى بيت قائم مقام بركة الفيل ويأخذ ثمنها ، وإذا لم يحضرها بنفسه تؤخذ منه قهرا ، ويدفع ثلثمائة ريال فرانسه ، وإن أحضرها باختياره يأخذ في ثمنها خمسين ريالا ، قلت قيمتها أو كثرت ، فغنم صاحب الخسيس ، وخسر صاحب النفيس . ثم ترك ذلك .

وفيه : نادوا بوقود قناديل سهارى بالطرق والأسواق ، وأن يكون على كل دار قنديل ، وعلى كل ثلاثة دكاكين قنديل ، وأن يلزموا الكس والرش وتنظيف الطرق من العفوشات والقاذورات .

وفيه : نادوا على الأغراب من المغاربة وغيرهم والخدامين البطالين ليسافروا الى بلادهم وكل من وجد بعد ثلاثة أيام يستاهل الذى يجرى عليه . وكرروا المناداة بذلك ، وأجلوهم بعدها أربعا وعشرين ساعة . فذهبت جماعة من المغاربة الى

البيوت . وعند العشاء عملوا حراقة بارود وسوارىخ ونفوط وشبه سواقى ودواليب من قار ، ومدافع كثيرة نحو ساعتين من الليل ، واستمرت القناديل موقدة حتى طلع النهار . ثم فكوا الحبال والتعاليق والتماثيل المصنوعة ، وبقيت البوابة المقابلة لباب الهواء ، والصارى الكبير وتحتة جماعة ملازمون الإقامة عنده ليلا ونهارا من عساكرهم ، لأنه شعارهم ، وإشارة الى قيام دولتهم في زعمهم .

وفي ثانی ليلة : ركب كبيرهم الى بر الجيزة وسفر عساكر الى الجهة التى مر بها مراد بك . وكذلك الى جهة الشرقية ومعهم مدافع على عجل . وفيه : أرسل دبوى قائم مقام الى الست نفيسة ، وطلب منها احضار زوجة عثمان بك الطنبرجى . فأرسلت الى المشايخ تستغيث بهم . فحضر اليها الشيخ محمد المهدي والشيخ موسى السرسى ، وقصدوا منعها .. فلم يمكنهم ، فذهبوا صاحبها ، ونظروا في قصتها .

والسبب في طلبها أنهم وجدوا رجلا فراشا معه جانب دخان وبعض ثياب ، فقبضوا عليه وقرروه ، فأخبر أنه تابعها وأنها أعطته ذلك ووعدته بالرجوع اليها لتسلمه شبكى دخان وفروه وخمس مائة محبوب ليوصل ذلك الى سيده ... فهذا هو السبب في طلبها .

فقالوا : وأين الفراش ؟ فبعثوا لاحضاره ، وسألوها ، فأنكرت ذلك بالمرة .. فانتظروا حضور الفراش الى بعد الغروب ... فلم يحضر . فقال لهم المشايخ : دعوها تذهب الى بيتها ، وفي غد نأتى ونحقق هذه القضية . فقال دبوى : « نو نو » ، ومعناه بلغتهم النفى ، أى لا تذهب . فقالوا له : دعها تذهب هي ونحن نبيت عوضا عنها .. فلم يرض أيضا ، وعالجوا في ذلك بقدر طاقتهم . فلما أسوا تركوها ومضوا .. فباتت

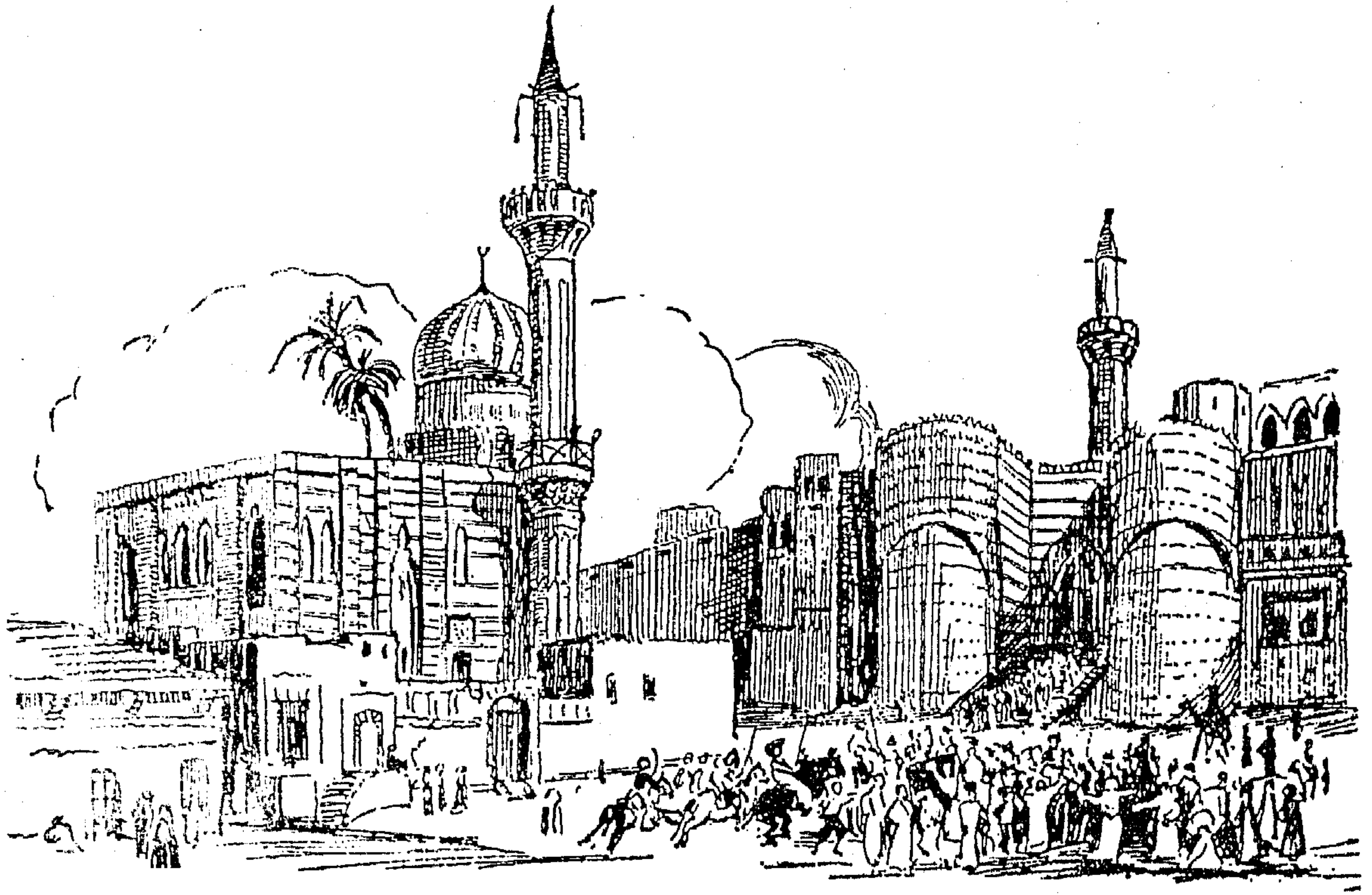
صارى عسكر وقالوا له : أرنا طريقا للذهاب ، فان طريق البر غير مسلوكة ، والانجليز واقفون بطريق البحر يمنعون المسافرين ، ولا تقدر على المقام فى الاسكندرية من الغلاء وعدم الماء بها ... فتركهم . وفيه : جعلوا ابراهيم أغات المتفرقة المعمار قبطان السويس . وسافر معه أنفار ببيرق فرساوى ، فخرج عليهم العربان فى الطريق فنهبهم وقتلوا ابراهيم أغا المذكور ومن بصحبته ولم يسلم منهم الا القليل . وفيه : أهمل أمر الديوان الذى يحضره المشايخ بيت قائد أغا . فاستمروا أياما يذهبون ، فلم يأتهم أحد ، فتركوا الذهاب .. فلم يطلبوا .

وفيه : شرعوا فى ترتيب ديوان آخر وسموه محكمة القضايا ، وكتبوا فى شأن ذلك طومارا وشرطوا فيه شروطا ، ورتبوا فيه ستة أنفار من النصارى القبط وستة أنفار من تجار المسلمين ، وجعلوا قاضيه الكبير ملطى القبطى الذى كان كاتبا عند أيوب بك الدفتردار ، وفوضوا اليهم القضايا فى أمور التجار والعامه والموارث والدعاوى . وجعلوا لذلك الديوان قواعد وأركانا من البدع السيئة ، وكتبوا نسخا من ذلك كثيرة ، أرسلوا منها الى الأعيان ، وألصقوا منها نسخا فى مفارق الطرق ورؤوس العطف وأبواب المساجد ، وشرطوا فى ضمنه شروطا ، وفى ضمن تلك الشروط شروطا أخرى ... بتعابير سخيفة يفهم منها المراد بعد التأمل الكثير ، لعدم معرفتهم بقوانين التراكيب العربية ...

ومحصله التحيل على أخذ الأموال . كقولهم بأن أصحاب الأملاك يأتون بحججهم وتمسكاتهم الشاهدة لهم بالتملك . فاذا أحضروها ، وبينوا وجه تملكهم لها اما بالبيع أو الانتقال لهم بالارث .. لا يكتفى بذلك ، بل يؤمر بالكشف عليها فى السجلات ، ويدفع على ذلك الكشف دراهم بقدر عبئونه فى ذلك الطومار . فان وجد تمسكه مقيدا

بالسجل .. طلب منه بعد ذلك الثبوت . ويدفع على ذلك الاشهاد ، بعد ثبوته وقبوله ، قدرا آخر ، ويأخذ بذلك تصحيحا ، ويكتب له بعد ذلك تمكين . وينظر بعد ذلك فى قيمته ، ويدفع على كل مائة اثنين . فان لم يكن له حجة ، أو كانت ولم تكن مقيدة بالسجل ، أو مقيدة ولم يثبت ذلك التقييد .. فانها تضبط لديوان الجمهور وتصير من حقوقهم !! وهذا شئ متعذر . وذلك أن الناس انما وضعوا أيديهم على أملاكهم اما بالشراء ، واما بأيلولتها لهم من مورثهم ، أو نحو ذلك بحجة قريبة أو بعيدة العهد ، أو بحجج أسلافهم ومورثيهم . فاذا طولبوا باثبات مضمونها ، تعسر أو تعذر لحادث الموت أو الأسفار ، أو ربما حضرت الشهود .. فلم تقبل . فان قبلت .. فعل به ما ذكر .

ومن جملة الشروط مقررات على الموارث والموتى ، ومقاديرها متنوعة فى القلة والكثرة .. كقولهم : اذا مات الميت .. يشاورون عليه ، ويدفعون معلوما لذلك ، ويفتحون تركته بعد أربع وعشرين ساعة . فاذا بقيت أكثر من ذلك ... ضبطت للديوان أيضا ، ولا حق للورثة فيها . وان فتحت على الرسم باذن الديوان ... يدفع على ذلك الاذن مقررا . وكذلك على ثبوت الورثة ، ثم عليهم ... بعد قبض ما يخصهم - مقرر . وكذلك من يدعى دينا على الميت .. يثبت بديوان الحشريات . ويدفع على اثباته مقررا ، ويأخذ له ورقة يتسلم بها دينه . فاذا تسلمه .. دفع مقررا أيضا . ومثل ذلك فى الرزق والأطيان بشروط وأنواع ، وكيفية أخرى غير ذلك . والهبات والمبايعات والدعاوى ، والمنازعات والمشاجرات والاشهادات - الجزئيات والكيليات - والمسافر كذلك لا يسافر الا بورقة ، ويدفع عليها قدرا . وكذلك المولود اذا ولد ... ويقال له « اثبات الحياة » . وكذلك المؤاجرات ، وقبض أجر الأملاك ... وغير ذلك .



ميدان الرميّة وجامع المحمودية وباب العزب

والنزول الى المدينة ليسكنوا بها . فنزلوا وأصعدوا الى القلعة مدافع ركزوها بعده مواضع وهدموا بها أبنية كثيرة ، وشرعوا في بناء حيطان وكراتك وأسوار ، وهدموا أبنية عالية ، وأعلوا مواضع منخفضة ، وبنوا على بدئات باب العزب بالرميلة وغيروا معالمها وأبدلوا محاسنها ومحو ما كان بها من معالم السلاطين وآثار الحكماء والعظماء وما كان في الأبواب العظام من الأسلحة والدق والبلطه والحوذات والحراب الهندية وأكر الفداوية ، وهدموا قصر يوسف صلاح الدين ومحاسن الملوك والسلاطين ، ذوات الأركان الشاهقة والأعمدة الباسقة .

وفيه : عينت عساكر الى مراد بيك ، وذهبوا اليه ببحر يوسف جهة الفيوم .

وفيه : نودى بأن كل من تشاجر مع نصراني أو يهودى أو تشاجر معه نصراني أو يهودى يشهد

وفيه : نادى أصحاب الدرك على العامة بترك الفضول والكلام في أمور الدولة . فاذا مر عليهم جماعة من العسكر مجروحين أو مهزمين ، لا يسخرون بهم ، ولا يصفقون عليهم كما هي عادتهم !

وفيه : نهبوا أمتعة عسكر القلنجية الذين كانوا عسكرا عند الأمراء ، فأخذوا مكانا بوكالة على بيك بساحل بولاق وبالجمالية . وأخذوا متاعهم ومتاع شركائهم محتجين بأنهم قاتلوا مع المماليك وهربوا معهم .

وفيه : أحضروا محمد كتخدا أبا سيف الذي كان سردارا بدمياط من طرف الأمراء المصريين . وكان سابقا كتخدا حسن بيك الجداوى . فلما حضر حبسوه في القلعة وحبسوا معه فراشا لابراهيم بيك .

وفيه : أمروا سكان القلعة بالخروج من منازلهم

أحد الخصمين على الآخر ويطلبه لبيت صارى
عسكر .

وفيه : قتلوا شخصين وطاقوا برءوسهما وهم
ينادون عليهما ويقولون : « هذا جزاء من يأتى
بمكاتيب من عند الممالك أو يذهب اليهم بمكاتيب » .

وفيه : نهوا على الناس بالمنع من دفن الموتى
بالترب القريبة من المساكن كثرة الأزيكية
والرويعى ، ولا يدفنون الموتى الا فى القرافات
البعيدة ، والذي ليس له تربة بالقرافة يدفن ميتة
فى ترب الممالك . واذا دفنوا يبالغون فى تسفيل
الحفر .

ونادوا أيضا بنشر الثياب والأمتعة والفرش
بالأسطحة عدة أيام ، وتبخير البيوت بالبخورات
المذهبة للعفونة ... كل ذلك للخوف من حصول
الطاعون وعدواه . ويقولون : ان العفونة تنحبس
بأغوار الأرض . فاذا دخل الشتاء ، وبردت الأغوار
يسريان النيل والأمطار والرطوبات ... خرج ما كان
منحبسا فى الأرض من الأبخرة الفاسدة ، فيتغن
الهواء ، فيحصل الوباء والطاعون .

ومن قولهم أيضا : ان مرض مريض لا بد من
الاخبار عنه ، فيرسلون من جهتهم حكيم للكشف
عنه ان كان مرضه بالطاعون أو بغيره ، ثم يرون
رأيهم فيه .

السبت ١٨ منه (٢٩ سبتمبر ١٧٩٨ م) :

ذهبت جماعة من القواسمة الذين يخدمون
الفرنساوية وشرعوا فى هدم التراكيب المبنية على
المقابر بتربة الأزيكية وتمهيدها بالأرض .

فشاع الخبر بذلك ، وتسامع أصحاب الترب
بتلك البقعة ، فخرجوا من كل حذب ينسلون —
وأكثرهم النساء الساكنات بحارات المدابع وباب
اللووق وكوم الشيخ سلامة والفوالة والمناصرة

وقنطرة الأمير حسين وقلعة الكلاب ... الى أن
صاروا كالجراد المنتشر ، ولهم صياح وضجيج .

واجتمعوا بالأزيكية ووثقوا تحت بيت سارى
عسكر . فنزل لهم المترجمون ، واعتذروا بأن
سارى عسكر لا علم له بذلك الهدم ، ولم يأمر
به ، وانما أمر بمنع الدفن فقط ... فرجعوا الى
أماكنهم ، ورفع الهدم عنهم .

وفيه : كتبوا من المشايخ كتابا ليرسلوه الى
السلطان وآخر الى شريف مكة . ثم انهم بصموا
منه عدة نسخ ولصقوها بالطرق والمفارق .. وصورته
— ملخصا بعد الصدور — ذكر ورودهم وقتالهم
مع الممالك وهروبهم . وأن جماعة من العلماء
ذهبت اليهم بالبر الغربى فأمنوهم . وكذلك الرعية
دون الممالك . وذكروا فيه أنهم من أخصاء
السلطان العثمانى وأعداء أعدائه ، وأن السكة
والخطبة باسمه ، وشعائر الاسلام مقامة على ماهى
عليه . وباقيه بمعنى الكلام السابق ... من قولهم
انهم مسلمون وانهم يحترمون القرآن والنبي وأنهم
أوصلوا الحجاج المشتتين وأكرمواهم ، وأركبوا
الماشى ، وأطعموا الجيعان ، وسقوا العطشان ،
واعتنوا بيوم الزينة : يوم جبر البحر ، وعملوا له
شأنا ورونقا استجلابا لسرور المؤمنين ، وأنفقوا
أموالا برسم الصدقة على الفقراء . وكذلك اعتنوا
بالمولد النبوى ، وأنفقوا أموالا فى شأن انتظامه .
واتفق رأينا ورأيهم على لبس حضرة الجناح
المحترم مصطفى أغا كتخدا بكر باشا ، والى مصر
حالا . فاستحسننا ذلك لبقاء علفة الدولة العلية .
وهم أيضا مجتهدون فى اتمام مهمات الحرمين ،
وأمرونا أن نعلمكم بذلك والسلام .

وفيه : وقعت حادثة جزئية من جملة الجزئيات :
وهى أن رجلا صيرفيا بجوار حارة الجوانية وقع
من لفظه أنه قال : « السيد أحمد البدوى بالشرق
والسيد ابراهيم الدسوقي بالغرب يقتلان كل من



صراف بالقاهرة

وفيه : سافر أيضا جماعة من الفرنسيين الى جهة مراد بيك ومن معه والتقوا معهم وتراموا ساعة ثم انهزموا عنهم وأطمعوه في أنفسهم فتتبعوهم الى أسفل جبل اللاهون ثم خرجوا عليهم على مثل حالهم رجالا ، وتراموا معهم وأكمنوا لهم وثبتوا معهم ، وظهر عليهم المصريون وقتل من الفرنسيين مقتلة كبيرة .

وفيه : سقطت البوابة المصنوعة ببركة الأزيكية المقابلة لباب الهواء التي كانوا وضعوها في يوم عيدهم وقد تقدم شرحها ووصفها وسبب سقوطها أنهم لما منعوا الماء من دخوله للبركة ، وسدوا القنطرة — كما تقدم — علا الماء في أرض البركة ، وتخلخلت الأرض فسقطت تلك البوابة .

الجمعة ٢٤ منه (٥ أكتوبر ١٧٩٨ م) :

نبهوا على المشايخ والأعيان والتجار ومن حضر من الأقطار بالحضور الى الديوان العام

ير عليهما من النصارى » وكان هذا الكلام بحضور من النصارى الشوام فجأوبه بعضهم وأسمعه قبيح القول ووقع بينهما التشاجر . فقام النصارى وذهب الى دبوى وأخبره بالقصة . فأرسل وقبض على ذلك الصيرفي وجبسه وسمر حانوته ، وختم على داره . وتشفع فيه المشايخ عدة مرار . فأطلقوه بعد يومين ، وأرسلوه الى بيت الشيخ البكرى ليؤدب هناك بالضرب أو يدفع خمسمائة ريال فرانسه . فضرب مائة سوط ، وأطلق الى سبيله . وكذلك أفرجوا عن بقية المسجونين .

الاثنين ٢٠ منه (اول أكتوبر ١٧٩٨ م) :

طاف أصحاب الدرك على الأخطاط والوكائل فكتبوا أسماءها وأسماء البوابين وأمروهم ألا يسكنوا أحدا من الأغراب ولا يطلقوا أحدا يسافر بلا اذن من آغات مستحفظان .

الثلاثاء ٢١ منه (٢ أكتوبر ١٧٩٨ م) :

عمل المولد الحسينى وكان من العزم تركه في هذا العام ، فدرس بعض المنافقين دسيئة عند الفرنسيين .

وذلك أنه وقعت المذاكرة بأن من المعتاد أن يعمل المولد الحسينى بعد مولد النبى فقال بونايرته : « ولم لم يعملوه ؟ »

فقال ذلك المنافق : « غرض الشيخ السادات عدم عمله ، الا اذا حضر المسلمون » فبلغ الشيخ السادات ذلك فشرع في عمله على سبيل الاختصار ، وحضر صارى عسكر ، وشاهد الوقدة ، ورجع الى داره بعد العشاء .

وفيه : حضر علماء الاسكندرية وأعيانها كذلك رشيد ودمياط وبقية البنادر باستدعاء صارى عسكر ليحضروا الديوان الشارعين فيه ترتيب النظام الذى سبقت الاشارة اليه .

ومحكمة النظام بكرة تاريخه وذلك بيت مرزوق
بيك بحارة عابدين .

السبت ٢٥ منه (٦ أكتوبر ١٧٩٨ م) :

في صبحه أعادوا التنبيه بحضورهم بالديوان
القديم ببنت قائد أغا بالأزبكية .

فتوجه المشايخ المصرية ، والذين حضروا من
الثغور والبلاد . وحضر الوجاقات ، وأعيان التجار ،
ونصارى القبط والشوام ، ومدبرو الديوان من
الفرنسيين ، وغيرهم جمعا موفورا .

فلما استقر بهم الجلوس ، شرع مالطى القبطى ،
الذى عملوه قاضيا ، في قراءة فرمان الشروط وفي
المناقشة — فابتدر كبير المدبرين في اخراج طومار
آخر ، وناولوه للترجمان .. فنشره وقرأه .

وملخصه ومضمونه : الاخبار بأن قطر مصر هو
المركز الوحيد ، وأنه أخصب البلاد . وكان يجلب
اليه المتساجر من البلاد البعيدة ، وأن العلوم
والصنائع والقراءة والكتابة التى يعرفها الناس في
الدنيا : أخذت عن أجداد أهل مصر الأول .
ولكون قطر مصر بهذه الصفات ، طمعت الأمم في
تملكه : فملكه أهل بابل ، وملكه اليونانيون ،
والعرب ، والترك الآن . الا أن دولة الترك شددت
في خرابه ، لأنها اذا حصلت الثمرة ، قطعت عروقها
.. فلذلك لم يبقوا بأيدي الناس الا القدر اليسير ،
وصار الناس لأجل ذلك مختفين تحت حجاب الفقر ،
وقاية لأنفسهم من سوء ظلمهم .

ثم ان طائفة الفرنساوية — بعدما تمهد أمرهم ،
وبعد صيتهم بقيامهم بأمور الحروب — اشتاقت
أنفسهم لاستخلاص مصر مما هى فيه ، واراها
أهلها من تغلب هذه الدولة ، المفعنة جهلا وغباوة !
فقدموا وحصل لهم النصر . ومع ذلك لم يتعرضوا
لأحد من الناس ، ولم يعاملوا الناس بقسوة ، وأن
غرضهم تنظيم أمور مصر ، واجراء خلجانها التى

دثرت ، ويصير لها طريقان : طريق الى البحر الأسود
وطريق الى البحر الأحمر .. فيزداد خصبها وريعتها ،
ومنع القوى من ظلم الضعيف ، وغير ذلك ..
استجلابا لخواطر أهلها ، وإبقاء للذكر الحسن .
فالمناسب من أهلها ترك الشغب وإخلاص المودة ،
وأن هذه الطوائف المحضرة من الأقاليم يترتب على
حضورها أمور جليلة ، لأنهم أهل خبرة وعقل ..
فيسألون عن أمور ضرورية ، ويجيبون عنها فينتج
لنصارى عسكر من ذلك ما يليق صنعه ..

الى آخر ما سطروه من الكلام .

قلت : ولم يعجبني في هذا التركيب الا قوله :
« المفعنة جهلا وغباوة » بعد قوله : « اشتاقت
أنفسهم » . ومنها قوله بعد ذلك : « ومع ذلك لم
يتعرضوا لأحد » .. الى آخر العبارة .

ثم قال الترجمان : « نريد منكم يا مشايخ أن
تختاروا شخصا منكم يكون كبيرا ورئيسا عليكم ،
ممثلين أمره وإشارته » . فقال بعض الحاضرين :
« الشيخ الشرقاوى » . فقال : « نو ، نو ، وانما
ذلك يكون بالقرعة » . فعملوا قرعة بأوراق ، فطلع
الأكثر على الشيخ الشرقاوى .. فقال : « حينئذ
يكون الشيخ عبد الله الشرقاوى هو الرئيس » .
فما تم هذا الأمر حتى زالت الشمس ، فأذنوا لهم
في الذهاب ، وألزموهم بالحضور في كل يوم .

وفيه : وقعت كائنة الحاج محمد بن قيمو المغربى ،
التاجر الطرابلسى .. وهى أنه كان بينه وبين بعض
نصارى الشوام المترجمين منافسة ، فأنهى الى
عظماء الفرنسيين : أنه ذو مال ، وأنه شريك
عبد الله المغربى تابع مراد بيك . فأرسلوا بطلبه ،
فذهب الى بيت الشيخ عبد الله الشرقاوى —
لنساية بينهما — فقال الشيخ للقواصة المرسلين ،
بعد سؤالهم عن سبب طلبهم له ، فقالوا : « لدعوة
ليست شرعية » . فقال لهم : « في غد أحضروا
خصمه ، ويتداعى معه .. فان توجه الحق عليه

الزمناه بدفعه . فرجعت الرسل ، وتغيب الرجل لخوفه . فبعد مضي مقدار نحو ساعة ، حضر نحو الخمسين عسكريا من الفرنسيين الى بيت الشيخ وطالبوه به .. فأخبرهم أنه هرب . فلم يقبلوا غذره ، وألحوا في طلبهم ، ووقفوا بينادقهم ، وأرهبوا .. فركب المهدي والدواخلي الى صاري عسكر ، وأخبروه بالقضية وبهروب الرجل . فقال : « ولأى شئ يهرب ؟ » فقالوا : « من خوفه » . فقال : « لولا أن جرمه كبير لما هرب . وأتم غيبتوه » . وأظهر الحنق والغيط .. فإلفاه ، واستعظفا خاطر الترجمان .. فكلمه ، فسكن غيظه . ثم سأل عن منزله ومخزنه .. فأخبروه عنهما . فقال : « يذهب معكما من يختم عليهما ، حتى يظهر في غد » . فاطمأنوا لذلك ، ورجعوا عند الغروب ، وختموا على مخزنه ومنزله .

فلما أصبح النهار ، فلم يظهر الرجل ، أخذوا ما وجدوه فيهما من البضائع والأمانات .

الأحد ٢٦ منه (٧ أكتوبر ١٧٩٨ م) :

ذهبوا الى الديوان ، وعملوا مثل عملهم الأول ، حتى تمسوا أسماء المنتخبين بديوان مصر من الثغور والمشايخ والوجاقلية والقبط والشوام وتحار المسلمين . وذلك الترتيب غير ترتيب الديوان السابق .

الاثنين ٢٧ منه (٨ أكتوبر ١٧٩٨ م) :

اجتمعوا بالديوان ، ونادى المنادى في ذلك اليوم بالأسواق على الناس باحضارهم حجج أملاكهم الى الديوان والمهلة ثلاثون يوما ، فإن تأخر عن الثلاثين يضاعف المقرر . ومهلة البلاد ستون يوما .

ولما تكامل الجميع ، شرع مالطى في قراءة المنشور وتعداد ما به من الشروط مستور . وذكر

من ذلك أشياء : منها أمر المحاكم والقضايا الشرعية ، وحجج العقارات ، وأمر الموارث . وتناقشوا في ذلك حصة من الزمن ، وكتبوا هذه الأربعة أشياء .. أرباب ديوان الخاصة ، يدبرون رأيهم في ذلك ، وينظرون المناسب والأحسن ، وما فيه الراحة لهم وللرعية . ثم يعرضون ما دبروه يوم الخميس ، وما بين ذلك له مهلة . وانفض المجلس .

جمادى الأولى

الخميس مستهله (١١ أكتوبر ١٧٩٨ م) :

اجتمعوا بالديوان ومعهم ما لخصوه واستأصلوه في الجملة . فأما أمر المحاكم والقضايا فالأولى ابقاؤها على ترتيبها ونظامها . وعرفوهم عن كيفية ذلك ، ومثل ذلك ما عليه أمر محاكم البلاد . فاستحسنوا ذلك الا أنهم قالوا : يحتاج الى ضبط المحاصيل وتقريرها على أمر لا يتعداه القضاة ولا نوابهم . فقرروا ذلك : وهو أنه اذا كان عشرة آلاف فما دونها يكون على كل ألف ثلاثون نصفا ، واذا كان المبلغ مائة يكون على الألف خمسة عشر ، فإن زاد على ذلك فعشرة . واتفقوا على تقرير القضاة ونوابهم على ذلك .

وأما حجج العقارات فانه أمر شاق طويل الذيل . فالمناسب فيه والأولى أن يجعلوا عليها دراهم من بادیء الرأى ليسهل تحصيلها ، وبحسن عليها السكوت . ويكون المحصول أعلى وأدنى وأوسط ، وبينوا القدر المناسب بتفصيل الأماكن . وكتبوه وأبقوه حتى يرى الآخرون رأيهم فيه . وانفض الديوان .

وفيه : نودى في الأسواق بنشر الثياب والأمتعة خمسة عشر يوما ، وقيدوا على مشايخ الأخطاط والحارات والقلقات بالفحص والتفتيش ، فعينوا لكل حارة امرأة ورجلين يدخلون البيوت للكشف عن ذلك .

فتصعد المرأة الى أعلى الدار ، وتخبرهم عن صحة نشرهم الثياب ، ثم يذهبون بعد التأكد على أهل المنزل ، والتحذير من ترك الفعل .. وكل ذلك لذهاب العقولة الموجبة للطاعون . وكتبوا بذلك أوراقا ألصقوها بحيطان الأسواق ، على عاداتهم في ذلك .

وفيه : حضر الى بيت البكرى جم غفير من أولاد الكتائب والفقهاء والعميان والمؤذنين وأرباب الوظائف والمستحقين من الزمنى والمرضى بالمارستان المنصورى وأوقاف عبد الرحمن كتحدا ، وشكوا من قطع رواتبهم وخبزهم ، لأن الأوقاف تعطل لمرادها ، واستولى على نظارتها النصارى القبط والشوام وجعلوا ذلك مغنا لهم . فواعدهم على حضورهم الديوان ، وبنهوا شكواهم ، ويتشفع لهم .. فذهبوا راجعين .

وفيه : قدمت مراكب من جهة الصعيد وفيها عدة من العسكر مجروحون .

وفيه : وضعوا على التلال المحيطة بمصر ييارق بيضا ، فآثر الناس من اللفظ ، ولم يعلموا سبب ذلك .

الأحد ٤ منه (١٤ أكتوبر ١٧٩٨ م) :

اجتمعوا بالديوان وأخذوا فيما هم فيه فذكروا أمر المواريث .

فقال مالطى : « يا مشايخ أخبرونا عما تصنعونه فى قسمة المواريث » ، فأخبروه بفروض المواريث الشرعية .

فقال : « ومن أين لكم ذلك » . فقالوا : « من القرآن » . وتلوا عليهم بعض آيات المواريث . فقال الافرنج : « نحن عندنا لا نورث الولد ولورث البنت ، ونفعل كذا وكذا .. » بحسب تحسين عقولهم ، لأن الولد أقدر على التكسب من البنت .

فقال ميخائيل كحيل الشامى — وهو من أهل الديوان أيضا — « نحن والقبط يقسم لنا مواريثنا المسلمون » . ثم التمسوا من المشايخ أن يكتبوا لهم كيفية القسمة ودليلها .. فسايروهم ، ووعدوهم بذلك ، وانفضوا .

وفيه : عزلوا محمداغا المسلمانى أغات مستحفظان وجعلوه كتحدا أمير الحج ، واستقروا بمصطفى أغا — تابع عبد الرحمن أغا مستحفظان سابقا — عوضا عنه ، ونودى بذلك .

الاثنين ٥ منه (١٥ أكتوبر ١٧٩٨ م) :

عملوا لهم ديوانا وكتبوا لهم كيفية قسمة المواريث وفروض القسمة الشرعية وحصص الورثة ، والآيات المتعلقة بذلك . فاستحسنوا ذلك .

السبت ١٠ منه (٢٠ أكتوبر ١٧٩٨ م) :

عملوا الديوان وأحضروا قائمة مقررات الأملاك والعقار : فجعلوا على الأعلى ثمانية فرانسة ، والأوسط ستة ، والأدنى ثلاثة . وما كان أجرته أقل من ريال فى شهر فهو معافى . وأما الوكائل والخانات والحمامات والمعاصر والسيارج والحوانيت فمنها ما جعلوا عليه ثلاثين وأربعين بحسب الخسة والرواج والاتساع . وكتبوا بذلك مناشير على عاداتهم وألصقوها بالمفارق والطرق ، وأرسلوا منها نسخا للأعيان ، وعينوا المهندسين ، ومعهم أشخاص لتمييز الأعلى من الأدنى . وشرعوا فى الضبط والاحصاء (١) ، وطافوا ببعض الجهات لتحرير القوائم ، وضبط أسماء أربابها .

ولما أشيع ذلك فى الناس ، كثر لعظهم واستعظموا ذلك ، والبعض استسلم للقضاء . فانتبذ جماعة من العامة وتناجوا فى ذلك . ووافقهم على ذلك

(١) انفض الديوان دون أن يستطيع تخفيف فداحة الضرائب التى استحدثها الفرنسيون : لذلك لم يكف ينفذ حتى نسبت له الثورة فى القاهرة .
(عبد الرحمن الرافعى - الحركة القومية ج ١ ص ١١٧)



معركة في شوارع القاهرة

بعض المتعمسين (١)، الذي لم ينظر في عواقب الأمور، ولم يتفكر أنه في القبضة مأسور فتجمع الكثير من الغوغاء من غير رئيس يسوسهم ولا قائد يقودهم!

الأحد ١١ منه (٢١ أكتوبر ١٧٩٨ م):

أصبحوا متحزبين، وعلى الجهاد عازمين، وبرزوا ما كانوا أخفوه من السلاح وآلات الحرب والكفاح. وحضر السيد بدر، وصحبته حشرات الحسينية، وزعر الحارات البرانية. ولهم صياح عظيم وهول جسيم ويقولون بصياح في الكلام: نصر الله دين الاسلام. فذهبوا الى بيت قاضي العسكر وتجمعوا وتبعهم مبن على شاكلتهم نحو الألف والأكثر. فخاف القاضي العاقبة وأغلق أبوابه وأوقف حجابيه، فرجموه بالحجارة والطوب وطلب الهرب فلم يمكنه الهروب. وكذلك اجتمع بالأزهر العالم الأكبر.

وفي ذلك الوقت حضر دبوي بطائفة من فرسانه وعساكره وشجعانه، فمر بشارع الغورية، وعطف على خط الصناديق وذهب الى بيت القاضي، فوجد ذلك الزحام فخاف وخرج من بين القصرين وباب الزهومة، وتلك الأخطاط بالخلائق مزحومة، فبادروا اليه وضربوه وأثخنوا جراحاته وقتل الكثير من فرسانه وأبطاله وشجعانه. فعند ذلك أخذ المسلمون حذرهم، وخرجوا يهرعون ومن كل حدب ينسلون، ومسكوا الأطراف الدائرة بمعظم أخطاط القاهرة: كباب الفتوح وباب النصر والبرقية الى باب زويلة وباب الشعرية وجهة البندقيين

(١) كان من هؤلاء المتعمسين بعض مسايخ الأزهر الذين اغضبهم عدم اشراك بونايرت اياهم في منظمات الحكومة «الوطنية» الجديدة ومؤسساتها. وفضلا من ذلك فقد أصدر السلطان فرمانا يحرض المسلمين على القيام ضد الكفرة الفرنسيين. كما أن زعيمى الماليك «مراد وابراهيم» ظلا يبعثان بالرسل الى الأزهر لتحريك الفتنة.

(دكتور فؤاد شكرى - عبد الله جاك مينو ص ١١٢)

وما حاذها، ولم يتعدوا جهة سواها، وهدموا مساطب الحوانيت، وجعلوا أحجارها متاريس للكرنكة، لتعوق هجوم العدو في وقت المعركة. ووقف دون كل متراس جمع عظيم من الناس. وأما الجهات البرانية والنواحي الفوقانية فلم يفرع منها فارع، ولم يتحرك منها أحد ولم يسارع، وكذلك شذ عن الوفاق مصر العتيقة وبولاق، وعذرهم الأكبر قربهم من مساكن العسكر.

ولم تزل طائفة المحاربين في الأزقة مترسين. فوصل جماعة من الفرنساوية، وظهروا من ناحية المناخية وبنشقوا على متراس الشوائين، وبه جماعة من مغاربة الفحامين، فقاتلهم حتى أجلوهم، وعن المناخية أزالوهم.

وعند ذلك زاد الحال، وكثر الرجف والزلال، وخرجت العامة عن الحد، وبالغوا في القضية بالعكس والطرء، وامتدت أيديهم الى النهب والخطف والسلب... فهجموا على حارة الجوانية،

النازل ، ويمنع عسكريه من الرمي المتراسل ، ويكفهم
— كما انكف المسلمون — عن القتال . والحرب
خدعة وسجال !

فلما ذهبوا اليه ، واجتمعوا عليه — عاتبهم في
التأخير ، واتهمهم بالتقصير . فاعتذروا اليه ، فقبل
عذرهم ، وأمر برفع الرمي عنهم . وقاموا من عنده
وهم ينادون بالأمان في المسالك .

وتسامع الناس بذلك ، فردت فيهم الحرارة ،
وتسابقوا لبعضهم بالبشارة ، واطمأنت منهم
القلوب — وكان الوقت قبل الغروب — وانقضى
النهار ، وأقبل الليل ، فغلب على الظن أن القضية
لها ذيل .

وأما أهل الحسينية والعطوف البرابية ، فلم يزالوا
مستمرين ، وعلى الرمي والقتال ملازمين . ولكن
خانهم المقصود ، وفرغ منهم البارود . والأفرنج
أثخنوهم بالرمي المتتابع .. بالقنابر والمدافع .
الى أن مضى من الليل نحو ثلاث ساعات ، وفرغت
من عندهم الأدوات ، فعجزوا عن ذلك ، وانصرفوا .
وكف عنهم القوم وانصرفوا .

وبعد هجمة من الليل ، دخل الأفرنج المدينة
كالسيل ، ومروا في الأزقة والشوارع ، لا يوجد
لهم ممانع ... كأنهم الشياطين أو جنـد ابليس ،
وهدموا ما وجدوه من المتاريس . ودخل طائفة من
باب البرقية ، ومشوا الى الغورية ، وكروا ،
ورجعوا ، وترددوا ، وما هجموا . وعلموا باليقين
أن لا مدافع لهم ولا كمين . وتراسلوا أرسالا — ركبانا
ورجالا — ثم دخلوا الى الجامع الأزهر ، وهم راكبون
الخيول ، وبينهم المشاة كالوعول . وتفوقوا بصحنه
ومقصورته ، وربطوا خيولهم بقبلته ، وعاثوا
بالأروقة والحارات ، وكسروا القناديل والسهارات ،
وهشموا خزائن الطلبة والمجاورين والكتبة ، ونهبوا
ما وجدوه من المتاع والأواني والقصاصع والودائع

ونهبوا دور النصارى الشوام والأروام وما جاورهم
من بيوت المسلمين على التمام ، وأخذوا الودائع
والأمانات ، وسبوا النساء والبنات ، وكذلك نهبوا
خان الملايات وما به من الأمتعة والموجودات .
وأكثروا من المعاييب ، ولم يفكروا في العواقب ..
وباتوا تلك الليلة سهرانين ، وعلى هذا الحال
مستمين .

وأما الأفرنج فانهم أصبحوا مستعدين (١) وعلى
تلال البرقية والقلعة واقفين ، وأحضروا جميع الآلات
من المدافع والقنابر والبنات ، ووقفوا مستحضرين
ولأمر كبيرهم منتظرين .

وكان كبير الفرنسيين أرسل الى المشايخ مراسلة
فلم يجيبوه عنها ، ومل من المطاولة . هذا والرمي
متتابع من الجهتين ، وتضاعف الحال ضعفين ...
حتى مضى وقت العصر ، وزاد القهر والحضر . فعند
ذلك ضربوا بالمدافع والبنات على البيوت
والحارات ، وتعمدوا بالخصوص الجامع الأزهر ،
وجرروا عليه المدافع والقنابر ، وكذلك
ما جاوره من أماكن المحاربين : كسوق الغورية ،
والفحامين . فلما سقط عليهم ذلك ورأوه ، ولم
يكونوا في عمرهم عابثوه ، نادوا : « ياسلام من هذه
الآلام ، باخفى الألفاف نجنا مما نخاف ! » . وهربوا
من كل سوق ، ودخلوا في الشقوق . وتتابع الرمي
من القلعة والكيما . حتى تزعزعت الأركان ،
وهدمت في مرورها حيطان الدور ، وسقطت في
بعض القصور ، ونزلت في البيوت والوكائل ،
وأصمت الآذان بصوتها الهائل .

فلما عظم هذا الخطب ، وزاد الحال والكرب ...
ركب المشايخ الى كبير الفرنسيين ليرفع عنهم هذا

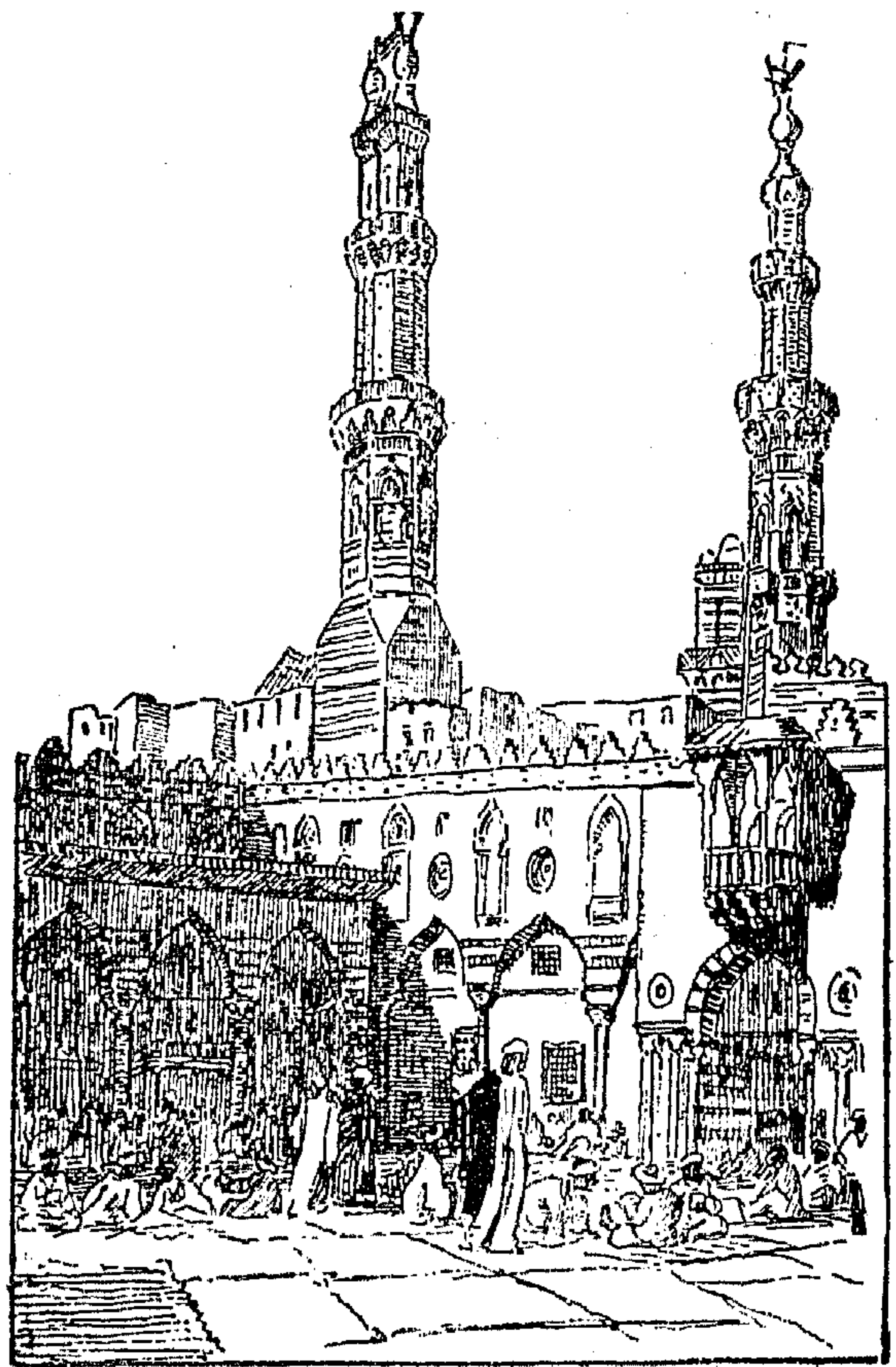
(١) صدرت التعليمات الى الجنرال " بون " لمهاجمة
حى الأزهر ، واطلاق مدافعه على الجامع الأزهر اذا اقتضى الأمر
ذلك . كما عهد الى الجنرال دومارتان بمهاجمة الجامع وقطع
السبل المؤدية اليه .

(دكتور نؤاد شكرى — عهد الله جاله مينو ص ١١٢)

تلك الجهة يهرعون ، وللنجاة بأنفسهم طالبون .
 وانتهكوا حرمة تلك البقعة بعد أن كانت أشرف
 البقاع ، ويرغب الناس في سكنها ويودعون عند
 أهلها ما يخافون عليه الضياع . والفرنساوية لا يبرون
 بها الا في النادر ، ويحترمونها عن غيرها في الباطن
 والظاهر . فانقلب بهذه الحركة منها الموضوع ،
 وانخفض — على غير القياس — المرفوع . ثم
 ترددوا في الأسواق ، ووقفوا صفوفا مثينا وألوقا .
 فان مر بهم أحد فتشوه ، وأخذوا مامعه ، وربما
 قتلوه . ورفعوا القتلى والمطروحين من الافرنج
 والمسلمين ، ووقف جماعة من الفرنسيين ، ونظفوا
 مراكز المتاريس ، وأزالوا ما بها من الأتربة والأحجار
 المتراكمة ، ووضعوها في ناحية ، لتصير طرق المرور
 خالية .

وتحزبت نصارى الشوام ، وجماعة أيضا من
 الأروام الذين انتهت دورهم بالحارة الجوانية ،
 ليشكوا لكبير الفرنسيين مالحقهم من الرزية .
 واغتنموا الفرصة في المسلمين ، وأظهروا ما هو
 بقلوبهم كمين ، وضربوا فيهم المضارب ، وكأنهم
 شاركوا الافرنج في النوائب ! وما قصدهم المسلمون
 ونهبوا مالهديهم الا لكونهم منسوين اليهم ... مع
 أن المسلمين الذين جاورهم ، نهبهم الزعر أيضا
 وسلبوهم . وكذلك خان الملايات المعلوم ، الذي
 عند باب حارة الروم ، وفيه بضائع المسلمين ،
 وودائع الغائبين .. فسكت المصاب على غصته ،
 واستعوض الله في قضيته ، لأنه ان تكلم لاتسمع
 دعواه ، ولا يلتفت الى شكواه !

واتدب برطلمين للعسس على من حمل السلاح
 أو اختلس ، وبث أعوانه في الجهات ، يتجسسون
 في الطرقات ، فيقبضون على الناس بحسب
 أغراضهم ، وما ينهيه النصارى من أبغاضهم ،
 فيحكم فيهم بمراده ، ويعمل برأيه واجتهاده ،



الجامع الأزهر

والمخبات بالدواليب والخزانات ، ودشتوا الكتب
 والمصاحف ، وعلى الأرض طرحوها ، وبأرجلهم
 ونعالهم داسوها . وأحدثوا فيه وتغوطوا ، وبالوا
 وتمخطوا ، وشربوا الشراب وكسروا أوانيهم ،
 وألقوها بصحنه ونواحيه ، وكل من صادفوه به
 عروه ، ومن ثيابه أخرجوه !

الثلاثاء ١٣ منه (٢٣ أكتوبر ١٧٩٨ م) :

في الصباح اصطف منهم حزب بباب الجامع ...
 فكل من حضر للصلاة يراهم فيكر راجعا ويسارع .
 وتفرقت طوائفهم بتلك النواحي أفواجا ، واتخذوا
 السعى والطواف بها منهاجا ، وأحاطوا بها احاطة
 السوار ، ونهبوا بعض الديار بحجة التفتيش على
 النهب وآلة السلاح والضرب . وخرج سكان

ويأخذ منهم الكثير ، ويركب في موكبه ويسير ...
وهم موثقون بين يديه بالحبال ، ويسحبهم الأعوان
بالقهر والنكال ، فيودعونهم السجون ،
ويطالبونهم بالتهوبات ، ويقررونهم بالعقاب
والضرب ، ويسألونهم عن السلاح وآلات الحرب .
ويدل بعضهم على بعض ، فيضعون على المدلول
عليهم أيضاً القبض .

وكذلك فعل مثل ما فعله ... اللعين الأغا ،
وتجبر في أفعاله وطعا . وكثير من الناس ذبحوهم ،
وفي بحر النيل قذفوهم .

ومات في هذين اليومين ، وما بعدها ، أمم
كثيرة لا يحصى عددها الا الله . وطال بالكفرة بغيهم
وعنادهم ، ونالوا من المسلمين قصدهم ومرادهم .

الأربعاء ١٤ منه (٢٤ أكتوبر ١٧٩٨ م) :

في الصباح ركب المشايخ أجمع ، وذهبوا لبيت
صاري عسكرو قابلوه ، وخاطبوه في العفو ولاطفوه .
والتمسوا منه أمافا كافيا ، وعفوا ينادون به باللغتين
شافيا ، لتطمئن بذلك قلوب الرعية ، ويسكن روعهم
من هذه الرزية . فوعدهم وعدا مشوبا بالتسويق ،
وطالبهم بالتبيين والتعريف
عن تسبب من المتعممين في
اثارة العوام ، وحرصهم على
الخلاص والقيام فغالطوه عن
تلك المقاصد . فقال على لسان
الترجمان : نحن نعرفهم
بالواحد . فخرجوا عنده في
اخراج العسكر من الجامع
الأزهر ، فأجابهم لذلك
السؤال ، وأمر باخراجهم في
الحال .

وأبقوا منهم السبعين ،
أسكنوهم في الخطبة
ترجمان باللباس الرسمية



كالضابطين ، ليكونوا للأمور كالراصدين ،
وبالأحكام متقيدين .

ثم انهم فحصوا على المتهمين في اثارة الفتنة .
فطلبوا الشيخ سليمان الجوسقي — شيخ طائفة
العيان — والشيخ أحمد الشراوى ، والشيخ
عبد الوهاب الشبراوى ، والشيخ يوسف المصليحي ،
والشيخ اسماعيل البراوى ، وحبسوهم ببيت
البكرى . وأما السيد بدر المقدسى ، فانه تغيب
وسافر الى جهة الشام ، وفحصوا عليه فلم يجدوه .
وتردد المشايخ لتخليص الجماعة المعوقين ...
فغولطوا .

واتهم أيضا ابراهيم أفندى كاتب البهار ، بأنه
جمع له جمعا من الشطار ، وأعطاهم الأسلحة
والمساوق — وكان عنده عدة من الماليك المخفين ،
والرجال المعدودين — فقبضوا عليه ، وحبسوه
ببيت الأغا .

الأحد ١٨ منه (٢٨ أكتوبر ١٧٩٨ م) :

توجه شيخ السادات وباقي المشايخ الى بيت
صاري عسكر الفرسييس ، وتشفعوا عنده في
الجماعة المسجونين ببيت الأغا وقائمقام والقلعة .
فقال لهم : « وسعوا بالكم ولا تستعجلوا » .
فقاموا وانصرفوا .

وفيه : نادوا في الأسواق بالأمان ، ولا أحد
يشوش على أحد .. مع استمرار القبض على
الناس ، وكبس البيوت بأدلى شبهة . ورد بعضهم
الأمته التي نهبت للنصارى .

وفيه : توسط عمر القلقجي لمغاربة الفجامين ،
وجمع منهم ومن غيرهم عدة وافرة ، وعرضهم على
صاري عسكر . فاختر منهم الشباب وأولى القوة ،
وأعطاهم سلاحا وآلات حرب ، ورتبهم عسكرا
— ورئيسهم عمر المذكور — وخرجوا وأمامهم
الطبل الشامي على عادة عسكر المغاربة ، وسافروا

الخميس ٢٢ منه (اول نوفمبر ١٧٩٨ م) :
سافر عدة من المراكب نحو الأربعين بها عسكر
الفرنسيين الى جهة بحرى .

السبت ٢٤ منه (٣ نوفمبر ١٧٩٨ م) :
فى هذه الليلة حضر هجان من ناحية الشام ،
وعلى يده مكاتبات : وهى صورة فرمان وعليه طرة ،
ومكتوب من أحمد باشا الجزائر ، وآخر من بكر باشا
الى كتخدائه مصطفى بيك ، ومكتوب من ابراهيم
بيك خطابا للمشايخ .. وذلك كله بالعربى .
ومضمون ذلك — بعد براعة الاستهلال والآيات
القرآنية والأحاديث ، والآثار المتعلقة بالجهاد ،
ولعن طائفة الأفرنج ، والخط عليهم ، وذكر عقيدتهم
الفاسدة ، وكذبهم وتحيلهم .. وكذلك بقية
المكاتبات بمعنى ذلك — فأخذها مصطفى بيك
كتخدا ، وذهب بها الى صارى عسكر .

فلما اطلع عليها ، قال : « هذا تزوير من ابراهيم
بيك ، ليوقع بيننا وبينكم العداوة والمشاحنة . وأما
أحمد باشا فهو رجل فضولى لم يكن واليا بالشام
ولا مصر ... لأن والى الشام ابراهيم باشا ، وأما
والى مصر فهو عبد الله باشا ابن العظم ، الذى هو
الآن والى الشام . فأنا أعلم بذلك ، وسيأتى
بعد أيام والى ويقيم معه ، كما كانت الممالك مع
الولاة » .

وورد خبر أيضا بانفصال محمد باشا عزت عن
الصدارة . وعزل كذلك أنصار من رجال الدولة .

وفى مدة هذه الأيام ... بطل الاجتماع بالديوان
المعتاد ، وأخذوا فى الاهتمام بتحسين النواحي
والجهات ، وبنوا أبنية على التلول المحيطة بالبلد ،
ووضعوا بها عدة مدافع وقنابر ، وهدموا أماكن
بالجيزة ، وحصنوها تحصينا زائدا ، وكذلك مصر
العتيقة ونواحي شبرا . وهدموا عدة مساجد :
منها المساجد المجاورة لقنطرة انبابة الرمة ، ومسجد

الى جهة بحرى ... بسبب أن بعض البلاد قام على
عسكر الفرنسيات وقت الفتنة .. وقتلوههم ،
وضربوا أيضا مركبين /بها عدة من عساكرهم
فحاربوهم وقتلوههم .

فلما ذهب أولئك المغاربة سكنوا الفتنة وضربوا
عشما (١) وقتلوا كبيرها — المسمى بابن شعير — ولهبوا
داره ومتاعه وماله وبهائمه — وكان شيئا كثيرا
جدا — وأحضروا اخوته وأولاده وقتلوههم ، ولم
يتركوا منهم سوى ولد صغير جعلوه شيخا عوضا
عن أبيهم .

وسكن العسكر المغربى بدار عند باب سعادة ،
ورتبوا لهم من الفرنسيين جماعة يأتون اليهم فى
كل يوم ، ويدربونهم على كيفية حربهم وقانونهم ،
ومعنى اشاراتهم فى مصافاتهم . فيقف المعلم —
والمعلمون مقابلون له صفا وبأيديهم بنادقهم —
فيشير اليهم بالفاظ بلغتهم ، كأن يقول :
« مردبوش » ، فيرفعونها قابضين بأكفهم على
أسافلها ، ثم يقول : « مرش » ، فيمشون صفوفًا ...
الى غير ذلك .

وفيه : سافر برطلمين الى ناحية سرياقوس ،
ومعه جملة من العسكر بسبب الناس الفارين الى
جهة الشرق .. فلم يدركهم ، وأخذ من فى البلاد ،
وعسف فى تحصيلها ، ورجع بعد أيام .

الأربعاء ٢١ منه (٣١ أكتوبر ١٧٩٨ م) :

خاطب الشيخ محمد المهدي صارى عسكر فى
أمر ابراهيم أفندى كاتب البهار ، وتلطف به عمونة
بوسليك المعروف بمدير الحدود — وهو عبارة عن
الروزنامجى — ونقله من بيت الأغا الى داره وطلبوا
منه قائمة كشف عما يتعلق بالممالك بدفتر البهار .

(١) هى الات تابعة لمركز الشهداء منوفية .

المقس — المعروف الآن بأولاد عنان — على الخليج
الناصرى بباب البحر .. وقطعوا نخيلاً كثيراً
وأشجاراً، لعمل الحصون والمتاريس ، وهدموا
جامع الكازرونى بالروضة ، وأشجار الجيزة التى
عند أبى هريرة ... قطعوها ، وحفروا هناك خنادق
كثيرة ... وغير ذلك . وقطعوا نخيل جهة الحلى
وبولاق ، وخربوا دوراً كثيرة ، وكسروا شبايكها
وأبوابها ، وأخذوا أخشابها لاحتياج العمل ،
والوقود ، وغير ذلك

الاحد ٢٥ منه (٤ نوفمبر ١٧٩٨ م) :

حضر جماعة من عسكر الفرنسيس الى بيت
البكرى نصف الليل ، وطلبوا المشايخ المحبوسين
عند صارى عسكر ليتحدث معهم . فلما صاروا
خارج الدار وجدوا عدة كبيرة فى انتظارهم فقبضوا
عليهم وذهبوا بهم الى بيت قائمقام بدرب الجمايز —
وهو الذى كان به دبوى قائمقام المقتول ، وسكنه
بعده الذى تولى مكانه — فلما وصلوا بهم هناك
عروهم من ثيابهم وصعدوا بهم الى القلعة ..
فسجنوهم الى الصباح ، فأخرجوهم وقتلوهم
بالبنادق ، وألقوهم من السور خلف القلعة
وتغيب حالهم عن أكثر الناس أياماً .

وفى ذلك اليوم : ركب بعض المشايخ الى مصطفى
بيك ، كتخدا الباشا ، وكلموه فى أن يذهب معهم
الى صارى عسكر ، ويشفع معهم فى الجماعة
المذكورين ... فلما منهم أنهم فى قيد الحياة . فركب
معهم اليه ، وكلموه فى ذلك ، فقال لهم الترجمان :
« اصبروا ما هذا وقته » ! وتركهم ، وقام ليذهب
فى بعض أشغاله . فنهض الجماعة أيضاً وركبوا
الى دورهم .

الثلاثاء ٢٧ منه (٦ نوفمبر ١٧٩٨ م) :

حضر عدة من عسكر الفرنسيس ووقفوا بحارة

الأزهر فتخيل الناس منهم المكروه ، ووقعت فيهم
كرشة ، وأغلقوا الدكاكين ، وتسابقوا الى الهروب
وذهبوا الى البيوت والمساجد . واختلفت آراؤهم ،
ورأوا فى ذلك أقضية بحسب تخمينهم وظنهم
وفساد مخيلهم . فذهب بعض المشايخ الى
صارى عسكر وأخبروه بذلك ، وتخوف الناس .
فأرسل اليهم وأمرهم بالذهاب .. فذهبوا
وتراجع الناس ، وفتحوا الدكاكين ، ومر الأغا
والوالى وبرطلمين ينادون بالأمان . وسكن الحال
وقيل أن بعض كبرائهم حضر عند القلق الساكن
بالمشهد ، وجلس عنده حصة وهؤلاء كانوا أتباعه
ووقفوا ينتظرونه ولعل ذلك قصداً للتخويف
والإرهاب خشية من قيام فتنة لما أشيع قتل المشايخ
المذكورين . وهو الأرجح .

وفيه : كتبوا أوراقاً وألصقوها بالأسواق
تضمن العفو والتحذير من إثارة الفتنة ، وأن من
قتل من المسلمين فى نظير من قتل من الفرنسيس .
وفيه : شرعوا فى احصاء الأملاك والمطالبة
بالمقرر . فلم يعارض فى ذلك معارض ، ولم يتفوه
بكلمة . والذى لم يرض بالتوت يرضى بحطبه !

وفيه أيضاً : قلعوا أبواب الدروب والحارات
الصغيرة غير النافذة ، وهى التى كانت تركت
وسومح أصحابها ، وبرطلوا عليها ، وصالحوا
عليها قبل الحادثة ، وبرطلوا القلقات والوسايط
على إبقائها ، وكذلك دروب الحسينية . فلما
انقضت هذه الحادثة ، ارتجعوا عليها وقلعوها
ونقلوها .. الى ما جمعوها من البوابات بالأزبكية .
ثم كسروا جميعها وفصلوا أخشابها ، ورفعوا بعضها
على العربات الى حيث أعمالهم بالنواحي والجهات .
وباعوا بعضها حطباً للوقود ، وكذلك ما بها من
الحديد وغيره .

الخميس ٢٩ منه (٨ نوفمبر ١٧٩٨ م) :

هجم المنسر على بوابة سوق طولون وكسروها ،
وعبروا منها الى السوق فكسروا القناديل وفتحوا
ثلاثة حوانيت وأخذوا ما بها من متاع المغاربة
التجار ، وقتلوا القلق الذى هناك ، وخرجوا
بدون مدافع ولا منازع !

وفيه : ذهب المشايخ الى صارى عسكر
وتشفعوا فى ابن الجوسقى شيخ العيان الذى قتل
أبوه — وكان معوقا ببيت البكرى — فشفعهم
فيه وأطلقوه .

جمادى الآخرة

السبت مستهله (١٠ نوفمبر ١٧٩٨ م) :

كتبوا عدة أوراق على لسان المشايخ وأرسلوها
الى البلاد وألصقوا منها نسخا بالأسواق
والشوارع (١) . وصورتها :

« نصيحة من كافة علماء الاسلام بمصر المحروسة :
نعوذ بالله من الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، ونبرأ
الى الله من الساعين فى الأرض بالفساد .. نعرف
أهل مصر المحروسة من طرف الجعديّة وأشرار
الناس .. حركوا الشرور بين الرعية وبين العساكر
الفرنساوية ، بعد ما كانوا أصحابا وأحبابا بالسوية .
وترتب على ذلك قتل جملة من المسلمين ، ونهبت
بعض البيوت . ولكن حصلت ألطاف الله الخفية ،
وسكنت الفتنة بسبب شفاعتنا عند أمير الجيوش
بونابرتة . وارتفعت هذه البلية .. لأنه رجل كامل
العقل ، عنده رحمة وشفقة على المسلمين ، ومحبة
الى الفقراء والمساكين ! ولولاه لكانت العساكر
أحرقت جميع المدينة ، ونهبت جميع الأموال ،
وقتلوا كامل أهل مصر .

(١) عبارة « على لسان المشايخ » لا يفهم منها ان المشايخ قد
كتبوها حقاً ، او أفردوها ... فاذا كانوا قد كتبوها ، فلا بارك الله
فيهم ولا في أمثالهم !

« فعليكم ألا تحركوا الفتن ، ولا تطيعوا أمر
المفسدين ، ولا تسمعوا كلام المناققين ، ولا تتبعوا
الأشرار ، ولا تكونوا من الخاسرين .. سفهاء
العقول الذين لا يقرأون العواقب .. لأجل أن
تحفظوا أوطانكم ، وتطمئنوا على عيالكم وأديانكم
فان الله سبحانه وتعالى يؤتى ملكه من يشاء ،
ويحكم ما يريد !

« ونخبركم أن كل من تسبب فى تحريك هذه
الفتنة .. قتلوا عن آخرهم ! وأراح الله منهم العباد
والبلاد .

« ونصيحتنا لكم : ألا تلقوا بأيديكم الى
التهلكة ، واشتغلوا بأسباب معاشكم وأمور
دينكم ، وادفعوا الخراج الذى عليكم .. والدين
النصيحة ، والسلام !

وفيه : أمروا بقية السكان على بركة الأزبكية
وما حولها بالنقلة من البيوت ليسكنوا بها جماعتهم
المتباعدين منهم ليكون الكل فى حومة واحدة .
وذلك لما داخلهم من المسلمين .. حتى أن الشخص
منهم صار لا يمشى بدون سلاح ، بعد أن كانوا
من حين دخولهم البلد لا يمشون به أصلاً الا
لغرض . والذى لم يكن معه سلاح يأخذ فى يده
عصا أو سوطاً أو نحو ذلك .

وتنافرت قلوبهم من المسلمين ، وتحذروا منهم .
وانكف المسلمون عن الخروج والمرور بالأسواق
من الغروب الى طلوع النهار .

ومن جملة من انتقل من الدرب الأحمر الى
الأزبكية : كقرلى المسمى بأبى خشبة ، وهو يمشى
بها بدون معين ، ويصعد الدرج ، ويهبط منها
أسرع من الصحيح ، ويركب الفرس ويرمحه ،
وهو على هذه الحالة ، وكان من جملة المشار اليهم
فيهم ، والمدير لأمور القلاع وصفوف الحروب ،
ولهم به عناية عظيمة واهتمام زائد .

كان يسكن بيت مصطفى كاشف طرا . وفى وقت

الحادثة هجمت على الدار .. العامة ، ونهبوها وقتلوا منها بعض الفرنسيات وفر الباقيون . فأخبروا من بالقلعة الكبيرة . فنزل منهم عدة وافرة ، وقف بعضهم خارج الدار بعد أن طردوا المزدحمين ببابها



تفري

وضربوهم بالبندق ، ودخل الباقيون فقتلوا من وجدوه بها من المسلمين ، وكانوا جملة كثيرة . وكان بتلك الدار شيء كثير من آلات الصنائع والنظارات الغربية ، والآلات الفلكية والهندسية ، والعلوم الرياضية ، وغير ذلك مما هو معدوم النظر .. كل آلة لا يعرف قيمتها الا من يعرف صنعها ومنفعتها .. فبدد ذلك كله العامة ، وكسروه قطعاً ، وصعب ذلك على الفرنسيين جداً . وقاموا مدة طويلة يفحصون عن تلك الآلات ، ويجعلون لمن يأتيهم بها عظيم الجعالات . ومن قتل في وقعة هذه الدار ، الشيخ محمد الزهار .

الأربعاء ٥ منه (١٤ نوفمبر ١٧٩٨ م) :

أخرجوا عن ابراهيم أفندي كاتب البهار وتوجه الى بيته .

السبت ٨ منه (١٧ نوفمبر ١٧٩٨ م) :

قتلوا أربعة أنفار من القبط منهم اثنان من التجارين قيل انهم سكرروا في الحمار ومروا في سكرهم وفتحوا بعض الدكاكين وسرقوا منها أشياء

وقد تكرر منهم ذلك عدة مرات ، فاغتاز بذلك القبطة ..

وفيه : كتبوا عدة أوراق وأرسلوا منها نسخاً للبلاد وألصقوا منها بالأخطاط والأسواق وذلك على لسان المشايخ أيضاً ولكن تزيد صورتها عن الأولى .

وصورتها :

« نصيحة من علماء الاسلام بمصر المحروسة : نخبركم يا أهل المدائن والأمصار من المؤمنين ، وياسسكان الأرياف والعربان والفلاحين ، أن ابراهيم بيك ومراد بيك ، وبقية دولة الممالك ، أرسلوا عدة مكاتبات ومخاطبات الى سائر الأقاليم المصرية لأجل تحريك الفتنة بين المخلوقات ، وادعوا أنها من حضرة مولانا السلطان ومن بعض وزرائه بالكذب والبهتان . وبسبب ذلك حصل لهم شدة الغم والكرب الزائد واغتازوا غيظاً شديداً من علماء مصر ورعاياها حيث لم يوافقوهم على الخروج معهم ، ويتركوا عيالهم وأوطانهم . فأرادوا أن يوقعوا الفتنة والشر بين الرعية والعسكر الفرنسيين .. لأجل خراب البلاد ، وهلاك كامل الرعية .. وذلك لشدة ما حصل لهم من الكرب الزائد بذهاب دولتهم وحزمانهم من مملكة مصر المحمية . » ولو كانوا في هذه الأوراق صادقين بأنها من حضرة سلطان السلاطين لأرسلها جهازاً مع أغوات معينين .

« ونخبركم أن الطائفة الفرنسية — بالخصوص عن بقية الطوائف الأفرنجية — دائماً يحبون المسلمين وملتهم ! ويبغضون المشركين وطبيعتهم .. أحباب لمولانا السلطان ، قائمين بنصرته ، وأصدقاء له ملازمون لمودته وعشرته ومعوقته : يحبون من والاه ويبغضون من عاداه . ولذلك بين الفرنسيين والمسكوف غاية العداوة الشديدة ، من أجل عداوة المسكوف القبيحة الرديئة !

« والطائفة الفرنساوية يعاونون حضرة السلطان على أخذ بلادهم ان شاء الله تعالى ، ولا يقون منهم بقية .

« فننصحكم أيها الأقاليم المصرية أنكم لا تحركوا الفتن ولا الشرور بين البرية ، ولا تعارضوا العساكر الفرنساوية بشيء من أنواع الأذية ، فيحصل لكم الضرر والهلاك ، ولا تسمعوا كلام المفسدين ، ولا تطيعوا أمر المسرفين .. الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين . وانما عليكم دفع الخراج المطلوب منكم لكامل الملتزمين لتكونوا بأوطانكم سالمين ، وعلى أموالكم وعيالكم آمنين مطمئنين .. لأن حضرة صارى عسكر الكبير أمير الجيوش .. بونايرته اتفق معنا على أنه لا ينازع أحدا في دين الاسلام ، ولا يعارضنا فيما شرعه الله من الأحكام ، ويرفع عن الرعية سائر المظالم ، ويختصر على أخذ الخراج ، ويزيل ما أحدثه الظلمة من المغارم .

« فلا تعلقوا آمالكم بإبراهيم ومراد ، وارجعوا الى مولاكم مالك الملك ، وخالق العباد فقد قال نبيه ورسوله الأكرم : الفتنة نائمة لعن الله من أبقظها بين الأمم ! عليه أفضل الصلاة والسلام (١) .

الخميس ١٣ منه (٢٢ نوفمبر ١٧٩٨ م) :

قتلوا شخصين عند باب زويلة أحدهما يهودى ولم يتحقق السبب في قتلها .

وفيه : أخرجوا من بيت نسيب إبراهيم كتهدا صناديق ضمنها مصاغ وجواهر وأوالى ذهب وفضة وأمتعة وملابس كثيرة .

السبت ١٥ منه (٢٤ نوفمبر ١٧٩٨ م) :

حضر جماعة من الفرنساوية بباب زويلة وفتحوا بعض دكاكين السكرية وأخذوا منها سكرا وضاع على أصحابه

(١) وعلى كاتبها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، الى يوم يعثون ا

وفيه : دلوا على انسان عنده صندوقان وديعة لأيوب بيك الدفتردار فطلبوه وأمروه باحضارهما فأحضرهما بعد الانكار والجحد عدة مرار ، فوجدوا ضمنهما أسلحة جواهر وسبح لؤلؤ وخناجر مجوهرة وغير ذلك .

الخميس ٢٠ منه (٢٩ نوفمبر ١٧٩٨ م) :

كتبوا عدة أوراق مطبوعة وألصقوها بالأسواق مضمونها انه في يوم ٢١ منه قصدنا أن نظير مركبا ببركة الأزيكية في الهواء بحيلة فرنساوية ، فكثر لفظ الناس في هذا كعادتهم .

فلما كان ذلك اليوم قبل العصر ، تجمع الناس والكثير من الافرنج ليروا تلك العجيبة — وكنت بجملتهم — فرأيت قماشاً على هيئة الأوية على عمود قائم ، وهو ملون أحمر وأبيض وأزرق على مثل دائرة الغريال ، وفي وسطه مسرجة بها فتيلة مغموسة ببعض الأدهان . وتلك المسرجة مصلوبة بسلوك من حديد منها الى الدائرة ، وهى مشدودة بيكر وأحبال ، واطراف الأحبال بأيدي أناس قائمين بأسطحة البيوت القريبة منها .

فلما كان بعد العصر بنحو ساعة أوقدوا تلك الفتيلة فصعد دخانها الى ذلك القماش وملاه ، فانتفخ وصار مثل الكرة ، وطلب الدخان الصعود الى مركزه فلم يجد منفذاً فجذبها معه الى العلو ، فجذبوها بتلك الأحبال مساعدة لها حتى ارتفعت عن الأرض ، فقطعوا تلك الحبال فصعدت الى الجو مع الهواء ، ومشت هنيئة لطيفة ثم سقطت طارتها بالفتيلة ، وسقط أيضاً ذلك القماش ، وتناثر منها أوراق كثيرة من نسخ الأوراق المبصومة .

فلما حصل لها ذلك انكشف طبعم لسقوطها ، ولم يتبين صحة ما قالوه من أنها على هيئة مركب تسير في الهواء بحكمة مصنوعة ، ويجلس فيها أنوار من الناس وسافرون فيها الى البلاد البعيدة لكشف الأخبار وارسال المراسلات ، بل ظهر

أنها مثل الطائرة التي يعملها الفراشون بالمواسم والأفراح .

وفي تلك الليلة : طاف منهم أنفار بالأسواق ومعهم مقاطف بها لحوم مسمومة فأطعموها للكلاب فمات منها جملة كثيرة . فلما طلع النهار وجد الناس الكلاب مرمية وطرحى بالأسواق وهى موتى ، فاستأجروا لها من أخرجها الى الكيمان . وسبب ذلك أنهم لما كانوا يمرون بالأسواق فى الليل ، وهم سكوت ، كانت الكلاب تنبحهم وتعدو خلفهم . ففعلوا بها ذلك ، وارتاحوا هم والناس منها .

الأربعاء ٢٦ منه (٥ ديسمبر ١٧٩٨ م) :

سافر عدة عساكر الى جهة مراد بيك ، وكذلك الى جهة كرداسة (١) بسبب العربان ، وكذلك الى السويس والصالحية . وأخذوا جمال السقائين برواياها وحميرهم ، ولكن يعطونهم أجرتهم . فشح الماء وغلا ، وبلغت القرية عشرة أنصاف فضة .

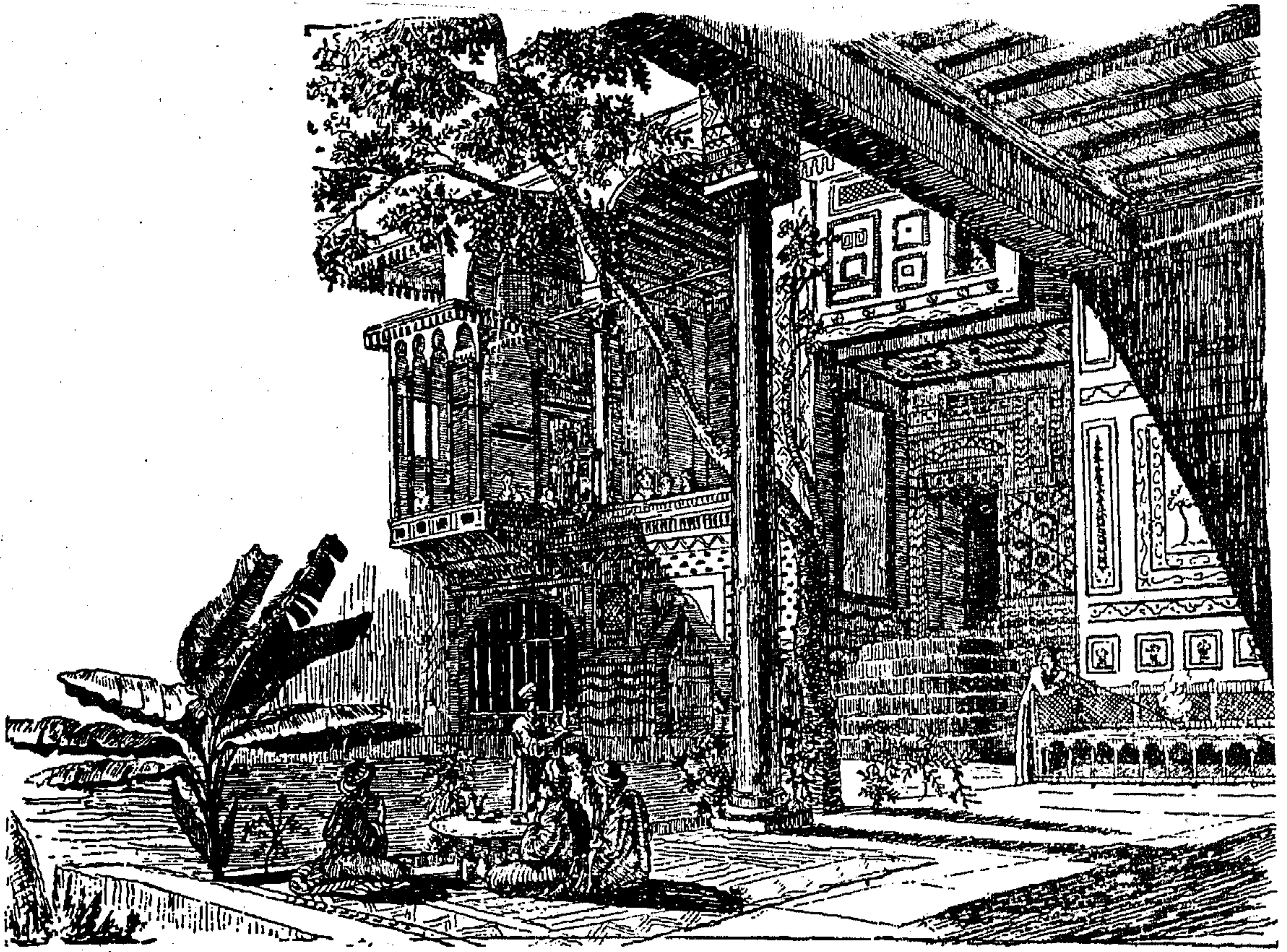
وفيه : ظفروا بعدة ودائع وخبايا بأماكن متعددة بها صناديق وأمتعة وأسلحة وأوانى صينى وأوانى نحاس ... قناطير ، وغير ذلك .

وانقضى هذا الشهر وماحصل به من الحوادث الكلية والجزئية التى لا يمكن ضبطها لكثرتها ، منها : أنهم أحدثوا بغيط النوبى المجاور للأزبكية أنبنة على هيئة مخصوصة متنزهة يجتمع بها النساء والرجال للهو والخلاعة فى أوقات مخصوصة ، وجعلوا على كل من يدخل اليه قدرا مخصوصا يدفعه ، أو يكون مأذونا ويده ورقة . ومنها أنهم هدموا وبنوا بالمقياس والروضة ، وهدموا أماكن بالجيزة ، ومهدوا التل المجاور لقنطرة الليمون ، وجعلوا فى أعلاه طاحونا تدور فى الهواء عجيبة ، وتطحن الأرانب من البر ، وهى بأربعة أحجار . وطاحونا أخرى بالروضة تجاه مساطب الشباب .

(١) مركز الجيزة .

وهدموا الجامع المجاور لقنطرة الدكة ، وشرعوا فى ردم جهات حوالى بركة الأزبكية ، وهدموا الأماكن المقابلة لبنت صارى عسكر .. حتى جعلوها رحبة متسعة . وهدموا الدور المقابلة لها من الجهة الأخرى والجنائن التى خلف ذلك ، وقطعوا أشجارها ، وردموا مكانها بالأتربة الممهدة على خط معتدل من الجهتين .. مبتدئا من حد بيت صارى عسكر ، الى قنطرة المغربى . وجددوا القنطرة المذكورة — وكانت آلت الى السقوط — وفعلوا بعدها كذلك على الوضع والنسق ، بحيث صار جسرا عظيما ممتدا مهيدا ، مستويا على خط مستقيم من الأزبكية الى بولاق ، وينقسم بقرب بولاق قسمين : قسما الى طريق أبى العلا ، وقسما يذهب الى جهة التبانة وساحل النيل ، وبطريقه .. الطريق المسلوكة الواصلة من طريق أبى العلا وجامع الخطيرى الى ناحية المدابغ .

وحفروا فى جانبى ذلك الجسر ، من مبدأه الى منتهاه ، خندقين ، وغرسوا بجانبه أشجارا وسيبانا ، وأحدثوا طريقا أخرى فيما بين باب الحديد وباب العدوى ، عند المكان المعروف بالشيخ شعيب ، حيث معمل الفواخير ، وردموا جسرا ممتدا مهيدا مستطيلا ، يمتدىء من الحد المذكور ، وينتهى الى جهة المذبح خارج الحسينية . وأزالوا ما يتخلل بين ذلك من الأبنية والغيطان والأشجار والتلول ، وقطعوا جانبا كبيرا من التل الكبير المجاور لقنطرة الحاجب ، وردموا فى طريقهم قطعة من خليج بركة الرطل ، وقطعوا أشجار بستان كاتب البهار ، المقابل لجسر بركة الرطل ، وأشجار الجسر أيضا ، والأبنية التى بين باب الحديد والرحبة التى بظاهر جامع المتس . وساروا على المنخفض بحيث صارت طريقا معتسدة من الأزبكية الى جهة قبة النصر ، المعروفة بقيه العزب ، جهة العادلية على



بيت قاسم بيك

المذكورتين ، ويدفعها أمامه ، فتجري على عجلتها بأدنى مساعدة ، الى محل العمل ، فيميلها باحدى يديه ، ويفرغ ما فيها من غير تعب ولا مشقة . وكذلك لهم فؤوس وقزم محكمة الصنعة ، متقنة الوضع . وغالب الصناع من جنسهم ، ولا يقطعون الأحجار والأخشاب الا بالطرق الهندسية ، على الزوايا القائمة والخطوط المستقيمة .

وجعلوا جامع الظاهري بيس خارج الحسينية قلعة ، ومنارته برجاً . ووضعوا على أسواره مدافع وأسكنوا به جماعة من العسكر ، وبنوا في داخله عدة مساكن تسكنها العسكر المقيمة به .

وكان هذا الجامع معطل الشعائر من مدة طويلة ، وباع نظاره منه انقاضاً وعمداً كثيرة .

ومنها أنهم أحدثوا على التل المعروف بتل

خط مستقيم من الجهتين ، وقيدوا بذلك أنفارا منهم يتعهدون تلك الطرق ويصلحون ما يخرج منها عن قالب الاعتدال بكثرة الدوس وحوافر الخيول والبغال والحمر ..

وفعلوا هذا الشغل الكبير ، والفعل العظيم في أقرب زمن . ولم يسخروا أحداً في العمل ، بل كانوا يعطون الرجال زيادة عن أجرتهم المعتادة : ويصرفونهم من بعد الظهر ، ويستعينون في الأشغال وسرعة العمل بالآلات القرابية المأخذ : السهلة التناول ، المساعدة في العمل وقلة الكلفة . كانوا يجعلون بدل الغلقان والقضاع عربات صغيرة ويداهما مستديتان من خلف ، يملأها الفاعل تراباً أو طيناً أو أحجاراً من مقدمها بسهولة ، بحيث تسع مقدار خمسة غلقان ، ثم يقبض بيديه على خشبتها

العقارب بالناصرية ، أبنية وكرانك وأبراجا ،
ووضعوا فيها عدة من آلات الحرب والعساكر
المرابطين فيه ، وهدموا عدة دور من دور الأمراء ،
وأخذوا أنقاضها ورخامها لا بنيتهم .

وأفردوا للمدبرين والفلكيين ، وأهل المعرفة
والعلوم الرياضية : كالهندسة ، والهيئة ،
والتقوسات ، والرسومات ، والمصورين ، والكتبة ،
والحساب ، والمنشئين .. حارة الناصرية ، حيث
الدرب الجديد وما به من البيوت ، مثل بيت قاسم
بيك ، وأمير الحج المعروف بأبى يوسف ، وبيت
حسن كاشف جركس القديم ، والحديد الذى
أنشأه وشيده وزخرفه ، وصرف عليه أموالا عظيمة
من مظالم العباد .. وعند تمام بياضه وفرشه حدثت
هذه الحادثة ، ففر مع الفارين ، وتركه — فيه جملة
كبيرة من كتبهم ، وعليها خزان ومباشرون يحفظونها
ويحضرونها للطلبة ومن يريد المراجعة ، فيراجعون
فيها مرادهم .

فتجتمع الطلبة منهم كل يوم قبل الظهر بساعتين ،
ويجلسون فى فسحة المكان المقابلة لمخازن الكتب
على كراسى منصوبة موازية لتختات عريضة مستطيلة
فيطلب من يريد المراجعة ما يشاء منها ، فيحضرها له
الخازن .. فيتصفحون ، ويراجعون ، ويكتبون ،
حتى أساقفهم من العساكر ، وإذا حضر اليهم بعض
المسلمين ، ممن يريد الفرجة ، لا يمنعونه الدخول
الى أعز أماكنهم ، ويتلقونه بالبشاشة والضحك
واظهار السرور بمجيئة اليهم ، وخصوصا إذا رأوا
فيه قابلية أو معرفة أو تطلعا للنظر فى المعارف ،
بذلوا له مودتهم وسحبتهم ، ويحضرون له أنواع
الكتب المطبوع بها أنواع التصاوير وكرات البلاد ،
والأقاليم والحيوانات والطيور والنباتات ، وتواريخ
القدماء ، وسير الأمم ، وقصص الأنبياء وتصاويرهم
وآياتهم ومعجزاتهم وحوادث أسهم ، مما يحير
الأفكار .

ولقد ذهبت اليهم مرارا ، وأطلعونى على
ذلك ... فمن جملة ما رأيته ، كتاب كبير يشتمل
على سيرة النبی صلى الله عليه وسلم ، ومصورون
به صورته الشريفة على قدر مبلغ علمهم واجتهادهم ،
وهو قائم على قدميه ، ناظر الى السماء كالمهرب
للخليفة ، ويده اليمنى السيف ، وفى اليسرى
الكتاب ، وحوله الصحابة رضى الله عنهم بأيديهم
السيف . وفى صفحة أخرى صورة الخلفاء
الراشدين ، وفى الأخرى صورة المعراج والبراق ،
وهو — صلى الله عليه وسلم — راكب عليه من
صخرة بيت المقدس ، وصورة بيت المقدس ،
والحرم المكى والمدنى ... وكذلك صورة الأئمة
المجتهدين ، وبقية الخلفاء والسلاطين ..

ومثال اسلامبول وما بها من المساجد العظام :
كأيا صوفية ، وجامع السلطان محمد ، وهيئة المولد
النبوى ، وجمعية أصناف الناس لذلك . وكذلك
السلطان سليمان ، وهيئة صلاة الجمعة فيه ، وأبى
أيوب الأنصارى ، وهيئة صلاة الجنائز فيه . .
وصور البلدان والسواحل والبحار والأهرام ،
وبرابى الصعيد ، والصور والأشكال ، والأقلام
المرسومة بها .

وما يختص بكل بلد من أجناس الحيوان
والطيور والنبات والأعشاب ، وعلوم الطب
والتشريح والهندسيات ، وجر الأثقال .

وكثير من الكتب الاسلامية مترجم بلغتهم .
ورأيت عندهم كتاب الشفاء للقاضى عياض ،
ويعبرون عنه بقولهم « شفاء شريف » . والردة
للبوصيرى . ويحفظون جملة من آياتها ، وترجموها
بلغتهم .

ورأيت بعضهم يحفظ سورا من القرآن . ولهم
تطلع زائد للعلوم ، وأكثرها الرياضة ومعرفة
اللغات ، واجتهاد كبير فى معرفة اللغة والمنطق .
ويدأبون فى ذلك الليل والنهار .

وعندهم كتب مفردة لأنواع اللغات ، وتصاريدها واشتقاقاتها . بحيث يسهل عليهم نقل ما يريدون من أى لغة كانت . الى لغتهم فى أقرب وقت .

وعند « توت » الفلكى وتلامذته ، فى مكانهم المختص بهم ، الآلات الفلكية الغريبة المتقنة الصنعة ، وآلات الارتفاعات البدعة ، العجيبة التركيب ، الغالية الثمن ، المصنوعة من الصفر الموه ، وهى تركيب بىراريم مصنوعة محكمة : كل آلة منها عدة قطع تركيب مع بعضها البعض برباطات وبراريم لطيفة ، بحيث إذا ركبت صارت آلة كبيرة أخذت قدرا من الفراغ ، وبها نظارات وتقوب ينفذ النظر منها الى المرئى . وإذا انحل تركيبها وضعت فى ظرف صغير ... وكذلك نظارات للنظر فى الكواكب وأرصادها ، ومعرفة مقاديرها وأجرامها وارتفاعاتها واتصالاتها ومناظراتها ، وأنواع المنكابات والساعات التى تسير بثوانى الدقائق الغريبة الشكل ، الغالية الثمن .. وغير ذلك .

وأفردوا لجماعة منهم بيت ابراهيم كتخدا السنارى ، وهم المصورون لكل شئ : ومنهم « أريجو » المصور ، وهو يصور صور الآدميين تصويرا يظن من يراه أنه بارز فى الفراغ ، محسوس يكاد ينطق . حتى انه صور صورة المشايخ ، كل واحد على حدة ، فى دائرة ، وكذلك غيرهم من الأعيان وعلقوا ذلك فى بعض مجالس صارى عسكر وآخر فى مكان آخر بصور الحيوانات والحشرات ، وآخر يصور الأسماك والحيتان بأنواعها وأسماؤها .

ويأخذون الحيوان أو الحوت الغريب ، الذى لا يوجد ببلادهم ، فيضعون جسده بذاته فى ماء مصنوع حافظ للحسم ، فيبقى على حاله وهيئته : لا تتغير ولا يبلى ولو بلى زمنا طويلا .

وكذلك أفردوا أماكن للمهندسين ، وصناع الدقائق . وسكن الحكيم « روبا » بيت ذى الفقار كتخدا بجوار ذلك ، ووضع آلاته ومساحقه وأهوانه فى ناحية ، وركب له تنانير وكوانيز : لتقطير المياه والأدهان ، واستخراج الأملاح ، وقدورا عظيمة ، وبرامات ، وجعل له مكانا أسفل وأعلى ، وبهما رفوف عليها القدور المملوءة بالتركيب والمعالجين ، والزجاجات المتنوعة . وبها كذلك عدة من الأطباء والجراحية .

وأفردوا مكانا فى بيت حسن كاشف جركس لصناعة الحكمة والطب الكيماوى ، وبنوا فيه تنانير مهندمة وآلات تقاطير عجيبة الوضع ، وآلات تصاعيد الأرواح ، وتقاطير المياه وخلاصات المفردات ، وأملاح الأرمدة المستخرجة من الأعشاب والنباتات ، واستخراج المياه الجلاءة والحلاة . وحول المكان الداخل قوارير وأوان من الزجاج البلورى المختلف الأشكال والهيئات ، على الرفوف والسدلات . وبداخلها أنواع المستخرجات .

ومن أغرب ما رأيته فى ذلك المكان ، أن بعض المتقدين لذلك أخذ زجاجة من الزجاجات الموضوع فيها بعض المياه المستخرجة ، فصب منها شيئا فى كأس ، ثم صب عليها شيئا من زجاجة أخرى ، فعلا الماء ، وصعد منه دخان ملون حتى انقطع وجف ما فى الكأس ، وصار حجرا أصفر ، فقلبه على البرجات حجرا نابسا ، أخذناه بأدنا ونظرناه . ثم فعل كذلك مياه أخرى فجمد حجرا أزرق ، وبأخرى فجمد حجرا أحمر نافونيا . وأخذ مرة شيئا قليلا جدا من غبار أبيض ، ووضع على السندال وضربه بالمطرقة بلطف ، فخرج له صوت هائل كصوت القربانة انزعجا منه ، فضحكوا منا . وأخذ مرة زجاجة فارغة مستطيلة فى مقدار الشبر ، صقة الفم ، فغمسها فى ماء قراح موضوع فى صندوق من الخشب ، مصفح الداخل بالرصاص ،

وَأَدْخَلَ مَعَهَا أُخْرَى عَلَى غَيْرِ هَيْئَتِهَا ، وَأَنْزَلَهَا فِي الْمَاءِ ، وَأَصْحَدَهَا بِحَرَكَةِ انْحِسَابِ بِهَا الْهَوَاءَ فِي أَحَدَاهُمَا ، وَأَتَى آخَرَ بِفَتِيلَةٍ مُشْتَعِلَةٍ ، وَأَبْرَزَ ذَلِكَ فَمِ الزَّجَاجَةِ مِنَ الْمَاءِ ، وَقَرَّبَ الْآخَرَ الشَّمْعَةَ إِلَيْهَا فِي الْحَالِ ، فَخَرَجَ مَا فِيهَا مِنَ الْهَوَاءِ الْمَحْبُوسِ وَفَرَّقَ بِصَوْتِ هَائِلٍ أَيْضًا ... وَغَيْرَ ذَلِكَ أُمُورٌ كَثِيرَةٌ ، وَبِرَاهِينَ حَكِيمَةٍ تَتَوَلَّدُ مِنْ اجْتِمَاعِ الْعُنَاصِرِ وَمِلَاقَةِ الطَّبَائِعِ .

رَجَب

٣ مِنْهُ (١١ دَيْسَمْبَر ١٧٩٨ م)

قَتَلُوا شَخْصًا مِنَ الْأَجْنَادِ يُقَالُ لَهُ مُصْطَفَى كَاشَفَ مِنْ جَمَاعَةِ حُسَيْنِ بَيْكِ الْمَعْرُوفِ بَشَفَتِ .

وَكَانَ قَدْ فَرَّ مَعَ الْفَارِسِينَ ، ثُمَّ رَجَعَ مِنْ غَيْرِ اسْتِثْنَانٍ وَأَقَامَ أَيَّامًا مُسْتَتِرًا بَيْتِ الشَّيْخِ سَلِيمَانَ الْفَيُومِي ، فَسَلِمَهُ لِمُصْطَفَى أَغَا مُسْتَحْفَظَانَ لِيَأْخُذَ لَهُ أَمَانًا ، فَأَخْبَرَ الْفَرَنْسِيِّسَ بِشَأْنِهِ ، وَأَغْرَاهُمْ عَلَيْهِ . فَأَمْرُوهُ بِقَتْلِهِ ... فَقَطَّعَ رَأْسَهُ ، وَطَافُوا بِهَا يَنَادُونَ عَلَيْهَا بِقَوْلِهِمْ : هَذَا جَزَاءُ مَنْ يَدْخُلُ إِلَى مِصْرَ بِغَيْرِ إِذْنِ الْفَرَنْسِيِّسِ .

٥ مِنْهُ (١٣ دَيْسَمْبَر ١٧٩٨ م)

حَضَرَ كَبِيرُ الْفَرَنْسِيِّسِ الَّذِي بِنَاحِيَةِ قَلِيُوبِ وَصَحْبَتُهُ سَلِيمَانُ الشَّوَارِبِي شَيْخُ النَّاحِيَةِ وَكَبِيرُهَا . فَلَمَّا حَضَرَ حَبَسُوهُ بِالْقَلْعَةِ . قِيلَ إِنَّهُمْ عَثَرُوا لَهُ عَلَى مَكْتُوبٍ أَرْسَلَهُ وَقْتُ الْفَتْنَةِ السَّابِقَةِ إِلَى سَرِيَاقُوسَ لِيَنْهَضَ أَهْلُ تِلْكَ النَّوَاحِي فِي الْقِيَامِ وَيَأْمُرَهُمْ بِالْحُضُورِ وَقَدْ أَنْ يَرَى الْغَلْبَةَ عَلَى الْفَرَنْسِيِّسِ . وَلَمَّا حَبَسُوهُ حَبَسُوا مَعَهُ أَرْبَعَةً مِنَ الْأَجْنَادِ أَيْضًا . وَفِيهِ : أَحَدُهُمَا مَزْمَارًا يُضْرِبُونَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ ، وَقَدْ الزَّوَالِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ الْوَقْتُ عِنْدَهُمْ ابْتِدَاءُ الْيَوْمِ .

١٠ مِنْهُ (١٨ دَيْسَمْبَر ١٧٩٨ م)

نَادَوْا فِي الْأَسْوَاقِ بِأَنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَشْتَرِيَ فَرَسًا أَوْ حِمَارًا فَلْيَحْضُرْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ١٣ مِنْهُ (٢١ دَيْسَمْبَر ١٧٩٨ م) بِبُولَاقٍ وَيَشْتَرِي مِنَ الْفَرَنْسَاوِيَةِ مَا أَحَبَّ مِنْ ذَلِكَ . وَكَتَبُوا بِذَلِكَ أَوْرَاقًا وَأَلْصَقُوهَا

وَمِثْلُ الْفَلَكَةِ الْمُسْتَدِيرَةِ الَّتِي يَدِيرُونَ بِهَا الزَّجَاجَةَ ، فَيَتَوَلَّدُ مِنْ حَرَكَتِهَا شَرَرٌ يَطِيرُ بِمِلَاقَةٍ أَدْنَى شَيْءٍ كَثِيفٍ ، وَيُظْهِرُ لَهُ صَوْتٌ وَمَقْطُوعَةٌ . وَإِذَا مَسَكَ عِلَاقَتَهَا شَخْصٌ - وَلَوْ خِيطًا لَطِيفًا مُتَصِلًا بِهَا - وَلَمَسَ آخَرَ الزَّجَاجَةِ الدَّائِرَةِ ، أَوْ مَاقِرَبَ مِنْهَا بِيَدِهِ الْآخَرَى ... ارْتَجَّ بَدَنُهُ ، وَارْتَعَدَ جَسَدُهُ ، وَمَقْطُوعَتُ عِظَامِ أَكْتَافِهِ وَسَوَاعِدِهِ فِي الْحَالِ بَرَجَةٌ سَرِيعَةٌ . وَمَنْ لَمَسَ هَذَا اللَّامِسَ ، أَوْ شَيْئًا مِنْ ثِيَابِهِ ، أَوْ شَيْئًا مُتَصِلًا بِهِ .. حَصَلَ لَهُ ذَلِكَ ، وَلَوْ كَانُوا أَلْفًا أَوْ أَكْثَرَ . وَلَهُمْ فِيهِ أُمُورٌ وَأَحْوَالٌ وَتَرَكَيبٌ غَرِيبٌ ، يَنْتُجُ مِنْهَا تَنَائِجٌ لَا تَسْمَعُهَا عُقُولُ أَهْمَالِنَا !

وَأَفْرَدُوا أَيْضًا مَكَانًا لِلنَّجَارِينَ وَصَنَاعِ الْآلَاتِ وَالْأَخْشَابِ وَطَوَاجِينِ الْهَوَاءِ وَالْعَرَبَاتِ وَاللُّوْازِمِ لَهُمْ فِي أَشْغَالِهِمْ وَهَنْدَسَاتِهِمْ وَأَرْبَابِ صَنَائِعِهِمْ . وَمَكَانَ آخَرَ لِلْحَدَّادِينَ ، وَبَنُوا فِيهِ كَوَانِينَ عِظَامًا ، وَعَلَيْهَا مَنَافِيخُ كَبَارٍ يَخْرُجُ مِنْهَا الْهَوَاءُ مُتَصِلًا كَثِيرًا ، بِحَيْثُ يَجْذِبُهُ النَّافِخُ مِنْ أَعْلَى بِحَرَكَةٍ لَطِيفَةٍ . وَصَنَعُوا السِّنْدَانَاتِ وَالْمَطَارِقَ الْعِظَامَ ، لَصَنَاعَاتِ الْآلَاتِ مِنَ الْحَدِيدِ وَالْمَخَارِطِ ، وَرَكَبُوا مَخَارِطَ عَظِيمَةً لَخَرَطَ الْفُلُوزَاتِ الْحَدِيدَ الْعَظِيمَةَ . وَلَهُمْ فَلَكَاتٌ مُثْقَلَةٌ يَدِيرُهَا الرِّجَالُ لِلْمَعْلَمِ الْخَرَّاطِ لِلْحَدِيدِ بِالْأَقْلَامِ الْمُتَيْنَةِ الْجَافِيَةِ ، وَعَلَيْهَا حَقٌّ صَغِيرٌ مَعْلَقٌ مَشْقُوبٌ ، وَفِيهِ مَاءٌ يَقْطُرُ عَلَى مَحَلِّ الْخَرَطِ لِتَبْرِيدِ النَّارِ الْحَادِثَةِ مِنَ الْإِصْطِكَاكِ . وَبِأَعْلَى هَذِهِ

بالأسواق والأزقة ، وهى مطبوعة وعليها الصورة .
ونصها :

« فليكن معلوما عند كافة الرعايا المضرية ، أن
فى يوم الجمعة ١٣ من شهر رجب الساعة ٢ يباع
فى بولاق جملة خيل من المشيخة الفرنساوية . فلأجل
هذا المشتري ، كل من أراد أن يقتنى خيلا منحنيا
له الاجازة أنه يقتنى كما يريد ويشاء . »

١٦ منه (٢٤ ديسمبر ١٧٩٨ م) :

سافر صارى عسكر بونايرته الى السويس وأخذ
صحبه السيد أحمد المحروقى وابراهيم أفندى
كاتب البهار وأخذ معه أيضا بعض المدبرين
والمهندسين والمصورين وجرجس الجوهري والطنون
أبو طاقية ، وغيرهم وعدة كثيرة من عساكر الخيالة
والمشاة وبعض مدافع وعربات وتختروان وعدة
جمال لحمل الذخيرة والماء والقومانية .

وفيه : شرعوا فى ترتيب الديوان على تنظيم
آخر ، وعينوا له ستين نفرا : منهم أربعة عشر
يقال لهم خصوص - وهم الذين يحضرون
دائما - ويقال لهم « الديوان الخصوصى
والديوان الديمومى » ، والباقي بحسب الاقتضاء .
والأربعة عشر هم ... من المشايخ : الشرقاوى ،
والمهدى ، والصاوى ، والبكرى ، والفيومى .
ومن التجار : المحروقى ، وأحمد محرم . ومن
النصارى القبطة : لطف الله المصرى . ومن الشوام :
يوسف فرحات ، وميخائيل كحيل ، ورواحه
الانكليزى ، وبدنى ، وموسى كافر الفرنساوى .
ومعهم وكلاء ومباشرون من الفرنسيين ،
ومترجمون . وأما العمومى ، فأكثره مشايخ حرف .
وكتبوا بذلك طومارا كبيرا ، بصموا منه
نسخا كثيرة ، وأرسلوا منه نسخا كثيرة للأعيان ،
وألصقوا منها بالأسواق على العادة . وأرسلوا
للذين عينوا بالديوان أوراقا بأسمائهم شبه

التقارير ، وصورة صدر ذلك الطومار المكتتب
فى شأن ذلك .

وقد أوردت ذلك - وإن كان فيه بعض
طول - للاطلاع على ما فيه من التوجيهات على
العقول ، والتسليق على دعوى الخواص من
البشر .. بفاسد التحيلات التى تنادى على بطلانها
بديهة العقل ، فضلا عن النظر . وهى مقولة على
لسان بونايرته كبير الفرنسيين . ونصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم .. »

« من أمير الجيوش الفرنساوية ، خطابا الى كافة
أهل مصر ، الخاص والعام :

« نعلمكم أن بعض الناس الضالين العقول ،
الخالين من المعرفة وإدراك العواقب ، سابقا أوقعوا
الفتنة والشروع بين القاطنين بمصر ، فأهلكهم الله
بسبب فعلهم ونيتهم القبيحة . والبارى ، سبحانه
وتعالى ، أمرنى بالشفقة والرحمة على العباد !
فامتثلت أمره ، وصرت رحيمًا بكم ، شفوفا عليكم
ولكن كان حصل عندى غيظ وغم شديد بحسب
تحريك هذه الفتنة بينكم ... ولأجل ذلك عطلت
الديوان الذى كنت رتبته لنظام البلد ، وصلاح
أموالكم من مدة شهرين . والآن توجه خاطرنا
الى ترتيب الديوان كما كان . لأن حسن أحوالكم
ومعاملتكم فى المدة المذكورة أنسانا ذنوب
الأشرار وأهل الفتنة التى وقعت سابقا .

« أيها العلماء والأشراف ، أعلموا أمتكم
ومعاشر رعيتكم ، بأن الذى يعادىنى ويخاصمنى
انما خصامه من ضلال عقله ، وفساد فكره ، فلا
يجد ملجأ ولا مخلصا ينجيه منى فى هذا العالم ،
ولا ينجو من بين يدى الله ! لمعارضته لمقادير الله
سبحانه وتعالى . والعاقل يعرف أن ما فعلناه ...
بتقدير الله تعالى ، وإرادته وقضائه ! ومن يشك
فى ذلك فهو أحمق وأعمى البصيرة .
« وأعلموا أيضا أمتكم أن الله قدر فى الأزل

١٨ منه (٢٦ ديسمبر ١٧٩٨ م) :

طافوا على الطواحين واختاروا من كل طاحون
فرسا أخذوها .

٢٤ منه (أول يناير ١٧٩٩ م) :

حضر السيد المحروقي وكاتب البهار من
السويس ، وكان صارى عسكر ذهب الى ناحية
بليس ، فاستأذنه في ذهابهم الى مصر ، فأذن
لهم ، وأرسل معهم خمسين عسكريا ليوصلوهم
الى مصر .

فلما حضروا حكوا أن أهل السويس ، لما بلغهم
مجيء الفرنسيات ، هربوا وأخلوا البلدة ، فذهبوا
الى الطور ، وذهب البعض الى العرب بالبادية .
فنهب الفرنسيون ما وجدوه بالبندر من البن والمتاجر
والأمتعة وغير ذلك ، وهدموا الدور ، وكسروا
الأخشاب وخوابى الماء . فلما حضر كبيرهم — وكان
متأخرا عنهم — كلمه التجار الذاهبون معه ،
وأعلموه أن هذا الفعل غير صالح . فاسترد من
العسكر بعض الذى أخذوه ، ووعدهم باسترجاع
الباقى ، أو دفع ثمنه بمصر ، وأن يكتبوا قائمة
بالمهوبات . ثم أنه وجد مركبين حضرا الى قريب
من السويس بهما بن ومتاجر ، ففرقت احدهما ،
فنزلت طائفة من الفرنسيين فى مراكب صغار ،
وذهبوا اليها فى الغاطس ، وأخرجوها بالآلات
ركبوها واصطنعوها من علم جر الأتقال .

وفى مدة اقامته بالسويس ، صار يركب ويتأمل
فى النواحي وجهات ساحل البحر والبر ليلا ونهارا
وكان معه من الأدم فى هذه السفرة ثلاثة طيور
دجاج محمرة ملفوفة فى ورق ، وليس معه طباخ
ولا فراش ، ولا فرش ولا خيمة . وكل شخص من
عسكره معه رغيف كبير مرشوق فى طرف حربته ،
يتزود منه ويشرب من سقاء لطيف من صفيح معلق
فى عنقه .

هلاك أعداء الاسلام وتكسير الصليبان على يدي .
وقدر فى الأزل أنى أجىء من المغرب الى أرض
مصر لهلاك الذين ظلموا فيها ، واجراء الأمر الذى
أمرت به . ولا يشك العاقل أن هذا كله بتقدير
الله واراادته وقضائه !

« وأعلموا أيضا أمتكم أن القرآن العظيم
صرح فى آيات كثيرة بوقوع الذى حصل !
وأشار فى آيات أخرى الى أمور تقع فى المستقبل .
وكلام الله فى كتابه صدق وحق ، لا يتخلف . اذا
تقرر هذا ، وثبتت هذه المقالات فى أذهانكم ...
فلترجع أمتكم جميعا الى صفاء النية ، واخلاص
الطوية ... فان منهم من يمتنع عن الغى واظهار
عداوته ، خوفا من سلاحى وشدة سطوتى . ولم
يعلموا أن الله مطلع على السرائر ، يعلم خائنة
الأعين وما تخفى الصدور . والذى يفعل ذلك
يكون معارضا لأحكام الله ، ومنافقا ، وعليه اللعنة
والنقمة من الله علام الغيوب !

« وأعلموا أيضا أنى أقدر على اظهار ما فى
نفس كل أحد منكم ! لأننى أعرف أحوال الشخص
وما انطوى عليه ، بمجرد ما أراه ، وان كنت
لا أتكلم ولا أنطق بالذى عنده ! ولكن يأتى وقت
ويوم يظهر لكم بالمعينة أن كل ما فعلته وحكمت
به ... فهو حكم الهى لا يرد ! وان اجتهد الانسان
غاية جهده ، ما يمنعه عن قضاء الله الذى قدره
وأجراه على يدي !

« فطوبى للذين يسارعون فى اتحادهم
وهمتهم ، مع صفاء النية واخلاص السريرة ..
والسلام ! » .

وفيه : رتبوا لأرباب الديوان الديومى
شهيرة تدفع اليهم نظير تقيدهم بمصالح العامة
والدعاوى ، وما يترتب عليه النظام بينهم وبين
المسلمين .

٢٨ منه (٥ يناير ١٧٩٩ م) :

حضر عدة من العسكر الفرنسية من ناحية بلبيس ، ومعهم عدة من العربان نحو الثلاثين نفرا موثقين بالحبال ، وأسروا أيضا عدة من أولادهم ، ذكورا وإناثا ، ودخلوا بهم الى مصر يزفونهم بالطبول أمامهم ، ومعهم أيضا ثلاثة حمول من حمول التجار ، وبعض جمال مما كان نهب منهم عند رجوعهم من الحج .

فايته (٧ يناير ١٧٩٩ م) :

حضر صاري عسكر من ناحية بلبيس الى مصر ليلا ، وأحضر معه عدة عربان وعبد الرحمن أباطة أخا سليمان أباطة شيخ العيايدة وخلافه .. رهائن ، وضربوا « أبا زعبل » و « المنير » وأخذوا مواشيهم وحضروا بهم الى القاهرة ، وخلفهم أصحابهم رجالا ونساء وصغارا .

وفي ذلك اليوم قتلوا شيخ العرب سليمان الشواربي ، شيخ قلوب ، ومعهم أيضا ثلاثة رجال يقال لهم عرب الشرقية ، وأنزلوهم من القلعة الى الرميطة على يد الأغا ، وقطعوا رؤوسهم ، وحملوا جثة الشواربي مع رأسه في تابوت ، وأخذه أتباعه في بلدة قلوب ليدفن هناك عند أسلافه

وانقضى هذا الشهر وحوادثه الجزئية والكلية .. منها : أن في ليلة السابع والعشرين منه أتت جماعة الى دار الشيخ محمد بن الجوهري ، الكائن بالأزبكية بالقرب من باب الهواء ، فجعلوا الشباك المثل على البركة ، ودخلوا منه وصعدوا الى أعلى الدار — وكان بها ثلاث من النساء الخدامات وابنة خدامة أيضا وبواب الدار ، ولم يكن رب الدار بها ولا الحريم ، بل كانوا قد انتقلوا الى دار أخرى لما سكن معظم العسكر بالأزبكية — فاستيقظ النساء وصرخن ، فضربوهن ، وقتلوا منهن امرأة ، واختفت البنت في جهة . وعاثوا في الدار ، وأخذوا

مناجيا ومصاغيا ونزلوا ، واستيقظ البواب فاخترق خوفا منهم .

فلما طلع النهار وشاع الخبر — وكان صاري عسكر غائبا — فلم يقع كلام في شأن ذلك . فلما قدم من سفره ركب مشايخ الديوان وأخبروه . فاغتم لذلك ، وأظهر الغيظ ، وذم فاعل ذلك لما فيه من العار الذي ملحقه ، واهتم في الفحص عن فعل ذلك وقتله

ومنها . كثرة تعدى القلقات ، وتشديدتهم على وقود القناديل بالأزقة . وهم من أهل البلد . وإذا مروا بالبلبل ووجدوا قنديلا أطفأه الهواء ، أو فرغ زيت ، سمروا الحانوت أو الدار التي هو عليها ولا تعلقون المسامير حتى يصلحهم صاحبها على ما أحبوه من الدراهم وربما تعدوا كسر القناديل لأجل ذلك

واتفق أن المطر أطفأ عدة قناديل بسوق أمير الجيوش ، بسبب كونها في ظروف من الورق والجريد ، فابتل الورق ، وسال الماء فأطفأ القناديل ، فسمروا حوانيت السوق ، وأصبح أهلها فصالحوا عليها ، ووقع مثل ذلك في طرق عديدة ، فجمعوا في ذلك اليوم جملة من الدراهم ، وأمثال ذلك حتى في الأزقة والعطف غير النافذة ... حتى كان الناس ليس لهم شغل الا القناديل وتفقد حالها وخصوصا في ليل الشتاء الطويل .

شعبان

في مستهل الثلثاء (٨ يناير ١٧٩٩ م) :

قتلوا ثلاثة أنفار من الفرنسيين وبنّدقوا عليهم بالرصاص بالميدان تحت القلعة قيل انهم من المتسلقين على الدور .

وفيه : أخبر السفار بأن مراد بيك ومن معه ترفعوا الى قبلى ووصلوا الى عقبة الهواء . وكلما قرب منهم عسكر الفرنسية انتقلوا وقبلوا . ولقد

داخلهم من الفرنساوية خوف شديد ولم يقع بينهم ملاقات ولا قتال .

وفيه : قدمت رباعة تحمل البن الذي حضر من السويس بالمركب الداو بصحبة جماعة من الفرنساوية لخفارتها من قطاع الطريق .

الاحد ٦ منه (١٣ يناير ١٧٩٩ م) :

نادى القبطان الفرنساوى الساكن بالمشهد الحسينى على أهل تلك الخطة وما جاورها بفتح الحوانيت والأسواق لأجل مولد الحسين ، وشدد فى ذلك ، وأوعد من أغلق حانوته بتسميره وتغريمه عشرة ريال فرانسة مكافأة له على ذلك .

وكان السبب فى ذلك ، والأصل فيه ، أن هذا المولد ابتدعه السيد بدوى بن فتيح مباشر وقف المشهد .. فكان قد اعتراه مرض الحب الأفرنجى ، فنذر على نفسه هذا المولد ان شفاه الله تعالى ! فحصلت له بعض افاقة ، فابتدأ به ، وأوقد فى المسجد والقبعة قناديل وبعض شموع ، ورتب فقهاء يقرأون القرآن بالنهار مدارس ، واخرين بالمسجد يقرأون بالليل دلائل الخيرات للجزولى . ثم زاد الحال ، وانضم اليهم كثير من أهل البدع ، كجماعة العفيفى ، والسمان ، والعربى ، والعيسوية : فمنهم من يتحلق ويذكر الجلالة ويحرفها ، وينشد له المنشدون القصائد والمواالات . ومنهم من يقول أبياتا من برده المديح للبوصيرى ، ويجاوبهم آخرون مقابلون لهم بصيغة صلاة على النبى صلى الله عليه وسلم .

وأما العيسوية فهم جماعة من المغاربة ومن دخل فيهم من أهل الأهواء ، ينسبون الى شيخ من أهل المغرب يقال له سيدى محمد بن عيسى . وطريقتهم : أنهم يجلسون قبالة بعضهم صفيين ، ويقولون كلاما معوجا بلغتهم بنغم وطريقة مشوا عليها ، وبين أيديهم طبول ودفوف يضربون عليها على قدر النغم ، ضربا شديدا مع ارتفاع أصواتهم . وتقف

جماعه أخرى ، قبالة الذين يضربون الدفوف ، فيضعون أكتافهم فى أكتاف بعض ، لا يخرج واحد عن الآخر ، ويلتوون وينتصبون ويرتفعون وينخفضون ، ويضربون الأرض بأرجلهم ... كل ذلك مع الحركة العنيفة ، والقوة الزائدة ، بحيث لا يقوم هذا المقام الا كل من عرف بالقوة ! وهذه الحركات والايقاعات على نمط الضرب بالدفوف ، فيقع بالمسجد دوى عظيم ، وضجات من هؤلاء ومن غيرهم من جماعة الفقراء ... كل أحد له صريقة وكيفية تباين الأخرى !

هذا مع ما ينضم الى ذلك من جمع العوام ، وتحلقهم بالمسجد للحديث والهديان ، وكثرة اللفظ والحكايات والأضاحيك ، والتلفت الى حسان العلمان الذين يحضرون للتفرج ، والسعى خلفهم والافتتان بهم ، ورمى قشور اللب والمكسرات والمأكولات فى المسجد ، وطواف الباعة بالمأكولات على الناس فيه ، وسقاة الماء ، فيصير المسجد بما اجتمع فيه من هذه القاذورات والعفوش ، ملتقحا بالأسواق الممتلئة !

ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

ثم زاد الحال على ذلك بقدوم جماعة الأشاير من الحارات البعيدة والقريبة ، وبين أيديهم مناور القناديل والجوامع العظيمة التى تحملها الرجال ، والشموع ، والطبول ، والزمور . ويتكلمون بكلام محرف ، يظنون أنه ذكر وتوسلات يثابون عليها ، وينسبون من يلومهم أو يعترضهم الى الاعتزال والخروج والزندقة ! وغالبهم السوقة وأهل الحرف السافلة ، ومن لا يملك قوت ليلته ... فتجد أحدهم يجتهد بقوة سعيه ، ويبيع متاعه ، أو يستدين الجميلة من الدراهم ، ويصرفها فى وقود القناديل وأجرة الطبالاة والزمارة ! وكل يجتمع عليه ما هو من أمثاله من الحرافيش ، ثم يقطع ليلته تلك

سهران ، ويصبح دائخا كسلان ، ويظن أنه بات يتعبد ، ويذكر ويتجهد !

واستمر هذا المولد أكثر من عشر سنين ، ولم يزد الناذر لذلك إلا مرضا ومقتا . واستجلب خدمة الضريح ملاح لهم من خساف العقول ، مثل الشمع والدرهم ، واتخذوا ذلك حبالا لأكل أموال الناس بالباطل !

فلما حصلت هذه الحادثة بمصر ، ترك هذا المولد في جملة المتروكات . ثم حصلت الفتنة التي حصلت ، وسكن هذا الفرنساوى في خط المشهد الحسينى ، لضبط تلك الجهة — وفيه منسيرة ومداينة — فصار يظهر المحبة للمسلمين ويلطفهم ، ويدخل بيوت الجيران ، ويقبل شفاعة المتشفعين ، ويجل الفقهاء ، ويعظمهم ويكرمهم . وأبطل وقوف عسكره بالسلاح كعادتهم في غير هذه الجهة . وكذلك منع مايفعله القلقات من أنواع التشديد على الناس في مثل القناديل .

فاطمأن به أهل الخطة ، وتراجعوا للبكور الى الصلاة في المساجد بعد تخوفهم من العسكر الذى رتب معهم وتركهم التبكير . فلما أنسوا به ، وعرفوا أخلاقه ، رجعوا الى عادتهم ، ومشوا بالليل أيضا بدون فزع وخوف .

وترجمانه على مثل طريقته . وهو رجل شريف من أهل حلب ، كان أسيرا بمالطة ، فاستخلصه الفرنسيين في جملة من استخلصوهم من أسرى مالطة ، وقدم معهم مصر . فلما أجلس هذا لضبط الخط ، كان ترجمانه يهوديا ، فاحتال بعض أعيان الجهة ، ورتب هذا الشريف المذكور ، ليكون فيه راحة للناس . ففتح له قهوة بالخط بالقرب من دار مخدومه ، وجمع الناس للجلوس فيها ، والسهر حصه من الليل ، وأمرهم بعدم غلق الحوانيت مقدارا من الليل كعادتهم القديمة .. فاستأنسوا بالاجتماعات

والتسلى والخلاعات . وعم ذلك جهات تلك الخطة ، ووافق ذلك هوى العامة لأن أكثرهم مطبوع على المجون والخلاعة ... وتلك هى طبيعة الفرنساوية ! فصاروا يجتمعون عنده للسمر والحديث ، واللعب والممازحة . ويحضر معهم ذلك الضابط ، ومعه زوجته ، وهى من أولاد البلد المخلوعين أيضا ! فانساق الحديث لذكر هذا المولد الشهير ، وما يقع في لياليه من الجمعيات والمهرجان ، وحسنوا له اعادته . فوافقهم على ذلك ، وأمر بالمناداة وفتح الحوانيت ، ووقود القناديل ، وشدد في ذلك .

الأربعاء ٩ منه (١٧ يناير ١٧٩٩ م) :

كتبوا أوراقا بتطير طيارة بركة الأزبكية ، مثل التى سبق ذكرها ... وفسدت ، فاجتمعت الناس لذلك وقت الظهر . وطيروها فصعدت الى الأعلى ، ومرت الى أن وصلت تلال البرقية ، وسقطت . ولو ساعدها الريح ، وغابت عن العين ... لمت الحيلة ، وقالوا انها سافرت الى البلاد البعيدة بزعمهم .

وفيه : سافر الخواجه مجلون الى الصعيد واليا على جرجا لتحرير البلاد وقبض الأموال والغلال المتأخرة بالنواحي .. للغز .

وفيه : سافرت قافلة بها أحمال كثيرة ، ومواش ، ونساء أفرنجيات ، وصناديق قيل انهم أرسلوها الى الطور ، وصحبتهن عدة من العسكر .

الخميس ١٠ منه (١٧ يناير ١٧٩٩ م) :

حضر طائفة من العسكر الفرنساوى الى وكالة ذى الفقار بالجمالية ، وفتحوا طبقة كانت لكتخدا على باشا الطرابلسى ، وأخذوا ما وجدوه بها من الأمتعة ، وختموا عدة حواصل وطباق بذلك الخان وبالوكالة الجديدة وغيرها ، للمسافرين والهاربين والقلبونجية ، وضبطوا ما بها ، وقبضوا على جماعة من الأتراك والقلبونجية التجار ، وسجنوهم

وفيهِ : ذهب عدة من العسكر الفرنساوية الى قطيا ، وشرعوا في بناء أبنية هناك . وأشيع سفر سارى عسكر الى جهة الشام والاغارة عليها .

الأحد ١٣ منه (٢٠ يناير ١٧٩٩ م) :

كان انتقال الشمس لبرج الدلو — وهو أول شهر من شهورهم — وعملوا تلك الليلة حراقة بارود وسوارىخ ، كما هى عادتهم عند كل انتقال الشمس من برج الى برج .

الاثنين ١٤ منه (٢١ يناير ١٧٩٩ م) .

نادى المحتسب على اللحم الضائى بسبعة أنصاف الرطل وكان بشمانية ، واللحم الجاموسى بخمسة وكان بستة .

وفيهِ : ذهب طائفة من العسكر وضربوا عرب العيايدة نواحى الخانكة ، وقتلوا منهم طائفة ونهبوهم ، ووجدوا من منهوبات الناس وأمتعة عسكر الفرنساوية وأسلحتهم جملة ، فأخذوا ذلك مع ما أخذوه . وأحضروا معهم بعض رجال ونساء حبسوهم بالقلعة .

وفيهِ : ذهب عدة من العسكر الى سناقير وأجهور الورد وقرثيل وكفر منصور وبلاد أخرى للتفتيش على العرب ، فأخذوا ما وجدوه للعرب من بهائم وغيرها . والذي عصى عليهم ضربوه ونهبوه أيضا ، ونهبوا جمالا وبهائم ممن لم يعص أيضا ، ودخلوا بذلك المدينة . فصاروا يبيعون البقرة بريالين وثلاثة ، والنعجة وابنها بريال ... فاشترى غالب ذلك نصارى القبط .

السبت ١٩ منه ٢٦ يناير ١٧٩٩ م :

قتلوا بالقلعة نحو التسعين نفرا ، وغالبهم من المالكين الذين وجدوهم هارين في البلاد والذين عس عليهم الخيىث الأغا وبرطلين والقلقات ووجدوهم مختفين في البيوت .

بالقلعة . وصاروا يفتشون على من بقى منهم بالقاهرة وبولاق — خصوصا الكرتلية الذين كانوا عسكرا لمراد بيك — وأخذوا الكثير من نصارى الأروام والقلبونجية الذين كانوا مع مراد بيك — وبعضهم كان بمصر — فأدخلوهم في عسكرهم ، وزيوهم بزيتهم ، وأعطوهم أسلحة ، وانتظموا في سلكهم . وفيهِ : تواترت الأخبار بأن على باشا ونصوح باشا فارقا مراد بيك وذهبا من خلف الجبل على الهجن الى جهة الشام وصحبته جماعة ابراهيم بيك . وكان ذهابهم في أواخر رجب .

وفيهِ : نادوا بإبطال القناديل التى توقد في الليل على البيوت والدكاكين ، وأن يوقدوا عوضها في وسط السوق مجامع في كل مجمع أربعة قناديل ، بين كل مجمع ثلاثون ذراعا . ويقوم بذلك الأغنياء دون الفقراء . ولا علاقة للقلقات في ذلك . ففرح بذلك فقراء الناس ، وانفجرت عنهم هذه الكربة . وفيهِ : نادوا أيضا أن كل من كان له دعوى شرعية أو ظلامة فليذهب الى العلماء والقاضى .

وفيهِ : ذهب طائفة من العسكر وضربوا عرب السكوامل ورجعوا بمنهوباتهم من الغنم والمعز والدجاج والأوز والحمير وغير ذلك .

وفيهِ : حضر رجل من ناحية غزة يطالب أمانا للست فاطمة زوجة مراد بيك ولابنة المرحوم محمد أفندى البكرى وزوجها الأمير ذى الفقار وخشداشينه . والخطاب للشيخ خليل البكرى . فعرض ذلك على سارى عسكر ، وترجى عنده ، فكتب لهم أمانا بحضورهم ، وأرسل لهم نفقة . وكان ذلك حيلة منهم لتأتيهم النفقة وبعض الاحتياجات .

وأخبر ذلك الرسول أن عبد الله باشا ابن العظم بغزة ، وابراهيم بيك ومن معه خارج البلد ، وهم في ضيق وحصر ، وحيز عنهم داخل البلد .

وفيه : قبضوا على خمسة أنفار من اليهود
وامرأتين فألقوا الجميع في بحر النيل .

وفيه : نادوا بأن كل من اشترى شيئا من
منهوبات العرب التي نهبتها العسكر يحضره ليت
صارى عسكر .

وفيه : كثر الاهتمام والحركة بسفر الفرنسيين
الى جهة الشام . وطلبوا وهياؤا جملة من الهجن ،
وأحضروا جمال عرب الترايين ليحملوا عليها الذخيرة
والدقيق والعليق والبقسماط . ثم رسموا على
الأهالى عدة كبيرة من الحمير ، وكذلك عدة من
البغال . فطلب شيخ الحمارة ، وأمر بجمع ذلك ...
وكذلك الركبدارية أمرهم بجمع البغال . فاختمى
غالب أصحاب الحمير ، وخاف الناس على حميرهم ،
فامتنع خروج السقائين الذين ينقلون الماء بالقرب
على الحمير ، وسقائين الجمال ، والبراسمية .
فحصل للناس ضيق بسبب ذلك .

الاثنين ٢١ منه (٢٨ يناير ١٧٩٩ م) :

كتبوا أوراقا ، ولصموها بالأسواق على العادة ،
ونصها :

« الحمد لله وحده .. هذا خطاب الى جميع أهل
مصر — من خاص وعام — من محفل الديوان
الخصوصى ... من عقلاء الأنام علماء الاسلام ،
والوجاقات ، والتجار الفخام . نعلمكم معاشر
أهل مصر ، أن حضرة صارى عسكر الكبير
بونابرتة ، أمير الجيوش الفرنساوية ، صفح الصفح
الكلى عن كامل الناس والرعية بسبب ما حصل
من أراذل أهل البلد والجعيدية من الفتنة والشر
مع العساكر الفرنساوية ، وعفا عفوا شاملا ، وأعاد
الديوان الخصوصى فى بيت قائد أغا بالأزبكية ،
ورتبته من أربعة عشر شخصا ، أصحاب معرفة
واقفان ، خرجوا بالقرعة من ستين رجلا كان أتجهم
بموجب فرمان ، وذلك لاجل قضايا حوائج الرعايا ،

وحصول الراحة لأهل مصر من خاص وعام ،
وتنظيمها على أكمل نظام واحكام ... كل ذلك من
كمال عقله وحسن تدبيره ، ومزيد حبه لمصر ،
وشففته على سكانها ، من صغير القوم قبل كبيرهم .
ورتبهم بالمنزل المذكور كل يوم لأجل خلاص المظلوم
من الظالم . وقد اقتص من عسكره الذين أساءوا
بمنزل الشيخ محمد الجوهري ، وقتل منهم اثنين
بقراميدان ، وأنزل طائفة منهم عن مقامهم العالى
الى أدنى مقام . لأن الخيانة ليست من عادة
الفرنسيين خصوصا مع النساء الأراامل ... فان
ذلك قبيح عندهم ، لا يفعله الا كل خسيس .
ووضع القبض بالقلعة على رجل نصرانى مكاس
لأنه بلغه أنه زاد المظالم فى الجمرى بمصر القديمة
على الناس . وفعل ذلك بحسن تدبيره ليمتنع غيره
من الظلم . ومراده رفع الظلم عن كامل الحلق ،
ويفتح الخليج الموصل من بحر النيل الى بحر
السويس لتخف أجرة الحمل من مصر الى قطر
الحجاز الأفخم ، وتحفظ البضائع من اللصوص
وقطاع الطريق ، وتكثر عليهم أسباب التجارة من
الهند واليمن وكل فج عميق .

« فاشتغلوا بأمر دينكم وأسباب دنياكم ،
واتركوا الفتنة والشرور ، ولا تطيعوا شيطانكم
وهواكم . وعليكم بالرضا بقضاء الله ! وحسن
الاستقامة ، لأجل خلاصكم من أسباب العطب
والوقوع فى الندامة . رزقنا الله وإياكم التوفيق
والتسليم ! »

« ومن كانت له حاجة فليأت الى الديوان
بقلب سليم .. الا من كان له دعوى شرعية ،
فلتوجه الى قاضى العسكر المتولى بمصر المحمية
... بخط السكرية .

« والسلام على أفضل الرسل على الدوام .
وفيه : أرسلوا للوالى لينبه على السقائين
بنقل الماء وعدم التعرض لهم ولحميرهم

الاربعاء ٢٣ منه ١ ٣٠ يناير ١٧٩٩ م) :

خرج ليلا عدة كبيرة من العسكر وطلب كبير
الفرنساوية بونا بارتته أن يأخذ معه مصطفى بيك
كتخدا الباشا المتولى أمير الحج ويأخذ أيضا قاضي
العسكر بجمقش زاده وأربعة أنفار من المتعممين ،
وهم الفيومي والصاوي والعريشي والدواخلي ،
وجماعة أيضا من التجار والوجاقلية ونصاري
القبط والشوام .

السبت ٢٦ منه (٢ فبراير ١٧٩٩ م) :

نادوا للناس بالأمان وفتح الأسواق ليلا في
رمضان ، حكم المعتاد .

وفيه : انتقل قائمقام من بيته المطل على بركة
الفيل — وهو بيت ابراهيم بيك الوالى — وسكن
بيت أيوب بيك الكبير المطل على بركة الأزبكية .
وانتقلوا جميعهم الى بركة الأزبكية .

وفيه : عرض حسن أغا محرم المحتسب لسارى
عسكر أمر ركوبه المعتاد لاثبات هلال رمضان
فرسم له بذلك ، على العادة القديمة ، فاحتفل لذلك
المحتسب احتفالا زائدا وعمل وليمة عظيمة في
بيته أربعة أيام ، أولها السبت وآخرها الثلاثاء ..
دعا في أول يوم العلماء والفقهاء والمشايخ
والوجاقلية وغيرهم ، وفي ثالى يوم التجار
والأعيان ، وكذلك ثالث يوم ورابع يوم دعا أيضا
أكابر فرنساوية وأصاغرهم .

وركب يوم الثلاثاء بالأبهة الكاملة زيادة عن
العادة ، وأمامه مشايخ الحرف بطبولهم وزمورهم ،
وشق القاهرة على الرسم المعتاد ، ومر على قائمقام
وأمير الحج وصاري عسكر بونا بارتته . ثم رجع
بعد الغروب الى بيت القاضى بين القصرين ،
فأثبتوا هلال رمضان ليلة الاربعاء . ثم ركب من
هناك بالموكب ، وأمامه المشاغل الكثيرة ، والطبول
والزمور والتفاكير ، والمناداة بالصوم .. وخلفه

عدة خيالة عارية رؤوسهم وشعورهم مرخية على
أقفيتهم بشكل بشع مهول .

وانقضى شهر شعبان وحوادثه ..

فمنها : أن أهل مصر جروا على عاداتهم في
بدعهم التى كانوا عليها وانكمشوا عن بعضها ،
واحتشموها خوفا من الفرنسيين . فلما تدرجوا
فها ، وأطلق لهم فرنساوية القيد ، ورخصوا
لهم ، وسايروهم ... رجعوا اليها ، وانهمكوا في
عمل مواليد الأصرحة التى يرون فرضيتها ، وأنها
قربة تنجيهم — بزعمهم — من المهالك ، وتقربهم
الى الله زلفى فى المسالك ... فرمحو فى غفلاتهم
مع ما هم فيه من الأسر ، وكساد غالب البضائع ،
وغلوها ، وانقطاع الأخبار ، ومنع الجالب ،
ووقوف الانكليز فى البحر ، وشدة حجزهم على
الصادر والوارد ... حتى غلت أسعار جميع
الأصناف المجلوبة من البحر الرومى ، وانقطع أثر
كثير من أرباب الصنائع التى كسدت لعدم طلابها .
واحتاجوا الى التكسب بالحرف الدنيئة : كبيع
الفطير ، وقلى السمك ، وطبخ الأطعمة والمأكولات !
والأكل فى الدكاكين ، واحداث عدة قهاوى .

وأما أرباب الحرف الدنيئة الكاسدة ،
فأكثرهم عمل حمارا مكاريا .. حتى ضارت
الأزقة — خصوصا جهات العسكر — مزدحمة
بالحمير التى تكرر للتردد فى شوارع مصر
فان للفرنسيين بذلك عناية عظيمة ، ومغالاة فى
الأجرة ... بحيث أن الكثير منهم نزل طول النهار
فوق ظهر الحمار بدون حاجة سوى أن يجرى به
مسرعا فى الشارع !

كذلك تجتمع الجماعة منهم ، ويركبون الحمير ،
ويجهدونها فى المشى والاسراع ، وهم يغنون
ويضحكون ، ويصيحون ويتسخرون . ويشاركهم
المكارية فى ذلك .

كما أن لهم العناية وبذل الأموال والتردد الى



القوات الفرنسية في الصعيد

حانات الراح ، والتغالي في شراء الفواكه والبواطي والأقداح . كما قال في ذلك صاحبنا الشيخ حسن العطار :

ان الفرنسيين قد ضاعت دراهمهم
في مصرنا بين حمار وخمار
وعن قريب لهم في الشام مهلكة
يضيع لهم فيها آجال وأعمار
ومن طبعهم في الشرب ، أنهم يتعاطون
لحد النشوة وترويح النفس . فإن زادوا عن ذلك
الحد ، لا يخرجون من منازلهم . ومن سكر وخرج
الى السوق ووقع منه أمر مغل ، عاقبوه وعزروه .
ومنها : ترفع أسافل النصارى من القبط
والشوام والأروام واليهود ، وركوبهم الخيول ،
وتقلدهم بالسيوف ... بسبب خدمتهم للفرنسيين !
ومشيهم الخيلاء ، وتجاهرهم بفاحش القول ،
واستذلالهم المسلمين ... كل ذلك بما كسبت
أيديهم وما ربك بظلام للعبيد !

والحال ... الحال ! والمركز في الطبع مازال ،
والبعض استهوته الشياطين ، ومروق — والعياذ
بالله — من الدين . ولا حول ولا قوة الا بالله
العلی العظيم .

ومنها : تواتر الأخبار من ابتداء شهر رجب
بأن رجلاً مغريباً — يقال له الشيخ الكيلاني —
كان مجاوراً بمكة والمدينة والطائف . ولما وردت

أخبار الفرنسيين الى الحجاز ، وأنهم ملكوا الديار
المصرية — انزعج أهل الحجاز لذلك ، وضجوا
بالحرم ، وجردوا الكعبة . وأن هذا الشيخ صار
يعظ الناس ، ويدعوهم الى الجهاد ، ويحرضهم
على نصره الحق والدين . وقرأ بالحرم كتاباً مؤلفاً في
معنى ذلك .. فاعتظ جملة من الناس ، وبذلوا
أموالهم وأنفسهم ، واجتمع نحو الستائة من
المجاهدين ، وركبوا البحر الى القصير .. مع من
انضم اليهم من أهل ينبع وخلافه . فورد الخبر
في أواخره أنه انضم اليهم جملة من أهل الصعيد ،
وبعض أتراك ومغاربة .. ممن كان خرج معهم
مع غز مصر عند وقعة امبابة . وركب الغز معهم
أيضاً ، وحاربوا الفرنسيين ، فلم تثبت الغز
كعادتهم ، وانهزموا ، وتبعهم هوارة الصعيد ،
والتجعة من القرى . وثبت الحجازيون ، ثم
انكفوا لقتلهم ، وذلك بناحية جرجا . وهرب الغز
والمالِك الى ناحية اسنا ، وصحبته حسن بيك
الجدوى ، وعثمان بيك حسن تابعه .

ووقع بين أهل الحجاز والفرنسيين بعض
حروب غير هذه المرة بعدة مواضع . وينفصل
الفريقان بدون طائل .

ومنها : أن الفرنسيين عملوا كرتيلة بجزيرة
بولاق ، وبنوا هناك بناءً فيحجزون بها القادمين من
السفار أياماً معدودة ... كل جهة من الجهات
القبلية والبحرية بحسبها . والله أعلم .

رمضان

الأربعاء اوله (٦ فبراير ١٧٩٩ م) :

أخذ بونايرته في الاهتمام بالسفر الى جهة الشام ، وجهزوا طلبا كثيرا ، وصاروا في كل يوم تخرج منهم طائفة بعد طائفة .

الست ٤ منه (٩ فبراير ١٧٩٩ م) :

عمل صارى عسكر ديوانا ، وأحضر المشايخ والوجقات وتكلم معهم في أمر خروجه للسفر ، وأنهم قتلوا الممالك الفارين بالصعيد وأجلوا باقيهم الى أقصى الصعيد ، وأنهم متوجهون الى الفرقة الأخرى بناحية غزة ، فيقطعونهم ويمهدون البلاد الشامية لأجل سلوك الطريق ، ومشى القوافل والتجارات برا وبحرا ، لعمار القطر وصلاح الأحوال ، وأنا نغيب عنكم شهرا ثم يعود . وعند عودنا نرتب النظام في البلد والشرائع وغير ذلك ... فعليكم ضبط البلد والرعية في مدة غيابنا ، ونبهوا مشايخ الأخطاط والحارات ... كل كبير يضبط طائفته ، خوفا من الفتن ، مع العسكر المقيمين بمصر .

فالتزموا له بذلك ، وكتبوا له أوراقا مطبوعة على العادة في معنى ذلك ، وألصقوها بالطرق . وفيه : خرج القاضي ومصطفى ، كتحدا الباشا ، والمشايخ المعنون للسفر الى جهة العادلية . وخرج أيضا عدة كبيرة من عسكرهم ، ومعهم أحمال كثيرة .. حتى الأسرة والفرش والحصر ، وعدة مواهي ومحفات للنساء والجوارى البيض والسود والحبوش اللاتي أخذوهن من بيوت الأمراء ، وتزينا أكثرهن بزى نسائهم الأفرنجيات .. وغير ذلك .

الأحد ٥ منه (١٠ فبراير ١٧٩٩ م) :

ركب صارى عسكر الفرنسيين وخرج أيضا الى

العادلية ، وذلك في الساعة الرابعة بطالع الحمل وفيه القمر في تربيغ زحل وأبقى بمصر عدة من العسكر بالقلعة والأبراج التي بنوها على التلؤل وقائمقام وبوسليك وصارى عسكر ديزيه بجملته من العسكر في الصعيد ، وكذلك صوارى عسكر الأقاليم ، كل واحد معه عسكر في جهة من الجهات . وأخذ معه المديرين وأصحاب المشورة والمترجمين وأرباب الصنائع مهم كالحدادين والتجارين ومهندسى الحروب وكبيرهم أبو خشبة ، وأبقى أيضا بعض أكابرهم بمصر . ثم تراسل المتخلفون في الخروج .. كل يوم تخرج منهم جماعة .

الثلاثاء ٧ منه (١٢ فبراير ١٧٩٩ م) :

انتدب للنميمة ثلاثة من النصارى الشوام ! وعرفوهم أن المسلمين قاصدون الوثوب على الفرنسيين في يوم الخميس ٩ منه (١٤ فبراير ١٧٩٩ م) فأرسل قائمقام خلف المهدي والأغا فأحضرهما وذكر لهما ذلك فقالا له : « هذا كذب لا أصل له ، وإنما هذه نميمة من النصارى كراهة منهم في المسلمين » . ففحص عن اختلق ذلك فوجدهم ثلاثة من النصارى الشوام فقبضوا عليهم وسجنوهم بالقلعة ، حتى مضى يوم الخميس فلم يظهر صحة ما تفلوه . فأبقاهم في الاعتقال .

ثم ان نصارى الشوام رجعوا الى عادتهم القديمة في لبس العمائم السود والزرقي ، وتركوا لبس العمائم البيض والشيلا الكشمير الملونة والمشجرات ، وذلك بمنع الفرنسيين لهم من ذلك . ونبهوا أيضا بالمناداة في أول رمضان بأن نصارى البلد يمشون على عادتهم مع المسلمين أولا ، ولا يتجاهرون بالأكل والشرب في الأسواق ، ولا يشربون الدخان ولا شئ من ذلك بمصرأى منهم كل ذلك استحلابا لخواطر الرعية . حتى

يقال له حسن كاشف الدويدار ، وكاشفان آخران ، وهما يوسف كاشف الرومي واسماعيل كاشف تابع أحمد كاشف المذكور .

وكان من خبرهم أنهم كانوا مقيمين بقلعة العريش وصحبتهم نحو ألف عسكري مغاربة وارانأود فحضر لهم الفرنسيين الذين كانوا في المقدمة في أواخر شعبان فأحاطوا بالقلعة وحاربوهم من داخلها ونالوا منهم ما نالوه . ثم حضر اليهم ساري عسكر بجموعه بعد أيام وألحوا في حصارهم فأرسل من بالعريش الى غزة فطلب نجدة ، فأرسلوا لهم نحو السعمانة وعليهم قاسم بيك أمين البحرين ، فلم يتمكنوا من الوصول الى القلعة لتحلق الفرنسيات بها واحاطتهم حولها ، فنزلوا قريبا من القلعة فكبستهم عسكر الفرنسيين بالليل



الأتراك يهاجمون قلعة العريش

فاستشهد قاسم بيك وغيره ، وانهزم الباقون . ولم يزل أهل القلعة يحاربون ويقاتلون حتى فرغ ما عندهم من البارود والذخيرة فطلبوا عند ذلك الأمان ... فأمنوهم ، ومن القلعة أنزلوهم ، وذلك بعد أربعة عشر يوما . فلما نزلوا على أمانهم أرسلوهم الى مصر مع الوصية بهم وتخليه سبيلهم فحضروا الى مصر فأخذوا سلاحهم وخلوا سبيلهم وصاروا يترددون عليهم ، ويعظمونهم ويلاطفونهم ويفرجونهم على صنائعهم وأحوالهم . وأما العسكر الذين كانوا معهم بقلعة العريش

ان بعض الرعية من الفقهاء مر على بعض النصاري ، وهو يشرب الدخان ، فاتتبه .. فرد عليه ردا شنيعا . فنزل ذلك المتعمم ، وضرب النصرائي . واجتمع عليه الناس ، وحضر حاكم الخطة فرفعها الى القائم مقام . فسأل من النصاري الحاضرين عن عادتهم في ذلك ، فأخبروه أن من عادتهم القديمة أنه اذا استهل شهر رمضان لا يأكلون ولا يشربون في الأسواق ، ولا يبرأى من المسلمين أبدا . ف ضرب النصرائي ، وترك المتعمم لسبيله .

الاحد ١٩ منه (٢٤ فبراير ١٧٩٩ م) :

أحضروا مراد أغا - تابع سليمان بيك الأغا ومعه آخر من الأجناس - من ناحية قبلى فأصعدوهما القلعة قبل قتلها .

السبت ٢٥ منه (٢ مارس ١٧٩٩ م) :

ورد الخبر بأن الفرنسيات ملكوا قلعة العريش وطاف رجل من أتباع الشرطة ينادى في الأسواق أن الفرنسيات ملكوا قلعة العريش وأسروا عدة من المماليك . وفي غد يعملون شنكا ويضربون مدافع فاذا سمعتم ذلك ، فلا تفرعوا .

الاحد ٢٦ منه (٣ مارس ١٧٩٩ م) :

حضر المماليك المذكورة وهم ثمانية عشر مملوكا وأربعة من الكشاف . وهم راكبون الحمير ، متقلدون بأسلحتهم ، ومعهم نحو المائة من عسكر الفرنسيين ، وأمامهم طلبهم . وخرج بعض الناس .. فشاهدتهم ولما وصلوا الى خارج القاهرة - حيث الجامع الظاهري - خرج الأغا وبرطلين بطوافيهما ينتظرانهم ، ومعهم طبول وبيارق وطوائف ، ومشوا معهم الى الأزبكية من الطريق التي أحدثوها ، ودخلوا بهم الى بيت قائم مقام . فأخذوا سلاحهم ، وأطلقوهم .. فذهبوا الى بيوتهم . وفيهم أحمد كاشف تابع عثمان بيك الأشقر وآخر

العظيم الشأن ... ذلك المصحف الأكمل ، والكتاب
المفضل ، يشتمل على مبادئ الحكمة السنية ،
والحموق اليقينية .

« وهذه المبادئ المذكورة لا يصح بناؤها
المتبن ، على الحكم والحق اليقين ، الا اذا عرضت
على أحسن الآداب ، وتعليم العلوم بغير ارتياب .
وبهذين تنتج أعظم الفوائد ، وذلك بمساعي أناس
متحدين معا برياضات الحظ والسعد .

« وبمثل ذلك عرفت أنه لمن المستحيل أن القرآن
الشريف يفصح الا على ماهو من باب النظام ،
لأنه — من دون ذلك — فكل ماهو في هذا العالم
الفانى ليس الا معابر وخراب .

« ولا يسهى عنا أن كل ماهو من الموجودات
الكائنات ، كقولك تلك المتحركة بطريقة ونظام ،
من قبل من جعلها للسير سبحانه مبدع الأنام ،
كالنجوم السائرة فى الأعالي ، وبها يهتدى للسير
الحالى . ثم على الخصوص تلك الفصول الأربع
المتوالى انتقالها باستمرار جولانها ، ثم اتصال
الليل بالنهار ، والنهار بالليل .. على حد واحد من
المقدار ، ثم وجود المتباينات ، وتمييز النور من
الظلمات ، وان ذاك وما أدراك !

« فماذا عسى كان يحل بنا وبحال العالم بأسره
أيضا ، لو عدم هذا النظام ... ولو برهة ؟

« فالآن لرجو جناب حضرة المشايخ والعلماء
يفيدون كيف ترى كان يصير حال القطر المصرى ،
لو يمتنع عن جريانه كمعاداته لهره هذا المبارك
المشتهر — لا يسمح الله سبحانه بذلك —
فبلا شك أن البلاد قاطبة لا يمكن أن تسكن حين
ذاك الا ببحر سنة واحدة فقط . وذلك من عدم
الماء ، ورى الأرض .. أراضى هذه المملكة التى
أتم قاطنون بها . وفى ذلك الحين كانت تصعد
الرمال على الأطنان والمزارع والحيضان ، والناس

تهلك جوعا ، وتعدم السكان ، فتتشحن الأرض
من الأموات ، فنعوذ بالله الحفيظ لسائر المخلوقات .
« واذا كان الله سبحانه وتعالى قد أبدع كل
الأشياء بمعرفته القادرة ، وحكمته الباهرة .
وجعل هذا النظام العجيب ، ورتب هذه الدنيا
وما فيها ترتيب معجزا غريب . فقد عرف أنها بدون
ذلك تعدم سريعا ، وحالها يغدو مريعا .

« فالآن ... انما نكون من أشر المذنبين اذا
سرنا سيرة كالضالين ، وعلى أوامره عصاة غير
منخضعين . ومع ذلك فنسأله جل شأنه أن يقوينا
على السلوك فى ديننا ودنيانا .. وهذا القدر كفانا .
« فيا أيها المشايخ المكرمون ، والعلماء المحققون
ومن هم بالعلم موصوفون ... لا يخفاكم أن أجمل
مافى النظام ، فى تدبير هذه الدنيا بأسرها حسن تام ،
هو الاحتفال والميل الى النظام ، الذى هو صادر
ترتيبه عن حكمة الله تعالى بوجه تام . ثم ان البلاد
وتلك النواحي ، التى يطلق عليها كونها فى حال
النجاح ، والحظ والفلاح — لاتعتد هكذا الا اذا
كان سكانها يهتدون الى قواعد الشريعة ، والفرائض
الصادرة عن أصحاب الفطنة والادراك ، ويستعدون
للسلوك بالعدل والانصاف .. خلافا لغيرها من البلاد
التعسة الحال ، تلك التى سكانها خاضعون على
الدوام لمافيه من العجرفة والاعتداء ، ولا ينعطفون
الا الى أهواء أنفسهم المنحرفة .

« فجناب حضرة بونا بارتة الشهير النبيل ،
الصنديد الشجاع الجليل ، قد تقدم فأمر بأن
يحرر دفتر ، يكتب فيه أسماء كامل الميتين . والآن
حضرتكم قد طلبتم منى دفترا آخر خلافا ، فيه
يتحرر أسماء المولودين أيضا .

« ومن حيث ذلك ، فلا بد أن أعتنى منذ الآن ،
مع جزيل الاهتمام ، بهذين الأمرين . وهكذا أيضا
بتحرير دفتر الزواج ، اذ كان ذلك أشد المهمات
والحوادث الواجبات . ثم يتبع ذلك بتجديد نظام

غير قابل التغيير في ضبط الأملاك ، والتمييز الكامل عمن ولد ومات من السكان ، وهذا يعرف من أهالي كل بيت . فعلى هذا الحال ، يتيسر للمحاكم الشرعية الحكم بالعدل والانصاف ، وينقطع الخلف والخصام بين الورثة ، وتقرر الولادة ، ومعرفة السلالة التي هي الشيء الأجل والأوفر استحقاقا في الارث . وهكذا ، ان شاء الله ، لا بد من الفحص والتفتيش بالحرص والتدقيق ، وبذل الهمة للحصول لأقرب نوال الى ما يلزم لاكمال ما قصدناه .

« ثم ان أراد الله لا بد أن أعتنى بالمطالبة ، على وجه تام ، كل وقت يقتضى لنا أن ندبر أشياء تستفيد بها هذه المملكة التي قد تسلمنا سياستها ، وبهذا نوقن ونتحقق كوننا امثلكم لأوامر دولة جمهور فرنساوية ، وحضرة قنصلها الأول بونا برته .

« فياحضرة المشايخ والعلماء الكرام ، أننا نشكر فضلكم على ما أظهرتم لنا تهنئة بولادة ولدى السيد سليمان مراد جاك مينو . فنطلب من الله سبحانه وتعالى ، واسألوه كذلك بجاء رسوله سيد المرسلين ، أن يجود به على زمانا مديدا ، وأن يكون للعدل محبا ، وللاستقامة والحق مكرما ، وموفى وعده صادقا ، وألا يكون من أهل الطمع فهذا هو أوفر الغنى الذي أرغبه لولدى . لأن الرجل ... الذي لا يهتدى الا بالخير ، فلا يصرف اعتناؤه الا في خير الأدب ، لا في قنية الفضة والذهب .

« فنسأله تعالى أن يطيل بقاءكم والسلام » (١) .

(١) في هذا الشهر رزق عبد الله جاك مينو من زوجته السيدة زبيدة ولدا اسماه « سليمان مراد جاك مينو » .
« عبد الرحمن الرافعي - تاريخ الحركة القومية ج ٢ ص ٢١٤ »
وكان اختيار مينو اسم « سليمان » ، لان سليمان الحلبي قاتل كليبر ، وذلك لكراهية مينو لكليبر . وكان ايضا لا يبدو منه اى احترام للذكراء .

الخميس غايته (١٥ يناير ١٨٠١ م) :

سقطت منارة جامع قوصون .. سقط نصفها الأعلى فهدم جالبا من بوائك الجامع ، ونصفها الأسفل مال على الأماكن المقابلة له بعطفة الدرب النافذ لدرب الأغوات ، وبقي مسندا كذلك قطعة واحدة الى يومنا هذا . وأظن أن سقوطها من فعل الفرنسيين بالبارود .

رضان

ثبت هلاله ليلة الجمعة (١٦ يناير ١٨٠١ م) :

عملت الرؤية ، وركب المحتسب ومشايخ الحرف بالطبول والزمور على العادة ، وأطلقوا له خمسين ألف درهم لذلك ، نظير عوائده التي كان يصرفها في لوازم الركبة .

الثلاثاء ٥ منه (٢٠ يناير ١٨٠١ م) :

وقع السؤال والفحص عن كسوة الكعبة ، التي كانت صنعت على يد مصطفى أغا - كتخدا الباشا - وكملت بمباشرة حضرة صاحبنا العمدة الفاضل ، الأريب الأديب ، الناظم الناصر : السيد اسماعيل الشهير بالخشاب . ووضعت في مكانها المعتاد بالمسجد الحسيني ، وأهمل أمرها الى حد تاريخه ، وربما تلف بعضها من رطوبة المكان وخير السقف من المطر . فقال الوكيل : « ان سارى عسكر قصده . التوجه بصحبكم يوم الخميس قبل الظهر بنصف ساعة الى المسجد الحسيني ، ويكشف عنها . فان وجد بها خلاا أصلحه ، ثم يعيدها كما كانت ، وبعد ذلك يشرع في ارسالها الى مكانها بمكة ، وتكسى بها الكعبة على اسم المشيخة فرنساوية ا » . فقالوا له : « شأنكم وما تريدون » وقرىء بالمجلس فرمان بمضون ذلك .

مولاكم الذى خلقكم وسواكم .. والسلام ختام ! » .

وانقضى شهر رمضان ، ووقع فيه — قبل ورود هذه الأخبار — من السكون والطمأنينة وخلو الطرقات من العسكر ، وعدم مرور المتخلفين منهم الا فى النادر ، واختفائهم بالليل جملة كافية ، وانفتاح الأسواق والدكاكين ، والذهاب والمجيء ، وزيارة الاخوان ليلا ، والمشي على العادة بالفوانيس ودونها ، واجتماع الناس للسهر فى الدور والقهاوى ، ووقود المساجد ، وصلاة التراويح ، وطواف المسحرين ، والتسلى بالرواية والنقل ، وترجى المأمول ، وانحلال الأسعار فيما عدا المجلوبات من الأقطار .

ومنها : أن فرنساوية صاروا يدعون أعيان الناس والمشايخ والتجار للافطار والسحور ، ويعملون لهم الولائم ، ويقدمون لهم الموائد على نظام المسلمين وعاداتهم . ويتولى أمر ذلك الطباخون والفراشون من المستلمين ، تطينا لخواطرهم ، ويذهبون هم أيضا ، ويحضرون عندهم الموائد ، ويأكلون معهم فى وقت الافطار ، ويشاهدون ترتيبهم ونظامهم ، ويحذون حذوهم . ووقع منهم من المسايرة للناس وخفض الجانب ، ما يتعجب منه ! والله أعلم .

شمال

الجمعة مستهله (٨ مارس ١٧٩٩ م) :

فى صبح ذلك اليوم ضربوا عدة مدافع لشبك العيد ، واجتمع الناس لصلاة العيد فى المساجد والأزهر . واتفق أن امام الجامع الأزهر نسي قراءة الفاتحة فى الركعة الثانية فلما سلم أعاد الصلاة بعد ما شنع عليه الجماعة .

وخرج الرجال والنساء لزيارة القبور . فاتبذ بعض الحرافيش نواحي تربة باب النصر ، وأسرع

فى مشيه وهو يقول : « نزلت عليكم العرب يا ناس » . فهاجت الناس ، وانزعجت النساء ، ورمحت الجعيدية والحرافيش ، وخطفوا ثياب النساء وأزرهن ، وما صادفوه من عبائم الرجال وغير ذلك ، واتصل ذلك بتربة المجاورين وباب الوزير والقرافة ، حتى أن بعض النساء ماتت تحت الأرجل . ولم يكن لهذا الكلام صحة ، وانما ذلك من مخترعات الأوباش لينالوا أغراضهم من الخطف بذلك .

وفيه : ركب أكابر الفرنسيين وطافوا على أعيان البلد وهنوهم بالعيد وجاملهم الناس . لمدارة أيضا ..

وفيه : وردت الأخبار بأن الأمراء المصرية القبليين تفرقوا من بعضهم : فذهب مراد بيك وآخرون الى نواحي ابراهيم بيك ، ومنهم من ذهب الى ناحية أسوان والألفى عدى بجماعته الى البر الشرقى .

الثلاثاء ٥ منه (١٢ مارس ١٧٩٩ م) :

قدم الشيخ محمد الداوخلى من ناحية القرين ممرضا ، وكان بصحبته الصاوى والفيومى متخلفين بالقرين . وسبب تخلفهم أن كبير الفرنسيين لما ارتحل من الصالحية ، أرسل الى كتخدا الباشا والقاضى والجماعة الذين بصحبتهم ، يأمرهم بالحضور الى الصالحية ، لأنهم كانوا ياعدون عنه مرحلة ، فلما أرادوا ذلك بلغهم وقوف العرب بالطريق ... فخافوا من المرور ، فذهبوا الى العرين (١) ، فأقاموا هناك ، واتخذ عسكر الفرنسيين جمالهم فأقاموا بمكانهم . فتعلق هؤلاء الثلاثة ، وخافوا سوء العاقبة .. ففارقوهم وذهبوا للقرين ، وتخلف عنهم الفيومى فأقام مع كتخدا الباشا والقاضى ، فحصل للدواخلى توعك ، فحضر الى مصر وبقي رفيقاه فى حيرة .

(١) بالعين ، وهو غير القرين بالقاف .

وفزع عليه ليضربه . فلما خرج من عنده قام وذهب الى كبيرهم واخبره بفعل دلوى معه ، فأمر باحضاره وحبسه بالقلعة .

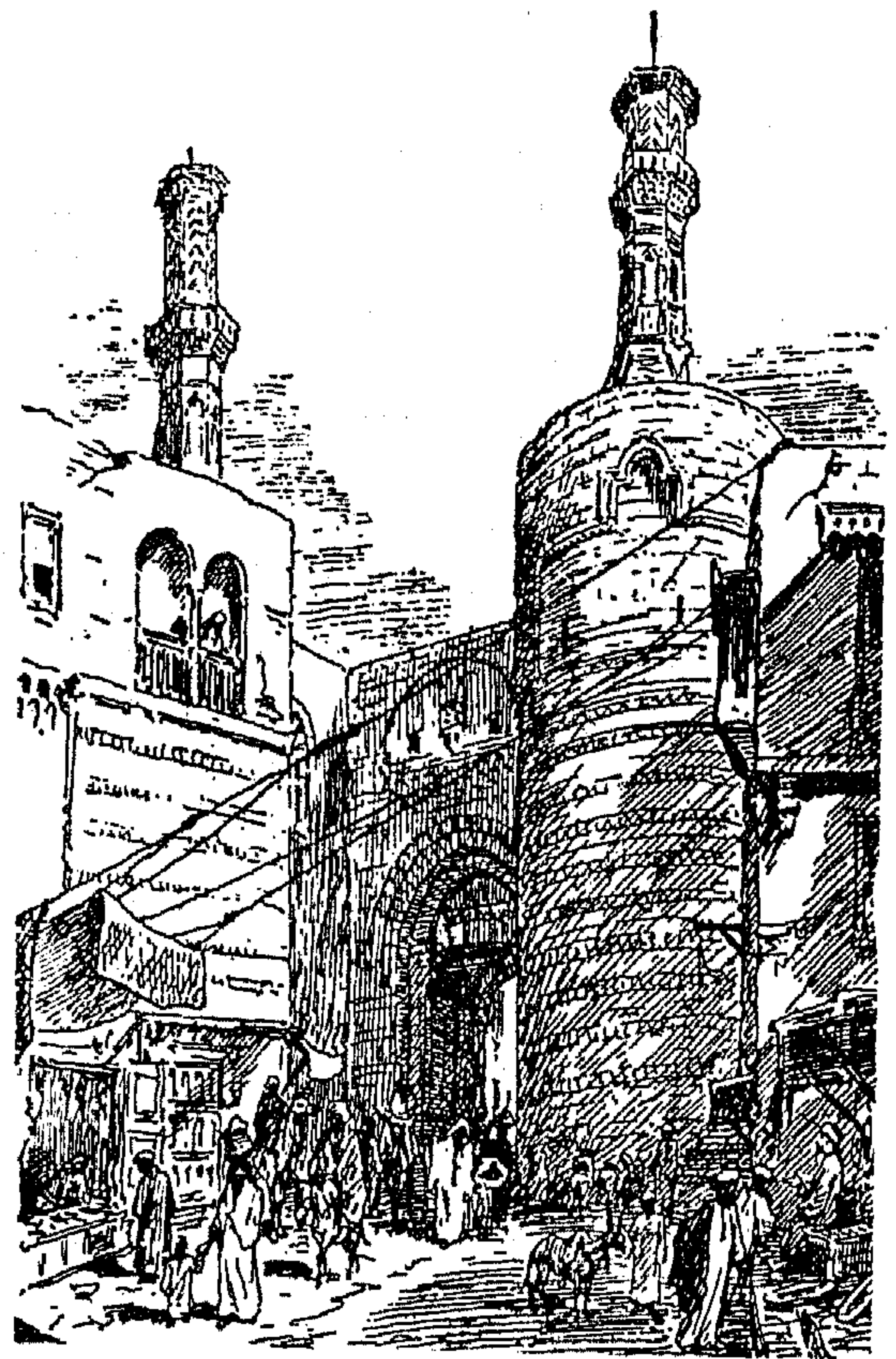
ثم أخبر بعض الناس شيخ البلد أن التعرض الذى وقع من دلوى لبساعة الغلة انما هو باغراء خادمه ، وعرفه أن خادمه المذكور مولع بامرأة رقاصة من الرميلة تأتيه بأشكالها ومن على طريقتهما ويجتمع هو وأضرابه وترقص لهم تلك المرأة فى القهوة التى يحطهم ليلا ونهارا وتبيت معهم فى البيت ويصبحون على حالهم . فلما حبس أميرهم اختفوا فدلوا على الرجل والمرأة فقبضوا عليهما وفعلوا بهما ما ذكر . ولا بأس بما حصل .

الجمعة ٨ منه (١٥ مارس ١٧٩٩ م) :

نودى فى الأسواق بموكب كسوة الكعبة المشرفة من قرا ميدان والتنبيه باجتماع الوجاقات وأرباب الأثاير وخلافهم على العادة فى عمل الموكب .

السبت ٩ منه (١٦ مارس ١٧٩٩ م) :

اجتمع الناس فى الأسواق وطريق المرور وجلسوا للفرجة فمروا بذلك وأمامها الواسى والمحتسب وعليهم القفاطين والبنشآت وجميع الأثاير بطبولهم وزمورهم وكاساتهم ، ثم برطلين كتحدا مستحفظان وأمامه نفر من النيكرجية المسلمين نحو المائتين أو أكثر ، وعدة كثيرة من نصارى الأروام بالأسلحة والملازمين بالبراقع ، وهو لابس فروة عظيمة . ثم مواكب القلقات ، ثم موكب ناظر الكسوة — وهو تابع مصطفى كتحدا الباشا — وخلفه النوبة التركية . فكانت هذه الركبة من أغرب المواكب وأعجب العجائب لما اشتهت عليه من اختلاف الأشكال وتنوع الأمثال واجتماع الملل ، وارتفاع السفل ، وكثرة الحشرات ، وعجائب المخلوقات ، واجتماع الأضداد ، ومخالفة الوضع المعتاد . وكان نسيج الكسوة بدار مصطفى كتحدا



باب زويلة

الخميس ٧ منه (١٤ مارس ١٧٩٩ م) :

أحضر الأغا رجلا ورمى عنقه عند باب زويلة وشنق امرأة على شبك السبيل تجاه الباب . والسبب فى ذلك أن الفرنساوى حاكم خط الخليفة وجهه الركبية — ويسمى دلوى (١) — أحضر باعة الغلال بالرميلة وصادرهم ومنعهم من دفع معتاد الوالى ، فاجتمعوا وذهبوا الى كبير الفرنسيين الذى يقال له شيخ البلد وشكوا اليه . وكان الأمير ذو الفقار حاضرا — وهو يسكن تلك الجهة — فعرضهم وعرف شيخ البلد عن شكواهم ، فأرسل شيخ البلد الى دلوى فانتهره وأمره برد ما أخذه ، فأخبره أتباعه أن ذا الفقار هو الذى عضدهم وأنهى شكواهم الى كبيرهم . فقام دلوى المذكور ودخل على ذى الفقار فى بيته وسبه وشتمه بلغته

(١) « دىوى » فى بعض النسخ . ولعلها « دىوى » .

المذكور وهو على خلاف العادة من نسجها بالقلعة .

الأربعاء ١٣ منه (٢٠ مارس ١٧٩٩ م) :

حضر عدة من الفرنسيين وهم راكبون الهجن ومعهم عدة بيارق وأعلام بعد الظهر وأخبروا أن الفرنسيين ملكوا قلعة يافا ، ويدهم مكاتبة من صارى عسكرهم بالاخبار عما وقع .

الخميس ١٤ منه (٢١ مارس ١٧٩٩ م) :

اجتمع أرباب الديوان ، فقرأ عليهم تلك المراسلة — بعد تعريبها وترصيفها على هذه الكيفية — وهى عن لسان رؤساء الديوان الى الكافة . وذلك بالزامهم وأمرهم بذلك . وصورتها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . سبحان مالك الملك يفعل فى ملكه ما يريد . سبحان الحكم العدل الفاعل المختار ذى البطش الشديد !

هذه صورة تعليقك الله سبحانه وتعالى جمهور الفرنساوية لبندر يافا من الأقطار الشامية :

« نعرف أهل مصر وأقاليمها من سائر البرية أن العساكر الفرنساوية انتقلوا من غزة فى ٢٣ رمضان . ووصلوا الى الرملة فى ٢٥ منه فى أمن واطمئنان ، فشاهدوا عسكر أحمد باشا الجزار هارين بسرعة قائلين : الفرار ! الفرار !

« ثم ان الفرنساوية وجدوا فى الرملة ومدينة « لد » مقداراً كبيراً من مخازن البقسماط والشعير ، ورأوا فيها ألفاً وخمسمائة قرية مجهزة ... جهزها الجزار يسير بها الى إقليم مصر مسكن الفقراء والمساكين ! ومراده أن يتوجه اليها بأشرار العربان من سطح الجبل . ولكن تقادير الله تفسد المكر والحيل ! قاصداً سفك دماء الناس مثل عوائده الشامية — وتجبره وظلمه مشهور — لأنه تربية الممالك الظلمة المصرية . ولم يعلم من خسافة عقله وسوء تدبيره أن الأمر لله . كل شيء بقضائه وتدبيره .

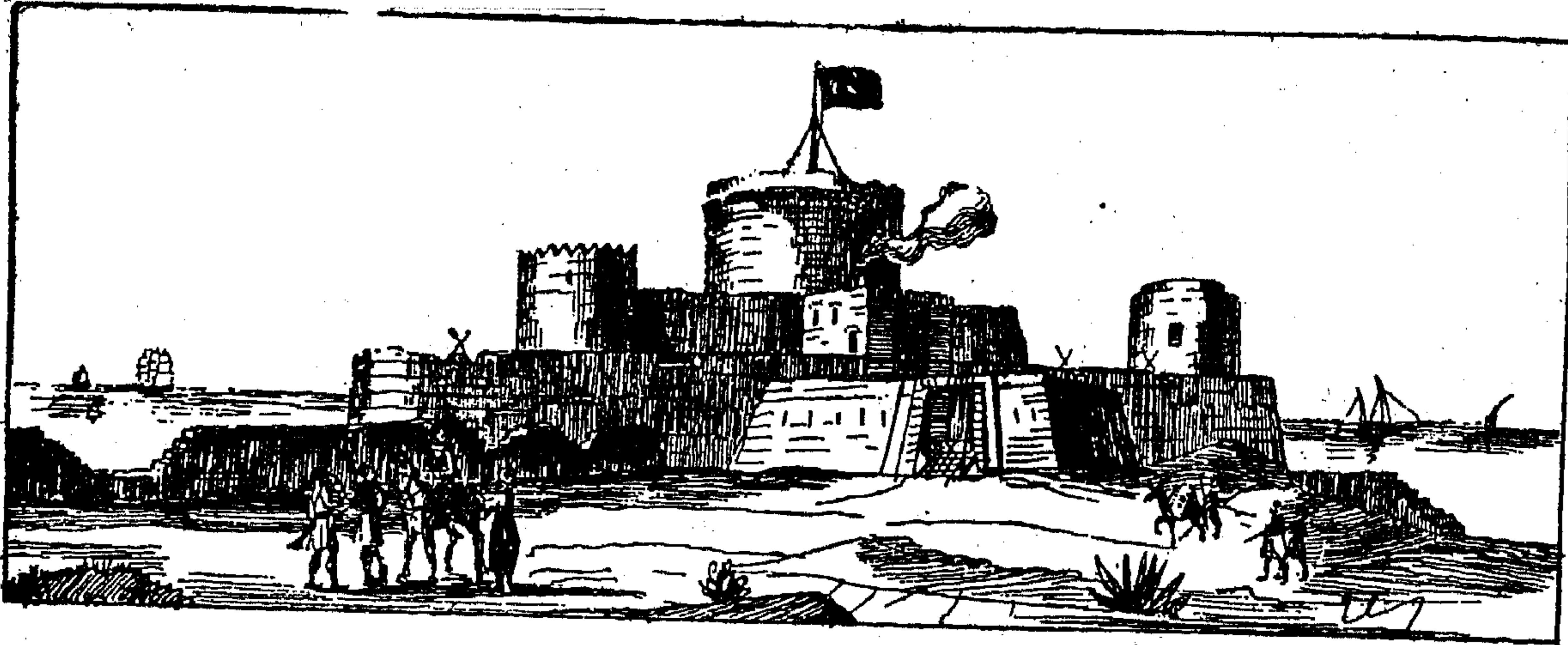
« وفى سادس عشر من شهر رمضان وصلت مقدمات الفرنساوية الى بندر يافا من الأراضى الشامية ، وأحاطوا بها وحاصروها من الجهة الشرقية والغربية ، وأرسلوا الى حاكمها . وتحيل الجزار أن يسلمهم القلعة قبل أن يحل به وبعسكره الدمار .

« فمن خسافة رأيه وسوء تدبيره ، سعى فى هلاكه وتدميره ، ولم يرد لهم جواب ، وخالف قانون الحرب والصواب .

« وفى أواخر ذلك اليوم — السادس والعشرين — تكاملت العساكر الفرنساوية على محاصرة يافا ، وصاروا كلهم مجتمعين . وانقسموا على ثلاثة طوابير : الطابور الأول توجه على طريق عكا بعيداً عن يافا بأربع ساعات . وفى السابع والعشرين من الشهر المذكور ، أمر حضرة صارى عسكر الكبير بحفر خنادق حول السور لأجل أن يعملوا متاريس أمينة وحصارات متقنة حصينة ، لأنه وجد سور يافا ملآن بالمدافع الكثيرة ، ومشحونة بعسكر الجزار الغزيرة .

« وفى تاسع عشرين الشهر ، لما قرب حفر الخندق الى السور مقدار مائة وخمسين خطوة ، أمر حضرة صارى عسكر المشار اليه أن تنصب المدافع على المتاريس ، وأن يضعوا أهوان القنبر باحكام وتأسيس . وأمر بنصب مدافع أخرى بجانب البحر لمنع الخارجين اليهم من مراكب المينا ، لأنه وجد فى المينا بعض مراكب أعدها عسكر الجزار للهروب . ولا ينفع الهروب من القدر المكتوب !

« ولما رأت عساكر الجزار الكائنون بالقلعة ، المحاصرون ، أن عسكر الفرنساوية قلائل فى رأى العين للناظرين لمداواة الفرنساوية فى الخنادق . خلف المتاريس ، غرهم الطمع ، فخرجوا لهم من القلعة مسرعين مهزولين ، وظنوا أنهم يغلبون الفرنساوية .. فهجم عليهم الفرنسيين ، وقتلوا



استحكامات يافا

ونخبركم أن حضرة صارى عسكر المشار اليه .. لمزيد رحمته وشفقته — خصوصا بالضعفاء من الرعية ! — خاف عليكم من سطوة عسكره المحاربين ، اذا دخلوا عليكم بالقهر أهلكوكم أجمعين . فلزمنا أننا نرسل لكم هذا الخطاب ... أمانا كافيا لأهل البلد والأغراب . ولأجل ذلك آخر ضرب المدافع والقناير الصاعدة عنكم ساعة فلكية واحدة . واني لكم لمن الناصحين ! »

« وهذا آخر جواب الكتاب ... فجعلوا جوابنا حبس الرسول ، مخالفين للقوانين الحربية ، والشريعة المطهرة المحمدية ! وحالا — في الوقت والساعة — هيج صارى عسكر ، واشتد غضبه على الجماعة ، وأمر بابتداء ضرب المدافع والقناير الموجب للتدمير . وبعد مضي زمان يسير تعطلت مدافع يافا المقابلة لمدافع المتاريس ، وانقلب عسكر الجزائر في وبال وتنكيس .

« وفي وقت الظهر من هذا اليوم ، انفرق سور يافا ، وارتج له القوم ، وتقب من الجهة التي ضربت فيها المدافع من شدة النار . ولا راد لقضاء الله ولا مدافع ! وفي الحال أمر حضرة صارى عسكر بالهجوم عليهم . وفي أقل من ساعة ملكت الفرنسيات جميع البندر والأبراج ، ودار السيف في المحاربين ،

منهم جملة كثيرة في تلك الواقعة ، وألجأوهم للدخول ثانيا في القلعة .

« وفي يوم الخميس غابة شهر رمضان ، حصل عند صارى عسكر شفقة قلبية ، وخاف على أهل يافا من عسكره اذا دخلوا بالقهر والاكراه ! فأرسل اليهم مكتوبا مع رسول مضمونه :

« لا اله الا الله وحده لا شريك له .. بسم الله الرحمن الرحيم : من حضرة صارى عسكر اسكندر برتبة كتخدا العسكر الفرنسياتوى .. الى حضرة حاكم يافا ...

« نخبركم أن حضرة صارى عسكر الكبير بونايرته أمرنا أن نعرفك في هذا الكتاب أن سبب حضوره الى هذا الطرف اخراج عسكر الجزائر فقط من هذه البلدة ، لأنه تعدى بإرسال عسكره الى العريش ، ومرابطته فيها . والحال أنها من اقليم مصر ، التي أنعم الله بها علينا ! فلا يناسبه الاقامة بالعريش ، لأنها ليست من أرضه . فقد تعدى على ملك غيره .

« ونعرفكم ، يا أهل يافا ، أن بندركم حاصرناه من جميع أطرافه وجهاته ، وربطناه بأنواع الحرب وآلات المدافع الكثيرة والجلل والقناير وفي مقدار ساعتين ينقلب سوركم ، وتبطل آلاتكم وحروبكم

واشتد بحر الحرب وهاج ، وحصل النهب فيها
تلك الليلة

« وفي يوم الجمعة غرة شوال ... وقع الصفح
الجميل من حضرة صارى عسكر الكبير ، ورق
قلبه على أهل مصر ، من غنى وفقير ، الذين كانوا
في يافا ، وأعطاهم الأمان ، وأمرهم برجعهم الى
بلدكم مكرمين !

« وكذلك أمر أهل دمشق وحلب برجعهم الى
أوطانهم سالمين ، لأجل أن يعرفوا مقدار شفقتهم ،
ومزيد رأفته ورحمته انصفوا عند المقدرة ، ويصفح
وقت المعذرة ... مع تمكينه ، ومزيد اتقائه
وتحصينه !

« وفي هذه الواقعة قتل أكثر من أربعة آلاف
من عسكر الجزائر بالسيف والبندق ، لما وقع منهم
من الانحراف . وأما الفرنساوية فلم يقتل منهم الا
القليل . والمجروحون منهم ليسوا بكثير . وسبب
ذلك سلوكهم الى القلعة من طريق أمينة خافية عن
العيون . وأخذوا ذخائر كثيرة وأموالا غزيرة
وأخذوا المراكب التي في المينا ، واكتسبوا أمتعة
غالية ثمينة ، ووجدوا في القلعة أكثر من ثمانين
مدفعا ولم يعلموا — مع مقادير الله — أن آلات
الحرب لا تنفع !

« فاستقيموا عباد الله ، وارضوا بقضاء
الله ، ولا تعترضوا على أحكام الله . وعليكم
بتقوى الله . واعلموا أن الملك لله بؤتيه من يشاء !
والسلام عليكم ورحمة الله » .

فلما تحقق الناس هذا الخبر ... تعجبوا . وكانوا
يظنون — بل يتيقنون — استحالة ذلك ...
خصوصا في المدة القليلة . ولكن المقضى كائن !

الجمعة ١٥ منه (٢٢ مارس ١٧٩٩ م) :

شق جماعة من أتباع الشرطة في الأسواق
والحمامات والقهاوى ، ونهبوا على الناس شرك

الفضول والكلام واللغط في حق الفرنسيين .
ويقولون لهم . « من كان يؤمن بالله ورسوله واليوم
الآخر ... فلينته ، ويترك الكلام في ذلك . فان ذلك
مما يهيج العداوة » وعرفوهم أنه ان بلغ الحاكم
من المتجسسين عن أحد تكلم في ذلك ، عوقب أو
قتل ... فلم ينتهوا . وربما قبض على البعض ،
وعاقبوه بالضرب والتعريم !

وفيه : كان التحويل الربيعي وانتقال الشمس
لبرج الحمل — وهو أول شهر من شهورهم —
فعملوا ليلة السبت شنكا وحرقة وصواريخ
وتجمعوا بدار الخلاعة ، نساء ورجالا ، وتراقصوا ،
وتسابقوا ، وأوقدوا سراجا وشموعا ، وغير ذلك .
وأظهر الأقباط والشوام مزيد الفرح والسرور !

السبت ١٦ منه (٢٣ مارس ١٧٩٩ م) :

أرسلوا الأعلام والبيارق التي أحضروها من قلعة
يافا — وعدتها ثلاثة عشر ، وفيها من له طلائع فضة
كسار — الى الجامع الأزهر . وكانوا أنزلوا
أعلام قلعة العريش قبل ذلك بيوم من أعلى المنارات ،
وأرسلوا بدلها أعلام يافا ، وعملوا لها موكبا بطائفة
من العسكر يقدمهم طبلهم ، وخلفهم الأغا بجماعته
وطائفته والمحتسب ومدبرو الديوان ، وخلفهم طبل
آخر يضربون عليه بازعاج شديد . وخلف ذلك
الطبل جماعة من العسكر يحملون البنادق على
أكتافهم كالبطائفة الأولى . وبعدهم عدة من
العسكر على رؤوسهم عمائم بيض ، يحملون تلك
الأعلام الكبار والبيارق المذكورة . وخلفهم جماعة
خيالة من كبار العسكر ، وآخرون راكبون على
حمير المكارية

فلما وصلوا الى باب الجامع الأزهر ، رتبوا تلك
الأعلام ، ووضعوها على أعلى الباب الكبير فوق
المكتب منشورة ، وبمعها على الباب الآخر من
الجهة الاخرى عند حارة كتامة — المعروفة الآن

بالعينية — ولم يصعدوا منها على المنارات ، كما صنعوا في أعلام العريش .

الأحد ١٧ منه (٢٤ مارس ١٧٩٩ م) :

رتبوا أوامر ، وكتبوها في أوراق مبسوطة وألصقوها بالأسسواق : أحداها بسبب مرض الطاعون ، وأخرى بسبب الضيوف الأغراب . ومضمون الأولى بتقاسيمه ومقالاته :

« خطابا لأهل مصر وبولاق ومصر القديمة ونواحيها : أنكم تمشلون هذه الأوامر ، وتحافظون عليها ، ولا تخالفوها . وكل من خالفها وقع له مزيد الانتقام ، والعقاب الأليم ، والقصاص العظيم ... وهى المحافظة من تشويش الكبة . وكل من تيقنتم أو ظننتم أو توهمتهم أو شككنتم فيه ذلك — فى محل من المحلات ، أو بيت أو وكالة أو ربع — يلزمكم ويتحتم عليكم أن تعملوا كرتيلة . ويجب قتل ذلك المكان ، ويلزم شيخ الحارة أو السوق الذى فيه ذلك ، أن يخبر حالا قلق الفرنساوية حاكم ذلك الخط ، والقلق يخبر شيخ البلد قائم مقام مصر وأقاليمها ، ويكون ذلك فورا .

« وكذلك كل ملة من سكان مصر وأقاليمها وجوانبها . والأطباء اذا تحققوا وعلموا حصول ذلك المرض ، يتوجه كل طبيب الى قائم مقام ويخبره ليأمره بما هو مناسب للصيانة والحفظ من التشويش . وكل من كان عنده خبر من كبار الأخطاط أو مشايخ الحارات وقلقات الجهات ، ولم يخبر بهذا المرض ... يعاقب بما يراه قائم مقام . ويجازى مشايخ الحارات بمائة كراباج جزاء للتقصير .

« وملزوم أيضا من أصابه هذا التشويش ، أو حصل فى بيته لغيره من عائلته أو عشيرته ، وانتقل من بيته الى آخر ، أن يكون قصاصة الموت . وهو الجانى على نفسه بسبب انتقاله .

« وكل رئيس ملة فى خط ... اذا لم يخبر بالكبة الواقعة فى خطه ، أو بمن مات بها أيضا حالا فوريا .. كان عقاب ذلك الرئيس ، وقصاصه الموت .

« والمفصل — ان كان رجلا أو امرأة — اذا رأى الميت أنه مات بالكبة . أو شك فى موته ، ولم يخبر قبل مضى أربع وعشرين ساعة ... كان جزاؤه وقصاصه الموت .

« وهذه الأوامر الضرورية بلزوم أغات الإنكجيرية ، وحكام البلد الفرنساوية والاسلامية ، تنبيه الرعية ، واستيقاظهم لها . فانها أمور مخفية وكل من خالف حصل له مزيد الانتقام من قائم مقام . « وعلى القلقات البحث والتفتيش عن هذه العلة الردية .. لأجل الصيانة والحفظ لأهل البلد . والحذر من المخالفة ، والسلام . »

ومضمون الثانية :

« الخطاب السابق من صارى عسكر دوجا ... الوكيل ، وحاكم البلد دسنى قائم مقام ... يلزم المديرين بالديوان أنهم يشهرون الأوامر ، ويتنبهون لها . وكل من خالف يحصل له مزيد الانتقام . وهو أنه تتحتم ويلزم صاحب كل خمارة أو وكالة أو بيت — الذى يدخل فى محله ضيف ، أو مسافر ، أو قادم من بلدة أو اقليم — أن يعرف عنه حالا حاكم البلد ، ولا يتأخر عن الأخبار الامدة أربع وعشرين ساعة : يعرفه عن مكانه الذى قدم منه ، وعن سبب قدومه ، وعن مدة سفره ، ومن أى طائفة ، أو ضيفا ، أو تاجرا ، أو زائرا ، أو غريبا مخاصما — لابد لصاحب المكان من ايضاح البيان .

« والحذر ثم الحذر من التليس والخيانة واذا لم يقع تعريف عن كامل ماذكر فى شأن القادم ، بعد الأربع والعشرين ساعة ، باظهار اسمه وبلده ،

وسبب قدومه .. يكون صاحب المكان متعديا
ومدنيا وخائنا وموالسا مع الممالك .

« ونخبركم معاشر الرعايا ، وأرباب الخماير
والوكائل ، أن تكونوا ملزومين بغرامة عشرين
ريالا فرانسة في المرة الأولى ، وأما في المرة الثانية
فان الغرامة تضاعف ثلاث مرات

« ونخبركم أن الأمر بهذه الأحكام مشترك
بينكم وبين الفرنسيين الفاتحين للخماير والبيوت
والوكائل والسلام »

وفيه : جتمعوا بالديوان وتفاوضوا في شأن
مصطفى بيك كتحدا الباشا المولى أمير الحج . وهو
أنه لما ارتحل مع صارى عسكر — وصحبته القاضي
والمشايخ الذين عينوا للسفر والوجاقلية والتجار —
وافترق منهم عند بلبيس ، وتقدم هو الى الصالحية ،
ثم انهم انتقلوا الى العرين ، فحضر جماعة من
العساكر المسافرين فاحتاجوا الى الجمال فأخذوا
جمالهم . فلما وصل صارى عسكر الى وطنه أرسل
يستدعيهم الى الحضور فلم يجدوا ما يحملون عليه
متاعهم ، وبلغهم أن الطريق مخيفة من العرب ، فلم
يمكنهم اللحاق به ... فأقاموا بالعرين عدة أيام ،
وأهمل أمرهم صارى عسكر .

ثم ان الشيخ الصاوى والعريشى والدواخلى
وآخرين .. خافوا عاقبة الأمر ، ففارقوهم ، وذهبوا
الى القرين . وحصل للدواخلى توعك وتشويش ،
وحضر الى مصر — كما تقدم ذكر ذلك — وانتقل
مصطفى بيك المذكور والقاضى ، وصحبته الشيخ
الفيومى وآخرون من التجار والوجاقلية ، الى كفور
نجم ، وأقاموا هناك أياما .

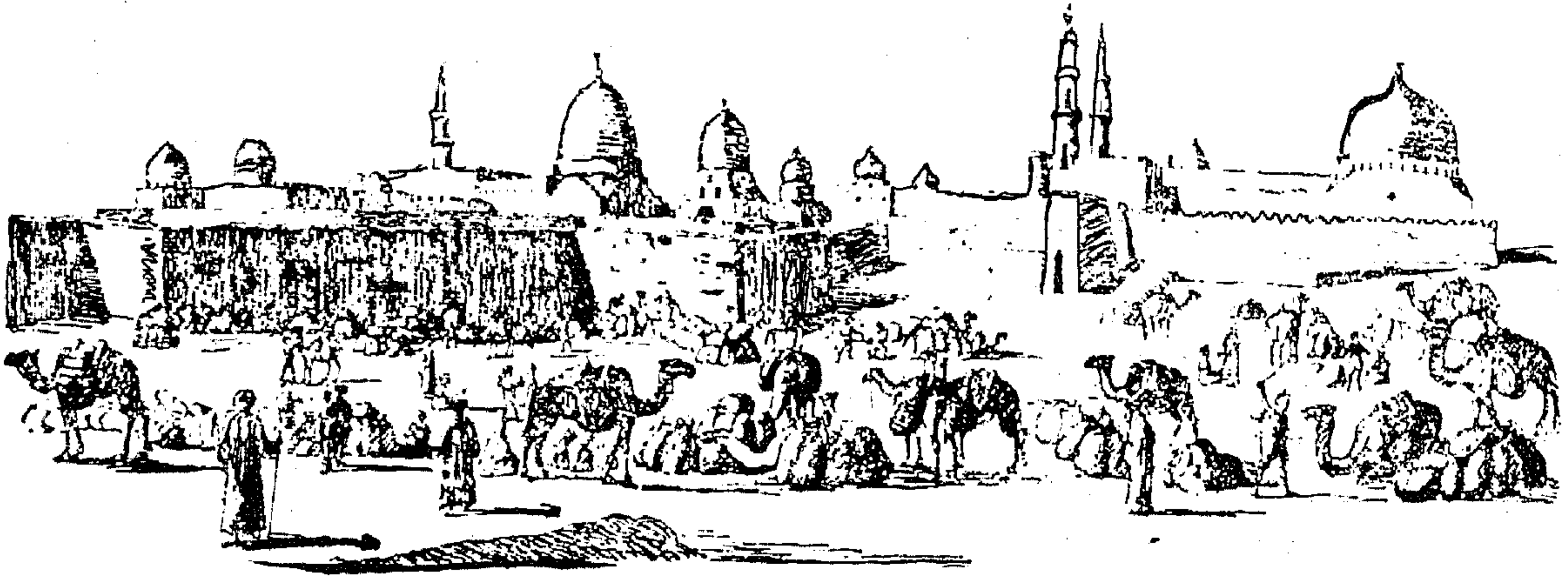
واتفق أن الصاوى أرسل الى داره مكتوبا ،
وذكر في ضمنه أن سبب افتراقهم من الجماعة أنهم
رأوا من كتحدا الباشا أمورا غير لائقة . فلما حضر
ذلك المكتوب ، طلبه فرنساوية المقيمون بمصر ،

وقرأوه وبحثوا عن الأمور غير اللائقة . فأولها بعض
المشايخ أنه قصر في حقهم والاعتناء بشأنهم ...
فسكتوا ، وأخذوا في التفحص .. فظهر لهم
خيانته ومخامرته عليهم ، واجتمع عليه الجبالى
وبعض العرب العصاة ، وأكرمهم وخلع عليهم ،
وانتقل بصحبته الى منية غمر ودقدوس وبلاد
الوقف ، وجعل يقبض منهم الأموال . وحين كانوا
على البحر ، مر بهم مراكب تحمل الميرة والدقيق
الى الفرنسيين بدمياط ، فقاطعوا عليهم ، وأخذوا
منهم مامعهم قهرا . وأحضروا المراكبية بالديوان
فحكوا على ماوقع لهم معه ... فأثتوا خيانة مصطفى
بيك المذكور وعصيانه ، وأرسلوا هجانا بأعلام
صارى عسكرهم بذلك . فرجع اليهم بالجواب
يأمرهم فيه بأن يرسلوا له عسكرا ، ويرسلوا الى
داره جماعه يفضون عليه ، ويختمون على داره ،
ويحبسون جماعته .

الاحد ٢٤ منه (٣١ مارس ١٧٩٩ م) :

عينوا عليه عسكرا ، وأرسلوا الى داره جماعة
ومعهم وكلاء ، فقبضوا على كتحدائه الذى كان
ناظرا على الكسوة ، وعلى ابن أخيه ومن معهم ،
وأودعهم السجن بالجيزة . وضبطوا موجوداته
وما تركه مخدومه بكر باشا بقائمة ، وأودعوا ذلك
بمكان بالقلعة . فوجدوا غالب أمتعة الباشا
وبرقه وملابسه ، وعبى الخيل والسروج ،
وغيرها شيئا كثيرا . ووجدوا بعض خيول وجمال
أخذوها أيضا . فانقبضت خواطر الناس لذلك ..
فانهم كانوا مستأنسين بوجوده ووجود القاضى ،
ويتوسلون بشفاعتهم عند الفرنسيين . وكلمتهما
عندهم مقبولة ، وأوامرهما مسموعة .

ثم انهم أرسلوا أمانا للمشايخ والوجاقلية
والتجار .. بالحضور الى مصر مكرمين ولا بأس
عليهم .



سفر قافلة الطور

وفيه : حضر امام كتخدا الباشا ، ومعه مكتوب فيه الشاء على الفرنساوية وشكر صنيعهم واعتنائهم بعملهم موكب الكسوة والدعاء لهم ، وأنه مستمر على مودته ومحبته معهم ويطلب منهم الاجازة بالحضور الى مصر ليسافر بصحبة الكسوة والحجاج ... فان الوقت ضاق ، ودخل أوان السفر للحج . وفي آخر المكتوب : « وان بلغكم من المناققين عنا شيء فهو كذب ونميمة ، فلا تصدقوه » .

فقرىء كتابه بالديوان . فلما فهمه الفرنسيين ... كذبوه ، ولم يصغوا اليه وقالوا ان خيائته ثبتت عندنا ، فلا ينفعه هذا الاعتذار . ثم كتبوا له جوابا وأرسلوه صحبة امامه مضمونه : ان كان صادقا في مقالته فليذهب الى جهة صارى عسكر بالشام . وأمهله ست ساعات بعد وصول الجواب اليه ، وان تأخر زيادة عليها كان كاذبا في مقالته . وأمروا العسكر بمحاربته والقبض عليه .

وفيه : كتبوا أوراقا ونادوا بها في الشوارع . وهى : « يا أهل مصر نخبركم أن أمير الحج رفعوه عن سفره بالحاج بسبب ما حصل منه ، وأن أهل مصر علماء ووجاقات ورعايا لم يخالطوه في هذا الأمر ولم ينسب لهم شيء . فالحمد لله الذى برأ أهل مصر من هذه الفتنة وهم حاضرون سالمون غانمون ما عليهم

وفيه : ورد الخبر بأن السيد عمر أفندى نقيب الأشراف حضر الى دمياط ، وصحبته جماعة من أفندية الروزنامة الفارين : مثل عثمان أفندى العباسى وحسن أفندى . كاتب الشهر ، ومحمد أفندى ثانى قلعة ، وباش جاجرت ، والشيخ قاسم المصلى وغيرهم . وذلك أنهم كانوا بقلعة يافا . فلما حاصرها الفرنسيات وملكوا القلعة والبلد ، لم يتعرضوا للمصريين ، وطلبهم اليه ، وعاتبهم على نقلهم وخروجهم من مصر ، وألبسهم ملابس وأنزلهم في مركب ، وأرسلهم الى دمياط من البحر .

الاثنين ٢٥ منه (اول ابريل ١٧٩٩ م) :

نادوا في الأسواق على المماليك والغز والأجناد الأغراب بأنهم يحضرون الى بيت الوكيل يأخذون لهم أوراقا بعد معرفتهم والتضمين على أنفسهم . ومن وجد من غير وثيقة في يده بعد ذلك سستأهل الذى يجرى عليه . وسبب ذلك اشاعة دخول الكثير منهم الى مصر خفية بصفة الفلاحين .

الثلاثاء ٢٦ منه (٢ ابريل ١٧٩٩ م) :

نادوا في الأسواق والشوارع بأن من أراد الحج فليحج في البحر من السويس صحبة الكسوة والصره . وذلك بعد أن عملوا مشورة في ذلك .

وأما ذلك ، لأجل تحقيق أوقات العبادة ... وهم لا يحتاجون الى ذلك فلم يعانونه .

ورسم أيضا بسيطة على مربعة من نحاس أصفر ، منزلة بخطوط عديدة في قاعدة عمود قصير ، طوله أقل من قامة قائم ، بوسط الجنية ، وشاخصها مثلث من حديد ، يمر ظل طرفه على الخطوط المتقاطعة . وهي متقنة الرسم والصناعة ، وحولها معارفها ، واسم واضعها بالخط السلس العربى الموجود حفرا فى النحاس . وفيها تنازيل الفضة على طريقة أوضاع العجم ، وغير ذلك .

ومنها : أنهم لا سخطوا على كتحدا الباشا ، وقبصوا على أتباعه ، وسجنوهم — وفيهم كتحداه الذى كان ناظرا على الكسوة — فقيدوا فى النظر على مباشرة اتمامها صاحبنا السيد اسماعيل الوهبى ، المعروف بالخشاب ، أحد العدول بالحكمة . فنقلها لبيت أيوب جاويش بجوار مشهد السيدة زينب وتممها هناك . وأظهروا أيضا الاهتمام بتحصيل مال السرة ، وشرعوا فى تحرير دفتر الارشالية خاصة .

ذوالقعدة

٦ منه (١١ ابريل ١٧٩٩ م) :

حضرت هجانة من الفرنسيين ، ومعهم مكاتبة مضمونها : أنهم أخذوا حيفا ، وبعدها ركبوا على عكا وضربوا عليها وهدموا جانبها من سورها . وأنهم بعد أربع وعشرين ساعة سلكونها ، وأنهم استعجلوا فى ارسال هذه الهجانة لطول المدة والانتظار لئلا يحصل لأصحابهم القلق . فكونوا مطمئنين . وبعد سبعة أيام نحضر عندكم . والسلام . وفيه : حضرت مغاربة حجاج الى بر الجزيرة . فتحدث الناس وكثر لفظهم وتقولوا بأنهم عشرون ألفا حضروا لينقذوا مصر من الفرنسيين . فأرسل الفرنسيين للكشف عليهم فوجدوهم طائفة من

سوء . ومن كان مراده الحج يؤهل نفسه ويسافر صحبة الصرة والكسوة فى البحر . والمراكب حاضرة ، والمعينون المحافظون من أهل مصر ، صحبة الحاج ، حاضرون . يكون فى علمكم أن تكونوا مطمئنين واركوا كلام الحشاشين .

غايته (٥ ابريل ١٧٩٩ م) :

حضر المشايخ والوجاقات والتجار ماخلا القاضى فانه لم يحضر وتخلف مع مصطفى كتحدا .

وانقضى هذا الشهر وما تجدد به من الحوادث التى منها أن الفرنسيات عطلوا جسرا من مراكب مصطفى ، وعليها أخشاب مسرة من بر مصر بالقرب من قصر العينى الى الروضة قريبا من موضع طاحون الهواء يسير عليه الناس بدوابهم وأنفسهم الى البر الآخر ، وعملوا كذلك جسرا عظيما من الروضة الى الجزيرة .

ومنها : أن توت الفلكى رسم فى فسحة دارهم العليا ، بيت حسن كاشف جركس ، خطوط البسيطة لمعرفة فضل الدائر لنصف النهار على البلاط المفروش بطول الفسحة ، ووضع لها بدل الشاخص دائرة مثقوبة بثقب عديدة فى أعلى الرفوف ، مقابلة لعرض الشمس . ينزل الشعاع من تلك الثقب ، ويمر على الخطوط المرسومة المقسومة ، ويعرف منه الباقي للزوال ، ومدارات الروج شمرا شمرا . وعلى كل برج صورته ليعلم منه درجة الشمس .

ورسم أيضا مزولة بالحائط الأعلى ، على حوش المكان الأسفل المشترك بين الدارين ، بشاخص — على طريق وضع المنحرفات والمزاويل — ولكن للساعات قبل الزوال وبعده ، خلاف الطريق المعروفة عندنا بوقت العصر ، وفضل دائر الغروب ، وقوس الشفق والفجر ، وسمت القبلة ، وتقسيم الدرج

خرجت لقتال المغاربة . وأغلقتوا غالب الأسواق والدكاكين وأمثال ذلك من تخيلاتهم فلم يعد المغاربة ذلك اليوم . وعدوا في ثاني يوم ومشى معهم عسكر الفرنسيين الى العادلية وهم يضربون الطبول وأمامهم مدفع وخلفهم مدفع مع جملة من العساكر .

١٠ منه (١٥ ابريل ١٧٩٩ م) :

سافر عدة من عسكر الفرنسيين الى عرب الجزيرة ، فان مصطفى بيك كتخدا الباشا ذهب اليهم والتجأ لهم فعينوا عليهم تلك العساكر .

١٢ منه (١٧ ابريل ١٧٩٩ م) :

أفرجوا عن جماعة من القليونجية وغيرهم الذين كانوا محبوسين بالقلعة ، وفيهم المعلم نقولا النصراني الأرمني الذي كان رئيس مراكب مراد بيك الحرية التي ألقاها بالجيزة ، وأسكنوه بيت حسن كتخدا بباب الشعيرة .

وفيه : حضر ابن شديد شيخ عرب الحويطات بأمان — وكان عاصيا — فأعطوه الأمان ، وخلعوا عليه وسفروا معه قافلة دقيق وبقسمات للعسكر بالشام .

٢١ منه (٢٦ ابريل ١٧٩٩ م) :

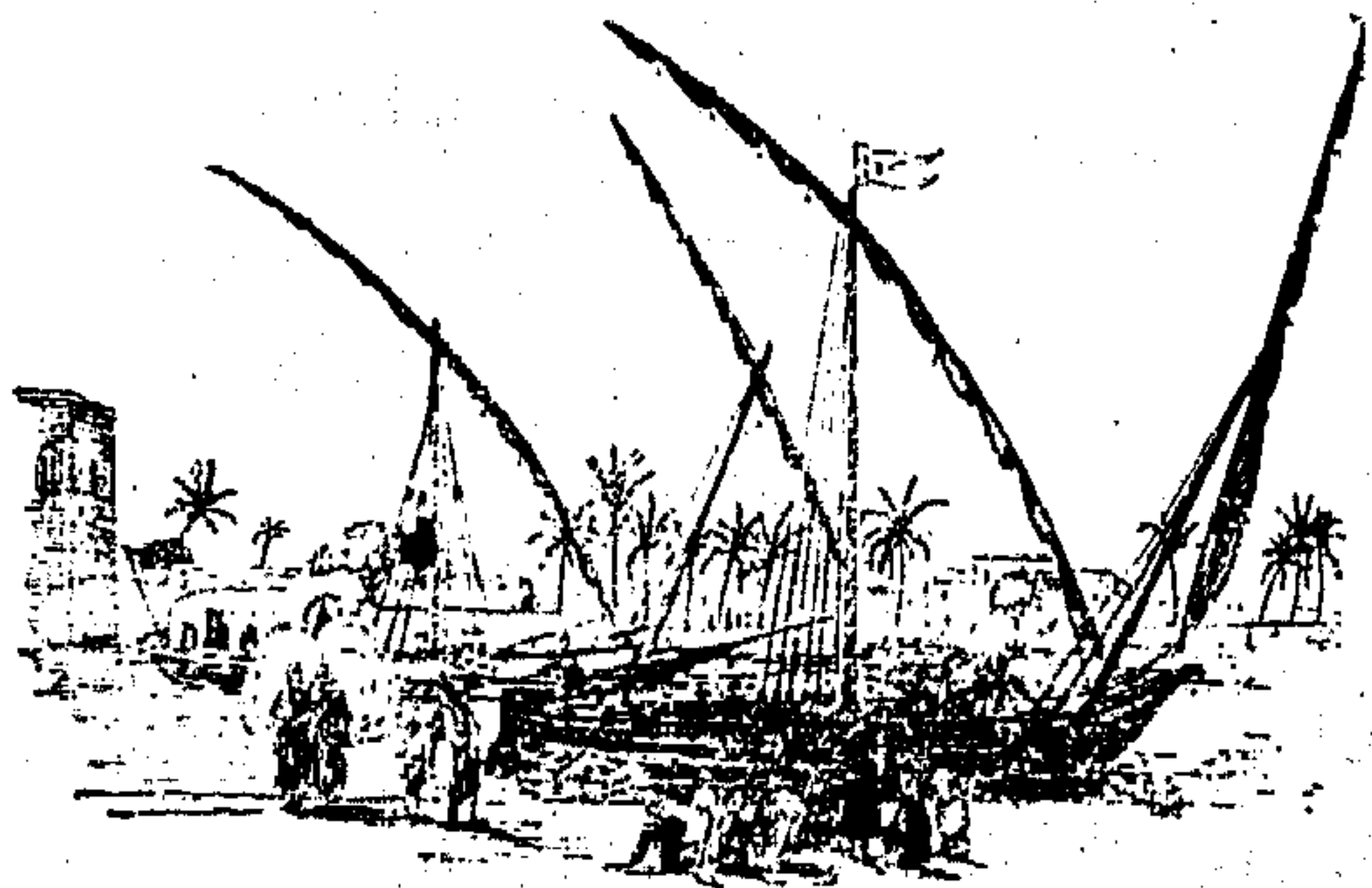
حضر مجلون من الناحية القبلية وصحبته أموال البلاد والغنائم من بهائم وخلافها . وفيه : عملوا كرتيلة عند العادلية لمن يأتي من

خلايا وقرى فاس مثل الفلاحين ، فأذنوا لهم في تعدية بعض أنفار منهم لقضاء أشغالهم . فحضر شخص منهم الى الفرنسيين ووشى اليهم أنهم قدموا لمحاربتهم والجهاد فيهم ، وأنهم اشتروا خيلا وسلاحا وقصدهم اثاره فتنة . فأرسل الفرنسيين اليهم جماعة ينظرون في أمرهم فذهبوا اليهم وتكلموا معهم ومع كبيرهم وعن الذي نقل عنهم . فقالوا : « انما جئنا بقصد الحج لا لغيره » ، ثم رجعوا وصحبتهم كبير المغاربة . فعملوا الديوان في صباحها وأحضروه وكذلك أحضروا الرجل الذي وشى عليهم فتكلموا مع كبير المغاربة وسألوه وناقشوه فقال : « انا لم تأت الا بقصد الحج » فقليل له : « ولأى شيء تشترون الأسلحة والخيول ؟ » فقال : « نعم ، لازم لنا ذلك ضرورة » . فقليل له : « انه نقل عنكم أنكم تريدون محاربة الفرنسيين ، وتقولون الجهاد أفضل من الحج » فقال : « هذا كلام لا أصل له » فقليل له : « ان الناقل لذلك رجل منكم » فقال : « ان هذا رجل حرامى أمسكناه بالسرقة وضربناه فحمله الحق على ذلك ، وأن هذه البلاد ليست لنا ولا لسلطاننا حتى نقاتل عليها ، ولا يصح أن نقاتلكم بهذه الشرذمة القليلة وليس معنا الا نصف قنطار بارود » .

ثم اتفقوا معه على أن يجمعوا سلاحهم ويقيم كبيرهم عندهم رهينة حتى يعدي جماعته ويسافروا ويلحقهم بعد يومين بالسلاح . فأجابهم الى ذلك فشكروه وأهدوا له هدية .

٧ منه (١٢ ابريل ١٧٩٩ م) :

خرجت عدة من العسكر الى بولاق ، ومعهم مدفعان ، ليقفوا للمغاربة حتى يعدوا البحر ويمشوا معهم الى العادلية . فلما رأى الناس خروج العسكر والمدافع فزعوا في المدينة وبولاق ورمحوا كعادتهم في كرشاتهم وصياحهم ، وأشاعوا أن الفرنسيين



بعض القوارب الفرنسية في الميناء

بر الشام من العسكر الى ناحية شرق أطفيح بسبب محمد بيك الألفى .

وفيه : حضر الذين كانوا ذهبوا الى عرب الجزيرة فضربوهم ونالوا منهم بعض النيل . وأما مصطفى بيك فلم تعلم عنه حقيقة حال . قيل انه ذهب الى الشام .

٢٥ منه (٢٠ ابريل ١٧٩٩ م) :

وصلت مراسلة من المذكور ... خطابا للمشايخ مضمونها : أنهم يعرفون أكابر الفرنسيين أنه متوجه الى سارى عسكرهم بالشام ، ويرجون الافراج عن قريبه وكتخذائه ، ويتحفظون على الأمتعة التي أخذوها ، فانه من متعلقات الدولة . فلما أطلعوهم على تلك المكاتبة قالوا « لا يمكن الافراج عن المذكورين حتى تتحقق أنه ذهب الى سارى عسكر ويأتينا منه خطاب في شأنه ، فانه من الجائز أنه يكذب في قوله » .



العرب في الصحراء

وفيه : ثبت أن محمد بيك الألفى مر من خلف الجبل وذهب الى عرب الجزيرة ومعه من جماعته نحو المائة وقيل أكثر ، والتف عليه الكثير من الغز والماليك المشردين بتلك النواحي ، وقدم له العربان التقادم والكلف ، فأرسل له الفرنسيين عدة من العسكر .

٢٧ منه (٢ مايو ١٧٩٩ م) :

لخص فرنساوية طومارا قرىء بالديوان وطبع منه عدة نسخ وألصقت بالأسواق على العادة . وكان

الناس أكثروا من اللفظ بسبب انقطاع الأخبار عن الفرنسيين المحاصرين لعكا والروايات عمن بالصعيد والكيلانى والأشراف الذين معه وغير ذلك . وصورتها :

« من محفل الديوان الكبير بمصر : بسم الله الرحمن الرحيم . ولا عدوان الا على الظالمين .. »

« نخبر أهل مصر أجمعين أنه حضر جواب من عكا ، من حضرة سارى عسكر الكبير ، خطابا منه الى حضرة سارى عسكر الوكيل بشفر دمياط ، تاريخه ٩ ذى القعدة (١٤ ابريل ١٧٩٩) يخبر فيه أننا أرسلنا لكم نقيرتين لدمياط : الأولى أرسلناها في ٢٥ شوال ، والثانية في ٢٨ منه .. أخبرناكم فبهما عن مطلوبنا ارسال جانب جمل وذخائر الى عساكرنا المحافظين في غزة ويافا لأجل زيادة المحافظة والصيانة . وأما من قبل العرضى فان الجمل عندنا كثيرة والذخائر والمأكول والمشارب والخيرات غزيرة ، حتى انها زادت عندنا الجمل بكثرة جمعناها مما رمته الأعداء ، فكان أعداءنا أعانونا .

« ونخبركم أننا عملنا لغما مقدار عمقه ثلاثون قدما ، وصرنا به حتى قربناه الى السور الجوانى بمسافة نحو ثمانى عشرة قدما .

« وقد قربت عساكرنا من الجهة التي تحارب فيها حتى صار بينهم وبين السور ثمان وأربعون قدما ... بمشيئة الله تعالى عند وصول كتابنا اليكم وقبل اتمام قراءته عليكم ، نكون ظافرين بملك قلعة عكا أجمعين . فاننا تهيأنا الى دخولها ... يأتبكم خبر ذلك بعد هذا الكتاب .

« وأما بقية اقليم الشام ، وما يلي عكا من البلاد ، فانهم لنا طائعون ، وبالاغتناء ومزيد المحبة راغبون .. يأتوننا بكل خير عظيم ، وبحضرون لنا أفواجا أفواجا بالهدايا الكثيرة والحب

الجسيم من القلب السليم . وهذا من فضل الله علينا ، ومن شدة بغضهم لجزار باشا !

« ونخبركم أيضا ان الجنرال يونود انتصر على أربعة آلاف مقاتل .. حضروا من الشام خيالة ومشاة ، فقابلهم بثلاثمائة عسكرى مشاة من عسكرنا ، فكسروا التجريدة المذكورة ، وأوقع منهم نحو ستمائة نفس مابين مقتول ومجروح ، وأخذ منهم خمسة بيارق وهذا أمر عجيب لم يقع نظيره في الحروب أن ثلاثمائة نفس تهزم نحو أربعة آلاف نفس ! فعلمنا أن النصر من عند الله لا بالقلة ولا بالكثرة !

« هذا آخر كتاب سارى عسكر الكبير الى وكيله بدمياط . وأرسل الينا بالديوان حضرة الوكيل سارى عسكر دوجا ، الوكيل بمصر المحروسة ، يخبرنا بصورة هذا المكتوب ، ويأمرنا أننا نلزم الرعايا من أهل مصر والأرياف ، أن يلزموا الأدب والانصاف ، ويتركوا الكذب والحراف ... فان كلام الحشاشين يوقع الضرر للناس المعتبرين .

« فان حضرة صارى عسكر دوجا الوكيل بلغه أن أهل مصر وأهل الأرياف يتكلمون بكلام لا أصل له من قبل الأشراف . والحال ان الأشراف الذين يذكرونهم ويكذبون عليهم .. جاءت أخبارهم من حضرة سارى عسكر الصعيد يخبر الوكيل دوجا بأن الأشراف المذكورين ، الذين صحبة الكيلانى ، قد مزقوا كل مزق ، وانهزموا وتفرقوا . فلم يكن الآن فى بلاد الصعيد شئ يخالف المراد ، وسلم من الفتن والعناد .

« فأنتم يا أهل مصر ويا أهل الأرياف اتركوا الأمور التى توقعكم فى الهلاك والتلاف ، وأمسكوا أدبكم قبل أن يحل بكم الدمار ، ويلحقكم الندم والعار ! والأولى للعاقل انشغاله بأمر دينه ودنياه ، وأن يترك الكذب وأن يسلم لأحكام الله وقضاه !

فان العاقل يقرأ العواقب ، وعلى نفسه يحاسب .. هذا شأن أهل الكمال : يتركون القيل والقال ، وبشتغلون باصلاح الأحوال ، ويرجعون الى الكبير المتعال .. والسلام .

وفى هذا الشهر كتبوا أوراقا بأوامر . ونصها : « من محفل الديوان العمومى ، الى جميع سكان مصر وبولاق ومصر القديمة : اننا قد تأملنا وميزنا أن الوسطة الأقرب والأمن لتلطيف أو لمنع الخطر الضرورى ، وهو تشويش الطاعون ، عدم المخالطة مع النساء المشهورات ، لأنهن الوسطة الأولى للتشويش المذكور . فلأجل ذلك حننا وربنا ومنعنا الى مدة ثلاثين يوما من تاريخه أعلاه ... لجميع الناس ، ان كان فرنساويا أو مسلما أو روميا أو نصرانيا أو يهوديا من أى ملة كان ، كل من أدخل الى مصر أو بولاق أو مصر القديمة ، من النساء المشهورات — ان كان فى بيوت العسكر ، أو كل من كان داخل المدينة — فيكون قصاصه بالموت . كذلك من قبل النساء والبنات المشهورات بالعسكر ، ان دخلن من أنفسهن أيضا — نقاصن الموت .

ومن حوادث هذا الشهر : أنه حضر الى القلزم ، مركبان انكليزيان وقيل أربعة ووقفوا قبالة السويس وضربوا مدافع ففر أناس من سكان السويس الى مصر وأخبروا بذلك ، وأنهم صادفوا بعض داوات تحمل البن والتجارة فحجزوها ومنعوها من الدخول الى السويس .

ومنها : أن طائفة من عرب البحيرة يقال لهم عرب الغز جاءوا وضربوا دمنهور وقتلوا عدة من الفرنسيين وعاثوا فى نواحي تلك البلاد حتى وصلوا الى الرحمانية ورشيد وهم يقتلون من يجدونه من الفرنسيين وغيرهم وينهبون البلاد والمزروعات . ومنها : أن الكيلانى المذكور آتفا توفى الى رحمة

٧ منه (١٢ مايو ١٧٩٩ م) :

حضر جماعة من فرنسيس الشام الى الكرتيلة بالصادلية وفيهم مجاريح وأخبر عنهم بعضهم أن الحرب لم تزل قائمة بينهم وبين أحمد باشا بمكا وأن مهندس حروبهم المعروف بأبي خشبة عند العامة واسمه « كفرلى » مات وحزنوا لموته لأنه كان من دهاتهم وشياطينهم وكان له معرفة بتدبير الحروب ومكايد القتال واقدام عند المصاف مع ماينضم لذلك من معرفة الأبنية وكيفية وضعها وكيفية أخذ القلاع ومحاصرتها .

٩ منه (١٤ مايو ١٧٩٩ م) :

كان عيد النحر ، وكان حقه يوم الخميس . وعند الغروب من تلك الليلة ضربوا مدافع من القلعة اعلاما بالعيد وكذلك عند الشروق ولم يقع في ذلك العيد أضحية على العادة لعدم المواشى ولكونها محجوزة في الكرتيلة والناس في شغل عن ذلك .

ومن الحوادث في ذلك اليوم : أن رجلا روميا من باعة الرقيق عنده غلام مملوك ساكن في طبقة بوكالة ذى الفقار بالجمالية خرج لصلاة العيد ورجع الى طبقته فوجد ذلك الغلام متقلدا بسلاح ومثزيا بمثل ملابس القليونجية . فقال له « من أين لك هذا اللباس » فقال : « من عند جارنا فلان العسكرى » فأمره بنزع ذلك فلم يستمع له ولم ينزعها فشتمه ولطمه على وجهه فخرج من الطبقة وحدثته نفسه بقتل سيده ورجع يريد ذلك فوجد عند سيده ضيفا فلم يتجاسر عليه لحضور ذلك الضيف فوقف خارج الباب ورآه سيده فعرف من عينيه الغدر . فلما قام ذلك الضيف قام معه وخرج وأغلق الباب على الغلام فصعد الغلام على السطح وتسلق الى سطح آخر ، ثم تدلى بحبل الى أسفل الخان وخرج الى السوق وسيفه مسلول بيده ويقول : « الجهاد يا مسلمين ! اذهبوا الفرنسيين ! »

الله تعالى ونفقت طائفته في البلاد حتى أنه حضر منهم جملة الى مصر وكان أكثر من يخامر عليهم أهل بلاد الصعيد فيوهمونهم معاوتتهم وعند الحروب يتخلون عنهم وبعض البلاد يضيفهم ويسلط عليهم الفرنسيين فيقبضون عليهم .

ومنها : أنه حضر الى مصر الأكثر من عسكر الفرنسيين الذين كانوا بالجهة القبليية وضربوا في حال رجوعهم بنى عدى بلدة من بلاد الصعيد مشهورة وكان أهلها متنعين عليهم في دفع المال والكلف وورون في أنفسهم الكثرة والقوة والمنعة فخرجوا عليهم وقتلوه فملك عليهم الفرنسيين بلا عاليا وضربوا عليهم بالمدافع فأتلقوهم وأحرقوا جروهم ثم كبسوا عليهم وأسرفوا في قتلهم ونهبهم وأخذوا شيئا كثيرا وأموالا عظيمة وودائع جسيمة للغز وغيرهم من مساتير أهل البلاد القبليية لظن منعهم وكذلك فعلوا بالميمون .

درأحجة

١ منه (٧ مايو ١٧٩٩ م) :

خرج نحو الألف من عسكر الفرنسيين للمحافظة على البلاد الشرقية لتجمع العرب والمماليك على الألفى ، وكذلك تجمع الكثير من الفرنسيين وذهبوا الى جهة دمنهور وفعلوا بها ما فعلوا في بنى عدى من القتل والنهب لكونهم عصوا عليهم بسبب أنه ورد عليهم رجل مغربى يدعى المهدوية ويدعو الناس ويحرضهم على الجهاد وصحبته نحو الثمانين نفرا فكان يكاتب أهل البلاد ويدعوهم الى الجهاد . فاجتمع عليه أهل البحيرة وغيرهم وحضروا الى دمنهور وقتلوا من بها من الفرساوية واستمر أياما كثيرة تجتمع عليه أهل تلك النواحي وتفترق . والمغربى المذكور تارة يغرب وتارة يشرق .

وفيه : أشيع أن الألفى حصر الى بلاد الشرقية وقاتله من بها من الفرنسيين ثم ارتحل الى الجزيرة .



ترجمان ضابط الخطة وبسمى السيد عبد الله فأمره
بالنزول اجلالا للمشهد على العادة : فامتنع فانتهره
وضربه وألقاه على الأرض ، فذهب ذلك النصراني
الى الفرنسيين وشكا اليهم السيد عبد الله المذكور
فأحضروه وحبسوه فشفع فيه محدومه فلم يطلقوه
وادعى النصراني أنه كان بعيدا عن المشهد وأحضر
من شهد له بذلك وأن السيد عبد الله متهور في فعله
وادعى أنه ضاع له وقت ضربه دراهم كانت في
جيبه . واستمر الترجمان محبوسا عدة أيام حتى
دفع تلك الدراهم وهي ستة آلاف درهم .

وفيه : أرسل فرنسيس مصر الى رئيس الشام
ميرة على جمال العرب نحو الثمانمائة جمل وذهب
صحابتها برطلمين وطائفة من العسكر فأوصلوها الى
بليس ورجعوا بعد يومين .

وفيه : حضر الى السويس تسعة داوات بها بن

ونحو ذلك من الكلام . ومر الى جهة الغورية
فصادق ثلاثة أشخاص من الفرنسيين ، فقتل منهم
شخصا وهرب الاثنان ورجع على أثره والناس
يعبدون خلفه من بعد الى أن وصل الى درب
بالجمالية غير نافذ فدخله وعبر الى دار وجدها
مفتوحة وربها واقف على بابها . والفرنسيين تجمع
منهم طائفة وظنوا ظنونا آخر وبأدروا الى القلاع
وحضرت منهم طائفة من القلق يسألون عن ذلك
المملوك .

وهاجت العامة ورمحت الصغار وأغلق بعض
الناس حوانيتهم ثم لم تزل الفرنسيين تسأل عن
ذلك المملوك والناس يقولون لهم ذهب من هنا حتى
وصلوا الى ذلك الدرب فدخلوه . فلما أحس بهم
نزع ثيابه وتدلى بيثر في تلك الدار ، فدخلوا الدار
وأخرجوه من البيثر وأخذوه وسكنت الفتنة . فسأله
عن أمره وما السبب في فعله ذلك ؟ فقال : « انه يوم
الأضحى فأحببت أن أضحي على الفرنسيين » .
وسأله عن السلاح فقال : « انه سلاحى » .
فحبسوه لينظروا في أمره ، وطلبوا سيده . فوجدوه
عند الشيخ المهدي . وأخذوا بعض جماعة من أهل
الخان ثم أطلقوهم بدون ضرر وأخذوا سيده من
عند المهدي . وحبسوه وحضر الأغا وبرطلمين الى
الخان بعد العشاء وطلبوا البواب والخانجي
والخبران وصعدوا الى الطابق وفتشوا على السلاح
حتى قلعوا البلاط فلم يجدوا شيئا ، وأرادوا فتح
الحواصل فمنهم السيد أحمد بن محمود محرم
فخرجوا وأخذوا معهم الخانجي وجيران الطبقة
وجملة أنصار وحبسوهم أيضا وقتلوا المملوك في
ثاني يوم . واستمر الجماعة في الحبس الى أن
أطلقوهم بعد أيام عديدة من الحادثة .

وفيه أيضا : مر نصراني من الشوام على
المشهد الحسيني وهو راكب على حمار فرآه

وبهار وبضائع تجارية ، وفيها لشريف مكة
نحو خمسمائة فرق بن . وكانت الانكليز منعهم
الحضور فكاتبهم الشريف فأطلقوهم بعد أن حددوا
عليهم أياما مسافة التنقل والشحنة ، وأخذوا منهم
عشورا وسامح الفرنسيين ابن الشريف من العشور
لأنه أرسل لهم مكاتبة بسبب ذلك وهدية قبل
وصول المراكب الى السويس بنحو عشرين يوما
وطبعوا صورتها في أوراق وألصقوها بالأسواق
وهي خطاب لبوسايك ، وصورته :

« من الشريف غالب بن مساعد شريف مكة
المشرفة ، الى عين أعيانه ، وعمدة اخوانه بوسليك
مدبر أمور جمهور فرنساوية ، مهدي بنيان
السياسة بسداد همته الوفية . وبعد :

« فانه وصل الينا كتابك ، وفهمنا كامل ما حواه
خطابك مما ذكرت من وصول قنجننا ، وأنت
أرسلت هجانا برفع العشور على البن ، وبذلت
الهمة في شأن التصرف في نقاد بيعه . وتأملنا في
كتابك فوجدنا من صدق مقاله ما أوجب تمسكنا
بوثاق الاعتماد ، عن تموه غياهب الشك في كل
المراد . ووجب الآن علينا تكوين أسباب المصادقة
والمبادرة فيما ينظم مهمات تسليك الطرق بيننا
وبينكم عن الوعث وزوال المناكرة ، وشهنا الآن ،
الى طرفكم خمسة مراكب مشحونة من نفس بندرنا
جدة المعمورة في هذا الأوان . ولا أمكن لنا خروج
هذا المقدار الا بمشقة علاج مع سلب اطمئنان
التجار ، لأن كثرة اكاذيب الأخبار أوجبت لهم مزيد
الارتياب والاعذار بحيث ما بيننا وبينكم الا
العربان المختلفة رواياتهم على ممر الأزمان .

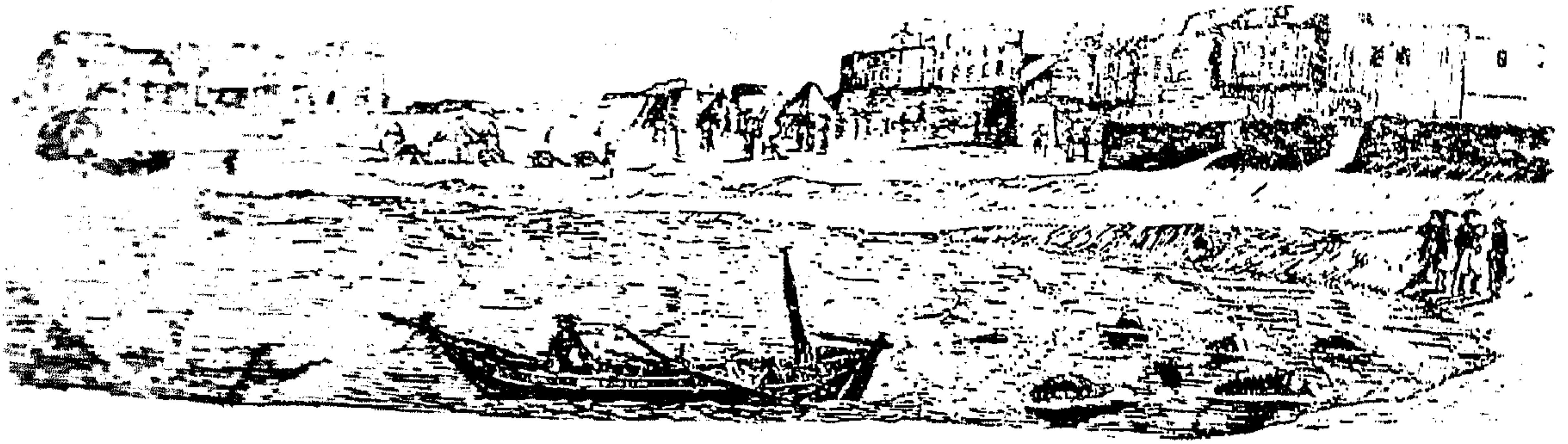
وأما نحن فقد جاءتنا منكم ، قبل هذا ، المكاتيب
التي أوجبت عندنا من خطاب كتبكم زوال تلك
الظنون والأكاذيب ... فخاطرنا مستقر بالطمأنينة
من قبلكم ، لما ثبت عندنا من ألفاظ كتبكم .

والمطلوب في حال وصول كتابنا اليكم ارسال
عسكر من لديكم الى بندر السويس لأجل حفظ
أموال الناس ، ويصلوا بالأبنان الى مصر ، ويبيع
التجار ، ويحول وقف الأسباب والباس . وتهتم في
رجوعهم كذلك قبل بأوان ، ليكون ذلك سببا في
كثرة وفود الأبنان ، وعند رجوعهم بعد المبيع من
مصر الى السويس . كذلك تصحبوهم بالعسكر
من طرفكم الويق ليكونوا محافظين لهم من شرور
الطريق لأن هذه المرة ما أرسل اليكم هذا المقدار
الا تجربة واستخبارا من أعيان التجار . وعند
مشاهدة الاكرام ، والاحتفال بهم في كل حال ،
يرسلون اليكم نفائس أموالهم ، ويهرعون بالجلب
لطرفكم ، ويحول الريب عن قلوبهم . ونرجو الله
بهمتنا تسليك الطرقات ، وتنجيح المطالب ، وتحصيل
الميراث بأحسن مما كانت من الأمان ، وأعظم مما
سبق في غابر الأزمان ويكثر بحول الله الوارد اليكم
من الأسباب الحجازية ، وكذلك لنا بن في المراكب
فما مولنا منكم القاء النظر على خدامنا ، وبذل
الهمة على ما هو من طرفنا . وأنتم كذلك لكم عندنا
مزيد الاكرام في كل مرام .

« ولا يخفاكم أنه ورد علينا قبل بأيام كتب من
طرف أمير العسكرالفرنساوية .. محبنا بونا برته ! فما
كان لنا منها فتأملناه ، وصار اليه الجواب توصله
اليه . وما كان منها موعولا في ارساله علينا الى نواحي
الهند وابن حيدر وامام مسكت ووكيلكم الذي في
المحا ... فجميعا أصدرناها من طرفنا مع من نعتمده
الى أربابها . وان شاء الله عن قريب يأتيكم الجواب
والسلام .. »

(تحرير في ١٨ شهر ذي القعدة سنة ١٢١٣
وبآخرة قد وصل هذا الكتاب لمصر في ١٦ يوما
خلت من شهر ذي الحجة . فتكون مدة وصوله من
مكة المشرفة الى مصر ٣٨ يوما)

وانقضى هذا الشهر ولم يأت خبر صحيح عن



ميناء وقلة السويس

وله أعوان يرسلهم الى الملتزمين بالجهة القبلية
يأتون اليه بالسفن المشحونة بالفلال والمعارضات
من السمن والعسل والسكر والزيت وغير ذلك .
ويبيعها في سنى الغلوات بالسواحل والرقع بأقصى
القيمة ، ويطحن منها على طواحينه دقيقا ، وبيع
خلاصته في البطط بحارة اليهود ، ويعجن نخلته
خبزا نفراء العميان يتقوتون به مع ما يجمعونه من
الشحاذة في طوافهم آناء الليل وأطراف النهار
بالأسواق والأزقة ، وتغنيهم بالمدايح والخرافات ،
وقراءة القرآن في البيوت ومساطب الشوارع وغير
ذلك .

ومن مات منهم ورثه الشيخ المذكور ، ولا يجد
له معارضا في ذلك .

واتفق أن الشيخ الحفنى تهم عليه في شيء ،
فأرسل اليه من أحضره موثوقا مكشوف الرأس
مضروبا بالنعال على دماغه وقناه ، من بيته الى
بيت الشيخ بالموسكى بين ملا العالم !

ولما انقضت تلك السنون وأهلها ، صار المترجم
بين أعيان الصدور المشار اليهم في المجالس ،
تخشى سطوته وتسمع كلمته ، ويقال قال الشيخ
كذا وأمر الشيخ بكذا !! .. وصار يلبس الملابس
والفراوى ، ويركب البغال وأتباعه محدقة به
وتزوج الكثير من النساء الفتيات الجيلات ،

فرنسيس الشام وما جرى لهم أو عليهم ... الا
روايات لا يوثق بها ، ولا يصح بالتواتر منها الا
تكرار هجوم الفرنسيين على حصون عكا ، ولم
يتركوا من حيلهم ومكايدهم شيئا الا فعلوه ، ولم
ينالوا غرضا منها .

وانقضت هذه السنة وما حصل بها من الحوادث
التي لم يتفق مثلها . ومن أعظمها انقطاع سفر الحج
من مصر ، ولم يرسلوا الكسوة ولا الصرة . وهذا
لم يقع نظيره في هذه القرون ولا في دولة بنى
عثمان . والأمر لله وحده !

ومات في هذه السنة العمدة الشهير الشيخ
سليمان الجوسقى شيخ طائفة العميان — بزوايتهم
المعروفة بالشنوانى .

تولى شيخا على العميان المذكورين بعد وفاة
الشيخ الشبراوى ، وسار فيهم بشهامة وصرامة
وجبروت ، وجمع بجاههم أموالا عظيمة وعقارات .
فكان يشتري غلال المستحقين المعطلة بالأبعاد بدون
الطفيف ، ويخرج كشوفاتها وتحاويلها على
الملتزمين ، ويطالبهم بها كيلا وعينا ، ومن عصى عليه
أرسل اليه الجيوش الكثيرة من العميان ، فلا يجد
بدا من الدفع . وان كانت غلاله معطلة ، صالحه بما
أحب من الثمن .

واشترى السرارى البيض والحشيش والسود ، وكان
قرض الأكاير المقادير الكثيرة من المال ، ليكون له
عليهم الفضل والمنة .

ولم يزل حتى حمله التفباخر — فى زمن
الفرنسيس — على اثاره الفتنة التى أصابته
وغيره . وقتل فيمن قتل بالقلعة ، ولم يعلم له قبر

ومات — فى هذه السنة أيضا — الوجيه الأجل
الأمل ، السيد محمد كريم السكندرى (وكريم
بضم الكاف ، وفتح الراء ، وتشديد الياء
مكسورة ، وسكون الميم) مقتولا بيد الفرنسيس .

وخبره أنه كان فى أول أمره قبانيا بزن البضائع
فى حانوت بالشجر ، وعنده خفة فى الحركة وتودد فى
المعاشرة فلم يزل تتقرب الى الناس بحسن التودد ،
ويستجلب خواطر حواشى الدولة وغيرهم من تحار
المسلمين والنصارى ومن له وجاهة وشهرة فى أبناء
جنسه ، حتى أحبه الناس ، واشتهر ذكره فى ثغر
الاسكندرية ورشيد ومصر .

واتصل بصالح بك حتى كان وكلا بدار
السعادة ، وله الكلمة النافذة فى ثغر رشيد وتملكها
وضواحيها ، واسترق أهلها ، وقلد أمرها لعثمان
خجا ، فاتحد به وبمخدومه السيد محمد المذكور .

واتصل بمراد بك — بعد صالح أغا —
فتقرب اليه ، ووافق منه العرض ، ورفع شأنه
على أقرانه ، وقلده أمر الديوان والجمارك بالشجر
وتفدت كلمته وأحكامه ، وتصدر لغالب الأمور ،
وزاد فى المكوسات والجمارك ومصادرات التجار ،
خصوصا من الأفرنج .

ووقع بينه وبين السيد شعبة الحادثة التى
أوجبت له الاختفاء بالصهرنج ، وموته فيه .

فلما حضر الفرنسيس ونزلوا الاسكندرية ،

قبضوا على السيد محمد المذكور ، وطالبوه بالمال ،
وضيقوا عليه وحبسوه فى مركب .

ولما حضروا الى مصر ، وطلعوا الى قصر
مراد بك ، وفيها مطالعته بأخبارهم ، وبالحث
والاجتهاد على حربهم ، وتهوين أمرهم ، وتنقيصهم
.. اشتد غيظهم عليه . فأرسلوا وأحضروه الى مصر
وحبسوه ، فتشفع فيه أرباب الديوان عدة مرات ،
فلم يمكن .

الى أن كانت ليلة الخميس ، فحضر اليه
« مجلون » وقال له : « المطلوب منك كذا وكذا
من المال » . وذكر له قدرا يعجز عنه ، وأجله اثنتى
عشرة ساعة . وان لم يحضر ذلك القدر .. قتل بعد
مضيها .

فلما أصبح أرسل الى المشايخ ، والى السيد
أحمد المحروقى ، فحضر اليه بعضهم ، فترجاهم ،
وتداخل عليهم ، واستغاث وصار يقول لهم .
« اشترؤنى يا مسلمون » . وليس بيدهم ما يفدونه
به ، وكل انسان مشغول بنفسه ، ومتوقع لشيء
يصيبه . وذلك فى مبادئ أمرهم .

فلما كان قريب الظهر ، وقد انقضى الأجل ،
أركبوه حمارا ، واحتاط به عدة من العسكر .
وبأيديهم السيوف المسلولة ، وبقدمهم طبل
يضربون عليه ، وشقوا به الصليبة الى أن ذهبوا
الى الرميلة ، وكتفوه وربطوه مشبوحا ، وضربوا
عليه بالبنادق كعادتهم فيمن يقتلونه ، ثم قطعوا
رأسه ورفعوه على نبوت ، وطافوا به بجهات
الرميلة ، والمنادى يقول : « هذا جزاء من يخالف
الفرنسيس » .

ثم ان أتباعه أخذوا رأسه ، ودفنوه مع جثته ،
وانقضى أمره ، وذلك يوم الخميس خامس عشر
ربيع الأول .

ومات أيضا أيوب بك الدفتردار وهو من
ممالك محمد بك . تولى الامارة والصنجدية بعد
موت أستاذه . وقد تقدم ذكره غير مرة

وكان ذا دهاء ومكر ، ويتظاهر بالانتصار
للحق وحب الأشراف والعلماء ، ويشترى المصاحف
والكتب ، ويحب المسامرة والمذاكرة وسير
المتقدمين ، ويواظب على الصلاة في الجماعة ،
ويقضى حوائج السائلين والقاصدين بشهامة
وصرامة وصدغ للمعاند ، خصوصا اذا كان الحق
بيده .

وسمعت — من لفظه — رؤيا رآها قبل ورود
الفرنسيس بنحو شهرين تدل على ذلك ، وعلى
موته في حربهم .

ولما حصل ذلك وحضروا الى بر انبابة ، عدى
المرجم قبل يومين ، وصار يقول :
« أنا بعت نفسي في سبيل الله » .

فلما التقى الجمعان لبس سلاحه — بعدما
توضأ وصلى ركعتين — وركب في مراكبه
وقال : « اللهم اني نويت الجهاد في سبيلك »
واقترح مصاف فرنساوية ، وألقى بنفسه في
نارهم ، واستشهد في ذلك اليوم .

وهي منقبة اختص بها دون أقرانه ، بل ودون
غيرهم من جميع أهل مصر . كما قال فيه الشيخ

خليل المنير من قصيدة حكى فيها أمرهم وما حصل
للمترجم :

لم يبر منهم سوى أيوب من ألم
مجانس داء خصم قادم حنق
بانت له من حسان الحور قائلة
اركض برجلك للحيرات واستق
واترك مرادا الى الدنيا ولم ننا
أنا الحياة فمل الروح واعتق
أم الجهاد شهير السيف مجتهدا
في كلمة الحق اعلاء على الفرق

الله أكر ، والتوحيد بصحبا
نداءه في عجاج مظلم غسقة
لقد تولى على عرض الصفوف الى
أن ضمه القلب ، فاستولى على خلق

ومازال بنقض حتى انقض كوكبه
وطار منه بهاء النور للاق
مضى شهيدا وحيدا طاهرا سحا
مغسلا بدم الهيجاء لا غرق

تميز الجوهر المكنون من صدف
ثم انجلى في الحلى يزهى بمؤتلق
كان الجلاء له عين الجلاء لهم
فأدبروا بأعين الخلد بالخلق

الى آخر ما قال . وقوله « بدم الهيجاء لا غرق »
يشير بذلك الى ابراهيم بك الوالى حين ولى مدبرا
وغرق في البحر ..

المحرم

الأربعاء أوله (٥ يونيه ١٧٩٩ م) :

حضر جماعة من الفرنسيين الى العادلية فضربوا خمسة مدافع لقذومهم .

الخميس ٢ منه (٦ يونيه ١٧٩٩ م) :

عملوا الديوان وأبرزوا مكتوبا مترجما ونسخته صورة جواب من العرضى قدام عكا :

فى السابع عشرين فريبال ، الموافق لحادى عشر شهر الحجة سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف من بونا برته سارى عسكر أمير الجيوش الفرنساوية الى محفل ديوان مصر . نخبركم عن سفره من بر الشام الى مصر فانى بغاية العجلة بحضورى لطرفكم نسافر بعد ثلاثة أيام تمضى من تاريخه ونصل عندكم بعد خمسة عشر يوما وجائب معى جملة محاييس بكثرة ويبارق ، ومحقت سراية الجزائر وسور عكا ، وبالقنبر هدمت البلد ما أبقى فيها حجرا على حجر وجميع سكانها انهزموا من البلد الى طريق البحر . والجزار مجروح ودخل بجماعته داخل برج من ناحية البحر وجرحه يبلغ لخطر الموت . ومن جملة ثلاثين مركبا موسوقة عساكر الذين حضروا يساعدون الجزار ثلاثة غرقت من كثرة مدافع مراكبنا . وأخذنا منها أربعة موقرة مدافع ، والذى أخذ هذه الأربعة فرقاطة من بتوعنا والباقى تلف وتبهدل والغالب منهم عدم . وانى بغاية الشوق الى مشاهدتكم لأنى بشوف أنكم عملتم غاية جهدكم من كل قلبكم .. لكن جملة فلاتية دائرون بالفتنة لأجل ما يحركون الشر

فى وقت دخولى . كل هذا يزول مثل ما يزول الغيم عند شروق الشمس . ومنتورة مات من تشويش .

هذا الرجل صعب علينا جدا ، والسلام . (ومنتورة هذا ترجمان سارى عسكر وكان لبيبا متبحرا ويعرف باللغات التركية والعربية والرومية والطلباني والفرنساوى) .

ولما عجز الفرنساوية عن أخذ عكا ، وعزموا على الرجوع الى مصر ، أرسل بونا برته مكاتبة الى الفرنساوية المقيمين بمصر يقول فيها : « ان الأمر الموجب للانتقال عن محاصرة عكا خمسة عشر سببا : ١ - الإقامة تجاه البلدة وعد الحرب ستة أيام الى أن جاءت الانكليز وحصنوا عكا باصطلاح الأفرنج .

٢ - الستة مراكب التى توجهت من الاسكندرية فيها المدافع الكبار أخذها الانكليز قدام يافا .

٣ - الطاعون الذى وقع فى العسكر ويموت كل يوم خمسون وستون عسكريا .

٤ - عدم الميرة لخراب البلاد قريب عكا . ٥ - وقعة مراد بيك مع الفرنساوية فى الصعيد ، مات فيها مقدار ثلثمائة فرنساوى .

٦ - بلغنا توجه أهل الحجاز صحبة الجيلانى للاحية الصعيد .

٧ - المغربى محمد الذى صار له جيش كبير وادعى أنه من سلاطين المغرب .

٨ - ورود الانكليز تجاه الاسكندرية ودمياط .

٩ - ورود عمارة الموسقو قدام رودس .

١٥ - ورود خبر نقض الصلح بين الفرنسيين والنيساء (كذا) .

١١ - ورود جواب مكتوب منا لتييو أحد ملوك الهند كنا أرسلناه قبل توجهنا لعكا .

(وتييو هذا هو الذي كان حضر الى اسلامبول بالهدية التي من جملتها طائران يتكلمان بالهندية ، والسرير والمنبر من خشب العود . وطلب منه الامداد والمعاونة على الانكليز المحاربين له في بلاده . فوعده ومنسوه ، وكتبوا له أوراقا وأوامر وحضر الى مصر . وذلك في سنة ١٢٠٢ هـ أيام السلطان عبد الحميد - وقد سبقت الاشارة اليه في حوادث تلك السنة - وهو رجل كان مقعدا يحمله أتباعه في تخت لطيف بديع الصنعة على أعناقهم . ثم انه توجه الى بلاد فرانسفة ، واجتمع بسطانها ، وذلك قبل حضوره الى مصر ، واتفق معه على أمر بالسرا لم يطلع عليه أحد غيرهما . ورجع الى بلاده على طريق القلزم . فلما قدم الفرنسيون لمصر كاتبه كبيرهم بذلك السر ، لأنه اطلع عليه عند قيام الجمهور وتملكه خزانة كتب السلطان . ثم ان تييو المذكور بقى في حرب الانكليز الى أن ظفروا به في هذه السنة وقتلوه وثلاثة من أولاده .. فهذا هو ملخص معنى السبب ..) .

١٢ - موت كفرلى الذى عملت المتاريس بمقتضى رأيه . واذا تولى أمرها غيره يلزم نقضها ويطول الأمر . وكفرلى هذا هو المعروف بأبى خشبة المهندس .

١٣ - سماع أن رجلا يقال له مصطفى باشا أخذه الانكليز من اسلامبول ومرادهم أن يرموه على بر مصر .

١٤ - أن الجزار أنزل ثقله بمراكب الانكليز وعزم على أنه عندما تملك البلد ينزل في مراكبهم ويهرب معهم .

١٥ - لزوم محاصرة عكا ثلاثة شهور أو أربعة وهو مضر لكل ما ذكرناه من الأسباب .

الثلاثاء ٧ منه (١١ يونيه ١٧٩٩ م) :

حضر جماعة أيضا من العسكر بأثقالهم وحضرت مكاتبة من كبير الفرنسيين أنه وصل الى الصالحية وأرسل دوجا الوكيل ونبه على الناس بالخروج لملاقاته بموجب ورقة حضرت من عنده يأمر بذلك .

الجمعة ١٠ منه (١٤ يونيه ١٧٩٩ م) :

في هذه الليلة أرسلوا الى المشايخ والوجاقات وغيرهم فاجتمعوا بالأزبكية وقت الفجر بالمساعل ودقت الطبول وحضر الحكام والقلقات بسواكب وطهور وزمور ونوبات تركية وطبول شامية ، وملازمون وجاوشية وغير ذلك ، وحضر الوكيل وقائقام وأكابر عساكرهم وركبوا جميعا بالترتيب من الأزبكية الى أن خرجوا الى العادلية فقابلوا سارى عسكر بونايرته هناك وسلموا عليه ودخل معهم الى مصر من باب النصر بموكب هائل بعساكرهم وطبولهم وزمورهم وخيولهم وغربائهم ونسائهم وأطفالهم في نحو خمس ساعات من النهار الى أن وصل الى داره بالأزبكية وانقض الجمع وضربوا عدة مدافع عند دخولهم المدينة .

وقد تغيرت ألوان العسكر القادمين ، واصفرت ألوانهم وقاسوا مشقة عظيمة من الحر والتعب وأقاموا على حصار عكا أربعة وستين يوما حربا مستقيما ليلا ونهارا ، وأبلى أحمد باشا وعسكره بلاء حسنا ، وشهد له الخصم .

وفيه : قبضوا على اسماعيل القلق الخربطلى وهو المتولى كتحدا العزب وكان ساكنا بخط الجبالية وأخذوا سلاحه وأصعدوه الى القلعة

الشيخ محمد المهدي ، ووقعن عليه ، فصالح عليهن بمبلغ ثلاثة آلاف فرانسة .

الأحد ١٩ منه (٢٣ يونيه ١٧٩٩ م) :

مات ميخائيل كحيل النصراني الشامي — وهو من رجال الديوان الخصوصي — فجأة ، وذلك لقهره وغمه . وسبب ذلك أنهم قرروا عليه في السلفة ستة آلاف ريال فرانسة ، وأخذ في تحصيلها . ثم بلغه أن أحمد باشا الجزار قبض على شريكه بالشام واستصفى ما وجده عنده من المال ، فورد عليه الخبر ، وهو جالس يتحدث مع اخوانه حصاة من الليل ، فخرجت روحه في الحال !

وفيه : كتبوا أوراقا وطبعوها وألصقوها بالأسواق ، وذلك بعد أن رجعوا من الشام واستقروا . وهي من ترصيف وتنميق بعض الفصحاء : وصورتها :

« من محفل الديوان الخصوصي بمحروسة مصر ... خطابا لأقاليم مصر الشرقية والغربية والمنوفية والقليوبية والجيزة والبحيرة :

« النصيحة من الايمان . قال تعالى في محكم القرآن : « ولا تتبعوا خطوات الشيطان » . وقال تعالى — وهو أصدق القائلين — في الكتاب المكنون : « ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون » . فعلى العاقل أن يتدبر في الأمور قبل أن يقع في المحذور .

« نخبركم معاشر المؤمنين أنكم لا تسمعوا كلام الكذابين فتصبحوا على ما فعلتم نادمين .

« وقد حضر الى محروسة مصر المحمية أمير الجيوش الفرنسية حضرة بونا برته ، محب الملة المحمدية ! ونزل بعسكره في العادلية ، سليما من العطب والأسقام ، ودخل الى مصر من باب النصر يوم الجمعة في موكب عظيم وشنك جليل فخيم ،

وحبسوه . والسبب في ذلك أنه عمل في تلك الليلة وليمة ودعا أحبابه وأصدقاءه وأحضر لهم آلات اللهو والطرب وبات سهرانا بطول الليل . فلما كان آخر الليل غلب عليهم السهر والسكر فناموا الى ضحوة النهار وتأخر عن الملاقاة . فلما أفاق ركب ولاقاهم عند باب النصر فنقموا عليه بذلك وفعلوا معه ما ذكر .

ولما وصل صاري عسكر الفرنسية الى داره بالأزبكية ، تجمع هناك أرباب الملاهي والبهاالوين وطوائف الملاحين والحواة والقرادين والنساء الراقصات والخلايص ، ونصبوا أراجيح مثل أيام الأعياد والمواسم واستمروا على ذلك ثلاثة أيام ! وفي كل يوم من تلك الأيام يعملون شنكا وحراقات ومدافع وسواريح . ثم انقض الجمع بعدما أعطاهم صاري عسكر دراهم وبقاشيش !

الأحد ١٢ منه (١٦ يونيه ١٧٩٩ م) :

عزلوا دستان قائمقام وتولى عوضه دوجا الذي كان وكيلًا عن صاري عسكر وتهيأ المغزول للسفر الى جهة بحري وأصبح مسافرا وصحبته نحو الألف من العسكر وسافر أيضا منهم طائفة الى جهة البحيرة .

وفيه : طلبوا من طوائف النصارى دراهم سلفة مقدار مائة وعشرين ألف ريال .

الأربعاء ١٥ منه (١٩ يونيه ١٧٩٩ م) :

أرسلوا الى زوجات حسن بيك الجداوى وختموا على دورهن ومتاعهن وطالبوهن بالمال . وذلك لسبب أن حسن بيك التف على مراد بيك وصار يقاتل الفرنسيين معه . وقد كانت الفرنسيين كاتبت حسن بيك وأمنتته وأقرته على ما بيده من البلاد ، وألا يخالف ويقا تل مع الأخصام ... فلم يقبل منهم ذلك . فلما وقع لنسائه ذلك ذهبن الى

وصحبته العلماء والوجاقات السلطانية ، وأرباب
الأقلام الديوانية ، وأعيان التجار المصرية . وكان
يوما عظيما مشهودا . وخرجت أهل مصر لملاقاته
فوجدوه هو الأمير الأول بذاته وصفاته ، وظهر لهم
أن الناس يكذبون عليه — شرح الله صدره
للاسلام ! — والذي أشاع عنه الأخبار الكاذبة
العربان الفاجرة والغز الهاربة . ومرادهم بهذه
الاشاعة هلاك الرعية ، وتدمير أهل الملة الاسلامية ،
وتعطيل الأمور الديوانية ... لا يحبون راحة العبيد ،
وقد أزال الله دولتهم من شدة ظلمهم . ان بطش
ربك لشديد !

« وقد بلغنا أن الألفى توجه للشرقية مع بعض
المجرمين من عربان بلى والعيادة الفجرة المفسدين :
يسعون في الأرض بالفساد ، وينهبون أموال
المسلمين .. ان ربك لبالمرصاد ! ونزورون على
الفلاحين المكاتب الكاذبة ، ويدعون أن عساكر
السلطان حاضرة . والحال أنها ليست بحاضرة ،
فلا أصل لهذا الخبر ، ولا صحة لهذا الأثر . وانما
مرادهم وقوع الناس في الهلاك والضرر ، مثل
ما كان يفعل ابراهيم بيك في غزة حيث كان ، ويرسل
فرمانات بالكذب والبهتان ، ويدعى أنها من طرف
السلطان ، ويصدقها أهل الأرياف ، خساء العقول !
ولا تقرأون العواقب فيقعون في المصائب ، وأهل
الصعيد طردوا الغز من بلادهم خوفا على أنفسهم
وهلاك عيالهم وأولادهم ، فان المجرم يؤخذ مع
الجيران ، وقد غضب الله على الظلمة . ونعوذ بالله
من غضب الديان ! فكان أهل الصعيد أحسن عقلا
من أهل بحرى بسبب هذا الرأي السديد .

« ونخبركم أن أحمد باشا الجزار سموه بهذا
الاسم لكثرة قتله الأنفس ، ولا يفرق بين الأخيار
والأشرار . وقد جمع الطموش الكثيرة من العسكر
والغز والعرب وأسافل العشيرة . وكان مراده
الاستيلاء على مصر وأقاليمها . وأحبوا اجتماعهم

عليه لأجل أخذ أموالها وهتك حريمها . ولكن لم
تساعده الأقدار والله يفعل ما يشاء ويختار !
« وقد كان أرسل بعض هذه العساكر الى قلعة
العريش ، ومراده أن يصل الى قطيا ، فتوجه حضرة
صارى عسكر أمير الجيوش الفرنسية وكسر
عسكر الجزار الذين كانوا في العريش ، وفادوا :
الفرار ! الفرار ! بعد ما حصل بعسكرهم القتل
والدمار — وكانوا نحو ثلاثة آلاف — وملك
قلعة العريش ، وأخذ غزة ، وهرب من كان فيها ،
وفروا . ولما دخل غزة نادى في رعيته بالأمان ، وأمر
باقامة الشعائر الاسلامية واكرام العلماء والتجار
والأعيان . ثم انتقل الى الرملة وأخذ مافيها من
بقسماط وأرز وشعير ، وقرب — أكثر من ألفين
قربة كبار — كان قد جهزها الجزار لذهابه الى
مصر . ثم توجه الى يافا وحاصرها ثلاثة أيام ، ثم
أخذها وأخذ مافيها من ذخائر الجزار بالتام . ومن
لحوسات أهلها أنهم لم يرضوا بأمانه ، ولم يدخلوا
تحت طاعته واحسانه ، فدور فيهم السيف من شدة
غيبه وقوة بأسه وسلطانه ، وقتل منهم نحو أربعة
آلاف أوزيريدون ، بعدما هدم سورها . وأكرم من
كان بها من أهل مصر وأطعمهم وكساهم ، وجهزهم
في المراكب الى مصر ، وغفرهم بعسكره خوفا
عليهم من العربان ، وأجزل عطاياهم ، وكان في يافا
نحو خمسة آلاف من عسكر الجزار هلكوا جميعا ،
وبعضهم ما نجاه الا الفرار .

« ثم توجه من يافا الى جبل نابلس ، فكسر من
كان فيه من العساكر بمكان يقال له فاقوم ، وحرق
خمس بلاد من بلادهم — وما قدر كان ! — ثم
أخرب سور عكا ، وهدم قلعة الجزار التي كانت
حصينة ... لم يبق فيها حجر على حجر ، حتى انه
يقال كان هناك مدينة . وقد كان بنى حصارها وشيد
بنيانها في نحو عشرين من السنين ، وظلم في بنيانها
عباد الله ... وهكذا عاقبة بنيان الظالمين !

ولما توجه اليه أهل بلاد الجزائر من كل ناحية ،
كبرهم كسرة شنيعة ، فهل ترى لهم من باقية ؟
نزل عليهم كصاعقة من السماء ، ثم توجه راجعا
الى مصر المحروسة لأجل شيئين :

الأول : أنه وعدنا برجوعه اليها بعد أربعة
أشهر . والوعد عند الحر دين !

والثاني : أنه بلغه أن بعض المفسدين من الغز
والعربان يحركون في غيابه الفتن والشرور في بعض
الأقاليم والبلدان . فلما حضر مسكنت الفتنة وزالت
الأفرار والفجرة من الرعية .

« وجه لمصر وأقليمها شيء عجيب ، ورغبته في
الخير لأهلها وليلها بفكره وتديره المصيب . ويرغب
في أن يجعل فيها أحسن التحف والصناعة .

« ولما حضر من الشام أحضر معه جملة من الأسارى
من خاص وعام ، وجملة مدافع وبيارق اغتسمها في
الحروب من الأعداء والأخصام . فالويل كل الويل
لمن عاداه ، والخير كل الخير لمن وآله !

« فسلتوا يا عباد الله ، وارضوا بتقدير الله ،
وامثلوا لأحكام الله ، ولا تسعوا في سفك دمائكم
وهتك عيالكم ، ولا تتسببوا في نهب أموالكم ،
ولا تسمعوا كلام الفز الهربانين الكاذبين . ولا
تقولوا ان في الفتنة اعلاء كلمة الدين — حاشا
الله ! — لم يكن فيها الا الخذلان وقتل الأنفس ،
وذل أمة النبي عليه الصلاة والسلام .

« والغز والعربان يطعمونكم ويغرونكم لأجل
أن يضروكم وينهبوكم . واذا كانوا في بلد ، وقدمت
عليهم الفرنسيين ، فروا هاربين منهم كأنهم جند
ابليس .

« ولما حضر ساري عسكر الى مصر أخبر أهل
الديوان ، من خاص وعام ، أنه يحب دين الاسلام ،
ويعظم النبي عليه الصلاة والسلام ، ويحترم
القرآن ، ويقرأ منه كل يوم باتقان ! وأمر باقامة

شعائر المساجد الاسلامية واجراء خيرات الأوقاف
السلطانية ، وأعطى عوائد الوجدانية ، وسعى في
حصول أقوات الرعية . فانظروا هذه الألفاظ
والمزية ببركة نبينا أشرف البرية ! وعرفنا أن مراده
أن يبنى لنا مسجدا عظيما بمصر لا نظير له في
الأقطار ، وأنه يدخل في دين النبي المختار ، عليه
أفضل الصلاة وأتم السلام ! » .

وكان أشيع بمصر قبل مجيئهم وعودهم من
الشام ، أن ساري عسكر بولايته مات بحرب
عكا ، وتناقله الناس ، وأنهم ولوا خلافة ... فهذا
هو السبب في قولهم في ذلك الطومار . « وقد
حضر سليما من العطب ... فوجدوه هو الأمير
الأول بذاته وصفاته » الى آخر السياق المتقدم .

الأربعاء ٢٢ منه (٢٦ يونيه ١٧٩٩ م) :

أرسل ساري عسكر جماعة من العسكر
وقبضوا على ملا زاده ابن قاضي العسكر ، ونهبوا
بعضا من ثيابه وكتبه وطلعوا به الى القلعة . فانزعج
عليه عياله وحريمه ووالدته انزعاجا شديدا .

وفي صباحها اجتمع أرباب الديوان بالديوان ،
وحضر اليهم ورقة من كبير الفرنسيين قرئت
عليهم ، مضمونها ... أن ساري عسكر قبض على
ابن القاضي وعزله ، وأنه وجه اليكم أن تقتنعوا
وتختاروا شيئا من العلماء يكون من أهل مصر
ومولودا بها ، يتولى القضاء ، ويقضى بالأحكام
الشرعية ، كما كانت الملوك المصرية يولون القضاء
برأي العلماء — للعلماء .

فلما سمعوا ذلك أجاب الحاضرون بقولهم :
اننا جميعا نتشفع وترجي عنده في العفو عن ابن
القاضي ، فانه انسان غريب ، ومن أولاد الناس
الصدور ، واذا كان والده وافق كتخدا الباشا في
فعله ... فولده مقيم تحت أمانكم ، والمرجو انضالقه
وعوده الى مكانه ، فان والدته وجدته سيئاته ...

في وجد وحزن عظيم عليه . وصارى عسكر من أهل الشفقة والرحمة .

وتكلم الشيخ السادات بنحو ذلك ، وزاد في القول بأن قال : وأيضا لكم تقولون دائما ، ان الفرنساوية أحباب العثمانية ، وهذا ابن القاضى من طرف العثمانلى فهذا الفعل مما يسىء الظن بالفرنساوية ويكذب قولهم ، وخصوصا عند العامة .

فأجاب الوكيل — بعد ما ترجم له الترجمان — بقوله : لا بأس بالشفاعة ، ولكن بعد تنفيذ أمر صارى عسكر في اختيار قاض خلفه ، وألا تكونوا مخالفين ، ويلحقكم الضرر بالمخالفة ... فامتثلوا وعملوا القرعة ، وطلعت الأكثرية باسم الشيخ أحمد العريشى الحنفى . ثم كتبوا عرض حال بصورة المجلس والشفاعة .. وكتب عليه الحاضرون . وذهب به الوكيل الى صارى عسكر ، وعرفه بما حصل وبما تكلم به الشيخ السادات ... فتغير خاطره عليه . وأمر باحضاره آخر النهار فلما حضر لأمه وعاتبه . فتكلم بينهما الشيخ محمد المهدي ووكيل الديوان الفرنساوى ... بالديوان ، حتى سكن غيظه ، وأمره بالانصراف الى منزله ، بعد أن عوقه حصه من الليل .

فلما أصبح يوم الجمعة عملوا جمعية في منزل دوجا قائمقام ، وركبوا — صحبته — الى بيت صارى عسكر ، ومعهم الشيخ أحمد العريشى فألبسه فروة مشنة ، وزكبوا جميعا الى المحكمة الكبيرة بين القصرين ، ووعدهم بالافراج عن ابن القاضى بعد أربع وعشرين ساعة .

وقد كانت عياله انتقلوا من خوفهم الى دار السيد أحمد المحرقى ، وجلسوا عنده . ولما كان في ثانى يوم أفرجوا عنه ، ونزل الى عياله ، وصحبته أرباب الديوان والأغا ، ومشوا معه في وسط المدينة ليراه الناس ، ويبطل القيل والقال .

وفيه : كتبوا أوراقا ، وطبعوا منها نسخا ، وألصقوها بالأسواق .. وصورتها :

« جواب الى محفل الديوان .. من حضرة صارى عسكر الكبير بونايرته ، أمير الجيوش الفرنساوية محب أهل الملة الحمديّة ! ! خطابا الى السادات العلماء ... أنه وصل لنا مكتوبكم من شأن القاضى ... نخبركم أن القاضى لم أعزله ، وإنما هو هرب من اقليم مصر ، وترك أهله وأولاده وخان صحبتنا من المعروف والاحسان الذى فعلناه معه . وكنت استحسننت أن ابنه يكون عوضا عنه في محل الحكم في مدة غيبته ، ويحكم بدله . ولم يكن ابنه قاضيا متوليا للأحكام على الدوام ، لأنه صغير السن ، ليس هو أهلا للقضاء . فعلمتم أن محل حكم الشريعة خال الآن من قاض شرعى يحكم بالشريعة . واعلموا أنى لا أحب مصر خالية من حاكم شرعى يحكم بين المؤمنين ، فاستحسننت أن يجتمع علماء المسلمين ويختاروا باتفاقهم قاضيا شرعيا من علماء مصر وعقلائهم ... لأجل موافقة القرآن العظيم باتباع سبيل المؤمنين ، وكذلك مرادى أن حضرة الشيخ العريشى الذى اخترتموه جميعا ، أن يكون لابسا من عندى وجالسا في المحكمة ... وهكذا كان فعل الخلفاء في العصر الأول باختيار جميع المؤمنين !

« وأخبركم أنى تلقيت ابن القاضى بالمحبة والاكرام لما حضر لى وقابلنى ، ولم أزل لهذا الوقت أكرمه ، ولم أحب أن يضره أحد ... حكم أماننا له . ولما رفعناه الى القلعة لم نرد ضرره ، بل رفعناه مكرما ، مثلما يكون في بيته ، بالراحة والاكرام . وسبب ما رفعناه الى القلعة .. سيكون الفتن والاصلاح بين الناس . وبعد لبس القاضى الجديد ، وجلوسه في محل الحكم مرادى أن أطلق ابن القاضى ، وأنزله من القلعة ، وأرد له كامل تعلقاته ، وأطلق سبيله هو وعياله يتوجهون حيث

كاشف من أتباع أيوب بيك الكبير ، وآخر يسمى أبو كلس ، والثالث رجل تاجر من تجار خان الخليلي يسمى حسين مملوك الدالي ابراهيم ، فسجنوهم بالقلعة فتشفع الشيخ السادات في حسين التاجر المذكور ، فأطلقوه على خمسة آلاف فرانسة .

من

الجمعة مستهله (٥ يوليه ١٧٩٩ م) :

أفرجوا عن بعض قرابة كتخدا الباشا ، وكان محبوسا بالجيزة ثم نقل الى القلعة مع كتخدا قريه فأطلق وبقي الآخر .

الأحد ٣ منه (٧ يوليه ١٧٩٩ م) :

حضر السيد عمر أفندي نقيب الأشراف سابقا من دمياط الى مصر — وكان مقيما هناك من بعد واقعة يافا — ونزل مع الذين أنزلوهم من يافا الى البحر : وفيهم عثمان أفندي العباسي ، وحسن أفندي كاتب الشهر ، وأخوه قاسم أفندي ، وأحمد أفندي عرفه والسيد يوسف العباسي ، والحاج قاسم المصلي ، وغيرهم . فمنهم من عوق بالكرتيلة ، ومنهم من حضر من البر خفية . فحضر بعض الأعيان للملاقة السيد عمر وركبوا معه بعد أن مكث هنيهة بزاوية على بيك التي بساحل بولاق حتى وصل الى داره . وتوجه في ثاني يوم مع المهدي وقابل ساري عسكو فبش له ووعد به بخير ورد اليه بعض تعلقاته واستمر مقيما بداره والناس تغدو وتروح اليه على العادة .

الاثنين ٤ منه (٨ يوليه ١٧٩٩ م) :

حضر أيضا حسن كتخدا الجريان بأمان ، وكان بصحبته عثمان بيك الشرقاوي .

وفيه : أشيع أن مراد بيك ذهب الى ناحية البحيرة فرارا من الفرنسيين الذين بالصعيد .

أرادوا باختيارهم ، لأنه في أمانى وتحت حمايتي . وأعرف أن أباه ما كان يكرهني ، ولكنه ذهب عقله ، وفسد رأيه . وأتم يا أهل الديوان تهدون الناس الى الصواب والنور من جنابكم لأهل العقول . وعرفوا أهل مصر أنه انقضت وفرغت دولة العثملى من أقاليم مصر ، وبطلت أحكامها منها . وأخبروهم أن حكم العثملى أشد تعباً من حكم الملوك وأكثر ظلماً . والعامل يعرف أن علماء مصر لهم عقل وتديير وكفاية وأهلية للأحكام الشرعية ، يصلحون للقضاء أكثر من غيرهم في سائر الأقاليم .

وأتم يا أهل الديوان عرفولى عن المناققين المخالفين ، أخرج من حقهم ، لأن الله تعالى أعطانى القوة العظيمة لأجل ما أعاقبهم .. فان سيفنا طويل ، ليس فيه ضعف . ومرادى أن تعرفوا أهل مصر أن قصدى بكل قلبى حصول الخير والسعادة لهم ، مثل ما هو بحر النيل أفضل الأنهار وأسعدها .. كذلك أهل مصر يكونون أسعد الخلائق أجمعين باذن رب العالمين ... والسلام .

وفى تلك الليلة : قتلوا شخصين أحدهما على جاويز رئيس الريالة الذى كان بالأسكندرية عند حضور الفرنسيين . والثاني قبطان آخر ، فلم يزالا بمصر يحبسونهما أياما ثم يطلقونهما فحبسوهما آخراً فلم يطلقوهما حتى قتلوهما .

وفى صبيحة هذا اليوم : قتلوا شخصين أيضا من الأتراك بالرميلة .

وفيه : أفرجوا عن زوجات حسن بيك الجداوى .

الثلاثاء ٢٨ منه (٢ يوليه ١٧٩٩ م) :

جمعوا الوجاقلية وكتبوا أسماءهم .

الأربعاء ٢٩ منه (٣ يوليه ١٧٩٩ م) :

قبضوا على ثلاثة أنفار : أحدهم يسمى حسن

الثلاثاء ٥ منه (٩ يوليه ١٧٩٩ م) :

قتلوا عبد الله أغا أمير يافا ، وكان أخذ أسيرا
وحبس ثم قتل .

وفيه : قتل أيضا يوسف جرجي أبو كلس
ورفيقه حسن كاشف .

الأربعاء ٦ منه (١٠ يوليه ١٧٩٩ م) :

عمل الشيخ محمد المهدي وليمة عرس لزواج
أحد أولاده ودعا ساري عسكر وأعيان فرنساوية
فتعشوا عنده وذهبوا .

وفيه : أحضروا أربعة عشر مملوكا أسرى
وأصعدوهم الى القلعة . قيل انهم كانوا لاحقين بمراد
بيك بالبحيرة فأووا الى قبة يستظلون بها وتركوا
خيولهم مع السواس ، فنزل عليهم طائفة من العرب
فأخذوا الخيول ، فمروا مشاة ، فدل الفلاحون عليهم
عسكر الفرنسيين فمسكوهم . وقيل انهم آووا
الى بلدة وطلبوا منهم غرامة فصالحوهم فلم يرضوا
بذلك بدون ما طلبوا فوعدوهم بالدفع من الغد ،
وكانوا أكثر من ذلك — وفيهم كاشف من جماعة
عثمان بيك الطنبرجي — فذهب الفلاحون الى
الفرنسيين وأعلموهم بمكانهم فحضرُوا اليهم ليلا ،
وفر من فر منهم ، وقتل من قتل ، وأسر الباقي . وأما
الكاشف — ويسمى عثمان كاشف — فالتجأ الى

كبير الفرنسيين فحمّاه وأخذهُ عنده ، وأحضروا
الأسرى الى مصر وعليهم ثياب زرق وزعابيب وعلى
رءوسهم عراقى من لباد وغيره ، وأصعدوهم الى
القلعة وقتلوا منهم فى ثانى ليلة أشخاصا .

السبت ٩ منه (١٣ يوليه ١٧٩٩ م) :

أحضروا أيضا ستة أشخاص من المماليك
وأصعدوهم الى القلعة . وفى ذلك اليوم قتلوا أيضا
نحو العشرة من الأسرى المحاييس .

الأحد ١٠ منه (١٤ يوليه ١٧٩٩ م) :

ركب فى عصرته ساري عسكر وعدى الى بر
الجيزة وتبعته العساكر ولم يعلم سبب ذلك . ولما
صاروا بالجيزة ضربوا نجع البطران ودهشور
بسبب نزول مراد بيك عندهم . وفى هذا اليوم
ظهر أن مراد بيك رجع ثانيا الى الصعيد . وشاع
الخبر أيضا أن عثمان بيك الشرقاوى ، وسليمان
أغا الوالى وآخرين ... مروا من خلف الجبل وذهبوا
الى ناحية الشرق ، فخرج عليهم جماعة من العسكر
— وفيهم برطلمين بنى الرومى رئيس عسكر الأروام
ومعهم عدة وافرة من أخلاط العسكر أروام وقبط
والمماليك المنضمة اليهم ، وبعض فرنساوية —
فأدركوهم بالقرب من بليس وأتوهم من خلاف
الطريق السلوكة فدهموهم على حين غفلة — وكان
عثمان بيك يفتسل — فلما أحسوا بهم بادروا للفرار
وركبوا وركب عثمان بيك بقميص واحد على جسده
وطاقيه فوق رأسه وهربوا وتركوا ثيابهم ومتاعهم
وحملتهم وقدور الطعام على النار ، ولم يمت منهم



الاحتفال بالزواج فى مصر

الاميلوكان، وأسروا منهم اثنين ووجدوا على فراش عثمان بيك مكاتبة من ابراهيم بيك يستدعيهم الى الحضور اليه بالشام (١).

الاثنين ١١ منه (١٥ يوليه ١٧٩٩ م):

وردت أخبار ومكاتيب مع السعاة لبعض الناس من الاسكندرية وأبى قير، وأخبروا بأنه وردت مراكب فيها عسكر عثمانية الى أبى قير. فتبين أن حركة الفرنساوية وتعديتهم الى البر الغربى بسبب ذلك، وأخذوا صحبتهم جرجس الجوهرى.

وفي ضحوة اليوم الثانى عدى الكثير من العسكر أيضا. واهتم حنا بينو، المتولى على بحر بولاق، بجمع المراكب وشحنها بالقومانية والذخيرة. وداخل الفرنساوية من ذلك وهم كبير. ولما عدى كبيرهم الى بر الجيزة أقام يوم الاثنين عند الأهرام حتى تجمعت العساكر.

الثلاثاء ١٢ منه (١٦ يوليه ١٧٩٩ م):

بعث بالمقدمة وركب هو وأرسل مكتوبا الى أرباب الديوان بالسلام عليهم والوصية بالمحافظة وضبط البلد والرعية كما فعلوا في غيبته السابقة.

السبت ١٦ منه (٢٠ يوليه ١٧٩٩ م):

ورد الخبر بأن عثمان خجا وصل الى قلعة أبى قير، صحبة السيد مصطفى باشا، فضربوا على القلعة وقاتلوا من بها من الفرنساوية وملكوها وأسروا من بقى بها. وعثمان خجا هذا هو الذى كان

(١) الحقيقة أن عثمان بيك ومن معه استدعوا لانتظار ابراهيم بيك ومماليكه وجيش الجزائر بناء على التعليمات الواردة من رسل الانجليز. فاما ابراهيم بيك - وهو دائما شديد الحرس - فكان يسر من غزوة على مهل لكيلا يدخل مصر قبل قدوم الجيش العثماني من رودس وذلك خوفا من الوقوع في ايدي الفرنساويين فلما بلغه خبر تلك الهزيمة لعثمان بيك والافى بيك عاد ادراجه الى سوريا. وأما الجزائر الخبيث فاكتمى بعودة الفرنساويين من سوريا واستخلاصه هو عكا، وامتداد نفوذه في الولايات السورية ثم قلب للدولة العثمانية وللانكليز ظهر الجحش.

(١) حافظ مروض - فتح مصر الحديث من ٢٧٠.

متولى امارة رشيد من طرف صالح بيك وحج معه ورجع صحبتته الى الشام. فلما توفي صالح بيك سافر الى الديار الرومية وحضر صحبة مصطفى باشا المذكور.

فلما تحققت هذه الأخبار كثر اللغط في الناس وأظهروا البشر وتجاهروا بلعن النصارى. واتفق أنه تشاجر بعض المسلمين بحارة البرابرة بالقرب من كوم الشيخ سلامة مع بعض نصارى الشوام فقال المسلم للنصراني « ان شاء الله تعالى بعد أربعة أيام نشتقى منكم » وكلام من هذا المعنى. فذهب ذلك النصراني الى الفرنسييس مع عصابة من جنسه وأخبروهم بالقصة، وزادوا وحرفوا، وعرفوهم أن قصد المسلمين اثارة فتنة. فأرسل قائمقام الى الشيخ المهدي وتكلم معه في شأن ذلك وحاججه. وأصبحوا فاجتمعوا في الديوان فقام المهدي خطيبا وتكلم كثيرا، ونفى الريبة، وكذب أقوال الأخصام، وشدد في تبرئة المسلمين عما نسب اليهم وبالغ في الحطيطة والانتقاص من جانب النصارى... وهذا المقام من مقاماته المحمودة.

ثم جمعوا مشايخ الأخطاط والحارات وحبسوهم (١).

وفيه: حضرت مكاتبة من الفرنسييس المتوجهين للمحاربة مع العسكر الوارد لجهة أبى قير. وصورتها:

« لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم... نخبركم، محفل الديوان بمصر، المنتخب من أحسن الناس، وأكملهم بالعقل والتدبير... عليكم سلام الله تعالى ورحمته وبركاته... بعد مزيد السلام عليكم، وكثرة الأشواق الزائدة اليكم. نخبركم يا أهل الديوان المكرمين العظام بهذا المكتوب أننا وضعنا جساغات من عسكرنا

(١) تمثل لنا هذه الحادثة صورة بحسنة للنبور النعمى في هذا الوقت. والدليل على نخوف الفرنسيين أنهم زادوا في الحيلة فجمعوا مشايخ الأخطاط والحارات وحبسوهم

بجبل الطرانة . وبعد ذلك سرنا الى اقليم البحيرة
لأجل ما نرد راحة الرعايا المساكين ، وتقاصص
أعداءنا المحاربين . وقد وصلنا بالسلامة الى
الرحمانية ، وعفونا عفوا عموميا عن كامل أهل
البحيرة حتى صار أهل الاقليم في راحة تامة ، ونعمة
عامة .

« وفي هذا التاريخ نخبركم أنه وصل ثمانون
مركبا صفارا وكبارا ، حتى ظهوروا بشعر اسكندرية ،
وقصدوا أن يدخلوها فلم يمكنهم الدخول من كثرة
البنب وجلل المدافع النازلة عليهم . فرحلوا عنها
وتوجهوا يرسون بناحية أبى قير ، وابتدأوا ينزلون
في البر . وأنا الآن تاركهم ، وقصدى أن يتكامل
الجيسع في البر ، وأنزل عليهم أقتل من لا يطيع ،
وأخلى بالحياة الطائعين ، وآتيكم بهم محبوسين
تحت السيف لأجل أن يكون في ذلك شأن عظيم
في مدينة مصر . والسبب في مجيء هذه العمارة
الى هذا الطرف العثم بالاجتماع على المماليك
والعربان ، لأجل نهب البلاد ، وخراب القطر
المصرى . وفي هذه العمارة خلق كثير من الموسقو
الافرنج ، الذين كراحتهم ظاهرة لكل من كان يوحد
الله ، وعداوتهم واضحة لمن كان يعبد الله ويؤمن
برسول الله ... يكرهون الاسلام ، ولا يحترمون
القرآن . وهم — نظرا لكفرهم في معتقدهم —
يجعلون الآلهة ثلاثة ، وأن الله ثالث تلك الثلاثة .
تعالى الله عن الشركاء ! ولكن عن قريب يظهر لهم
أن الثلاثة لا تعطى القوة ، وأن كثرة الآلهة لا تنفع ..
بل انه باطل ، لأن الله تعالى هو الواحد ، الذى
يعطى النصر لمن يوحدده ، هو الرحمن الرحيم ،
المساعد المعين ، المقوى للعاذلين الموحدين ، الملاحق
رأى الفاسد المشركين وقد سبق في علمه القديم ،
وقضائه العظيم ، أنه أعطانى هذا الاقليم ا وقد
وحكم بحضورى عندكم الى مصر ، لأجل تغييرى
الأمور الفاسدة وأنواع الظلم ، وتبديل ذلك

بالعدل والراحة .. مع صلاح الحكم !
« وبرهان قدرته العظيمة ، ووحدانيته المستقيمة ،
أنه لم يقدر للذين يعتقدون أن الآلهة ثلاثة ... قوة
مثل قوتنا ، لأنهم ماقدروا أن يعملوا الذى عملناه ،
ونحن المعتقدون وحادانية الاله ، ونعرف أنه العزيز
القادر ، القوى القاهر ، المدير للكائنات ، والمحيط
علمه بالأرضين والسموات ، القائم بأمر المخلوقات ! .
هذا ما فى الآيات والكتب المنزلات . ونخبركم
بالمسلمين ... ان كانوا بصحبتهم ، يكونوا من
المغضوب عليهم لمخالفتهم وصية النبی عليه أفضل
الصلاة والسلام ، بسبب اتفاقهم مع الكافرين الفجرة
اللثام ! لأن أعداء الاسلام لا ينصرون الاسلام .
وياويل من كانت نصرته بأعداء الله ! وحاشا لله أن
يكون المستنصر بالكفار مؤيدا ، أو يكون مسلما !
« ساقطهم المقادير للهلاك والتدمير ، مع السفالة
والرذالة . وكيف لمسلم أن ينزل في مركب تحت
بيرق الصليب ، ويسمع في حق الواحد الأحد ،
الفرد الصمد .. من الكفار كل يوم تخريفا
واحتقارا ؟ ! ولا شك أن هذا المسلم — في هذا
الحال — أقبح من الكافر الأصلي في الضلال .
« نريد منكم يا أهل الديوان أن تخبروا بهذا
الخبر جميع الدواوين والأمصار ، لأجل أن يمتنع
أهل الفساد من الفتنة بين الرعية في سائر الأقاليم
والبلاد .. لأن البلد الذى يحصل فيه الشر ،
يحصل لهم مزيد الضرر والقصاص . انصحوهم
يحفظوا أنفسهم من الهلاك خوفا عليهم أن تفعل
فيهم مثل ما فعلنا في أهل دمنهور ، وغيرها من بلاد
الشرور ، بسبب سلوكهم المسالك القبيحة ...
قاصصناهم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
(تحريراً في الرحمانية يوم الأحد ١٥ صفر
سنة ١٢١٤) .
وطبعوا من ذلك نسخا ، وألصقوها بالأسواق ،
وفرقوا منها على الأعيان .

الاثنين ١٨ منه (٢٢ يوليه ١٧٩٩ م) :

وردت أخبار وعدة مكاتيب لكثير من الأعيان والتجار ، وكلها على نسق واحد تزيد على المائة مضمونها : بأن المسلمين وعسكر العثمانيين ومن معهم ملكوا الاسكندرية في ثالث ساعة من يوم



أبي قير

فلما طلع النهار ضربوا مدافع كثيرة من قلعة الجبل وباقي القلاع المحيطة بصحن الأربكية ، وعملوا في ليلتها — أعنى ليلة الأربعاء — حراقة بالأربكية من نفوط وبارود وسواريح تصعد في الهواء .

الخميس ٢٨ منه (أول أغسطس ١٧٩٩ م) :
وصلت عدة مراكب وبها أسرى وعساكر جرحى .

الجمعة ٢٩ منه (٢ أغسطس ١٧٩٩ م) :
حضرت مكاتبة من الفرنسيين بحكاية الحالة التي وقعت ... لم أقف على صورتها .

ربيع الأول

الأحد ٢ منه (٤ أغسطس ١٧٩٩ م) :
وصلت مراكب من بحرى وفيها جرحى من الفرنسيين

وفيه : قبضوا على الحاج مصطفى الششتيلي

السبت سادس عشر صفر (٢٠ يوليه ١٧٩٩ م) .
فصار الناس يحكى بعضهم لبعض .
ويقول البعض : « أنا قرأت المكتوب الواصل الى فلان التاجر » . ويقول الآخر مثل ذلك .. ولم يكن لذلك أصل ولا صحة ، ولم يعلم من فعل هذه الفعلة ، واختلق هذه النكتة . ولعلها من فعل بعض النصارى البلدين ليوقعوا بها فتنة في الناس ينشأ منها القتل فيهم ، والأذية لهم . وسبحان الله علام الغيوب .

الأربعاء ٢٠ منه (٢٤ يوليه ١٧٩٩ م) :
أشيع ليلاً أن الفرنسيين تحاربوا مع العساكر الواردين على أبي قير^(١) وظهروا عليهم وقتلوا الكثير منهم ونهبوهم وملكوا منهم قلعة أبي قير ، وأخذوا مصطفى باشا أسيراً وكذلك عثمان خجا وغيرهما . وأخبر الفرنسيين أنه حضرت لهم مكاتبة بذلك من أكابرهم .

(١) كان هؤلاء الجنود هم الجيش العثماني المؤلف من خيرة الجنود الانتشارية يسالة وأعداء .
(حافظ مروض - فتح معر الحديث من ٣٨٢)



مصطفى باشا بعد معركة أبو قير

فكنتم فرحانين ومستبشرين ، وكنتم تعارضون
الأغا في أحكامه وأن المهدي والصاوي ماهم «بونو»
أى ليسوا بطيبين » . ونحو ذلك .

وسبب كلامه هذا .. الحكاية المتقدمة التي
حبسوا بسببها مشايخ الحارات . فان الأغا الخبيث
كان يريد أن يقتل في كل يوم أناسا بأدنى سبب .
فكان المهدي والصاوي يعارضانه ويتكلمان معه
في الديوان ويوبخانه ويخوفانه سوء العاقبة ، وهو
يرسل الى سارى عسكر فيطالعه الأخبار ، ويشكو
منهما . فلما حضر عاتبهم في شأن ذلك فلاطفوه حتى
انجلى خاطره ، وأخذ يحدثهم على ما وقع له من
القادمين الى أبى قير والنصر عليهم ، وغير ذلك .

الزيات من أعيان أهالى بولاق وحبسوه بيت
قائمقام . والسبب في ذلك أن جماعة من جيرانه
وشوا عنه بأن بداخل بعض حواصله الذى فى
وكالته عدة قدور مملوءة بالبارود ، فكبسوا على
الحواصل فوجدوا بها ذلك كما أخبر الواشى ،
فأخذوها وقبضوا عليه وحبسوه كما ذكر ، ثم نقلوه
الى القلعة .

الخميس ٦ منه (٨ أغسطس ١٧٩٩ م) :

حضر أيضا جملة من العسكر وكثر لفظ الناس
على عاداتهم فى رواية الأخبار .

وفيه : حضرت حجاج المغاربة ووصلوا صحبة
الحاج الشامى ، وأخبروا أنهم حجوا صحبته .
وأمر الحاج الشامى عبد الله باشا ابن العظم .

الأحد ٩ منه (١١ أغسطس ١٧٩٩ م) :

حضر ليلا سارى عسكر الفرنساوية بونابارته
ودخل الى داره بالأزبكية وحضر صحبته عدة أناس
من أسرى المسلمين . وشاع الخبر بحضوره فذهب
كثير من الناس الى الأزبكية ليتحققوا الخبر على
جليته . فشاهدوا الأسرى وهم وقوف فى وسط
البركة ليراهم الناس . ثم أنهم صرفوهم بعد حصة
من النهار . فأرسلوا بعضهم الى جامع الظاهر خارج
الحسينية ، وأصعدوا باقيهم الى القلعة .

وأما مصطفى باشا سارى عسكر فانهم لم يقدموا
به لمصر بل أرسلوه الى الجيزة مكرما وأبقوا عثمان
خجا بالاسكندرية .

ولما استقر سارى عسكر بونابارته فى منزله ،
ذهب للسلام عليه المشايخ والأعيان ، وسلموا عليه .
فلما استقر بهم المجلس ، قال لهم على لسان
الترجمان : « ان سارى عسكر يقول لكم : انه لما
سافر الى الشام كانت حالتكم طيبة فى غيابه . وأما
فى هذه المرة فليس كذلك لأنكم كنتم تظنون أن
الفرنسيين لا يرجعون بل يسوتون عن آخرهم ،

فأخبر أن سارى عسكر المنوفية دعاه لضيافته
بمنوف حين كان متوجها الى ناحية أبى قير
ووعده بالعودة اليه بعد وصوله الى مصر . وراج
ذلك على الناس ، وظنوا صحته .

الاثنين ١٧ منه (١٩ أغسطس ١٧٩٩ م) :

خرج كبير الفرنسيين مسافرا من آخر الليل
وخفى أمره على الناس .

الاثنين ٢٤ منه (٢٦ أغسطس ١٧٩٩ م - ٩ مسرى) :

كان وفاء النيل المبارك . فنودى بوفائه على
العادة . وخرج النصارى البلدية من القبطه والشوام
والأروام ، وتأهبوا للخلاعة والقصف ، والتفرج
واللهو والطرب ، وذهبوا تلك الليلة الى بولاق
ومصر العتقة والروضة ، واكثروا المراكب ، ونزلوا
فيها - وصحبتهم الآلات والمغاني - وخرجوا في
تلك الليلة عن طورهم ، ورفضوا الحشمة ، وسلكوا
مسلك الأمراء سابقا .. من النزول في المراكب
الكثيرة المقاذيف ، وصحبتهم نساءؤهم
وشرايهم ، وتجاهروا بكل قبيح من الضحك
والسخرية والكفريات ، ومحاكاة المسلمين . وبعضهم
تزيا بزى أمراء مصر ، ولبس سلاحا وتشبه بهم ،
وحاكى أفاضلهم على سبيل الاستهزاء والسخرية
وغير ذلك .

وأجرى الفرنسيون المراكب المزينة ، وعليها
الليارق ، وفيها أنواع الطبول والمزامير ... في
البحر .

ووقع في تلك الليلة بالبحر وسواحله من
الفواحش ، والتجاهر بالمعاصي والفسوق ... ما لا
يكيف ولا يوصف ! وسلك بعض غوغاء العامة ،
وأسافل العالم ورعاعهم مسالك تسفل الخلاعة
ورذالة الرقاعة بدون أن ينكر أحد على أحد من
الحكام أو غيرهم ، بل كل انسان يفعل ماتشتهيه



الشيخ الهدى

الثلاثاء ١١ منه (١٣ أغسطس ١٧٩٩ م) :

عمل المولد النبوى بالأزبكية ، ودعا الشيخ
خليل البكرى سارى عسكر الكبير مع جماعة من
أعيانهم ، وتعشوا عنده ، وضربوا بركة الأزبكية
مدافع ، وعملوا حراقة وصواريخ ، ونادوا في ذلك
اليوم بالزينة وفتح الأسواق والدكاكين ليلا ،
واسراج قناديل ، واصطناع مهرجان .

وفيه . ورد الخبر بأن الفرنسيين أحضروا عثمان
خجا ونقلوه من الاسكندرية الى رشيد فدخلوا به
البلد ، وهو مكشوف الرأس حافى القدمين ، وطاقفوا
به البلد يزفونه بطبولهم حتى وصلوا به الى داره
فقطعوا رأسه تحتها ، ثم رفعوا رأسه وعلقوه من
شباك داوه ليراه من يمر بالسوق .

الخميس ١٣ منه (١٥ أغسطس ١٧٩٩ م) :

اشيع أن كبير الفرنسيين سافر الى جهة بحرى
ولم يعلم أحد أى جهة يريد ، وسئل بعض أكابرهم

الأربعاء ٢٦ منه (٢٨ أغسطس ١٧٩٩ م) :
كتبوا أوراقا وألصقوها بالأسواق مضمونها : أن
الناس يذهبون الى بولاق يوم التاسع والعشرين

نفسه ، وما يخطر بباله ... وان لم يكن من أمثاله .
إذا كان رب الدار بالدف ضاربا

فشيمة أهل الدار كلهم الرقص
وأكثر الفرنسيين في تلك الليلة ، وصباحها ،
من رمى المدافع والصواريخ من المراكب
والسواحل ، وباتوا يضربون أنواع الطبول
والمزامير .

وفي الصباح ركب دوجا قائمقام وصحبه
أكابر الفرنسيين وأكابر أهل مصر ، وحضروا الى
قصر السد ، وجلسوا به ، واصطفت العساكر ببر
الروضة وبر مصر القديمة بأسلحتهم وطبولهم ،
وبعضهم في المراكب لضرب المدافع المتتالية الى أن
انكسر السد وجرى الماء في الخليج ، فانصرفوا .

الثلاثاء ٢٥ منه (٢٧ أغسطس ١٧٩٩ م) :

طلبوا من كل طاحون من الطواحين فرسا .



خمسة وعشرون كيسا . فدفع التجار خمسة وعشرين كيسا ، وأفرج عنهم من القلعة ، وأجلوا الباقي على الشرح المذكور .

وفيه : ورد من « بونا بارت » ، ساري عسكر الفرنسية كتاب من الاسكندرية خطابا لاهل مصر وسكانها . فأحضر قائم مقام دوجا الرؤساء المصرية وقرأ عليهم الكتاب مضمونه : أنه سافر يوم الجمعة حادي عشرين (٢٣ أغسطس ١٧٩٩ م) الشهر المذكور الى بلاد الفرنسية لأجل راحة اهل مصر وتسليك البحر فيغيب نحو ثلاثة أشهر ويقدم مع عساكره . فانه بلعه خروج عمارتهم ليصفو له ملك مصر ، ويقطع دابر المفسدين . وأن المولى على اهل مصر وعلى رئاسة الفرنسية جميعا « كليبر » ساري عسكر دمياط فتحرير الناس وتعجبوا في كيفية سفره ونزوله البحر ، مع وجود مراكب الانجليز ، ووقوفهم بالثغر ، ورصدهم الفرنسية من وقت قدومهم الديار المصرية ، صيفا وشتاء ... ولكيفية خلوصه وذهابه أبناء وحيل لم أقف على حقيقتها .



كليبر



مراكب في النيل

(٣١ أغسطس ١٧٩٩ م) ليحضروا سوق الخيل ويشتروا ما أحبوا من الخيل .

وفيه : ألقوا أوراقا أيضا مضمونها أن من كان عليه مال ميري ملزوم بغلاقه ، ومن لم يعلق ماعليه بعد مضي عشرين يوما عوقب بما يليق به . ونادوا بموجب ذلك بالأسواق .

الخميس ٢٧ منه (٢٩ أغسطس ١٧٩٩ م) : كتبوا أوراقا مضمونها : انقضاء سنة مؤاجرات أقلام المكوس . ومن أراد استئجار شيء من ذلك فليحضر الى الديوان ويأخذ ما يريد به بالمزاد . وفيه : أفرج عن الأنفار التي قدم بها الفرنسية من غزة وحبست بالقلعة على مصلحة خمسة وسبعين كيسا دفعوا بعضها وصنمهم اهل وكالة الصابون في البعض الباقي ، فأنزلوهم من القلعة على هذا الاتفاق بشرط أن لا يسافر منهم أحد الا بعد غلاق ما عليه .

الجمعة ٢٨ منه (٣٠ أغسطس ١٧٩٩ م) : تشفع أرباب الديوان في اهل يافا المسجونين بالقلعة أيضا فوقع التوافق معهم على الافراج عنهم بمصلحة مائة كيس . فاجتمع الرؤساء والتجار وترووا واشتوروا في مجلس خاص بينهم . فاتفق الحال على تقسيطها وتأجيلها في كل عشرين يوما



بونابرت يعود الى فرنسا بحرا

السبت ٢٩ منه (٣١ أغسطس ١٧٩٩ م) :

قدم ساري عسكر كليير ، فضربوا لقدمه المدافع من جميع القلاع . وتلقته كبار فرنساوية وأصاغرهم ، وذهب الى بيت بونا بارتة الذي كان ساكنه — وهو — الألفى بالأزبكية — وسكن مكانه .

وفي ذلك اليوم قدمت طائفة من العسكر من جهة الشرقية ، وصحبته من هوبات كثيرة من بلد عصت عليهم ، فضربوها ونهبوها ومعهم نحو السبعين من الرجال والصغار وبعض النساء وهم موقوفون بالحبال فسجنوهم بالقلعة .

وفيه : ذهب أكابر البلد من المشايخ والأعيان لمقابلة ساري عسكر الجديد للسلام عليه ، فلم يجتمعوا به في ذلك اليوم ، ووعدوا الى الغد ، فانصرفوا . وحضروا في ثاني يوم فقابلوه ، فلم يروا منه بشاشة ولا طلاقة وجه مثل بونا بارتة ، فانه كان بشوشا ويياسط الجلوس ويضحك معهم .

ربيع الآخر

اوله (٢ سبتمبر ١٧٩٩ م) :

ابتدأوا في عمل مولد المشهد الحسيني ، وقهروا الناس ، وكرروا المناداة بفتح الجوانيت والسمهر ووقود القناديل عشر ليال متوالية آخرها ليلة ثاني عشر (١٣ سبتمبر ١٧٩٩ م)

وفيه : طلب ساري عسكر من نصارى القبط مائة وخمسين ألف ريال فرانسة في مقابلة بواقى سنة ١٢١٢ هـ (١٧٩٥ م) وشرعوا في تحصيلها . ٦ منه (٧ سبتمبر ١٧٩٩ م) :

ركب ساري عسكر الجديد من الأزبكية ، ومشى في وسط المدينة في موكب حافل حتى صعد الى القلعة . وكان أمامه نحو الخمسمائة قواس وبأيديهم النبايت وهم يأمرؤن الناس بالقيام والوقوف على الأقدام لمروءه . وكان صحبته عدة كثيرة من خيالة الأفرنج وبأيديهم السيوف المسلولة والوالى والأغا وبرطلمين بمواكبهم . وكذلك القلقات والوجاقلية وكل من كان مولى من جهتهم ومنضما اليهم ماعدا رؤساء الديوان من الفقهاء ، فلم يطلبوهم للحضور ولا للمشى في ذلك الموكب . ولما صعد الى القلعة ضربوا له عدة مدافع وتفرج على القلعة ثم نزل بذلك الموكب الى داره .

٧ منه (٨ سبتمبر ١٧٩٩ م) :

ركب أغات الينكجيرية في أبهة عظيمة وجبروت وأمامه عدة من عسكر الفرنسيين ، وأمامه المنادى يقول : « حكم مارسم ساري عسكر خطابا للأغا أن جميع الدعاوى والقضايا العامة لا تعمل الا ببيت الأغا . وكل من تعدى من الرعايا أو وقع منه قلة أدب يستأهل مايجرى عليه » .

وفيهِ : ركب ساري عسكر الكبير في موكب
دون الأول ووصل الى بيت رئيس الديوان الشيخ
عبد الله الشرقاوي ثم رجع الى داره .

٨ منه (٩ سبتمبر ١٧٩٩ م) :

عمل ساري عسكر وليمة في بيته ، ودعا الأعيان
والتجار والمشايخ فتعشوا عنده ، ثم انصرفوا الى
دورهم .

١٠ منه (١١ سبتمبر ١٧٩٩ م) :

كان آخر المولد الحسيني . وحضر ساري
عسكر الفرساوية مع أعيانهم الى بيت شيخ
السادات بعد العصر في موكب عظيم ، وأمامه الأغا
والوالي والمحاسب وعدة كبيرة من عسكرهم
ويدهم السيوف المسلوقة ، فتعشوا هناك وركبوا
بعد المغرب وشاهدوا وقود القناديل .

١٦ منه (١٧ سبتمبر ١٧٩٩ م) :

نودي بنشر الحوائج ، وكتبوا بذلك أوراقا
والصقوها بالأسواق وشددوا في ذلك بالتفتيش
والنظر بجماعة من طرف مشايخ الحارات ، ومع كل
منهم عسكري من طرف الفرساوية وامرأة أيضا
للكشف على أماكن النساء . فكان الناس يأنفون من
ذلك ويستثقلونه ويستعظمونه ، وتحديثهم أوهامهم
بأمور يتخيلونها .. كقولهم : انما يريدون بذلك
الاطلاع على أماكن الناس ومتاعهم .. مع أنه لم
يكن شيء سوى التخوف من العفوية والوباء .

٢٠ منه (٢١ سبتمبر ١٧٩٩ م) :

نودي بعمل مولد السيد على البكري ، المدفون
بجامع السرايبي بالأزبكية بالقرب من الرويعي ،
وأمروا الناس بوفود قناديل بالأزقة في تلك الجهات
وأذنوا لهم بالذهاب والمجيء ليلا ونهارا من غير
حرج .

وقد تقدم ذكر بعض خبر هذا السيد على ،
وأنه كان رجلا من البله ، وكان يمشي بالأسواق
عريانا مكشوف الرأس والسواتين غالبا ، وله أخ
صاحب دهاء ومكر لا يلتئم به . واستمر على ذلك
مدة سنين . ثم بدا لأخيه فيه أمر لما رأى من ميل
الناس لأخيه واعتقادهم فيه — كما هي عادة أهل
مصر في أمثاله — فحجر عليه ، ومنعه من الخروج
من البيت ، وألبسه ثيابا ، وأظهر للناس أنه أذن له
بذلك وأنه تولى القطبانية ونحو ذلك !

فأقبلت الرجال والنساء على زيارته والتبرك به
وسماع ألفاظه ، والانصات الى تخطيطاته وتأويلها
بما في نفوسهم ، وطلق أخوه المذكور يرغبهم
ويث لهم في كراماته ، وأنه يطلع على خطرات
القلوب والمغيبات ، وينطق بما في النفوس .
فانهمكوا على التردد اليه ، وقلد بعضهم بعضا ،
وأقبلوا عليه بالهدايا والنذور والامدادات الواسعة
من كل شيء — وخصوصا من نساء الأمراء
والأكابر !

وراج حال أخيه ، واتسعت أمواله ، ونفقت
سلعته ، وصادت شبكته ، وسمن الشيخ من كثرة
الأكل والدسومة والفراغ والراحة ، حتى صار
مثل البو العظيم ! فلم يزل على ذلك الى أن مات
في سنة سبع بعد المائتين كما تقدم . فدفنوه
بمعرفة أخيه في قطعة حجر عليها من هذا المسجد
من غير مبالاة ولا مانع ، وعمل عليه مقصورة
ومقاما ، وواظب عنده بالمقرئين والمداحين وأرباب
الأشاعر والمنشدين بذكر كراماته وأوصافه في
قصائدهم ومدحهم ونحو ذلك . ويتواجدون
ويتصارخون ويمرغون وجوههم على شباكه وأعتابه ،
ويعرفون بأيديهم من الهواء المحيط به ويضعونه
في أعابهم وجيوبهم !

وهرعت لزيارة قبره النساء والرجال بالنذور

وبالشموع وأنواع المأكولات . وصار ذلك المسجد مجمعا وموعدا . فلما حضر الفرنسية الى مصر ، تشاغل عنه الناس ، وأهمل شأنه في جملة المهملات ، وترك مع المتروكات . فلما فتح أمر الموالد والجمعيات ، ورخص الفرنسية ذلك للناس لما رأوا فيه من الخروج عن الشرائع واجتماع النساء واتباع الشهوات ، والتلاهي وفعل المحرمات ... أعيد هذا المولد مع جملة ما أعيد (١)

جمادى الأولى

أوله (أول أكتوبر ١٧٩٩ م) :

اهتم الفرنسيين بعمل عيدهم المعتاد وهو عند الاعتدال الخريفى وانتقال الشمس لبرج الميزان فنادوا بفتح الأسواق والدكاكين ووقود القناديل شددوا في ذلك وعملوا عزائم وولائم وأطعمة ثلاثة أيام آخرها يوم الاثنين . ولم يعملوه على هيئة العام الماضى من الاجتماع بالأزبكية عند الصارى العظيم المنتصب والكيفية المذكورة لأن ذلك الصارى سقط وامتلات البركة بالماء .

فلما كان يوم الأحد نبهوا على الأمراء والأعيان بالبكور الى بيت صارى عسكر .

فاجتمع الجميع في صبح يوم الاثنين فرب صارى عسكر معهم في موكب كبير ، وذهبوا الى قصر العينى ، فمكثوا هناك حصة ، وعرضت عليهم العساكر جميعها على اختلاف أنواعها من خيالة ورجالة ، وهم بأسلحتهم وزينتهم ، ولعبوا لهم في ميدان الحرب .

وفيه : خلع سارى عسكر على الشيخ الشرقاوى والقاضى وأغاة النكجيرية خلع سبور ثم رجعوا الى منازلهم .

(١) امرت ان لم يشرنا لغرب بطرفان « الانلام » النحلة .
ر « الرولا لند رول » و « الهلا هوب » ٢٩ .

ثم نودى في جميع الأسواق بوقود أربعة قناديل على كل دكان في تلك الليلة ومن لم يفعل ذلك عوقب ثم عملوا بالأزبكية حراقة نفوط ومدافع وسواريج ولعبوا في المراكب طول ليلهم .

٧ منه (١٧ أكتوبر ١٧٩٩ م) :

بعد عيد الصليب نقص ماء النيل وكان من أول زيادته قاصرا عن العادة وزيادته شحيحة فضج الناس وانكبوا على شراء الغلة وازدحموا في الرقع والسواحل وطلب باعة الغلة الزيادة في السعر ، فجمع الفرنسية كل من كان له مدخل في تجارة الغلال وزجروهم وخوفوهم وقالوا لهم : هذه الغلة الموجودة الآن انما هى زراعة العام الماضى وأما هذا العام فلا تخرج زراعته الا في العمام المستقبل فانزجروا وباعوا بالسعر الحاضر . وقد كاد يقع الغلاء العظيم لولا ألطاف الله حفت ، ونعمه العسيمة الشاملة حصلت .

وفيه : أرسلوا جملة عساكر من الفرنسية الى مراد بيك بناحية الفيوم وعليهم كبير فوقع بينهم وبينه أمور ، لم أتحقق تفصيلها ، وترددت بينه وبين سارى عسكر الرسل والمراسلات ، ووقع بينه وبينهم الهدنة والمهاداة ، واصطلح معهم على شروط منها . تقليده اماراة الصعيد تحت حكمهم .

وفي هذا الشهر كثرت الاشاعة باجتماع عساكر عثمانية جهة الشام فكثر اهتمام الفرنسية باخراج الجيخانات والمدافع وآلات الحرب والقومانية والعساكر وتحصين الصالحية والقرين وبلبيس .

رجب

الجمعة أوله (٢٩ نوفمبر ١٧٩٩ م) :

فيه كثرت الأقوال وتواترت الأخبار بوصول الوزير الأعظم يوسف باشا الى الديار الشامية

وصحبه نصوح باشا وعثمان أغا كتحدا الدولة وحسين أغا نزلة أمين ، ومصطفى افندى الدفتردار وباقي رجال الدولة وعسفوا في البلاد الشامية وضربوا عليهم الضرائب العظيمة وجبوا الأموال وفعلوا ما لا خير فيه من الظلم وقتل الأنفس بسبب استخلاص الأموال .

منتصفه (١٣ ديسمبر ١٧٩٩ م) :

وردت أخبار بوصولهم الى غزة والعريش وأنهم حاصروا قلعة العريش وقاتلوا من بها من عسكر فرنساوية حتى ملكوها .

الثلاثاء ١٩ منه (١٧ ديسمبر ١٧٩٩ م) :

ملكوا قلعة العريش ، واحتلوا على ماكان فيها من الذخيرة والجبخانه وآلات الحرب . وصعد مصطفى باشا الذي باشر أخذ القلعة مع جملة من العسكر وبعض الأجناد المصرية وضربت النوبة وحصل لهم الفرح العظيم .

واتفق أنه وقعت نار على مكان الجبخانه والبارود المخزون بالقلعة — وكان شيئا كثيرا — فاشتعلت وطارت القلعة بمن فيها واحترقوا وماتوا وفهم الباشا المذكور ومن معه ومحمد أغا أرناؤود الجلفي وغيره من المصرية . ومات كثير ممن كان خارجا عنها وبقر بها مما نزل عليهم من النار والأحجار المتطايرة في أسرع وقت .

ولما تحقق فرنساوية أخذ العريش ، وأن عساكر العثمانيين زاحفة الى جهة الصالحية تها صاري عسكر فرنساوية ، واستعد للخروج والسفر في أسرع وقت . وخرج بعساكره وجنوده الى الصالحية ، وقد كان قبل أخذ العثمانيين قلعة العريش أرسل فرنساوية الى « سينت » كبير الانكليز مراسلات ليتوسط بينهم وبين العثمانيين ،

ثم ورد فرمان من حضرة الوزير قبل وصوله الجهة العريش خطابا الى جمهور فرنساوية باستدعاء رجلين من رؤسائهم وعقلائهم ليتشاور ويتفق معهم على أمر يكون فيه المصلحة للفرقتين على ماسيشرطونه بينهم فوجهوا اليه من طرفهم بوسليك رئيس الكتاب



بوسليج



ديزيه

وديزيه ساري عسكر الصعيد فنزلوا في البحر على دمياط وطالت مدة غيابهم وبعث كليبر ساري عسكر رسلا من طرفه لاستفسار الأخبار .

شعبان

٢٢ منه (١٩ يناير ١٨٠٠ م) :

ورد الخبر بقدمهما الى الصالحية ، فأرسلوا اليهما الحيل وما يحتاجان اليه وحضرا الى مصر وشاع أمر الصلح ، وحضر من طرف العثمانيين رئيس الكتاب والدفتردار لتقرير الصلح وجنح كل من الفريقين الى ذلك لما فيه من كف الحرب وحقق الدماء . وأظهر فرنساوية الخداع والخضوع حتى تم عقد الصلح على اثنين وعشرين شرطا رسمت وطبعت في طومار كبير . وورد الخبر بذلك الى مصر وفرح الناس بذلك فرحا شديدا . وأرسل ساري عسكر فرنساوية مكاتبة بصورة الحال الى دوجا قائمقام . فجمع أهل الديوان وقرأ عليهم ذلك . ولما ورد ذلك الطومار المتضمن لعقد الصلح والشروط ، وعربوه وطبعوا منه نسخا كثيرة فرقوا منها على الأعيان وألصقوا منها بالأسواق والشوارع .

في تلك التي يقتضى للباب العالي أن يقدمها لهم بقدر الكفاية. ولأجل تجهيز المراكب المذكورة بأقرب نوال ، فقد وقع الاتفاق ، من بعد مضي شهر واحد من تقرير هذه الشروط ، يتوجه الى قلعة اسكندرية نائب من قبل الباب العالي وصحبه خمسون نفرا .

الشرط الثاني : فلا بد عن المهلة وتوقيف الحرب بمدة ثلاثة أشهر بالاقليم المصرى ، وذلك من عهد امضاء شروط الاتفاق هذه . واذا صادف الأمر أن هذه المهلة تمضى قبل أن المراكب الواجب تجهيزها من قبل الباب العالي تحضر جاهزة ، فالمهلة المذكورة يقتضى مطاوتها الى أن ينجز الرحيل على التمام والكمال . ومن الواضح أنه لا بد عن اصراف الوسائط الممكنة من قبل الفريقين لكى لا يحصل ما يمكن وقوعه من التجسس ، ان كان ذلك من الجيش أم من أهل البلاد ، اذا كانت هذه المهلة قد حصل الاتفاق بها لأجل راحتهم .

الشرط الثالث : فرحيل الجيش الفرنساوى يقتضى تديره بيد الوكلاء القادمين لهذه الغاية من قبل الباب الأعلى وسمى العسكر كليبر . واذا حصل خصام ما بين الوكلاء المذكورين بوقت الرحيل في هذا الصدد ، فلينتخب من قبل حضرة «سيدنى سميث» رجل لينهى المخاصمات المذكورة



وليام سيدنى سميث

بحسب قواعد السياسة البحرية السالكون عليها ببلاد الانجليز .

الشرط الرابع : قطية والصالحية لا بد عن خلوهما عن الجيش الفرنساوى في ثامن يوم ، وأعظم



الجنرال دوجا

وصورته — بما فيه من الفصول والشروط بالحرف الواحد — ما عدا ترجمة الأسطر التي باللغة الفرنسية ...

وهذه صورة الشروط الواقعة لخلومصر : ما بين حضرة الجنرال دينيه متفرقة وحضرة بسليغ مدير الحدود العام ، نواب سرى العسكر العام كليبر المفوضين بكامل السلطان ... وجناب سامى المقام مصطفى رشيد افندى دفتردار ، ومصطفى راسيسه افندى رئيس كتاب الوكلاء ، المفوضين بكامل السلطان عن جناب حضرة الوزير سامى المقام :

« أن الجيش الفرنساوى بمصر عندما قصد أن يوضح ما في نفسه من وفور الشوق لحقن الدماء ، ويرى نهاية الخصام المضر الذى قد حصل ما بين المشيخة الفرنسية والباب العالي — فقد ارتضى أن يسلم بخلو الاقليم المصرى بحسب هذه الشروط الآتى ذكرها ... تأمل أن بهذا التسليم يسكن أن يتجه ذلك الى الصلح العام في بلاد المغرب قاطبة :

الشرط الأول : أن الجيش الفرنساوى يلزمه أن يتنحى بالأسلحة والعزال بالأمته الى الاسكندرية ورشيد وأبو قير لأجل أن يتوجه وينتقل بالمراكب الى فرانس ، ان كان ذلك في مراكبهم الخاص بهم أم

عسكر الاسلام يكون دائما متباعدة عن العسكر
الفرنساوى .

الشرط الثامن : فمن تقرير وامضاء هذه
الشروط .. فكل من كان من الاسلام ، أم من باقى
الطوائف من رعايا الباب الأعلى ، بدون تمييز
الأشخاص — أولئك الواقع عليها الضبط أم الذين
واقع عليهم الترسيم ببلاد فرنسا أو تحت أمر
الفرنساوية بمصر — يعطى لهم الاطلاق والتعلق .
وبمثل ذلك فكل الفرنساوية المسجونين فى كامل
البلدان ، والأساكن من مملكة العثملى ، وكذلك
كامل الأشخاص من أيما طائفة كانت — أولئك
الذين كانوا فى تعلق خدمة المراسلات والقناصل
الفرنساوية — لا بد من اعتاقهم .

الشرط التاسع : فترجييع الأموال والأموال
المتعلقة بسكان البلاد والرعايا من الفريقين ، أم دفع
مبالغ أثمانها لأصحابها — فيكون الشروع به حالا
من بعد خلو مصر . والتدبير فى ذلك يكون بيد
الوكلاء فى اسلامبول المقامين بوجه خاص من
الفريقين لهذا المقصد .

الشرط العاشر : فلا يحصل التشويش لأحد
من سكان الأقليم المصرى من أى ملة كانت ، وذلك
لأى أشخاصهم ولا فى أموالهم ، نظرا الى ما يمكن
أن يكون قد حصل من الاتحاد ما بينهم وبين
الفرنساوية من اقامتهم بأرض مصر .

الشرط الحادى عشر : ولا بد أن يعطى للجيش
الفرنساوى — ان كان من قبل الباب الأعلى ومن
قبل الملكتين المرتبطتين معه ، أعنى بهما مملكة
انكليزة ومملكة الموسكوب — فرمانات الاذن
وأوراق المحافظة بالطريق ، وبمثل ذلك السفن اللازمة
لرجوع الجيش المذكور بالأمن والأمان الى بلاد
فرنسا .

ما يكون فى عاشر يوم ، من امضاء شروط الاتفاق
هذه . ومدينة المنصورة يكون خلوها من بعد
خمسة عشر يوما . وأما دمياط وبلييس فمن بعد
عشرين يوما . وأما السويس فيكون خلوه ستة
أيام قبل مدينة مصر . وأما المحلات الكائنة فى
الجهة الشرقية من بحر النيل فيكون خلوها فى
اليوم العاشر . والدلتا ، أى الأقاليم البحرية ، يكون
خلوها خمسة عشر يوما من بعد خلو مصر . والجهة
الغربية وما يتعلق بها تستمر بيد الفرنسيين الى
حد خلو مدينة مصر . ولكن من حيث أنها لا بد أن
تستمر بيد الفرنساوية الى أن يكون انحدار
العسكر من جهات الصعيد ، فجهة الغربية وتعلقاتها
— كما ذكر — فممكن أنه لا يتيسر خلوها الا من
بعد انقضاء وقت المهلة المعين اذا لم يمكن خلوها
قبل هذا الميعاد . والمحلات التى تترك من الجيش
فتسلم الى الباب الأعلى كما هى فى حالها الآن .

الشرط الخامس : ثم ان مدينة مصر — ان أمكن
ذلك — يكون خلوها بعد أربعين يوما ، وأكثر
ما يكون بمدة خمسة وأربعين يوما من وقت امضاء
الشروط المذكورة .

الشرط السادس : انه لقد وقع الاتفاق صريحا
على أن الباب الأعلى يصرف كل اعتناء فى أن
الجيش الفرنساوى الموجود فى الجهة الغربية من
بحر النيل ، عندما يقصد التنجى بكامل ماله من
السلح والعزال نحو معسكرهم ، لاتصير عليه
مشقة ولا تحب يتوش عليه ... ان كان ذلك مما
يتعلق بشخص كل واحد منهم أو بامتنته أو
بكرامته . وذلك إما من أهالى البلاد . وأما من
جهة العسكر السلطانى العثملى .

الشرط السابع : وحنظلا لانجام الشرط المذكور
أعلاه ، وملاحظة لمنع ما يمكن وقوعه من الخصام
والمعاداة ، فلا بد عن استعمال الوسائط فى أن

الشرط الثاني عشر : وعند نزول الجيش
الفرنساوية المذكور ، الكائن بمصر الآن ، فالباب
الأعلى وباقي الممالك المتحدة معه يعاهدون بأجمعهم
أنهم : من وقت ينزلون بالمراكب الى حين وصولهم
الى اراضى فرانس .. لا يحصل عليهم شيء قط مما
يكدرهم وبنظير ذلك فحضرة الجنرال كلهر سرى
العسكر العام يعاهد من قبله — وصحبته الجيش
الفرنساوى الكائن بمصر — بأنه لا يصدر منهم ما
يؤول الى المعادة على الاطلاق ما دامت المسدة
المذكورة ، وذلك لاضد العمارة ولا ضد بلدة من
يلدان الباب الأعلى وباقي الممالك المرتبطة معه .
وكذلك أن السفن التى يسافر بها الجيش المشار
اليه ليس لها أن ترى فى حد من الحدود الا بتلك
التي تختص بأراضى فرانس ما لم يكن ذلك فى
محدث ما ضرورى .

الشرط الثالث عشر : ونتيجة ما قد وقع الاتفاق
عليه من الامهال المشترط أعلاه بما يلاحظ خلو
الاقليم المصرى ... فالحجرات الواقع بينهم هذا
الاشتراط قد اتفقوا على أنه اذا حضر فى حد هذه
المدة المذكورة مركب من بلاد فرنسا بدون معرفة
غلايين الممالك المتحدة ، ودخل بميناء اسكندرية ...
فلازم عن سفره حالا ، وذلك من بعد أن يكون قد
تحوج بالماء والزاد اللازم ، ويرجع الى فرنسا وذلك
بسندات أوراق الاذن من قبل الممالك المتحدة .
واذا صادف الأمر أن مركبا من هذه المراكب يحتاج
الى الترقية ، فهذه لا غير يباح لها الاقامة الى أن
ينتهى اصلاحها المذكور ، وفى الحال من ثم تتوجه
الى بلاد فرنسا ، نظير التي قد تقدم القول عنها ، عند
أول ربح يوافقها .

الشرط الرابع عشر : وقد يستطيع حضرة
الجنرال كلهر سرى العسكر العام أن يرسل خبرا
الى أرباب الأحكام الفرنسية فى الحال ، ومن

يصحب هذا الخبر لابد أن تعطى له أوراق الاذن
بالاطلاق كما يقتضى ، ليسبل بهذه الوسيلة
وصول الخبر الى أصحاب الحكم فى فرنسا .

الشرط الخامس عشر : وإذا قد اتضح أن
الجيش الفرنساوى يحتاج الى المعاش اليومى
مادامت الثلاثة أشهر المعينة لخلو الاقليم المصرى ،
وكذلك لمعاش الثلاثة الأشهر الأخرى التى يكون
مبتدأها من يوم نزولهم بالمراكب ... فقد وقع الاتفاق
على أنه يقدم له مقدار ما يلزمه من القمح واللحم
والأرز والشعير والتبن ، وذلك بموجب القائمة التى
تقدمت الآن من وكلاء الجمهور الفرنساوى ، ان كان
ذلك مما يخص اقامتهم أو ما يلاحظ سفرهم ، والذي
يكون قد أخذه الجيش المذكور مقدار ما كان
من شئونه . وذلك من بعد امضاء هذه الشروط ،
فينخصم مما قد لزم ذاته بتقدمته الباب الأعلى .

الشرط السادس عشر : ثم ان الجيش الفرنساوى ،
منذ ابتداء وقوع امضاء هذه الشروط المذكورة ،
ليس له أن يفرد على البلاد فردة ما من الفرائد قطعا
بالاقليم المصرى ... لا ، بل وبالعكس فانه يخلى
للباب الأعلى كامل فرد المال وغيره مما يمكن توجيه
قبضه ، وذلك الى حين سفرهم . وبمثل ذلك الجمال
والهجن والجبخانة والمدافع وغير ذلك مما يتعلق
بهم ولا يريدون أن يحملوه معهم ، ونظير ذلك شئون
الغلال الواردة لهم من تحت المال ، وأخيرا مخازن
الخروج .. فهذه كلها لابد عن الفحص عنها وتسعيها
من أناس وكلاء موجهين من قبل الباب الأعلى
لهذه الغاية ومن أمين البحر الانكليزى وبرفقة
الوكلاء المتصرفين بأمر الجنرال كلهر سرى العسكر .
وهذه الأمتعة لابد عن قبولها من وكلاء الباب
الأعلى المتقدم ذكرهم بموجب ما وقع عليه السعر الى
حد قدر مبلغ ثلاثة آلاف كيس التى تقتضى للجيش
الفرنساوى المذكور لسهولة انتقاله عاجلا ونزوله
بالمراكب . وإذا كانت الأسعار فى هذه الأمتعة

المختصة بالحمولة والموجودة في المين بالاقليم
المصرى ، مباح به ما دامت مدة الثلاثة أشهر
المذكورة المعينة للمهلة ، وذلك من دمياط ورشيد
حتى الى الاسكندرية ، ومن اسكندرية حتى الى
رشيد ودمياط .

الشرط العشرون : فمن حيث أنه للطمان الكلى
في جهات البلاد الغربية يقتضى الاحتراس
الكلى لمنع الوباء الطاعونى عن أنه يتصل
هناك .. فلا يباح ولا لشخص من المرضى ، أو من
أولئك الذين مشكوك بهم برائحة من هذا الداء
الطاعونى ، أن ينزل بالمراكب . بل ان المرضى بعلة
الطاعون أو بعلة أخرى أينما كانت — تلك التى
بسببها لا يقتضى أن يسمح بسفرهم بمدة خلو
الاقليم المصرى الواقع عليها الاتفاق — يستمرون
في يمارستان المرضى حيث هم الآن تحت أمان
جناب الوزير الأعظم على الشأن ، ويعالجونهم
الأطباء من الفرنساوية .. أولئك الذين يجاورونهم
بالقرب منهم .. الى أن يتم شفاهم يسمح لهم
بالرحيل ... الشئ الذى لا بد عن اقتضاء الاستعجال
به بأسرع ما يمكن . ويحصل لهم ويبدو نحوهم
ما ذكر في الشرطين الحادى عشر والثانى عشر من
هذا الاتفاق نظير مايجرى على باقى الجيش .

ثم ان أمير الجيش الفرنساوى يبذل جهده في
إبراز الأوامر الأشد صرامة لرؤساء العساكر النازلة
بالمراكب ألا يسمحوا لهم بالنزول بمينا خلاف
المين التى تتعين لهم من رؤساء الأطباء .. تلك
المين التى يتيسر لهم بها أن يقضوا أيام الكارنتينة
بأوفر السهولة من حيث أنها من مجرى العادة
ولا بد عنها .

الشرط الحادى والعشرون : فكل مايمكن
حدوثة من المشاكل التى تكون مجهولة ،
ولم يمكن الاطلاع عليها في هذه الشروط ،

المذكورة لا توازى المبلغ المرقوم أعلاه ، فالخسيس
والنفص في ذلك لا بد عن دفعه بالتمام من قبل الباب
الأعلى على جهة السلفة ... تلك التى يلزم بوفائها
أرباب الأحكام الفرنساوية بأوراق التمسكات
المدفوعة من الوكلاء المعينين من الجنرال كلهر سرى
العسكر العام لقبض واستلام المبلغ المذكور .

الشرط السابع عشر : ثم انه اذا كانت تقتضى
للجيش الفرنساوى بعض مصاريف لخلوهم مصر ،
فلا بد أن تقبض — وذلك من بعد تقرير تمسك
الشروط المذكورة — القدر المحدد أعلاه بالوجه الآتى
ذكره . أعنى : فمن بعد مضي خمسة عشر يوما خمسمائة
كيس ، وفي غلاق الثلاثين يوما خمسمائة كيس أخرى ،
وبتمام الأربعين يوما ثلثمائة كيس أخرى ، وعند
تمام الخمسين يوما ثلثمائة كيس شرحه ، وعند غلاق
الستين يوما ثلثمائة كيس أخرى ، وفي السبعين يوما
ثلثمائة كيس أخرى ، وعند تمام الثمانين يوما ثلثمائة
كيس أخرى ، وعند غلاق التسعين يوما خمسمائة كيس
أخرى . وكل هذه الأكياس المذكورة هى عن كل
كيس خمسمائة غرش عثملى . ويكون قبضها على سبيل
السلفة من يد الوكلاء المعينين لهذه الغاية من قبل
الباب الأعلى . ولكى يسهل اجراء العمل بما وقع
الاعتماد عليه ، فالباب الأعلى — من بعد وضع
الامضاء على النسختين من الفريقين — يوجه حالا
الوكلاء الى مدينة مصر والى بقية البلاد المستمر بها
الجيش .

الشرط الثامن عشر : ثم ان فرد المال الذى يكون
قد قبضه الفرنساوية من بعد تاريخ تحرير الشروط
المذكورة ، وقبل أن يكون قد اشتهر هذا الاتفاق في
الجهات المختلفة بالاقليم المصرى ، فقد تخصص من
قدر مبلغ الثلاثة آلاف كيس المتقدم القول عنها .

الشرط التاسع عشر : ثم أنه لكى يسهل خلو
المحلات سريعاً فالنزول في المراكب الفرنساوية

فلا بد عن نجاحها بوجه الاستحباب ما بين الوكلاء المعينين لهذا القصد من قبل الجنب الوزير الأعظم على الشأن ، وحضرة الجنرال كلهر سري العسكر العام ... بوجه يسهل ويحصل الاسراع بالخلو .

الشرط الثاني والعشرون : وهذه الشروط لاتعد صحيحة الا من بعد اقرار الفريقين وتبديل النسخ ، وذلك بمدة ثمانية أيام . ومن بعد حصول هذا الاقرار لابد عن حفظ هذه الشروط الحفظ اليقين من الفريقين كليهما .

صح وثبت وتقرر بمختوماتنا الخاصة بنا بالمعسكر حيث وقعت المداولة بحد العريش في شهر بلويوز سنة ثمان من اقامة المشيخة الفرنسية . وفي رابع عشرين شهر كانون الثاني عربى من سنة ألف وثمانمائة - الواقع في ثامن عشرين شهر شعبان هلالية سنة أربعة عشر ومائتين وألف هجرية .

المضيين : الجنرال متفرقة دزه البلدى . وبوسيهلغ : المفوضين بكامل سلطانه الجنرال كلهر . وجناب سامى مقام مصطفى رشيد أفندى دفتر دار ، ومصطفى راسيسه أفندى رئيس الكتاب : المفوضين بكامل سلطان جناب الوزير الأعظم على الشأن . منقولة عن النسخة الأصلية الموافقة لتلك الموجهة بالفرنساوية الى الوكلاء العثملى بدلا من التى قد وجهوها باللغة التركية .. مضى دزه وبوسيهلغ .

تقرير الجنرال سري العسكر العام ، محرر في آخر السنة التركية التى بقيت محفوظة بيد الوزير الأعظم :

اتنى أنا الواضع اسمى أدناه الجنرال سري العسكر العام أمير الجيش الفرنسية بالاقليم المصرى ... أثبت وأقرر شروط الاتفاق المذكور أعلاه للحصول على اجرائه بالعمل بالنوع والصورة ، ان كان من اللازم أن أتيقن بأن الاثنين وعشرين

شرطا المشروحة الى الآن ، هى موافقة على التدقيق باللغة الفرنسية المضى عليها من الوكلاء أصحاب ولاية الوزير الأعظم ، والمقررة من جناب على الشأن .. الترجمة التى لابد عن الاعتماد باجرائها كل مرة أن كان لسبب أم لآخر يمكن حصول بعض الاختلافات ، ومن ثم فنقلد بعض المشاكل . صح وجرى بحل العسكر العام بالصالحية في ثامن شهر بلويوز سنة ثمان من المشيخة .. مضى كلهر عن نسخة صحيحة الجنرال متفرقة رأس صاحب ختام في الجيش الفرنسية . مضى داماس .

اتتهى بحروفه . وما فيه من خطأ أو تحريف ، فهو طبق الأصل المطبوع بالمطبعة الفرنسية باللغة العربية . ولم أغير منه سوى ما في تواريخ الأشهر والسنين بالأرقام الهندية . والله أعلم .

رضان

٢- منه (٢٨ يناير ١٨٠٠ م) :

حضر سارى عسكر الفرنسية كليبر الى ناحية العادلية ، وصحبته أغا من رجال الدولة العثمانية يسمى محمد أغا ، فأرسل سارى عسكر الى حسن أغا بخاتى المحتسب يأمره بأن يتلقاه وينزله في بيته ويكرمه اكراما زائدا . فلما كان بعد العشاء دخل ذلك الأغا الى مصر في موكب ، فحصل للناس ضجة عظيمة ، وازدحموا على مشاهدتهم له والفرجة عليه ، وارتفعت أصواتهم ، وعلا ضجيجهم وركبوا على مصاطب الدكاكين والسقائف ، وانطلقت النساء بالزغاريد من الطيقان ، واختلفت آراؤهم في ذلك القادم ، ولم يعلموا من هو . فدخل من باب النصر وشق القاهرة ولم يزل سائرا حتى وصل الى بيت حسن أغا بسويقة اللالا فنزل هناك . فلما استقر به الجلوس ازدحم الناس والأعيان للسلام عليه ولمشاهدته بالمشاعل والفوانيس .

فلما كان صبح تلك الليلة عمل ديوانا وجمع



بيت عبد الرحمن كتخدا

الغلال والمطلوبات من الذخيرة وجمعها بالحواصل .
ولا يخفى ما يحصل في ضمن ذلك من الجزئيات
التي سيتضح بعضها فيما بعد .

وأما الرعايا وهمج الناس من أهل مصر فانهم
استولى عليهم سلطان الغفلة ونظروا للفرنسيين
بعين الاحتقار وأنزلوهم عن درجة الاعتبار
وكشفوا نقاب الحياء معهم بالكلية وتناولوا عليهم
بالسب واللعن والسخرية . ولم يفكروا في عواقب
الأمور ، ولم يتركوا معهم للصالح مكانا حتى أن
فقهاء المكاتب كانوا يجمعون الأطفال ، ويمشون
بهم فرقا وطوائف حسة ، وهم يجهرون ويقولون
كلما مقفى بأعلى أصواتهم بلعن النصارى
وأعوانهم وأفراد رؤسائهم ! كقولهم « الله ينصر

العلماء والوجاقلية وأعيان الناس وكبار النصارى
من الاقباط والشوام . فلما تكاملوا أبرز لهم فرمانا
من الوزير فخرىء عليهم بالمجلس فدل مضمونه على
أنه إغاث الحمارك أى المكوس بمصر ويولاق ومشر
القديمة . وفيه التحكير على جميع الواردات من أصناف
الأقوات فيشتريها بالثمن الذى يسره هو بمعرفة
المحتسب ويودعه في المخازن . وأبرز فرمانا آخر
قرىء بالمجلس مضمونه : أن الوزير أقام مصطفى
باشا ، الذى كان أسر بابى قير ، وكيل عنه وقائمقام
بمصر الى حين حضوره ، وأن السيد أحمد المحروقى
كبير التجار ملزوم ومقيد بتحصيل الثلاثة آلاف كيس
المعينة لترحيل الفرنسيات . وانفض المجلس على
ذلك . وأخذ السيد أحمد المحروقى في تحصيل
ذلك القدر من الناس ، وفرضوه على التجار وأهل
الأسواق والحرف ، وشرعوا في تحكير الأقوات ..
فغلت أسعارها وضاعت مؤن الناس . ودهى الناس
من أول أحكامهم بهاتين الداهيتين . وكان أول قادم
منهم أمير المكوسات ومحكر الأقوات ، وأول
مطلوبهم مصادرة الناس وأخذ المال منهم وتفرغهم !
واجتهد السيد أحمد المحروقى في توزيع ذلك وجمعه
في أيام قليلة .

فكان كل من توجه عليه مقدار من ذلك اجتهد
في تحصيله ، وأخرجه عن طيب قلب وانشرح
خاطر ، وبادر بالدفع من غير تأخير لعله أن ذلك
لترحيل الفرنسيات ، ويقول : سنة مباركة .
ويوم سعيد بذهاب الكلاب الكفرة ! كل ذلك
بمشاهدة الفرنسيين ومسمعهم وهم يحقدون ذلك
عليهم .

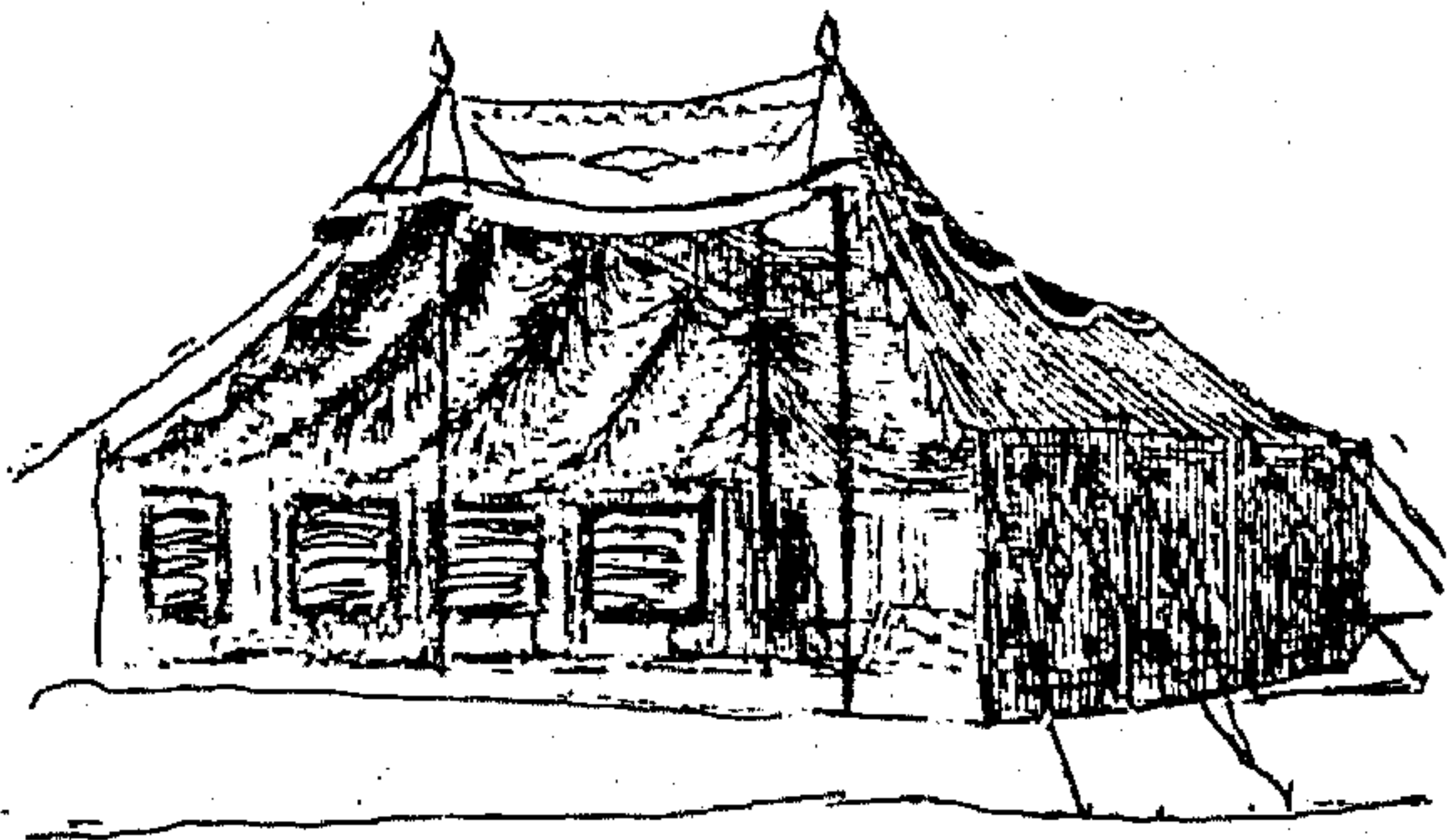
وحضر مصطفى باشا من الجيزة وسكن بيت
عبد الرحمن كتخدا بحارة عابدين وأرسل الوزير
فرمانات الى البلاد وعين المعينين والمباشرين بطلب
المال والغلال والكلف من الأقاليم وأرسل الى
لينادر وجعل في كل بندر أميرا ووكيلا لجمع

ابراهيم بيك وخلع عليهما ورجع مراد بيك فخيم
جهة العادلية وحضر حسن أغا نزلة أمين ودخل
مصر .

وأخلى الفرنسيون قلعة الجبل وباقي القلاع
التي أحدثوها ونزلوا منها فلم يطلع اليها أحد من
العثمانيين ولم يلتفتوا لتحصينها ولا ربطها بالعساكر
والجبخانة وأعرضوا عن المحاذرة ، وركبهم الغرور
لأجل نفاذ المقدور !

وحضر أيضا غالب المصريين الفارين من مصر
وقت مجيء الفرنسيين اليها من الأغوات والوجاقية
والأفندية والكتبة مثل ابراهيم أفندي روزنامجي
وثاني قلعة وغيرهما بنسائهم وأولادهم ، يظنون
فروغ القضية . والذي خافوا منه وقعوا فيه كما
ستراه .

وأرسل ابراهيم بيك الى السيد أحمد المحروقي
يطلب كساوي وثيابا وطرايش وسراويل للسالكين
ولخاصة نفسه . فأرسل اليه مطلوبة وأخرجت لهم
الخيام والترائب والنظام . وهيات نساء الأمراء
والأجناد احتياجاتهم وترتيباتهم وجروا على عادتهم
في التقالي ، ولازمت الخدم والفراشون الغدو
والرواح الى خيم ساداتهم وهم راكبون البغال
والرهنات والحمير الفارعة وفي حجوهم تعابى
السياب والبقيج المزركشة بالذهب والفضة . وكذلك
الخدم الذين يحملون الخوانات وطبالي الأطبحة



خيمة احد البكوات

السلطان ويهلك فرط الرمان » ونحو ذلك . وظنوا
فروغ القضية ولم يملكوا لأنفسهم صبرا حتى
تنقضى الأيام المشروطة . على أن ذلك لم يشر الا
الحقد والعداوة التي تأسست في قلوب الفرنسيين ،
وأوجبت ما حصل بعد ذلك من وقموع العذاب
البئيس . كقول القائل :

أمور تضحك السفهاء منها
ويبكى عندها الحبر اللبيب

وأيا :

وكم ذا بمصر من المضحكات
ولكنه ضحك كالبكا

وقد قيل : « قاتل بجد والا فدع » .
وقال الشعبي من جملة كلام : « وصادفنا فتنة
لم يكن فيها بررة أتقياء ، ولا فجرة أقوياء » .
وأخذ الفرنسيون في أهبة الرحيل ، وشرعوا في
مبيع أمتعتهم وما فضل عن سلاحهم ودوابهم ،
وسلموا غالب الثغور والقلاع ، كالصالحية وبلبيس
ودمياط والسويس

ثم أن العثمانيين تدرجوا في دخول مصر وصار
في كل يوم يدخل منهم جماعة بعد جماعة .
وأخذوا يشاركون الناس في صناعاتهم وحرفهم مثل
القهوجية والحمامية والخياطين والمزينين وغيرهم ،
فاجتمع العامة وأصحاب الحرف الى مصطفى باشا
قائمقام وشكوا اليه فلم يلتفت لشكواهم لأن ذلك
من سنن عساكرهم وطرائقهم القبيحة .

وورد الخبر بوصول حضرة الوزير الى بلبيس
وصحبته الأمراء المصرية وأرسلوا الى مراد بيك
ومن معه بالحضور الى العرضى فأجاب بالاعتذار
عن الحضور لأنه في الصعيد فلم يقبلوا عذره ،
فأكدوا عليه بالحضور ، فاستأذن الفرنسيون سراء
فأذنوا له في المقابلة وكان سفيره في ذلك عثمان
بيك البرديسي . ثم انه حضر وقابل الوزير بصحبة

والأطعمة وعليها الأغذية الحرير والوشى الملون وهم يتغنون برفع أصواتهم ، ويتجاوبون بكلام ومخريات ولعن للنصارى البلدية والفرنسيين بمرأى منهم ومسمع الى غير ذلك مما يحرك الحفائظ ويوغر الصدور .

ولما استقر الوزير بمدينة بليس وذلك في الثاني والعشرين من رمضان (١٧ فبراير) استأذن العلماء والتجار والأعيان المصرية مصطفى باشا في التوجه للسلام فاستأذن ثم أذن لهم . فذهبوا أيضا الى سارى عسكر كليبر واستأذنه فأذن لهم أيضا . فذهبوا عند ذلك للسلام عليه فوصلوا الى لصوح باشا والى مصر وسلموا عليه وباتوا بوطاقه ، فلما وصلوا اليه ، واستقر بهم الجلوس ، سأل عن أسمائهم وكذلك عن التجار وأكابر النصارى . ثم خلع عليهم خلعا وانصرفوا من عنده فطاقوا على أكابر الدولة بالعرضي وكذلك على الأمراء المصرية . ورجعوا الى مصر ، ودخلوها وعليهم تلك الخلع وصحبتهم قاضى العسكر وهو لابس قبوطا أسود .

ووصل لصوح باشا والأمراء الى جهة الخانكاه ثم الى المطرية .

وفيه : حضر درويش باشا والى الصعيد الى خارج القاهرة جهة الشيخ قمر فمكث أياما ثم توجه الى قبلى وصحبته نحو المائة نفر . وكذلك ذهبت طائفة الى السويس والى دمياط والمنصورة وانبثوا في البلاد ودخلوا مصر شيئا فشيئا .

شمال

الثلاثاء ٧ منه (٤ مارس ١٨٠٠ م) :

وقعت حادثة بين عسكر الفرنساوية والعثمانية وهى أول الحوادث التى حصلت بينهم . وهى أن جماعة من عسكر العثمانية تشاجروا مع جماعة من عسكر الفرنساوية فقتل بينهم شخص فرنساوى

ووقعت في الناس زعجة وكرشة وأغلقوا الحوانيت وعمل العثمانية متاريس وتترسوا بها بناحية الجمالية وما والاها واجتمعوا هناك ووقع بينهم مناوشة قتل فيها أشخاص قليلة من الفريقين وكادت تكون فتنة وباتوا ليلتهم عازمين على الحرب فتوسطت بينهم كبراء العسكر في تهديد ذلك وأزالوا المتاريس وانكف الفريقان . وبحث مصطفى باشا عن آثار الفتنة وهم ستة أنفار فقتلهم وأرسلهم الى سارى عسكر الفرنساوية فلم يطب خاطره بذلك وقال : « لا بد من خروج عسكرهم الى عرضيهم حتى تنقضى الأيام المشروطة . وإذا دخل منهم أحد الى المدينة ، لا يدخلون الا بطريقة وبدون سلاح » .

فعند ذلك أمر مصطفى باشا بخروج الداخلين من العساكر ، ولا يبقى منهم أحد . ووقف جماعة من الفرنساوية خارج باب النصر ، فاذا أراد أحد من العسكر أو من أعيان العثمانية الدخول الى المدينة ، فعند وصوله اليهم ينزل عندهم ، وينزع ما عليه من السلاح ويدخل وصحبته شخص أو شخصان موكلان به يمشيان أمامه حتى يقضى شغله ويرجع فاذا وصل الى الفرنساوية الملازمين خارج البلد أعطوه سلاحه فيلبسه ويمضى الى أصحابه فكان هذا شأنهم .

الثلاثاء منتصفه (١٢ مارس ١٨٠٠ م) :

توجه جماعة من أعيان الفرنساوية الى الاسكندرية بمتاعهم وأثقالهم وفيهم دوجا قائمقام وديزيه سارى عسكر الصعيد وبوسليك رئيس الكتاب ومدير الحدود . ونزل جماعة منهم الى البحر يريدون السفر الى بلادهم ، فتعرض لهم الانكليز يريدون معاكستهم ، فأرسلوا الى سارى عسكر بمصر وعرفوه الحال فأرسل بذلك الى الوزير فأجابه بجواب لم يرتضه وأصبح زاحفا الى سطح .

الخائكا ، وكان ذلك آخر أيام المهلة المتفق عليها في دخول الوزير الى مصر وخروج الفرنساوية منها . فلما رأوا ذلك طلبوا ثمانية أيام أجله زيادة على أيام المهلة فأجيبوا الى ذلك . ووصل الأمراء المصرية وعرضى نصوح باشا وجبله من العساكر العثمانية الى ناحية المطرية ونصبوا خيامهم ووطاقهم هناك . ثم ان الفرنساوية جعلوا الثمانية أيام المذكورة ظرفا لجمع عساكرهم وطوائفهم من البلاد القبلية والبحرية . ونصبوا وطاقهم بساحل البحر متصلا بأطراف مصر ممتدا من مصر القديمة الى شبرا . وترددوا الى نواحي القلاع وهى لم يكن بها أحد وشرعوا واجتهدوا في رد الجبخانه والذخيرة وآلات الحرب والبارود والجلل والمدافع والبنب على العربات ليلا ونهارا والناس يتعجبون من ذلك . ومصطفى باشا قائمقام ومن معه يشاهدون ذلك ولا يقولون شيئا . والبعض يقول ان الوزير أرسل اليهم وأمرهم برد ذلك كما كان ، ونحو ذلك من الخرافات التى لا تروج على الفطن .

ويقال ان الفرنساوية أرسل اليهم بعض أصدقائهم من الانكليز وعرفوهم أن الوزير اتفق مع الانكليز على الاحاطة بالفرنساوية اذا صاروا بظاهر البحر . فلما حصل منهم معهم ماسبقت الاشارة اليه ، تحققوا ذلك وأرسلوا ليوسف باشا بذلك فلم يجبههم بجواب شاف ، وعجل بالرحيل والقدوم الى ناحية مصر . وقد كان الفرنساوية عندما تراسلوا وترددوا جهة العرضى تفرسوا في عرضى العثمانيين وعساكرهم وأوضاعهم وتحققوا حالهم وعلموا ضعفهم عن مقاومتهم ، فلما حصل ما ذكر تأهبوا للمقاومة والمحاربة وردوا آلاتهم الى القلاع . فلما تسوا أمر ذلك وحصنوا الجهات وأبقوا من أبقوه وقيدوه بها من عساكرهم واستوثقوا من ذلك ، خرجوا بأجمعهم الى ظاهر المدينة جهة قبة النصر

واتشروا في تلك النواحي ولم يبق بداخل المدينة منهم الا من كان بداخل القلاع وأشخاص بيت الألفى بالأزبكية وبعض بيوت الأزبكية وغلب على ظن الناس أنهم برزوا للرحيل

الاثنين ٢٠ منه (١٧ مارس ١٨٠٠ م) :

طلبوا مصطفى باشا وحسن آغا نزلة أمين . فلما حضرا اليهم أرسلوهما للجيزة .

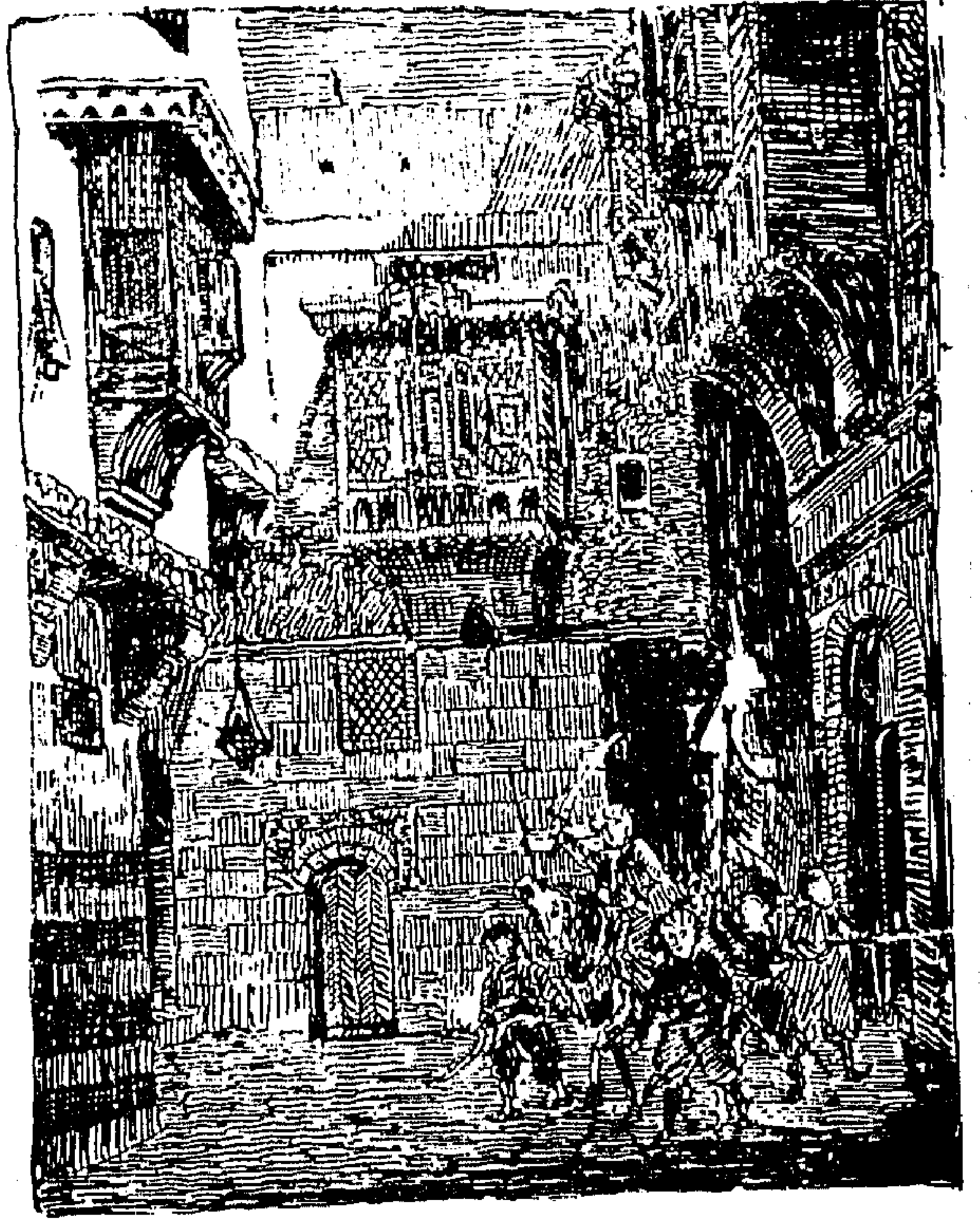
الخميس ٢٣ منه (٢٠ مارس ١٨٠٠ م) :

ركب سارى عسكر كليبر قبل طلوع الفجر بعساكره وصحبته المدافع وآلات الحرب وقسم عساكره طواير ، فمنهم من توجه الى عرضى الوزير ، ومنهم من مال على جهة المطرية فضربوا عليهم . فلم يسمحهم الا الجلاء والفرار وتركوا خيامهم ووطاقهم وركب نصوح باشا ومن كان معه وطلبوا جهة مصر فتركهم الفرنساوية ، ولحقوا بالذهابين من اخوانهم الى جهة العرضى بالخائكا . بعد أن نهبوا ما في عرضى ناصف باشا من المتاع والأغنام . وسمروا أفواه المدافع وتركوها وساروا الى جهة العرضى ، فلما قاربوه أرسلوا الى الوزير يأمره بالرحيل بعد أربع ساعات فلم يسعه الا الارتحال ، والفرنساوية في أثره ، وغالب عساكره مفرقون ومنتشرون في البلاد والقرى والنواحي لجمع المال ومقررات الفرض وظلم الفقراء .

وأما أهل مصر فانهم لما سمعوا صوت المدافع كثر فيهم اللغط والقييل والقال ولم يدركوا حقيقة الحال . فهاجوا ورمحوا الى أطراف البلد وقتلوا أشخاصا من الفرنساوية صادفهم خارجين من البلد ليذهبوا الى أصحابهم ، وذهبت شزيمة من عامة أهل مصر فانتهدت الخشب وبعض ما وجدوه من نحاس وغيره حيث كان عرضى الفرنساوية .

وخرج السيد عمر أفندى تقيب الأشراف والسيد أحمد المحرقى وانضم اليهما أتراك خان

الخليلى والمغاربة الذين بمصر وكذلك حسين أغا
شنن أخو أيوب بيك الصغير وتبعهم كثير من عامة
أهل البلد وتجمعوا على التلول خارج باب النصر
وجأبدى الكثير منهم النبايت والعصى والفيل مع
السلاح ، وكذلك تحزب كثير من طوائف العامة
والأوباش والحشرات ، وجعلوا يطوفون بالأزقة



فريق من الشوار باحد شوارع القاهرة

وأطراف البلد ولهم صياح وضجيج ، وتجاوب
بكلمات يقفونها من اختراعاتهم وخرافاتهم ، وقاموا
على ساق وخرج الكثير منهم الى خارج البلدة على
تلك الصورة .

فلما تضحى النهار حضر بعض الأجناد
المصريين ودخلوا مصر وفيهم المجاريح وطلق الناس
يسألونهم فلم يخبروهم بشيء لجهلهم أيضا حقيقة
الحال ثم لم يزل الحال كذلك الى أن دخل وقت
العصر فوصل جمع عظيم من العامة ممن كان خارج

البلدة ولهم صياح وجلبة وخنهم ابراهيم بيك ، ثم
أخرى وخلفهم سليم أغا ، ثم أخرى كذلك وخلفهم
عثمان كتحدا الدولة ، ثم نصوح باشا ومعه عدة
وافرة من عساكرهم وصحبته السيد عمر النقيب
والسيد أحمد المحروقي وحسن بيك الجداوى
وعثمان بيك المرادى وعثمان بيك الأشقر ، وعثمان
بيك الشرقاوى وعثمان أغا الخازندار ، وابراهيم
كتخدا مراد بيك المعروف بالسناى .
وصحبهم ممالئهم وأتباعهم فدخلوا من باب
النصر وباب الفتوح ومروا على الجمالية حتى
وصلوا الى وكالة ذى الفقار ، فقال نصوح باشا
عند ذلك للعامة : اقتلوا النصارى وجاهدوا فيهم .
فعند ما سمعوا منه ذلك القول صاحوا وهاجوا
ورفعوا أصواتهم ، ومروا مسرعين يقتلون من
يصادفونه من النصارى القبط والشوام وغيرهم
فذهبت طائفة الى حارات النصارى وبيوتهم التى
بناحية بين الصورين وباب الشعرية وجهة الموسيقى
فصاروا يكبسون الدور ويقتلون من يصادفونه من
الرجال والنساء والصبيان وينهبون ويأسرون حتى
اتصل ذلك بالمسلمين المجاورين لهم ، فتحزبت
النصارى واحترسوا وجمع كل منهم ما قدر عليه من
العسكر الفرساوى والأروام — وقد كانوا قبل
ذلك محترسين وعندهم الأسلحة والبارود والمقاتلون
لظنهم وقوع هذا الأمر — فوقع الحرب
بين الفريقين وصارت النصارى تقاتل وترمى
بالبندق والقرايين من طبقات الدور على المجتمعين
بالأزقة من العامة والعسكر ويحامون عن أنفسهم .
والآخرون يرمون من أسفل ويكبسون الدور
ويتسورون عليها . وبات نصوح باشا وكتخدا
الدولة وابراهيم بيك وبعض من صناع مصر
والكشاف والأتباع وطوائف من العساكر بخطط
الجمالية بوكالة ذى الفقار .
فلما أصبح الصباح أرسلوا الى المطرية

وأحضروا منها ثلاثة مدافع فوجدوها مسدودة
الفانية فعالجوها حتى فتحوها وقام ناصف باشا
وشمر عن ساعديه وشد وسطه ومشى وصحبته
الأمراء المصرية على أقدامهم وجروا أمامهم الثلاثة
مدافع وسحبوها الى الأزبكية وضربوا منها على
بيت الألفى وكان به أشخاص مرابطون من عساكر
الفرنساوية فضربوهم أيضا بالمدافع والبنادق .
واستمر الحرب بين الفريقين الى آخر النهار .
فسكن الحرب وباتوا ننادون بالسهر .

وفي هذا اليوم وضع أهل مصر والعسكر
متاريس بالأطراف كلها وبجهة الأزبكية ، وشرعوا
في بناء بعض جهات السور ، واجتهدوا في تحصين
البلد بقدر الطاقة . وبات الناس في هذه الليلة خلف
المتاريس .

فلما أظلم الليل أطلق الفرنسيون المدافع
والبنب على البلد من القلاع ووالوا الضرب
بالخصوص على خط الجمالية لكون معظم مجتمعا
بها . فلما عاين ذلك الجميع أجمع رأى الكبراء
والرؤساء على الخروج من البلد في تلك الليلة
لعجزهم عن المقاومة وعدم آلات الحرب وعزة
الأقوات . والقلاع بيد الفرنسيون ، ومصر لا يمكن
محاصرتها لاتساعها وكثرة أهلها وربما طال الحال
فلا يجدون الأقوات لأن غالب قوت أهلها يجلب
من قراها في كل يوم وربما امتنع وصول ذلك اذا
تجسست الفتنة .

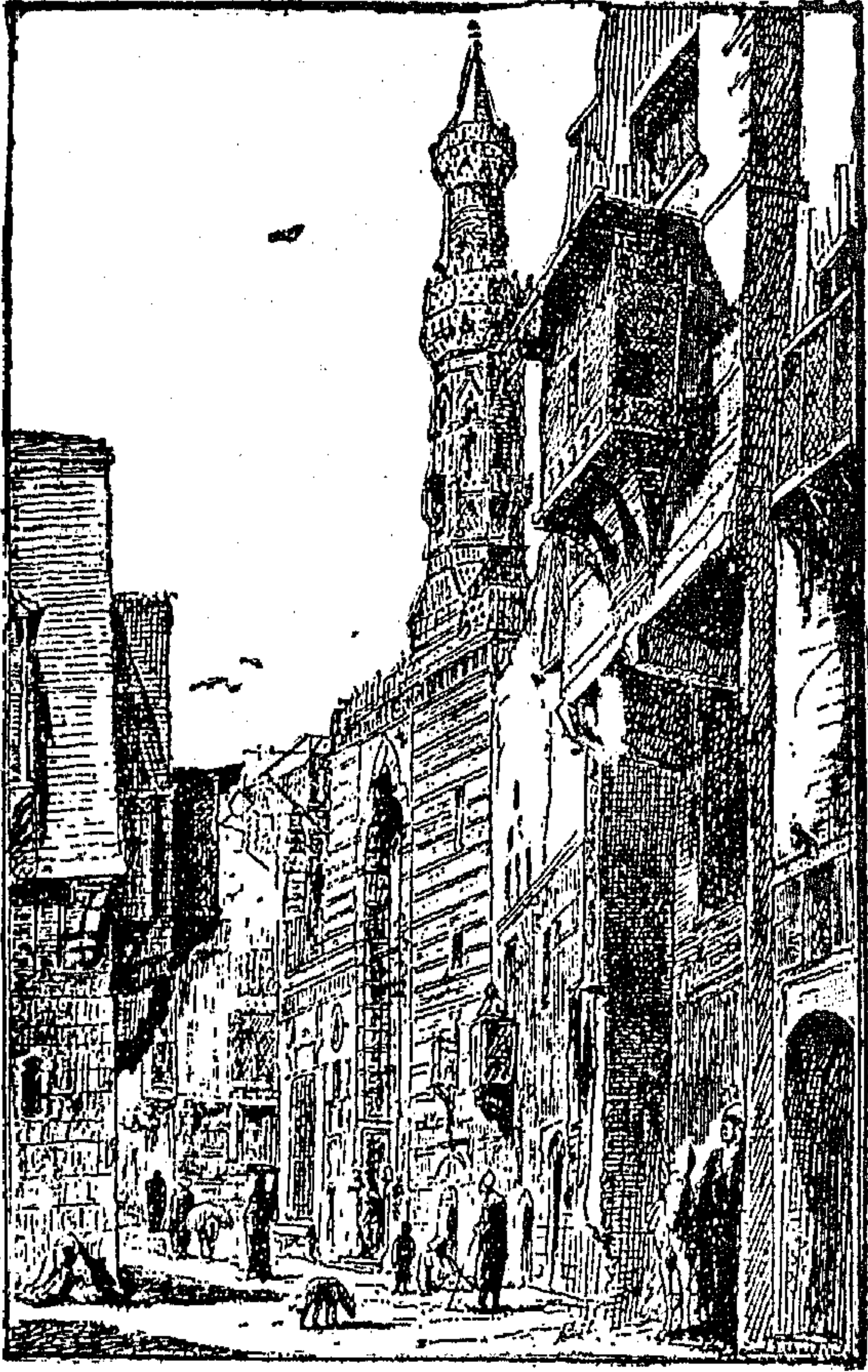
فاتفقوا على الخروج بالليل وتسامع الناس
بذلك ، فتجهز معظم للخروج وغصت خطة الجمالية
وما والاها من الأخطاط بازدهام الناس الذين
يريدون الخروج من المدينة وركب بعضهم بعضا
وازدحمت تلك النواحي بالحمير والبغال والخيول
والهجن والجمال المحملة بالأنقال وباتوا على تلك
الصورة ووقع للناس في هذه الليلة من الكرب
والمشقة والانزعاج والخوف ما لا يوصف .

وتسامع أهل خان الخليلي من الأحداث وبعض
مغاربة الفحامين والغورية ذلك ، فجاءوا للجمالية ،
وشنعوا على من يريد الخروج ، وعضدهم طائفة
عساكر الإنكجارية ، وعمدوا الى خيول الأمراء
فحبسوها ببيت القاضي والوكائل ، وأغلقوا باب
النصر . وبات في تلك الليلة معظم الناس على
مصاطب الحوانيت ، وبعض الأعيان في بيوت
أصحابهم بالجمالية وفي أزقة الحارات أيضا . وكل
متهيئ للخروج .

السبت ٢٥ منه (٢٢ مارس ١٨٠٠ م) :

في الصباح تهيأ كبراء العساكر والعساكر
ومعظم أهل مصر ، ماعدا الضيف الذي لا قوة له
للحرب ، وذهب معظم الى جهة الأزبكية ، وسكن
الكثير في البيوت الخالية ، والبعض خلف المتاريس ،
وأخذوا عدة مدافع زيادة عن الثلاثة المتقدمة وجدت
مدفونة في بعض بيوت الأمراء ، وأحضروا من
حوانيت العطارين من المثقلات التي يزنون بها
البضائع ، من حديد وأحجار ، واستعملوها عوضا
عن الجبل للمدافع ، وصاروا يضربون بها بيت
سارى عسكر بالأزبكية . واستمر عثمان كتحدا
بوكالة ذى القنار بالجمالية . وكان كل من قبض
على نصراني أو يهودى أو فرنساوى ، أخذه وذهب
به الى الجمالية حيث عثمان كتحدا ويأخذ عليه
البقيش . فيجس البعض حتى يظهر أمره ، ويقتل
البعض ظلما . وربما قتل العامة من قتلوه ، وأتوا
برأسه لأجل البقيش ، كذلك كل من قطع رأسا
من رؤوس الفرنسيون يذهب بها اما لنصوح باشا
بالأزبكية ، واما لثمان كتحدا بالجمالية ويأخذ في
مقابلة ذلك الدراهم .

وبعد أيام أغلقوا باب القرافة وباب البرقية وباقي
الأبواب التي في أطراف البلد ، وزاد الناس
في اصطناع المتاريس وفي الاحتراس . وجلس



جامع أذربك

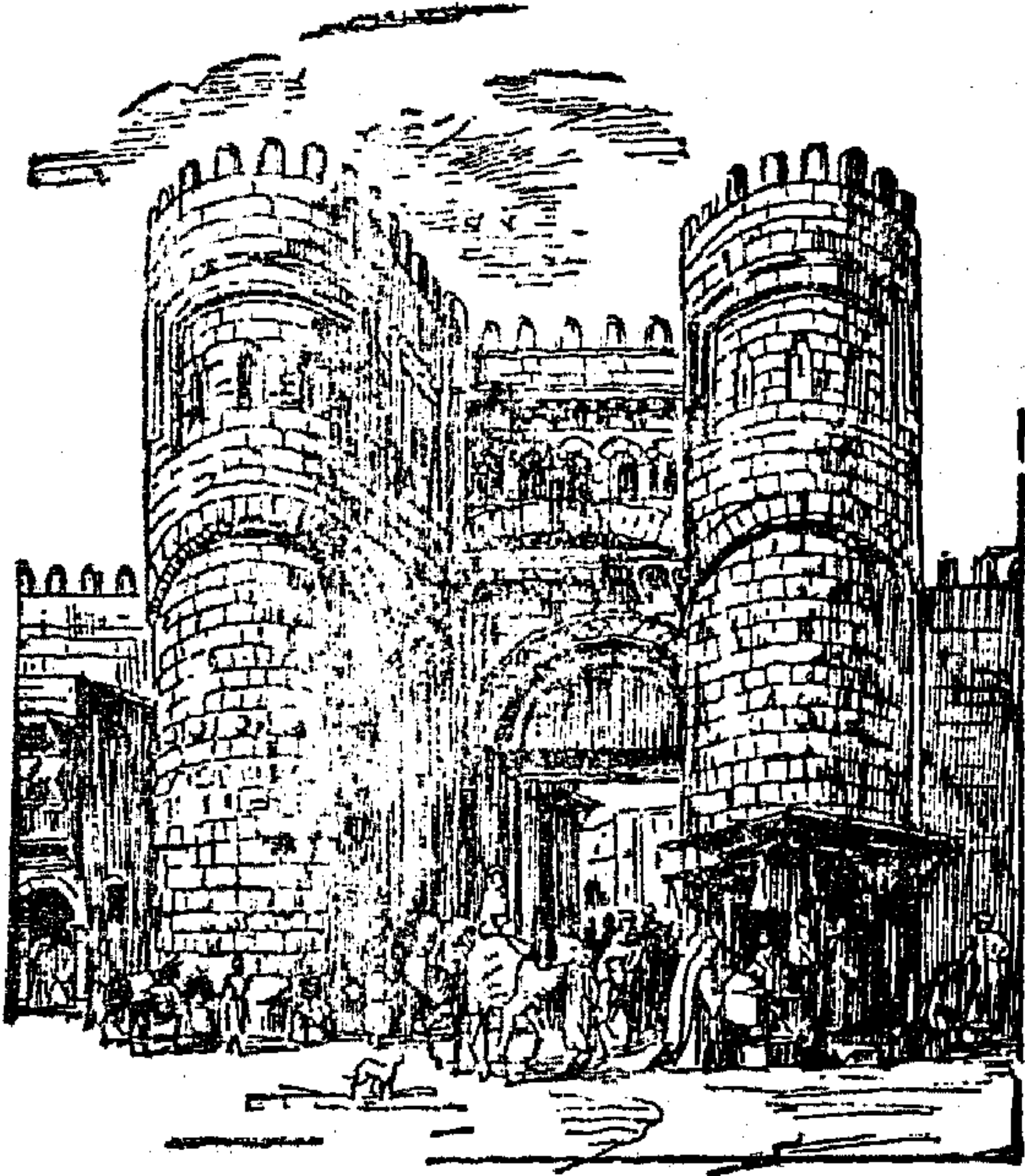
بجانبه والرحبة التي عند بيت القاضي من جهة
المشهد الحسيني واهتم لذلك اهتماما زائدا وأنفق
أموالا جمة ، وأرسلوا فأحضروا باقى المدافع الكائنة
بالمطرية فكانوا كلما أدخلوا مدفعا أدخلوه بجمع
عظيم من الأوباش والحرافيش والأطفال ، ولهم
صياح ونباح وتجاوب بكلمات ، مثل قولهم : الله
ينصر السلطان ، ويهلك فرط الرمان ، وغير ذلك .

وحضر محمد بيك الألفى فى ثانى يوم وتترس
بناحية السوق التي عند درب عبد الحق وعطفه
البيدق وصحبته طوائفه ومماليكه وأشخاص من
العثمانية ، وبذل الهمة ، وظهرت منه ومن مماليكه
شجاعة وكذلك كشافه ، وخصوصا اسماعيل كاشف
المعروف بأبى قطية — فانه لم يزل يحارب ويترحف

عثمان بيك الأشقر عند متاريس باب اللوق وناحية
المدابغ ، وعثمان بيك طبل عند متاريس الحجر ،
ومحمد بيك المبدول عند الشيخ ريحان ، ومحمد
كاشف أيوب وجماعة أيوب بيك الكبير والصغير
عند الناصرية ، ومصطفى بيك الكبير بقناطر الساع ،
وسليمان كاشف المحمودى عند سوق السلاح .
وأولاد القرافة والعامة ، وزعر الحسينية والعطوف
عند باب النصر مع طائفة من الينكجارية وباب
الحديد وباب القرافة ، وجماعة خان الخليلى والجمالية
عند باب البرقية المعروف بالغريب . وبالجملة كل من
كان فى حارة من أطراف البلد انضم الى العسكر
الذى بجهته بحيث صار جميع أهل مصر والعساكر
كلها واقفة بأطراف البلد عند الأبواب والمتاريس
والأسوار وبعض عساكر من العثمانية وما انضم
اليهم من أهل مصر المتسلحين مكثت بالجمالية
إذا جاء صارخ من جهة من الجهات أمدوه بطائفة
من هؤلاء : وصار جميع أهل مصر اما بالأزقة ليلا
ونهارا وهو من لا يمكنه القتال ، واما بالأطراف
وراء المتاريس وهو من عنده اقدام وتمكن من
الحرب ، ولم ينم أحد بيته سوى الضعيف والجبان
والخائف . وناصر باشا وإبراهيم بيك وجماعتهم
وعسكر من الينكجارية والأرثوود والدلاة وغيرهم
جهة الأزبكية ناحية باب الهواء والرحبة الواسعة
التي عند جامع أذربك والعتبة الزرقاء . وأنشأ
عثمان كتحدا معملا للبارود بيت قائد أغا بخط
الخرقش ، وأحضر الفندقية والعربية والحدادين
والسباكين لإنشاء مدافع وبنبات وإصلاح المدافع
التي وجدوها فى بعض البيوت وعمل العجل
والعربات والجلل وغير ذلك من المهمات ، وأحضروا لهم
ما يحتاجون اليه من الأخشاب وفروع الأشجار
والحديد وجمعوا الى ذلك الحدادين والنجارين
السباكين وأرباب الصنائع الذين يعرفون ذلك
فصار هذا كله يصنع ببيت القاضي والخان الذى

وأما الفرنساوية فانهم تحصنوا بالقلاع المحيطة بالبلد وبيت الألفى وما والاه من البيوت الخاصة بهم ، وبيوت القبطة المجاورين لهم .

واستمر الناس بعد دخول الباشا والأمراء ومن معهم من العسكر الى مصر أياما قليلة وهم يدخلون ويخرجون من باب الفتوح وباب العدوى ، وأهل



باب الفتوح

الأرياف القريبة تأتي بالميرة والاحتياجات من السمن والجبن واللبن والغلة والتبن والغنم فيبيعونه على أهل مصر ثم يرجعون الى بلادهم .

كل ذلك ولم يعلم أحد حقيقة حال الفرنساوية المتوجهين مع كبيرهم للحرب ، واختلفت الروايات والأخبار . وأما الوزير فانه لما ارتحل بالعرضي تخلف عنه بلبيس جملة من العسكر . وأما عثمان بيك حسن وسليم بيك أبو دياب ومن معهما فانهما تقاطلا مع الفرنساوية ثم رجعا الى بلبيس فحاصروا من بها . وكان عثمان بيك وسليم بيك وعلى باشا الطرابلسي وبعض وجاقلية خرجوا منها وذهبوا الى ناحية العرضي فحارب الفرنساوية من بلبيس من

حتى ملك ناحية رصيف الخشاب وبيت مراد بيك الذي أصله بيت حسن بيك الأزبكاي وبيت أحمد أغا شويكار - وتترس فيهما ، وحسن بيك الجداوى تترس بناحية الرويعي ، وزبما فارق متراسه في بعض الليالي لنصرة جهة أخرى . وحضر أيضا رجل مغربي يقال انه الذي كان يحارب الفرنسيين بجهة البحيرة سابقا . والتف عليه طائفة من المغاربة البلدية وجماعة من الحجازية ممن كان قدم صحبة الجيلاني . وفعل ذلك الرجل المغربي أمورا تنكر عليه لأن غالب ما وقع من النهب وقتل من لا يجوز قتله ، يكون صدوره عنه . فكان تتجسس على البيوت التي بها الفرنسيين والنصارى فيكبس عليهم ومعه جمع من العوام والعسكر فيقتلون من يجدونه منهم وينهبون الدار ويسحبون النساء ، ويسلبون ما عليهن من الحلى والثياب ، ومنهم من قطع رأس البنية الصغيرة طمعا فيما على رأسها وشعرها من الذهب . وتسمع الناس عورات بعضهم البعض ، وما دعتهم اليه حظوظ أنفسهم وحقدهم وضغائنهم .

واتهم الشيخ خليل البكري بأنه يوالى الفرنسيين وارسل اليهم الأطعمة ، فهجم عليه طائفة من العسكر مع بعض أوباش العامة ، ونهبوا داره وسحبوه مع أولاده وحريمه وأحضروه الى الجمالية وهو ماش على أقدامه ورأسه مكشوفة ، وحصلت له اهانة بالغة وسمع من العامة كلاما مؤلما وشتما فلما مثلوه بين يدي عثمان كتخدا هاله ذلك واغتم غما شديدا ووعد به بخير وطيب خاطره ، وأخذه سيدى أحمد بن محمود محرم التاجر مع حريمه الى داره وأكرمهم وكساهم ، وأقاموا عنده حتى انقضت الحادثة . وباشر السيد أحمد المحروقي وباقي التجار ومساير الناس الكلف والنفقات والمآكل والمشارب ، وكذلك جمع أهل مصر كل انسان سمح بنفسه وبجميع مايملكه وأعان بعضهم بعضا وفعلوا ما في وسعهم وطاقاتهم من المعونة .

العسكر ، ولم يكن لهم بهم طاقة ، فطلبوا الأمان فأمنوهم وأخذوا سلاحهم وأخرجوهم حيث شاءوا ، فذهبوا أشتاتا في الأرياف يتكففون الناس ويأوون الى المساجد الخربة ، ومات أكثرهم من العرى والجوع . ثم لما لحق عثمان بيك ومن معه بالعرضي ناحية الصالحية تكلموا مع الوزير وأوجعوه بالكلام فاعتذر اليهم بأعذار منها : عدم الاستعداد للحرب وتركه معظم الجيخانة ، والمدافع الكبار بالعريش اتكالا على أمر الصلح الواقع بين الفريقين وظنه غفلة فرنساوية عما دبر عليهم مع الانكليز . فقال له عثمان بيك : « أرسل معنا العساكر وانتظرنا هنا » .

فخاطب العسكر وبذل لهم الرغائب ، فامتنعوا ولم يمتثل منهم الا المطيع والمتطوع ، وهم نحو الألف ، وعادوا على أثرهم وجمعوا منهم من كان مشتتا ومنتشرا في البلاد ورجعوا يريدون محاربة فرنساوية ، فنزلوا بوهدة بالقرب من القرين لكونهم نظروه في قلة من عسكره وعلمهم بقرب من ذكر منهم . فضاربوهم بالنبايت والحجارة ، وأصيب سرج ساري عسكر بنبوت فأنكسر وسقط ترجمانه الى الأرض ، وتسامع المسلمون فركبوا لنجدتهم واستصرخ فرنساوية عساكرهم فلحقوا بهم . ووقع الحرب بين الفريقين حتى حال بينهما الليل فانكف الفريقان وانحاز كل فريق ناحية . فلما دخل الليل واشتد الظلام ، أحاط العسكر فرنساوى بعساكر المسلمين . فأصبح المسلمون ، وقد رأوا احاطة العسكر بهم من كل جانب ، فركبت الخيالة وتبعتهم المشاة واخترقوا تلك الدائرة وسلم منهم من سلم وعطب من عطب ورجعوا على أثرهم الى الصالحية . فعند ذلك ارتحل الوزير ورجع الى الشام .

وأما مراد بيك فانه بمجرد ما عين هجـوم

الفرنسيين على الباشا والأمرء بالمطرية — وكان هو بناحية الجبل — ركب من ساعته هو ومن معه ومروا من سفح الجبل وذهب الى ناحية دير الطين ينتظر ما يحصل من الأمور ، وأقام مطمئنا على نفسه ، واعتزل الفريقين ، واستمر على صلحه مع فرنساوية . هذا حاصل خبر الشرقيين .

ولما تحقق الباشا والأمرء الذين انحصروا بمصر ذلك أخفوه بينهم وأشاعوا خلافه لئلا تنحل عزائم الناس عن القتال وتضعف نفوسهم . واستمر الباشا يظهر كتابة المراسلات وارسال السعاة في طلب النجدة والمعونة . وربما افتعلوا أجوبة فزوروها على الناس فتروج عليهم وتسرى في غفلتهم . ويقولون للناس في كل وقت : ان حضرة الصدر الأعظم مجتهد في محاربة الفرنسيين . وفي غد أو بعد غد يقوم بالعساكر والجنود بعد قطع العدو . وعند حضوره ووصوله يحصل تمام الفتح ، وتهندم العساكر القلاع ، وتقلبها على من يبقى من فرنساوية . وبعد ذلك ينظم البلاد ويريح العباد . واجتهدوا فيما آتم فيه . وتابعوا المنادة على الناس والعسكر باللسان العربي والتركي بالتحريض والاجتهاد والحرص على الصبر والقتال وملاقاة العدو ونحو ذلك .

ووصل طائفة من عسكر فرنساوية ، ورجعوا من عرضهم نجدة لأصحابهم الذين بمصر . فقتل بهم نفوس الكائنين بمصر ، ووقعت منهم طائفة خارج باب النصر وخارج باب الحسينية ، ونهبوا زاوية الدمرداش وما حولها كقبة الغوري والمنيل . وحضر نحو خمسمائة من عسكر الأرثوود — وهم الذين كان الوزير وجههم الى القرى لقبض الكلف والفرض — فلما قربوا من مصر عارضهم عسكر فرنساوية الواقعة على التلول الخارجية ، فحساموا ودافعوا عن أنفسهم ، وخلصوا منهم ودخلوا الى مصر . وفرح الناس

واستعدوا للحرب والجهاد ، وقوى في رأسهم
العناد ، واستطالوا على من كان ساكنا ببولاق من
نصارى القبط والشوام ، فأوقعوا بهم بعض
النهب ، وربما قتل منهم أشخاص ..

هذا ما كان من أمر هؤلاء . وأما ما كان من أمر
سارى عسكر فرنساوية ومن معه .. فانه لما
استوثق بهزيمة الوزير ، وعدم عوده ونجاته بنفسه
.. لم يزل خلفه حتى بعد عن الصالحية ، فأبقى بها
بعضا من عسكر الفرنسيين محافظين ، وكذلك
بالقرين وبليس ، ورجع الى مصر . وقد بلغت
الأخبار بما حصل من دخول ناصف باشا والأمراء
وقيام الرعية ، فلم يزل حتى وصل الى داره
بالأزبكية ، وأحاطت العساكر فرنساوية بالمدينة
وبولاق من خارج ، ومنعوا الداخل من الدخول
والخارج من الخروج .. وذلك بعد ثمانية أيام من
ابتداء الحركة ، وقطعوا الجالب عن البلدين ،
وأحاطوا بهما احاطة السوار بالمعصم . فكانت
جماعة من المفوضين لهم ، المحصورين داخل المدينة
— كبعض القبطه ونصارى الشام وغيرهم —
يهربون اليهم ، ويتسلقون من الأسوار والحيطان
بحريهم وأولادهم

فعند ذلك اشتد الحرب ، وعظم الكرب .
وأكثروا من الرمي المتتابع بالمكاحل والمدافع ،
وأكثروا وأوصلوا وقع القناير والبنبات ، من أعالي
التلول والقلعات ، خصوصا البنبات الكبار ، على
الدوام والاستمرار ، آناء الليل وأطراف النهار ..
في العدو والبكور والأسحار .

وعدمت الأقوات ، وغلت أسعار المبيعات ،
وعزت المأكولات ، وفقدت الحبوب والغلات ،
وارتفع وجود الخبز من الأسواق ، وامتنع
الطوافون به على الأطباق . وسارت العساكر
الذين مع الناس في البلد يخطفون ما يجدونه
بأيدي الناس من الماكل والمشارب . وغلا سعر



مسجد السلطان الفورى

لقدومهم وضجت العامة بحضورهم ، واشتدت
قواهم ، ولفقوا أن يقولوا للناس ، اذا سئلوا ،
أنهم حاضرون مددا وسيأتى في أثرهم عشرون ألفا
وعليهم كبير ، ونحو ذلك .

وأما بولاق فانها قامت على ساق واحدة وتحزم
الحاج مصطفى البشتلى وأمثاله وهيجوا العامة ،
وهيئوا عصيهم وأسلحتهم ورمحوا وصفحوا .
وأول ما بدأوا به أنهم ذهبوا الى وطاق الفرنسيين
الذى تركوه بساحل البحر ، وعنده حرسية منهم ،
فقتلوا من أدركوه منهم ونهبوا جميع ما فيه من خيام
ومتاع وغيره ، ورجعوا الى البلد ، وفتحوا مخازن
الغلال والودائع التى للفرنساوية وأخذوا ما أحبوا
منها ، وعملوا كرانك حوالى البلد ومتاريس .



ثورة القاهرة

هذا والمناداة في كل وقت بالعربي والتركي على الناس بالجهاد والمحافظة على المناريس .
واتهم مصطفى أغا مستحفظان بموالاة الفرنسيين وأنه عنده في بيته جماعة من الفرنسيين فهجمت العساكر على داره بدرب الحجر . فوجدوا أنفارا قليلة من الفرنسيين ، فقاتلوا وحاموا عن أنفسهم وقتل منهم البعض ، وهرب البعض على حمية ، حتى خلصوا إلى الناصرية . وأما الأغا فانه قبضوا عليه ، وأحضروه بين يدي عثمان كتحدا ، ثم تسلمه الانكشارية وخنقوه ليلا بالوكالة التي عند باب النصر ورموا جيفته على مزبلة خارج البلد . واستقر عوضه شاهين كاشف الساكن بالخرنقش ، فاجتهد وشدد على الناس ، وكرر المناداة ، ومنعهم من دخول الدور . وكل من وجدته داخل داره مقتته وضربه . فكان الناس يبيتون بالأزقة والأسواق ، حتى الأمراء والأعيان ! وهلك البهائم من الجوع لعدم وجود العلف من التبن والفول والشعير والدريس ... بحيث صار ينسادي

الماء المأخوذ من الآبار أو الأسبلة .. حتى بلغ سعر القربة ليفا وستين نصفا . وأما البحر فلا يكاد يصل إليه أحد .

وتكفل التجار ، ومسائير الناس والأعيان بكلف العساكر المقيمين بالمناريس المجاورة لهم . فألزموا الشيخ السادات بكلفة الذي عند قناطر الساع ، وهم مصطفى بيك ومن معه من العساكر . وأما أكابر القبط — مثل جرجس الجوهري وفليوس وما إلى — فانهم طلبوا الأمان من المتكلمين من المسلمين .. لكونهم انحسروا في دورهم ، وهم في وسطهم ، وخافوا على نهب دورهم اذا خرجوا فارين . فأرسلوا اليهم الأمان . فحضرهم وقابلوا الباشا والكتخدا والأمراء ، وأعانوهم بالمال واللوازم . وأما يعقوب فانه كرتك في داره بالدرب الواسع جهة الرويعي ، واستعد استعدادا كبيرا بالسلاح والعسكر المحاربين ، وتحصن بقلعته التي كان شيدها بعد الواقعة الأولى فكان معظم حرب حسن بيك الجداوي معه .



سرای الأزيكية

الخشب والخطة المعروفة بالسكك بأجمعها ، الى
الرحبة المقابلة لبنت الألفى ، سكن سارى عسكر
الفرنساوية ، وكذلك خطة القوالة بأسرها ، وكذلك
خطة الرويعى بالسباطين العظمين ، وما فى ضمن
ذلك من البيوت الى حد حارة النصارى . وصارت
كلها تلالا وخرائب .. كأنها لم تكن مغنى صبايات ،
ولا مواطن أنس ونزاهات !

وفىها يقول صديقنا العلامة ، والنحرير الفهامة ،
الشيخ حسن العطار حفظه الله :

وأما بركة الأزيكية فهى مسكن الأمراء ، وموطن
الرؤساء . قد أحدقت بها البساتين الوارفة الظلال ،
العديمة المثال . فترى الخضرة فى خلال تلك القصور
المبيضة ، كتياب سندس خضر على أثواب من فضة .
يوقد بها كثير من السرج والشموع ، فالأنس بها
غير مقطوع ولا ممنوع ، وجمالها يدخل على القلب

على الحمار أو البغل ، المعدد الذى قيمته
ثلاثون ريالاً وأكثر ، بمائة نصف فضة ، أو ريال
واحد أو أقل ، ولا يوجد من يشتريه . وفى كل يوم
يتضاعف الحال ، وتعظم الأهوال .

وزحف المسلمون على جهة رصيف الخشب ،
وترامى الفريقان بالمدافع والنييران حتى احترق
ما بينهم من الدور . وكان اسماعيل كاشف الألفى
تحصن بيت أحمد أغا شويكار الذى كان بيته ،
وقد كان فرنساوية جعلوا به لغماً بالبارود والمدفون ،
فاشتعل ذلك اللغم ، ورفع ما فوقه من الأبنية
والناس ، وطاروا فى الهواء ، واحترقوا عن آخرهم ،
وفيه اسماعيل كاشف المذكور . وانهدم جميع
ما هناك من الدور والمباني العظيمة والقصور المطلة
على البركة ، واحترق جميع البيوت التى من عند
بين المفارق بقرب جامع عثمان كئخدا ، الى رصيف

السرور ، ويذهل العقل حتى كأنه من النشوة
مخمور . ولطالما مضت لى بالمسرة فيها أيام وليال ،
هن في سبط الأيام من يتيم اللالى . وأنا أنظر الى
انطباع صورة البدر في وجناتها ، وفيضان لجين
نوره على حافاتهما وساحاتها . والنسيم بأذيال ثوب
سائها الفضى لعاب ، وقد سل على حافاتهما من تلاعب
لأمواج كل قرضاب . وقام على منابر أرواحها في
ساحة أفراحها مغردات الطيور ، وجالبات السرور
.. فلنذ العيش بها موصول ، وفيها أقول :

بالأزبكية طابت لى مسرات
ولذ لى من بديع الأنس أوقات
حيث المياه بها والفلك سابعة
كأنها الزهر تحويها السموات
وقد أدير بها دور مشيدة
كأنها لبـدور الحسن هالات
مدت عليها الروابي خضر سندسها
وغردت في نواحيها الحمامات
والماء حين سرى رطب النسيم به
وحل فيه من الأدواح زهرات
كسابغات دروع فوقها نقط
من فضة .. واحمرار الورد طعنات

مرايح لقلبـاء الترك ساحتها
وللأسود بها فيهن غيضات
وللنديم بها عيش تجدده
أيدي الزمان ، ولا تخشى جنايات
يروح منها صريع العقل حين يري
على محاسنها دارت زجاجات
وللرفاق بها جسيم ومفترق
لـبا غدت وهي للندمان حانات

قلت : وقد جنت عليها أيدي الزمان ، وطوارق
الحدثان ، حتى تبدلت محاسنها ، وأقمرت مساكنها .
وهكذا عقبى سوء ما عملوا ، فتلك بيوتهم خاوية
بما ظلموا ..

وأرسلوا الى مراد بيك يطلبونه للحضور أو
يرسل الأمراء والأجناد التي عنده . فأرسل
يعتذر عن الحضور ، ويقول : « انه محافظ على
الجهة التي هو فيها » . فأرسلوا اليه بالارسال
والاستكشاف عن أمر الوزير ، فأرسل يخبر أنه
أرسل هجانا الى الشرق من نحو عشرة أيام ، والى
الآن لم يحضر ، وأن الفرنسـاوية اذا ظفـروا
بالعثمانية لا يقتلونهم ولا يضربونهم ، وأنتم كذلك
معهم فاقبلوا نصحي ، واطلبوا الصلح معهم ،
واخرجوا سـالين . فلما بلغهم تلك الرسالة ، حنق
حسن بيك الجداوى وعثمان بيك الأشقر وغيرهم ،
وسفـهوا رأيه ، وقالوا : كيف يصح هذا الأمر ،
وقد دخلنا الى البلد وملكنـاها ، فكيف نخرج منها
طائعين ؟! ونحو ذلك . هذا مما لا يكون أبدا .
فأشار ابراهيم بيك بـرجوع البرديسى ، وصحبته
عثمان بيك الأشقر ، ليقول الأشقر لمراد بيك
ما نقوله . فلما اجتمع به ورجع .. لم يرجع على
ما كان عليه حال ذهابه ، وفترت همته ، وجنح
لرأى مراد بيك .

واستمر الحال على ما هو عليه من اشتعال
نيران الحرب ، وشدة البلاء والكرب ، ووقوع
البنيات على الدور والمساكن من القلاع ، والهدم
والحرق ، وصراخ النساء من البيوت والصغار
من الخوف والجزع والهلع ... مع القحط وفقـد
المأكـل والمشارب ، وغلق الجوانيت والطواوين
والمخابز ، ووقوف جال الناس من البيع والشراء ،
وتفليس الناس ، وعدم وجدان ما ينفقونه ، ان
وجدوا شيئا !

بعض العشمانية بطوفون مع أتباع الشرطة ، وينادون باللغة التركية مثل ذلك .

وجرى على الناس ما لا يسطر في كتاب ، ولم يكن لأحد في حساب ، ولا يمكن الوقوف على كلياته فضلا عن جزئياته ... منها : عدم النوم ليلا ونهارا ، وعدم الطمأنينة ، وغلو الأقوات ، وفقد الكثير منها — خصوصا الأدهان — وتوقع الهلاك كل لحظة ، والتكليف بما لا يطاق ، ومغالبة الجهلاء على العقلاء ، وتناول السفهاء على الرؤساء ، وتهور العامة ، ولغو الحرافيش وغير ذلك مما لا يمكن حصره . ولم يزل الحال على هذا المنوال الى نحو عشرة أيام .

كل هذا والرسل من قبل فرنساوية ، وهم عثمان بيك البرديسي تارة ، ومصطفى كاشف ورستم تارة أخرى — والاثنان من أتباع مراد بيك — يترددون في شأن الصلح وخروج العساكر العشمانية من مصر ، والتهديد بحرقها وهدمها اذا لم يتم هذا الغرض . واستمروا على هذا العناد . ثم نصب فرنساوية في وسط البركة فسطاطا لطيفا وأقاموا عليه علما وأبطلوا الرمي تلك الليلة ، وأرسلوا رسولا من قبلهم الى الباشا والكتخدا والأمراء يطلبون المشايخ يتكلمون معهم في شأن هذا الأمر فأرسلوا الشرقاوى والمهدى والسرمي والفيومي وغيرهم فلما وصلوا الى ساري عسكر وجلسوا ، خاطبهم على لسان الترجان بما حاصله : أن ساري عسكر قد أمن أهل مصر أمانا شافيا ، وأن الباشا والكتخدا ومن معها من العساكر العشمانية يخرجون من مصر ويلحقون بالعرضي . وعلى فرنساوية القيام بما يحتاجون اليه من المثونة والذخيرة حتى يصلوا الى معسكرهم . وأما الأجناد المصرية الداخلة معهم فمن أراد منهم المقام بمصر من المناليك والغز الداخلين معهم ، فليقم وله الاكرام . ومن أراد

واستمر ضرب المدافع والقنابر والبنادق والنيران ليلا ونهارا ، حتى كان الناس لا يهنا لهم نوم ولا راحة ، ولا جلوس لحظة لطيفة من الزمن . ومقامهم دائما أبدا بالأزقة والأسواق ، وكأنما على رؤوس الجيع الطير ! وأما النساء والصبان فمقامهم بأسفل الحواصل والعقودات تحت طباق الأبنية .. الى غير ذلك !

وفي أثناء ذلك فرضوا على الناس ، من أهل الأسواق وغيرهم ، مائة كيس ... فردوها على بعض الناس ، كالسادات والصاوي . وصارمؤنة غالب الناس الأرز ويطبخونه بالعسل وباللبن ، ويبيعون ذلك في طشوت وأوان بالأسواق .

وفي كل ساعة تهجم العساكر فرنساوية على جهة من الجهات ويحاربون الذين بها ويملكون منهم بعض المتاريس ، فيصيحون على بعضهم بالمناداة ويتسامع الناس ويصرخون على بعضهم البعض ويقولون : عليكم بالجهة الفلانية . الحقوا اخوانكم المسلمين ! فيرمحون الى تلك الخطة والمتاريس حتى يجلوهم عنها ، وينتقلون الى غيرها فيفعلون كذلك .

وكان المتحمل لغالب هذه المدافعات حسن بيك الجداوي . فانه كان عندما يبلغه زحف فرنساوية على جهة من الجهات ، يبادر هو ومن معه للذهاب لنصرة تلك الجهة . ورأى الناس من اقدامه وأشجاعته وصبره على مجالدة العدو ، ليلا ونهارا ، ما ينبىء عن فضيلة نفس ، وقوة قلب ، ومسمو همة . وقل أن وقع حرب في جهة من الجهات الا وهو مدير رحاها ورئيس كماتها .

هذا والأغا والوالى يكررون المناداة ، وكذلك المشايخ والفقهاء والسيد أحمد المحروقي والسيد عمر النقيب .. يرون كل وقت ، ويأمرون الناس بالقتال ، ويحرضونهم على الجهاد . وكذلك

الخروج فليخرج . والجرحى من العثماني يجرّدون من سلاحهم ، وإن كان يأخذه الكتخدا فليأخذه ، وعلينا أن نداويهم حتى يبرأوا . ومن أقام بعد البرء منهم فعلينا مئوته . ومن أراد الخروج بعد برئه فليخرج ، وعلى أهل مصر الأمان فانهم رعيتنا . وتوافقوا على ذلك وتراضوا عليه .

ولما كان الغد وشاع أمر المواعدة واستفيض أمر الصلح على هذا ، قالوا لهم : « لأى شئ تفعلون هذا الفعل وهذه المحاربات ، والوزير بتاعكم ولى مهزوما ورجع هاربا ولا يمكن عوده فى هذا الحين الا أن يكون بعد ستة أشهر ؟ » . فاعتذروا له بأن هذا من فعل ناصف باشا وكتخدا الدولة وابراهيم بيك ومن معهم ، فانهم هم الذين أثاروا الفتنة وهيجوا الرعايا ، ومنوا الناس الأمانى الكاذبة والعامة لا عقول لهم ! فقالوا لهم بعد كلام طويل : « قولوا لهم يتركون القتال ويخرجون فيلحقون بوزيرهم ، فانهم لاطاقة لهم على حربنا ، ويكونون سببا لهلاك الرعية وحرق البلدين مصر وبولاق » . فقالوا له : « نخشى أنهم اذا امتثلوا وجنحوا للمواعدة وخرجوا وذهبوا الى سارى عسكرهم ، تنقمون منا ومن الرعايا بعد ذلك » . فقالوا : « لا نفعل ذلك . فانهم اذا رضوا ومنعوا الحرب ، اجتمعنا معكم واياهم ، وعقدنا صلحا ولا نطالبكم بشئ . والذى قتل منا فى نظير الذى قتل منكم ، وزودناهم وأعطيناهم ، ايحتاجون من خيل وجمال وأصحابنا معهم من يوصلهم الى مأمّنهم من عسكرنا ، ولا نصر أحدا بعد ذلك » .

فلما رجع المشايخ بهذا الكلام ، وسمعه الانكشارية والناس .. قاموا عليهم ، وسبّوهم وشتموهم ، وضربوا الشرفاوى والسرسى ، ورموا عمالهم وأسماهم قبيح الكلام وصاروا يقولون : « هؤلاء المشايخ ارتدوا وعملوا فرنسيس ومرادهم

خذلان المسلمين وأنهم أخذوا دراهم من الفرنسيين » . وتكلم السفلة والفوغاء من أمثال هذا الفضول . وتشدد فى ذلك الرجل المغربى الملتف عليه أخلاط العالم ، ونادى من عند نفسه « الصلح منقوض وعليكم بالجهاد ومن تأخر عنه ضرب عنقه ! » .

وكان السادات بيت الصاوى فتحير ، واحتال بأن خرج وأمامه شخص ينادى بقوله : « الزموا المتاريس » ليقى بذلك نفسه من العامة .

ووافق ذلك أغراض العامة لعدم ادراكهم لعواقب الأمور فالتفوا عليه ، وتعصد كل بالآخر ، وان غرضه هو فى دوام الفتنة ، فان بها يتوصل لما يريده من النهب والسلب ، والتصور بصورة الامارة باجتماع الأوغاد عليه ، وتكفل الناس له بالماكل والمشرب هو ومن انضم اليه ، واشتطاط فى الماكل مع فقد الناس لأدب ما يؤكل .. حتى أنه كان اذا نزل جهة من جهات المدينة لاظهار أنه يريد المعونة أو الحرس ، فيقدمون له بالطعام فيقول : « لا آكل الا الفراخ ! » ويظهر أنه صائم . فيكلف أهل تلك الجهة أنواع المشقات والتكلفات بتعنته ، فى هذه الشدة ، بطلب أفحش المأكولات وما هو مفقود . ثم هو مع ذلك لا يغنى شيئا ، بل اذا دهم العدو تلك الجهة التى هو فيها . فارقها وانتقل لغيرها . وهكذا كان ديدنه وسبحه . ثم هو ليس ممن له فى مصر ما يخاف عليه من مسكن أو أهل أو مال أو غير ذلك . بل كما قيل « لا ناقتى فيها ولا جملى » . فاذا قدر ما قدر تخلص مع حزبه الى بعض الجهات والتحقيق بالريف أو غيره ، وحينئذ يكون كآحاد الناس ، ويرجع لحالته الأولى ، وتبطل الهيئة الاجتماعية التى جعلها لجلب الدنيا فحشا منصوبا ، ومحرق بها على سخاف العقول وأخفاء الأحلام !

وهكذا حال الفتن تكثر فيها الدجاجة . ولو أن

نيتة محضه لخصوص الجهاد لكائن شواهد
علائقه أظهر من نار على علم ، أو اقتحم — كغيره
ممن سمعنا عنهم من المخلصين في الجهاد وفي بيع
أنفسهم في مرضاة رب العباد — لظي الهيجاء ، ولم
يتعنت على الفقراء ، ولم يجعل همته في السلب
مصرفه ، وحال سلوكه عند الناس ليست معروفة .
ومهما تكن عند امرئ من خليفة

— وان خالها تخفى على الناس — تعلم
وبالجملة ... فكان هذا الرجل سببا في تهدم أغلب
ال منازل بالأزبكية ، ومن جملة مارميت به مصر من
البلاء . وكان ممن ينادى به عليه حين أشيع أمر الصلح
وتكلم به الأشياخ : « الصلح منقوض . وعليكم
بالجهاد ، ومن تأخر ضرب عنقه ! » . وهذا منه
اقتيات وفضول ودخول فيما لا يعنى . حيث كان في
البلد مثل الباشا والكتخدا والأمراء المصرية . فما
قدر هذا الأهوج حتى ينقض صلحا أو يبرمه ؟
وأى شيء يكون هو حتى ينادى أو ينصب
نفسه بدون أن ينصبه أحد لذلك ؟! لكنها الفتن
يستسر بها البغاث ، سيما عند هيجان العامة وثوران
الرعاع والغوغاء ، اذ كان ذلك مما يوافق أغراضهم .

وذنب جره سفهاء قوم

وحل بغير جائيه العذاب

على أن المشايخ لم يأمرؤا بشيء ولم يذكروا
صلحا ولا غيره ، انما بلغوا صورة المجلس الذي
طلبوا لأجله حضرة الكتخدا . فبمجرد ذلك قامت
عليهم العامة هذا المقام ، وسبوهم وشتموهم بل
وضربوهم ، وبعضهم رموا بعمامته الى الأرض
وأسمعوهم قبيح الكلام ، وفعلوا معهم ما فعلوا
وصاروا يقولون : « لولا أن الكفرة الملاعين تبين
لهم القلب والعجز ما طلبوا المصالحة والمواذعة وأن
بارودهم وذخيرتهم فرغت » ... ونحو ذلك من
الظنون الفاسدة .

ولم يردوا عليهم جوابا ، بل ضربوا بالمدافع
والبنادق . فأرسلوا أيضا رسلا يسألونهم عن الجواب
الذى توجه به المشايخ . فأرسل اليهم الباشا
والكتخدا يقولان لهم : « ان العساكر لم يرضوا
بذلك ويقولون : لا فرجع عن حربهم حتى نظفر بهم
أو نموت عن آخرنا . وليس في قدرتنا قهرهم على
الصلح » .

فأرسل الفرنسية جواب ذلك في ورقة يقولون
في ضمنها : « قد عجبنا من قولكم ان العساكر
لم ترض بالصلح ! وكيف يكون الأمير أميرا على
جيش ولا ينفذ أمره فيهم ؟ » ونحو ذلك . وأرسلوا
أيضا رسولا الى أهل بولاق يطلبونهم للصلح
وترك الحرب ويحذرونهم عاقبة ذلك . فلم يرضوا
وصمموا على العناد . فكررؤا عليهم المراسلة وهم
لا يردادون الا مخالفة وشغبا . فأرسلوا في خامس
مرة فرنساويا يقول : « أمان ، أمان — سوا ، سوا »
وييده ورقة من سارى عسكر . فأنزلوه من
على فرسه وقتلوه .

وظن كامل أهل مصر أنهم انما يطلبون
صلحهم عن عجز وضعف وأشعلوا نيران القتال ،
وجدوا في الحرب من غير انفصال . والفرنساوية
لم يقصروا كذلك وراسلوا رمى المدافع والقناير
والبنادق المتكاثرة . وحضر الأتقى الى عثمان كتخدا



بعض الثوار بأحد الشوارع

برأى ابتدعه ظن أن فيه الصواب وهو أن يرفعوا على هلالات المنارات أعلاما نهارا ، ويوقدون عليها القناديل ليلا ، ليرى ذلك العسكر القادم فيهتدى ويعلمون أن البلد بيد المسلمين وأنهم منضوون . وكذلك صنع معهم أهل بولاق وذلك لغلبة ظن الناس أن هناك عسكرا قادمين لنجدتهم . وظن أهل بولاق أن الباعث على ذلك نصرتهم . فصموا على ذلك للحرب ، واستمر هذا الحال بين الفريقين .

ذوالقعدة

الخميس ٢٢ منه (١٧ أبريل ١٨٠٠ م) : الموافق ١٠ برمودة القبطى وسادس نيسان الرومى :

غيمت السماء غيما كثيفا ، وأرعدت رعدا مزعجا عنيقا ، وأمطرت مطرا غزيرا ، وسيلت سيلا كثيرا . فسالت المياه في الجهات ، وتوحدت جميع السكك والطرقات . فاشتغل الناس بتجفيف المياه والأحوال ونطخت الأمراء والعساكر سراويلهم ومراكبيهم بالطين . والفرنساوية هجموا على مصر وبولاق من كل ناحية ولم يبالوا بالأمطار لأنهم في خارج الأتية وهي لا تتأثر بالمياه كداخل الأبنية ، وعندهم الاستعداد والتحفظ والخفة في ملابسهم وما على رؤوسهم . وكذلك أسلحتهم وعددهم وصنائعهم بخلاف المسلمين . فلما حصل ذلك إغتصموا الفرصة وهجموا على البلدين من كل ناحية وعملوا فتائل مغمسة بالزيت والقطران وكعكات غليظة ملوثة على أعناقهم معمولة بالنفط والمياه المصنوعة المقطرة التي تشتعل ويقوى لهبها بالماء . وكان معظم كهنتهم من ناحية باب الحديد وكوم أبى الريش وجهة بركة الرطلى وقنطرة الحاجب وجهة الحسينية والرميلة ، فكانوا يرمون المدافع والبنات من قلعة جامع الظاهر وقلعة قنطرة الليمون ، ويهجمون أيضا وأمامهم المدافع ، وطائفة خلفهم بواردية ، يقال لهم «السلطات» يرمون بالبندق المتتابع ، وطائفة بأيديهم

الفتائل والكعكات المشتعلة بالنيران يلهبون بها السقائف وضرب الحوائت وشبابيك الدور ويحرقون على هذه الصورة شيئا فشيئا . والمسلمون أيضا بذلوا جهدهم وقاتلوا بشدة همتهم وعزمهم . وتحول الأغا وأكثر الناس الى تلك الجهة وزلزلوا في ذلك اليوم والليلة زلزالا شديدا وهاجت العامة ، وصرخت النساء والصبيان ، ونطوا من الحيطان والنيران تأخذ المتوسطين بين الفئتين من كل جهة هذا والأمطار تسح حصه من النهار وكذلك بالليل من ليلة الجمعة ، وكذلك الرعد والبرق . وعثمان بيك الأشقر الابراهيمى وعثمان بيك البرديس المرادى ومصطفى كاشف رستم يذهبون ويجيئون من الفرنسيين الى المسلمين ، ومن الفرنسيين اليهم . ويسعون في الصلح بين الفريقين .

ثم انهم هجموا على بولاق من ناحية البحر ومن ناحية بوابة أبى العلا ، بالطريقة المذكورة بعضها ، وقاتل أهل بولاق جهدهم ورموا بأنفسهم في النيران حتى غلب الفرنسيين عليهم وحصروهم من كل جهة وقتلوا منهم بالحرق والقتل وبلوا بالنهب والسلب . وملكوا بولاق وفعلوا بأهلها ما يشيب من هول النواصي وصارت القتلى مطروحة في الطرقات والأزقة ، واحترقت الأبنية والدور والقصور . . . وخصوصا البيوت والرباع المطلة على البحر وكذلك الأطراف . وهرب كثير من الناس عندما أيقنوا بالغلبة فنجوا بأنفسهم الى الجهة القبلية . ثم أحاطوا بالبلد ومنعوا من يخرج منها ، واستولوا على الخانات والوكائل والحواصل والودائع والبضائع وملكوا الدور وما بها من الأمتعة والأموال والنساء والخوندات والصبيان والبنات ومخازن الغلال والسكر والكتان والقطن والأبازير والأرز والأدهان والأصناف العطرية ، وما لاتسع السطور ولا يحيط به كتاب ولا منشور . والذي وجدوه منعكفا في داره أو طبقته ولم يقاتل

ولم يجدوا عنده سلاحا نهبا متاعه وعروه من ثيابه ومضوا وتركوه حيا وأصبح من بقى من ضعفاء أهل بولاق وأهلها وأعيانها الذين لم يقاتلوا فقراء لا يملكون ما يستر عوراتهم .

الجمعة ٢٣ منه (١٨ أبريل ١٨٠٠ م) :

كان محمد الطويل كاتب الفرنساوية أخذ منهم أمانا لنفسه وأوهم أصحابه أنه يحارب معهم . وفي وقت هجوم العساكر انفصل اليهم واختفى البشتيلي فدلوا عليه وقبضوا على وكيله وعلى الرؤساء فحبسوا البشتيلي بالقلعة والباقي بيت ساري عسكر ، وضيقوا عليهم حتى منعوهم البول . وفي اليوم الثالث أطلقوهم وجمعوا عصبة البشتيلي من العامة وسلموهم البشتيلي وأمرهم أن يقتلوه بأيديهم لدعواهم أنه هو الذي كان يحرك الفتنة ويمنعهم الصلح وأنه كاتب عثمان كتحدا بمكتوب قال فيه : « ان الكلب دعانا للصلح فأينا منه » وأرسله مع رجل ليوصله الى الكتخدا فوقع في يد ساري عسكر كبير فحركه ذلك على أخذ بولاق وفعله فيها الذي فعله ، وقوبل على ذلك بأن أسلم الى عصبته وأمروا أن يطوفوا به البلد ثم يقتلوه . ففعلوا ذلك وقتلوه بالنبايت . وألزم أهل بولاق بأن يرتبوا ديوانا لفصل الأحكام وقيدوا فيه تسعة من رؤسائهم ، ثم بعد مضي يومين ألزموا بغرامة مائتي ألف ريال . وأما المدينة فلم يزل الحال بها على النسق المتقدم من الحرب والكرب والنهب والسلب .

الاثنين ٢٦ منه (٢١ أبريل ١٨٠٠ م) :

ضاق خناق الناس من استمرار الانزعاج والحريق والسهرة وعدم الراحة لحظة من الليل والنهار مع ما هم فيه من عدم القوت ، حتى هلكت الناس وخصوصا الفقراء والدواب ، وايداء عسكر

العثماني للرعية وخطفهم ما يجدونه معهم ، حتى تمنوا زوالهم ورجوع الفرنسيين على حالتهم التي كانوا عليها .

والحال كل وقت في الزيادة ، وأمر المسلمين في ضعف لعدم الميرة والمدد . والفرنساوية بالعكس : وفي كل يوم يزحفون الى قدام المسلمون الى وراء فدخلوا من ناحية باب الحديد وناحية كوم أبي الريش وقنطرة الحاجب وتلك النواحي وهم يحرقون بالفتائل والنيران الموقدة ، ويملكون المتاريس الى أن وصلوا من ناحية قنطرة الخروبي وناحية باب الحديد الى قرب باب الشعرية . وكان شاهين أغا هناك عند المتاريس فأصابته جراحة فقام من مكانه ورجع القهقري فعند رجوعه وقعت الهزيمة ، ورجع الناس بدوسون بعضهم البعض ، وملك الفرنساوية كوم أبي الريش ، وصاروا يحاربون من كوم أبي الريش وهم في العلو والمسلمون أسفل منهم . وكان المحروقي زور كتابا على لسان الوزير وجاء به رجل يقول : انه رسول الوزير ، وأنه اختفى في طريق خفية ونظ من السور ، وأن الوزير يقدم بعد يومين أو ثلاثة ، وأنه تركه بالصالحية . وأن ذلك كذب لا أصل له وأن يكتب جوابا عن فرمان كتبوه على لسان المشايخ والتجار وأرسلوه الى الوزير في أثناء الواقعة .

هذا والبرديسي ومصطفى كاشف والأشقر يسعون في أمر الصلح الى أن تمموه على كف الحرب ، وأن الفرنساوية يمهلون العثمانية والأمراء ثلاثة أيام حتى يقضوا أشغالهم ويذهبوا حيث أتوا ، وجعلوا الخليج حدا بين الفريقين لا يتعدى أحد من الفريقين بر الخليج الآخر وأبطلوا الحرب وأخذوا النيران وتركوا القتال ، وأخذ العثمانية والأمراء والعسكر في أهبة الرحيل وقضاء أشغالهم وزودهم الفرنساوية وأعطوهم دراهم وجمالا وغير ذلك ،

وكسبوا بقصد الصلح فرماناً مضمونه : « أنهم يعوقون عندهم عثمان بيك البردسي وعثمان بيك الأشقر ويرسلون ثلاثة أنصار من أعيانهم يكونون بصحبة عثمان كتحدا حتى يصل إلى الصالحية وأن يوصلهم ساري عسكر داماس بثلاثمائة من العسكر خوفاً عليهم من العرب ، وأن من جاء منهم من جهة يرجع إليها ، ومن أراد الخروج من أهل مصر معكم فليخرج ، ما عدا عثمان بيك الأشقر ، فإنه إذا رجع الثلاثة مع الفرنسيات يذهب مع البردسي إلى مراد بيك بالصعيد » . وأرسلوا الثلاثة المذكورين إلى وكالة ذي الفقار بالجمالية ، وأجلسوهم بمسجد الجمالي صحبة نصوح باشا .

فهاجت العامة ، وراموا قتلهم ، وهما يقتل عثمان كتحدا ، فأغلق دوابهم باب الخان ومنع نصوح باشا للعامة من الهجوم على المسجد ، وركب المغربي فتوجه إلى الحسينية وطلب محاربة الفرنسيين فحضر أهل الحسينية إلى عثمان كتحدا يستأذنونهم في موافقة ذلك المغربي أو منعه ، فأمر بمنعه وكفهم عن القتال . وركب المحروقي عند ذلك ومر بسوق الخشب وقدامه المناداة بأن لاصح ولزوم المتأريس فمنعه نزلة أمين ، ثم فتح باب الوكالة وخرج منها عسكر بالمصى فهاجوا في العامة ، ففروا وسكن الحال .

وقد كان لما حصل ما تقدم من نقض الصلح ، ودخول العثمانية وعساكرهم إلى المدينة ، ووقع ما تقدم وكلفوا الناس الأمور الغير اللائقة .. حضر السيد أحمد المحروقي إلى الشيخ أبي الأنوار

السادات بجواب عن لسان عثمان كتحدا الدولة فكتب له الشيخ تذكرة صورتها :

« حسبنا الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير ، وما هي من الظالمين ببيعد .

ظننت أنك عدتي أسطو بها ويدي إذا اشتد الزمان وساعدي

فرميت منك بغير ما أملتته والمرء يشرق بالزلال البارد

أما بعد ، فقد نقضت عهدي ، وتركت مودة آل بيت جدي ، وأطعت الظلمة السفلة ، وامتلئت أمر

المارقين الثفلة ، فأعنتهم على البغي والجور ، وسارعت في تنجيز مرامهم الفاسد على الفور من الزامكم

الكبير والصغير ، والغنى والفقر ، أطعام عسكركم الذي أوقع بالمؤمنين الذل والمضرات ، وبلغ في النهب

والفساد غاية الغايات ، فكان جهادهم في أماكن الموبقات والملاهي حتى نزل بالمسلمين أعظم المصائب

والدواهي ، فاستحكم الدمار والخراب ، ومنعت الأقوات وانقطعت الأسباب . فبذلك كان عسكركم

مخدولاً ، وبهم عم الحريق كل بيت كان بالخير مشمولاً .. كيف لا ! وأكابركم أضمرت السوء

للسرتقة في تضيق معاشهم وأخذ مرتباتهم واتلاف ما بأيديهم من أرزاقهم وتعلقاتهم ، وقد أخفتم أهل

البلد بعد أمنها وأشعلتم نار الفتنة بعد طفتها ، ثم فررتم فرار الفيران من السنور ، وتركتكم الضعفاء

متوقعين أشنع الأمور .. فواغوثاه ! واغوثاه ! أغثنا يا غياث المستغيثين ، واحكم بعدلك يا حاكم الحاكمين ، وانصرنا وانتصر لنا فائنا عبيدك

الضعفاء المظلومون يا أرحم الراحمين ! » .

ذو الحجة

غرة (٢٦ أبريل ١٨٠٠ م) :

فيه خرج العثمانية وعساكرهم ، وإبراهيم بيك وأمرأؤه ومماليكه والألفى وأجناده ومعهم السيد عمر مكرم النقيب ، والسيد أحمد المحروقي الشاهبندر . وكثيرون من أهل مصر ركبانا ومشاة إلى الصالحية ، وكذلك حسن بيك الجداوى وأجناده . وأما عثمان بيك حسن ومن معه فرجعوا صحبة الوزير ، فلم يسع إبراهيم بيك وحسن بيك ترك جماعتهما خلفهما وذهابهم بأنفسهم إلى قبلى ، بل رجعا بجماعتهما على أثرهما وذاقوا وبال أمرهم . وانكشف الغبار عن نعمة المسلمين وخيبة أمل الذاهبين والمتخلفين . وما استفاد الناس من هذه العمارة ، وما جرى من الغارة ، إلا الخراب والسخام والهباب فكانت مدة الحرب والحصر بما فيها من الثلاثة أيام الهدنة ، سبعة وثلاثين يوما . . . وقع بها من الحروب والكروب والانزعاج والشتات والهباج ، وخراب الدور ، وعظائم الأمور ، وقتل الرجال ونهب الأموال ، وتسلب الأشرار ، وهتك الأحرار ، وخصوصا ما أوقع الفرساوية بالناس بعد ذلك مما سيتلى عليك بعضه . وخرب في هذه الواقعة عدة جهات من أخطاط مصر الجلييلة ، مثل جهة الأزبكية الشرقية من حد جامع عثمان والفوالة وحارة كتخدا ورصيف الحشباب وخطة الساكت . . إلى بيت سارى عسكر بالقرب من قنطرة الدكة . وكذلك جهة باب الهواء إلى حارة النصارى من الجهة القبليية . وأما بركة الرطلى وما حولها من

الدور والمتنزهات والبساتين فانها صارت كلها تلالا وخرائب وكيما نأتربة ، وقد كانت هذه البركة من أجل متنزهات مصر قديما وحديثا ، وبالقرب منها المقصف المعروف بدهليز الملك والبربخ والجسر ، وكانت تعرف ببركة الطوايين ، ثم عرفت ببركة الحاجب منسوبة للأمير بكتمر الحاجب ، من أمراء الملك الناصر محمد بن قلاوون لأنه هو الذى احتقرها وأجرى إليها الماء من الخليج الناصرى ، وبنى القنطرة المنسوبة إليه ، وعمر عليها الدور والمناظر ، وبنى على الجسر الفاصل بينها وبين الخليج دورا بهية . وكان هذا الجسر من أجل المتنزهات ، وقد خربت منازلها في القرن العاشر في واقعة السلطان سليم خان مع الغورى ، وصار محله بستانا عظيما قطع أشجاره وغالب نخيله الفرساوية .

وكان للقاضى ابن الجيعان عليها دور جلييلة ، ومسجده - المعروف به إلى الآن - بشاطئها . ومسجد الحرثى . وعرفت ببركة الرطلى لأنه كان في شرقها زاوية بها نخل كثير ، وفيها شخص يصنع الأبطال الحديد التى تزن بها الباعة ، يقال له الشيخ على الرطلى ، فنسبت إليه . وفيها يقول بعضهم :

في أرض طبالتنا بركة

مدهشة للعين والعقل

ترجح في ميزان عقلى على

كل بحار الأرض بالرطل

وقوله : « في أرض طبالتنا بركة » يعنى أن هذه البركة من جملة أرض الطبالة .

والطباله امرأة مغنية مشهورة في آخر دولة
الآخشيدي . فلما حضر المغربي معتمد الفاطمي الى مصر
— وكان يدعى الامامة والخلافة دون بني العباس —
فخرجت اليه بحقوقتها ومشت أمامه تزفه بالدقوف
وتقول :

يا بني العباس ردوا ملك الأمر معي
ملككم ملك معار والمواري تسترد
فأعجبه ذلك ، وأراد أن ينعم عليها ، فتمنت
عليه أن يقطعها هذه الأرض .. فأقطعها إياها ،
فعرفت بها .

ومما تخرب أيضا حارة المقس من قبل سوق
الخشب الى باب الحديد . وجميع ما في ضمن ذلك
من الحارات والدور صارت كلها خرائب متهدمة
محترقة تسكب عند مشاهدتها العبرات . ويتذكر
بها ما يتلى في حق الظالمين من الآيات « فتلك بيوتهم
خاوية بما ظلموا . ان في ذلك لآية لقوم يعقلون » .

ودخل الفرنساوية الى المدينة يسعون ، والى
الناس بعين الحقد ينظرون ، واستولوا على ما كان
اصطنعه وأعدته العثمانية من المدافع والقنابر
والبارود وآلات الحرب جميعها . وقيل انهم
حاسبوهم على كلفته ومصاريفه ، وقبضوا ذلك من
الفرنساوية .

وركب المشايخ والأعيان عصر ذلك اليوم وذهبوا
الى كبير الفرنسيين ، فلما وصلوا الى داره ودخلوا
عليه وجلسوا ساعة ، أبرز اليهم ورقة مكتوبا فيها
« النصر لله الذي يريد أن المنصور يعمل بالشفقة
والرجة مع الناس » . وبناء على ذلك سارى عسكر
العام يريد أن ينعم بالعفو العام والخاص على أهل
مصر وعلى أهل بر مصر ، ولو كانوا يخالطون
الغشلي في الحروب ، وانهم يشتغلون بمعاشهم
وصنائعهم . ثم لبس عليهم بحضورهم الى قبة
النصر بكرة تاريخه . ثم قاموا من عنده وشقوا

المدينة وطاقوا بالأسواق وبين أيديهم المناداة للرية
بالاطمئنان والأمان .

فلما أصبح ذلك اليوم ، ركبت المشايخ
والوجاقلية وذهبوا الى خارج باب النصر . وخرج
أيضا القلقات والنصارى القبط والشوام وغيرهم .
فلما تكامل حضور الجميع رتبوا موكبا وساروا
ودخلوا من باب النصر وقدامهم جماعة من القواسم
يأمرون الناس بالقيام وبعض فرنساوية راكبين خيلا
وبأيديهم سيوف مسلولة ينهرون الناس ويأمرونهم
بالوقوف على أقدامهم ، ومن تباطأ في القيام أهانوه .
فاستمرت الناس وقوفا من ابتداء سير الموكب الى
انتهائه . ثم تلا الطائفة الآمرة للناس بالوقوف جمع
كثير من الخيالة الفرنسية بأيديهم سيوف مسلولة ،
وكلهم لابسون جوخا أحمر وعلى رؤوسهم طراير من
الفراوى على غير هيئة خيالتهم ومشاتهم . ثم تتالى
بعد هؤلاء طوائف العساكر بيوقاتهم وطبولهم
وزمورهم واختلاف أشكالهم وأجناسهم وملابسهم
من خيالة ورجالة ، ثم الأعيان والمشايخ والوجاقلية
وأتباعهم .. الى أن قدم سارى عسكر الفرنسية
وخلف ظهره عثمان بيك البرديسى وعثمان بيك
الأشقر وخلفهم طوائف من خيالة الفرنسيين . ولما
انقضى أمر الموكب نادوا بالزينة فزينت البلد ثلاثة
أيام آخرها يوم الثلاثاء مع السهر ووقود القناديل
ليلا ، ثم دعاهم في يوم الأربعاء وعمل لهم سماطا
عظيما على طريقة المصرية . وبعد انقضاء الوليمة
والطعام خاطبهم على لسان الترجمان يقول لهم :
« ان سارى عسكر يقول لكم انكم تأتون اليه
بعد غد يوم الجمعة ، ويعمل معكم تدييرا ويرتب
الديوان لأجل تنظيم البلد وصلاح حالكم وحال
الرية » . وقلدوا في ذلك اليوم محمد أغا الطناني
أغات مستحفظان وركب ونادى بالأمان . وأعطوا
البكرى بيت عثمان كاشف كتخدا الحج — وهو
بيت البارودى الثانى — فسكن به وشرع في

تنظيمه وفرشه ، ولبسوه في ذلك اليوم قروة
سور ، فقاموا من عنده فرحين مطمئنين
مستبشرين .

٧ منه (٢ مايو ١٨٠٠ م) :

ذهب الى مراد بيك بجزيرة الذهب باستدعاء
فمد لهم أسطة عظيمة ، والبسط معهم ، وافتخر
افتخارا زائدا ، وأهدى الى بعضهم هدايا جلية
وتقادم عظيمة ، وأعطاه ما كان أرسله درويش باشا
معمونة للباشا والأمراء من الأغنام وغيرها ، وكانت
نحو الأربعة آلاف رأس ، وولوه امارة الصعيديين
جرجا الى اسنا ورجع عائدا الى داره بالأزبكية .

٨ منه (٣ مايو ١٨٠٠ م) :

في صباحها بكروا بالذهاب الى بيت صارى عسكر
ولبسوا أفخر ثيابهم وأحسن هيئاتهم ، وطمع كل
واحد منهم ، وظن أن سارى عسكر نقله في هذا
اليوم أجل المناصب أو ربما حصل التغيير والتبديل
في أهل الديوان فيكون في الديوان الخصوصي .
فلما استقر بهم الجلوس في الديوان الخارج أهملوا
حصة طويلة لم يؤذن لهم ولم يحاطبهم أحد . ثم فتح
باب المجلس الداخل وطلبوا الى الدخول فيه ،
فدخلوا وجلسوا حصة مثل الأولى ، ثم خرج اليهم
سارى عسكر ، وصحبته الترجمان وجماعة من
أعيانهم . فوضع له كرسى في وسط المجلس ، وجلس
عليه ، ووقف الترجمان وأصحابه حواليه ، واصطف
الوجاقلية والحكام من ناحية ، وأعيان النصاري
والتجار من ناحية . وعثمان بيك الأشقر والبرديسي
أيضا حاضرا .

وكلم سارى عسكر الترجمان كلاما طويلا
بلغتهم حتى فرغ ، فالتفت الترجمان الى الجماعة
وشرع يفسر لهم مقالة سارى عسكر ، ويترجم
عنها بالعربي . والجماعة يسمعون . فكان ملخص
ذلك القول : أن سارى عسكر يقول

لكم يطلب منكم عشرة آلاف الف .. الى آخر
العبارة الآتية . وأما هذه العبارة فانه
قالها المهدي فقط : « اتنا لما حضرنا الى بلدكم
هذه نظرنا أن أهل العلم هم أعقل الناس
والناس بهم يقتدون ولأمرهم يمثلون . ثم انكم
أظهرتم لنا المحبة والمودة . وصدقنا ظاهر حالكم
فاصطفيناكم وميزناكم على غيركم واخترناكم لتدبير
الأمر وصالح الجمهور . فرتبنا لكم الديوان
وغمرناكم بالاحسان ، وخففنا لكم جناح الطاعة ،
وجعلناكم مسموعى القول مقبولى الشفاعة .
وأوهمتمونا أن الرعية لكم ينقادون ولأمركم ونهيكم
يرجعون . فلما حضر العثماني فرحتم لقدومهم ، وقسم
لنصرتهم ، وثبت عند ذلك تفاقكم لنا » .

فقالوا له : « نحن ما قمنا مع العثماني الا عن
أمركم ، لأنكم عرفتمونا أننا صرنا في حكم العثماني
من ثاني شهر رمضان ، وأن البلاد والأموال
صارت له ، وخصوصا وهو سلطاننا القديم
وسلطان المسلمين . وما شعرنا الا بحدوث هذا
الحادث بينكم وبينهم على حين غفلة ، ووجدنا
أنفسنا في وسطهم ، فلم يمكننا التخلف عنهم »

فرد عليهم الترجمان ذلك الجواب ، ثم أجابهم
بقوله : « ولأى نبيء لم تمنعوا الرعية عما فعلوه
من قيامهم ومعاربتهم لنا ؟ » .

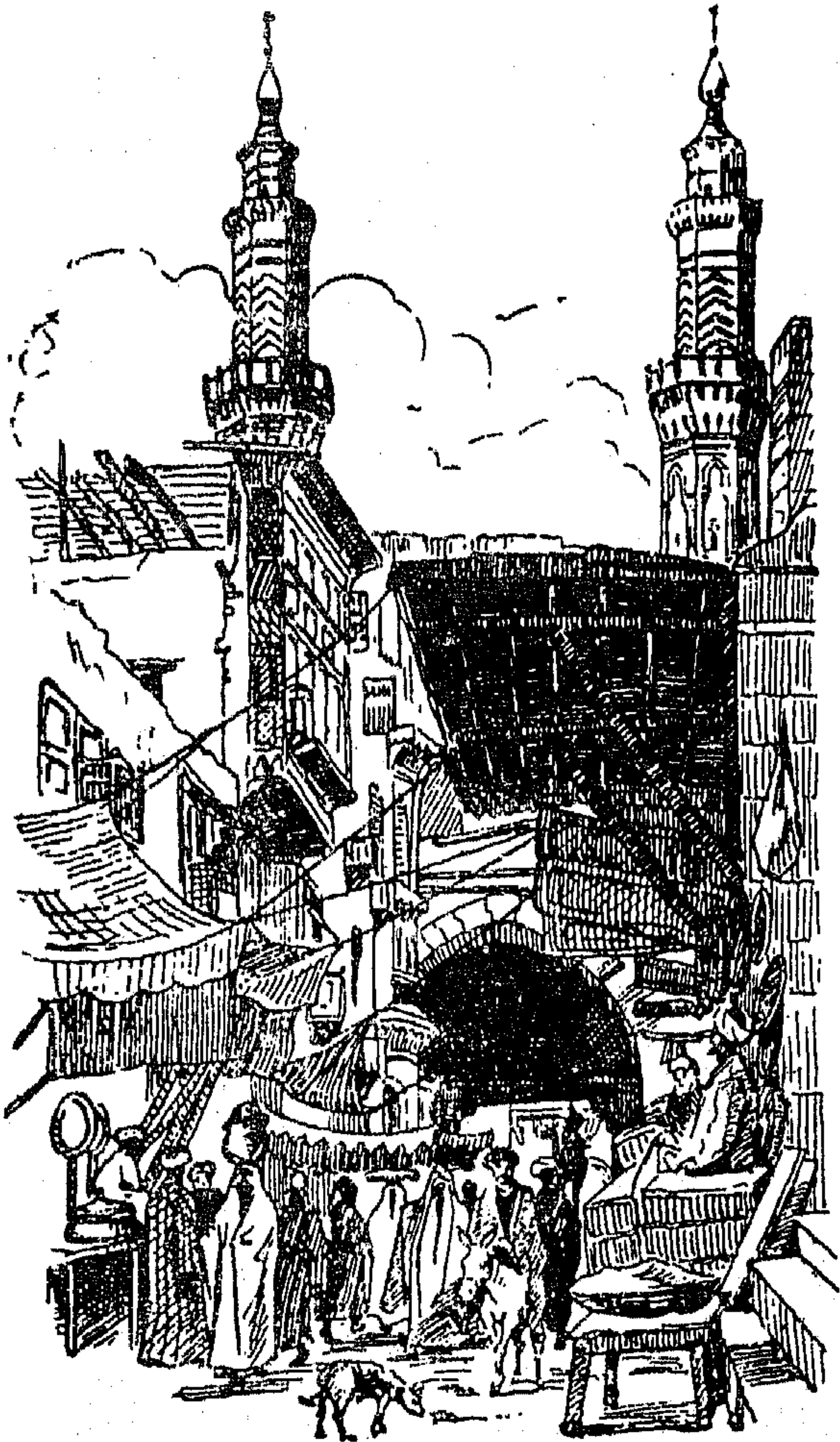
فقالوا : « لا يسكننا ذلك ، خصوصا وقد تقووا
علينا بعيرنا ، وسعتم ما فعلوه معنا من ضربنا
وبهدلتنا عند ما أشرنا عليهم بالصلح وترك القتال » .
فقال لهم : « وإذا كان الأمر كما ذكرتم ، ولا
يخرج من بدكم تسكين الفتنة ولا غير ذلك ، فما
فائدة رياستكم ؟ وايش يكون تفعلكم ؟ وحيشذ
لا يأتينا منكم الا الضرر ، لأنكم اذا حضر
أخصامنا قسمتم معهم وكنتم واباهم علينا ،
واذا ذهبوا رجعتهم اليينا معتذرين ، فكان
جزاؤكم أن تفعل معكم كما فعلنا مع أهل بولاق

من قتلکم عن آخرکم وحرقت بلدکم وسبی حريمکم وأولادکم ، ولكن حيث أننا أعطيناکم الأمان فلا ننقض أماننا ولا تقتلکم وانما نأخذ منکم الأموال . فالملطوب منکم عشرة آلاف ألف فرنك ، عن کل فرنك ثمانية وعشرون فضة يكون فيها ألفا ألف فرانسة عنها خمس عشرة خزنة رومی بثلاث عشرة خزنة مصري، منها خمسمائة ألف فرانسة على مائتين . على الشيخ السادات خاصة من ذلك خمسمائة وخمسة وثلاثون ألفا ، والشيخ محمد بن الجوهري خمسون ألفا ، وأخيه الشيخ فتوح خمسون ألفا ، والشيخ مصطفى الصاوي خمسون ألفا ، والشيخ العناني مائتان وخمسون ألفا تقتطعها من ذلك نظير نهب دور الفارين مع العثملى ، مثل المحروقى والسيد عمر مكرم وحسين أغا شنن . وما بقى تدبرون رأيکم فيه وتوزعونه على أهل البلد وتركون عندنا منکم خمسة عشر شخصا . انظروا من يكون فيکم رهينة عندنا حتى تغلقوا ذلك المبلغ ا .

وقام من فوره ودخل مع أصحابه الى داخل ، وأغلق بينه وبينهم الباب . ووقفت الحرسية على الباب الآخر يمنعون من يخرج من الجالسین . فبهت الجماعة وانتفعت وجوههم ، ونظروا الى بعضهم البعض وتحيرت أفكارهم . ولم يخرج عن هذا الأمر الا البكرى والمهدى .. لكون البكرى حصل له ما حصل فى صحائفهم والمهدى حرق بيته برأى منهم . وكان قبل ذلك ثقل جميع ما فيه بداره بالخرنقش ، ولم يترك به الا بعض الحصر ولم يكن به غير بعض الخدم ، وكان يستعمل المداينة وينافق الطرفين بصناعته وعادته .

ولم تزل الجماعة فى حيرتهم وسكرتهم وتمنى كل منهم انه لم يكن شيئا مذكورا ، ولم يزالوا على ذلك الحال الى قريب العصر حتى بال أكثرهم على ثيابه ، وبعضهم شرشر ببوله من شبك المكان .

وصاروا يدخلون على نصارى القبط ، ويقعون فى عرضهم . فالذى انحسر فيهم ، ولم يكن معدودا من الرؤساء ، أخرجوه بحجة أو سبب ، وبعضهم ترك مداسه وخرج حافيا وما صدق بخلاص نفسه ! هذا والنصارى والمهدى يتشاورون فى تقسيم ذلك وتوزيعه وتديره وترتيبه فى قوائم حتى وزعوها على الملتزمين وأصحاب الحرف ، حتى على الحواة والقردتية والمحبطين والتجار وأهل الغورية وخان الخليلى والصاغة والنحاسين والدلالين والقبانية وقضاة المحاكم وغيرهم . كل طائفة مبلغ له صورة مثل ثلاثين ألف فرانسة وأربعين ألف .



شارع النحاسين

وكذلك يباعو التبناك والدخان والصابون ،
والخردجية والطارون والزياتون والشواءون
والجزارون والمزينون وجميع الصنائع والحرف .
وعملوا على أجرة الأملاك والعقار والدور أجرة
سنة كاملة . ثم انهم استأذنوا للمشايخ : الخالص
يتوجه حيث أراد ، والمشبولك يلزمون به جماعة من
العسكر حتى يغلق المطلوب منه . فأما الصاوى
وفتوح بن الجوهري فحبسوهما بيت قائمقام .
والعنانى هرب فلم يجدوه وداره احترقت ، فأضافوا
غرامته على غرامة الشيخ السادات كملت بها مائة
 وخمسين ألف فرانسة وانفض المجلس على ذلك .
وركب سارى عسكر من يومه ذلك وذهب الى
الجزيرة ، ووكل يعقوب القبطى يفعل فى المسلمين
 ما يشاء وقائمقام والخازندار لرد الجوابات وقبض
 ما يتحصل وتدير الأمور والرهونات . ونزل
 الشيخ السادات وركب الى داره ، فذهب معه
 عشرة من العسكر وجلسوا على باب داره . فلما
 مضت حصة من الليل حضر اليه مقدار عشرة من
 العسكر أيضا فأركبوه وطلعوا به الى القلعة
 وحبسوه فى مكان . فأرسل الى عثمان بيك
 البرديسى وتدخل عليه فشفع فيه . فقالوا له :
 « أما القتل فلا تقتله لشفاعتك وأما المال فلا بد من
 دفعه ، ولا بد من حبسه وعقوبته حتى يدفعه » .
 وقبصوا على فراشه ومقدمه وحبسوهما . ثم
 أنزلوه الى بيت قائمقام فكث به يومين ، ثم
 أصعدوه الى القلعة ثانيا وحبسوه فى حاصل يناس
 على التراب ويتوسد بحجر وضربوه تلك الليلة ،
 فأقام كذلك يومين ثم طلب زين الفقار كتحدا فطلع
 اليه هو وبرطلمان فقال لهما : « أنزلونى الى دارى
 حتى أسعى وأبيع متاعى وأسهل حالى » فاستأذنوا
 له وأنزلوه الى داره فأحضر ما وجده من الدراهم
 فكانت تسعة آلاف ريال معاملة عنها ستة آلاف ريال
 فرانسة . ثم قوموا ما وجدوه من المصاغ والفضيات

والفراوى والملابس وغير ذلك بأبخس الثمن ، فبلغ
 ذلك خمسة عشر ألف فرانسة ، فبلغ المدفوع بالنقدية
 والمقومات أحدا وعشرين ألف فرانسة . والمحافظون
 عليه من العسكر ملازموه لا يتركونه يطلع الى
 حريمه ولا الى غيره . وكان وزع حريمه وابنه الى
 مكان آخر .

وبعد أن فرغوا من الموجودات ، جاسوا خلال
 الدار يفتشون ويخفرون الأرض على الخبايا
 حتى فتحوا الكنيفات ونزلوا فيها ، فلم يجدوا
 شيئا . ثم نقلوه الى بيت قائمقام ماشيا وصاروا
 يضربونه خمس عشرة عصا فى الصباح ومثلها فى
 الليل . وطلبوا زوجته وابنه فلم يجدوهما ، فأحضروا
 محمد السندوبى تابعه وقرروه حتى عاين الموت
 حتى عرفهم بمكانهما فأحضروهما . وأودعوا ابنه
 عند أغات الانكشارية وحبسوا زوجته معه فكانوا
 يضربونه بحضرتها وهى تبكى وتصيح وذلك زيادة
 فى الانكاء .

ثم ان المشايخ : وهم الشرقاوى والفيومى
 والمهدى والشيخ محمد الأمير وزين الفقار كتحدا
 تشفعوا فى نقلها من عنده ، فنقلوها الى بيت
 الفيومى وبقي الشيخ على حاله . وأخذوا مقدمه
 وفراشه وحبسوهما ، وتغيب أكثر أتباعه واختفوا .
 ثم وقعت المراجعة والشفاعة فى غرامة الشيخ فتوح
 الجوهري والصاوى فأضعفوها وجعلوها على كل
 واحد منهما خمسة عشر ألف فرانسة ورد الباقي
 على الفردة العامة . وأما الشيخ محمد بن الجوهري
 فانه اختفى فلم يجدوه فنهبوا داره ودار لسيه
 المعروف بالشويخ .

ثم انه توسل بالست نفيسة زوجة مراد بيك
 فأرسلت الى مراد بيك — وهو بالقرب من
 الفشن — فأرسل من عنده كاشفا وتشفع
 فيه فقبلوا شفاعته ورفعوها عنه وردوها أيضا
 على الفردة العامة .



زوجة احد الاكابر

داره . فان لم يجدوا شيئا ردوا غرامته على أبناء
جنسه وأهل حرفته .

وتناولت النصارى من القبط والنصارى الشوام
على المسلمين بالسب والضرب ونالوا منهم أغراضهم
وأظهروا حقدهم ولم يبقوا للصلح مكانا . وصرحوا
بانقضاء ملة المسلمين وأيام الموحدين .

هذا والكتبة والمهندسون والبناءون يطوفون
وبحررون أجر الأماكن والعقارات والوكائل
والحمامات ويكتبون أسماء أربابها وقيمتها .
وخرجت الناس من المدينة وجلوا عنها وهربوا الى
القرى والأرياف .

ثم ان أكثر الفارين رجع الى مصر لضيق القرى
وعدم ما يتعيشون به فيها ، وانزعاج الريف بقطاع
الطريق والعرب والمناسر بالليل والنهار ، والقتل فيما
بينهم ، وتعدي القوى على الضعيف .

واستمرت الطرق مجفرة ، والأسواق مغفرة ،
والحوادث مقلوبة ، والعقول مخبولة ، والخانات
والوكائل مغلوبة ، والنفوس مطبوعة .. والغرامات
نازلة ، والأرزاق عاطلة ، والمطالب عظيمة ، والمصائب
عميمة ، والعكوسات مقصودة ، والشفاعات مردودة ،
واذا اراد الانسان ان يفر الى أبعد مكان ، وينجو

ثم انهم وكلوا بالفردة العامة وجميع المال يعقوب
القبطى وتكفل بذلك وعمل الديوان لذلك بيت
البارودى ، وألزموا الأغا بعدة طوائف كتبوها في
قائمة بأسماء أربابها وأعطوه عسكرا وأمروه
بتحصيلها من أربابها . وكذلك على أغا الوالى
الشعراوى وحسن أغا المحتسب وعلى كتحدا
سليمان بك ... فنبهوا على الناس بذلك ، وبثوا
الأعوان بطلب الناس وجسهم وضربهم .

فدهى الناس بهذه النازلة التى لم يصابوا
بمثلها ولا ما يقاربها . ومضى عيد النحر ولم يلتفت
اليه أحد ، بل ولم يشعروا به ونزل بهم من البلاء
والذل ما لا يوصف .. فان أحد الناس : غنيا كان
أو فقيرا ، لابد وأن يكون من ذوى الصنائع أو الحرف
فيلزمه دفع ما وزع عليه فى حرفته أو فى حرفته
وأجرة داره أيضا سنة كاملة . فكان يأتى على الشخص
نمراتان أو ثلاث ونحو ذلك ، وفرغت الدراهم من
عند الناس واحتاج كل الى القرض ، فلم يجد طالب
الدين من يدينه لشغل كل فرد بشأنه ومصيبته .
فلزمهم بيع المتاع فلم يوجد من يشتري . وإذا
أعطوهم ذلك لا يقبلونه فضاق خناق الناس وتمنوا
الموت فلم يجدوه .

ثم وقع الترجى فى قبول المصاغات والفضيات
فأحضر الناس ما عندهم فيقوم بأبخس الأثمان . وأما
أثاث البيوت من فرش ونحاس وملبوس ، فلا يوجد
من يأخذه . وأمروا بجمع البغال ومنعوا المسلمين من
ركوبها مطلقا سوى خمسة أنفار من المسلمين ، وهم :
الشرقاوى والمهدى والفيومى والأمير وابن محرم ..
والنصارى المترجمين وخلافهم لا حرج عليهم .

وفى كل وقت وحين يشتد الطلب وتنبت المعينون
والعسكر فى طلب الناس .. وهجم الدور وجرجرة
الناس حتى النساء من أكابر وأصاغر وبهدلتهم
وجسهم وضربهم . والذى لم يجدوه — لكونه فر
وهرب — يقبضون على قريبه أو حريمه أو ينهبون

بنفسه ، ويرضى بغير أبناء جنسه .. لا يجد طريقا للذهاب ، وخصوصا من الملاعين الأعراب ، الذين هم أقبح الأجناس ، وأعظم بلاء محيط بالناس . وبالجملة فالأمر عظيم ، والخطب جسيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم « وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة . ان أخذه أليم شديد » .

٢٠ منه (١٥ مايو ١٨٠٠ م) :

انتقلوا بديوان الفردة من بيت البارودى الى بيت القيسرى بالميدان ، ووقع التشديد في الطلب والانتقام بأدنى سبب .

وانقضى هذا العام وما جرى فيه من الحوادث العظام . باقليم مصر والشام ، والزوم والبيت الحرام :

فمنها — وهو أعظمها — تعطيل الثغور ، ومنع المسافرين برا وبحرا ، ووقوف الانكليز بشعر اسكندرية ودمياط ، يمنعون الصادر والوارد ، وتحطوا أيضا بمراكبهم الى بحر القلزم

ومنها : انقطاع الحج المصرى في هذا العام أيضا ، حتى لم يرجع المحمل ، بل كان مودوعا بالقدس . فلما حضر العساكر الاسلامية ، أحضروه صحبتهم الى بليس فيقال ان السيد بدرا رجع به الى جبل الخليل

ومنها : وقوف العرب وقطاع الطريق ، بجميع الجهات القبلية والبحرية والشرقية والغربية والمنوفية والقلوبية والدقهلية ، وسائر النواحي فمنعوا السيل — ولو بالخفارة — وقطعوا طريق السفار ، ونهبوا المارين من أبناء السيل والتجار ، وتسلبوا على القرى والفلاحين ، وأهالى البلاد والحرف بالعمى والخطف للمتاع والمواشى من البقر والغنم والجمال والحمير ، وافساد المزارع ورعيها حتى كان أهل البلاد لا يمكنهم الخروج

بيئاتهم الى خارج القرية للرعى أو للسقى لترصد العرب لذلك .

ووثب أهل القرى على بعضهم بالعرب ، فداخلوهم ، وتطاولوا عليهم ، وضربوا عليهم الضرائب ، وتلبسوا بأنواع الشرور ، واستعان بعضهم على بعض ، وقوى القوى على الضعيف ، وطمعت العرب في أهل البلاد ، وطالبوهم بالثارات والعوائد القديمة الكاذبة وآن وقت الحصاد فاضطروا لمسالمتهم لقلعة الضم .

فلما انقضت حروب الفرنسيين نزلوا الى البلاد ، واحتجوا عليهم بمصادقتهم العرب .. فضربوهم ، ونهبوهم ، وسبواهم ، وطالبوهم بالمغارم والكلف الشاقة ، فاذا انقضوا وانتقلوا عنهم .. رجعت العرب على اثرهم . وهكذا كان حالهم ا « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » .

ومنها : أن النيل قصر مده في هذه السنة ، فشرقت البلاد ، وارتحل أهل البحيرة الى المنوفية والغربية فاستحسن رحيل عربان البحيرة لأنه بقى لهم في الحى نخيل .

ومنها أنه لما حضرت العثمانية ، وشاع أمر الصلح وخضوع الفرساوية لهم .. نزل طائفة من الفرنسيين الى المنوفية ، وطلبوا من أهلها كلفة لرحيلهم فلما مروا بالمحلة الكبيرة ، تعصب أهلها ، واجتمعوا الى قاضيها ، وخرجوا لحربهم .. فآكن الفرنسيين لهم ، وضربوا عليهم طلقا بالمدافع والبنادق ، فقتلوا منهم يفا وستمائة انسان — ومنهم القاضى وغيره — ولم ينج منهم الا من فر وكان طويل العمر . وكذلك أهل طنتداء ، عند حضورهم اليهم ، وصل اليهم رجل من الجزائريين المنتسبين للعثمانية ، من جهة الشرق لزيارة سيدى أحمد البدوى ، وهو راكب على فرس ، وحوله نحو الخمسة أنفار . وكان بعض الفرنسيين بداخل البلدة يقضون بعض أشغالهم ، فصاحت السوق

والبياعون — عند رؤية ذلك الرجل — بقولهم « نصر الله دين الاسلام » وهاجبوا وماجبوا ولقلقت النساء بالسنتهن ، وصاحت الصبيان ، وسخروا بالفرنسيس ، وتراموا بما على رؤوسهم ، وضربوهم وجرحوهم وطردوهم .. فتسحبوا من عندهم ، فغابوا ثلاثة أيام ، ورجعوا اليهم بجمع من عسكرهم ، ومعهم الآلات من المدافع .. فاحتاطوا بالبلدة ، وضربوا عليهم مدفعا ارتجوا له ، ثم هجموا عليهم ، ودخلوا اليهم ، وبأيديهم السيوف المسلولة ، ويقدمهم طلبهم ، وطلبوا خدمة الضريح الذين يقال لهم « أولاد الخادم » — وهم ملتزمو البلدة وأكابرها ، ومتهمون بكثرة الأموال من قديم الزمان .. وكانوا قبل ذلك بنحو ثلاثة أشهر قبضوا عليهم باغراء القبط ، وأخذوا منهم خمسة عشر ألف ريال فرانسة بحجة مسالمتهم للعرب ! فلما وصلوا الى دورهم طلبوهم ، فلم يمكنهم التغيب ، خوفا على نهب الدور ، وغير ذلك .. فظهروا لهم فأخذوهم الى خارج البلد ، وقيدوهم ، وأقاموا نحو خمسة أيام خارجها ، يأخذون في كل يوم ستمائة ريال سوى الأغنام والكلف . ثم ارتحلوا وأخذوا المذكورين صحبتهم الى منوف ، وحبسوهم أياما ، ثم نقلوهم الى الجيزة أيام الحرارة بمصر . فلما انقضت تلك الأيام ، وسرحوا في البلاد .. نزلت طائفة الى طنتداء ، وهم بصحبتهم ، وقرروا عليهم أحدا وخمسين ألف ريال فرانسة ، وعلى أهل البلدة كذلك ، بل أزيد ، وأقاموا حول البلد محافظين عليهم ، وأطلقوا بعضهم ، وحجزوا المسمى بمصطفى الخادم لأنه صاحب الأكثر في الوظيفة والالتزام ، وطالبوه بالمال . وفي كل وقت ينوعون عليه العقاب والعذاب والضرب ، حتى على كفوف يديه ورجليه ، ويربطونه في الشمس في قوة الحر والوقت مصيف ، وهو رجل جسيم كبير الكرش ، فخرجت له نفاخت في جسده .

ثم أخذوا خليفة المقام أيضا وذهبوا به الى منوف ، ثم رذوه وولوه رياسة جمع الدراهم المطلوبة من البلد . فوزعت على الدور والخوانيت والمعاصر وغير ذلك .

واستمروا على ذلك الى انقضاء العام ، حتى أخذوا عساكر المقام — وكانت من ذهب خالص زنتها نحو خمسة آلاف مثقال — وأما المحلة الكبرى فانهم رجعوا عليها ، وقرروا عليها نيفا ومائة ألف ريال فرائسة ، وأخذوا في تحصيلها وتوزيعها ، وهجموا دورها ، وتتبع المياسير من أهلها .

كل ذلك مع استمرار طلب الكلف الشاقة في كل يوم منها ، ومن طنتداء . والتعنت عليهم وتسلط طوائف الكشوفية التابعين لهم ، الذين هم أقبح في الظلم من الفرنسيين ، بل ومن العرب . فانهم معظم البلاء أيضا ، فانهم هم الذين يعرفون دسائس أهل البلاد ، ويشيعون أحوالهم ، ويتجسسون على عوراتهم ، ويفرون بهم .

واستمروا على ذلك أيضا . « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون » .

ومنها : أنه لما وقع الصلح بين العثمانية والفرنساوية ، أرسل الوزير فرمانات للشعور باطلاق الأسافيل وحضور المراكب والتجار بالبضائع وغيرها الى ثغر سكندرية ، وصحبته ثلاثة غلايين سلطانية ، وسفن مشحونة بالذخيرة لحضرة الوزير ولوازم العسكر العثماني .

فلما قربوا من الثغر ، أقاموا البندبرات ، وضربوا مدافع للشنك ، فطمعهم فرنساوية ، وأظهروا لهم المسالمة ، وأظهروا لهم بنديرة العثماني . فدخلوا الى المينا ، ورموا مراسيهم ، ووقعوا في



الكاشف ومساعدوه بالريف يجنون الفرائص

ومنها أيضا : أنه بعد انقضاء المحاربة واستيلاء الفرنسيين على المخازن والغلال التي كان جمعها العثمانية من البلاد الشرقية ، وبعض البلاد الغربية والقليلية ، وكذلك الشعير والأتبان .. طلب الفرنسيون مثل ذلك من البلاد ، وقرروا على النواحي غلالا وشعيرا وفولا وتبنا وزادا وخيلا وجمالا ، فوقع على كل اقليم زيادة عن ألف فرس وألف جبل ، سوى ما يدفع مصالحة على قبولها للوساطة وهو نحو ثمنها أو أزيد .

وكذلك التعت في تقض الغلال وغربلتها وغير ذلك . وكل ذلك بارشاد القبطة وطوائف البلاد ، لأنهم هم الذين تقلدوا المناصب الجليلة ، وتقاسموا الأقاليم ، والتزموا لهم بجمع الأموال . ونزل كل كبير منهم الى اقليم ، وأقام بسرة الاقليم مثل الأمير الكبير ، ومعه عدة من العساكر الفرنسية ، وهو في أبهة عظيمة ، وصحبته الكتبة والسيارف والأتباع والأجناد من الغز البطالة وغيرهم ، والخيام والخدم والفراشون والطباخون والحجاب . وتقاد بين يديه الجنائب والبغال والرهوانات والخيول المسومة والقواسم والمقدمون وبأيدهم الحراب المفضضة والمذهبة والأسلحة الكاملة والجمال الحاملة .

ويرسل الى ولايات الاقليم من جهته المستوفين من القبط أيضا بمنزلة الكشاف ، ومعهم العسكر

فخ الفرنسيين ، فاستولوا على الجميع ، وأخذوا مدافعهم وسلاحهم وجبسوا القباطين وأعيان التجار ، وأخذوا الملاحين والمتسبين من البحرية والنصارى الأروام ، وهم عدة وافرة أعطوهم سلاحا ، وزيوهم بزيتهم ، وأضافوهم الى عسكرهم ، وأرسلوهم الى مصر . فكانوا أقبح مذكور في تسلطهم على ايداء المسلمين .

ثم أخرجوا شحنة المراكب من بضائع وياميش وحازوه بأجمعه لأنفسهم . وبقي الأمر على ذلك ، وكان ذلك في أواسط شهر القعدة .

ومنها : أنه بعد تقض الصلح ، أرسل الفرنسيين عسكرا الى متسلم السويس الذي كان تولها من طرف العثمانية ، فتعصب معه أهل البندر ، فحاربوهم ، فغلبهم الفرنسيين وقتلوهم عن آخرهم !

ونهبوا البندر وما فيه من البن والبهار بحواصل التجار وغير ذلك .

ومنها : ان مراد بيك عند توجهه للصعيد بعد انقضاء الصلح ، أخذ ما جمعه درويش باشا من الصعيد ، من أغنام وخيول وميرة — وكان شيئا كثيرا — فتسلم الجميع منه ، وعدى درويش باشا الى الجهة الشرقية متوجها الى الشام . وأرسل مراد بيك جميع ذلك للفرنساوية بمصر .

ظن الفرنساوية والطوائف والجاويفية والصرافين
والمقدمين على الشرح المذكور . فينزلون على البلاد
والقرى ، ويطلبون المال والكلف الشاقة بالعسف ،
ويؤجلونهم بالساعات فان مضت ولم يوفوهم
المطلوب ، حل بهم ما حل من الحرق والنهب والسلب
والسبى وخصوصا اذا فر مشايخ البلدة من خوفهم
وعدم قدرتهم ، والا قبضوا عليهم وضربوهم
بالمقارع والكسارات على مفاصلهم وركبهم ،
وسحبوهم معهم في الجبال ، وأذاقوهم أنواع النكال ،
وخاف من بقى فصانعوهم وأتباعهم بالبراطيل
والرشوات ، وانضم اليهم الأسافل من القبط ،
والأراذل من المنافقين ، وتقربوا اليهم بما ستميلون
قلوبهم به ، وما يستجلبونه لهم من المنافع والمظالم
وأجهدوا أنفسهم في التشفى من بعضهم ، وما يوجب
الحقد والتحاسد الكامن في قلوبهم ، الى غير ذلك
مما تتعذر ضبطه « وما كنا مهلكى القرى الا وأهلها
ظالمون » .

ومات في هذه السنة ، السيد الأفضل ، والسند
الأكمل ، المقرئ ابن المقرئ ، والفهامة الذى بكل
فن على التحقيق يدري ، بدر أضاء في سماء العرفان ،
وعارف وضح دقائق المشكلات باتقان ، فله دره
من فاضل أبرز درر اللطائف من كنوزها ، وكشف
عن محذرات الفهوم لثامها ، فأظهر الأنفس من

تقيسها والأعز من عزيزها ، فلا غرو ، فانه بذلك
حقيق .. كيف لا وما ذكر من بعض صفاته التى
به تليق — العلامة الشريف الحسن بن على البدرى
العوضى .

ربى في حجر أبيه ، وحفظ القرآن والمتون ،
وأخذ عن أبيه علم القراءات ، وأتقن القراءات
الأربع عشرة ، بعد أن أتقن العربية والفقه وباقى
العلوم .

وحضر أشياخ الوقت ، وتمهر وأنجب وقرأ
الدروس ، ونظم الشعر الجيد ، وشهد له الفضلاء

وله تأليف وتقييدات وتحقيقات ، ورسائل
في فنون شتى ، ورسالة بليغة في قوله تعالى :
« أستكبرت أم كنت من العالين » . وكان الباعث
له على تأليفها ، مناقشة حصلت بينه وبين الشيخ
أحمد يونس الخليفى في تفسير الآية بمجلس على
بيك الدفتردار . فظهر بها على الشيخ المذكور ،
وأجازه الأمير المذكور بأن رتب له تدريساً
بالمشهد الحسينى ، ورتب له معلوما بوقفه .. وقدره
كل يوم عشرة أنصاف فضة ، يستغلها من جانب
الوقف في كل شهر .

واستمر يقبضها حتى مات في شعبان من هذه
السنة رحمه الله . ولم يحلف بعده مثله في الفضائل
والمعارف .

السبت ٢١ منه (١٤ يونيو ١٨٠٠ م) :

أعادوا الشيخ أحمد العريشى الى القضاء كما كان ، وعملوا له موكبا ، وركب معه أعيان الفرنسيين وسوارى عساكرهم بطبولهم وزمورهم ، والمشايخ والتجار والأعيان ، وبجانبه قائمقام عبد الله مينو الذى كان سارى عسكر برشيد . فلم يزالوا معه حتى أوصلوه الى المحكمة الكبرى بعد أن شقوا به المدينة .

وفيه : وقعت فادرة عجيبة ، وهى أن سارى عسكر كليبر (١) كان مع كبير المهندسين يسيرون بداخل البستان الذى بداره بالأزبكية فدخل عليه شخص حلبى وقصده فأشار اليه بالرجوع وقال له : « مافيش » وكررها فلم يرجع . وأوهمه أن له حاجة وهو مضطر فى قضائها . فلما دنا منه مد اليه يده اليسار كأنه يريد تقبيل يده ، فمد اليه الآخر يده فقبض عليه وضربه بخنجر كان أعده فى يده اليمنى أربع ضربات متوالية ، فشق بطنه وسقط الى الأرض صارخا ، فصاح رفيقه المهندس فذهب اليه وضربه أيضا ضربات وهرب . فسمع العسكر الذين خارج الباب صرخة المهندس ، فدخلوا مسرعين فوجدوا كليبر مطروحا وبه بعض الرمق ، ولم يجدوا القاتل . فانزعجوا وضربوا طلبهم وخرجوا مسرعين . وجروا من كل ناحية يفتشون على القاتل .

واجتمع رؤسائهم ، وأرسلوا العساكر الى الحصون والقلاع ، وظنوا أنها من فعل

(١) كان كليبر يقيم فى ذلك الحين بالجيزة ربما يتم اصلاح سرائى الالفى بك بالأزبكية .

(عبد الرحمن الرافعى - تاريخ الحركة القومية - ٢ ص ١١٢)

المحرم

الخميس ٥ منه (٢٩ مايو ١٨٠٠ م) :

أصعدوا الشيخ السادات (١) الى القلعة ، وكان أرسل الى كبار القبط بأن سعوا فى قضيته ورهن حصصه ، ويغلق الذى عليه . فردوا عليه بأنه لا بد من تشهيل قدر نصف الباقي أولا ، ولا يمكن غير ذلك . وأما الحصص فليست فى تصرفه .

ولما تكرر ارساله للنصارى وغيرهم قتلوه الى القلعة ومنعوه الاجتماع بالناس ، وهى المرة الثالثة . وفيه : أشيع حضور مراكب وغلايين من ناحية الروم الى ثغر سكندرية ، وسافر سارى عسكر كليبر وصحبته العساكر الفرنسية فغاب أياما ثم عاد الى مصر ولم يظهر لهذا الخبر أثر .

وفيه : طلبوا عسكرا من القبط فجمعوا منهم طائفة وزيوهم بزيهم ، وقيدوا بهم من يعلمهم كيفية حربهم ويدربهم على ذلك . وأرسلوا الى الصعيد فجمعوا من شبانهم نحو الألفين وأحضروهم الى مصر وأضافوهم الى العسكر .

(١) جاء فى مذكرات نابليون خاصا بالتهام الفرنسيين للسادات بالتحريض على ثورة القاهرة الاولى وما رآه نابليون من الابقاء عليه لما اعتقده من أن الحكم باعدامه يضر بمركز الفرنسيين اكثر مما ينفعهم . ويقول نابليون فى مذكراته أن الجنرال كليبر راجعه فى رايه هذا عقب اخماد الثورة الاولى (اكتوبر ١٧٩٨ م) وسأله كيف لا يقضى باعدامه وهو زعيم الثورة . فأجابه نابليون ان اعدام مثل هذا الشيخ الجليل لا يفيد الفرنسيين بل يؤدى الى عواقب وخيمة . ويقول نابليون أيضا « وقد وقعت بعد ذلك حوادث اثار ذكرى هذه الحادثة فان الشيخ السادات هذا هو الذى أمر الجنرال كليبر بتعديبه وضربه وكان هذا من أهم الأسباب التى أدت الى مقتل كليبر » .

(عبد الرحمن الرافعى - تاريخ الحركة القومية - ٢ ص ١٨٦)

أهل مصر . فاحتاطوا بالبلد ، وعمرؤا المدافع ، وحرروا القنابر وقالوا : « لا بد من قتل أهل مصر عن آخرهم » (١) .

ووقعت هوجة عظيمة في الناس وكرثة وشدة انزعاج ، وأكثرهم لا يدري حقيقة الحال . ولم يزالوا يفتشون على ذلك القاتل حتى وجدوه منزويا في البستان المجاور لبنت ساري عسكر المعروف بغيظ مصباح بجانب حائط متهدم ، فقبضوا عليه فوجدوه شاميا . فأحضروه وسألوه عن اسمه وعمره وبلده ، فوجدوه حلييا واسمه سليمان . فسألوه عن محل مأواه ، فأخبرهم أنه يأوي ويبيت بالجامع الأزهر ، فسألوه عن معارفه ورقائه ، وهل أخبر أحدا بفعله ؟ وهل شاركه أحد في رأيه وأقره على فعله أو نهاه عن ذلك ؟ وكم له بمصر من الأيام أو الشهور ، وعن صنعته وملته ؟ وعاقبوه حتى أخبرهم بحقيقة الحال . فعند ذلك علموا ببراءة أهل مصر من ذلك ، وتركوا ما كانوا عزموا عليه من محاربة أهل البلد . وقد كانوا أرسلوا أشخاصا من ثقاتهم تفرقوا في الجهات والنواحي يتفرون في الناس ، فلم يجدوا فيهم قرائن دالة على علمهم بذلك ، ورأوهم يسألون من الفرنسيين عن الخبر ، فتحققوا من ذلك براءتهم من ذلك .

ثم انهم امرؤا باحضار الشيخ عبد الله الشرقاوي والشيخ أحمد العريشي القاضي ، وأعلموهم بذلك وعوقوهم الى نصف الليل ، وألزموهم باحضار الجماعة الذين ذكرهم القاتل ، وأنه أخبرهم بفعله . فركبوا وصحبهم

(١) اتهمت انظار الفرنسيين في بادئ الامر الى اتيام المشايخ الذين عرفوا بالتحريض على الثورة الأخيرة والحض على تراهية الحكم الفرنسي واخذ ولاية الامور يبحثون عنهم وتطوع جماعة من المماليك برئاسة حسين كاشف مندوب مراد بيك للبحث من أولئك المشايخ ، واستصحبهم بعض ياوران القائد العام ولتشتروا منازلهم ولكنهم لم يجدوا ما يدنبهم أو يبعث على الاشتباه بهم . (ميد الرحمن الرافعي - تاريخ الحركة القومية - ٢ ص ١٩٩)

الأغا وحضروا الى الجامع الأزهر . وطلبوا الجماعة فوجدوا ثلاثة منهم ولم يجدوا الرابع ، فأخذهم الأغا وحبسهم ببيت قائم مقام بالأزبكية .

ثم انهم رتبوا صورة محاكمة (١) على طريقتهم في دعاوى القصاص ، وحكموا بقتل الثلاثة أنظار المذكورين مع القاتل ، وأطلقوا مصطفى افندي البرصلي ، لكونه لم يخبره بعزمه وقصده ... فقتلوا الثلاثة المذكورين (٢) لكونه أخبرهم بأنه عازم على قصده صبح تاريخه ولم يخبروا عنه الفرنسيين ، فكأنهم شاركوه في الفعل . وانقضت الحكومة على ذلك . وألفوا في شأن ذلك أوراقا ذكروا فيها صورة الواقعة وكيفيتها ، وطبعوا منها نسخا كثيرة باللغات الثلاث : الفرنسية والتركية والعربية .

وقد كنت أعرضت عن ذكرها لطولها وركاكة تركيبها لقصورهم في اللغة ، ثم رأيت كثيرا من الناس تتشوق نفسه الى الاطلاع عليها لتضمنها خبر الواقعة وكيفية الحكومة ، ولما فيها من الاعتبار وضبط الأحكام من هؤلاء الطائفة الذين يحكمون العقل ولا يتدينون بدين . وكيف وقد تجارى على كبيرهم ويعسوبهم .. رجل آفاقى أهوج ، وغدره . وقبضوا عليه وقرروه ، ولم يعجلوا بقتله وقتل من أخبر عنهم بمجرد الاقرار بعد أن عثروا عليه ووجدوا معه آلة القتل مضخة بدم صاري عسكرهم وأميرهم ، بل رتبوا حكومة ومحاكمة ، وأحضروا

(١) أصدر مينو في اليوم نفسه أمرا بتأليف محكمة عسكرية لمحاكمة قتلة كليبر ، وهذه المحكمة مؤلفة من تسعة أعضاء من كبار رجال الجيش وكانت رئاسة المحكمة للجنرال رينيه .

(ميد الرحمن الرافعي - تاريخ الحركة القومية - ٢ ص ١٠٩)

(٢) أقر سليمان الحلبي بأن المحرضين له هم : أحمد اغايس اغا من ضباط الجيش العثماني ومحمد افندي من الأزهرين ، والمدرس التركي (مصطفى افندي البروسه) . وكان سبب التحقيق متجها الى جمع البينات لالبت علم الشيخ الشرقاوي بنية القاتل قبل ارتكابه الجناية . ولكن التحقيق لم يسفر من اداة الشيخ الشرقاوي او غيره من كبار العلماء .

(ميد الرحمن الرافعي - تاريخ الحركة القومية - ٢ ص ٢٠١)

القاتل ، وكرروا عليه السؤال والاستفهام : مرة
بالقول ، ومرة بالعقوبة . ثم أحضروا من أخير عنهم
وسألوهم على انفرادهم ومجتمعين ، ثم نفذوا
الحكومة فيهم بما اقتضاه التحكيم . وأطلقوا
مصطفى افندي البرصلى الخطاط ، حيث لم يلزمه
حكم ، ولم يتوجه عليه قصاص .. كما يفهم جميع
ذلك من فحوى المسطور ، بخلاف ما رأيناه بعد
ذلك من أفعال أوباش العساكر الذين يدعون
الاسلام ، ويزعمون أنهم يجاهدون ، وقتلهم
الأنفس ، وتجاريتهم على هدم البنية الانسانية
بمجرد شهواتهم الحيوانية ، مما سيتلى عليك بعضه
بعد .

وصورة ترجمة الأوراق المذكورة :

بيان شرح الاطلاع على جسم
صارى عسكر العام كلهبر

« يوم الخامس والعشرين من شهر برريال
من السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى ..

« نحن الواضعون اسماءنا وخطنا فيه باش حكيم
والجرايحي من اول مرتبة ، الذى صار مرتبة
باش جرايحي في غيبته ... انتهينا ، حصة ساعتين
بعد الظهر ، الى بيت صارى عسكر العام في الازبكية
بمدينة مصر . وكان سبب روحنا هو اننا سمعنا
دقة الطبل وغازاة الناس التى كانت تخبر ان
صارى عسكر العام كلهبر انقدر وقتل . . . وصلنا له
فرايناه في آخر نفس . فحطنا عن جروحاته فتحقق
لنا انه قد انضرب بسلاح مدبب وله حد . وجروحاته
كانت اربعة : الاول منها تحت البز في الشقة اليمنى
الثانى اوطى من الاول جنب السوة . الثالث في الدراع
الشمال نافذ من شقه لشقه . والرابع في الحد
اليمنى . . فهذا حررنا البيان بالشرح في حضور
الدفتردار سارتلون الذى وضع اسمه فيه كمثلبنا
لاجل ان يسلم البيان المذكور الى صارى عسكر مدبر
الجيش » .

(تعريفا في سراية صارى عسكر العام في النهار والسنة المذكورة
في الساعة الثالثة بعد الظهر بانضاء باش حكيم وخط الجرايحي
من اول مرتبة كازابيانكا) .

والدفتردار سارتلون شرح جروحات الستوين
بروتايين المهندس نهار تاريخه خمسة وعشرين من
شهر برريال السنة الثامنة من انتشار الجمهور
الفرنساوى في الساعة الثالثة بعد الظهر .

« نحن الواضعون اسماءنا وخطنا فيه باش حكيم
وجرايحي من اول مرتبة ، الذى صار مرتبة باش
جرايحي في غيبته : انطلبنا من الدفتردار سارتلون
اننا نعمل بيان شرح جروحات الستوين بروتايين
المهندس ، وعضو من أعضاء مدرسة العلماء في بر
مصر ، الذى انقدر هو ايضا في جنب صارى عسكر
العام كلهبر مدبر الجيوش ، ومضروب ستة امرار
بسلاح مدبب وله حد . وهذا بيان الجروحات :
« الاول في جنب الصدغ . الثانى في الكف في
عظمة الاصبع الخنصر . الثالث بين الضلوع الشمالية .
الخامس (1) في الشدق الشمالى . والسادس في
الصدر من الشقة الشمالية وشق نحو العرق .
« ثم الى تأييد ذلك وضعنا اسماءنا وخطنا فيه
برفقة الدفتردار سارتلون » .

(تعريفا في سراى صارى عسكر مدبر الجيوش في اليوم
والشهر والسنة والساعة المرقومة املاه بانضاء باش حكيم وحد
الجرايحي من اول مرتبة كازابيانكا) .

والدفتردار سارتلون عن :

اول فحص سليمان الحلبي

نهار تاريخه خمسة وعشرين في شهر برريال من
السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى .
في بيت صارى عسكر داماس مدبر الجيوش ...
واحد فسيال من ملازمين بيت صارى عسكر العام ،
حضر ويده ماسك راجل من اهل البلد ، مدعيا أن
هذا هو الذى قتل صارى عسكر العام كلهبر ، المتهم
المذكور اعرف من الستوين بروتايين المهندس الذى
كان مع صارى عسكر حين انقدر ، لانه ايضا انضرب
برفقته بالخنجر ذاته ، وانجرح بعض جروحاته .
« ثانيا المتهم المذكور ، كان اثناف بين جماعة
صارى عسكر من حد الجيزة ، وانوجد مخبى في
الجينة التى حصل فيها القتل ، وفي الجينة نفسها
اتوجد الخنجر الذى به انجرح صارى عسكر ، وبعض
حوائج ايضا بتوع المتهم . فحالا بدى الفحص
بحضور صارى عسكر مينو الذى هو اقدم اقاربه في
العسكر ، وتسلم في مدينة مصر .

(1) سقط « الرابع » من عبارة الاصل .

فجواب : نعم ، وأنه كان قاصد ينشيك كاتب عند
أحد ، ولكن ما قسم له نصيب .

سئل : عن الناس الذين كتب لهم أمس .
فجواب : أن كلهم سافروا .

سئل : كيف يمكن أنه لم يعرف أحداً من
الذين كتب لهم في الأيام الماضية ؟ وكيف يكونون كلهم
سافروا ؟ فجواب : أنه ليس يعرف الذين كان يكتب
لهم ، وأن غير ممكن أن يفكر أسماءهم .

سئل : من هو الآخر في الدين كتب لهم ؟
فجواب : أنه يسمى محمد مغربي السويسي يساع
مرق سوس ، وأنه ما كتب لأحد في الجزيرة .

سئل ثانياً من سبب روحته للجزيرة دائماً .
فجواب : أنه كان قاصداً أن ينشيك كاتباً .

سئل : كيف مسكوه في جنينة صارى عسكر ؟
فجواب : أنه ما انمسك في الجنينة بل في عارض
الطريق .

تذاك الوقت انقال له : أنه ما ينشيك الا
الصحيح ، لأن عسكر الملازمين مسكوه في الجنينة ،
وفي المحل ذاته اتوجدت السكينة . وفي الوقت
انعرضت عليه . فجواب : صحيح أنه كان في الجنينة
ولكن ما كان مستخبي بل قاعد ، لأن الخيالة كانت
ماسكة الطرق ، وما كان يقدر أن يروح للمدينة ، وأن
ما كان عنده سكينة ، ولم يعرف أن كان علداً موجود
في الجنينة .

سئل : لأي سبب كان تابع صارى عسكر من
الصبح ؟ فجواب : أنه كان مراده فقط يشوفه .

سئل : هل يعرف حنة قماش خضرة التي باينة
مقطوعة من لبسه ؟ وكانت اتوجدت في المحل الذي
انقدر فيه صارى عسكر . فجواب : بأن هنذه
ما هي تعلقه .

سئل : ان كان تحدث مع أحد في الجزيرة ، وفي
أي محل نام ؟ فجواب : أنه ما تكلم مع ناس الا لأجل
مشتري بعض مصالح وأنه نام في الجزيرة في جامع .

فأشاروا له على جروحته التي ظاهرة في دماغه
وقيل له : إن هذه الجروحات بينت أنه هو الذي
غدر سارى عسكر ، لأن أيضاً الستوين بروتاين
الذي كان معه عرفه وضربه ثم عصابه الذين جرحوه .
فجواب : أنه ما انجرح إلا ساعة ما مسكوه .

سئل : هل كان تحدث نهار تاريخه مع حسين
كاشف أو مع معاليكه . فجواب : إنه ما سافهم
ولا كلمهم .



سليمان الحلبي

« والفحص المذكور صار بواسطة الخواجا
براشويش كاشم سر وترجمان صارى عسكر العام ،
ومحضر من يد الدفتردار سارتلون الذي احضره
صارى عسكر مينو لأجل ذلك التهموم المذكور .

سئل عن اسمه وعمره ومسكنه وصنعتة ...
فجواب : أنه يسمى سليمان ، ولادة بر الشام ،
وعمره أربعة وعشرون سنة ، ثم صنعتة كاتب
عربي ، وكانت سكنته في حلب .

سئل : كم زمان له في مصر ؟ فجواب : أنه
بقي له خمسة أشهر ، وأنه حضر في قافلة وشيخها
يسمى سليمان بوريجي .

سئل من ملته .. فجواب : أنه من ملة محمد
وأنه كان سابقاً سكن ثلاث سنين في مصر ، وثلاث
سنين أخرى في مكة والمدينة .

سئل : هل يعرف الوزير الأعظم ؟ وهل له مدة
ماشافه ؟ فجواب : أنه ابن عرب ، ومثله ليس يعرف
الوزير الأعظم .

سئل من معارفه في مدينة مصر .. فجواب :
أنه لم يعرف أحداً وأكثر قعاده في الجامع الأزهر .
وجملة ناس تعرفه ، وأكثرهم يشهدون في مشيه
الطيب .

سئل : هل راح صباح تاريخه للجزيرة ؟



كلير

الحررة اعلاه . ثم اتقرا على التهم وهو ايضا خط
يده واسمه بالعربي سليمان ...
امضاء : صاري عسكر عبد الله مينو . امضاء :
صاري عسكر داماس . امضاء : الجنرال والتين .
امضاء : الجنرال موراند . امضاء : الجنرال مارتينه .
امضاء : دفتردار البحر لروا . امضاء : الدفتردار
سارتلون . امضاء : الترجمان لوماسكا . امضاء :
الترجمان حنا روكه . امضاء : داميانوس براشوش
كاتم السر وترجمان صاري عسكر العام .

فحص الثلاثة مشايخ التهمين

نهار تاريخه خمسة وعشرين في شهر برريال ،
السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنسي
في الساعة الثامنة بعد الظهر . . . حضروا في
منزل صاري عسكر المام مينو امير الجيوش
الفرنساوية : السيد عبد الله الفزي ، ومحمد
الفزي ، والسيد احد الوالي . وهم الثلاثة متهمين
في قتل صاري عسكر العام كلير . صاري عسكر
مينو امر بفتحهم ، فبدى ذلك حالا في حضور
بعض صواري العساكر المجتمعين لذلك ، وبواسطة

فلما ان كان المتهم لم يصدق في جواباته ، امر
صاري عسكر انهم يضربونه . . . حكم عوائد البلاد
فحالا انضرب لحد انه طلب العفو ، ووعد انه يقر
بالصحيح . فارتفع عنه الضرب ، وانفكت له سواعده ،
وصار يحكى من اول وجديد كما هو مشروح .

سئل : كم يوم له في مدينة مصر ؟ فجواب : انه
له واحد وثلاثين يوما ، وانه حضر من غزة في ستة
ايام على هجين .

وسئل : لاي سبب حضر من غزة ؟ فجواب :
لاجل ان يقتل صاري عسكر العام .

سئل : من الذي ارسله لاجل ان يفعل هذا الامر ؟
فجواب : انه ارسل من طرف اغات البنجارية ، وانه
حين رجع عساكر العثملى من مصر الى بر الشام ،
ارسلوا الى حلب بطلب شخص يكون قادرا على قتل
صاري عسكر العام الفرنسي . ووعدوا لكل من
يقدر على هذه المدة ان يقدموه في الوجاقات ويعطوه
دراهم . ولاجل ذلك هو تقدم وعرض روحه لهذا .

سئل : من هم الناس الذين تصدروا له في هذه
المادة في بر مصر ؟ وهل ساررا حدا على نيته ؟ فجواب :
ان ما احد تصدر له ، وانه راح سكن في الجامع
الازهر . وهناك شاف السيد محمد الفزي ، والسيد
احمد الوالي ، والشيخ عبد الله الفزي ، والسيد
عبد القادر الفزي الذين ساكنون في الجامع المذكور ،
فبلغهم على مراده ، فهم اشاروا عليه انه يرجع من
ذلك لان غير ممكن ان يطلع من يده ويموت فرط ،
وان كان لازم يشخصوا واحدا غيره في قضاء هذه
المادة . ثم انه كل يوم كان يتكلم معهم في الشغل
المذكور . وان امس تاريخه قال لهم : انه رائج يقضى
مقصوده ويقتل صاري عسكر . وانه توجه الى
الجيزة حتى ينظر ان كان يطلع من يده ، وان هناك
قابل البواتية بشوع قنجة صاري عسكر . .
فاستخبر عليه منهم ان كان يخرج برا . فسألوه :
ايش طالب منه ؟ فقال لهم : ان مقصوده يتحدث
معه . فقالوا له : انه كل ليلة ينزل في جنينته .

ثم صباح تاريخه شاف صاري عسكر معديا
للمقياس ، ويعدده ماشى الى المدينة ، فتبعه لحين
ما غدره .

هذا الفحص صار من حضرة صاري عسكر مينو
بحضور باقى صواري العساكر الكبار وملازمين بيت
صاري عسكر العام ، ثم انختم بامضاء صاري مينو
والدفتردار سارتلون في اليوم والشهر والسنة

الستون لوماكا الترجمان ، كما يذكر أدناه . . .

السيد عبد الله الغزي هو الذي سئل أولا لوحده .
سئل : عن اسمه وعن مسكنه وصنعتيه . .
فجواب : انه يسمى السيد عبد الله الغزي ، ولادة
غزة ، ومسكنه في مصر في الجامع الأزهر . وهناك
كان كاره مقرئ القرآن ، وأنه لم يعرف كم عمره ،
ولكن تخمينه يجيء ثلاثين سنة .

سئل : إن كانت سكنته في الجامع الأزهر . .
هل يعرف جميع القرباء الذين يدخلونه ؟ فجواب :
انه ساكن ليل ونهار ، ويعرف القرباء الذين فيه .

سئل : هل يعرف رجلا حضر من بر الشام من
مدة شهر ؟ فجواب : ان من مدة خمسين يوم ماشاف
احدا حضر من بر الشام . فقليل له : إن رجلا من طرف
عرضي الوزير - حضر من مدة ثلاثين يوما - قال :
انه يعرفك . والظاهر انك لم تتكلم بالصدق .
فجواب : انه ملهى دائما في وظيفته ، وأنه ما شاف
احدا من بر الشام ، بل سمع ان قافلة كانت وصلت
من ناحية الشرق . فقليل له أيضا : إن ناسا حضروا
من بر الشام ، يقولون انهم تكلموا معه ويعرفونه .
فجواب : ان هذا غير ممكن ، وانهم يقابلوه مع الذي
فتن عليه .

سئل : هل يعرف واحدا اسمه سليمان ، كاتب
عربي ، حضر من حلب من مدة ثلاثين يوما ؟ فجواب :
لا . فقليل له : إن هذا الرجل يحقق انه شافه ، وأنه
اخبره ببعض أشياء لازمة . فجواب : انه ما شافه ،
وان هذا الرجل كذاب ، وأنه يريد ان يموت إن كان
ما يحكى الصحيح .

.. فحالا صارى عسكر نده الى محمد الغزي -
الذي هو ايضا متهم في قتل صارى عسكر - وبدىء
الفحص كما يذكر :

سئل عن اسمه وعمره ومسكنه وصنعتيه .
فجواب : انه يسمى الشيخ محمد الغزي ، وعمره
نحو ٢٥ سنة ، وولادة غزة ، وسكن بمصر في الجامع
الأزهر ، ثم صنعته مقرئ القرآن من مدة خمس
سنين . وما يخرج من الجامع إلا لكي يشتري
ما يأكل .

سئل : هل يعرف القرباء الذين يجيئون يسكنون
في الجامع ؟ فجواب : ان في بعض الاوقات يحضر ناس
غرباء . واما البواب فهو الذي يقارشهم . ومن
قبله يناسم بعض ليسانى في الجامع ، والبعض في
بيت الشيخ الشراوى .

سئل : هل يعرف رجلا يسمى سليمان حضر
من بر الشام من مدة ثلاثين يوما ؟ فجواب : انه لم
يعرفه ، وأنه غير ممكن ان يشوف كل الناس ، لأن
الجامع كبير قوى .

سئل انه يحكى على الذي تكلم به معه سليمان ،
فان المذكور يحقق انه تكلم معه في الجامع . فجواب :
انه يعرفه من مدة ثلاث سنين ، وأنه كان عنده خبر
انه راح مكة . واما من بعده ما شافه ، ولم يعرف
إن كان رجع ام لا ؟

سئل : هل السيد عبد الله الغزي يعرفه ايضا ؟
فجواب : نعم . فقليل له : محقق ان امس تاريخه
سليمان المذكور تحدث معه حصة طيبة ، وان
الشواهد موجودة . فجواب : ان هذا صحيح .

سئل : لاي سبب كان بدا يقول إنه ما شافه ؟
فجواب : ان تخمينه ما قال هذا ، وان المترجمين
غلطوا .

سئل : هل سليمان المذكور ما بلغه عن شيء
مدنب قوى ؟ وتحقيقا لذلك معلوم عندنا انه كان
قصده يحوشه . . فجواب : انه لم يعرف هذا
الامر ، وان سليمان المذكور راح وجاء كام مرة الى
مصر ، وبقي له هنا مقدار شهر . فقليل له : إنه
موجود شواهد ان سليمان المذكور كان اخبره ان
مراده ان يفدر صارى عسكر العام ، وأنه اراد ان
يمنعه . فجواب : انه ما بلغه عن هذا الامر ، بل امس
تاريخه قال له : انه رائح ، ويمكن ان ما بقى يرجع .
فبعده احضرنا عبد الله الغزي لأجل بتفحص ثانيا
كما يذكر أدناه .

سئل : لاي سبب قال إنه لم يعرف سليمان
الحلبى حين سألوه عنه . بحيث إن موجودة شواهد
ان هذا له في مصر واحد وثلاثون يوما ، وأنه تقابل
واياه جملة مرار ، وتحدث معه اكثر الايام ؟ فجواب :
حقا انه لم يعرفه .

سئل : هل يعرف واحدا يسمى محمد الغزي ،
الذي هو مثله مقرئ القرآن في جامع الأزهر ؟
فجواب : نعم .

سئل السيد عبد الله المذكور : لاي سبب افكر
ذلك ؟ فجواب : انهم لخبطوا عليه السؤال ، وان هذا
الوقت بحيث انهم سألوه عن سليمان الذى من حلب ،
فيقر انه يعرفه . فقليل له : إنه معلوم عندنا انه شافه
مرارا كثيرة ، وتحدث معه . فجواب : انه بقى له
ثلاثة ايام ما شافه .

سئل : هل إنه ما قصد يمنعه عن قتل سارى
عسكر العام ؟ فجاوب : انه ما قال له ابدا على هذا
الامر ، وانه لو كان بلغه منه ذلك ، كان منعه بكل
قدرته .

سئل : لاي سبب ما يحكى الصحيح . . بحيث
إنه موجودة عليه شواهد ؟ فجاوب : انه غير ممكن
يوجد عليه شواهد ، وانه ما شاف سليمان المذكور
إلا لأجل أن يستلموا على بعض حين تقابلوا .

سئل : هل سليمان ما أخبره ابدا عن سبب
مجيئه إلى مصر ؟ فجاوب : حاشا .

فبعد ذلك اخروا الاثنين المذكورين ، واحضروا
السيد احمد الوالى الذى هو متهم ، وسئل كما
يذكر .

سئل : عن اسمه وعمره ومسكنه وصنعتة . . .
فجاوب : انه يسمى السيد احمد الوالى ، ولادة غزه ،
وصنعتة مقرى القرآن فى الجامع الأزهر من مدة عشر
سنين ، ولم يعرف كام عمره .

سئل : هل يعرف الغرباء الذين يدخلون فى
الجامع ؟ فجاوب : ان وظيفته يقرأ ولا يتنبه الى
الغرباء . فقليل له : إن بعض الغرباء الذين حضروا
هناك عن قريب يقولون إنهم شافوه فى الجامع .
فجاوب : انه ما شاف احدا .

سئل : هل شاف رجلا حضر من بر الشام من
طرف الوزير ، وهذا الرجل قال إنه يعرفه ؟ . .
فجاوب : لا ، وإن كان يقدروا يحضروا هذا الرجل
حتى يقابله .

سئل : هل يعرف سليمان الحلبي ؟ فجاوب : إنه
يعرف واحدا يسمى سليمان الذى كان يروح يقرأ
عند واحد أفندى ، وكان طالب انه يستقيم فى الجامع ،
وان هذا الرجل قال : إنه من حلب ، ومن مدة عشرين
يوما كان شافه وبعدها ما قابله . ثم كان قال له :
إن الوزير فى يافا وان عساكره ما كان عندهم دراهم ،
وكانوا بفوتوه .

سئل : هل هذا الرجل المذكور ماهو تحت حايته ؟
فجاوب : انه لم يعرفه طيبا حتى يضمه .

سئل : هل الاثنان الآخران المتهمان معارفه ؟
وهل ان الثلاثة تحدثوا سواء عن قريب ام امس
تاريخه مع سليمان المذكور ؟ فجاوب : لا ، بل انه
يعرف ان سليمان المذكور كان حضر لزيارة الجامع ،
وانه وضع فى الجامع جلة اوراق مضمونها : انه كان
قوى متعبدا لخالقه .

سئل : هل المذكور امس ايضا ما وضع اوراقا فى
الجامع ؟ فجاوب : ان ماعنده خبر بذلك .

سئل : هل ما منع سليمان عن فعل ذنب بليغ ؟
فجاوب : انه ابدا ماحدثه بهذا الشيء ، ولكن قال له :
إن مراده يفعل شيء جنون ، وانه عمل كل جهده حتى
يرجعه .

سئل : إيش هو الجنان الذى قاصد يعمل
وحدثه عليه ؟ فجاوب : إنه قال له انه كان مراده
يغازى فى سبيل الله ، وان هذه المغازاة هى قتل واحد
نصرانى ، ولكن ما أخبره باسمه ، وانه قصد يمنعه
بقوله : إن ربنا أعطى القوة للفرنساوية ما احد يقدر
يمنعهم حكم البلاد !

فبعد هذا المتهم المذكور انشال لحله . وهذا
الفحص تحتم بحضور صوارى العساكر المجموعين
بامضاء صارى عسكر مينو والدفتردار سارتلون الذى
هو ذاته حرر هذا الفحص بامر صارى عسكر مينو .
ثم بعد قراءته على المتهمين . . . وضعوا اسماءهم
وخطهم بالعربى .

تحريرا فى اليوم والشهر والسنة المحررة أعلاه . .
ثلاثة امضاءات بالعربى . امضاء سارى عسكر مينو .
امضاء الدفتردار سارتلون . امضاء الترجمان لوماكا .

سارى عسكر العام مينو امير الجيوش الفرنساوية
بمصر :

((تأسيس))

المادة الاولى — ان ينشأ ديوان قضاة لأجل ان
يشرعوا على الذين غدروا سارى عسكر العام كلهبر فى
اليوم الخامس والعشرين من شهر برربال .

المادة الثانية — القضاة المذكورون يكونوا تسعة .
وهم : صارى عسكر رينيه ، صارى عسكر فرياند ،



رينيه

يظهروا رفقاء القاتل ، ثم ان السكينة التي وجدت مع القاتل حين انمسك ، تبقى عند كاتم السر لاجل يظهروا في الوقت الذي يلزم . ثم وعدوا المجلس لصباح تاريخه في الساعة الرابعة « قبل ! » الظهر ، ثم حرروا خط يدهم مع كاتم السر .

امضاء الوكيل رجنيه . امضاء رئيس المعمار بريراند . امضاء رئيس المدافع فاو . امضاء رئيس العسكر جرجه . امضاء الجنرال موراند . امضاء الجنرال مارتينه . امضاء دفتردار البحر لرو . امضاء صاري عسكر روين . امضاء صاري عسكر رينيه . امضاء كاتم السر بينه .

إقرار الشهود

نهار تاريخه في ستة وعشرين شهر بريرال سنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوي . نحن الواضعون اسماءنا فيه : الدفتردار سارتلون ، المسمى من حضرة صاري عسكر العام مينو امير الجيوش ، في وظيفة مبلغ . . . حكم الامر الذي خرج من طرفه ، انتشار القضية في شرع القاتلين صاري العسكر العام كلهبر ، والسيتوين بينه المسمى من القضية المذكورين في مرتبة كاتم السر : إنه حضر بين يدنا يوسف برين عسكري خيال من الطبجية الملازمين بيت صاري عسكر العام ، وقال لنا هو ورفيقه خيال ايضا يسمى روبرت : مسكوا المسلم سليمان المتهم في غدر صاري عسكر العام ، وانهم وجدوه في الجنيئة التي معمول فيها الحمامان الفرنساويان المتزقان بجنيئة صاري عسكر ، وانهم راوه مخبا بين حيطان الجنيئة المهذودة ، وان الحيطان المذكورة كانت ملغطة بدم في بعض نواحي ، وان سليمان المذكور كان ايضا ملغط بدم ، وانهم مسكوه في هذه الحالة ، وان بعده التزموا بضربوه بالسيف لاجل يمشوه . ثم برين المذكور قال : إن بعد حوشة سليمان بساعة في الموضع ذاته الذي كان مخبا فيه ، شاف سكينه بدمها ، وانه سلم السكينة في بيت صاري عسكر العام . . . فقررنا إليه إقراره هذا ، وسألناه . هل فيه شيء زائد ام ناقص ؟ فجاوب : ان هذا كل الذي فعله وعينه . ثم حرر خط يده معنا . . .

امضاء : برين الخيال . امضاء : سارتلون . امضاء : كاتم السر بينه .

ثم حرر ايضا بين ايدينا الشاهد الثاني ، وهو السيتوين روبرت الخيال احد الطبجية الملازمين ، وقال : انه حين كان يفتش على الذي قتل صاري عسكر . . . دخل في الجنيئة التي فيها الحمامان

صاري عسكر روين ، الجنرال موراند ، رئيس المعمار بريراند ، الوكيل رجنيه ، دفتردار البحر لرو ، والدفتردار سارتلون في وظيفة مبلغ ، والوكيل لهر في وظيفة وكيل الجمهور .

المادة الثالثة — القضية المذكورون ينظر لهم كاتم سر .

المادة الرابعة — القضية المذكورون مفوضون الامر في الكشف والتفتيش وحوش كل من يريدوا ، حتي إنهم بطلعوا على الذين لهم حصاة في الذنب المذكور ، او يكون عندهم خبره .

المادة الخامسة — القضية المذكورون يتفقوا على العذاب اللائق الى موت القاتل ورفقائه .

المادة السادسة — القضية المذكورون يجتمعوا من نهار تاريخه الذي هو السادس والعشرون من شهر بريرال لحد خلاص الشريعة المذكورة .

امضاء صاري عسكر مينو :

وهذه نسخة من الاصل . امضاء : الجنرال رنه كتحدا مدير الجيوش .

شرح اجتماع القضية في السنة الثامنة

من انتشار الجمهور الفرنساوي

في اليوم السادس والعشرين من شهر بريرال — حكم امر صاري عسكر العام مينو امير الجيوش الفرنساوي ، المحرر في نهار تاريخه — اجتمعوا في بيت صاري عسكر : رينيه المذكور ، وصاري عسكر روين ، ودفتردار البحر لرو ، والجنرال مارتينه — هوضا عن صاري عسكر فرياند ، حكم امر صاري عسكر مينو — ثم الجنرال موراند ، ورئيس العسكر جرجه ، ورئيس المعمار بريراند ، ورئيس المدافع فاو ، والوكيل رجنيه ، والدفتردار سارتلون في رتبة مبلغ ، والوكيل لهر في وظيفة وكيل الجمهور . . . لاجل قضاء شريعة قتل صاري عسكر العام كلهبر . الذي اتفقد امس تاريخه .

القضية المذكورون اجتمعوا مع شيخهم صاري عسكر رينيه ، وعلى قرار امر صاري عسكر مينو المشروح اعلاه ، وحكم المادة الثالثة المحررة فيه . . . استخصوا كاتم السر لهم الوكيل بينه الذي حلف كما هي العوائد ولزم وظيفته . ثم القضية المذكورون وكلوا صاري عسكر رينيه والمبلغ الدفتردار سارتلون في التفتيش والحبس لكل من اكتشفوا عليه حكم ما هو محرر في المادة الرابعة المحرره اعلاه . وهذا لكي



مصرع كليبر

عسكر بزمان قليل ... حين شاف سليمان الحلبي الذي هو متهم في غدره وغدر صارى عسكر العام .. عرفه انه هو ذاته الذي كان ضرب صارى عسكر وبعده ضربه سليمان المذكور كام سكيئة غيبت صوابه . فقرينا عليه ايضا هذه الاضافة ، فجاوب : انها حاوية الحق وما فيها زائد ولا ناقص ، ثم ختمها معنا .

امضاء : بروتاين . امضاء : سارتلون . امضاء : كاتم السر بينه .

نهار تاريخه ستة وعشرين في شهر برريال ، السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنسي . انا الواضع اسمى فيه مبلغ القضاة المأمور في شرع قتلة صارى عسكر العام كلهير : ذهبت الى مساعدين صارى عسكر المذكور لاجل ان اسمع إقرارهم ، ثم كان معي كاتم السر بينه ، وهم قالوا لنا كما يذكر ادناه :

السيوتين فورتونه دهور ابن اربعة وعشرين سنة فسيال في طابور الخيالة ، ومساعد عند صارى عسكر كلهير . قال : « إنه في اليوم الخامس والعشرين من شهر برريال ، كان مع صارى عسكر العام حين حضر الى الازبكية يشوف بيته الذي كان داير فيه العمارة ، وانه شاف رجلا بعملة خضراء ودلق وحش ، وكان دائما تابع صارى عسكر حين كان دائر يتفرج على المحلات . وانه هو وخلافه حسبوا هذا الرجل من جملة الفعلة ، فما احد ساله . ولكن حين نزل صارى عسكر من بيته الى الجنيئة لاجل ينفذ الى جنيئة صارى عسكر داماس .. السيوتين دهور

الفرنساويان لرق جنيئة صارى عسكر العام . وهناك شاف — برفقة برين المذكور — سليمان الحلبي مستخبي في ركن حيطان مهدودة ، وكان ملفمط دم ، وفي راسه شرموطة زرقاء . وان في هذه الحالة عرفت ان هذا هو القاتل ، وان الحيطان التي كان فات عليها كانت ايضا ملفمطة دم ، وان حين مسكوه بان منه وهم ، وان بعد حوشته بساعة شاف — برفقة السيوتين برين في الموضع ذاته — سكيئة بدمها ، وانهم سلموها في بيت صارى عسكر العام . والسكيئة المذكورة كانت مخبية تحت الارض ... فقرانا عليه إقراره هذا ، ثم سألناه ان كان ما فيه زائد أم ناقص ؟ فجاوب : ان هذا هو الذي فعله وشافه . ثم حرن خط يده معنا .

(حرر بمدينة مصر في النهار والشهر والساعة المحررة اعلاه . .)

امضاء : روبرت الخيال . امضاء : سارتلون . امضاء : كاتم السر بينه .

« انا الدفتردار سارتلون المبلغ ، رحت الى بيت السيوتين بروتاين ، لانه كان راقدا بسبب جروحاته ، ثم استلمت منه التبليغ الاتي ادناه :

« انا حنا قسطنطين بروتاين ، المهندس وعضو من امضاء مدرسة العلم في بر مصر ... اننى كنت اتمشور تحت التكميبة الكبيرة التي في جنيئة صارى عسكر وتطل على بركة الازبكية ، وكنت برفقة صارى عسكر العام ، فنظرت رجلا لابسا عثملى خارج من مبتدا التكميبة من جنب الساقية . فانا كنت بعيد كام خطوة عن صارى عسكر اناذى على الغفراء ، فانتبهت لاجل اشوف السيرة ... رايت ان الرجل المذكور يضرب صارى عسكر بالسكيئة ذاتها كام مرة ، فارتيمت على الارض .

« وفي الوقت سمعت صارى عسكر يصرخ ثانيا : بهيمت ورحت قريبا من صارى عسكر ، فرايت الرجل يضربه فهو ضربنى ثانيا كام سكيئة التي رمتنى وغيبت صوابى وما عدت نظرت شيئا . غير اننى اعرف طيب اننا قعدنا مقدار ستة دقائق قبل ما احسنا يسعفنا » .

فبعده قريت هذا الاقرار على السيوتين بروتاين وسألته : هل فيه زائد أم ناقص ؟ فجاوب : ان هذا الذي فعله وعايته . ثم حرن خط يده معنا .

امضاء : بروتاين . امضاء : سارتلون . امضاء : كاتم السر بينه .

والسيوتين بروتاين ، بعدما ختم الورقة اعلاه ، قال : « ان مقصوده يضيف عليها ان بعد غدر صارى

عقله عن هذا الفعل بقولهم : إنه ما يقدر عليه ، وهو ما دعاهم لمساعدته ، لأنه كان يعرفهم بليدين ، وأن اليوم الذى قصد التوجه فيه ليقتل صارى عسكر ، قابل أحدهم — الذى هو محمد الغزى — فعرفه أن مقصوده أن يتوجه الى الجزيرة ليفعل هذا الفذر ، وأن تحمينه أنه مثل المجنون من حين أراد أن يقضى هذا الأمر ، لأنه لو كان له عقل ما حضر من غزاة لهذا الأمر . وأن الأوراق التى وضعها هى بعض آيات من القرآن ، لأنه عوائد الكتبة اولاد العرب . . . وضعوا ذلك فى الجامع ، وأنه ما أخذ دراهم من أحد فى مصر ، لأن الاغوات كانوا اعطوا له كفايته . وأن الأفسدى الذى كان يروح يقرأ عنده يسمى مصطفى أفندى . وكان يقرأ عليه بهار الاثنين والخميس تبع العادة . . . ولكن ما أخبره بسر ، خوفا أن ينشهر . وأما من قبل الأربعة مشايخ المذكورين صحيح أنه كان قال لهم كل شيء ، لأنهم من اولاد بلاده . ثم حقق لهم أنه ناوى أن يغازى فى سبيل الله .

سئل : أين كان هو حين رجع الوزير من بر مصر فى ابتداء شهر جرمينال ، الموافق لشهر الاسلام ذى القعدة ؟ فجاوب : أنه كان فى القدس حاجج من حين كان الوزير أخذ العريش .

سئل : أين شاف أحمد آغا ، الذى يقول إنه عرض عليه مادة قتل صارى عسكر ، وفى أى يوم قال له ذلك ؟ فجاوب : أنه حين انكسر الوزير رجع الى العريش وغزة فى اواخر شهر شوال او فى اوائل شهر ذى القعدة — الموافق لشهر جرمينال الفرنساوى — وأن أحمد آغا المذكور هو من جملة اغوات الوزير ، ولكن كان رسم عليه فى غزاة من حين أخذ العريش ، وحين رجع أرسله الى القدس فى بيت المتسلم . ثم إنه يوم وصوله توجه سلم عليه فى بيت المتسلم ، وشكا له من ابراهيم باشا متسلم حلب الذى كان يظلم اباه ، الذى يسمى الحاج محمد أمين ، بياع سمن ، وحططوه غرامات زائدة . ومن الجملة واحدة قبل سفر الوزير من الشام . ثم وقع فى عرضه بشأن ذلك . . ثم إنه رجع عند أحمد آغا ثانى يوم ، وأن الأغا فى وقتها قال له : إنه محب ابراهيم باشا ، وإنه ما يقصر ويوصيه فى راحة أبيه ، ولكن بشرط أنه يروح يقتل أمير الجيوش الفرنساوية .

ثم فى ثالث ورابع يوم كرر عليه أيضا هذا السؤال ، وحالا أرسله إلى ياسين آغا فى غزاة لاجل أن يعطى له مصروفه ، وأنه من بعد هذا الكلام بأربعة أيام سافر من القدس الى الخليل ، وهناك قد كام

شاف الرجل المذكور مدسوس بين جماعة صارى عسكر ، فنهره وطرده برا . فبعد ساعتين — حين انقدر سارى عسكر — السيتوين دهورج المذكور عرف دلق الخائن ، لأنه كان رماه جنب سارى عسكر . وبعده ، حين انمسك الرجل ، فعرفه أنه هو الذى قبل بشوية طرده من الحنية . ثم قرىء هذا المضمون على السيتوين دهورج المذكور لاجل بيان : هل يوجد شيء خلافه يزيد أم ينقص ؟ فجاوب : أن هذا الحق حكم ما عاين وفعل . ثم حرر خط يده مع كاتم السر . .

تحريرا فى اليوم والشهر والسنة المحررة اعلاه . .
إمضاء : السيتوين دهورج . إمضاء : سارتلون .
إمضاء بينه كاتم السر .

ثانى فحص سليمان الحلبي

نهار تاريخه ستة وعشرين من شهر برريال ، السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى . نحن الواضعون أسماءنا فيه : الدفتردار سارتلون برتبة مبلغ ، والوكيل بينه فى رتبة كاتم سر القضاة المنقامين الى شرع كل من هو متهم فى غدر صارى عسكر العام كلهبر :

أحضرنا سليمان الحلبي لاجل نسأله من اول وجدبد عن صورة غدر وقتل صارى عسكر . وهذا صار بواسطة السيتوين براشويش ، كاتم سر وترجان صارى عسكر العام ، كما يذكر ادناه :
سئل المذكور عن قصة سارى عسكر . . فجاوب : أنه حضر من غزاة مع قافلة حاملة صابون ودخان ، وأنه كان راكب هجين ، وبحيث أن القافلة كانت خائفة أن تنزل بمصر . . توجهت الى ريف يسمى الفيطة فى ناحية الالفية . وهناك استكرى حمارا من واحد فلاح ، وحضر لمصر . ولكن لم يعرف الفلاح صاحب الحمار . ثم إن أحمد آغا ، وياسين آغا — من اغوات البينكرية بحلب — وكلوه فى قتل صارى عسكر العام ، بسبب أنه يعرف مصر طيب . . بحيث إنه سكن فيها سابق ثلاث سنوات ، وأنهم كانوا وصوه أنه يروح ويسكن فى الجامع الأزهر ، وأن لا يعطى سره لأحد كليا ، بل يوعى لروحه ، ويكسب الفرصة فى قضاء شغله ، لأنها دعوة تحب السر والنباهة . ثم يعمل كل جهده حتى يقتل صارى عسكر . . لكن حين وصل الى مصر ، التزم يسار الأربعة مشايخ الدين أخبر عنهم ، لأنه لو كان ما قال لهم ، فما كانوا يسكنونه فى الجامع ، وأنه كان كل يوم يتحدث معهم فى هذا الأمر ، وأن المشايخ المذكورين قصدوا يغفروا

يوم ، وما وصله ولا مكتوب من احمد اغا . واما احد اغا المذكور كان ارسل خداما الى غزة لأجل يخبر ياسين اغا بالذي اتفقوا عليه .

سئل : كام يوم قعد في الخليل ؟ فجاوب : عشرين يوما .

سئل : لاي سبب قعد عشرين يوما في الخليل ؟ وهل في هذه المدة ما وصله مكاتيب من الاثنيين الاغوات ؟ فجاوب : ان السكة كانت ملانة عرب ، وأنه خائف منهم ، فالتزم يستنظر سفر القافلة التي سافر برفقتها ، وأنه كان في غزة في اواخر شهر ذى القعدة ، الموافق لغرة فلوريال الفرنساوى .

سئل : إيش عمل في غزة ؟ وإيش قال له ياسين اغا ؟ فجاوب : ان ثانى يوم وصوله راح شاف الاغا ، والمذكور قال له : إنه يعرف الشغل الذي هو سبب مشواره هذا . وأنه أسكنه في الجامع الكبير . وهناك مرار عديدة كان يروح يشوفه ليلا ونهارا ، ويتحدث معه في هذا الأمر ، ويوعده أنه يرفع الغرائم عن أبيه ، وأنه دائما يجعل نظره عليه في كل ما يلزمه . ثم بلغه عن كل الذي كان لازم يفعله ، كما شرح أعلاه . وهذا صار سرا بينهم . ثم أعطى له اربعين قرشا لمصروف السفر . وبعد عشرة أيام سافر من غزة راكب هجين ، ووصل هنا بعد ستة أيام ، كما عرف سابقا ، وان سفره من غزة كان في اوائل شهر ذى الحجة ، الموافق إلى نصف شهر فلوريال الفرنساوى ، فبقى باين أنه جين غدر صارى عسكر كان له واحد وثلاثون يوما في مدينة مصر .

سئل : هل يعرف الخنجر الملقط دم ، الذي قتل به صارى عسكر ؟ فجاوب : نعم يعرفه .

سئل : من اين احضر هذا الخنجر ؟ وهل احد من الاغوات اعطاه له ، ام احد خلافهم ؟ فجاوب : أنه ما احد اعطاه له ، وإنما بحيث إنه كان قاصد قتل صارى عسكر ، توجه الى سوق غزة واشترى أول سلاح شافه .

سئل : هل إن احمد اغا ، او ياسين اغا . . . ما حدثاه أصلا عن الوزير ، وعشموه بشيء من طرفه إن كان بقدر يقتل صارى عسكر ؟ فجاوب : لا ، بل إنهم ذاتهم وعدوه أنهم يساعدوه في كل ما يلزمه إن كان يخرج هذا الشيء من يده .

سئل : هل إن الوزير نادى في تلك النواحي بقتل الفرنساوية ؟ فجاوب : أنه لا يعلم ، بل يعرف ان الوزير كان ارسل طاهر باشا لأجل يعين الدين كانوا بمصر .

وأنه رجع حين شاف العثملى مقبلين لبر الشام من مصر .

سئل : هل هو فقط الذى توكل في هذه الارسالية ؟ فجاوب : ان تخمينه هكذا ، لأن هذا الكلام قد حصل سرا ما بينه وبين الاغوات .

سئل : كيف كان يعمل حتى إنه كان يعرف الاغوات بالذى فعله ؟ فجاوب : أنه كان قصده يروح هو بنفسه يخبرهم ، او يرسل لهم حالا ساعى .

فبعد خلاص الفحص المذكور ، انقرا على المتهم ، وهو حرر خط يده مع المبلغ وكاتم السر والترجمان .

حرر بمصر في اليوم والشهر والسنة الحرة أعلاه .

امضاء : سليمان الحلبي بالعربى . امضاء : كاتم السر بينه .

مقابلة المتهمين مع بعضهم

نهار تاريخه ستة وعشرين من شهر برريال ، السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى . . . انا الواضع اسمى فيه ، مبلغ القضاة المنقامين لشرع كل من هو متهم في قتل صارى عسكر العام كلهبر : احضرنا الشيخ محمد الفزى لأجل نجدد فحصه ، وتقابله مع سليمان الحلبي قاتل صارى عسكر . ولهذا كان موجود معنا السيتوين بينه كاتم سر القضاة المذكورين ، وصار كما يذكر ادناه :

سئل الشيخ محمد الفزى : هل يعرف سليمان الحلبي الموجود ههنا ؟ فجاوب : نعم . سئل سليمان الحلبي : هل يعرف الشيخ محمد الفزى الموجود ههنا ؟ فجاوب : نعم .

سئل محمد الفزى : هل إن سليمان الحلبي ما قال له من قيمة واحد وثلاثين يوما إنه حضر من بر الشام من طرف احمد اغا وياسين اغا لأجل يقتل صارى عسكر العام ؟ وهل كل يوم ما حدثه في هذا الشغل ، حتى إنه في آخر يوم قال له إنه رائج الى الجيزة حتى يغدر صارى عسكر ؟ فجاوب : ان هذا ما له أصل . . . لكن حين شافوا بعضا وقع بينهم سلام فقط . ومن قبل آخر يوم الذى نوى فيه سليمان على الرواح الى الجيزة . . . جاب له ورق وحبر ، وقال له : إنه ما يرجع إلا غدا . . . فقيل : إنه ما يخبر بالصحيح ، لأن سليمان يحقق أنه اخبره بهذه السيرة كل يوم ، وان عشية قبل غدر صارى

مسكر كان قال له : إنه رائح لقضاء هذا الامر .
فجواب : ان هذا الرجل يكذب .

سئل : هل كان يروح مرارا عديدة بيت عند الشيخ الشرفاوى ؟ وهل في الايام الاخيرة ما راح بات عنده ؟ فجواب : ان من حين دخول فرنساوية ما راح ابدا بات عنده . وأما قبل دخول فرنساوية ، كان يبيت عنده بعض مرار . فقيل له : إنه ما يحكى الصحيح ، لأن في فحص امس قال : إنه كان يروح مرارا عديدة بيت عند الشيخ الشرفاوى . فجواب : انه ما قال ذلك .

سئل سليمان الحلبي : هل يقدر يثبت على الشيخ محمد الحاضر بأنه كل يوم كان يخبره على نيته في قتل صارى عسكر ، وخصوصا عشية النهار الذي صاحبه صار القتل ؟ فجواب : نعم ، وأنه ما قال إلا الصحيح ...

وان الشيخ محمد الغزى ما كان يقر بالحق ، امرنا بضربه ، كمادة البلد ! فحالا انضرب لحد انه طلب العفو ، ووعد انه يحكى على كل شيء ... فارتفع عنه الضرب .

سئل : هل سليمان اخبره على ضميره في قتل صارى عسكر ؟ فجواب : ان سليمان كان قال له إنه حضر من غزة لأجل أنه يغازى في سبيل الله بقتل الكفرة فرنساوية ، وأنه منعه من ذلك بقوله : إنه يحصل له من ذلك ضرر ، وما عرفه أنه مراده يفدر صارى عسكر إلا الليلة التي راح فيها إلى الجيزة . وصباحها قتله .

سئل : لاي سبب ما حضر اخبرنا على سليمان المذكور ؟ فجواب : انه ابدا ما كان يصدق ان واحدا مثل هذا يقدر على قتل صارى عسكر ، الذي الوزير بذاته ما قدر عليه !

سئل : هل اخبر بالذي قال له عليه سليمان لآخذ من المدينة ، وخصوصا إلى الشيخ الشرفاوى ؟ فجواب : انه ما اخبر احدا بذلك . وحتى إذا وضعوه تحت القتل ما يقول بذلك .

سئل : هل يعرف احدا خلاف سليمان حضر لأجل فدر فرنساوية ؟ وابن هم قاعدين ؟ فجواب : انه ما يعرف ، وأن سليمان ما قال له على احد . سئل سليمان المذكور ، انه بشهر رفقاه . فجواب : انه لم يعرف احدا في مصر ، وان تخمينه ما فيه غيره الذي قاصد قتل فرنساوية .

فبعد هذا صرفنا محمد الغزى المذكور لحبسه ، وابقينا سليمان لأجل نقابله مع السيد احمد الوالى الذي حالا احضرناه لأجل ذلك .

سئل : هل يعرف سليمان الحلبي الموجود ههنا ؟
فجواب : نعم .

سئل ايضا سليمان : هل يعرف السيد احمد الوالى الموجود ههنا ؟ فجواب هو ايضا : نعم .

سئل السيد احمد الوالى : هل إن سليمان ما اخبره على نيته في قتل صارى عسكر ، وخصوصا في العشية التي قصد بها التوجه لذلك ؟ فجواب : إن سليمان ، حين وصل من مدة ثلاثين يوما ، كان قال له إنه حضر حتى يغازى في الكفرة ، وأنه نصحه عن ذلك بقوله : إن هذا شيء غير مناسب . وما اخبره على سيرة صارى عسكر .

سئل سليمان المذكور انه يبين هل حدثه أحمد الوالى في قتل صارى عسكر . وكم يوم له ما حدثه ، فجواب : ان في اوائل وصوله قال له : إنه حضر بقصد الغزو في الكفار ، وان السيد احمد ما رضى له بذلك . ثم بعد ستة ايام اخبره على نيته في قتل صارى عسكر ، ومن بعد ما عاد حدثه بذلك . وقبل الفدر باربعة ايام ما كان قابله . فقيل للسيد احمد الوالى : إنه لم يصدق في قوله لأنه ينكر ان سليمان ما اخبره بأنه كان ناوى يقتل صارى عسكر . فجواب : الآن ، لما فكره سليمان ، افكر انه اخبره .

سئل : لاي سبب ما اشهر سليمان المذكور فجواب : انه ما اشهره لسببين : الاول انه كان يخمن انه يكذب . والثاني : ما كان مستعنيه في فعل مآده مثل هذه .

سئل : هل سليمان ما عرفه برفقائه ؟ وهل هو ما تحدث مع احد بذلك ، وخصوصا مع شيخ الجامع الذي هو ملزوم يخبره بكل مايجرى ؟ فجواب : ان سليمان ما قال له على رفقائه . وهو ما اخبر بذلك احدا ، ولا ايضا شيخ الجامع .

سئل : هل يعرف الامر الذي خرج من صارى عسكر العام بان كل من شاف عنمل في البلد يحبر عنه ؟ فجواب : انه ما درى بذلك .

سئل : هل سكن سليمان بالجامع لسبب انه قال له على مراده في قتل صارى عسكر ؟ فجواب : لا ... لأن كل اهل الاسلام تقدر تسكن في الجامع .

سئل سليمان : هل إنه ما قال بانهم ماكانوا يريدوا يسكنوه لولا انه قال لهم على سبب مجيئه لمصر ؟ فجواب : إن كامل الغرباء لازم يخبروا عن سبب حضورهم . وأما هو يقول الحق إن ما احد من المشايخ ارتضى على مقصوده .

فبعد هذا أرسلنا السيد أحد الوالى الى حبسه .
وبقى سليمان الحلبي لاجل مقابلة السيد عبد الله
الغزى الذى احضرناه فى الحال .

سئل سليمان : هل يعرف السيد عبد الله
الغزى الموجود ههنا ؟ فجاوب : نعم .
سئل السيد عبد الله الغزى : هل يعرف سليمان
الموجود ههنا ؟ فجاوب : نعم .

سئل السيد عبد الله الغزى : هل ما بلغه نيسة
سليمان فى قتل صارى عسكر ؟ فجاوب وأقر : ان
يوم حضور سليمان عرفه انه حضر يغازى فى الكفرة ،
وانه مراده يقتل صارى عسكر ، وانه قصد يمنعه
عن ذلك .

سئل : لاي سبب ما شكاه ؟ فجاوب : انه كان
يظن ان سليمان المذكور يتوجه عند المشايخ الكبار ،
وان المذكورين كانوا ينعموه . ولكن من الآن صار
يخر بالذين يحضرون بهذه ائنية .

سئل : هل يعرف ان سليمان اخبر احدا خلافة
فى مصر ؟ فجاوب : ان ما عنده علم بذلك .

سئل : هل يعرف ان موجود بمصر ناس خلاف
سليمان متوكلين فى قتل الفرنساوية ؟ فجاوب : ان
ما عنده خبر . وان تخمينه لم يوجد احد .
فبعد ذلك اتقرا هذا الفحص على الاربعة
المتهمين ، وهم : سليمان الحلبي ، ومحمد الغزى ،
والسيد احمد الوالى ، والسيد عبد الله الغزى . . .
وسالوهم هل جواباتهم هذه صحيحة ، ولا فيها
زائد ولا ناقص ؟ فاجابوهم : لا . ثم حرروا
خط يدهم معنا بالعربى ، برفقة الاثنين المترجمين ،
وكاتم السر .

حرر بمدينة مصر فى اليوم والشهر والسنة المحررة اعلاه .
امضاء : المتهمين بالعربى . امضاء :
الترجمان لو كاما . امضاء : دعيا سومر براشويش ،
كاتم السر ، وترجمان صارى عسكر العام . امضاء :
المبلغ سارتلون . امضاء : كاتم السر بينه .

بعد خلاص الفحص المشروح اعلاه . . . انا المبلغ
سارتلون سألت الاربعة المتهمين المذكورين انهم
يختاروا لهم واحد ليتكلم عنهم قدام القضاة ويحامي
عنهم . والمذكورون قالوا : ان ماهم عارفون من
يختاروا . فأورينا لهم الترجمان لوماكا ، لاجل يعنى
لهم فى ذلك .

بيان فحص مصطفى الفتى

نهار تاريخه ستة وعشرين شهر برريال ، السنة

الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى . انا المبلغ
سارتلون ، وبينه كاتم سر القضاة . . المنتشرين لشرع
كل من كان له جرة فى قتل صارى عسكر العام كلهير .
احضرنا مصطفى الفتى لى تفحص منه على الذى
قد حصل .

سئل : عن اسمه وعمره ومسكنه وصنعتة . .
فجاوب : بانه يسمى مصطفى الفتى ، ولادة برصة
فى بر اناضول ، وعمره واحد وثمانون سنة ، وساكن
فى مصر . ثم صنعتة معلم كتاب .

سئل : هل من مدة شهر شاف سليمان الحلبي ؟
فجاوب : ان هذا الرجل مشدوده من مدة ثلاث
سنين ، وانه من مدة عشرة او عشرين يوما حضر عنده
وبات ليلة . ومن حيث انه رجل فقير قال له : يروح
يفتش له على محل غيره .

سئل : هل سليمان المذكور ما اخبره انه حضر
من بر الشام حتى يقتل صارى عسكر العام ؟ فجاوب :
لا ، بل حضر عنده ليسلم عليه فقط لكونه معلمه من
قديم .

سئل : هل سليمان ما عرفه عن سبب حضوره
لهذا الطرف ؟ وهل هو نفسه ما استخبر من ذلك ؟
فجاوب : ان كل اجتهاده كان فى انه يصرفه من عنده
بحيث انه رجل فقير ، بل سألته عن سبب حضوره ،
فأخبره لاجل يتقن القراءة .

سئل : هل يعرف بان سليمان راح عند ناس من
البلد ، وخصوصا عند احد من المشايخ الكبار ؟
فجاوب : انه لا يعرف شيئا لانه ما شافه إلا قليلا ،
وانه لم يقدر يخرج كثيرا من بيته بسبب ضعفه
وكبره .

سئل : هل إنه ما يعلم القرآن إلا مشايدته ؟
فجاوب : نعم .

سئل : هل إن القرآن يرضى بالمغازاة ويامر بقتل
الكفرة ؟ فجاوب : انه ما يعرف إيش هى المغازاة التى
القرآن ينهى عنها .

سئل : هل يعلم مشايدته هذه الأشياء ؟ فجاوب :
واحد اختيار مثله ما له دعوة فى هذه الأشياء . بل إنه
يعرف ان القرآن ينهى عن المغازاة ، وان كل من قتل
كافرا يكسب اجرا .

سئل : هل علم هذا الفرض لسليمان ؟ فجاوب :
انه ما علمه إلا الكتابة فقط .

سئل : هل عنده خبر ان امس تاريخه رجل مسلم
قتل صارى عسكر الفرنساوية ، الذى ما هو من

ملته ؟ وهل بموجب تعليم القرآن .. هذا الرجل فعل طيب ومقبول عند النبي محمد ؟ فجاوب : ان القاتل يقتل . واما هو يظن ان شرف فرنسا هو من شرف الاسلام ! وإذا كان القرآن يقول غيره شيئا ، هو ما له علاقة .

فحالا قدمنا سليمان المذكور ، وقابلناه بمصطفى افندى . ثم سألناه : هل شاف مصطفى افندى مرارا كثيرة ؟ وهل بلغه عن نيتيه ؟ فجاوب : انه ما شافه سوى مرة واحدة لأجل انه يسلم عليه ، بحيث انه معلمه القديم . وبما انه رجل اختيار ، وضعيف قوى ، ما رأى مناسب يخبره عن ضميره . سئل : هل هو من ملة المغازين ؟ وهل إن المشايخ سمحوا له في قتل الكفار في مصر ليكتب له اجر ، ويقبل عند النبي محمد ؟ فجاوب : انه ما فتح سيرة المغازاة إلا الى الأربعة مشايخ فقط الذين سماهم . سئل : هل إنه ما تحدث مع الشيخ الشرقاوى ؟ فجاوب : انه ما شاف هذا الشيخ لانه ما هو من ملته بسبب ان الشيخ الشرقاوى شافعى وهو حنفى .

فبعد هذا قرينا على سليمان ومصطفى افندى إقرارهم هذا . فجاوبوا : أن هذا هو الحق وما عندهم ما يزيدوا ولا ينقصوا . ثم حرروا خط يدهم برفقة الترجمان ونحن .

حرر بمصر في اليوم والشهر والسنة المحررة املاء .
امضاء : الاثنين المنهومين بالعربي . امضاء :
لوماكا الترجمان . امضاء : سارتلون . امضاء : كاتم
السريينه .

هذه الرواية المنقولة في اليوم السابع والعشرين من شهر برريال السنة الثامنة من إقامة الجمهور الفرنسي . عن الوكيل سارتلون بحضور مجمع القضاة المفوضين لمحاكمة قاتل صارى عسكر العام كلهبر ، وايضا لمحاكمة شركاء القاتل المذكور .

« يا ايها القضاة . إن المناحة العامة والحزن العظيم الذى نحن مشتملون بهما الآن ، يخبران بعظم الخسران الذى حصل الآن بعسكرنا ، لان صارى عسكرنا في وسط نصراته ومماجده ، ارتفع بغتة من بيننا بحد يد قاتل رذيل ، ومن يد مستأجرة من كبراء ذوى الخيانة والغيرة الخبيثة . . . والان أنا معين ومأمور لاستدعاء الانتقام للمقتول ، وذلك بموجب الشريعة ، من القاتل المسفور وشركائه كمثل اشنع المخلوقات . لكن دعونى ، ولو لحظة ، خالطا فيض دموع عيني وحسراتي بدموعكم ولوعاتكم . . . التى سببها هذا

المفدى الاسيف والمكرم المنيف . فقلبي احتسب جدا احتياجه لتأدية تلك الجزية لمستحقها . فوظيفتى كأنها ليست فى الرؤية إلا لما بتفريق المهيب بماء هذه المصنوعة الشنيعة التى بوقوعها ارتبكت .

« سمعتم الآن قراءة إعلام وفحص المتهمين وباقي المكتوبات عما جرى منهم . وقط ما ظهر سيئة أظهر من هذه السيئة التى انتم محاكمون فيها ، من صفة الفدارين ببيان الشهود ، وإقرار القاتل وشركائه . » والحاصل كل شيء متحد ، ورامى الضياء المهيب لناورة ذا القتل الكريه . . . إنى انا راوى لكم سرعة الأعمال ، جاهد نفسى ، إن ظفرت ، لمنع غضى منهم . . . منها . فلتعلم بلاد الروم والدنيا بكمالها ، ان الوزير الأعظم سلطنة العثمانية ورؤساء جنود عسكرها . . . رذلوا انفسهم حتى أرسلوا قتال معدوم المعرض إلى الجبرى والانجب كلهبر . . . الذى لا استطاعوا تقهيره ، وكذلك ضموا الى عيوب مغلوبيتهم الجرم الظالم الذى لم تر اسوأ منه قبل . . . السماء والأرض .

« تذكروا جملةكم تلك الدول العثمانية المحاربيين من اسلامبول ومن أقاصى ارض الروم وأناضول ، واصلين منذ ثلاثة شهور بواسطة الوزير لتسخير وضبط بر مصر ، وطالبين تخليتها بموجب الشروط الذى بمتفقيتهم بذاتهم مانعوا إقرارها . والوزير أغرق بر مصر وبر الشام بمناداته ، مستدعى بها قتل عام فرنساوية . وعلى الخصوص هو عطشان لانتقامه لقتل سر عسكرهم . وفى لحظة الذين هم إهالى مصر محتفين بأغويات الوزير ، كانوا محرومين شفقات ومكارم نصيرهم . وفى دقيقة الدين هم اسارى ومجروحين العثمانية هم مقبولين ومرعيين فى دور ضيوفنا وضعفائنا . . . تقيد الوزير بكل وجوه بتكميل سوء غفارته تلوه منذ زمان طويل ، واستخدم لذلك أغا مفضوبا منه ، ووعد له إعادة لطفه وحفظ راسه الذى كان بالخطر إن كان يرتضى بذا الصنع الشنيع .

« وهذا المفوى هو احمد اغا المحبوس بغزة منذ ما ضبط العريش وذهب للقدس بعد انهزام الوزير فى أوائل شهر جرمينال الماضى . والاغا المرقوم محبوس هناك بدار متسلم البلد . وفى ذلك الملجا فهو مفتكر باجراء سوء الخبيث الذى يستثقل التقدير ، لا فهم ولا معه تدبير . . . سيما هو عامل شيء لاجراء انتقام الوزير .

« وسليمان الحلبي شب مجنون ، وعمره أربعة وعشرون سنة ، وقد كان بلا ريب متدنس بالخطايا .

لزم أن يطرده مرارا مختلفة ، لكن هو المكار عقيب
غدر ... اتعده .

« وفي يوم الخامس والعشرين من شهرنا الجاري ،
وصل واختفى في جنيئة السرعسكر لتقبيل يده .
فالسرعسكر لا أبى عن قيافة فقره . وفي حال
ما السرعسكر ترك له يده ، ضربه سليمان بخنجره
ثلاثة جروح . وقصد الستون بروتاين - الذى هو
رئيس المعمار ومصاحب العرفاء - وجاهد لحماية
السرعسكر ، لكن ما نفع جسارته ، فهو بذاته وقع
ايضا مجروح عن يد القاتل المسفور بستة جروحات ،
وبقى لا يستطيع شئ . وهكذا وقع بلا صيانة ، وهو
الذى كان من الامجد في الحرب ، ومخاطرات الغزا .
وهو اول الذين مضوا برياسة عسكر دولة الجمهور
الفرنساوى المنصور الرهن الرهين . وهو فتح ثانيا
بر مصر حينئذ بهجوم سحائب من العثمانية . . .
فكيف اقتدروا ضم الوجد العميق الجملة الى دموع
الاجساد ، الى لوعات الرؤساء وجميع الجنرالية
اصحابه بالمجاهدة والمجادة . . . بالمناحة وموالهة
العسكر . . . انتم جميعا تنعوه ، والمحاسنات تستأهله
وتنبغى له .

« القاتل سليمان ما قدر يهرب من مفاتشة
الجوش غضوبين له : الدم ظاهر في ثيابه ، وخنجره
واضطرابه ووحشة وجهه وحاله . . . كشفوا جرمه .
وهو بالذات مقر بذنبه بلسانه ، ومسمى شركاه .
وهو كمادح نفسه للقتل الكريه صنع يديه ، وهو
مستريح بجواباته للمسائل ، وينظر محاضر سياسات
عذابه بعين رفيعة . والرفاهية هى الثمر المحصول
من العصمة والتفاوه ، فكيف تظهر بوجوه الآتمين
ومسامحينهم ؟

« شركاء سليمان الآثيم كانوا مرتين سره للقتل
الذى حصل من غفلتهم وسكوتهم . قالوا باطلا إنهم
ما صدقوا سليمان هو مستعد بذات الاثم ، وقالوا
باطلا ايضا إن لو كانوا صدقوا ذا المجنون كانوا فى
الحال شايعين خيانتة . لكن الأعمال شهود تزور
وتنبىء أنهم قابلوا القاتل وما غيروا له نية إلا خوف
مهلكتهم ومضممين تهلكة غيرهم ، ولا هم مستعذرين
وجها من الوجوه . . . لا حكي لهم شئ من مصطفى
افندى : بما أن لا ظهر شئ عند ذاك الشيب يثبت
معاقرته بشكل العذاب اللائق للمذنبين ، هو تحت
اصطفاكم بموجب الامر من الذى انتم مأمورون بعقبيه
لمحاكمة السيئين . واظن ان يليق ان تصنعوا لهم من
العذابات العادية ببلاذ مصر . ولكن عظمة الاثم

ظهر عند ذا الاغا يوم وصوله القدس ، ويترجى
صيانتة لحراسة ابيه ، تاجربطلب ، من اذيات ابراهيم
باشا والى حلب . . . يرجع له سليمان يوم غدره .
فقد كان استفتش الاغا عن احتيال اصل وفصل
ذا الشب المجنون ، وعلم انه مشتغل بجامع بين
قراء القرآن ، وانه هو الآن بالقدس للزيارة ، وانه قد
حج سابقا بالحرمين ، وأن العته النسكى هو منصوب
فى اعلى راسه المضطرب من زيغانه وجهالاته بكماله
إسلامه ، وباعتماده أن المسمى منه جهاد وتهليك الغير
المؤمنين ، فمما أنهى وأيقن أن هذا هو الايمان . ومن
ذلك الآن ما بقى تردد أحمد اغا فى بيان ما نوى منه ،
فوعده له حمايته وإنعامه . وفى الحال أرسله الى
ياسين اغا . . . ضابط مقدار من جيوش الوزير بغزة ،
وبعته بعد أيام لمعاملته ، واقبضه الدراهم اللازمة
له . وسليمان قد امتلا من خبائثه ، وسلك بالطرق ،
فمكث واحد وعشرين يوم فى بلد الخليل بجيزون
منتظر فيه قبيلة لذهاب البادية . . . وكل مستعجل .
« ووصل غزة فى اوائل شهر فلوريال الماضى ،
وياسين اغا مسكنه بالجامع لاستحكام غيرته . والمجنون
يواجهه مرارا وتكرارا بالنهار والليل مدة عشرة أيام
مكثه بغزة . . . يعلمه . وبعد ما أعطاه اربعين غرشا
أسديا ركبته بعقبة الهجين الذى وصل مصر بعد
سنة أيام ، وممتن بخنجر . . .

« دخل بأواسط شهرنا فلوريال الى مصر . . .
التي قد سكنها سابقا ثلاث سنين . وسكن ، بموجب
تربيته ، بالجامع الكبير ، ويتحضر فيه للسيئة التي
هو مبعوث لها ، ويستدعى الرب تعالى بالمناداة وكتب
المناجاة ، وتعليقها بالسور مكانه بالجامع المذكور
أعلاه . وتأنس مع الاربعة مشايخ الذين قرأوا القرآن
مثله ، وهم مثله مولودين ببر الشام . وسليمان
أخبرهم بسبب مراسلته ، وكان كل ساعة معهم
متوامرين به ، لكن ممنوعين بصعوبة ومخاطرات
الوحدة : محمد الغزى ، والسيد أحمد الوالى ،
وعبد الله الغزى ، وعبد القادر الغزى . . . هم معتمدين
سليمان بارثهان ما نواه ، ولا عاملو شئ لممانعته ،
او لبيانه . وعن مداومة سكونهم به صاروا مسامحين
ومشتركين فى قبة القاتل . هو منتظر واحد وثلاثين
يوم معدودة بمصر ، فعقبه جزم توجهه الى الجيزة .
وبذاك اليوم أعتمد سره الى الشركاء المذكورين أعلاه .
وكان كل شئ صار سهل . . . جزم القاتل بمصنوعته
الشنيعة .

« ويوم الغدوة طلع السرعسكر من الجيزة متوجها
مصر ، وسليمان طوى الطرق ولحقه « هلقدر » حتى

الفتوى الخارجة من طرف ديوان القضاة المنتشرين
بامر صارى عسكر العام مينو امير الجيوش الفرنساوية
في مصر ، لأجل شرعية كل من له جرة في غدر وقتل
سارى عسكر العام كلهبر

في السنة الثامنة من انتشار الجمهور
الفرنساوى ، وفي اليوم السابع وعشرين من
شهر برريال ... اجتمعوا في بيت صارى عسكر
رينيه المذكور ، وصارى عسكر رويين ، ودفتردار
البحر لرو ، والجنرال مارتينه ، والجنرال مورانه ،
ورئيس العسكر جرجه ، ورئيس المدافع فاور ،
ورئيس المعمار برترنه ، والوكيل رجينه ، والدفتردار
سارتلون في رتبة مبلغ ، والوكيل لبهر في رتبة وكيل
الجمهور ، والوكيل بينه في رتبة كاتم السر .

وهذا ما صار حكم امر سارى عسكر العام مينو
امير الجيوش الفرنساوية الذى صدر امس ، واقام
القضاة المذكورين لكى يشرعوا على الذى قتل صارى
عسكر العام كلهبر في اليوم الخامس والعشرين من
الشهر ، ولكى يحكموا عليه بمعرفتهم . فحين
اجتمعوا : القضاة المذكورين . وصارى عسكر رينيه
الذى هو شيخهم ، امر بقراءة الامر المذكور اعلاه ،
الخارج من يد صارى عسكر مينو . ثم بعده المبلغ
قرا كامل الفحص والتفتيش ، الذى صدر منه في حق
المتهمين ، وهم : سليمان الحلبي ، والسيد عبد القادر
الغزى ، ومحمد الغزى . وعبد الله الغزى ، واحمد
الوالى ، ومصطفى افندى . فبعد قراءة ذلك ، امر
صارى عسكر رينيه بحضور المتهمين المذكورين قدام
القضاة - وهو من غير قيد ولا رباط - بحضور
وكيلهم .. والابواب مفتحة قدام كامل الموجودين .
فحين حضروا ... صارى عسكر رينيه وكامل
القضاة ، سالوهم جملة سؤالات ، وهذا بواسطة
الخوارج براشويش الترجمان ، فهم ما جاوبوا إلا بالذى
كانوا قالوه حين انفحصوا . فصارى عسكر رينيه
سالهم ايضا : إن كان مرادهم يقولوا شئ مناسب
لتبرئتهم ؟ فما جاوبوه بشئ . فحالا صارى عسكر
المذكور امر بردهم الى الحبس مع الففراء عليهم .

ثم إن صارى عسكر رينيه التفت الى القضاة
وسالهم : إيش رأيهم في عدم حديث المتهمين ؟ وامر
بخرج كامل الناس من الديوان ، وقفل المحل عليهم
لأجل يستشاروا بعضهم من غير أن احدا يسمعهم .

ثم انوضع اول سؤال وقال : سليمان الحلبي ابن
اربعة وعشرين سنة ، وساكن بطلب ، متهم بقتل

تستدعى أن يصير عذابه مهيب . فان سالتونى اجبت
انه يستحق الخوزقة ، وان قبل كل شئ تحترق يد
ذا الرجل الاثيم ، وانه هو يموت بأعذابه ويبقى جسده
لماكول الطيور . وبجهة المساحين له يستحقون الموت
لكن بغير عقوبة ، كما قلت لكم ونبهت !

« فليعلم الوزير ، والمثلية الظالمين تحت امره ،
حد جزاء الاثمين الذين ارتكبوا بقصد انتقامهم لعدم
المروءة ، انهم عدموا من عسكرنا واحد مقدام سبب
دائمي دموعنا ولوعتنا الابدية ، فلا يحسبوا ولا يأملوا
باقلال جزائنا .

« إنما خليفة السر عسكر المرحوم ، هو رجل قد
شهر شجاعة ، ومضى قدماء بصفاء ضمير منير ، وهو
مشار اليه بالبنان لمعرفته بتدبير الجنود والجمهور
المنصور ، وهو يهدينا بالنصرة .

« وأما اولئك المعدومين القلب والعرض ، فلا احمرت
وجوههم بانتقامهم ، وانهزامهم باق ، ثم عدم
اعتبارهم بالتواريخ لابد انهم باقيين بالردالة ، لا نفع
لهم قدام العالم إلا اكتساب خجالتهم ، ولعدم المبالاة
حالا كشفتها لهم اثبت محاكمات ، كما يأتى بيانها :

اولا : ان سليمان الحلبي مثبت اسمه الكزيه بقتل
السر عسكر كلهبر . فلهذا هو يكون مدحوض بتحريق
يده اليمنى وبتحريقه حتى يموت فوق خازوقه ،
وجيفته باقية فيه لماكولات الطيور .

ثانيا : ان الثلاثة مشايخ المسمين : محمد الغزى ،
وعبد الله الغزى ، واحمد الغزى ، يكونوا متبينين
منسكم انهم شركاء لهذا القاتل ، فلذلك يكونوا
مدحوضين بقطع رءوسهم .

ثالثا : ان الشيخ عبد القادر الغزى يكون مدحوضا
بذلك العذاب .

رابعا : ان إجراء عذابهم يصير بعودة المجتمعين
لدفن السر عسكر وامام العسكر ... وناس البلد
لذلك الفعل موجودين فيه .

خامسا : ان مصطفى افندى تبين غير مثبت
مسامحته ، وهو مطلق الى ما نوى .

سادسا : ان ذا الاعلام وبيناته وما جرى يطبع في
خمسة نسخ ، ويؤول من لسان الفرنساوى بالعربى
والتركى لتزيقها بمحلات بلاد بر مصر بكما لها
بموجب المأمور .

حرر بمصر القاهرة في اليوم السابع وعشرين من
شهرنا برريال ، سنة ثمانية من إقامة الجمهور
المنصور ... ممضى : سارتلون .

يسمى تل العقارب ، وبعد دفن سارى عسكر العام
كلهبر ، وقدام كامل العسكر واهل البلد الموجودين
في المشهد .

ثم افتوا بموت السيد عبد القادر الغزى مذنب
ايضا ، كما ذكر اعلاه ، وكل ما تحكم يده عليه يكون
حلال للجمهور الفرنساوى . ثم هذه الفتوى الشرعية
تكتب وتوضع فوق البيت الذى مختص بوضع راسه .
وايضا افتوا على محمد الغزى وعبد الله الغزى
واحمد الوالى ان تقطع رؤوسهم ، وتوضع على
نبايت ، وجسمهم يحرق بالنار . وهذا يصير في
الحل المعين اعلاه ، ويكون ذلك قدام سليمان الحلبي
قبل ان يجرى فيه شيء .

هذه الشريعة والفتوى لازم ينطبعوا باللغة التركية
والعربية والفرنساوية . . من كل لغة قدر خمسمائة
نسخة ، لكى يرسلوا ويتعلقوا في المحلات اللازمة ،
والمبلغ يكون مشهل في هذه الفتوى .

تحريرا في مدينة مصر في اليوم والشهر والسنة المحررين اعلاه .
ثم إن القضاة حطوا خط يدهم باسمائهم برفقة
كاتم السر . . . مضى في اصله .

ثم هذه الشريعة والفتوى انقرت وتفسرت على
المدينين بواسطة السيتوين لوماكا الترجمان قبل
قصاصهم . فهم جاوبوا ان ما عندهم شيء يزيدوا رلا
ينقصوا على الذى اقروا به في الاول . فحالا قضوا
امرهم في ثمانية وعشرين من شهر برريال ، حكم
الاتفاق وقبل نصف النهار بساعة واحدة .

حرر بمصر في ثمانية وعشرين برريال ، السنة الثامنة من انتشار
الجمهور الفرنساوى .

ثم ختموا باصله : الدفتردار سارنلون ، وكاتم
السر بينه .

وهذه نسخة من الاصل . . . امضاء . كاتم السر بينه
وهذا آخر ما كتبوه في خصوص هذه القضية ،
ورسموه وطبعوه . . . بالحرف الواحد . ولم افسر
شيئا مما رقم . اذ لست ممن يحرف الكلم . وما فيه
من تحريف فهو كما في الاصل . والله اعلم واحكم .

٢٥ منه (١٨ يونيو ١٨٠٠ م) :

اشتغلوا بأمر سارى عسكرهم المقتول ، وذلك
بعد موته بثلاثة أيام كما ذكر ، ونصبوا مكانه
عبد الله جاك مينو ، ونادوا في المدينة بالكفن
والرش في جهات حكام الشرطة . فلما أصبحوا
اجتمع عساكرهم واکابرهم وطائفة عينها القبط
والشوام وخرجوا بموكب مشهده ركبانا ومشاة .

سارى عسكر العام وجرح السيتوين برومابين المهندس .
وهذا صار في جنينة سارى عسكر العام في حمسة
وعشرين من الشهر الجارى . . . فهل هو مذنب ؟
فالقضاة المذكورين ردوا - كل واحد منهم لوحده -
والجميع بقول واحد : إن سليمان الحلبي مذنب .

السؤال الثانى : السيد عبد القادر الغزى مقرى
قرآن في الجامع الازهر ، ولادة غزة ، وساكن في مصر
متهم انه بلغه بالسرى في غدر سارى عسكر العام ،
وما بلغ ذلك ، وقصد الهروب . . . فهل هو مذنب ؟
فالقضاة جاوبوا تماما : إنه مذنب .

ثم وضع السؤال الثالث ، وقال : محمد الغزى
ابن خمسة وعشرين سنة ، ولادة غزة ، وساكن في
مصر ، مقرى قرآن في الجامع الازهر ، متهم انه
بلغه بالسرى في غدر سارى عسكر ، وأنه - حين ذلك
الغادر كان نوى الرواح لقضاء فعله - بلغه ايضا
وهو ما عرف احدا بذلك . . . فهل هو مذنب ؟ فالقضاة
جاوبوا تماما : إنه مذنب .

السؤال الرابع : عبد الله الغزى ابن ثلاثين سنة ،
ولادة غزة ، ومقرى قرآن في الجامع الازهر ، متهم
انه كان يعرف في غدر سارى عسكر ، وأنه ما بلغ
احدا بذلك . . . فهل هو مذنب ؟ فالقضاة جاوبوا
تماما : إنه مذنب .

السؤال الخامس : احمد الوالى ، ولادة غزة ،
مقرى قرآن في جامع الازهر ، متهم ان عنده خبر
في غدر سارى عسكر ، وأنه ما بلغ احدا بذلك . . .
فهل هو مذنب ؟ فالقضاة جاوبوا تماما : إنه مذنب .

السؤال السادس : مصطفى افندى ، ولادة
بورصة في بر اناضول ، عمره واحد وتماون سنة ،
ساكن في مصر ، معلم كتاب ، ما عنده خبر بغدر
سارى عسكر . . . فهل هو مذنب ؟ فالقضاة تماما
جاوبوا بأنه غير مذنب ، وامروا باطلاقه .

فبعد ذلك . . . القاضى وكيل الجمهور ، طلب
انهم يفتوا بالموت على المدينين المشروحين اعلاه .
فالقضاة تشاوروا مع بعضهم ليعتمدوا على جنس
عذاب لائق لموت المدينين اعلاه . ثم بداوا بقراءة
خامس مادة من الامر الذى اخرجه أمس سارى
عسكر مينو بسبب ذلك ، والذى بموجبه اقامهم
قضاة في فحص وموت كل من كان له جرة في غدر
وقتل سارى عسكر العام كلهبر . ثم اتفقوا جميعهم
ان يعذبوا المدينين ، ويكون لائق للذنب الذى صدر .
وافتوا ان سليمان الحلبي تحرق يده اليمين ، وبعده
بتخوزق ويبقى على الخازوق لحين تاكل رمتيه
الطيور . وهذا يكون فوق التل الذى برا قاسم بيك ،

وانقضى أمره . واستقر عوضه في السرعسكية قائمقام عبدالله جاك مينو — وهو الذي كان متولى على رشيد من قدومهم — وقد كان أظهر أنه أسلم وتسمى بعبد الله وتزوج بامرأة مسلمة . وقلدوا عوضه في قائمقامية «بليار» . فلما أصبح ثاني يوم حضر قائمقام والأغا الى الأزهر ، ودخلا اليه وشفا في جهاته وأروقتة وزواياه بحضرة المشايخ .

٢٧ منه (٢٠ يونيو ١٨٠٠ م) :

حضر سارى عسكر عبد الله جاك مينو وقائمقام والأغا وطافوا به أيضا ، وأرادوا حفر أماكن للتفتيش على السلاح ونحو ذلك . . ثم ذهبوا . فشرع المجاورون به في نقل أمتعتهم منه ونقل كتبهم وإخلاء الأروقة ، ونقلوا الكتب الموقوفة بها الى أماكن خارجة عن الجامع ، وكتبوا أسماء المجاورين في ورقة ، وأمروهم ألا يبيت عندهم غريب ، ولا يؤووا اليهم أفاقيا مطلقا ، وأخرجوا منه المجاورين من طائفة الترك .

ثم ان الشيخ الشرقاوى والمهدى والصاوى توجهوا في عصرتها عند كبير الفرنسيين مينو ، واستأذنوه في قفل الجامع وتسميره . فقال بعض القبطة الحاضرين للأشياخ : « هذا لا يصح ، ولا يتفق » . فحق عليه الشيخ الشرقاوى ، وقال : « اكفونا شر دسائسكم يا قبطة (١) » .

وقصد المشايخ من ذلك منع الريبة بالكلية . فان للأزهر سعة لا يمكن الاحاطة بمن يدخله ... فربما دس العدو من بيت به ، واحتج بذلك على انجاز غرضه ونيل مراده من المسلمين والفقهاء ، ولا يمكن الاحتراس من ذلك . فأذن كبير الفرنسيين بذلك لما فيه من موافقة غرضه باطنا . فلما أصبحوا قفلوه وسمروا أبوابه من سائر الجهات .



عبد الله جال مينو

وقد وضعوه في صندوق من رصاص مسنم الغطاء ، ووضعوا ذلك الصندوق على عربة ، وعليه برنيطته وسيفه والخنجر الذي قتل به ، وهو مغسوس بدمه . وعملوا على العربة أربعة ييارق صفار في أركانها معمولة بشعر أسود ، ويضربون بطبولهم بغير الطريقة المعتادة . وعلى الطبول خرق سود ، والعسكر بأيديهم البنادق وهي منكسة الى أسفل . وكل شخص منهم معصب ذراعه بخرقه حرير سوداء . ولبسوا ذلك الصندوق بالقטיפفة السوداء وعليها قصب مخيش ، وضربوا عند خروج الجنازة مدافع وبنادق كثيرة ، وخرجوا من بيت الأزيكية على باب الخرق الى درب الجساميز الى جهة الناصرية .

فلما وصلوا الى تل العقارب ، حيث القلعة التي بنوها هناك ، ضربوا عدة مدافع . وكانوا أحضروا سليمان الحلبي والثلاثة المذكورين ، فأمضوا فيهم ما قدر عليهم . ثم ساروا بالجنازة الى أن وصلوا باب قصر العينى فرفعوا ذلك الصندوق ووضعوه على علوة من التراب بوسط تخشبية صنعوها وأعدوها لذلك . وعملوا حولها درابزين وفوقه كساء أبيض وزرعوا حوله أعواد سرو ، ووقف عند بابها شخصان من العسكر ببنادقهما ملازمان ليلا ونهارا يتناوبان الملازمة على الدوام .

(١) لا يجد المستعمر مرماء الخصيب الا في هذا الجور المشحون بسوء الظن بين أبناء الوطن الواحد ... فلنحظر ...

الاثنين غايته (٢٣ يونيو ١٨٠٠ م) :

جمعوا الوجاقلية وأمرهم باحضار ما عندهم من الأسلحة . فأحضروا ما أحضروه ... فشددوا عليهم في ذلك . فقالوا : « لم يكن عندنا غير الذي أحضرناه » . فقالوا : « وأين الذي كنا نرى لمعانه عند متاريسكم ؟ » . فقالوا : « تلك أسلحة العساكر العثمانية والأجناد المصرية وقد سافروا بها » .

سفر

الثلاثاء اوله (٢٤ يونيو ١٨٠٠ م) :

سافر بعض الأعيان من المشايخ وغيرهم الى بلاد الأرياف بعيالهم وحريمهم . وبعضهم بعث حريمه وأقام هو ... فسافر الشيخ محمد الحريري ، وصحب معه حريم الشيخ السحيمي وصهره الشيخ المهدي . فلما رأهم الناس عزم الكثير منهم على الرحلة . واكثروا المراكب والجمال وغير ذلك .

فلما أشيع ذلك ، كتب الفرنسيين أوراقا ، ونادوا في الأسواق بعدم انتقال الناس ، ورجوع المسافرين ، ومن لم يرجع بعد خمسة عشر يوما نهبت داره . فرجع أكثر الناس ممن سافر أو عزم على السفر الا من أخذ له ورقة بالأذن من مشاهير الناس ، أو احتج بعذر كأن يكون في خدمة لهم ، أو قبض خراج ، أو مال أو غلال من التزامه .

وفيه : قرروا فردة أخرى وقدرها أربعة ملايين ، وقدر المليون مائة وستة وثمانون ألف فرانسة . وكان الناس ماصدقوا قرب تمام الفردة الأولى بعد ما قاسوا من الشدائد ما لا يوصف ... ومات أكثرهم في الحبوس وتحت العقوبة ، وهرب الكثير منهم ، وخرجوا على وجوههم الى البلاد ، ثم دهوا بهذه الداهية أيضا . فقرروا على العقار والدور مائتي ألف فرانسة ، وعلى الملتزمين

مائة وستين ألفا ، وعلى التجار مائتي ألف ، وعلى أرباب الحرف المستورين ستين ألفا . وأسقطوا في نظير المنهوبات مائة ألف . وقسموا البلدة ثمانية أخطاط ، وجعلوا على كل خطة منها خمسة وعشرين ألف ريال . ووكلوا بقبض ذلك مشايخ الحارات والأمير الساكن بتلك الخطة : مثل المحتسب بجهة الحنفى وعمر شاه وسويقة السباعين ودرب الحجر ، ومثل ذى الفقار كخذاجه المشهد الحسيني وخان الخليلى والغورية والصنادقية والأشرفية ، وحسن كاشف جهة الصليبة والخليفة وما في ضمن كل من الجهات والعطف والبيوت .

فشرعوا في توزيع ذلك على الدور الساكنة وغير الساكنة ، وقسموها عال وأوسط ودون ، وجعلوا العال ستين ريالا والوسط أربعين والدون عشرين ، ويدفع المستأجر قدر ما يدفع المالك . والدار التي يجدونها مغلقة وصاحبها غائب عنها يأخذون ماعليها من جيرانها ١١

السبت ٢٦ منه (١٩ يوليو ١٨٠٠ م) :

أخرجوا عن الشيخ السادات ، ونزل الى بيته بعد أن غلق الذى تقرر عليه ، واستولوا على حصصه واقطاعه ، وقطعوا مرتباته ، وكذلك جهات حريمه ، والحصص الموقوفة على زاوية أسلافه . وشرطوا عليه عدم الاجتماع بالناس ، وأن لا يركب بدون اذن منهم ويقتصد في أموره ومعاشه ، ويقلل أتباعه .

ربيع الأول

(٢٣ يوليو - ٢١ اغسطس ١٨٠٠ م)

فيه : نادوا على الناس الخارجين من مصر ، من خوف الفردة وغيرها ، بأن من لم يحضر من بعد اثنين وثلاثين يوما من وقت المناداة ... نهبت داره ، وأحيط بموجوده ، وكان من المذنبين .

واشتد الأمر بالناس ، وضائق مناقسهم وتابعوا نهب الدور بأدنى شبهة . ولا شفيع تقبل شفاعة ، أو متكلم تسمع كلمته واحتجب سارى عسكر عن الناس وامتنع من مقابلة المسلمين ، وكذلك عظماء الجنرالات ، وانحرفت طباعهم عن المسلمين زيادة عن أول ، واستوحشوا منهم . ونزل بالزعية الذل والهوان ، وتناولت عليهم الفرنساوية وأعوانهم وأنصارهم من نصارى البلد الأقباط والشوام والأروام .. بالاهانة ، حتى صاروا يأمرونهم بالقيام اليهم عند مرورهم !

ثم شددوا في ذلك ... حتى كان اذا مر بعض عظمائهم بالشارع ، ولم يقم اليه بعض الناس على أقدامه ، رجعت اليه الأعوان ، وقبضوا عليه ، وأصعدوه الى الحبس بالقلعة ، وضربوه ، واستمر عدة أيام في الاعتقال ، ثم يطلق بشفاعة بعض الأعيان !

وفيه : أزلوا مصطفى باشا من الحبس ، وأهدوا اليه هدايا وأمتعة ، وأرسلوه الى دمياط ... فأقام بها أياما وتوفي الى رحمة الله تعالى .

ربيع الآخر

(٢٢ أغسطس - ١٩ سبتمبر ١٨٠٠ م)

فيه : اشتد أمر المطالبة بالمال ، وعين لذلك رجل نصراني قطي يسمى شكر الله .. فنزل بالناس منه ما لا يوصف . فكان يدخل الى دار أى شخص كان لطلب المال ، وصحبته العسكر من الفرنساوية والفعلة وبأيديهم القزم ، فيأمرهم بهدم الدار ان لم يدفعوا له المقرر وقت تاريخه من غير تأخير ... وخصوصا ما فعله في بولاق : فانه كان يحبس الرجال مع النساء ويدخن عليهم بالقطن والمشاق ، وينوع عليهم العذاب ! ثم رجع الى مصر يفعل كذلك . وفيه : أغلقوا جميع الوكائل والخانات على حين غفلة في يوم واحد ، وختموا على جميعها . ثم

كانوا يفتحونها وينهبون ما فيها من جميع البضائع والأقمشة والعطر والدخان خانا بعد خان فاذا فتحوا حاصلا من الحواصل قوموا ما فيه بما أحسوا بأبخس الأثمان وحسبوا غرامته ، فان بقى لهم شيء أخذوه من حاصل جاره ! وان زاد له شيء أحالوه على جاره الآخر كذلك ! وهكذا ... ونقلوا البضائع على الجمال والحمير والبغال ، وأصحابها تنظر وقلوبهم تتقطع حسرة على مالهم . واذا فتحوا مخزنا دخله أمناؤهم ووكلأؤهم فيأخذون ما يجدونه من الودائع الخفيفة أو الدراهم وصاحب المحل لا يقدر على التكلم ، بل ربما هرب ، أو كان غائبا .

وفيه : حرروا دفاتر العشور ، وأحصوا جميع الأشياء الجليلة والحقيمة ورتبوا بدفاتر وجعلوها أقلاما يتقلدها من يقوم بدفع مالها المحرر ، وجعلوا جامع أربك الذى بالأزبكية سوقا لمزاد ذلك بكيفية يطول شرحها . وأقاموا على ذلك أناما كثيرة يجتمعون لذلك فى كل يوم ، ويشترك الاثنان فأكثر فى القلم الواحد وفى الأقلام المتعددة .

وفيه : كثر الهدم فى الدور ، وخصوصا فى دور الأمراء ومن فر من الناس ... وكذلك كثر الاهتمام بتعمير القلاع وتحصينها وانشاء قلاع فى عدة جهات ، وبنوا بها المخازن والمساكن وصهاريج الماء وحواصل الجبائحانات ... حتى ببلاد الصعيد القبلية .

جمادى الأولى

(٢٠ سبتمبر - ١٩ أكتوبر ١٨٠٠ م)

استهل هذا الشهر ... والأمور من أنواع ذلك تتضاعف ، والظلومات تتكاثف وشرعوا فى هدم أخطاط الحسينية ، وخارج باب الفتوح وباب النصر من الحارات والدور والبيوت ، والمساكن والمساجد ، والحمامات والحوانيت ، والأضرحة ! فكانوا اذا دهموا دارا وركبوها للهدم لا يمكنون أهلها من

تقل متاعهم ، ولا أخذ شيء من أنقاض دارهم !
فينهبونها ويهدمونها ، وينقلون الأنقاض النافعة
من الأخشاب والبلاط الى حيث عمارتهم وأبنيتهم ،
وما بقى يبيعون منه ما أحبوا بأبخس الأثمان
ولوقود النيران ، وما بقى من كسارات الخشب
يحزمه الفعلة حزما ويبيعونه على الناس بأعلى
الأثمان لعدم حطب الوقود .

وبياشر غالب هذه الأفاعيل النصارى البلدية .
فيهدم للناس من الأملاك والعقار ما لا يقدر قدره ..
وذلك مع مطالبتهم بما قرر على أملاكهم ودورهم
من الفردة ، فيجتمع على الشخص الواحد النهب
والهدم والمطالبة في آن واحد !

وبعد أن يدفع ماعلى داره أو عقاره ، وما صدق
أنه غلق ما عليه ... الا وقد دهموه بالهدم .
فيستغيث فلا يغاث ، فترى الناس سكارى
وحيارى ، ثم بعد ذلك كله يطالب بالمنكر من
الفردة !

وذلك أنهم لما قسموا الأخطا — كما
تقدم — وتولى ذلك أمير الخطة وشيخ الحارة
والكتبة والأعوان .. وزعوا ذلك برأيهم ومقتضى
أغراضهم . فأول ما يجتمعون بديوانهم يشرع الكتبة
في كتابة التنايه ، وهى أوراق صغار ، باسم
الشخص والقدر المقرر عليه وعلى عقاره بحسب
اجتهادهم ورايهم . وعلى هامشها كراء طريق
المعينين ، ويعطون لكل واحد من أولئك القواسم
عدة من تلك الأوراق .. فقبل أن يفتح الانسان
عينيه ما يشعر الا والمعين واقف على بابه ويسده
ذلك التنبيه . فيوعده حتى ينظر فى حاله ، فلا يجد
بدا من دفع حق الطريق . فما هو الا أن يفارقه
حتى يأتيه المعين الثانى بتنبيه آخر ، فيفعل معه
كالأول ... وهكذا على عدد الساعات ! فان لم
يوجد المطلوب .. وقف ذلك القواس على داره
ورفع صوته ، وشتم حريه أو خادمه . فيسمى

الشخص جهده حتى يعلق ماتقرر عليه .. بشفاعة
ذى وجاهة ، أو نصرانى !

وما يظن أنه خلص الا والطلب لاحقه أيضا
بمعين وتنبيه . فيقول : « ما هذا ؟ » فيقال له : « ان
الفردة لم تكمل . وبقى منها كذا وكذا ، وجعلنا
على العشرة خمسة أو ثلاثة » ، أو ماسولت لهم
أنفسهم . فيرى الشخص أن لابد من ذلك . فما
هو الا أن خلص أيضا ... الا وكرة أخرى ،
وهكذا ... أمرا مستمرا ! ومثل ذلك ماقرر على
الملتزمين . فكانت هذه الكسورات من أعظم
الدواهي المغلقة ، ونكسات الحمى المطبقة .

ه منه (٢٤ سبتمبر ١٨٠٠ م) :

كان عيد الصليب ، وهو انتقال الشمس لبرج
الميزان والاعتدال الخريفى ، وهو أول سنة
الفرنسيين وهى السنة التاسعة من تاريخ قيامهم ،
ويسمى عندهم هذا الشهر وندمير .. وذلك يوم
عيدهم السنوى . فنادوا بالزينة بالنهار والوقدة
بالليل ، وعملوا شنكات ومدافع وحراقات ووقدات
بالأزبكية والقلاع ، وخرجوا صبح ذلك اليوم
بمواكبهم وعساكرهم ، وطبولهم وزمورهم ، الى
خارج باب النصر ، وعملوا مصافهم ... فقرأ عليهم
كلام بلغتهم ، على عادتهم ، وكأنه مواعظ حربية .
ثم رجعوا بعد الظهر .

وفى هذه السنة زاد النيل زيادة مفرطة لم يعهد
مثلا فيما رأينا ، حتى انقطعت الطرقات ، وغرقت
البلدان ، وطف الماء من بركة الفيل ، وسال الى
درب الشمسى ، وكذلك خارة الناصرية ، وسقطت
عدة دور من المظلة على الخليج . ومكث زائدا الى
آخر توت .

جاردى الآخرة

(٢٠ أكتوبر - ١٧ نوفمبر ١٨٠٠ م)

فيه : قرروا على مشايخ البلدان مقررات يقومون

بدفعها في كل سنة : أعلى وأوسط وأدنى . فالأعلى — وهو ما كانت بلده ألف فدان فأكثر — خمسمائة ريال . والأوسط — وهي ما كانت خمسمائة فأزيد — ثلثمائة ريال . والأدنى : مائة وخمسون ريالاً . وجعلوا الشيخ سليمان الفيومي وكيلًا في ذلك ، فيكون عبارة عن شيخ المشايخ وعليه حساب ذلك وهو من تحت يد الوكيل الفرنسي الذي يقال له « بريزون » . فلما شاع ذلك ضجت مشايخ البلاد ، لأن منهم من لا يملك عشاءه ، فاتفقوا على أن وزعوا ذلك على الأتليان ، وزادت في الخراج ، واستملوا البلاد والكفور من القبط فأمّلوها عليهم حتى الكفور التي خربت من مدة سنين ، بن سوا أسماء من غير مسميات .

وفيه : شرعوا في ترتيب الديوان على نسق غير الأول من تسعة أنفار متعممين لا غير ، وليس فيهم قبطي ولا وجاقل ولا شامي ولا غير ذلك ، وليس فيه خصوصي وعمومي ، على ما سبق شرحه ، بل هو ديوان واحد مركب من تسعة رؤساء هم : الشيخ الشرقاوي رئيس الديوان ، والمهدي كاتب السر ، والشيخ الأمير ، والشيخ الصاوي وكاتبه ، والشيخ موسى السري ، والشيخ خليل البكري ، والسيد علي الرشيد نسيب ساري عسكر ، والشيخ الفيومي ، والقاضي الشيخ اسماعيل الزرقاني ، وكاتب سلسلة التاريخ السيد اسماعيل الخشاب ، والشيخ علي كاتب عربي ، وقاسم أفندي كاتب رومي ، وترجمان كبير — القس رفائيل — وترجمان صغير — الياس فخر الشامي — والوكيل الكمثاري فوريه ، ويقال له مدبر سياسة الأحكام الشرعية ، ومقدم وخمسة قواسم . واختاروا لذلك بيت رشوان بيك الذي بجارة عابدين ، وكان يسكنه برطلمان ، فانتقل منه إلى بيت الجلفي بالخرنقش وعمر وبيض ، وفرشت قاعة الحريم بمجلس الديوان فرشا فاخرا ، وعينوا عشرة جلسات في كل

شهر . وانتقل إليها فوريه وسكنها باتباعه ، وأعدوا للمترجمين والكتبة من الفرنسيين مكانا خاصا يجلسون به في غير وقت الديوان على الدوام لترجمة أوراق الوقائع وغيرها ، وجعلوا لها خزائن للسجلات وفتحوا أيضا بجانبها دارا نفذوها إليها ، وشرعوا في تعميرها وتأنيقها ، وسموها بمحكمة المتجر . وأخذوا يرتبون أنفارا من تجار المسلمين والنصارى يجلسون بها للنظر في القضايا المتعلقة بقوانين التجار . والكبير على ذلك كله فوريه . ولم يتم ذلك المكان الثاني .

الاثنين ١٥ منه (٣ نوفمبر ١٨٠٠ م) :

شرعوا في جلسة الديوان وصورته : أنه إذا تكامل حضور المشايخ يخرج اليهم الوكيل فوريه وصحبته المترجمون فيقومون له فيجلس معهم ويقف الترجمان الكبير رفائيل . ويجتمع أرباب الدعاوى فيقفون خلف الحاجز عند آخر الديوان . وهو من خشب مقفص ، وله باب كذلك ، وعنده الجاويش يمنع الداخلين خلف أرباب الحوائج ، ويدخلهم بالترتيب الأسبق فالأسبق ، فيحكي صاحب الدعوة قضيته فيترجمها له الترجمان . فإن كانت من القضايا الشرعية فاما أن يتمها قاضي الديوان بما يراه العلماء أو يرسلوها إلى القاضي الكبير بالمحكمة إن احتاج الحال فيها إلى كتابة حجج أو كشف من السجل . وإن كانت من غير جنس القضايا الشرعية ، كأموال الالتزام أو نحو ذلك ، يقول الوكيل : « ليس هذا من شغل الديوان » ، فإن أُلح أرباب الديوان في ذلك يقول : « اكتبوا عرضا لساري عسكر » . فيكتب الكاتب العربي والسيد اسماعيل يكتب عنده في سجله كل ما قال المدعى والمدعى عليه ، وما وقع في ذلك من المناقشة . وربما تكلم قاضي الديوان في بعض ما يتعلق بالأمور الشرعية . ومدة الجلسة من قبيل الظهر بنحو ثلاث ساعات إلى الأذان أو بعده

بقليل بحسب الاقتضاء : ورتبوا لكل شخص من مشايخ الديوان التسعة ، أربعة عشر ألف فضة في كل شهر ، عن كل يوم أربعمئة نصف فضة . وللقاضي والمقيد والكاتب العربي والمترجمين وباقي الخدم ، مقادير متفاوتة تكفيهم وتغنيهم عن الارشاء .

وفي أول جلسة من ذلك اليوم عملت المقارعة لرئيس الديوان وكاتب السر ، فطلعت للشرقاوى والمهدى على عادتهما وكذلك الجاوشية والترجان . وكتبت تذكرة من أهل الديوان خطابا لصاري عسكر يخبرونه فيها بما حصل من تنظيم الديوان وترتيبه . وسر الناس بذلك لظنهم أنه انفتح لهم باب الفرج بهذا الديوان . ولما كانت الجلسة الثانية ازدحم الديوان بكثرة الناس وأتوا اليه من كل فج يشكون .

الثلاثاء ٢٣ منه (١١ نوفمبر ١٨٠٠ م) :

أمروا بجمع الشحاذين — أى السؤال — بمكان ، وينفق عليهم نظار الأوقاف .

وفيه أيضا : أمروا بضبط ايراد الأوقاف وجمعوا المباشرين لذلك ، وكذلك الرزق الأحباسية والأطيان المرصدة على مصالح المساجد والزوايا ، وأرسلوا بذلك الى حكام البلاد والأقاليم .

غايته (١٧ نوفمبر ١٨٠٠ م) :

حضر رجل الى الديوان مستغيث بأهله ، وأن قلق الفرنسيين قبض على ولده وجبسه عند قائم مقام وهو رجل زيات . وسبب ذلك أن امرأة جاءت اليه لتشتري سمنا فقال لها : « لم يكن عندي سم » فكررت عليه حتى حنق منها . فقالت له : « كأنك تدخره حتى تبيعه على العثملى » تريد بذلك السخرية . فقال لها : « نعم .. رغما عن أنفك وأنف الفرنسيين » . فنقل عنه مقاله غلام كان معها

حتى ألوهه الى قائم مقام ... فأحضره وجبسه . ويقول أبوه : « أخاف أن يقتلوه » فقال الوكيل : « لا ... لا يقتل بمجرد هذا القول ، وكن مطمئنا فان فرنساوية لا يظلمون كل هذا الظلم ! »

فلما كان في اليوم الثانى ... قتل ذلك الرجل ، ومعه أربعة لا يدري ذنبهم ، وذهبوا كيوم مضى !

رجب

الثلاثاء غرته (١٨ نوفمبر ١٨٠٠ م) :

فيه : الطلب والنهب والهدم مستمر ومتزايد . وأبرزوا أوامر أيضا بتقرير مليون على الصنائع والحرف — يقومون بدفعه في كل سنة — قدره مائة ألف وستة وثمانون ألف ريال فرانسة ، ويكون الدفع على ثلاث مرات : كل أربعة أشهر يدفع من المقرر الثلث ، وهو اثنان وستون ألف فرانسة . فدهى الناس ، وتحيرت أفكارهم ، واختلطت أذهانهم ، وزادت وساوسهم .

وأشيع أن يعقوب القبطى تكفل بقبض ذلك من المسلمين ، ويقلد في ذلك شكر الله وأضرابه من شياطين أقباط النصارى .

واختلفت الروايات فقليل : ان قصده أن يجعلها على العقار والدور ، وقيل : بل قصده توزيعها بحسب الفردة — وذلك عشرها — لأن الفردة كانت عشرة ملايين ، فالذى دفع عشرة يقوم بدفع واحد على الدوام والاستمرار . ثم قيدوا لذلك رجلا فرنساويا يقال له « دناويل » وسماه (مدير الحرف) . فجمع الحرف وفرض عليهم كل عشرة : أربعة . فمن دفع عشرة في الفردة ... يدفع أربعة الآن . فعورض في ذلك بأن هذا غير المنقول .

فقال : « هذا .. باعتبار من خرج من البلد ، ومن لم يدخل في هذه الفردة كالمشايع والفارين .. فان الذى جعل عليهم ، أضيف على من بقى » . فاجتمع التجار وتشاوروا فيما بينهم في شأن

ذلك ، فأوا أن هذا شيء لا طاقة للناس به من
• جوه •

الأول : وقف الحال ، وكساد البضائع ، وانقطاع
الأسفار ، وقلة ذات اليد ، وذهاب البقية التي كانت
في أيدي الناس في الفرد والدواهي المتتابة .

الثاني : أن الموكلين بالفردة السابقة وزعوا على
التجار والمتسبين . وكل من كان له اسم في الدفتر
من مدة ستين ، ثم ذهب ما في يده ، وافتر حاله ،
وخلا حانوته وكيسه ... ألزموه بشقص (١) من
ذلك ، وكلفوه به ، وكتب اسمه في دفتر الدافعين
ويلزمه ما يلزمهم ، وليس ذلك في الامكان .

الثالث : أن الحرفة التي دفعت ، مثلا ، ثلاثين
ألفا يلزمها ثلاثة آلاف في السنة على الرأي الأول .
وعلى الثاني ، اثنا عشر ألفا . وقد قل عددهم ،
وغلقت أكثر حوانيتهم لفقرهم وهجاجهم ...
وخصوصا اذا ألزموا بذلك المليون ، فيفسر
الباقى ، ويبقى من لا يمكنه القرار ، ولا قدرة
للمعص بما يلزم الكل .

وفيه : أمر الوكيل بتحرير قائمة تتضمن أسماء
الذين تقلدوا قضاء البلاد من طرف القاضي ،
والذين لم يتقلدوا .

وأخبر أن السر في ذلك أن مناصب الأحكام
الشرعية استقر النظر فيها له ، وأنه لا بد من
استئناف ولايات القضاة حتى قاضى مصر بالقرعة
— من ابتداء سنة فرنساوية — ويكتب لمن تطلع
له القرعة تقليد من سارى عسكر الكبير . فكتبت
له القائمة كما أشار .

الجمعة ٤ منه (٢١ نوفمبر ١٨٠٠ م) :

قتل جماعة بالرميلة وغيرها ونودى عليهم : « هذا
جزاء من يتداخل في الفرنسيين والمشملى » .

(١) الشقص : السهم والنصيب .

الأحد ٦ منه (٢٣ نوفمبر ١٨٠٠ م) :

عملت القرعة على شرطها ، بل زاد تكرارها
ثلاث مرات لقاضى مصر ، واستقرت للعريشى على
ماهو عليه . وخرج له التقليد بعد مدة طويلة .

الثلاثاء ٨ منه (٢٥ نوفمبر ١٨٠٠ م) :

قتل غلام وجارية بباب الشعرية ونودى عليهما :
« هذا جزاء من خان وغش وسعى بالفساد » .

فيقال انهما كانا يخدمان فرساويا ، فدسا له
سما وقتلاه .

الأربعاء ٩ منه (٢٦ نوفمبر ١٨٠٠ م) :

حضر جماعة من الوجاقلية الى الديوان وهم :
يوسف باشا جاويش ، ومحمد أغا سليم كاتب
الجاويشية ، وعلى أغا يحيى باشا جاويش
الجراكسة ، ومصطفى أغا أبطال ، ومصطفى كتحدا
الرزاز . وذكروا أنهم كانوا تعهدوا بباقي الفردة
المطلوبة من الملتزمين ، وقدرها خمسة وعشرون
ألف ريال ، وقد استدانوا لذلك قدرا من البن
بخمسة وثلاثين ألف ريال فرانسة ليوفوا ما عليهم
من الديون ، وأنهم أرسلوا الى حصصهم يطالبون
الفلاحين بما عليهم من الخراج .. فامتنع الفلاحون
من الدفع ، وأخبروا أن فرنساوية خرجوا عليهم
ومنعهم من دفع المال للملتزمين . فكتب لهم
عرضحال في شأن ذلك وأرسل الى سارى عسكر
... ولم يرجع جوابه .

الاثنين ١٤ منه (أول ديسمبر ١٨٠٠ م) :

صنع الجنرال « بليسا » ، المعروف بقائمقام ،
عزومة لمشايخ الديوان والوجاقلية وأعيان
التجار وأكابر نصارى القبط والشوام ، ومد لهم
أسمطة حافلة .. وتعشوا عنده ، ثم ذهبوا الى
بيوتهم .

الثلاثاء ٢٢ منه (٩ ديسمبر ١٨٠٠ م) :

طيف بامرأتين في شوارع مصر بين يدي الحاكم
ينادى عليهما : « هذا جزاء من يبيع الأحرار »
وذلك أنهما باعتا امرأة لبعض نصارى الأروام
بتسعة ريالات !



بليار

وفيه : طلب الخواجه الفرنسي المعروف
بـ « موسى كافو » من الوجاقلية بقية الفردة المتقدم
ذكرها . فأجابوا بأن سبب عجزهم عن غلقها توقفت
الفلاحين عن دفع المال بأمر الفرنساوية ، وعدم
تحصيلهم المال من بلادهم . ثم أحيلوا بعد كلام
طويل على استيفاء الخازن دار ، لأن ذلك من وظائفه
لا من وظائف الديوان .

الجمعة ٢٥ منه (١٢ ديسمبر ١٨٠٠ م) :

اتفق أن جماعة من أولاد البلد خرجوا الى
النزهة جهة الشيخ قمر ، ومعهم جماعة آلاتية
يفنون ويضحكون . فنزل اليهم جماعة من العسكر
الفرنساوية ، المقيمين بالقلعة الظاهرية خارج
الحسينية ، وقبضوا عليهم وجسوهم ، وأرسلوا
شخصا منهم الى شيخ البلد « بليار » ، وأخبروه
بمكانهم ليستفسر عن شأنهم .. فلقية ، ثم رده الى
القلعة الظاهرية ثانيا ، فبات عند أصحابه . ثم
طلبهم في ثاني يوم ، فذهبوا وصحبهم جماعة من
العسكر بالبندق تحرسهم فقابلوه ، ومن عليهم
بالاطلاق ، وذهبوا الى منازلهم .

وفيه : منعوا الأغا والسوالى والمحتسب من
عوائدهم على الحرف والمتسبين . فانها اندرجت
في أقلام العشور ، ورتبوا لهم جامكية من صندوق
الجمهور يقبضونها في كل شهر .

الأحد ٢٧ منه (١٤ ديسمبر ١٨٠٠ م) :

حضر الوجاقلية ، ومعهم بعض الأعيان وحريمات
ملتزمات يستغيثون بأرباب الديوان ويقولون :
« انه بلغنا أن جمهور الفرنساوية يريدون وضع
أيديهم على جميع الالتزام المفروج عنه الذي دفعوا
حلوانه ومغارمه ، ولا يرفع أيدي الملتزمين عن
التصرف في الالتزام جملة كافية » .

وقد كان قبل ذلك أنهى الملتزمون الذين لم
يفرجوا لهم عن حصصهم : اما لفرارهم وعودهم
بالأمان ، واما لقصر أيديهم عن الحلوان ، واما
لشراقي بلادهم ، واما لانتظارهم الفرج وعود
العثمانيين .. فيتكرروا عليهم الحلوان والمغارم . فلما
طال المطال ، وضاق حال الناس ، عرضوا أمرهم
وطلبوا من مراحم الفرنساوية الافراج عن بعض
ما كان بأيديهم ، ليتعيشوا به . ووقع في ذلك بحث
طويل ومناقشات يطول شرحها . ثم ما كفى حتى
بلغهم أن القصد نزع المفروج عنه أيضا ، ونزع
أيدي المسلمين بالكلية ، وأنهم يستشفعون بأهل
الديوان عند سارى عسكر بأن يبقى عليهم التزامهم
يتعيشون به ، ويقضون ديونهم التي استدانوها
في الحلوان ومغارم الفردة .

فقال « فوريه » الوكيل : « هل بلغكم ذلك
من طريق صحيح ؟ » . فقالوا : « نعم .. بلغنا من
بعض الفرنساوية » . وقال الشيخ خليل البكرى :
« وأنا سمعته من الخازن دار » . وقال الشيخ
المهدى مثل ذلك ، وأنهم يريدون تعويضهم من
أطيان الجمهور . فقال الملتزمون : ان بيدنا الفرمانات
والتمسكات من سلفكم بونايرته ، ومن السلاطين

السابقين ولوابهم ، وقائمون بدفع الخراج ، وأنهم ورثوا ذلك عن آبائهم وأسلافهم وأسيادهم . وإذا أخذ منهم الالتزام اضطروا الى الخروج من البلد والهجاج وخراب دورهم ، ويصبحون صماليك ولا يأتئهم الناس .

وطال البحث في ذلك ، والوكيل مع هذا كله ينكر وقوع ذلك مرة ، ويناقش أخرى ، الى أن انتهى الكلام بقوله : « ان الكلام في هذا وأمثاله ليس من وظيفتي ، فاني حاكم سياسة الشريعة ، لا مدبر أمر البلاد .. نعم من وظيفتي المعاونة والنصح فقط » .

شعبان

الخميس مستهلة (١٨ ديسمبر ١٨٠٠ م) :

أجيب الملتزمون بإبقاء التزامهم عليهم ، وأنكروا ما قيل في رفع أيديهم ، وعوتب من صدق هذه الأكذوبة . وان كانت صدرت من الخازن دار ، فاما كانت على سبيل الهزل ، أو يكون التحريف من الترجمان أو الناقل .

وفيه : حضر التجار الى الديوان ، وذكروا أمر المليون ، وأن قصدهم أن يجعلوه موزعا على الرؤوس ، ولا يمكن غير ذلك . وطال الكلام والبحث في شأن ذلك . ثم انحط الأمر على تفويض ذلك لرأى عقلاء المسلمين ، وأنهم يجتمعون ويدبرون ويسلمون رأيهم في ذلك ، بشرط لا يتدخل معهم في هذا الأمر نصراني أو قبطي . وهم الضامنون لتحصيله بشرط عدم الظلم ، وألا يجعلوا على النساء ولا الصبيان ولا الفقهاء ولا الخدامين شيئا ، وكذلك الفقراء . ويراعى في ذلك حال الناس وقدرتهم وصناعاتهم ومكاسبهم . ثم قالوا : « نرجو أن تضيفوا الينا بولاق ومصر القديمة » . فلم يجابوا الى ذلك ، لكونهم جعلوها مستقلين ،

وقرروا عليهما قدرا آخر خلاف الذي قرروه على مصر .

وفيه : لخصوا عرضا ولطفوا فيه العبارة لسارى عسكر . فأجيبوا الى طلبهم ، ماعدا بولاق ومصر القديمة .

وأخرجوا من أرباب الحرف ، الصيارفة والكيالين والقبانية وجعلوا عليهم بمفردهم ستم ألف ريال ، خلاف ما يأتى عليهم من المليون أيضا ، يقومون بدفعها في كل سنة ١ والسر في تخصيص الثلاث حرف المذكورة دون غيرها ، أن صناعتهم من غير رأس مال .

وفيه : أفردوا ديوانا لذلك بيت داود كاشف — خلف جامع الغورية — وتقيّد لذلك السيد أحمد الزرو ، وأحمد بن محمود محرم ، وإبراهيم افندي كاتب البهار وطائفة من الكتبة . وشرعوا في تحرير دفاتر بأسماء الناس وصناعاتهم ، وجعلوها طبقات . فيقولون : فلان من نمرة عشرة أو خمسة أو ثلاثة أو اثنين أو واحد ، ومشوا على هذا الاصطلاح .

وفيه : أبطلوا عشور الحرير الذي يتوجه من دمياط الى المحلة الكبرى .

وفيه : أرسل سارى عسكر يسأل المشايخ عن الذين يدورون في الأسواق ، ويكشفون عوراتهم ، ويصيحون ويصرخون ويدعون الولاية ، وتمتقدمهم العامة ، ولا يصلون صلاة المسلمين ولا يصومون هذا جائز عندكم في دينكم ، أو هو محرم ؟

فأجابوه : « بأن ذلك حرام ومخالف لديننا وشرعنا وسنتنا » . فشكرهم على ذلك ، وأمر الحكام بمنعهم ، والقبض على من يرويه كذلك . فان كان مجنوننا ربط بالمارستان ، أو غير مجنون .. فاما أن يرجع عن حالته أو يخرج من البلد .

وفيه : أرسل رئيس الأطباء الفرنسيين نسخا من رسالة ألفها في علاج الجدري لأرباب الديوان : لكل واحد نسخة على سبيل المحبة والهدية ، ليتناقلها الناس ، ويستعملوا ما أشار إليه فيها من العلاجات لهذا الداء العضال ... فقبلوا منه ذلك ، وأرسلوا له جوابا شكرا له على ذلك ، وهي رسالة لا بأس بها في بابها .

الأحد ١١ منه (٢٨ ديسمبر ١٨٠٠ م) :

وجدت امرأة مقبولة بغيطة عمر كاشف — بالقرب من قناطر السباع — فتوجه بسبب الكشف عليها رسول القاضى والأغا ، وأخذوا الغيطانية وحبسوها ، وكان بصحبتهما أيضا القبطان الحاكم بالخط ، ولم يظهر القاتل . ثم أطلقوا الغيطانية بعد أيام .

وفيه : كمل المكان الذى أنشأوه بالأربكية ، عند المكان المعروف بباب الهواء — وهو المسمى فى لغتهم بالكبرى — وهو عبارة عن محل يجتمعون به كل عشرة ليال ، ليلة واحدة ، يتفرجون به على ملاعب يلعبها جماعة منهم بقصد التسلية والملاهي ، مقدار أربع ساعات من الليل ، وذلك بلغتهم ، ولا يدخل أحد إليه إلا بورقة معلومة ، وهيئة مخصوصة .

الجمعة ١٦ منه (٢ يناير ١٨٠١) :

ذكروا فى الديوان ، أن سارى عسكر أمر وكيل الديوان ، أنه يذكر لشيخ الديوان ، أن قصده ضبط واحصاء من موت ومن بولد من المسلمين . وأخبرهم أن سارى عسكر بونا بارتة كان فى عزمه ذلك ، وأن يقيد له من يتصدى لذلك ويرتبه ويدبره ، ويعمل له جامكية وافرة ... فلم يتم مرامه . والآن يريد تسميم ذلك ، ويطلب منهم التدبير فى ذلك ، وكيف يكون . وذكر لهم أن فى

ذلك حكما وفوائد ، منها : ضبط الأنساب ومعرفة الأعمار فقال بعض الحاضرين : « وفيه معرفة انقضاء عدة الأزواج أيضا » !

ثم اتفق رأى على أن يعلموا بذلك قلقات الحارات والأخطاط ، وهم يقيدون على مشايخ الحارات والأخطاط بالتفحص عن ذلك من خدمة الموتى والمفسلين والنساء القوابل ، وما فى معنى ذلك . ثم ذكر الوكيل أن سارى عسكر ولد له مولود ، فينبغى أن تكتبوا له تهنئة بذلك المولود الذى ولد له من المرأة المسلمة الرشيدة .

وجوابا عن هذا رأى ... كتبوا ذلك فى ورقة كبرىه ، وأوصلها إليه الوكيل « فوريه » .

الأحد ٢٥ منه (١١ يناير ١٨٠١ م) :

أرسل سارى عسكر الى مشايخ الديوان كتابا ، وقرأه الترجمان الكبير « رفائيل » ، وصورته ونصه بالحرف الواحد :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لا اله الا الله ، محمد رسول الله .

« من عبد الله جاك مينو سارى عسكر أمير عام جيوش دولة جمهور فرنساوية بالشرق ، ومظاهر حكومتها ببر مصر حالا ...

« الى حضرة المشايخ والعلماء أهالى الديوان المنيف ، بمصر القاهرة حالا ... أدام الله تعالى فضائلهم ، وزينهم بلميع النور ، لاكمال وظائفهم ، ولجواز فرائضهم ، آمين يامعين .

« والآن نخبركم أن الذى حررتموه لنا ، ملا نفسنا سرورا ، وقلبنا جبورا ، فثبت عندنا وتحقق وفور ما عندكم من المحبة التى شهدتم بها ، وما فيكم من النية والنظام والعدل .

« فحقا انكم لمستحقون لأن تكونوا فى مثل هذا المحل الذى اخترتم عليه . فنحن نعلم أن القرآن

العظيم الشأن ... ذلك المصحف الأكمل ، والكتاب
المفضل ، يشتمل على مبادئ الحكمة السنية ،
والحموق اليقينية .

« وهذه المبادئ المذكورة لا يصح بناؤها
المتن ، على الحكم والحق اليقين ، الا اذا عرضت
على أحسن الآداب ، وتعليم العلوم بغير ارتياب .
وبهذين تنتج أعظم الفوائد ، وذلك بمساعي أناس
متحدين معا برياضات الحظ والسعد .

« وبمثل ذلك عرفت أنه لمن المستحيل أن القرآن
الشريف يفصح الا على ماهو من باب النظام ،
لأنه — من دون ذلك — فكل ماهو في هذا العالم
الفانى ليس الا معابر وخراب .

« ولا يسهى عنا أن كل ماهو من الموجودات
الكائنات ، كقولك تلك المتحركة بطريقة ونظام ،
من قبل من جعلها للمسير سبحانه مبدع الأنام ،
كالنجوم السائرة فى الأعالي ، وبها يهتدى للسير
الحالى . ثم على الخصوص تلك الفصول الأربع
المتوالى انتقالها باستمرار جولانها ، ثم اتصال
الليل بالنهار ، والنهار بالليل .. على حد واحد من
المقدار ، ثم وجود المتباينات ، وتمييز النور من
الظلمات ، وان ذاك وما أدراك !

« فماذا عسى كان يحل بنا وبحال العالم بأسره
أيضا ، لو عدم هذا النظام ... ولو برهة ؟

« فالآن لرجو جناب حضرة المشايخ والعلماء
يفيدون كيف ترى كان يصير حال القطر المصرى ،
لو يمتنع عن جريانه كعادته لهره هذا المبارك
المشتهر — لا يسمح الله سبحانه بذلك —
فبلا شك أن البلاد قاطبة لا يمكن أن تسكن حين
ذاك الا ببحر سنة واحدة فقط . وذلك من عدم
الماء ، ورى الأرض .. أراضى هذه المملكة التى
أتم قاطنون بها . وفى ذلك الحين كانت تصعد
الرمال على الأطيان والمزارع والحيضان ، والناس

تهلك جوعا ، وتعدم السكان ، فتنشحن الأرض
من الأموات ، فنموذ بالله الحفيظ لسائر المخلوقات .
« واذا كان الله سبحانه وتعالى قد أبدع كل
الأشياء بمعرفته القادرة ، وحكمته الباهرة .
وجعل هذا النظام العجيب ، ورتب هذه الدنيا
وما فيها ترتيب معجز غريب . فقد عرف أنها بدون
ذلك تعدم سريعا ، وحالها يغدو مريعا .

« فالآن ... انما نكون من أشر المذنبين اذا
سرنا سيرة كالضالين ، وعلى أوامره عصاة غير
منخضعين . ومع ذلك فنسأله جل شأنه أن يقوينا
على السلوك فى ديننا ودنيانا .. وهذا القدر كفانا .
« فيا أيها المشايخ المكرمون ، والعلماء المحققون
ومن هم بالعلم موصوفون ... لا يخفاكم أن أجمل
مافى النظام ، فى تدبير هذه الدنيا بأسرها حسن تام ،
هو الاحتفال والميل الى النظام ، الذى هو صادر
ترتيبه عن حكمة الله تعالى بوجه تام . ثم ان البلاد
وتلك النواحي ، التى يطلق عليها كونها فى حال
النجاح ، والحظ والفلاح — لاتعتد هكذا الا اذا
كان سكانها يهتدون الى قواعد الشريعة ، والفرائض
الصادرة عن أصحاب الفطنة والادراك ، ويستعدون
للسلوك بالعدل والانصاف .. خلافا لغيرها من البلاد
التعسة الحال ، تلك التى سكانها خاضعون على
الدوام لمافيه من العجرفة والاعتداء ، ولا ينعطفون
الا الى أهواء أنفسهم المنحرفة .

« فجناب حضرة بونا بارتة الشهير النييل ،
الصنديد الشجاع الجليل ، قد تقدم فأمر بأن
يجرر دفتر ، يكتب فيه أسماء كامل الميتين . والآن
حضرتكم قد طلبتم منى دفتر آخر خلافة ، فيه
يتحرر أسماء المولودين أيضا .

« ومن حيث ذلك ، فلا بد أن أعتنى منذ الآن ،
مع جزيل الاهتمام ، بهذين الأمرين . وهكذا أيضا
بتحرير دفتر الزواج ، اذ كان ذلك أشد المهمات
والحوادث الواجبات . ثم يتبع ذلك بتجديد نظام

غير قابل التغير في ضبط الأملاك ، والتمييز الكامل عن ولد ومات من السكان ، وهذا يعرف من أهالي كل بيت . فعلى هذا الحال ، يتيسر للحاكم الشرعى الحكم بالعدل والانصاف ، وينقطع الخلف والخصام بين الورثة ، وتقرر الولادة ، ومعرفة السلالة التى هى الشئ الأجل والأوفر استحقاقا فى الارث . وهكذا ، ان شاء الله ، لابد من الفحص والتفتيش بالحرص والتدقيق ، وبذل الهمة للحصول لأقرب نوال الى ما يلزم لاكمال ما قصدناه .

« ثم ان أراد الله لابد أن أعتنى بالمطالبة ، على وجه تام ، كل وقت يقتضى لنا أن ندبر أشياء تستفيد بها هذه المملكة التى قد تسلمنا سياستها ، وبهذا نوقن ونتحقق كوننا امثلنا لأوامر دولة جمهور فرنساوية ، وحضرة قنصلها الأول بونا برته .

« فياحضرة المشايخ والعلماء الكرام ، أنا نشكر فضلكم على ما أظهرتم لنا تهنة بولادة ولدى السيد سليمان مراد جاك مينو . فنطلب من الله سبحانه وتعالى ، واسألوه كذلك بجاه رسوله سيد المرسلين ، أن يجود به على زمانا مديدا ، وأن يكون للعدل محبا ، وللانصاف والحق مكرما ، وموفى وعده صادقا ، وألا يكون من أهل الطمع فهذا هو أوفر الغنى الذى أرغبه لولدى . لأن الرجل ... الذى لا يهتدى الا بالخير ، فلا يصرف اعتناؤه الا فى خير الأدب ، لا فى قنية الفضة والذهب .

« فنسأله تعالى أن يطيل بقاءكم والسلام » (١) .

(١) فى هذا الشهر رزق عبد الله جاك مينو من زوجته السيدة زبيدة ولدا اسماه « سليمان مراد جاك مينو » .
« عبد الرحمن الرافعى - تاريخ الحركة القومية - ج ٢ ص ٢١٤ »
وكان اختيار مينو اسم « سليمان » ، لان سليمان الحلبي قاتل كليبر ، وذلك لكراهية مينو لكليبر . وكان ايضا لا يبدو منه اى احترام للكرام .

الخميس غايته (١٥ يناير ١٨٠١ م) :

سقطت منارة جامع قوصون .. سقط نصفها الأعلى فهدم جانبها من بوائك الجامع ، ونصفها الأسفل مال على الأماكن المقابلة له بعطفة الدرب النافذ لدرب الأغوات ، وبقي مسندا كذلك قطعة واحدة الى يومنا هذا . وأظن أن سقوطها من فعل الفرنسيين بالبارود .

رمضان

ثبت هلاله ليلة الجمعة (١٦ يناير ١٨٠١ م) :

عملت الرؤية ، وركب المحتسب ومشايخ الحرف بالطبول والزمور على العادة ، وأطلقوا له خمسين ألف درهم لذلك ، نظير عوائده التى كان يصرفها فى لوازم الركبة .

الثلاثاء ٥ منه (٢٠ يناير ١٨٠١ م) :

وقع السؤال والفحص عن كسوة الكعبة ، التى كانت صنعت على يد مصطفى أغا - كتحدا الباشا - وكملت بمباشرة حضرة صاحبنا العمدة الفاضل ، الأريب الأديب ، الناظم الناصر : السيد اسماعيل الشهير بالخشاب . ووضعت فى مكانها المعتاد بالمسجد الحسينى ، وأهمل أمرها الى حد تاريخه ، وربما تلف بعضها من رطوبة المكان وخير السقف من المطر . فقال الوكيل : « ان سارى عسكر قصده . التوجه بصحبكم يوم الخميس قبل الظهر بنصف ساعة الى المسجد الحسينى ، ويكشف عنها . فان وجد بها خلا أصلا ، ثم يعيدها كما كانت ، وبعد ذلك يشرع فى ارسالها الى مكانها بمكة ، وتكسى بها الكعبة على اسم المشيخة فرنساوية ا » . فقالوا له : « شأنكم وما تريدون » وقرئ بالمجلس فرمان بمضمون ذلك .

المسجد ، ولو حصل منكم تنبيه كنا أخرجناهم قبل حضوركم » فركب فرسه ثانيا وكر راجعا وقال : « نأتى في يوم آخر » وانصرف حيث جاء .. وانصرفوا !

السبت ٩ منه (٢٤ يناير ١٨٠١ م) :

حصلت كائنة سيدى محمود وأخيه سيدى محمد المعروف بأبى دفية . ولك أن سيدى محمود المذكور كان بينه وبين على باشا الطرابلسى صداقة ومحبة أيام اقامته بالجيزة ، وحج صحبته في سنة تسع ومائتين وألف فلما وقعت حادثة الفرنساوية ولخرج على باشا المذكور مع من خرج الى الشام ، ووردت العساكر العثمانية صحبة يوسف باشا الوزير في العام الماضى وصحبته على باشا المذكور ، وله به مزيد الوصلة والعناية والمرجع في المشورة لخبرته بالأقطار المصرية ، ومعرفته أهالى البلاد ... استشاره في شخص يعرفه ، يكون عينا بمصر ليراسله ويطلعه بالأخبار ، فأشار عليه بمحمود أفندى المذكور . فكانوا يرسلونه ، ويطلبهم بالأخبار سرا . فلما قدموا الى مصر في السنة الماضية ، وجرى ماجرى من نقض الصلح ، ورجوع الوزير .. ولم يزل سيدى محمود تأتية المراسلات بواسطة السيد أحمد المحروقى أيضا ، ولأن على باشا ارتحل الى الديار الرومية فيطلبهم كذلك بالأخبار مع شدة الخذر خوفا من سطوة الفرنساوية وتحسس عيونهم المقيدة لذلك . فكان يذهب الى قلوب ويتلقى ورود القاصد ويرد له الجواب .

فلما كان في التاريخ ، ورد عليه رسول ومعه جواب وأربع أوراق مكتوبة باللغة الفرنساوية ، وفيها الأمر بتوزيعها ووضعها في أماكن معينة حيث سكن الفرنساوية .. فوزع اثنتين ، وقصد وضع الثالثة في موضع جمعيتهم ، فلم يمكنه ذلك الا ليلا ، فأعطاها خادمه ، وأمره أن يشكها بحمار

وفيه : قرىء فرمان مضمونه : أنه وردت مكاتبات من فرنسا بوقوع الصلح بينهم وبين أهل الجزائر وتونس بشروط مفضاة مرضية . وقد أطلقوا الاذن للتجار من أهل الجهتين بالسفر للتجارة فمن سافر ، له الحماية والصيانة في ذهابه وإيابه واقامته باسم دولة الجمهور الفرنساوية ... الى آخره ، ولم يظهر لذلك أثر .

وفيه : قرىء تقليد الشيخ أحمد العريشى بقضاء مصر . ووصل أيضا تقليد القضاء بدمياط لأحمد أفندى عبد القادر ، وإييار للعلامة الشيخ رضوان نجا ، ومحلة مرحوم للشيخ عبد الرحمن طاهر الرشيدى . وذلك على موجب القرعة السابقة من مدة شهرين أو أكثر . وقرىء ذلك بالديوان ، ولم يحصل بعد ذلك غيرهم .

فلما كان صبح ذلك اليوم أرسل شيخ البلد « بليار » الى العريشى ومشايخ الديوان والوجاقلية ، فلما تكاملوا خلع على القاضي العريشى فروة سمور بولايته القضاء ، وركب بصحبته الجميع وجمعة من العساكر الفرنساوية ، وشيخ البلد بجانبه ، ومشوا من وسط المدينة الى أن وصلوا الى المحكمة بين القصرين ، فجلسوا ساعة من النهار ، وقرىء تقليده بحضرة الجميع ووكيل الديوان « فوريه » . ثم رجعوا الى منازلهم .

الخميس ٧ منه (٢٢ يناير ١٨٠١ م) :

توجه الوكيل ومشايخ الديوان الى المشهد الحسينى لانتظار حضور سارى عسكر الفرنسيين بسبب الكشف على الكسوة ، وازدهم الناس زيادة على عادتهم في الازدحام في رمضان . فلما حضر ونزل عن فرسه عند الباب وأراد العبور للمسجد ، رأى ذلك الازدحام فهاب الدخول وخاف من العبور ، وسأل ممن معه عن سبب هذا الازدحام فقالوا له : « هذه عادة الناس في نهار رمضان ، يزدحمون دائما على هذه الصورة في

وأما المطلوب فوقع له مزيد المشقة في مدة اختفائه ، وتبرأ منه غالب أصحابه ومعارفه من العربان وغيرهم وتنكروا منه . ولم يزل حتى استقر عند شيخ العرب موسى أبي حلاوة وأولاده بناحية أمييه بالقلبيوية ، باطلاع الشواربي ، فأكرموه وواسوه وأخفوا أمره ، ولم يزل مقيماً عندهم في غاية الاكرام حتى فرج الله عنه .

الخميس ١٤ منه (٢٩ يناير ١٨٠١ م) :

تقيد للحضور بسبب الكشف على الكسوة « استوفو » خازن دار الجمهور ، و « فوريه »



استوفو

وكيل الدبوان . فحضر صحبتها المشايخ والقاضي والأغا والوالى والمحتسب ، بعد ما أدخل المسجد من الناس ، وأحضروا خدامين الكسوة الأقدمين ، وحلوا رباطاتها وكشفوا عليها ، فوجدوا بها بعض خلل ، فأمروا باصلاحه ورسوموا لذلك ثلاثة آلاف فضة ، وكذلك رسوموا للخدمة الذين يخدمونها ألف نصف فضة ، وللخدمة الضريح ألف نصف ثم ركبوا الى منازلهم ، ثم طويت ووضعت في مكانها بعد اصلاحها .

الاحد ٢٤ منه (٨ فبراير ١٨٠١ م) :

ضربت مدافع كثيرة ، بسبب ورود مركبين

في حائط ذلك المكان — وهو بالقرب من الحمام المعروف بحمام الكلاب — ففعل وتلكا في الذهاب فاطلع عليه بعض الفرنسيين من أعلى الدار فنزل اليه وأخذ الورقة . وقبضوا على ذلك الخادم ، وصادف ذلك مرور حسن القلق — وهو يتوقع نكتة تكون له بها الوجاهة عند الفرنسيات — فاعتنم هذه الفرصة ، وقبض على الخادم مع الفرنسيات ، وسيده نظر اليه من بعيد ، وعلم أنه وقع في خطب لاسجه منه الا الفرار . فرجع الى داره ، وتناجى مع أخيه واستشاره فيما وقع فيه ، وكيف يكون العمل فأشار عليه بالاختفاء ، ويستمر أخوه بالمنزل مستهدفا للقضاء ، وليكون وقاية على منزله وعرضه ، وليس هو مقصودا بالذات ... فكان كذلك وتغيب سيدى محمود ، وأصبح الطلب قاصده فلما لم يحدوه ، قبضوا على أخيه سيدى محمد أفندى ومن كان معه بالبيت — وهو الشيخ خليل المنير ، وقرابته اسماعيل جلبى ، ونسيبه الروسى ، والسقاء وشيخ حارثهم — وحبسوهم بيت قائمقام وهم سبعة أنصار بالخادم المقبوض عليه أولا ، وأوقفوا حرسا بدارهم ، واجتهدوا في الفحص عن سيدى محمود ، وتكرار السؤال عليه من أخيه ورفقائه أناما .

فلما لم ينفقوا له على خبر ، أحاطوا بالدار ، ونهوا مافيا وصحبتهم الخادم بدلهم على المتاع والمحلات . ثم أصدعدهم الى القلعة ، وضيّقوا عليهم ، وأرسلوا خلة ، الشواربى شيخ قلوب ومن كان شتقل عندهم ، وألزمهم باحضاره فأذكروه وجحدوه ثم أطلقوا خادمه بعد أن أعطوه خمسين ريالاً فرانسة ، وجعلوا له ألفاً ان دلهم عليه ، وقيدوا به عينا يتبعه أينما توجه . فاستمر أياما يغدو ويروح في مظناته ، فلم تقع له على خبر . فردوه الى السجن ثانياً عند أصحابه . ولم يزالوا به حتى فرج الله عنهم .

عظيمين من فرنسا ، فيهما عساكر وآلات حرب
وأخبار بأن بونا بارتة أغار على بلاد النمسة وحاربهم
وحاصرهم وضايقهم ، وأنهم نزلوا على حكمه .
وبقى الأمر بينهم وبينه على شروط الصلح ، وأنه
استغنى عن هذه الأشياء المرسله ، وسيأتى فى أثرهم
مركبان آخران فيهما أخبار تمام الصلح . ويستدل
بذلك على أن مملكة مصر صارت فى حكم
الفرنسيين لا يشركهم غيرهم فيها .. هكذا قالوا
وقرأوه فى ورقة بالديوان !

شمال

الأحد غرته (١٥ فبراير ١٨٠١ م) :

بدأ أمر الطاعون ، فارتفع الفرنساوية من ذلك ،
وجردوا مجالسهم من الفرش ، وكنسوها وغسلوها ،
وشرعوا فى عمل كرتيلات ومحافظات .

الأحد ٨ منه (٢٢ فبراير ١٨٠١ م) :

قال وكيل الديوان للمشايخ : « أن حضرة سارى
عسكر بعث الى كتابا معناه ايضاح ما يتعلق بأمر
الكرتيلة ، ويرى رأيكم فى ذلك ، وهل توافقون
على رأى الفرنساوى أم تخالفون ؟ » فقالوا : « حتى
ننظر ما هو المقصود » فقال : « حضرة أرباب الديوان
يجب عليهم أن يعملوا الطريق الذى يكون سببا
لاقطاع هذه العلة ، فالتا نبغى لهم ولغيرهم الخير .
فان أجابوا فذاك .. والا فليلمزوا ولو قهرا ، وربما
استعملنا القصاص ولو بالموت عند المخالفة . ومن
الذى يتغافل عما يكون سببا لقطع هذا الداء ؟
فان رأينا قد انعقد على ذلك ، ويجب أن يتفق
معنا أرباب الديوان ، لأن حفظ الصحة واجب ،
ولذا نرى كثيرا من الناس ، ولا سيما المتشرعون
يستعمل الطبيب عند المرض وغايته حفظ الصحة
وما نحن فيه من ذلك . ونذكر لكم أن بلاد المغرب
قد اعتمدوا فعل الكرتيلة الآن .. فعلماء القاهرة

أولى بأن لا يتأخروا عن استعمال الوسائط اذ قد
ربطت الأسباب بالمسببات . فقيل له : « وما الذى
تأمرون به أن يفعل ؟ » فقال : « هو الحذر لا غير ،
وهو الغاية والنتيجة ، وهو أنه اذا دخل الطاعون
بيتا لا يدخل فيه أحد ، ولا يخرج منه أحد ، مع
ما يترتب على ذلك من القوانين المختصة به ، وخدمة
المريض وعلاجه . وسيوضح لكم ذلك فيما بعد .
يعنى أن تدعونا للطاعة وعدم المخالفة » .

وطال البحث والمناقشة فى ذلك بين أرباب
الديوان والوكيل . وانفض المجلس على أن الوكيل
سيفاوض سارى عسكر فى ذلك ، ثم يدبرون أمرا
وطريقة يكون فيها الراحة للناس البلدية والفرنساوية
فان ذلك فيه مشقة على أهل البلد لعدم الفهم
لهذه الأمور .

الجمعة ١٢ منه (٢٧ فبراير ١٨٠١ م) :

ضربت عدة مدافع من القلاع لا يدري سببها

السبت ١٤ منه (٢٨ فبراير ١٨٠١ م) :

قرىء فرمان من سارى عسكر بالديوان ،
والصقت منها نسخ فى مفارق الطرق والأسواق .
ونصه ، بعد البسطة والجلالة :

« من عهد الله جالك مينوسر عسكر أمير
عام جيوش دولة جمهور الفرنساوية بالشرق ،
ومظاهر حكومتها ببر مصر حالا ... الى كامل
الأهالى كبير وصغير ، غنى وفقير . الميسين
حالا بحروسة مصر وبمملكة مصر : الناس الذين
هم من الأشياء والمفسدين ، ولا يشتشون الا على
لاضرار بالناس واضراركم ، يظهرون فى وسط
المدينة بينكم أخبارا رديئة تزويرا لتخويفكم
وتخويف المملكة ، وكل ذلك كذب واقتراء . فانها
نحن نخبركم جميعا أن كلا من الأهالى المذكورة
من أى طائفة وملة كان ، الذى يشب عليه بالاشاعة

أو النشر من نفسه بينكم ذلك الأخبار الرديئة
المكذوبة ، تخويفا لكم واضلالا بالناس ، ففى الحال
ذلك الرجل يمسك وترمى رقبتة بوسط واحدة
طرق مصر

« ويا أهالى مصر ، اتبهوا وتذكروا هذه
الكلمات ، وكونوا مستريحين البال ، ومترفعين
الحال ... انما دولة الجمهور الفرنساوى حاضرة
لحمايتكم وصياتكم ، ولكن ناظر كذلك الى تعذيب
العصاة ، والسلام على من اتبع الهدى والصدق
والاستقامة »

تحريرا فى شهر واقتور (١) سنة تسع ، الموافق
الحادى عشر شهر شوال .

فعلم الناس من ذلك فرمان ورود شيء
وحصول شيء على حد « كاد المرتاب أن يقسول
خدوى » . وليس للناس ذكر ولا فكر الا فى بواقى
الفرقة وما لزمهم فى المليون ، ولا شغل لكل فرد الا
بتحصيل ما فرض عليه . ولعل ذلك بسبب الأوراق
الواصلة على يد سيدى محمود أبى دفية باللغة
الفرساوية التى تقدم ذكرها .

واشتهر أيضا أنه وردت عليهم أخبار بوصول
مراكب انكليز جهة أبى قير . وفى ذلك المجلس سئل
الوكيل عن ضرب المدافع لأى شيء ، فقال : « لا بد
وأن أحيط علمكم ببعض ذلك فى هذا المجلس ، وهو
أن الفرنساوية كانت تحارب القرائات ، والآن وقع
صلح بينهم وبين القرائات ماعدا الانكليز ، فانه
الآن مضيق عليه ، وربما كان ذلك سببا لرضاه
بالدخول فى الصلح ، وقد خرج من فرانسى عمارة
ربما توجهت على الهند ، وربما أنهم يقدمون الى
مصر . وقد وصل لشارى عسكر أمر من المشيخة
بوصول مراكب الموسقو التى تحمل الذخائر الى
الفرساوية ، وأن يمكنهم من دخول اسكندرية .

(١) لعله يعنى شهر « فانور » Ventose .

وقد خرج ستة غلايين من فرانسى الى بحر الهند
فربما قدموا بعد ذلك الى جهة السويس . وبورود
هذه الأخبار تعين خلوص مصر الى جمهور
الفرساوية .

« وفى سالف الزمان كانت جميع القرائات
التي بالجهة الشمالية ضدا للفرساوية ، وقد زالت
الآن هذه الضدية ، ومتى انقضى أمر الحرب عمت
الرحمة والرأفة . والنظر بالملاطفة للرعية والذي
أوجب الاغتصاب والعسف انما هو الحرب ، ولو
دامت المسألة لما وقع شيء من هذا » .

فقال بعض أهل الديوان : « سنة الملوك العفو
والصفح ، وما مضى لا يعاد . فارحموا واعفوا عما
سلف » . فقال الوكيل : « قد وقع الامتحان ولم
يبق الا السلم والمسامحة » .

وفيه : قبضوا على القلق المعروف بعمر آغا
— وهو أغات المغاربة المرتبة عندهم عسكرا —
وعلى شخصين آخرين يدعى أحدهما على جلى
والآخر مصطفى جلى ، وسجنا بالقلعة . وسبب
ذلك أنه حضر الى مصطفى جلى مكتوب من نسيه
بجهة الشام يطلب منه بعض حوائج ، فقرأ ذلك
المكتوب بحضرة عمر القلق ورفيقه الآخر ، فوشى
بهم رجل قواس ، فقبضوا على الجميع . وكان
مصطفى جلى المذكور سجن بيته محمد أفندى
ثانى قلعة ، فدخلوا يفتشون عليه فى الدار فلم
يجدوه ، فالزموا به محمد أفندى المذكور وأزعجوه
وأحاط به عدة من العسكر ولم يمكنوا من القيام
من مجلسه ولا من اجتماعه بأحد . وبعد أن وجدوا
ذلك الانسان لم يفرجوا عن محمد أفندى ، بل
استمر معهم فى الترسيم ، ووجدوا مكانا بالدار
به أسلحة وأمتعة فنهبوه ، وانهبت الدار والحارة ،
وحصل عندهم غاية الكرب والمشقة ... حتى أن
بعض جيران ذلك المحل كبر عنده الخوف ، وغلب
عليه الهم فمات فجأة رحمه الله !

ثم فرج الله عن محمد أفندي بعد ثلاثة أيام ، وأطلق عمر القلق لظهور براءته ، ولم يكن له جرم غير العلم والسكوت ، وانتقل محمد أفندي من تلك الدار وما صدق بخلاصه منها ، وبقي على جلبي ومصطفى جلبي في الحبس .

الثلاثاء ١٧ منه (٣ مارس ١٨٠١ م) :

استفيضت الأخبار بوصول مراكب الى أبى قير كما تقدم .

الأربعاء ١٨ منه (٤ مارس ١٨٠١ م) :

خرج جملة من العسكر الفرنساوية وسافروا الى الجهة البحرية برا وبحرا .

الخميس ١٩ منه (٥ مارس ١٨٠١ م) :

خرجت عساكر كثيرة بحمولهم وفرشهم ، وذهبوا الى جهة الشرق . وأشيع حضور عرضي العثمانية ووصولهم الى العرش صحبة يوسف باشا الوزير .

وفيه : أصدعوا الشيخ السادات الى القلعة من غير اهانة .

الجمعة ٢٠ منه (٦ مارس ١٨٠١ م) :

اجتمع أهل الديوان فيه على العادة ، فبدأ الوكيل يقول : « انه كان يظن أنه يكون حرب ، ولكن وردت أخبار أن المراكب التي حضرت الى اسكندرية — وهى نحو مائة وعشرين مركبا — قد رجعت » فقيل له : « وما هذه المراكب ؟ » . فقال : « مراكب فيها طائفة من الانكليز وصحبتهم جماعة من الأروام ليس فيها مراكب كبار الا قليل جدا ، وباقيها صغار تحمل الذخيرة » . ثم قال : « ان حضرة سارى عسكر قد كان وجه اليكم فرمانا فى شأن ذلك قبل أن يتبين الأمر ، وهو وان كان قد فات موضعه من حيث أنه كان يظن أن هناك حربا ، ولكن من

حيث كونه قد برز الى الوجود ، فينبغى أن يتلى على مسامعكم » . ثم أمر « رفائيل » الترجمان بقراءته ، ونصه :

« من عبد الله جاك مينو سر عسكر أمير عام جيوش دولة جمهور فرنساوية بالشرق ، ومظاهر حكومتها ببر مصر حالا .. الى جميع الكبير والصغير ، الأغنياء والفقراء ، المشايخ والعلماء ، وجميعهم الذين يتبعون الدين الحق والحاصل لجميع أهالى بر مصر سلمهم الله ، بمقام السر عسكر الكبير بمصر فى أربعة عشر شهر « وتوز » سنة تسع من قيام الجمهور فرنساوية واحد ولا ينقسم . ثم كتب تحت ذلك البسملة ولفظ الجلالة ، وتحت : أن الله هو هادى الجنود ، ويعطى النصر لمن يشاء ، والسيف الصقيل فى يد ملاكه ، يسابق دائما فرنساوية ويضمحل أعداؤهم !

« ان الانكليزية الذين يظلمون كل جنس للشر فى كل المواضع ، فهم ظهروا فى السواحل ، وان كالوا يتجرأوا يضعوا أرجلهم فى البر فيرتدوا فى الحال على أعقابهم فى البحر ، والعثمانيين متحركين كهؤلاء الانكليزية يعملون أيضا بعض حركات . فان كان يقدموا ، ففى الحال يرتدوا وينقلعوا فى غبار وغفار البادية .

« فأنتم يا أهالى مملكة ومحروسة مصر ، انى أنا أخبركم : ان كان تسلكوا فى طريق الخائفين الله ، وتبقوا مستريحين فى بيوتكم ، ومقيمين كما كنتم فى أشغالكم وأغراضكم .. فحينئذ لا خوف عليكم . ولكن ان كان واحد منكم يسلك للفساد واضللا انكم بالعدواة ضد دولة الجمهور فرنساوى .. فأقسمت بالله العظيم وبرسوله الكريم أن رأس ذلك المفسد ترمى فى تلك الساعة . فتذكروا فى كل المواقع حين محاصرة مصر الأخيرة ، وجرى دماء آبائكم ونسائكم وأولادكم فى كل مملكة مصر — وخصوصا محروسة مصر — وخواصكم

اتتهبوا تحت الغارات وطرحوا عليكم فردة قوية غير المعتاد . فأدخلوا في عقولكم وأذهانكم كل ما قلت لكم الآن . والسلام على كل من هو في طريق الخير ، فالويل ثم الويل على كل من يبعد من طريق الخير » .

مضى خالص الفؤاد

مَنْفَعَةٌ
عَبْدُ اللَّهِ

وفيه : عملوا شنكا وضربوا عدة مدافع من القلاع ، فارتاع الناس لذلك ، واضطربوا اضطرابا شديدا . فسئل من الفرنسيين فأخبروا : أن ذلك سرور بقدوم مركبين من فرانس إلى اسكندرية .

وفيه أيضا : وقع بمجلس الديوان بين الوكيل والمشايخ مفاوضة ومناقشة . وذلك أنه لما أشيع خبر ورود المراكب إلى أبي قير ، شحت الغلال ، وارتفعت من الرقع على العادة ، وزادت أثمانها . فتفاوضوا في شأن ذلك ، وأنه لا بد من الاعتناء من الحكام وزجر الباعة ، وطواف المحتسب وشيخ البلد على الرقع والسواحل .

ولما قرىء الفرمان المذكور قال بعض الحاضرين : « العقلاء لا يسمعون في الفساد ، وإذا تحركت فتنة لزموا بيوتهم » . فقال الوكيل : « ينبغي للعقلاء ولأمثالكم نصيحة المفسدين ، فإن البلاء يعم المفسد وغيره » . فقال بعضهم : « هذا ليس بجيد ! بل العقاب لا يكون إلا على المذنب . قال تعالى : كل نفس بما كسبت رهينة » . وقال آخر من أهل المجلس : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » . فقال الوكيل : « المفسدون فيما تقدم أهاجوا الفتنة فعمت العقوبة ، والمدافع والبنبات

لا عقل لها حتى تميز بين المفسد والمصلح ، فانها لا تقرأ القرآن » . وقال آخر : « المخلص نيتة تخلصه » .

فقال الوكيل : « ان المصلح من يشمل صلاحه الرعية ، فان صلاحه في حد ذاته يخصه فقط ، والثاني أكثر نفعا » . وطال البحث والمناقشة في نحو ذلك .

فلما كان عصر ذلك اليوم ، ورد فرمان من ساري عسكر إلى وكيل الديوان ، فأرسل خلف الشيخ اسماعيل الزرقالي فاستدعاه وسلمه إليه وأمره أن يطوف به على مشايخ الديوان في بيوتهم فيقرأونه ، وهو مبني على جواب المناقشة المذكورة . وصورته .. بعد البسلة والجلالة :

« من عبد الله جاك مينو سر عسكر أمير عام جيوش دولة جمهور فرنساوية بالشرق ، ومظاهر حكومتها ببر مصرحالا ، إلى كافة المشايخ والعلماء الكرام المقيمين بمحفل الديوان المنيف بمحروسة مصر ... أدام الله تعالى فضائلهم ، وألهمهم الحكمة الواجبة لأجراء فرائضهم : نرسل لحضراتكم يامشايخ وياعلماء الكرام ، نداء جديدا .. خطابا إلى جميع أهالي مملكة مصر ، ولخصوصا أهل محروسة مصر ، ولا شبهة لي في تقييدكم لتبنيهم بكل ما هو محرر فيها ، وغير ذلك . تذكروا أن هذا التنبيه هو غرضكم . انما حضراتكم ههنا رجال دولة الجمهور الفرنسي ، فيبقى في عقولكم وأذهانكم كل ما وقع حين قصاص مصر الأخير ، تفهموا بناء على ذلك ، كيف هو واجب إلى أمنيتكم وراحتكم ضبط الخلائق ، لأنه ان كان يصير أصغر الحركات فلا بد أثقالها يقع على رؤوسكم . وغير ذلك ورد لنا في الحال أخبار من فرانس أنه كملت المصالحة مع امبراطور النمسا ، وأن قيصر روسيا بين وأقام المحاربة ضد دولة العثمانية والسلام » .

السبت ٢١ منه (٧ مارس ١٨٠١ م) :

اجتمع المشايخ ببيت الشيخ عبد الله الشرقاوى ، وحضر الأغا والوالى والمحتسب ، وأحضروا مشايخ الحارات وكبراء الأخطاط ونصحوهم وأنذروهم وأمروهم بضبط من هو دونهم ، وأن لا يغفلوا أمر عامتهم ، وحذروهم وخوفوهم العاقبة وما يترتب على قيام المفسدين ، وجهل الجاهلين . وألهمهم المأخوذون بذلك ، كما أن من فوقهم مأخوذ عنهم . فالعاقل يشتغل بما يعنيه — على أنه لم يبق في الناس الا رسوم هافنة — وأنفصلوا على ذلك .

هذا وديوان المليون يعملون فيه بالجد والاجتهاد ، وبث المعينين من القواسة والفرنساوية فى المطالبة بالثلث والكسرة الباقية من الفردة ، والتشديد فى أمر الكرتيلة ، وإزعاج الناس من ذلك ، وخوفهم من حصول الطاعون . وأشاعوا فيما بينهم أن من أصابه هذا الداء فى مكان ، كشفوا عليه .. فان كان مريضاً بذلك الداء ، أخذوا ذلك المصاب الى الكرتيلة عندهم ، وانقطع خبره عن أهله . الا ان كان له أجل باق ويشفى من ذلك ، ويعود اليهم صحيحاً . والا فلا يراه أهله بعد ذلك أصلاً ، ولا يدرى خبره . لانه اذا مات أخذه الموكلون بالكرتيلة ، ودفنوه بشيابه فى حفرة ، وردموا عليه التراب . واما داره فلا يدخلها أحد ولا يخرج منها مدة أربعة أيام ، ويحرقون ثيابه التى تختص به ، ويقف على بابه حرس . فان مر أحد ولمس الباب أو الحد المحدود قبضوا عليه وأدخلوه الدار وكرتنوه . وان مات الشخص فى بيته وظهر أنه مطعون جمعوا ثيابه وفرشه وأحرقوها وغسله الغاسل وحمله الحمالون لاغير ، وأخرجوه من غير مشهد وأمامه ناس تمنع المارين من التقرب منه ، فان قرب منه أحد كرتنوه فى الحال . وبعد دفنه يكرتنون على كل من باشره بغسل أو حمل

أو دفن ا فلا يخرجون الا لخدمة أخرى مثلها بشرط لا مساس .

فمال الناس هذا الفعل واستبشعوه ، وأخذوا فى الهرب والخروج من مصر الى الأرياف لذلك ولتنوهم وقوع الفتنة بورود أخبار المراكب الى أبى قير ، وتحذر فرنساوية واستعدادهم وتأهبهم ونقل أمتعتهم الى القلعة .

الثلاثاء ٢٤ منه (١٠ مارس ١٨٠١ م) :

قبضوا أيضاً على حسن أغا المحتسب ، وأصعدوه الى القلعة بشخص يخدمه ، فحبسوه بالبرج الكبير . فأما الشيخ السادات فسأل الموكل به عن ذنبه وجرمه الموجب لحبسه . فقال له : « لم يكن الا الحذر من اثاره تلك الفتن فى البلد واهاجة العامة ، لبغضك الفرنسيين لما سبق لك منهم من الايذاء » . وأما المحتسب فان الشيخ البكرى والسيد أحمد الزرو ذهبوا الى قائمقام والى سارى عسكر وتكلما فى شأنه ، فأجابهما بأن هذا لم يكن من شغلكما . وقيل للسيد أحمد : « انك رجل تاجر وذاك أمير وليس من جنسك حتى تشفع فيه » . فقال : « انا محتاجون اليه لأجل مساعدته معنا فى قبض المليون ، ولا نعرف له ذنباً يوجب حبسه لانه ناصح فى خدمة الفرنسيين » . فقالا على لسان الترجمان : « الله يعلم ذنبه وسارى عسكر ، وهو أيضاً يعلم ذلك من نفسه » . ولما سجنوه لم يقلدوا مكانه غيره ، فكان كتنخدها يركب مع الأغا وأمامهم الميزان ونوبة الحسبة .

وفيه : نادوا فى الأسواق بالأمان وعدم الانزعاج من أمر الكرتيلة ، وأما من مات لا تحرق الا ثيابه التى على بدنه لاغير . وكان أشيع فى الناس ما تقدم ، وزادوا على ذلك حرق الدار التى بموت فيها أيضاً ، وأن قصدهم أيضاً عمل كرتيلة على البلد بتمامها . فحصل من هذا المشاع فى الناس كرب عظيم ، ووهم جسيم . فنودى بذلك ليسكن روع الناس .

الخميس ٢٦ منه (١٢ مارس ١٨٠١ م) :

أرسل كبير الفرنسيين وطلب رؤساء الديوان والتجار فحضروا الى منزله فأعلمهم أنه مسافر الى بحرى ، وتارك بمصر قائمقام « بليار » وجملة من العسكر والكتبة والمهندسين ، وأوصاهم بأن يكون نظرم على البلد . وكان في العزم حبسهم رهينة ، فاستشار في ذلك ، فاقتضى رأيهم تأخير ذلك ، وركب من فوره مسافرا ، ولم يرجع من هذه السفارة الى مصر .

وحضر الجماعة الى الديوان ، واجتمعوا بالوكيل « فوريه » فأخبرهم أنه حضر الى ناحية أبى قير طائفة من الانكليز ، وصحبهم طائفة من المالطة ، وأخرى نابلية وطلعوا الى قطعة أرض رخوة بين سلسولين من الماء ، وأن الفرنسياتية محيطون بهم من كل جهة .

الجمعة ٢٧ منه (١٣ مارس ١٨٠١ م) :

رجعت العساكر التي كانت توجهت الى جهة الشرق بحمولهم وأثقالهم ، وصحبهم سارى عسكر الشرقية « رينه » . فسافروا من يومهم ، ولحقوا بكبيرهم برا وبحرا وأخبروا عنهم أنهم لم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى الصالحية ، وأرسلوا هجاعة الى العريش . فلم يجدوا أحدا ففكروا راجعين ، وأشاعوا أن الجهة الشرقية لم يأت إليها أحد مطلقا . وأصل الخبر أن سارى عسكر « رينه » ، كاشف القلوبية والشرقية ، أخبره بعض عربان المويلح بأنهم شاهدوا مراكب انكليزية ترددت بالقلم فإرسل بخبر ذلك الى سارى عسكر « مينو » ويقول له في ضمن ذلك ، ويشير عليه بأن يتوجه صحة جانب من العسكر ويحصن نواحي الاسكندرية خوفا من ورود الانكليز تلك الناحية وأن « رينه » يتكفل له بمن يرد الى ناحية الشرق . وأكد عليه في ذلك فأجابه سارى عسكر بقوله : « ان الانكليز لا يأتون من هذه الناحية ، وأنهم

يأتون من ساحل الشام » ويأمره بالارتحال والذهاب الى الصالحية يرايط فيها . فتوانى في الحركة ، وأرسل اليه ثانيا بمعنى الجواب الأول ويحثه على تحصين ثغور الاسكندرية .

وترددت بينهما المراسلات في ذلك ، ومضت أيام فيما بين ذلك . فورد الخبر للفرنساوية بورود مراكب الانكليز وتردادها تجاه الاسكندرية ثم رجوعها . فكتب سارى عسكر « مينو » يقول لرينه انهم تراءوا — ليوهبوا بأن قصدهم ورود الاسكندرية — ثم غابوا ، وأنهم رجعوا ليطلعوا بناحية الطينة ، ويستحثه على الرحلة والذهاب الى الصالحية . فلم يسعه الا الامتثال والارتحال . وكتب اليه كتابا يقول فيه . « انهم لا يريدون الا ثغر الاسكندرية ، وانما لم يسعفهم الريح فلا تغتر برجوعهم » وأنه رحل امتثالا للأمر . ويشير عليه هو أيضا بعدم تأخره عن الذهاب الى الاسكندرية ، ويقبل اشارته . فلم يستمع ، وتأخر عن ذلك .

ورحل « رينه » الى جهة البركة ، ولم يستعجل الذهاب ، ثم انتقل الى الزوامل ، ثم الى بليس وفي كل يوم ووقت يرسل اليه سارى عسكر « مينو » ويأمره بالذهاب الى الصالحية ، وهو يثلكا في الرحيل ثم أرسل له آخر يقول له . « انه وردت علينا أخبار بأن يوسف باشا الوزير متحرك الى القدوم » ويحثم عليه في الرحيل الى الصالحية . فعند ذلك مع « رينه » سوارى عسكره وعرض عليهم ذلك ، وسفه رأيه ، وأن هذا الحبر لا أصل له ... وأنا أعلم أننا لا نصير الى الصالحية حتى يأتى الحبر بخلاف ذلك ، ويأتينا الأمر بالرجوع والذهاب الى الاسكندرية ، فلا نستفيد الا التعب والمشقة وارتحل بمن معه من غير استعجال فوصلوا الى القرين في ثلاثة أيام واذا بمراسلة سارى عسكر « مينو » الى « رينه » يخبره بأن الانكليز وصلوا الى أبى قير ، وطلعوا الى

البر ، وتحاربوا مع أمير الاسكندرية ومن معه من
الفرنساوية ، وظهروا عليهم . ويستعجله في الرجوع
والذهاب الى الاسكندرية .

فقال «رينه» : « هذا ما كنت أخمنه وأظنه » ،
وارتحل راجعا ، وعدى على بر أنبابه بعساكره .
وتقدم سارى عسكر « مينو » وسبقه الى
الاسكندرية .

ذوالقعدة

الأربعاء ٣ منه (١٨ مارس ١٨٠١ م) :

أمر وكيل الديوان أرباب الديوان بأن يكتبوا
لسارى عسكر مكتوبا بالسلام ، ففعلوا ما أمروا به .

السبت ٦ منه (٢١ مارس ١٨٠١ م) :

توفي محمد أغا مستحفظان مطعونا .. مرض يوم
السبت وتوفي ليلة الأحد — فوضعه في نعش وخرج
به الحمالون لاغير ، وأمامه الطرادون . ولم يعملوا به
مشهدا ولا جماعة ، وكرتوا داره وأغلقوها على من
فيها . ولم يقلدوا عوضه أحدا ، بل أذنوا لعبد العال
أن يركب عوضا عنه .. وذلك بمعونة نصر الله
النصراني ترجمان قائمقام ، فاستقر عبد العال
المذكور أغات مستحفظان ومحتسبا . فكان ذلك من
جملة النوادر والعبر ! فان عبد العال هذا كان من
أسافل العامة ، وكان أجيرا لبعض نصارى الشوام
بخان الحمزاوى يخدمه ، ثم توسط بمصطفى
أغا السابق بسبب معرفته للنصارى المترجمين ،
حتى تقدم بوساطته وقلدوه الأغاوية ، فجعله
كتخذاه ومشيره . فلما تولى محمد أغا تقيده معه كما
كان مع مصطفى أغا ، ولكن دون الحالة التى كان
عليها مع ذلك لصلاحية محمد أغا عن ذلك المقتول .
فلما توفي في هذا الوقت ترك لعبد العال أمر المنصب
لاشتغال فرنساوية بما هو الأهم ، من افتتاح
الحروب والطاعون وغير ذلك .

الثلاثاء ٩ منه (٢٤ مارس ١٨٠١ م) :

أشيع في الناس وصول العثمانيين الى ناحية
غزة ، وأن جواليشهم وصلوا الى العرش . وقدمت
الهجانة الى فرنساوية بالخبر .

فلما كان عشاء تلك الليلة ، طلبوا المشايخ الى
الديوان ، فلما تكامل حضورهم ، حضر « فوريه »
الوكيل ، وصحبته آخر من الفرنسيين من طرف
قائمقام . فتكلم « فوريه » كلاما كثيرا ليزيل عنهم
الوهم ، ويؤانسهم بزخرف القول كقوله : « انه يجب
المسلمين وبميل بطبعه اليهم وخصوصا العلماء وأهل
الفضائل ، وبفرح لفرحهم ، ويفتم لغمهم ، ولا يجب
لهم الا الخير . وسياسة الأحكام تقتضى بعض الأمور
المخالفة للمزاج ، وأن سارى عسكر قبل ذهابه رسم
لهم رسوما ، وأمرهم بأجرائها والمشى عليها في
أوقاتها ، وأنه عند سفره قصد أن يعوق المشايخ
وأعيان الناس ، وتركهم في الترسيم رهينة عن
المسلمين . فلما ظهر له وتحقق أن الذين وردوا الى
أبى قير ليسوا من المسلمين ، وإنما هم انكليزية
ونابلية وأعداء للفرنساوية وللمسلمين أيضا ،
وليسوا من ملتهم حتى يخشى من ميلهم اليهم ،
أو يتعصبوا من أجلهم .. والآن بلغنا أن يوسف باشا
الوزير وعساكر العثمانية تحركوا الى هذا الطرف ،
فلزم الأمر لتعويق بعض الأعيان ، وذلك من
قوانين الحرب عندنا ، بل وعندكم . ولا يكون
عندكم تكدر ولا هم بسبب ذلك .. فليس الا
الاعزاز والاكرام أينما كنتم ، والوكيل دائما نظره
معهم ، ولا يغفل عن تعليل مزاجهم في كل وقت
ويوم » .

ثم انتهى الكلام وانقضى المجلس على تعويق
أربعة أشخاص من المشايخ وهم : الشيخ الشرقاوى
والشيخ المهدي والشيخ الصاوى والشيخ الفيومى .
فأصعدوهم الى القلعة في الساعة الرابعة من الليل
مكرمين ، وأجلسوهم بجامع سارية ، ونقلوا الى

مكانهم الشيخ السادات ، فاستمر معهم بالمسجد ، وأمروا الأربعة الباقية من أعضاء الديوان وهم : البكرى والأمير والسرسى وكاتبه أن يكون نظريهم على البلد ، ويجتمعون بشيخ البلد ولا ينقطعون عنه ، وأن المشايخ المحجوزين لا خوف عليهم ولا ضرر ، وهم معززون مكرمون ، وأطلقوا لكل شيخ منهم خادما يطلع اليه وينزل ليقضى له أشغاله وما يحتاج اليه من منزله . والذي يريد من أحبابهم وأصحابهم زيارتهم يأخذ له ورقة بالأذن من قائمقام ويطلع بها فلا يمنع ، وكذلك أصدوا ابراهيم أفندى كاتب البهار وأحمد بن محمود محرم وحسين قرا ابراهيم ويوسف باشجاويش تفكيد يان وعلى كنتخدا يحيى أغات الجراكسة ، ومصطفى أغا أبطال وعلى كنتخدا النجدلى ومحمد أفندى سليم ومصطفى أفندى جليان ورضوان كاشف الشعراوى وغيرهم ، وأمروا المشايخ الباقية والذين لم يحبسوا بتقيدهم ونظرهم الى البلد والعامة ، وأنهم يترددون على « بليار » قائمقام ويعلمونه بالأمور التى ينشأ عنها الشرور والفتن . وأهمل ديوان المليون والمطالبة بثلثه ، وكذلك كسرة الفردة . ونفس الله عن الناس ، وكذلك تسوهل فى أمر الكرتيلة واجازة الأموات وعدم الكشف عليهم ، وتصديق الناس بما يخبرون به فى مرض من يموت ... وذلك لكثرة أشغالهم وحركاتهم وتحصنهم ونقل متاعهم وصناديقهم وفرشهم وذخائرهم الى القلعة الكبيرة على الجمال والحير ليلاً ونهاراً ، والطاعون متعلق فيهم ، ويموت منهم العدة الكثيرة فى كل يوم .

الخميس ١١ منه (٢٦ مارس ١٨٠١ م) :

أفرجوا عن الشيخ سليمان الفيومى وأنزلوه من القلعة ليكون مع من لم يحبس . وأمرهم الوكيل بالتقييد والحضور الى الديوان على عادتهم ولا يهلونه . فكانوا يحضرون ويجلسون حصة يتحدثون مع بعضهم ، ولا يرد عليهم الا القليل من الدعاوى ،

ثم ينصرفون الى منازلهم ، وكذلك أمروا الشيخ أحمد العريشى القاضى بأن يحضر ويجلس من غير سابقة له بذلك ، وذلك حفظاً للناموس لا غير .

السبت ١٣ منه (٢٨ مارس ١٨٠١ م) :

نقل الكشارى « فوريه » الوكيل متاعه الى القلعة وصعد اليها فلم ينزل . وأرسل الى الشيخ سليمان الفيومى تذكرة يأمره فيها بأن ينقل فراش المجلس ويودعه فى مكان بداره ... ففعل ما أمره به ، ولم يتركوا به الا الحصر . وأمر بحضور أرباب الديوان على عادتهم ، فكانوا يفرشون سجاجيدهم ويجلسون عليها حصة الجلوس ثم ينصرفون .

الاحد ١٤ منه (٢٩ مارس ١٨٠١ م) :

نقلوا حسن أغا المحتسب من البرج الى جامع سارية صحبة المشايخ . وكذلك « فوريه » الوكيل جعل سكنه الجامع المذكور ، وأظهر أن قصده مؤانستهم ، وليس الا لضيق مساكن القلعة وازدحام الفرنسيين وكثرة ما تملأها من الأمتعة والذخائر والغلل والأحطاب ، مع ما هدموه من أماكنها ، حتى أنهم سدوا أبواب الميدان وجعلوه من جملة حقوقها فكانوا ينزلون اليه ويصعدون منه ، من باب السبع حدرات .

الجمعة ١٩ منه (٣ أبريل ١٨٠١ م) :

ورد مكتوب من كبير الفرنسيين من ناحية اسكندرية ، مؤرخ بثالث عشر القعدة (٢٨ مارس ١٨٠١) وهو جواب عن المکتوب المرسل اليه السابق ذكره ، وصورته بعد الصدر المعتاد : « من عبد الله جاك مينو سر عسكر أمير عام جيوش فرنساوية بالشرق ، ومظاهر حكومتها ببر مصر حالا ... الى كامل المشايخ والعلماء الكرام المقيمين بالديوان المنيف بمحروسة مصر ، أدام الله فضائلهم .

والمخامرة عليه وتسفيههم لرايه . وأكد ذلك عنده
أنهما لما حضرا الى الاسكندرية أخذا معهما أثقالهما
وما كان لهما بمصر لعلمهما عاقبة الأمر وسوء رأى
كبيرهما ... فاشتد انكاره عليهما ، وعزل عنهما
العسكر ، وحبسهما ثم أطلقهما ونزلا الى المراكب
مع عدة من أكابرهم ، وسافرا الى بلادهما .

وكان « مينو » أرسل الى بونابارته يخبر عن
ورود الانكليز ويستنجد به . فأرسل اليه عسكرا ،
فصادفوا الجماعة المذكورين في الطريق ، فأخبروهم
عن الواقع ، وردوهم من أثناء الطريق — وقد أشاروا
لذلك في بعض مكاتباتهم — وأخبر أيضا المخبرون
أن الانكليز أطلقوا حبوس المياه الملحة حتى أغرقت
طرق الاسكندرية ، وصارت جميعها لجة ماء ، ولم
يبق لهم طريق مسلوكة الا من جهة العجمي الى
البرية ، وأن الانكليز تترسوا قبالهم من جهة الباب
الغربي .

وفيه : ورد الخبر بأن حسين باشا القبطان



قبطان باشا بالاسكندرية

« ورد لنا مكتوبكم العزيز ، ورأينا بكامل
السرور كل ما فصلتم لنا به ، وثبت من مفهومنا
صدق ودادكم لنا ولعساكر دولة جمهورالفرنساوية ،
ودمتهم حضراتكم ، وكافة أهالي مصر ، بالحمية
والاستقامة الموعودة . ومعلوم على فضائلكم أن
الله يهدي كلا .. فما النصره الا منه ، ووضعت عليه
اعتمادى وما توفيقى الا به وبرسوله الكريم عليه
السلام الدائم ، وإن ابتغيت النصره فما هو الا
لسهولة خيراتى الى بر مصر وسكان ولايتها ، وخير
أمر أهلها . والله تعالى يكون دائما معكم ، ويكرم
وجوهكم بالسلامة » .

وفيه : سمع ونقل عن بعض الفرنسيين ، أنه
وقع الحرب بين الفرنساوية والانكليزية . وكانت
الهزيمة على الفرنساوية ، وقتل بينهم مقتلة كبيرة ،
وانحازوا الى داخل الاسكندرية ، ووقع بينهم
الاختلاف . واتهم « مينو » سارى عسكر « رينه »
و « داماص » ورايه منهما ما رابه ، وكانا سببا
لهزيمته فيما نطن ويعتقد . فقبض عليهما وعزلهما من
امارتهم . وذلك أن « رينه » و « داماص » لما ذهبا
على الصورة المتقدمة ، ونظر « رينه » وأرسل من
كشف على متاريس الانكليز فوجدها في غاية الوضع
والاتقان ، اجتمعوا للمشورة على عاداتهم ، ودبروا
بينهم أمر المحاربة ، فرأى سارى عسكر « مينو »
رايه ، فلم يعجب « رينه » ذلك الرأى : « وأن فعلنا
ذلك وقعت الغلبة علينا . وإنما الرأى عندي كذا ،
وكذا ... »

ووافقه على ذلك « داماص » وكثير من عقلائهم .
فلم يرض بذلك « مينو » وقال : « أنا سارى
عسكر ، وقد رأيت رأى » فلم سمعهم مخالفته ،
وفعلوا ما أمر به . ف وقعت عليهم الهزيمة ، وقتل منهم
في تلك الليلة خمسة عشر ألفا ، وتنحى « رينه »
و « داماص » ناحية ، ولم يدخلوا في الحرب
بعسكرهما . فاغتاظ « مينو » ونسبهما للخيانة

ورد بعساكره جهة أبى قير ، وطلع عسكره من المركب الى البر . وقويت القرائن الدالة على صحة هذه الأخبار ، وظهرت لوائح ذلك من الفرنسيين ... مع شدة تجلدتهم ، وكتمان أمرهم ، وتنميق كلامهم . وفيه : سدوا باب البرقية — المعروف بباب الغرب — وبنوه .. فضاق خناق الناس بسبب الخروج الى القرافة بالأموات . فكان الذى مدفنه ببستان المجاورين ، يخرج بجنازته من باب النصر ، ويمرون بها من خلف السور المسافة الطويلة ، حتى ينتهوا الى مدفنهم . فحصل للناس مشقة شديدة ، وخصوصا مع كثرة الأموات .

الاحد ٢١ منه (٥ ابريل ١٨٠١ م) :

كلم بعض المشايخ قائمقام فى شأن ذلك . فأرسل الى قبطان الخطة ، ففتح بابا صغيرا من حائط السور ، جهة كفر الطماعين ، على قدر النعش والحمالين والمشاة .

الاثنين ٢٢ منه (٦ ابريل ١٨٠١ م) :

سافر جماعة من أعيان الفرنساوية الى جهة بحرى وهم : « أستوف » الخازن دار العام ومدبر الحدود ، و« فوريه » وكيل الديوان ، و« شنانيلو » مدبر أملاك الجمهور ، و« يرنا » وكيل دار الضرب ، و« ريج » خازن دار الضرب ، و« لابرت » رئيس مدرسة المكتب وحافظ سجلاتهم وكتبهم . وأخذوا معهم طائفة من رؤساء القبط ، وفيهم جرجس الجوهري . وأشيع فى الناس بأن سفرهما لتقرير الصلح . وليس كذلك !

الثلاثاء ٢٣ منه (٧ ابريل ١٨٠١ م) :

توكل بحضور الديوان كمشارى يقال له « جيرار » .

الجمعة ٢٦ (١٠ ابريل ١٨٠١ م)

حضر بصحبة كاتب سلسلة التاريخ محبنا الفاضل

العمدة السيد اسماعيل ، المعروف بالخشاب ، وحضرة قاسم أفندى أمين الدين كاتب الديوان . فلما استقر به الجلوس ، أخبر أنه ورد كتاب من كبيرهم « جاك مينو » باللغة الفرنسية مضمونه : أنه مقيم بسكندرية . وهو مؤرخ بعشرين القعدة . ومثل ذلك من الكلام الفارغ !

وفيه : قدم ثلاثة أنفار من العرب صحبة جماعة من الفرنسيين ، وذهبوا بهم الى بيت قائمقام . فاستفسر منهم ، فاختل كلامهم وتبين كذبهم ، فأمر بحبسهم .

وفيه : حضر جماعة من الفرنسيين من جهة الشرق ومعهم دواب كثيرة وآلات حرب ، ومروا فى شارع المدينة ، ومنعوا الناس من شرب الدخان خوفا على البارود من النار . ولم يعلم سبب قدومهم ، ثم تبين أنهم الذين كانوا محافظين بالصالحية .

وبعد أيام حضر أيضا الذين كانوا بالقرين ، وكذلك الذين كانوا ببلييس وناحية الشرق ، شيئا بعد شيء .

ذو الحجة

(١٥ ابريل - ١٣ مايو ١٨٠١ م)

فيه : حصل الاجتماع بالديوان ، وأخبر الوكيل أن كبيرهم قد بعث أخبارا بالأمس منها : أنه قد مات جماعة من كبراء الانكليز ، وأن أكثر عساكرهم مريضون بمرض الزحير والرمد ، وربما يحصل الصلح عن قرب ويرجعون الى بلادهم ، وأن العطش مضاررهم ، وبعثوا عدة مراكب لتأتيهم بالماء ، فتعذر عليهم ذلك .

ثم سأل عن أحوال البلد ، وسكون الرعية ، والغلال والأقوات . فأجيب بأن البلد مطمئنة ، والرعية ساكنة ، والغلال موجودة ، فقال : « لا بد من اغتنائكم بجميع هذه الأمور الموجبة للراحة » .

وفيه : أشيع أن الانكليز ومن معهم من العثمانية ملكوا ثغر رشيد وأبراجها ، وحاربوا من كان بها من الفرنسيين حتى أجلوهم عنها ودخلوها .

وفي ذلك اليوم : قبضوا على نيف وستين من مغاربة الفحامين وطولون والغورية ونفوهم . وذلك من فعل عبد العال الأغا .

وفيه : أمر « بليار » قائمقام برغوب أحد المشايخ صجة عبد العال ، ويمرون بشوارع المدينة . فكان يركب معه مره الشيخ محمد الأمير ، ومرة الشيخ سليمان الفيومي . وذلك لتطيش الرعية .

٦ منه (٢٠ ابريل ١٨٠١ م) :

قرىء مكتوب زعموا أنه حضر من سارى عسكر « مينو » من جهة الاسكندرية ، وصورته ، بعد البسملة والجلالة والصدر المعتاد : « الى حضرات كافة المشايخ والعلماء الكرام المستشيرين بمحفل الدewan المنيف بمحروسة مصر ، أدام الله تعالى فضائلهم . وما النصر الا من الله وبشفاعه رسوله الكريم عليه السلام الدائم

« العساكر الفرنساوية والانكليزية هما الى هذا الآن حصران قبلهما ، فحصنا أطرافنا بمتاريس وخنادق لا تغلب ولا تهجن ، وغير ذلك يلزم نخبر حضراتكم — لتهدة تمشياتكم ، ولأجل انتظامها — أن سلطان الروسية المحمية أعلن ، بواسطة مرسله الى حضرة السلطان سليم ، أذعن الأمر الى عساكره لأجل ما تنجانبوا وتراووا ويخلوا من بر مصر جميعا ، والا لا بد من السلطان الروسيات الجمعية (١) الاقامة بالمحاربة بمعية مائة ألف عسكرية ضد العثمانية وضد قسطنطينية .

« فبناء على ذلك ، أرسل السلطان سليم أوامره

(١) كذا في الاصل .

بفرمانه ، خطابه الى عساكره لتخلى بر مصر ولكامل من بالبر المذكور ، لكى وثم ولكن ذهب الانكليزية كفا للارتشاء بعض من مقدار العسكر العثمانية ، وبتقديم امتثالهم الى أوامر سلطانهم ... فأعلنوا وأخبروا كل ذلك الى أهالى مصر . فانتظموا كما كنتم دائما بالخير ، فاعتمدوا واعتنوا بحماية وصيانة دولة الجمهور الفرنساوية . والله تعالى يديم فضائلكم عن الالهام بالخير والسلامات .

حرر في الخامس والعشرين شهر « جرمينال » سنة تسعة الموافق ٣ ذى الحجة ١٢١٥ (١٧ ابريل ١٨٠١ م) وكتب بالفاظه وحروفه من خط منشئه « لوماكا » الترجمان .

ثم قال الترجمان : « ان الفرنساوى الذى حمل هذا الكتاب نقل لى عن سر عسكر أنه ناشر لكم ألوية الشكر على قيامكم بوظائفكم ، فدوموا على ذلك . فأجيب بالسمع والطاعة ا

ثم ان بعض الحاضرين من المشايخ أخبر بأن رجلا من المنوفية ، يقال له موسى خالد ، كان الفرنساوية أحسنوا اليه وقدموه على أقرانه . فلما خرجوا من المنوفية ، أفسد فى البلاد وقطع الطريق ، ولا يتمكن أحد من أهل هذه الجهة أن يخرج من بلده لتحصيل معاشه ، وأنه قبض على الشيخ عابدين القاضى ، وصادره فى نحو ثلاثة آلاف ريال ، وكذلك صادر كثيرا من أغنياء منوف وغيرها ، وأخذ أموالهم . فقال الوكيل : « ستسكن الفتنة ويعاقب المفسدون » . ثم أمر بكتابة مكاتيب ممضاة من مشايخ الديوان خطابا للتجار والمتسبين ولمشايخ البلاد بأمر ونهم بارسال الغلال والأقوات الى مصر . فكتبوا للمحلة الكبرى ومنوف والمنصورة والفشن وبنى سويف .

وفيه : كتبوا جوابا من مشايخ الديوان لكبير الفرنسيين جوابا عن المكتوب المذكور آنفا .

وفيه : ذكر قائمقام « بليار » لبعض الرؤساء :
أنه اذا رجع سارى عسكر منصورا ، ودامت أهل
البلد على طاعتهم وسكونهم ، رفع عنهم نصف
المليون والظلم .

١٠ منه (٢٤ ابريل ١٨٠١ م) :

أفرجوا عن ابن محرم التاجر ، بتوسل والدته
بقائمقام « بليار » على مصلحة ألفين ريال فرانسه .



ابو زعبل

وفيه : ورد الخبر بموت مراد بيك (١) بالوجه
القبلى بالطاعون . وكان موته رابع الشهر (١٨
ابريل ١٨٠١ م) ودفن بسوهاج عند الشيخ
العارف ، وأقيم عزاءه عند زوجته الست نفيسة
وبنت له قبرا بمدفن على بيك واسماعيل بيك
بالقرافة بالقرب من قبة الامام الشافعى رضى الله
تعالى عنه . وأشيع نقله اليه ، ثم ترك ذلك وبطل .
وكان الفرنساوية عندما اصططح معهم ، وأعطوه
امارة الصعيد ، رتبوا لزوجته المذكورة فى كل
شهر مائة ألف فضة ، واستمرت قبض ذلك حتى
أخرج الفرنساوية جوابات الى الأمراء المرادة
يعزونهم فى أستاذهم ، وتقريرا الى عثمان بيك

(١) يوجد خلاف بين « الجبرى » والمراجع الفرنسية . ولتاريخ
وفاة مراد بيك : فالجبرى يحدد الوفاة فى (١ ذى الحجة ١٨
ابريل) . والسير « مانجان » يقول انه مات يوم (٢١ مارس)
ورواية الجبرى أرجح .

(ميد الرحمن الرافعى - تاريخ الحركة القومية ص ٢٥٧)

وفيه : خرج عبد العال الى ناحية أبى زعبل ،
ورجع معه ثلاثة أشخاص من الفلاحين ، ضرب
عنق أحدهم .

١٢ منه (٢٦ ابريل ١٨٠١ م) :

قبض عبد العال على أناس من الغورية والصاغة
ومرجوش وغيرهم ، وألزمهم بمال . وسئل عن ذلك
فقال : « لم أفعله من قبل نفسى ، بل عن أمر من
الفرنسيين » .

وفيه : حفروا خندقا عند تلال البرقية ، فكان
الذين يخرجون بالأموات يصعدون بهم من فوق
التل ثم ينزلون ويمرون على سقالة من الخشب
على الخندق المحفور . فحصل للناس غاية المشقة .
واتفق أن ميتا سقط من على رقاب الحمالين
وتدحرج الى أسفل التل !

الجوخدار المعروف بالطنبرجى بأن يكون أميرا
ورئيسا على خشداشينه ، وعوضا عن مراد بيك
ويستمرون على امرتهم وطاعتهم .

وفيه : حضرت جوابات المراسلات التى أرسلت
الى البلاد بسبب الغلال والأقوات ، بأن المتسبين
والتجار أجابوا بالسمع والطاعة . غير أن المانع لهم
قطاع الطريق ، وتعدي العرب ومنعهم السبيل ،
وأن أبواب البلدان مغلقة بحيث لا يمكن الخروج
منها ، فإذا أمنت الطرق ، حضر المطلوب .. وكلام
هذا معناه . وأما الساعى المرسل الى المنصورة
فاله رجع من أثناء الطريق ، ولم يمكنه الوصول
اليها ، لأن العساكر القادمة قد دخلوها ، وصارت
في حكمهم .

وفيه (أى فى هذا الشهر) : زاد أمر الطاعون
وطعن مصطفى أغا أبطال بالقلمة . فلما ظهر فيه
ذلك ، دفعوه بطريق مهانة ، وأنزلوه الى الكرتيلة
بباب العزب ، وألقوه بها . ثم تكلم فى شأنه أرباب
الديوان ، فأنزلوه الى داره ... فمات بها .
وكذلك وقع لحسين قرا ابراهيم التاجر ، وعلى
كنخدا النجدلى ، وذلك فى أوائله .

وفى كل يوم يموت من الفرنسيين الكائنين بالقلمة
الثلاثون والأربعون وينزلون بهم من كرتيلة القلمة
على الأخشاب مثل الأبواب ، كل ثلاثة أو أربعة سواء
يحملهم الحمالون ، وأمامهم اثنان من الفرنسيين
يمنعون الناس ، ويباعدونهم عن القرب منهم ، الى
أن يخرجوا بهم من باب القرافة ، فيلقونهم فى حفرة
عميقة قد أعدها الحفارون ، ويهيلون عليهم التراب
حتى يملوهم . ثم يلقون صفا آخر ويغطونهم
بالتراب .. وهكذا حتى تمتلىء الحفرة ويبقى
بينها وبين الأرض نحو الذراع ، فيكبسونها
بالتراب والأحجار ، ويحفرون أخرى غيرها كذلك .
فيكون فى الحفرة الواحدة اثنا عشر وستة عشر

وأكثر فوق بعضهم البعض وبينهم التراب ،
ويرمولهم بشياهم وأعطيتهم وتواسيهم التى فى
أرجلهم ! وذلك المكان الذى يدفنون به فى العلوة
الكائنة خارج مزار القادرية بين الطريقين الموصولين
الى جهة مزار الامام الشافعى رضى الله عنه .

وفيه : أنهى مشايخ الديوان تعرض عبد العال
لمصادرة الناس وطلب المال بعد تأمينهم وتبشيرهم
برفع نصف المليون عنهم . فأجيبوا بأن ذلك على
سبيل القرض لتعطل المال الميرى ، واحتياج العسكر
الى النفقة . وقيل لهم أيضا : « ان كان يمكنكم
أن تكتبوا الى البلاد بدفع الميرى ، رفعنا الطلب
عن الناس » فقالوا : « هذا غير ممكن ، لحصول
البلاد فى حيازة القادمين ، وقطع الطريق من وقوف
العرب بها وعدم الانتظام . والما القصد الملاطفة
والرفق ، فان وظيفتنا النصح والوساطة فى الخير » .

الخميس ١٦ منه (٣٠ أبريل ١٨٠١ م) :

حضر « استوف » الخازندار وجرجس
الجوهري ومن معهما من القبطه وغيرهم ، ماعدا
الفرنسيين الذين ذهبوا معهم . فأرسلت أوراق
بحضور مشايخ الديوان والتجار والأعيان من
القد .

الجمعة ١٧ منه (اول مايو ١٨٠١ م) :

حصلت الجمعية ، وحضر الخازندار والوكيل
وعبد العال وعلى أغا الوالى ، وبعض التجار كالسيد
أحمد الزرو والحاج عبد الله التاودى شيخ الغورية
والحاج عمر الملطيلى التاجر بخان الخليلى ومحمود
حسن و « كليمان » الترجمان . فتكلم « استوف »
وترجم عنه الترجمان بقوله : « ان سارى عسكر
الكبير « مينو » يقرئكم السلام ، ويشئى عليكم
كثيرا . وسينجلى هذا الحادث ان شاء الله تعالى ،
ويقدم فى خير ، ويرى أهل مصر ما يسرهم . وقد
هلك من الانكليز خلق كثير ، وباقيهم أكثرهم

مرمودون الأعين وبمرض الزحير . وجاءت طائفة منهم الى الفرنساوية وانضموا اليهم من جوعهم وعطشهم . وتعلموا أن الفرنساوية لم يسلموا في رشيد قهرا عنهم ، بل تركوها قصدا ، وكذلك أخلينا دمياط لأجل أن يطعموا ويدخلوا الى البلاد وتتفرق عساكرهم ، فنتسكن عند ذلك من استئصالهم .

« ونخبركم أنه قد وردت الى بسكندرية مركب من فرانس ، وأخبرت أن الصلح قد تم مع كامل القرائات ماعدا الانكليز ، فانهم لم يدخلوا في الصلح ، وقصدتهم عدم سكون الحرب والفتن ، ليستولوا على أموال الناس .

« واعلموا أن المشايخ المحبوسين بالقلعة وغيرهم لا بأس عليهم ، وانما القصد من تعويقهم بحبسهم ، رفع الفتن والخوف عليهم . وشرعة الفرنساوية اقتضت ذلك ، ولا يمكن مخالفتها ، ومخالفتها كمخالفة القرآن العظيم عندكم .. ا

« وقد بلغنا أن السلطان العثملى أرسل الى عسكره بالكف عن الفرنساوية ، والرجوع عن قتالهم . فخالف عليه بعض السفهاء منهم ، وخرجوا عن طاعته ، وأقاموا الحرب بدون اذنه .

فأجابه بعض الحاضرين بقوله : « ان القصد حصول الراحة والصلح . والفرنساوية عندنا أحسن حالا من الانكليز ، لأننا قد عرفنا أخلاقهم ، ونعلم أن الانكليز انما يريدون بانضمامهم الى العثمانية تنفيذ أغراضهم فقط . فانهم يولون العثمانية ويفرونه حتى يوقعوه في المهالك ، ثم يتركونه كما فعلوا سابقا . »

ثم قال الخازندار : « ان الفرنساوية لا يحبون الكذب ، ولم يعمد عليهم . فلازم أن تصدقوا كل ما أخبروكم به . »

فقال بعض الحاضرين : « انما يكذب

الحشاشون . والفرنساوية لا ياكلون الخشيش ا . »
ثم قال الخازندار : « ان وقع من أهل مصر فشل أو فساد عوقبوا أكثر من عام أول . واعلموا أن الفرنساوية لا يتركون الديار المصرية ولا يخرجون منها أبدا ، لأنها صارت بلادهم ، وداخله في حكمهم !! وعلى الفرض والتقدير ، اذا غلبوا على مصر ، فانهم يخرجون منها الى الصعيد ، ثم يرجعون اليها ثانيا . ولا يخطر في بالكتم قلة عساكرهم ، فانهم على قلب رجل واحد ، واذا اجتمعوا كانوا كثيرا . وطال الكلام في مثل هذه التوبيهات والخرافات .. وأجوبة الحاضرين بحسب مقتضيات ا

ثم قال الخازندار : « القصد منكم معاونة الفرنساوية ومساعدتهم ، وغلاق نصف المليون ، ونشفع بعد ذلك عند سارى عسكر في قوات النصف الثانى ، حكم ما عرفكم قائمقام «بليار» . فاجتهدوا في غلاقه من الأغنياء واتركوا الفقراء . فأجابوا في آخر الكلام بالسمع والطاعة ا

فقال : « لكن ينبغى التعميل ، فان الأمر لازم لأجل نفقة العسكر » ، ثم قال لهم : « ينبغى أن تكتبوا جوابا لسارى عسكر تعرفونه فيه عن راحة أهل البلد وسكون الحال ، وقيامكم بوظائفكم . وهو ان شاء الله يحضر اليكم عن قريب . »

وانفض المجلس ، وكتب الجواب المأمور به وأرسل .

وفيه : ورد الخبر بوصول طاهر باشا الأرثوودى بجيلة من العساكر الأرثوودية الى أبى زعبل .

وفيه : خرج عدة من عساكر الفرنساوية وضربوا أربع قرى من الريف بعلة موالاة العرب وقطاع الطرق فنهبوهم وحضروا الى مصر بمتاعهم ومواشيهم .

وفيه : أرسل «بليار» قائمقام يطلب من

الوجاقلية بقية ما عليهم من المال المتأخر من فردة
الملتزمين ، وقدره اثنا عشر ألف ريال ، وان تأخروا
عن الدفع أحاط العسكريونهم ، ونقلهم الى أضيق
الحبوس ، بل واستعملهم في شيل الأحجار .
فاعتذروا بضيق ذات يدهم . وجبهم ، فتصدر
اليهم السيد أحمد الزرو ، وتشفع عند قائمقام بأن
يقوموا بدفع أربعة آلاف ريال ، ويؤجلوا بالباقي ،
وينزلوا من القلعة لتحصيل ذلك ... فأجابه .

وأنزل على أغا يحيى ، أغات الجراكسة ، ويوسف
باشجاويش الى بيت عبد العال ، وجبهم بمكان
بداره ، وجبس معهم مصطفى كتحذا الرزاز . فكان
يتهددهم ويرسل اليهم أعوانه يقولون لهم :
« شهلوا ما عليكم والا ضربكم الأغا بالكرابيج » .
فسبحان الفعال لما يريد . فان عبد العال هذا الذى
يتهددهم ، ربما كان لا يقدر على الوصول الى
الوقوف بين يدى بعض أتباعهم ... فضلا عنهم !
وفيه : أحاط الفرنسيين بمنزل حسن أغا الوكيل
— المتوفى قبل تاريخه — وذلك بسبب أنه وجد
بيته غلام فرنساوى مختلف أسلم وحلق رأسه ،
وقبضوا على أحد خشداشينه وجبوه ، لكونه علم
ذلك ولم يخبر به .

وفيه : حضرت رسل من طرف عرضى الوزير
لقائمقام « بليار » . فاجتمعوا به ، وخلا بهم ،
ووجههم من ليلتهم . فلما حصلت الجمعية بالديوان ،
سئل الوكيل عن ذلك فقال : « نعم .. انهم أرسلوا
يطلبون الصلح » .

١٨ منه (٢ مايو ١٨٠١ م) :

أفرجوا عن ابراهيم أفندى كاتب البهار ، ليساعد
في قبض نصف المليون .

٢٤ منه (٨ مايو ١٨٠١ م) :

قبضوا على أبى القاسم المغربى شيخ رواق

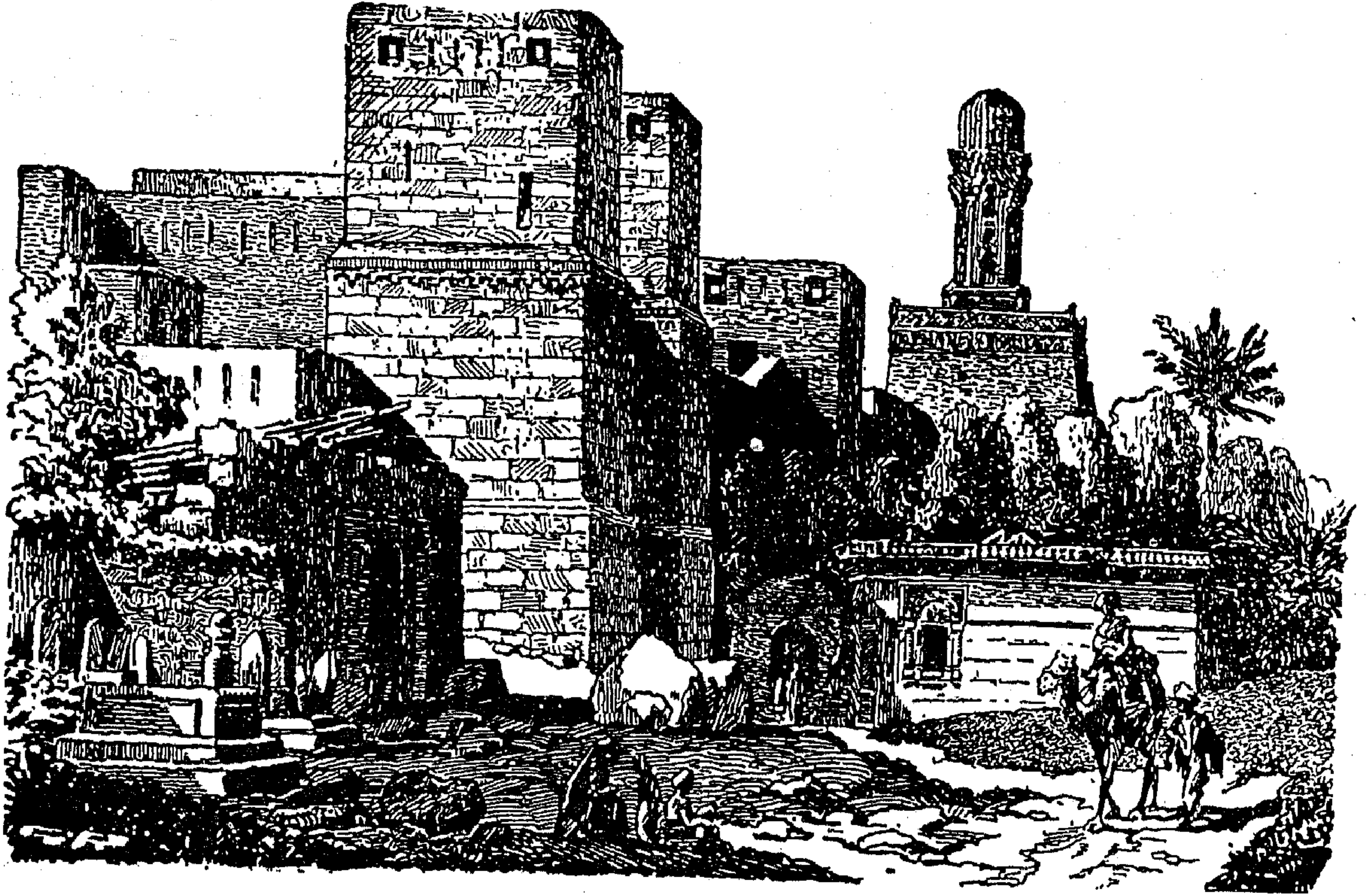
المغاربة ، وجبوه بالقلعة بسبب أنه كان يتكلم
في بعض المجالس ويقول : « أنا شيخ المغاربة ،
وأحكم عليهم » ، ويتباهى بمثل هذا القول .
فنقل عنه ذلك الى عبد العال والفرنسيس ، وظنوا
صحة قوله ، وأنه ربما أثار فتنة . فقبضوا عليه
وجبوه . وكذلك حبسوا محمد أفندى يوسف
ثانى قلعة ، وآخر يقال له عبيد السكرى .

٢٥ منه (٩ مايو ١٨٠١ م) :

أبرزوا مكتوبا وزعموا أنه حضر من سارى
عسكرهم وقرىء بالديوان . وصورته ، بعد
الصدر :

« خطابا الى كافة العلماء والمشايع الكرام عحفل
الديوان المنيف بمحروسة مصر حالا ، أدام الله تعالى
فضائلهم :

« ورد لنا مكتوبكم ، وانشرح قلبى من
كل ماشهدتم لنا فيه بأنه ثبت عقلكم السليم
وصدقكم ، وتقيد قلوبكم فى طارق الدستور ،
فدوموا مهتدين بهذه المسلكة ، ولا بد لفضائلكم
من دولة جمهورنا كامل الوفاء من حسن رضا ،
واطمئنان عليكم منها ، ومن طرف عمدة أصحاب
الجراءة والشجاعة حضرة القوبصل أولها بونا برته ،
وعلى الخصوص من طرفنا ، وكان ضدا وامرى ، أن
الستويان « فوريه » الذى كنت وصفته قرب
فضائلكم ، ترك ذلك الموضع نوجها الى اسكندرية
وما تلك الفعلة الا من نقص جسارته فى ذى الوقعة ،
فبدلناه جنب فضائلكم بالستويان « جيرار » رجل
واجب الاستوصاء لأجل عرضه وفضله ، وخصوصا
لأجل غيرته وجسارته . فلذلك هو كسب اعتمادى ،
فاعتدوا الى كل ما هو قائل بفضائلكم من جانبنا .
« وبمنه وعونه تعالى عن قريب نواجهكم بمصر
بخير وسلامة ، ودوموا حسب تدبيراتكم لتنظيم
البلد ، ومماسكة الطاعة بين الأمة الحامدة ،



الاماكن المجاورة لباب النصر

٢٨ منه (١٢ مايو ١٨٠١ م) :

وردت الأخبار بوصول ركاب الوزير يوسف
باشا الى مدينة بليس وذلك في رابع عشرينه .

وفيه : أخبر وكيل الديوان أن ساري عسكر
أرسل كتابا الى الست نفيسة بالتعزية ، ورتب لها
في كل شهر مائة ألف نصف وأربعين .

* * *

وانقضت هذه السنة بحوادثها وما حصل فيها .
فمنها : توالى الهدم والخراب ، وتغيير المعالم ،
وتنويع المظالم . وعم الخراب خطة الحسينية خارج
باب الفتوح والخروبي ، فهدموا تلك الأخطاط
والجہات والحارات ، والدروب والحمامات ،
والمساجد والمزارات ، والزوايا والتكايا ، وبركة
جناق وما بها من الدور والقصور المزخرفة ، وجامع
الجنبلاتية العظيم بباب النصر ، وما كان به من

والسياسة بين غيرهم . وكذلك نرجو من رب
الأجناد ، بحرمة سيد العباد ، أن تشدوا قلوبكم
توكلا له ، لأن عوننا اسمه العظيم » ا

حرر في ثلاثة عشر « فلوريال » سنة تسعة ، موافقا
لثمانية عشر ذي الحجة سنة ألف ومائتين وخمسة
عشر . مضى : عبد الله جاك مينو . انتهى بالفاظه
وحروفه .

٢٦ منه (١٠ مايو ١٨٠١ م) :

أعادوا فرش الديوان بأمر الوكيل « جيرار » .
وذلك على حد قول القائل :

وتجلدى للشامتين أريهم

أنى لرب الدهر لا أتضعض

وفيه : أفرجوا عن محمد كاشف سليم الشعراوي
بشفاعة حسين كاشف ، وسافر الى جهة الصعيد .

وكذلك هدموا مدرسة القانية والجامع المعروف بالسبع سلاطين وجامع الجركسى وجامع خوند بركة الناصرية خارج باب البرقية ، وكذلك أبنية باب القرافة ومدارسها ومساجدها ، وسدوا الباب ، وعملوا الجامع الناصرى الملاصق له قلعة ، بعد أن هدموا منارته وقبابه .

وسدوا أبواب الميدان من ناحية الرملة وناحية عرب اليسار ، وأوصلوا سور باب القرافة بجامع الزمر ، وجعلوا ذلك الجامع قلعة . وكذلك عدة قلاع متصلة بالمجرة التى كانت تنقل الماء الى القلعة الكبيرة وسدوا عيونها وبواكيها ، وجعلوها سورا بذاتها ، ولم يبقوا منها الا قوصرة واحدة من ناحية الطيبي جهة مصر القديمة ، جعلوها بابا ومسلكا وعليها الكرنك والغفر والعسكر الملازمين الاقامة بها ، ولقبض المكس من الخارج والداخل . وسدوا الجهة المسلوكة من ناحية قنطرة السد بحاجز خشب مقفص وعليه باب بقفل مقفص أيضا ، وعليه حرسجية ملازمون القيام عليه ... وذلك حيث

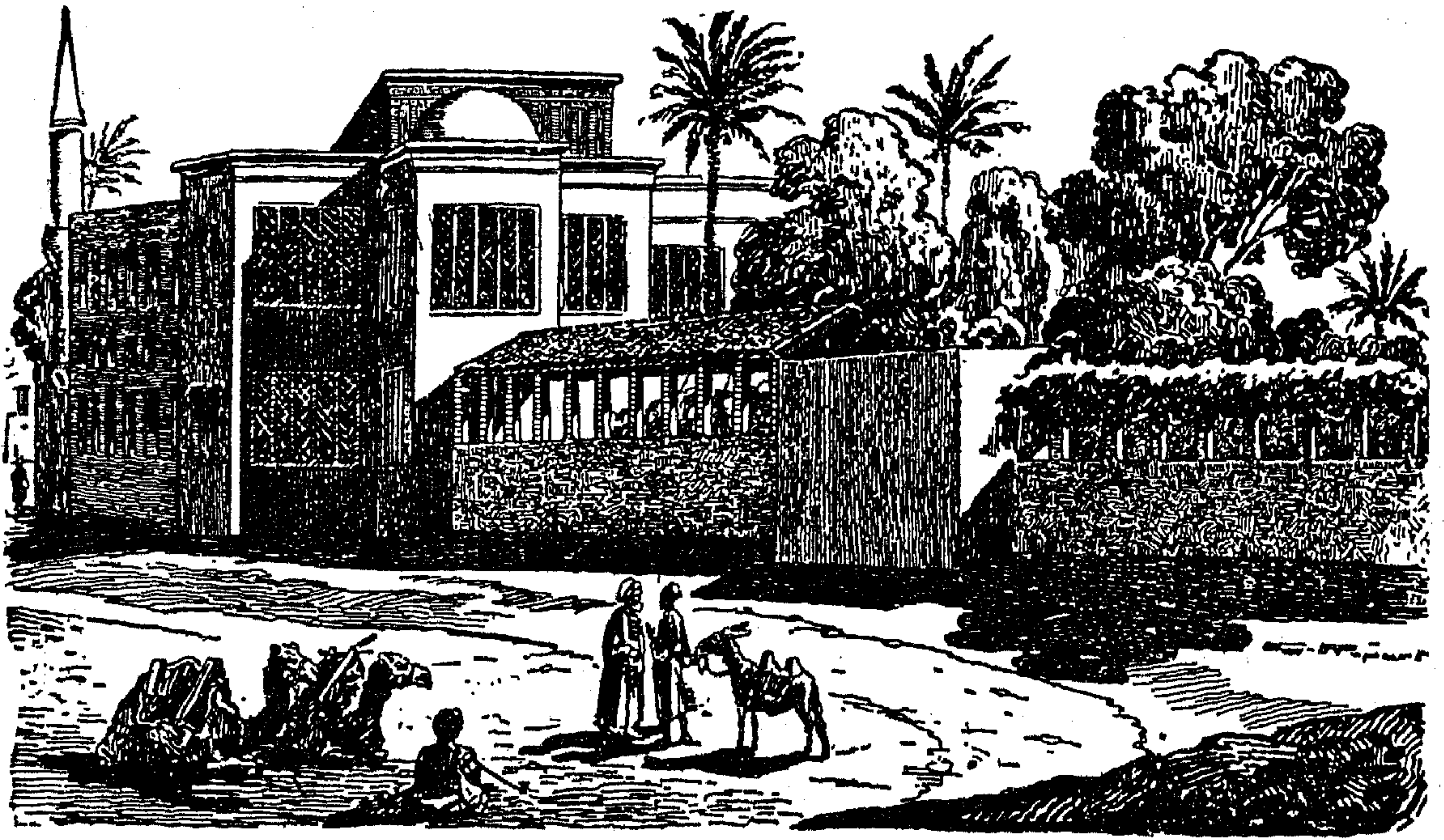


الحراس عند مداخل القاهرة

القباب العظام المعقودة من الحجر المنحوت ، المربعة الأركان ، الشبيهة بالأهرام ، والمنارة العظيمة ذات الهلالين . واتصل هدم خارج باب النصر بخارج باب الفتوح وباب القوس الى باب الحديد ، حتى بقى ذلك كله خرابا متصلا واحدا ، وبقي سور المدينة الاصلى ظاهرا مكشوبا ، فعمروه ورموا ماتشعث منه ، وأوصلوا بعضه ببعض بالبناء ، ورفعوا بنيانه فى العلو ، وعملوا عند كل باب كرائك وبدنات عظاما ، وأبوابا داخلية وخارجية ، وأخشابا مغروسة بالأرض مشبكة بكيفية مخصوصة ، وركزوا عند كل باب عدة من العسكر مقيمين وملازمين ليلا ونهارا .

ثم سدوا باب الفتوح بالبناء ، وكذلك باب البرقية وباب المحروق ، وأنشأوا عدة قلاع فوق تلل البرقية ، ورتبوا فيها العساكر وآلات الحرب والذخيرة وصهاريج الماء ... وذلك من حد باب النصر الى باب الوزير وناحية الصوة طولا ، فمهدوا أعالي التلال ، وأصلحوا طرقها ، وجعلوا لها مزالق وانحدارات لسهولة الصعود والهبوط ، بقياسات وتحريرات هندسية على زوايا قائمة ومنفرجة ، وبنوا تلك القلاع بمقادير بين أبعادها .

وهدموا أبنية رأس الصوة ، حيث الخطابة وباب الوزير تحت القلعة الكبيرة ، وما بذلك من المدارس القديمة المشيدة ، والقباب المرتفعة . وهدموا أعالي المدرسة النظامية ومنارتها — وكانت فى غاية من الحسن — وجعلوها قلعة ونبشوا ما بها من القبور ، فوجدوا الموتى فى توايت من الخشب ، فظنوا داخلها دراهم ، فكسروا بعضها ، فوجدوا بها عظام الموتى ، فأنزلوا تلك التوايت وألقوها الى خارج فاجتمع أهل تلك الجهة وخملوها ، وعملوا لها مشهدا بجمع من الناس ، ودفنوها داخل التكية المجاورة لباب المدرج ... وجعلوا تلك المدرسة قلعة أيضا بعد أن هدموا منارتها أيضا .



بيت الالفى

متوسط ذلك الجسر ينعطف جسر آخر الى جهة اليسار عند بيت الطويل المهدوم ، وبيت الالفى حيث سكن سارى عسكر ... ممتد ذلك الجسر الى قنطرة المغربى ، ومنها يمتد الى بولاق على خط مستقيم الى ساحل البحر ، حيث موردة التبن والشون ، وزرعوا بحافتيه السيسان والأشجار ، وكذلك برصيفات الأزبكية .

وهدموا المسجد المجاور لقنطرة الدكة مع ما جاوره من الأبنية والغيطان ، وعملوا هناك بوابة وكرنكا وعسكرا ملازمين الاقامة والوقوف ليلا ونهارا .. وذلك عند مسكن « بليار » قائمقام — وهى دار جرجس الجوهري — وما جاوره . وكان فى عزمهم اىصال ما انتهوا الى هدمه بقنطرة الموسكى الى سور باب البرقية ، ويهدمون من حد حمام الموسكى حتى يتصل المهدوم بناحية الأشرفية ، ثم الى خان الخليلى الى اسطبل الطارمة ، المعروف الآن

سواقى المجراة التى كانت تنقل الماء الى القلعة ، وحفروا خلف ذلك خندقا .

وأما ما أنشأوه وعمره من الأبراج والقلع والحصون بناحية ثغر الاسكندرية ورشيد ودمياط وبلاد الصعيد .. فشىء كثير جدا ، وذلك كله فى زمن قليل .

ومنها : تخريب دور الأزبكية وردم رصيفاتها بالأتربة ، وتبديل أوضاعها ، وهدم خطة قنطرة الموسكى ، وما جاورها من أول القنطرة المقابلة للحمام الى البوابة المعروفة بالعتبة الزرقاء حيث جامع أزبك ، وما كان فى ضمن ذلك من الدور والحوانيت والوكائل وكوم الشيخ سلامة .. فيسلك المسار من على القنطرة فى رحبة متسعة ينتهى الى رحبة الجامع الأزبكي .

وهدموا بيت الصابونجى ووصلوه بجسر عريض ممتد ميهده حتى ينتهى الى قنطرة الدكة . وفى

بالشنوانى ، الى ناحية كفر الطماعين ، الى البرقيه ،
ويجعلون ذلك طريقا واحدا متسعا ، وبحافتيه
الحوانيت والخانات ، وبها أعمدة وأشجار وتكاعيب
وتعاريش وبساتين — من أولها الى آخرها — من
حد باب البرقية الى بولاق .

فلما انتهوا فى الهدم الى قنطرة الموسيقى ، تركوا
الهدم ونادوا بالمهلة ثلاثة أشهر ، وشرعوا فى أنبئة
حوائط بحافتي القنطرة ، ومعاطف ومزالق الى حارة
الافرنج وحارة النباقة ، وذلك بالحجر النحت المثقن
الوضع .

وكذلك عمروا قناطر الخليج المتهدمة ، داخل مصر
 وخارجها ، على ذلك الشكل مثل : قنطرة السد ،
والقنطرة التى بين أراضى الناصرية وطريق مصر
القديمة ، وقنطرة الليمون ، وقنطرة قديدهار ،
وقنطرة الأوز وغير ذلك . ثم فاحأهم حادث الطاعون
ووصول القادمين ، فتركوا ذلك ، واشتغلوا بأمور
التحصين .. وسأتى تنمة ذلك .

ومنها : توالى خراب بركة الفيل — وخصوصا
بيوت الأمراء التى كانت بها — وأخذوا أخشابها
لعمارة القلاع ، ووقود النيران والبيع ، وكذلك
ماكان بها من الرصاص والحديد والرخام .

وكانت هذه البركة من جملة محاسن مصر ،
وفيهما يقول أبو سعيد الأندلسى — وقد ذكر
القاهرة — : « وأعجبنى فى ظاهرها بركة الفيل ،
لأنها دائرة كالبدر ، والمناظر فوقها كالنجوم . وعادة
السلطان أن يركب فيها بالليل ، ويسرح أصحاب
المناظر على قدر همهم وقدرتهم ، فيكون بذلك لها
منظر عجيب ، وفيها أقول :

انظر الى بركة الفيل التى اكتنفت

بها المناظر كالأهداب للبصر

كأنها هى ، والأبصار ترمقها ،

كواكب قد أداروها على القمر

« ونظرت اليها وقد قابلتها الشمس بالغدو فقلت :

انظر الى بركة الفيل التى نحرت

لها الغزالة نحرا من مطالعها

وخل طرفك محفوقا بيهجتها

تهم وجدا وحبا فى بدائعها »

وتخرب أيضا جامع الرومى وجعلوه خمارا !
وبعض جامع عثمان كئخدا القزدغلى — الذى
بالقرب من رصيف الخشاب — وجامع خير بك
حديد — الذى بدرب الحمام بقرب بركة الفيل —
وجامع البهاوى والطروطشى والعدوى . وهدموا
جامع عبد الرحمن كئخدا — المقابل لباب الفتوح —
حتى لم يبق به الا بعض الجدران ، وجعلوا جامع
أزبك سوقا لبيع أقلام المكوس .

ومنها : أنهم غيروا معالم المقياس ، وبدلوا
أوضاعه ، وهدموا قبته العالية ، والقصر البديع
الشاهق والقاعة التى بها عمود المقياس ، وبنوها
على شكل آخر لا بأس به ، لكنه لم يتم ، وهى على
ذلك باقية الى الآن . ورفعوا قاعدة العمود العليا
ذراعا ، وجعلوا تلك الزيادة من قطعة رخام مربعة
ورسموا عليها من جهاتها الأربع قراريط الذراع .

ومنها : أنهم هدموا مساطب الحوانيت التى
بالشارع ، ورفعوا أحجارها مظهرين أن القصد
بذلك توسيع الأزقة لمرور العربات الكبيرة التى
ينقلون عليها المتاع ، واحتياجات البناء من الأحجار
والجبس والجير وغيره .. والمعنى الخفى الشافى
خوفا من المتاريس بها عند حدوث الفتن كما
تقدم وكانوا وصلوا فى هدم المساطب الى باب
زويلة ، ومن الجهة الأخرى الى عطفة مرجوش .
فهدموا مساطب خط قناطر السباع والصليية ودرب
الجماميز وباب سعادة وباب الخرق الى آخر باب
الشعرية ولو طال الحال لهدموا مساطب العقادين
والغورية والصاغة والنحاسين الى آخر باب النصر

وباب الفتوح . فحصل لأرباب الحوانيت غاة الضيق لذلك ، وصاروا يجلسون في داخل فجوات الحوانيت مثل الفيران في الشقوق ! وبعض الزوايا والجوامع والرباع التي درجها خارج عن سمن حائط البناء ... لما هدموا درجه وبسطته ، بقى باب مدخله معلقا ، فكانوا يتوصلون اليه بدرج من الخشب مصنوع ، يضعونه وقت الحاجة ويرفعونه بعدها .. وذلك عمل كثير .

ومنها : تبرج النساء ، وخروج غالبهن عن الحشمة والحياء .. وهو أنه لما حضر الفرنسيين الى مصر - ومع البعض منهم نساؤهم - كانوا يمشون في الشوارع مع سائهم وهن حاسرات الوجوه ، لابسات الفستانات والمناديل الحرير الملونة ، ويسدلن على مناكبهن الطرح الكشميري والمزركشات المصبوغة ، ويركبن الخيول والحير ، ويسوقونها سوا عنفا مع الضحك والقهقهة ، ومداعبة المكارية معهم وخرافش العامة ... فمالت اليهم نفوس أهل الأهواء من النساء الأسافل والفواحش ، فتدخلن معهم ، لخضوعهم للنساء ، وبذل الأموال لهن .

وكان ذلك التداخل أولا مع بعض احتشام وخشية عار ، ومالعة في اخفائه فلما وقعت الفتنة الأخيرة بمصر ، وحاربت الفرنسيين بولاق ، وفتكوا في أهلها ، وغنموا أموالها ، وأخذوا ما استحسنوه من النساء والبنات - صرن مأسورات عندهم ، فزيوهن بزي نساؤهم ، وأجروهن على طريقتهن في كامل الأحوال . فخلع أكثرهن نقاب الحياء بالكلية ، وتداخل مع أولئك المأسورات غيرهن من النساء الفواجر !

ولما حل بأهل البلاد من الذل والهوان ، وسلب الأموال ، واجتماع الخيرات في حوز الفرنسيين ومن والاهم ، وشدة رغبتهم في النساء وخضوعهم

لهن ، وموافقة مرادهن ، وعدم مخالفة هواهن - ولو شتمته أو ضربته بتاسومتها ! - فطرحن الحشمة والوقار والمبالاة والاعتبار ، واستملن نظراءهن ، واختلسن عقولهن .. لميل النفوس الى الشهوات ، وخصوصا عقول القاصرات وخطب الكثير منهم بنات الأعيان ، وتزوجوهن رغبة في سلطانهم ونوالهم . فيظهر حالة العقيد الاسلام ، وينطق بالشهادتين ، لأنه ليس له عقيدة يخشى فسادها .

وصار مع حكام الأخطاط منهم .. النساء المسلمات متزييات بزيهم ، ومشوا معهم في الأخطاط للنظر في أمور الرعية ، والأحكام العادية ، والأمر والنهي والمناداة . وتمشى المرأة بنفسها أو معها بعض أترابها وأضيافها على مثل شكلها ، وأمامها القواسية والخدم وبأيديهم العصي يفرجون لهن الناس - مثل ما يمر الحاكم - ويأمرن وينهين في الأحكام !

ومنها : أنه لما أوفى النيل أذرعه ، ودخل الماء الى الخليج ، وجرت فيه السفن ... وقع عند ذلك من تبرج النساء ، واختلاطهن بالفرنسيين ومصاحبتهم لهن في المراكب ، والرقص والغناء ، والشرب في النهار والليل ، في الفوانيس والشموع الموقدة ، وعليهن الملابس الفاخرة والحلى والجواهر المرصعة ، وصحبتهن آلات الطرب . وملاحو السفن بكثرون من المهزل والمجون ، ويتجاوبون برفع الصوت في تحريك المقاديف .. بسخيف موضوعاتهم ، وكثائف مطبوعاتهم ، وخصوصا اذا دبت الحشيشة في رءوسهم ، وتحكمت في عقولهم ! فيصرخون ويطلبون ويرقصون ويزمرون ، ويتجاوبون بمحاكاة ألفاظ الفرنسيين في غنائهم ، وتقليد كلامهم .. شيء كثير .

وأما الجوارى السود ، فانهن لما علمن رغبة القوم في مطلق الأنثى ... ذهبن اليهم أفواجا ، فرادى وأزواجا ، فنظنن الحيطان ، وتسلقن اليهم من الطيقان ، ودلوهم على مخبات أسيادهن ، وخبايا أموالهم ومتاعهم .. وغير ذلك !

ومنها : أن يعقوب القبطى ، لما تظاهر مع الفرنساوية ، وجعلوه سارى عسكر القبطة .. جمع شبان القبط وحلق لحاهم ، وزياهم بزي مشابه لعسكر الفرنساوية ، مميزين عنهم بقبع يلبسونه على رؤوسهم ، مشابه لشكل البرنيطة ، وعليها قطعة فروة سوداء من جلد الغنم .. فى غاية البشاعة ! وصيرهم عسكره وعزوته ، وجمعهم من أقصى الصعيد .

وهدم الأماكن المجاورة لحارة النصارى — التى هو ساكن بها — خلف الجوامع الأحمر ، وبني له قلعة ، وسورها بسور عظيم وأبراج ، وباب كبير يحيط به بدقات عظام . وكذلك بني أبراجا فى ظاهر الحارة جهة بركة الأزيكية . وفى جميع السور المحيط والأبراج طيقانا للمدافع وبنادق الرصاص على هيئة سور مصر الذى رمه الفرنساوية . ورتب على باب القلعة — الخارج والداخل — عدة من العسكر الملازمين للوقوف ليلا ونهارا ، وبأيديهم البنادق على طريقة الفرنساوية .



الروضة

ومنها : قطعهم الأشجار والنخيل من جميع البساتين والجنان الكائنة بمصر وبولاق ومصر القديمة والروضة وجهة قصر العينى ، وخارج الحسينية ، وبساتين بركة الرطلى وأرض الطبالة ، وبساتين الخليج ... بل وجميع القطر المصرى : كالشرقية والغربية والمنوفية ، ورشيد ودمياط . كل ذلك لاحتياجات عمل القلاع وتحصين الأسوار فى جميع الجهات ، وعمل العجل والعربات والمثايرس ووقود النار . وكذلك المراكب والسفن وأخذ أخشابها أيضا .. مع شدة الاحتياج اليها ، وعدم انشاء الناس سفنا جديدة لفقرهم ، وعدم الخشب والزفت والقار والحديد وباقي اللوازم . حتى انهم حال حلولهم الديار المصرية ، وسكنهم بالأزبكية ، كسروا جميع القنج والأغربة التى كانت موجودة تحت بيوت الأعيان بقصد التنزه . وكذلك ما كان ببركة الفيل .

وبسبب ذلك شحت البضائع ، وغلت الأسعار ، وتعطلت الأسباب ، وضاعت المعاش ، وتضاعفت أجرة حمل التجارات فى السفن لقلتها .

ومنها : هدم القباب والمدافن الكائنة بالقرافة تحت القلعة خوفا من تترس المحاربين بها . فكانوا يهدمون ذلك بالبارود على طريقة اللغم ، فيسقط المكان بجميع أجزائه من قوة البارود وانجباسه فى الأرض ، فيسمع له صوت عظيم ودوى . فهدموا شيئا كثيرا على هذه الصورة .

وكذلك أزالوا جانبا كبيرا من الجبل المقطم بالبارود من الجهة المحاذية للقلعة ، خوفا من تمكن الخصم منها ، والرمى على القلعة .

ومنها : زيادة النيل الزيادة المفرطة التى لم يعمد مثلها فى هذه السنين حتى غرقت الأراضى ، وحوصرت البلاد ، وتعطلت الطرق . فصارت الأرض كلها لجة

ماء ، وغرق غالب البلاد التي على السواحل ،
فتهدم من دورها شيء كثير .

وأما المدينة فإن الماء جرى من جهة الناصرية الى
الطريق السلوكية ، وطفح من بركة الفيل الى درب
الشمسي وطريق قنطرة عمر شاه .

ومنها : استمرار انقطاع الطرق وأسباب المتاجر ،
وغلو البضائع المجلوبة من البلاد الرومية والشامية
والهندية والحجازية والمغرب . حتى غلت أسعار
جميع الأصناف ، وانهى سعر كل شيء الى عشرة
أشاله وزيادة على ذلك . فبلغ الرطل الصابون الى
ثمانين نصفا ، واللوزة الواحدة بنصفين . وقس على
ذلك .

وأما الأشياء البلدية ، فإنها كثيرة وموجودة ،
وغالبها يباع رخيصة مثل : السمن والمسل النحل
والأرز والفلال ... وخصوصا الأرز فإنه يبع في
أيامهم بخسمائة نصف فضة الأردب .

وكانت النصارى باعة المسل النحل يطوفون به
في بلايص محملة على الجمير ، ينادون عليه في
الأزقة بأرخص الأثمان .

ومنها : وقوع الطاعون بمصر والشام ، وكان
معظم عمله ببلاد الصعيد . أخبرني صاحبنا العلامة
الشيخ حسن المعروف بالطار ، المصري نزيل أسيوط
مكتابة ، ونصه : « ونعرفكم ياسيدي أنه قد وقع
في قطر الصعيد طاعون لم يعهد ، ولم نسمع بمثله ،
وخصوصا ما وقع منه بأسيوط . وقد انتشر هذا
البلاء في جميع البلاد شرقا وغربا ، وشاهدنا منه
المعائب في أطواره وأحواله . وذلك أنه أباد معظم
أهل البلاد ، وكان أكثره في الرجال ، سيما الشبان
والعظماء ، وكل ذي منقبة وفضيلة .

« وأغلقت الأسواق ، وعزت الأكفان ، وصار
المعظم من الناس بين ميت ، ومشيح ، ومريض ،
وعائد ، حتى أن الانسان لا يدرى بموت صاحبه أو

قريبه الا بعد أيام . ويتعطل الميت في بيته من أجل
تجهيزه ، فلا يوجد النعش ولا المفسل ولا من يحمل
الميت .. الا بعد المشقة الشديدة .

« وإن أكبر كبير إذا مات ، لا يكاد يشي معه
ما زاد على عشرة أنفار ... تكثرى !

« وماتت العلماء ، والقراء ، والمثزمون ،
والرؤساء ، وأرباب الحرف .

« ولقد مكثت شهرا بدون خلق رأسى .. لعدم
الحلاق ! وكان مبدأ هذا الأمر من شعبان ، وأخذ
في الزيادة في شهر ذي القعدة والحجة ، حتى بلغ
النهاية القصوى . فكان يموت كل يوم من أسيوط
خاصة زيادة على الستمائة ، وصار الانسان إذا
خرج من بيته لا يرى الا جنازة ، أو مريضا ، أو
مستغلا بتجهيز ميت ، ولا يسمع الا نائحة أو باكية .

« وتعطلت المساجد من الأذان والامامة لموت
أرباب الوظائف ، واشتغال من بقى منهم بالمشي
أمام الجنائز ، والسبح والسر .

« وتعطل الزرع من الحصاد ، ونشف على وجه
الأرض ، وأبادته الرياح لعدم وجدان من يحصده .
وعلى التخمين أنه مات الثلثان من الناس ... هذا
مع سعى العرب في البلاد بالفساد والتخويف بسبب
خلو البلاد من الناس والحكام » ... الى أن قال :

« ولو شئت أن أشرح لك ياسيدي ما حصل من
أمر الطاعون ، لمألت الصحف مع عدم الإيفاء .
وتاريخه ثامن عشرين الحجة سنة تاريخه .

وأما من مات في هذه السنة من الأعيان .

مات الامام الألعى ، والذكي اللوذعى ، من
عجبت طبيته بباء المعارف ، وتأخت طبيعته مع
العوارف .. الصدة العلامة ، والتحرير الفهامة ، فريد
دهره ووحيد عصره : الشيخ محمد بن أحمد بن
حسن بن عبد الكريم الخالدي الشافعي ، الشهير بابن

الجوهري . وهو أحد الاخوة الثلاثة وأصغرهم .
ولد سنة احدى وخمسين ومائة وألف ، ونشأ
في حجر والده في عفة وصون وعفاف ، وقرأ على
المشايخ الكبار وفضلاء الوقت . وكان آية في الفهم
والذكاء ، والفوص والاقتدار على حل المشكلات .

وعاش العلماء والفضلاء من أهل عصره ،
ومشايخه وقرنائه ، وتردد عليهم ، وترددوا عليه .
وحج ثلاث مرات ، وقرأ الدروس بالأزهر ،
وعقد دروسا بالحرم ، وانتفع به الطلبة . ولم يعهد
عليه أنه دخل بيتا لأمر قط ، أو أكل من طعام أحد
قط . الا بعض أشياخه المتقدمين ، وكانت شفاعته
لا ترد عند الأمراء والأعيان ، مع الشكينة والصدع
بالأمر والمناصحة في وجوهم .

ووفدت عليه الوفود من الحجاز والغرب والهند
والشام والروم .

ولم يزل وافر الحرمة ، معتقدا عند الخاص
والعام . حتى حضر الفرنساوية واختلت الأمور ،
وشارك الناس في تلقي البلاء ، وذهب ما كان له
بأيدي التجار ، ونهب بيته وكتبه التي جمعها ،
وتراكت عليه الهموم والأمراض ، وحصل له
اختلاط . ولم يزل حتى توفي يوم الأحد حادي
عشرين القعدة سنة تاريخه .

وبالجملة فكان من محاسن مصر ، والفريد في
العصر : ذهنه وقاد ، ونظمه مستجاد . وكان رقيق
الطبع ، لطيف الذات ، مترفها في مأكله وملبسه

ومن مؤلفاته : مختصر المنهج في الفقه ، وشرح
المعجم الوجيز ، وشرح عقيدة والده المسماة منقذة
العبيد في كرايس ، ورسالة في تعريف شكر المنعم ،
وشرح الجزرية ، والدر النظيم في تحقيق الكلام
القديم ، ونظم عقائد النسفي ، وعقيدة في التوحيد
وشرحها بشرحين ، واللمعة الأملية في قول الشافعي
باسلام القدريّة ، وتحقيق الفرق بين علم الجنس

وبين اسمه ، واتحاف الكامل ببيان تعريف العامل ،
وزهر الأفهام في تحقيق الوضع وما له من الأقسام ،
وحلية ذوى الأفهام بتحقيق دلالة العام ، واتحاف
الطرف في بيان متعلق الطرف ، والروض الأزهر
في حديث من رأى منكم منكرا ، ورسالة في تعريف
الشكر العرفي ، وثمرة غرس الاغتناء بتحقيق
أسباب البناء ، والدر المنشور في الساجور ، واتحاف
الآمال بجواب السؤال : في الحمل والوضع لبعض
الرجال واتحاف الأحبة في الضبة (أى المفضضة) ،
ورسالة في التوجه واتمام الأركان ، ورسالة في
زكاة النابت ، ورسالة في ثبوت رمضان ،
ورسالة في أركان الحج ، ورسالة في مد عجوة
ودرهم ، ورسالة في مسألة الغصب ، وحاشية على
شرح ابن قاسم العبادي الى البيوع ، والروض
الوسيم في المفتي به من المذهب القديم ، ورسالة في
النذر الشريف ، ورسالة في اهداء القرب للنبي عليه
السلام ، ورسالة في الأصول والأصول ، ورسالة
في مسألة ذوى الأرحام ، واتحاف اللطيف بصحة
النذر للموسر والشريف . وله غير ذلك منظومات
وضوابط وتحقيقات ... رحمه الله تعالى .

ومات الأجل الأمل ، العبد الوجيه : السيد
عبد الفتاح بن أحمد بن الحسن الجوهري ، أخو
المترجم المذكور ، وهو أسن منه وأصغر من أخيه
الشيخ أحمد .

ولد سنة احدى وأربعين ومائة وألف ، ونشأ
في حجر أبيه ، ولم يكن معنيا بالعلم ، ولم يلبس
زى الفقهاء . وكان يعاني التجارة ، ويشارك
ويضارب ويحاسب ويكتاب .

فلما توفي أخوه الأكبر الشيخ أحمد ، وامتنع
أخوه الأصغر الشيخ محمد من التصدر للأقراء في
محلّه ... اتفق الحال على تقدم المترجم — حفظا

للناموس ، وبقاء لصورة العلم الموروث — فعند ذلك تزييا بزى الفقهاء ، ولبس التاج والفراجة الواسعة ، وأقبل على مطالعة العلم وخالط أهله ، وصار يطالع ويذاكر ، وأقرأ دروس الحديث بالمشهد الحسيني في رمضان ... مع قلة بضاعته ، وذلك بمعونة الشيخ مصطفى بن الشيخ محمد الفرماوى ، فكان يطالع الدرس الذى يمليه من الغد ، ويتلقى عنه مناقشات الطلبة . وثبت على ذلك ، حتى ثبتت المشيخة وتقررت العالمية . كل ذلك مع معاناته التجارة !

وتردد الى الحرمين ، وأثرى واقتنى كتباً نفيسة وعروضا وحشما ، واشترى الممالك والعبيد والجوارى والأموال والالتزام . ولم يزل حتى حصلت حوادث فرنساوية . وصادروه وأخذوا منه خمسة عشر ألف فرانسة ، وداخله من ذلك كرب وانفعال ، الى أن مات في هذه السنة ، وذلك بغد وفاة أخيه الشيخ محمد بنحو خمسة أيام .. رحمه الله تعالى .

ومات الامام العلامة الثقة ، الهمام النحرير ، الذى ليس له في فضله نظير ، أبو محمد أحمد بن سلامة الشافعى المعروف بأبى سلامة .

اشتغل بالعلم ، وحضر العلوم النقلية والنحوية والمنطقية ، وتفقه على كثير من علماء الطبقة الاولى ، وتبحر في الأصول والفروع . وكان مستحضرا للفروع الفقهية ، والمسائل الغامضة في المذاهب الأربع . وينغوص بذهنه وقياسه في الأصول الغريبة ، ومطالعة كتب الأصول القديمة التى أهملها المتأخرون . وكان الفضلاء يرجعون في ذلك اليه ، ويعتمدون قوله ، ويعولون في الدقائق عليه .

الا أن الدهر لم يضافه على عادته ، وعاش في خمول وضيق عيش ، وخشونة ملابس ، وفقد

رفاهية .. بحيث أن من يراه لا يعرفه لرئاسة ثيابه ! وكان مهذباً ، حسن المعاشرة ، جميل الخلق والنادرة ، مطبوعاً ، فيه صلاح وتواضع . ونزل مؤقتاً في مسجد عبد الرحمن كتحدا الذى أنشأ نجاه باب الفتوح ، معلوم قدره ثمانية أنصاف .. يتعيش بها مع ما يرد عليه من بعض الفقهاء والعامة الذين يحتاجون اليه في مراجعة المسائل والفتاوى .

فلما خرب المسجد المذكور في حادثة الفرنسيين وجهات أوقافه ... انقطع عنه ذلك المعلوم ، وكان ذا عائلة ، ومع ذلك لا يسأل شيئاً ، ولا يظهر فاقة ! توفى يوم الأحد حادى عشرين جمادى الآخرة من السنة عن خمس وسبعين سنة تقريباً .. رحمه الله .

ومات الأمير مراد بيك محمد . مات بسهاج قادما الى مصر باستدعاء الفرنسيين ، ودفن بها عند الشيخ العارف . وكان موته رابع شهر الحجة كما تقدم ، وهو من ممالك محمد بيك أبى الذهب ، ومحمد بيك مملوك على بيك ، وعلى بيك مملوك ابراهيم كتحدا القازدغلى اشترى محمد بيك مراد بيك المذكور في سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف — وذلك في اليوم الذى قتل فيه صالح بيك الكبير — فأقام في الرق أياماً قليلة ، ثم أعنته وأمره ، وأنعم عليه بالاقطاعات الجليلة ، وقدمه على أقرانه . وتزوج بالست فاطمة — زوجة الأمير صالح بيك — وسكن داره العظيمة بخط الكباش .

ولما مات على بيك ، تزوج بسرته أيضا — وهى الست نفيسة الشهيرة الذكر بالحير — ولما انفرد محمد بيك بامارة مصر ، كان هو وابراهيم بيك أكبر أمرائه المشار اليهما دون غيرهما .

فلما سافر محمد بيك الى الديار الشامية محارباً للظاهر عمر ، أقام عوضه في امارة مصر ابراهيم بيك وأخذ صحبتته مراد بيك وباقى أمرائه .

فلما مات محمد بيك بعكا ، اجتمع أمراؤه على رأى ممالكه فى رآسة مراد بيك ، فتقدم وقدمه عليهم ، وحملوا جثة سيدهم ، وحضروا بأجمعهم الى مصر . فاتفق رأى الجميع على اماره من استخلفه سيدهم وقدمه دون غيره — وهو ابراهيم بيك — ورضى الجميع بتقدمه ورياسته لوفور عقله ، وسكون جأشه . فاستقر بمشيخة مصر ورياستها ونائب نوابها ووزرائها .

وعكف مراد بيك على لذاته وشهواته ، وقضى أكثر زمانه خارج المدينة مرة بقصره الذى انشأه بالروضة ، وأخرى بجزيرة الذهب ، وأخرى بقصر قايماز — جهة العادلية — كل ذلك مع مشاركته لابراهيم بيك فى الأحكام والنقض والابرار ، والايراد والاصدار ومقاسمة الأموال والدواوين ، وتقليد ممالكه وأتباعه الولايات والمناصب .

وأخذ فى بذل الأموال وانفاقها على أمرائه وأتباعه ، فانضم اليه بعض أمراء على بيك وغيرهم ، فأكرمهم ورخص لممالكه فى هفواتهم ، وسامحهم فى زلاتهم ، وحظى عنده كل جرى غشوم ، عسوف ذميم ظلوم . فانقلبت أوضاعهم ، وتبدلت طباعهم ، وشرهت نفوسهم ، وعلت رؤوسهم . فتناظروا وتفاخروا ، وطمعوا فى أستاذهم ، وشمخت آنافهم عليه ، وأغاروا حتى على ما فى يده .

واشتهر بالكرم والعطاء ، فقصدته الراغبون ، وامتدحه الشعراء والفاوون ، وأخذ الشئ من غير حقه ، وأعطاه لغير مستحقه . كما قال القائل :

يعطى ويمنع لا بخلا ولا كرمًا
لكنها خطرات من وسائسه

ثم لما ضاق عليه المسلك ، ورأى أن رضا العالم غاية لا تدرك ... أخذ يتحجب عن الناس ، فعظم فيه الهاجس والوسواس . وكان يغلب على طبعه

الخوف والحبس مع التهور والطيش ، والتورط فى الاقدام مع عدم الشجاعة .

ولم يعهد عليه أنه انتصر فى حرب باشره أبدا .. على ما فيه من الادعاء والغرور ، والكبر والخيلاء والصلف والظلم والجور . كما قال القائل :

أسد على وفى الحروب نعمة
فتخاء تنفر من صغير الصافر

ولما قدم حسن باشا الى مصر ، وخرج المترجم مع خشداشينه وعشيرته هارين الى الصعيد حتى انقضت أيام حسن باشا واسماعيل بيك ومن كان معه ، ورجعوا ثانيا بعد أربع سنين وشئ من الشهور من غير عقد ولا عهد ولا حرب .. تعاظم فى نفسه جدا ، واختص بمساكن اسماعيل بيك ، وجعل اقامته بقصر الجيزة ، وزاد فى بنائه وتنميته ، وبنى تحته رصيفا محكما ، وأنشأ بداخله بستانا عظيما نقل اليه أصناف النخيل والأشجار والكروم ، واستخلص غالب بلاد اقليم الجيزة لنفسه : شراء ومعاوضة وغصبا . وعمر أيضا قصر جزيرة الذهب ، وجعل بها بستانا عظيما . وكذلك قصر ترسا ، وبستان المجنون .

وصار يتنقل فى تلك القصور والبساتين ، ويركب للصيد فى غالب أوقاته . واقتنى المواشى من الأبقار والجواميس الحلابة والأغنام المختلفة الأجناس . فكان عنده بالجيزة من ذلك شئ كثير جدا .

وعمل له ترسخانه عظيمة . وطلب صناعات الحرب من المدافع والقنابر والبنب والجلل والمكاحل واتخذ بها أيضا معامل البارود ، خلاف المعامل التى فى البلد . وأخذ جميع الحدادين والسباكين والنجارين ، فجمع الحديد المجلوب . والرصاص والفحم والخطب ، حتى شحت جميع هذه الأدوات لكونه كان يأخذ كل ما وجده منها ،

وكذلك حطب القرطم والترمس والذرة ، لحرق
قمام الجير والجبس للعمارة .

وأوقف الأعوان في كل جهة بحجزون المراكب
التي تأتي من البلاد بالأحطاب ، يأخذونها ويجمعونها
للطلب ، ويبيعون لأنفسهم ما أحبوا ، ويأخذون
الجعالات على ما سمحون به ، أو يطلقونه لأربابه
بالوسائط والشفاعات .

وأحضر أناسا من القليونجية ونصاري الأروام
وصناع المراكب ، فأنشأوا له عدة مراكب حربية
وغلايين ، وجعلوا بها مدافع وآلات حرب على
هيئة مراكب الروم ، صرف عليها أموالا عظيمة ،
ورقب بها عساكر وبحرية ، وأدر عليهم الجماكي
والأرزاق الكثيرة ، وجعل عليهم رئيسا كبيرا : رجلا
نصرانيا — وهو الذي يقال له « تقولا » — بنى له
دارا عظيمة بالجيزة وأخرى بمصر ، وله عزوة
وأتباع من نصاري الأروام المرتبين عسكرا . وكان
تقولا المذكور يركب الخيل ، ويلبس الملابس
الفاخرة ، ويمشي في شوارع مصر راكبا ، وأمامه
وخلفه قواصة يوسعون له الطريق في مرور على
هيئة ركوب الأمراء ... كل ذلك خطرات من
وساوسه ، لا يدري أحد لأى شيء هذا الإهتمام ،
ولأى حاجة اتفاق هذا المال في الخشب والحديد ،
واعطاؤه لنصاري الأروام .

واختلفت آراء الناس في ذلك . فمن قائل ان
ذلك خوفا من خشداشينه ، وقائل من مخافة
العثمانية — كما تقدم في قضية حسن باشا —
والبعض يظن خلاف ذلك وليس ، غير الوهم
والتخيل الفاسد والخوف ، شيء .

وبقيت آلات الحرب جميعها والبارود بحواصله ،
والجلل والبنبات ، حتى أخذ جميعه الفرنسيين !
فقال انه كان بحواصل الترسخانة من جنس الجلل
أحد عشر ألف جلة — كذا نقل عن معلم الترسخانة

— أخذ جميع ذلك الفرنسيين يوم استيلائهم على
الجيزة والقصر .

ومما اتفق أنه وقعت مشاجرة في بعض الأيام
بين بعض نصاري الأروام القليونجية وبعض السوق
بمصر القديمة ، فتعصب النصاري على أهل البلد ،
وحاربوهم ، وقتلوا منهم ليفا وعشرين رجلا .
وانتهت الشكوى الى الأمير ، فطلب كبيرهم ،
فعضى عليه ، وامتنع من مقابلته ، وعمر مدافع
المراكب ، ووجهها جهة قصره ... فلم يسهه الا
التغافل ... وراحت على من راح !

واستوزر رجلا بربريا ، وهو المسمى بابراهيم
كتخدا السنارى ، وجعله كتخداه ومشيره . وبلغ
من العظمة ونفوذ الكلمة باقليم مصر ما لم يبلغه
أعظم أمير بها . وبنى له دارا بالنصرية ، واقتنى
الممالك الحسان والسراري البيض والحبوش
والخدم ، وتعلم اللغة التركية والأوضاع الشيطانية ،
واختص ذلك السنارى ببعض رعاي الناس ، وجعله
كتخداه .. يأتمر بأمره ، ويتوسل به أعظم الناس
في قضاء أشغالهم !

ولما حسن لمрад بيك الإقامة بالجيزة ، واختار
السكن بها ، وزين له شيطانه العزلة عن خشداشينه
وأقرانه ، وترك لابراهيم بيك أمر الأحكام
والدواوين ومقتضيات نواب السلطنة العثمانية —
مع كونه لا ينفذ أمرا دون رأيه ومشورته —
واحتج هو عن الاجتماع بالناس بالكلية ، حتى
عن الأمراء الكبار من أقرانه ... كان السفير بينه
وبينهم ابراهيم كتخدا المذكور . فكان هو عبارة
عنه . وربما تقض القضايا التي انبرم أمرها عند
ابراهيم بيك أو غيره ، بنفسه أو عن لسان مخدمه .

وأقام المترجم على عزلته بالبر الغربي نحو ست
سنوات متوالية ... لا بعدى الى البر الشرقى أبدا ،
ولا يحضر الديوان ، ولا يتردد الى الأقران . وإذا

حضر الباشا المولى على مصر ، ووصل الى برانبابة ،
ركب وسلم عليه مع الأمراء ورجع الى قصره ...
فلا يراه بعد ذلك أبدا .

وتعاضم في نفسه ، وتكبر على أقرانه وأبناء
جنسه ، فتزاحمت على سدته الطلاب ، وتكالبت على
حيفته الكلاب ! فأنزوى من نبشهم ، وتوارى من
نهشهم . فاذا بلغه قدوم من يخشيه ، أو وصول
من يرتجيه ، وكان يستحى من رده ، أو يخشى
عاقبة صده ... ركب في الحال ، وصعد الى الجبال ،
وربما وصله الغريم على غفلة ، فيجده قد شمع
الفتلة ! فان صادفه واجتمع عليه ، أعطاه ما في يديه
.. أو وعده بالخير ، أو وهبه ملك الغير . فما
يشعر الميسور ، الا ولقمته قد اختطفتها النور !

ثم أخذ يبعث بدواوين الأعشار والمكوسات
والبهار ، فيحول عليهم الحوالات ، ويتابع لماليكه
ختم الوصولات ... فتجاذب — هو وإبراهيم
بيك — ذلك الايراد ، وتعارضت أوراقهما ، وخافا
في المعتاد .. ثم اصطلحا على أن تكون له الدواوين
البحرية ، ولقسيمه ما يرد من الأصناف الحجازية
وما انضاف الى قلم البهار ، وحسب في دفاتر
التجار . فأنفرد كل منهما بوظيفته ، وفعل بها من
الاجحاف ما سطر في صحيفته . فأحدث المترجم
ديوانا خاصا بشعر رشيد على الغلال التي تحمل
الى بلاد الافرنج ، وسموه « ديوان البدعة » ،
وأذن ببيع الغلال لمن يحملها الى بلاد الافرنج أو
غيرها . وجعل على كل اردب ديناراً ، خلاف
البرانى . والتزم بذلك رجل سراج من أعوانه
الموصوفين بالجور ، وسكن برشيد ، وبقيت له بها
وجاهة وكلمة نافذة ، فجمع من ذلك أموالا وإرادا
عظيما . وكانت هذه البدعة السيئة من أعظم أسباب
قوة الفرنسيين وطمعهم في الاقليم المصرى ، مع

ما أضيف الى ذلك من أخذ أموالهم ، ونهب
تجاراتهم وبضاعاتهم من غير ثمن (١) .
واقتردى به أمراؤه وتناظروا في ذلك . وفعل
كل منهم ما وصلت اليه همته ، واستخرجته
فطنته !

ومما سولت به نفس المترجم — بارشاد بعض
الفقهاء — عمارة جامع عمرو بن العاص ، وهو
الجامع العتيق .
وذلك أنه لما خرب هذا الجامع بخراب مدينة
الفسطاط ، وبقيت تلالا وكيمانا — وخصوصا
ما قرب من ذلك الجامع — ولم يبق بها بعض العمار
الا ما كان من الأماكن التي على ساحل النيل ،
وخربت في دولة « القزدغلية » وأيام حسن باشا لما
سكنتها عساكره ... لم يبق بساحل النيل الا بعض
أماكن جهة دار النحاس وفم الخليج يسكنها أتباع
الأمراء ونصارى المكوس . وبها بعض مساجد
صغار يصلى بها السواحلية والنواتية وسكان تلك
الخطه من القهوجية والباعه .

والجامع العتيق لا يصل اليه أحد لبعده
وحصوله بين الأتربة والكيما . وكان ، فيما
أدركنا ، الناس يصلون به آخر جمعة في رمضان .
فتجتمع به الناس على سبيل التسلى من القاهرة
ومصر وبولاق ، وبعض الأمراء أيضا والأعيان .
ويجتمع بصحنه أرباب الملاحى من الحواة والقردياتية
وأهل الملاعب والنساء الراقصات المعروفات
بالغوازي ... فبطل ذلك أيضا من نحو ثلاثين سنة
لهدمه وخراب ما حوله وسقوط سقفه وأعمدته

(١) ان قنصل فرنسا وجوايسها وتجارها قد اطلموا نابليون
— دون ريب — على ما وصل اليه حال البلاد من تفكك وانحلال .
وعلى ما يقتضيه الحكام من بغى وطفيان ، وعلى ما وصل اليه
الحكومات من فيق بددهم طوائف وشيعا فعمل اللذنب
الجور ان الفريسة قد أصبحت وجبة سائفة لا تملك من
امرأ شيئا ...

وميل شقته اليمنى بل وسقوطها بعد ذلك . فحسن
ببال المترجم هذه وتجديده بارشاد بعض الفقهاء ..
ليرقع به دينه الخلق ، كما قال شاعرهم :

ومسجد في فضاء : ما عمارته
فوق الصيانة ، الا لهو مختلق !

كأن عمرا دعا : يا عاص هم به
ورمه رقعة في دينك الخلق !

فاهتم لذلك ، وقيد به نديمه الحاج قاسم
المعروف بالمصلى ، فجعله مباشرا على عمارته ،
وصرف عليه أموالا عظيمة أخذها من غير حلها ،
ووضعها في غير محلها !

وأقام أركانه ، وشيد بنيانه ، ونصب أعمدته ،
وكمل زخرفته ، وبنى به منارتين ، وجدد جميع
سقفه بالخشب النقى ، وبيضه جميعه ... فتم على
أحسن ما يكون . وفرشه بالحصر الفيومي ، وعلق
به القناديل ، وحصلت به الجمعية آخر جمعة برمضان
سنة ١٢١٢ . فحضر الأمراء والمشايخ وأكابر الناس
وعامتهم .

وبعد انقضاء الصلاة عقد له الشيخ عبد الله
الشرقاوى مجلسا ، وأملى حديث « من بنى لله
مسجدا .. » ، وآية « انما يعمر مساجد الله .. » .
وعند فراغه ألبس فروة من السمور ، وكذلك
الخطيب .

فلما حضرت فرنساوية في العام القابل ، جرى
عليه ما جرى على غيره من الهدم والتخريب ، وأخذ
أخشابه حتى أصبح بلقعا أشوه ما كان . فياليتها
لم تزن ولم تتصدق !

وبالجملة فمناقب المترجم لا تحصى ، وأوصافه
لا تستقصى : فهو كان من أعظم الأسباب في خراب
الاقليم المصرى بما تجدد منه ومن ممالিকে وأتباعه

من الجور والتهور ، ومسامحته لهم ... فلعل لهم
يزول بزواله !

وكان صفته : أشقر ، مربع القامة ، كث
اللحية ، غليظ الجسم والصوت ، بوجهه أثر ضربة
سيف ، ظالما غشوما متهورا ، مختالا معجبا متكبرا ،
الا أنه كان يحب العلماء ويتأدب معهم ، وينصت
لكلامهم ، ويقبل شفاعتهم ، ويميل طبعه الى الاسلام
والمسلمين ، ويحب معاشرة الندماء والفصحاء وأهل
الذوق والمتكلمين ، ويشاركهم ويواسطهم ولا يعل من
مجالستهم ومناذمتهم ، ويناقل في الشطرنج ، ويطلب
أهل المعرفة فيه ، ويحب سماع الآلات والأغاني ،
وكانت عطاياه جمة ، ومواهبه وهمة فوق كل همة !

ولم يخلف ولدا ولا بنتا ، وصناجقه الذين
مات عنهم : الأمير محمد بيك المعروف بالألفى ،
وعثمان بيك الجوخدار المعروف بالطبرجى ، وعثمان
بيك المعروف بالبرديسى ، ومحمد بيك المنفوخ ،
وسليم بيك أبو دياب وأصله مملوك مصطفى بيك
الاسكندراني .

ولما مات دفن بسهاج كما تقدم عند الشيخ
العارف .. غفر الله له .

ومات الأمير حسن بيك الجداوى — مملوك
على بيك — وهو من خشداشين محمد بيك أبى
الذهب . مات بغزة بالطاعون . وكان من الشجعان
الموصوفين ، والأبطال المعروفين . ولما اتفرد على
بيك بمملكة مصر ولاه امارة جدة .. فلذلك لقب
بالجداوى ، وذلك سنة ١١٨٤ .

ولما وقعت حادثة الفرنسيين ، واستولوا على
الاقليم المصرى ، وحضرت العساكر بصحبة الوزير
يوسف باشا ، ووقع ما وقع من الصلح وتقضيه .
وانحصر المترجم مع ما انحصر بالمدينة من المصرية
والعثمانية ، فقاتل وجاهد وأبلى بلاء حسنا .. شهيد

له بالشجاعة والاقدام كل من العثمانية والفرنساوية
والمصرية .

فلما انفصل الأمر وخرجوا الى الجهة الشامية ،
لم يزل محرصا ومرابطا ومجتهدا ، حتى مات
بالطاعون في هذه السنة ، وفاز بالشهادتين ، وقدم
على كريم يغفر الذلوب جميعا ... انه هو
الغفور الرحيم .

ومات الأمير مصطفى بك الكبير — وهو
أيضا من مماليك محمد بك — تولى الصعيد
وامارة الحج عدة مرار ، وكان فظا غليظا ، متمولا
بخيلا شحيحا ، وفي امارته على الحج ، ترك زيارة
المدينة لخوفه من العرب وشحه بعوائدهم ، وقلة
اعتنائه بشعائر الدين ، وانتقد ذلك على المصريين
من الدولة وغيرها . وكان ذلك من أعظم ما اجترمه
من القبائح .

ومات الأمير حسن كتخدا ، المعروف بالجربان ،
بالشام أيضا . وأصله من مماليك حسن بك
الأزبكاي ، وكان ممتهنا في الممالك ... فسموه
بالجربان لذلك فلما قتل أستاذه بقي هو لا يملك
شيئا ، فجلس بحانوت جهة الأزركية يبيع فيها
تبكا وصابونا !

ثم سافر الى المنصورة فأقام بها مدة تحت قصر
محمود جرجى . ثم رجع الى مصر في أيام دولة
على بك ، وتنقلت به الأحوال حتى انضم الى مراد
بك وتقرّب منه ، فجعله كتخداه ووزيره ، واشتهر
ذكره ، وصار من الأعيان المعدودين .

وكان يعترى المترجم مرض شبيه بالصرع . ولم
يزل حتى مات مع من مات بالشام .

ومات الأمير يحيى كاشف الكبير ، وهو من
مماليك ابراهيم بك الأقدمين .

وكان لطيف الطباع ، حسن الأوضاع ، وعنده
ذوق وتودد ، عطارديا يحب الرسومات والنقوش
والتصاوير والأشكال ودقائق الصناعات ، والكتب
المشتملة على ذلك ، مثل « كليله ودمنة »
و « النوادر والأمثال » .

واهتم في بناء السبيل المجاور لداره بخطة
عابدين ، فرسم شكله قبل الشروع فيه في قرطاس
بمعونة الأسطا حسن الخياط ، ثم سافر الى
الاسكندرية وأحضر ما يحتاجه من الرخام والأعمدة
المرمر الكبيرة والصغيرة ، وأنواع الأخشاب ،
وحفر أساسه وأحكم وضعه ، واستدعى الصناع
والمرخمين ، فتأنقوا في صناعته ونقش رخامه على
الرسم الذى رسمه لهم ... كل ذلك بالحفر بالآلات
في الرخام ، وموهوه بالذهب .

فما هو الا أن ارتفع بنيانه ، وتشيدت أركانه ،
وظهر للعيان حسن قلبه ، وكاد يتم ما قصده من
حسن مآربه ... حتى وقعت حادثة الفرنسيين ،
فخرج مع من خرج قبل اتمامه ، وبقي على حالته
الى الآن .

ولما خرج سكن داره « برطلمين » ، واستخرج
مخبأة بين داره والسبيل ، فيها ذخائره ومتاعه ،
فأوصلها للفرنسيين .

ومات الأمير رشوان كاشف — وهو من مماليك
مراد بك — وكان له أقطاع بالفيوم فكان معظم
اقامته بها ، فاحتكر الورد وما يخرج من مائه ،
والخل المتخذ من العنب ، والخيش . واتجر في هذه
البضائع بمراذه واختياره ، وتحكم في الاقليم تحكم
الملاك في أملاكهم وعبيدهم ، وذلك قوة واقتدارا !

ومات كل من الأمير باكير بك ، والأمير محمد
بك تابع حسين بك كشكش .

ومات غير هؤلاء ممن لم نحضرنى أسماؤهم

المحترم

الخميس غرته (١٤ مايو ١٨٠١ م) :

خف أمر الطاعون . وفي ليلة الجمعة تلك أرسل عبد العال الأغا وأحضر الشيخ محمد الأمير ليلا الى منزله في بيته عنده ، ولما أصبح النهار طلع به الى القلعة وجسه عند المشايخ بجامع سارية . والسبب في ذلك أن ولد الشيخ المذكور كان من جملة من يستحث الناس على قتال الفرنسيين في الواقعة السابقة بمصر . فلما انقضت هرب الى جهة بحرى ، ثم حضر بعد مدة الى مصر ، فأقام أياما ، ثم رجس الى قوة باذن من الفرنسيين .

فلما حصلت هذه الحركة ، وتحذروا شدة التحذر ، وأخذوا الناس بأدنى شبهة ، وتقرب اليهم المنافقون بالتجسس والاغراء — ذكر بعضهم ذلك لقائهم ، وأدخل في مسامعه أن ابن الشيخ المذكور ذهب الى عرضى الوزير ، والتف عليهم . فأرسل قائمقام الى الشيخ قبل تاريخه ، فلما حضر سأل عن ولده المذكور . فأخبره أنه مقيم بقوة . فقال له : « لم يكن هناك ، والما هو عند القادمين » . قال له : « لم يكن ذلك ، وان شئتتم أرسلت اليه بالحضور » . فقال له : « أرسل اليه وأحضره » .

فقام من عنده على ذلك وأمهله ثمانية أيام مدة مسافة الذهاب والمجيء . ثم خاطبه على لسان وكيل الديوان أيضا ، فوعده بحضوره أو حضور الجواب بعد يومين ، واعتذر بعدم أمن الطريق . فلما انقضى

اليومان ، أمروا عبد العال بطلبه واصعاده على القلعة ، ففعل .

وفيه : حضر جملة من عساكر الفرنساوية من جهة بحرى ، وتواترت الأخبار بوصول القادمين من الانكليز والعثمانية الى الرحمانية ، وتملكهم القلعة وما بالقرب منها من الحصون الكائنة بالعطف وغيره ، وذلك يوم السبت خامس عشرين الحجة .

وفيه : حضرت زوجة سارى عسكر كبير الفرنسيين بصحبة أخيها السيد على الرشيدى — أحد أعضاء الديوان — وكان خرج بها من رشيد حين ما ملكها القادمون ، ونزل بها فى مركب وأرسى بها قبالة الرحمانية .

فلما حصلت واقعة الرحمانية وأخذت قلعتها ، حضر بها الى مصر بعد مشقة وخوف من العربان وقطاع الطريق وغير ذلك . فأقامت هى وأخوها بيت الألفى بالأزبكية نحو ثلاثة أيام ، ثم صعدا الى القلعة .

وفيه : قربت العساكر القادمة من الجهة الشرقية وحضرت طوالهم الى القليوبية والمنير والخانكة لأخذ الكلف ، فتأهب قائمقام « بليار » للقائهم . وأمر العساكر بالخروج من أول الليل . ثم خرج هو فى آخر الليل .

الأحد ٤ منه (١٧ مايو ١٨٠١ م) :

رجع قائمقام ومن معه ، ووقع بينه وبينهم مناوشة . فلم يثبت الفرنسيين لقلتهم ، ورجعوا مهزومين ، وكنتموا أمرهم ، ولم يذكروا شيئا .

الاثنين ٥ منه (١٨ مايو ١٨٠١ م) :

رفعوا الطلب عن الناس بباقي نصف المليون ، وأظهروا الفرق بالناس والسرور بهم لعدم قيامهم عند خروجهم للحرب ، وخلو البلدة منهم : وكانوا يظنون منهم ذلك .

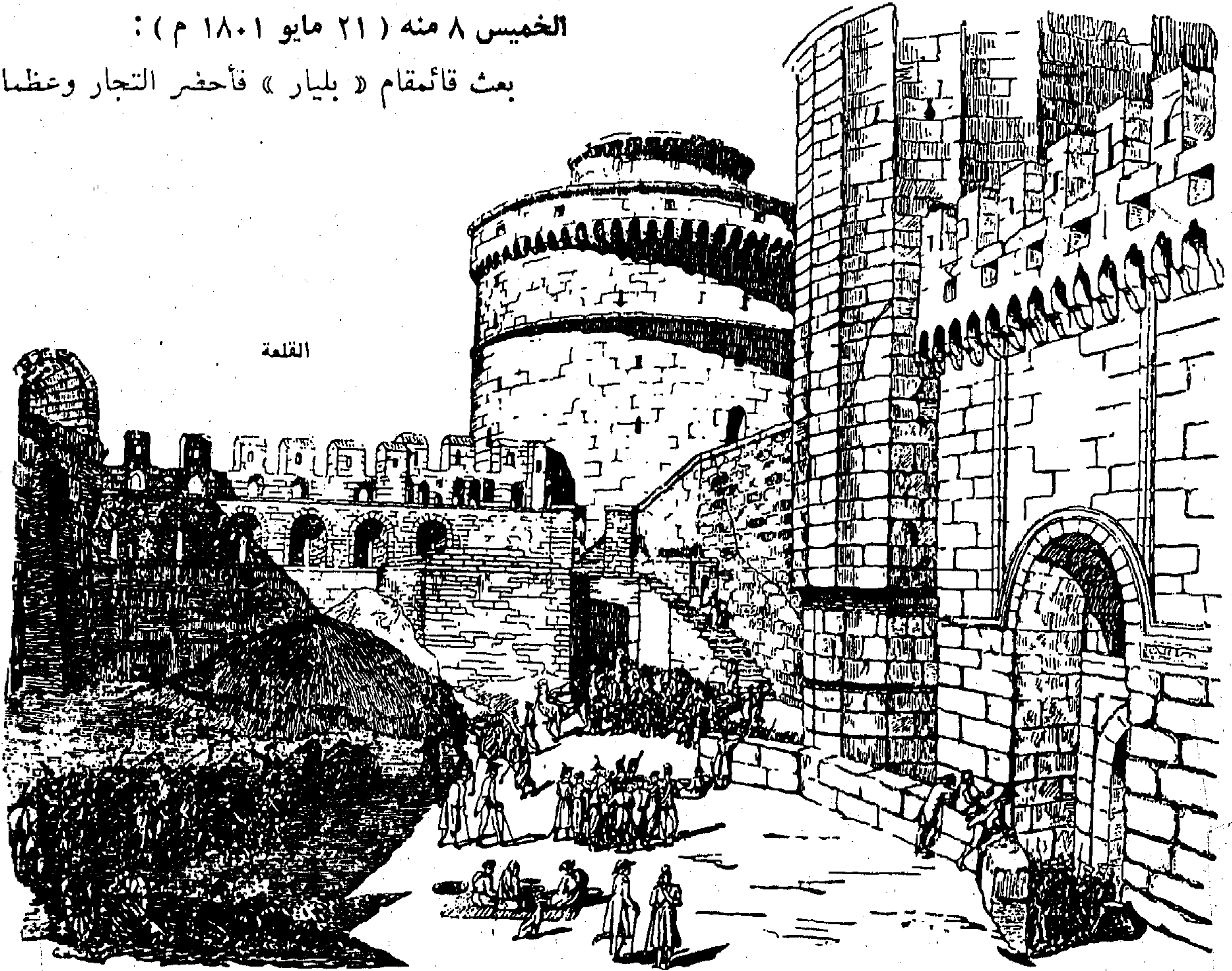
وفيه : أخذت جملة من عدد الطواحين وأصعدت الى القلعة ، وأكثروا من نقل الماء والدقيق والأقوات اليها ، وكذلك البارود والكبريت والجلل والقناير والبنب ، ونقلوا مافي الأسوار والبيوت من الأمتعة والفرش والأسرة وحملوه اليها ولم يبقوا بالقللاع الصغار الا مهمات الحرب .

وفيه : طلبوا الزياتين وألزموهم بمائتي قنطار شيرج ، وسمروا جملة من حوانيتهم . وخرج جماعة من الجزارين لشراء الغنم من القرى القريبة ، فقبض

عليهم عساكر العثمانية القادمة ، ومنعواهم من العود بالغنم والبقر ، وكذلك منعوا الفلاحين الذين يجلبون الميرة والأقوات الى المدينة . فانقطع الوارد من الجهات البحرية والقليلية ، وعزت الأقوات ، وشح اللحم والسمن جدا ، وأغلقت حوانيت الجزارين . واجتهد الفرنسيون في وضع متاريس خارج البلد من الجهة الشرقية والبحرية ، وحفروا خنادق ، وطلبوا الفعلة للعمل . فكانوا يقبضون على كل من وجدوه ويسوقونهم للعمل ، وكذلك فعلوا بجهة القرافة ، وألقوا الأحجار العظيمة والمراكب يبحر انيابة ، لتمنع المراكب من العبور ، وابتدأوا المتاريس البحرية من باب الحديد ممدودة الى قطرة الليمون ، الى قصر افرنج احمد ، الى السبتية الى مجرى البحر .

الخميس ٨ منه (٢١ مايو ١٨٠١ م) :

بعث قائمقام « بليار » فأحضر التجار وعظماء



الناس وسألهم عن سبب غلق الجوانب فقالوا له :
« من وقف، الحال والكساد والجلأ والموت »
فقال لهم : « من كان موجودا حاضرا فالزموه بفتح
حانوته ، والا فأخبروني عنه » . ونزلت الحكام
فنادت بفتح الحوائت والبيع والشراء .

السبت ١٠ منه (٢٣ مايو ١٨٠١ م) :

شرعوا في هدم جانب من الجيزة من الجهة
البحرية ، وقربت عساكر الانكليز القادمة من البر
الغربي الى البلد المسماة بـ « نادر » عند رأس
ترعة الفرعونية

وفيه : تواترت الأخبار بأن العساكر الشرقية
وصلت أوائلها الى بنها وطحلا بساحل النيل ، وأن
طائفة من الانكليز رجعوا الى جهة سكندرية ،
وأن الحرب قائم بها ، وأن الفرنسيات محصورون
بداخل الاسكندرية ، والانكليز ومن معهم من
العساكر يحاربون من خارج ، وهي في غاية المنعة
والتحصين ، وأن الانكليز بعد قدومهم وطلوعهم
الى البر ، ومحاربتهم لهم المرات السابقة أطلقوا
الجبوس عن المياه السائلة من البحر المالح منه
الى الجسر المقطوع ، حتى سالت المياه ، وعمت
الأراضي المحيطة بالاسكندرية ، وأغرقت أطيافا
كثيرة وبلادا ومزارع ، وأنهم قعدوا في الأماكن
التي يمكن الفرنسيين النفوذ منها ، بحيث أنهم
قطعوا عليهم الطرق من كل ناحية .

الاثنين ١٢ منه (٢٥ مايو ١٨٠١ م) :

نزلت امرأة من القلعة بمتاعها واختفت بمصر ،
فأحضر الفرنسيين حكام الشرطة ، وألزموهم
بأحضارها .

وهذه المرأة اسمها « هوى » كانت زوجة
لبعض الأمراء الكشاف ، ثم انها خرجت عن طورها
وتزوجت نقولا ، وأقامت معه مدة . فلما حدثت

هذه الحوادث ، جمعت ثيابها واحتالت حتى نزلت
من القلعة وهي على حمار ، ومتاعها محمول على
حمار آخر ... فنزلت عند بعض العطف ، وأعطت
المكارية الأجرة وصرفتهم من خارج واختفت .

فلما وقع عليها التفتيش ، وأحضروا المكارية ..
قالوا : « لانعلم غير المكان الذي أنزلناها به
وأعطينا الأجرة عنده » ، فشددوا على المكارية ،
ومنعوهم من السروح ، وقبضوا على أهل الحارة
وحبسوهم ثم أحضروا مشايخ الحارات وشددوا
عليهم وعلى سكان الدور وأعلموهم أنه ان وجدت
المرأة في حارة من الحارات ولم يخبروا عنها ..
نهبوا جميع دور الحارة وعاقبوا سكانها فحصل
للناس غاية الضجر والقلق بسبب اختفائها ،
وتفتيش أصحاب الشرطة ، وخصوصا عبدالعال ،
فانه كان يتنكر ويلبس زى النساء ، ويدخل
البيوت بحجة التفتيش عليها ، فيزعج أرباب
البيوت والنساء ، ويأخذ منهن مصاليح ومصاغا ،
ويفعل ما لا خير فيه ، ولا يحشى خالقا ولا مخلوقا !

الخميس ١٥ منه (٢٨ مايو ١٨٠١ م) :

قبضوا على الطون أبي طاقية النصراني القبطي
وحبسوه بالقلعة ، وألزموه بمبلغ دراهم تأخرت
عنه من حساب البلاد .

الجمعة ١٦ منه (٢٩ مايو ١٨٠١ م) :

أفرجوا عن محمد افندى يوسف ، ونزل الى
بيته وكذلك الشيخ مصطفى الصاوي لمرضه .

وفيه انقضت دعوة تهمة الشيخ خليل البكرى
ومحصلها : أن خادم مملوكه ذهب عن لسان
المملوك الى « بليار » قائمقام ، وأخبره أنه وصل
الى أستاذه الشيخ خليل البكرى المذكور فرمان
من عرضى الوزير بالأمان .

وكان هذا باغراء عبد العال ليوقعه في الوبال ،

ويحرك عليه الفرنسيين لحزاة بينه وبينه . فلما حضر الشيخ خليل على عادته عند قائمقام سأل عن ذلك .. فجحده . فأحضروا الخادم الذى بلغ ذلك ، فصدق على ذلك ، وأسند الى المملوك سيده . فأحضروا المملوك وسألوه فقال : « نعم .. » . فقالوا له : « وأين الفرمان .. ؟ » . فقال : « قرأه وقطعه » . فقال الفرنسيات : « وكيف تقطعه ؟ هذا دليل الكذب ، لأنه لا يصح أن يتلقاه بالقبول ثم يقطعه ! » فقبل له : « ومن أتى به ؟ » قال : « فلان ... » . فالزموا الشيخ باحضار ذلك الرجل ، وحبس المملوك عند عبد العال يومين ، وحضر الرجل فسألوه .. فجحده ولم يثبت عليه . وظهر كذب الغلام والخادم . فعند ذلك طلب الشيخ غلامه ، فقال قائمقام : « ان قصاصه فى شريعتنا أن يقطع لسانه ! » فتشفع فيه سيده ، وأخذ بعد أمور وكلام قبيح قاله الغلام فى حق سيده .

وفيه : حضر حسين كاشف اليهودى الى قائمقام وأخبره أن الأمراء الذين بالصعيد خرجوا عن طاعة فرنساوية ، وردوا مكاتبتهم التى أرسلوها لهم بعد موت مراد بيك ، وأنهم مروا وتوجهوا الى بحرى من البر الغربى ، وعثمان بيك الأشقر ذهب من خلف الجبل الى جهة الشرق . فلما حصل ذلك ، ركب قائمقام وذهب للست نفيسة وأمنها وطيب خاطرها وأخبرها أنها فى أمان هى وجميع نساء الأمراء والكشاف والأجناد ، ولا مؤاخذه عليهن بما فعله رجالهن

الثلاثاء ٢٠ منه (٢ يونية ١٨٠١ م) :

توكل رجل قبضى يقال له عبد الله — من طرف يعقوب — بجمع طائفة من الناس لعمل المتاريس ، فتعدى على بعض الأعيان وأنزلهم من على دوابهم ،

وعسف وضرب بعض الناس على وجهه حتى أسال دمه .. فتشكى الناس من ذلك القبضى ، وأنهوا شكواهم الى « بليار » قائمقام ، فأمر بالقبض على ذلك القبضى ، وحبسه بالقلعة ثم فردوا على كل حارة رجلين يأتى بهما شيخ الحارة وتدفع لهما أجرة من شيخ الحارة . وفيه : وردت الأخبار بأن الوزير وصل دجوة .

الاثنين ٢٦ منه (٨ يونية ١٨٠١ م) :

سمع عدة مدافع على بعد وقت الضحوة .

وفى ذلك اليوم ، قبل العصر ، طلبوا مشايخ الديوان : فاجتمعوا بالديوان ، وحضر الوكيل والترجمان ، وطلبهم للحضور الى قائمقام . فلما حصلوا عنده قال لهم على لسان الترجمان : « نخبركم أن الخصم قد قرب منا . ونرجوكم أن تكونوا على عهدكم مع فرنساوية ، وأن تنصحوا أهل البلد والرعية بأن يكونوا مستترين على سكونهم وهدوهم ، ولا يتدخلوا فى الشر والشغب . فان الرعية بمنزلة الولد ، وأنتم بمنزلة الوالد ! والواجب على الوالد نصيح ولده وتأديبه وتدريبه على الطريق المستقيم التى يكون فيها الخير والصالح . فانهم ان داوموا على الهدو ... حصل لهم الخير ، ونجوا من كل شر . وان حصل منهم خلاف ذلك .. نزلت عليهم النار ، وأحرقت دورهم ، ونهبت أموالهم ومتاعهم ، ويتمت أولادهم : وسييت نساؤهم . والزموا بالأموال والفرد التى لا طاقة لهم بها . فقد رأيتم ما حصل فى الوقائع السابقة ، فاحذروا من ذلك ... فانهم لا يدرون العاقبة . ولا نكلفكم المساعدة لنا ، ولا المعاونة لحرب عدونا ، وانما نطلب منكم السكون والهدو لا غير » . فأجابوه بالسبح والطاعة وقولهم : « كذلك ! »

وقرى عليهم ورقة بمعنى ذلك . وأمرؤا الأغا وأصحاب الشرطة بالمناداة على الناس بذلك . وأنهم



أقا

لم يبق لهم من الايراد الا ما يتحصل من ذلك والقصد الاعتناء أيضا بأمر البلاد والحصص التي انحلت بموت أربابها . فلازم أيضا من المصالحة والحلوان . والمهلة في ذلك ثمانية أيام . فمن لم يصالح على الالتزام الذي له فيه شبهة في تلك المدة .. ضبطت حصته ولا يقبل له عذر بعد ذلك .

« واعلموا أن أرض مصر استقر ملكها للفرنساوية فلازم من اعتقادكم ذلك ، واركزوه في أذهانكم .. كما تعتقدون وحدانية الله تعالى ! ! ولا يغرنكم هؤلاء القادمون وقربهم . فانه لا يخرج من أيديهم شيء أبدا . وهؤلاء الانكليز ناس خوارج حرامية وصناعتهم القاء العداوة والقتل ، والعشلى مغتر بهم . فان فرنساوية كانت من الأحباب الخالص للعشلى ، فلم يزالوا حتى أوقعوا بينه وبينهم العداوة والشرور . وأن بلادهم ضيقة ، وجزيرتهم صغيرة . ولو كان بينهم وبين فرنساوية طريق مسلك من البر ، لأنحى أثرهم ، ونسى ذكرهم من زمان مديد . وتأملوا في شأنهم ، وأي شيء خرج من أيديهم ! فان لهم ثلاثة أشهر من حين طلوعهم الى البر والى الآن لم يصلوا اليها ، والفرنسيين عند قدومهم وصلوا في ثمانية عشر يوما . فلو كان فيهم همة أو شجاعة .. لوصلوا مثل وصولنا » ... وكلام كثير من هذا النمط في معنى ذلك .. من بحر الغفلة !

ثم ذكر البكرى والسيد أحمد الزرو : أنه حضر مكتوب من رشيد على يد رجل حناوى لآخر من منية كنانة ، يذكر فيه أنه حضر الى اسكندرية مراكب وعمارة من فرنسا ، وأن الانكليز رجعت اليهم ، وأن الحرب قائمة بينهم على ظهر البحر . فقال الخازندار : « يمكن ذلك ، وليس بيعيد » . ثم نقلوا ذلك الى « بليار » قائمقام ، فطلب الرجل الراوى لذلك . فأحضر الزرو رجلا شرقاويا حلف لهم أنه سمع ذلك بأذنه من الرجل الواصل الى منية كنانة من رشيد .

ربما سمعوا ضرب مدافع جهة الجيزة فلا ينزعجوا من ذلك ، فانه شنك وعيد لبعض أكابرهم ، وأن يجتمع من الغد بالديوان الأعيان والتجار وكبار الأخطاط ومشايخ الحارات ، ويتلى عليهم ذلك .

الثلاثاء ٢٧ منه (٩ يونيه ١٨٠١ م) :

اجتمعوا كما ذكر ، وحصلت الوصية والتحذير ، وانتهى المجلس ، وذهبوا الى محلاتهم .

وفي ذلك اليوم : أشيع حضور الوزير الى شلقان . وكذلك عاكر الانكليز بالناحية الغربية وصلوا الى أول الوراريق .

الجمعة ٢٠ منه (١٢ يونيه ١٨٠١ م) :

اجتمع المشايخ والوكيل بالديوان على العادة ، وحضر « استوف » الخازندار ، وترجم عنه « رفايل » بقوله : « انه يشئ على كل من القاضي والشيخ اسماعيل الزرقاني باعتنائهما فيما يتعلق بأمر المواريث وبيت المال والمصالح على التركات المختومة ، لأن فرنساوية

مصر

السبت غرته (١٣ يونيه ١٨٠١ م) :

في ذلك اليوم ، قبل المغرب ، مشى عبدالعال الأغا وشق في شوارع المدينة وبين يديه مناد يقول : « الأمن والأمان على جميع الرعايا . وفي غد تضرب مدافع وشنك من القلاع في الساعة الرابعة فلا تخافوا ، ولا تنزعجوا . فانه حضرت بشارة وصول بونا بارتة بعمارة عظيمة الى الاسكندرية ، وأن الانكليز رجعوا القهقري » .

فلما أصبح يوم الأحد في الساعة الرابعة من الشروق ... ضربت عدة مدافع ، وتابعوا ضربها من جميع القلاع ، وصعد أناس الى المنارات ، ونظروا النظارات فشهدوا عساكر الانكليز بالجهة الغربية وصلوا الى آخر الوراق وأول ابابة ، ونصبوا خيامهم أسفل ابابة وعند وصولهم الى مضاربهم ضربوا عدة مدافع ، فلما سمعها الفرنسيون ضرب الآخرون تلك المدافع التي ذكروا أنها شنك وأما العساكر الشرفية فوصلت أوائلهم الى منية الأمراء المعروفة بمنية السيرج ، والمراكب فيما بينهما من البرين بكثرة فعند ذلك عزت الأقوات وشحت زيادة على قلتها ، وخصوصا السمن والجبن والأشياء المجلوبة من الريف ، ولم يبق طريق مسلوكة الى المدينة الا من جهة باب القرافة ، وما يجلب من جهة البساتين من القمح والتبن ، فيأتي ذلك الى عرصة الغلة بالرميلة ، ويزدحم عليه النساء والرجال بالمقاطف فيسمع لهم ضجة عظيمة وشح اللحم أيضا وغلا سعره لقلّة المواشى والأغنام ، فوصل سعر الرطل تسعة أنصاف ، والسمن خمسة وثلاثين نصفًا ، والبصل بأربعمائة فضة القنطار ، والرطل الصابون بشمانين فضة ، والشيرج عشرون نصفًا ، وأما الزيت فلا يوجد البتة ، وغلت الأبقار جدا واتفق لى عربية : وهو أنى احتجت الى بعض أنيسون فأرسلت

خادمي الى الابزارية على العادة ، يشتري لى منه بدرهم .. فلم يجده ، وقيل له : انه لا يوجد الا عند فلان ، وهو يبيع الوقية بثلاثة عشر نصفًا ثم أتانى منه بأوقيتين بعد جهد في تحصيله ، فحسبت على ذلك سعر الأردب فوجدته يبلغ خمسمائة ريال أو قريبًا من ذلك .. فكان ذلك من النواذر الغريبة !

الاثنين ٣ منه (١٥ يونيه ١٨٠١ م) :

حصلت الجمعية بالديوان ، وحضر التجار ومشايخ الحارات والأغا . وحضر مكتوب من « بليار » قائمقام خطابا لأرباب الديوان والحاضرين يذكر فيه ، أنه حضر اليه مكتوب من كبيرهم « مينو » بالاسكندرية صحبة هجانة فرسيس وصلوا اليهم من طريق البرية ، مضمونه : أنه طب بخير ، والأقوات كثيرة عندهم يأتي بها العربان اليهم . وبلغهم خبر وصول عمارة مراكب الفرنسية الى بحر الخرز ، وأنها عن قريب تصل الاسكندرية أن العمارة حاربت بلاد الانكليز واستولت على شقة كبيرة منها فكونوا مطمئنين خاطر من طرفنا ، ودوموا على هدوئكم وسكونكم .. الى آخر ما فيه من التموهيات . وكل ذلك لسكون الناس وخوفا من قيامهم في هذه الحالة . وكان وصول هذا المكتوب بعد نصف وأربعين يوما من انقطاع أخبار من في اسكندرية .. ولا أصل لذلك !

وفي ذلك اليوم : قتل عبد العال رجلا ذكروا أنه وجد معه مكتوب من بعض النساء مرسل الى بعض أزواجهن بالعرضى قتل ذلك الرجل بباب زويلة ونودى عليه : « هذا جزاء من ينقل الأخبار الى العثملى والانكليز » .

وفيه : وصلت العساكر الشرقية الى العادلية ، وامتد العرضى منها الى قبلى منية السيرج . وكذلك الغربية الى ابابة ، ونصبوا خيامهم بالبرين والمراكب بينهم في النيل ، وضربوا عدة مدافع ، وخرج عدة من



وطني يعذب حتى يعترف

حمزة الكاتب ، وكان محبوسا بالقلعة من مدة أشهر ، فأطلق على مصلحة ألفي ريال

السبت ٨ منه (٢٠ يونية ١٨٠١ م) :

وقعت مضاربة أيضا بطول النهار ، ودخل نحو خمسة وعشرين نفرا من عسكر العشائية الى الحسينية ، وجلسوا على مساطب القهوة ، وأكلوا كعكا وخبزا وفولا مصلوقا ، وشربوا قهوة ، ثم انصرفوا الى مضربهم . وأخذ الفرنسيون عسكرا من أتباع محمد باشا والي غزة والقدس ، المعروف بأبي مرق ، فحبسوه بيت قائمقام . وأغلقوا في ذلك اليوم باب النصر وباب العدوى .

وفيه : زحفت عساكر البر الغربي الى تحت الجيزة ، فحضر في صباحها « ينى » وأخبر قائمقام ، فركب من ساعته وعدى الى بر الجيزة ، فسمع الضرب أيضا من ناحية الجيزة ، وسمعت طبول الأمراء وتقاقيرهم .

الثلاثاء ١١ منه (٢٣ يونية ١٨٠١ م) :

بطل الضرب في وقت الزوال ، ولما حصلوا جهة الجيزة انتشروا الى قبلى منها ، ومنعوا المعادى من تعدد البر الشرقى ... فانقطع الجالب من الناحية

الفرنساوية خيالة فترامحوا معهم وأطلقوا بنادق ، ثم انفصلوا بعد حصاة من الليل ، ورجع كل الى مأمنه . واستمر هذا الحال على هذا المنوال يقع بينهم في كل يوم

الخميس ٦ منه (١٨ يونيه ١٨٠١ م) :

زحفت العساكر الشرقية حتى قربوا من قبة النصر .

وسكن ابراهيم بيك زاوية الشيخ دمر داش . وحضر جماعة من العسكروا أشرفوا على الجزارين من حائط المذبح ، وطلبوا شيخ الجزارين . ووجدوا ثلاثة أنصار من الفرنسيين ضربوا عليهم بنادق فأصيب أحدهم في رجله ، فأخذه وهرب الاثنان . وأصيب جزار يهودى ، ووقع بين الفريقين مضاربة على بعد ، وقتل بعض قتلى وأسر بعض أسرى . ولم يزل الضرب بينهم الى قريب العصر . والفرنسيين يرمون من القلعة الظاهرية وقلعة نجم الدين والتل ، ولا يتباعدون عن حصونهم .

الجمعة ٧ منه (١٩ يونيه ١٨٠١ م) :

وقعت مضاربة بين الفريقين بينادق ومدافع من الصباح الى العصر أيضا .

وفيه : أشيع موت السيد أحمد المحروقى بدجوة — وكان مريضا بها — وامتنع الوارد من الجهة البحرية بالكلية .

وفيه : قبضوا على رجل شبه خدام ظنوه جاسوسا . فأحضروه عند قائمقام ، فسألوه ، فلم يقر بشيء ، فضربوه عدة مرار حتى ذهل عقله وصار كالمختل ، وكرروا عليه الضرب والعقاب وضربوه بالكرابيج على كفوفه ووجهه ورأسه .. حتى قيل انهم ضربوه نحو ستة آلاف كراباج وهو على حاله . ثم أودعوه الحبس .

وفيه : أطلقوا محبوسا يقال له الشيخ سليمان

القبيلة أيضا ، فامتنع وصول الغلال والأقوات والبطيخ والعجور والخضروات والخيار والسمن والجبن والمواشي . فعزت الأقوات وغلت الأسعار في الأشياء الموجودة منها جدا . واجتمع الناس بعريضة الغلة بالرميلة ، يريدون شراء الغلة ، فلم يجدوها ... فكثرت ضجيجهم ، وخرج الأكثر منهم بمقاطعتهم الى جهة البساتين ، ورجع الباقون من غير شيء . فأحضر عبد العال القباية وألزمهم باحضار السمن وضرب البعض منهم ، فأحضروا له في يومين أربعة عشر رطلا بعد الجهد في تحصيلها . وبيعت الدجاجة بأربعين نصفاً ، وامتنع وجود اللحم من الأسواق . واستمر الأمر على ذلك الأربعة والخميس . والمضاربة بين الفريقين ساكنة ، وأشيع وقوع المسألة والمراسلة بينهما — والمتوسط في ذلك الإنكليز وحسين قبطان باشا — فانسر الناس وسكن جاشهم لسكون الحرب .

وفي ذلك اليوم أغلقوا باب القرافة وباب المجرة ولم يعلم سبب ذلك ، ثم فتحوها عند الصباح من يوم الجمعة ، ورفعوا عشور الغلة .

الاثنين ١٧ منه (٢٩ يونية ١٨٠١ م) :

أطلقوا المحبوسين بالقلعة من أسرى العثمانية ، وأعطوا كل شخص مقطع قماش وخمسة عشر قرشا ، وأرسلوهم الى عرضى الوزير . وكان بلغ بهم الجهد من الخدمة والفعالة وشيل التراب والأحجار وضيق الحبس والجوع ، ومات الكثير منهم . وكذلك

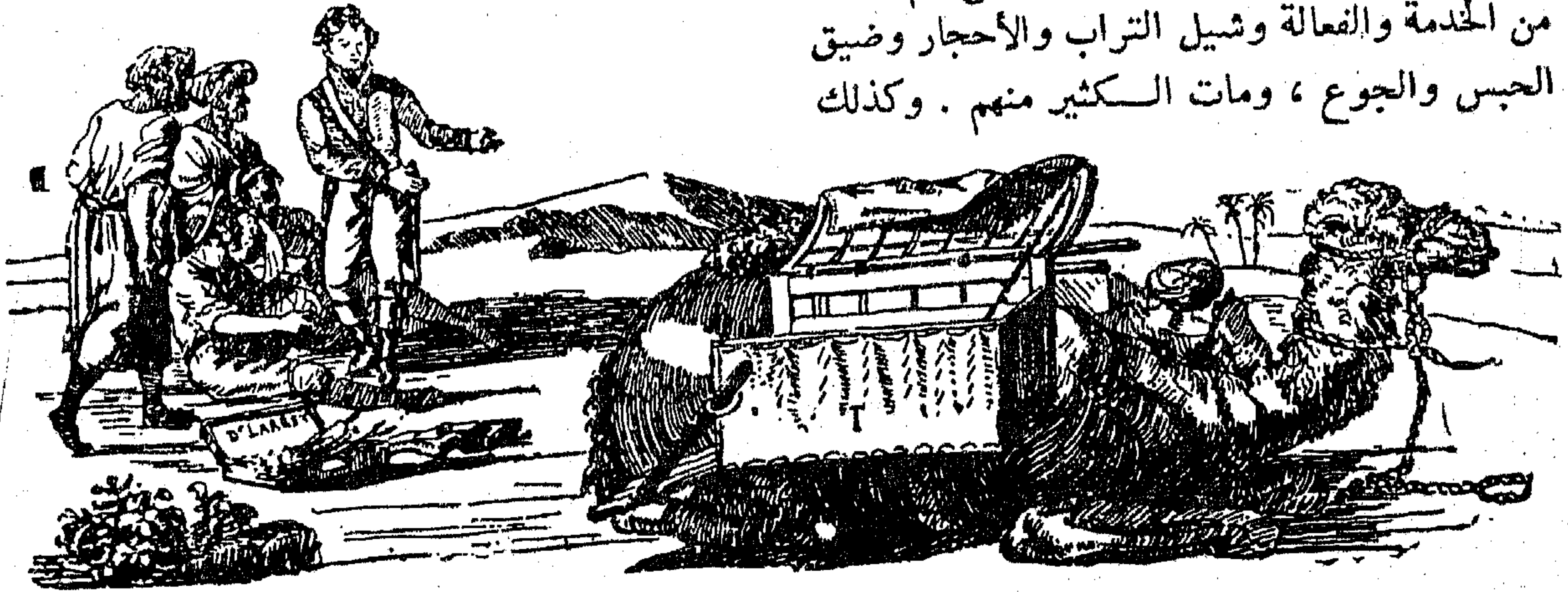
أفرجوا عن جملة من العربان والفلاحين . وفي ليلة الاثنين المذكور : سمع صوت مدفع بعد الغروب عند قلعة جامع الظاهر خارج الحسينية ، ثم سمع منها أذان العشاء والفجر . فلما أضاء النهار نظر الناس فاذا البيرق العثماني بأعلامها ، والمسلمون على أسوارها ، فعلموا بتسليمها ، وكان ذلك المدفع إشارة الى ذلك . ففرح الناس وتحققوا أمر المسألة . وأشيع الافراج عن الرهائن من المشايخ وغيرهم وباقي المحبوسين في الصباح . وأكثر الفرنسيون من النقل والبيع في أمتعتهم وخيولهم ونحاسهم وجواريهم وعبيدهم وقضاء أشغالهم . وفي ذلك اليوم : أنزلوا عدة مدافع من القلعة ، وكذلك من قلعة باب البرقية ، وأمتعة وفروش وبارود .

الثلاثاء ١٨ منه (٣٠ يونية ١٨٠١ م) :

عمل الديوان ، وحضر الوكيل وأعلن بوقوع الصلح والمسألة ، ووعد أن في الجلسة الآتية يأتي اليهم فرمان الصلح وما اشتمل عليه من الشروط ، ويسمعونه جهارا .

وفي ذلك اليوم : كثر اهتمام الفرنسيين بنقل الأمتعة من القلعة الكبيرة وباقي القلاع بقرة السعى .

وفيه : أفرجوا عن محمد جلبى أبى دفية



الفرنسيون يحملون أمتعتهم على الجمال

واسماعيل القلق ، ومحمد شيخ الحارة بباب اللوق
والبرديسي نسيب أبي دفية ، والشيخ خليل المنير
وآخرين تكملة ثانية أنقار ، ونزلوا الى بيوتهم .
وفيه : سافر عثمان بك البرديسي الى الصعيد
وعلى يده فرمانات للبلاد بالأمن والأمان ، وسوق
المراكب بالغلال والأقوات الى مصر ، ويلاقى ستة
آلاف من عسكر الانكليز حضروا من القلزم الى
القصور .

وفيه : شقق الفرنساوية شخصا منهم على شجرة
بركة الازبكية . قيل انه سرق !

وفيه : أرسل الفرنساوية الى الوزير وطلبوا منه
جمالا ينقلون عليها متاعهم . فأمر لهم بارسال مائتي
جمال ، وقيل أربعمائة ، مساعده لهم . وفيها من
جمال طاهر باشا وابراهيم بك .

الخميس ٢٠ منه (٢ يولية ١٨٠١ م) :

أخرجوا عن بقية المسجونين والشايخ وهم :
شيخ السادات والشيخ النرقاوى والشيخ الأمير
والشيخ محمد المهدي ، وحسن أغا المحتسب ،
ورصوان كاشف الشعراوى وغيرهم .. فنزلوا الى
بيت قائمقام وقابلوه وشكروه . فقال للشايخ :
« ان شئتم اذهبوا فسلموا على الوزير فاني كلسته
ووصيته عليكم » .

وفيه : حضر الوزير ومن معه من العساكر الى
ناحية شبرا ، وكذلك الانكليز ، وصحبهم قبطان
باشا ، الى الجهة الغربية والعساكر تجاههم . ونصبوا
الجسر فيما بينهم على البحر . وهو من مراكب
مرصوصة مثل جسر الجيزة ، بل يزيد عنه في
الاتقان ، بكونه من الراج في غاية الثخن ، وله
داربين من الجهتين أيضا ، وهو عمل الانكليز .

وفيه : ألصقوا أوراقا بالطرق مكتوبة بالعربي
والفرنساوي وفيها شرطان من شروط الصلح التي
تعلق بالعامة ، ونصها : « ثم انه أراد الله تعالى

بالصلح ما بين عسكر الفرنساوية وعساكر الانكليز
وعساكر العثمانية ، ولكن مع هذا الصلح .. أنفسكم
وأديانكم ومتاعكم ما أحد يقارشمكم . ورءوس
عساكر الثلاثة جيوش قد اشترطوا بهذا كما ترونه .
« الشرط الثاني عشر : كل واحد من أهالي مصر
المحروسة ، من كل ملة كانت ، الذي يريد أن
يسافر مع الفرنساوية يكون مطلق الارادة ، وبعد
سفره كامل ما يبقى عياله ومصلحه ما أحد يعارضهم .
« الشرط الثالث عشر : لا أحد من أهالي مصر
المحروسة ، من كل ملة كانت ، يكون قلقا من قبل
نفسه ، ولا من قبل متاعه ... جميع الذين كانوا بخدمة
الجمهور الفرنساوي بمدة اقامة الجمهور بمصر .
ولكن الواجب أن يطيعوا الشريعة . ثم يأهالي مصر
وأقاليمها ... جميع المثل ، أتم ناظرون لحد آخر
درجة الجمهور الفرنساوي ناظر لكم ولراحتكم ،
فيلزم أتم أيضا تسلكون في الطريق المستقيمة ،
وتفتكرون أن الله جل جلاله هو الذي يفعل كل
شيء » . وعليه امضاء « بليار » قائمقام .

الجمعة ٢١ منه (٣ يولية ١٨٠١ م) :

عملوا الديوان وحضر الشايخ والوكيل ، فقال
الوكيل : « هل بلغكم بقية الشروط الثلاثة عشر ؟ »
فقالوا : « لا » . فأبرز ورقة من كفه .. بالتسلم
الفرنساوي ، فشرع يقرأها والترجمان يفسرها ،
وهي تتضمن الأحد عشر شرطا الباقية ، فقال : « ان
الجيش الفرنساوي يلزم أن يخلوا القلاع ومصر ،
ويتوجهون على البر بمتاعهم الى رشيد ، وينزلون
في مراكب ويتوجهون الى بلادهم . وهذا الرحيل
ينبغي أن يسرع به ، وأقل ما يكون في خمسين
يوما ، وأن يساق الجيش من طريق مختص . وسر
عسكر الانكليز والمساعد يلزم أن يقوم لهم بجميع
ما يحتاجونه من نفقة ومؤنة وجمال ومراكب .
والجبل الذي يبدأ منه السعي يكون بالتراضي بين
الجمهور والانكليز والمساعد . وكامل الاستعانة

والأثقال تتوجه من البحر ، ومعهم جيش من
الفرساوى لأجل الحراسة . ولا بد من كون المؤنة
التي تترتب لهم كالمؤنة التي كانوا يعطونهاهم
لجيش الانكليز ورؤسائهم . وعلى رؤساء عساكر
الانكليز وحضرة العثملى القيام بنفقة الجميع .
والحكام المتقيدون بذلك ، يحضرون لهم المراكب
ليسفروهم الى فرانساً من جهة البحر المحيط ، وأن
يقدم كل من حضرة العثملى والانكليز أربع مراكب
للعليق والعلق للخييل التي يأخذونها في
المراكب ، وأن يسيروا معهم مراكب المحافظة عليهم
الى أن يصلوا الى فرانساً ، وأن الفرساوية
لا يدخلون مينة الامينة فرانساً . والأمناء والوكلاء
يقدمون لهم ما يحتاجون اليه ، نظرا لكفانة
عساكرهم . والمدبرون والأمناء والوكلاء
والمهندسون الفرساوية يستصحبون معهم
ما يحتاجونه من أوراقهم وكتبهم ، ولو التي شروها
من مصر . وكل من أهل الأقليم المصرى اذا أراد
التوجه معهم فهو مطلق السراح مع الأمن على متاعه
وعياله ، وكذلك من داخل الفرساوية من أى ملة
كانت فلا معارضة له ، الا أن يجرى على أحواله
السابقة . وجرحى الفرساوية يتخلفون بمصر ويعالجهم
الحكماء وينفق عليهم حضرة العثملى ، واذا عوفوا
توجهوا الى فرانساً بالشروط المتقدم ذكرها . وحكام
العثملى يتعهدون من بمصر منهم ، ولا بد من
حاكمين من طرف الجيشين يتوجهان بركبين الى
«طولو» ، فيرسلون خبرا الى فرانساً ليطلعوا حكامها
على الصلح وسائر الرسوم . وكل جدال وخصام
صدر بين شخصين من الفرساوية فلا بد أن يقام
شخصان حاكمان من الطائفتين ليتكلما في الصلح .
ولا يقع في ذلك نقض عهد الصلح . وعلى كل طائفة
معين من العثملى والفرساوى أن تسلم ما عندها
من الأسرى ، ولا بد من رهائن من كل طائفة واحد

كبير يكون عند الطائفة الأخرى حتى يتوصلوا
الى فرانساً » اهـ .

ثم قال الوكيل : « وقد علمنا بالشروط وما ندرى
ماذا يكون » . فقليل له : « هذه شروط عليها علامة
القبول ، وهذا الصلح رحمة للجميع . وسيكون
الصلح العام » . فقال الوكيل : « انى أرجو أن يكون
هذا الصلح الخصوصى مبدءا للصلح العمومى » .
وفيه : كثر خروج الناس ودخولهم من الأتباع
والباعة والمتكرين من نقب البرقية المعروف
بالغريب ، فصار الحرسجية من الفرساوية يأخذون
من الداخل والخارج دراهم ولا يمنعونهم . فلما
علم الناس بذلك كثر ازدحامهم . فلما أصبحوا ،
منعهم . فدخلوا وخرجوا من باب القرافة ، فلم
يمنعهم الواقفون به من الفرنسيين ، بل كانوا
يفتشون البعض ، ويمنعون البعض . وكل ذلك
حذرا من أفعال الطموش وسوء أخلاقهم وتولد الشر
بسيبهم . وقد دخل بعض أكابر الانجليز وصحبهم
فرساوية يفرجونهم على البلدة والأسواق ، وكذلك
دخل بعض أكابر العثمانية ، فزاروا قبر الامام
الشافعى والمشهد الحسينى والشيخ عبد الوهاب
الشعراوى ، والفرساوية ينتظرونهم بالباب .

الاثنين ٢٤ منه (٦ يولية ١٨٠١ م) :

نادوا في الأسواق برمى مدافع في صبحه ، وذلك
لنقل رمة «كلهر» فلا يرتاع الناس من ذلك . فلما
كان في صبح ذلك اليوم أطلقوا مدافع كثيرة ساعة
لبش القبر بالقرب من قصر العينى ، وأخرجوا
الصندوق الرصاص الموضوع فيه رمة ليأخذوه
معهم الى بلادهم .

وفيه : أرسلوا أوراقا ورسلا للاجتماع بالديوان
— وهو آخر الدواوين — فاجتمع المشايخ والتجار
وبعض الوجاقلية و «استوف» الخازندار والوكيل
والترجمان . فلما استقر بهم الجلوس أخرج الوكيل
كتابا مختوما وأخبر أن ذلك الكتاب من سارى

عسكر « مينو » بعث به الى مشايخ الديوان ، ثم ناوله لرئيس الديوان ففضه وناوله للترجمان فقرأه والحاضرون يسمعون وصورتها — بعد البسلة والجلالة والصدر — « نحبركم أنا علمنا بكثرة الانبساط ، أنكم تهتدون بكثرة الحكمة والانصاف في الموضع الذي أتمم مستمرون فيه ، وان لم تقدروا لتنظيم أهالي البلد بالهدى والطاعة الموجهة منه لحكومة فرنساوى فالله تعالى — بسعادة رسوله الكريم عليه السلام الدائم — ينعم عليكم في الدارين عوض خيراتكم .

« وأخبرنا المقدم الجسور بونا برته المشهور عن كل ما فعلتم حاكما ونافعنا بوصايا لأجلكم سارة ، رضى واستراح لتلك الفعال الجيدة ، وعرفنى أيضا أنه عن قريب يرسل لكم بذاته جواب جميع مكاتيبكم اليه . فدمتم الى الآن بحير الهدى ، وبقوته تعالى نرى فضائلكم عن قريب ، ونواجه سكان محروسة مصر كما هو مأمولنا لكن سرهم أن جمهور المنصور غلب في أقاليم الروم جميع أعدائه . وبعمون الله هادى كل شئ ، سيفعل كذلك العدا في مصر ، واعتمدوا بأكثر الاعتماد على الستويان « جيرار » هذا الذى وضعناه قربكم ، لأنه هو رجل مشهور بالعدل والاستقامة .

« ونوجه الى همكم النصيحة الى زوجتنا الكريمة السيدة زبيدة ، وولدنا العزيز سليمان مراد ، أن كليهما حالا كائنان في حصننا في مصر ، وتأسفنا جدا برحلة المرحوم مراد بيك في انتقاله الى البقاء . ومعلوم فضائلكم أننا أرضينا بانعام علوفة توجه على عمدة العفاف حضرة الست نفيسة خاتون ، لما جرت الحكومة الفرنسية الى أصدقائه . وقولوا للقوم أن مامنتى ومرامى وابرامى الا تقيدى يمينه وخيره . واعتمدوا أيضا الى كل ما سيقول لكم الستويان « استيو » المأمور بتدبير الأمور وكمال العوائد .

والله تعالى ينعم عليكم وعلى عيالكم في الأيام بالبشرى والاقبال .

حرر في أحد عشر « سيدور » ، سنة تسعه من قيام دولة جمهور فرنساوى ، الموافق لثامن عشر صفر ، وتحت الوحدة الغير المنقسمة .. مضى « عبد الله جاك مينو » بخطه وختمه . ونقل بالفاظه وحروفه . وهو من تراكيب « لوماكا » الترجمان ، وكأنه كتب قبل وصول خبر الصلح الى الاسكندرية .

ثم أخذ الوكيل يقول : « ان الجنرال « مينو » انسر بسلوككم حتى الآن ، وراحة البلد حظ الفقراء ، وأن الحكام القادمين لابد وأن يسلكوا معكم هذا الموضوع ، ولابد من وصول مكاتيب بونا برته بعد أربعة أيام أو خمسة . وأنه لانسى احبابه كما لاينسى أعداءه . ولو لم يكن له من الحسن الا جعلكم وسائط لاغاثة الناس ، لكان كافيا . وانكم تعلمون أنه كان نظر الى أحوال المارستان ومصالح المرضى . وكان قصده أن يبنى جامعا ، ولكن عاقبه توجهه الى الشام . وذكر كثيرا من أمثال هذه الخرافات والتمويهات ، ثم أخرج ورقة بالفرنساوى وقرأها بنفسه حتى فرغ منها . ثم قرأ ترجمتها بالعربى الترجمان « رفايل » . ومضمونها : حصول الصلح ، وتمويهات ، وهلسيات ليس في ذكرها فائدة !

ولما انتهى من قراءتها أبرز أيضا « استوف » الخازن دار ورقة وقرأها بالفرنساوى . ثم قرأ ترجمتها بالعربى الترجمان ، وهى فى معنى الأولى وصورتها : « خطاب محبة من حضرة « استوف » مدبر الحدود العام فى مجلس الديوان العالى ، فى سبعة عشر « سيدور » سنة تسع من المشيخة الفرنسية : « يامشاىخ ، وياعلماء وغيرهم ... أعلمكم أن ما على أنى أكلكم فى أسباب خروجنا من الديار المصرية ، بل وظيفتى تدبير أمور السياسة فقط ،

ومجيئى عندكم لأجل أن أعرفكم قدر ما هو حاصل من الصعوبة . كل واحد منكم رأى المحبة والأخوة التى كانت موجودة ما بين الفرنسيين وما بين أهل الديار المصرية ! قد كان الجيش والأهل المذكورون مثل الرعية الواحدة ، واسم حضرة بونا برته القنصل الأول من جمهور فرنساوية فى عز الكفالة عندكم وعندنا !

« كم مرة يامشاىخ وياعلماء ، فقد تمت صحبتنا لأجل سيرة هذا الشجاع الأعظم المعان بقوة الله ، الذى عقله ما له مثل ! كان يستحق أن يكون حاكما عليكم دائما .. عرفتمونى عن المحبة والشفقة الذى مضت منه لكم . ومن وقت ما التزم ، بسبب التعب الذى حصل له فى بلده ، أن يتوجه اليه ماضع منكم العشم أن يترتب فى الديار المصرية التدبير العدل والمناقفة الذى كان وعدكم به وقت ما كان عندكم . وصحيح يامشاىخ ، وعلماء ، أن حكم الفرنسيين كان يتم ما عاهدكم به الذى هو كبيرهم بونا برته دائما رأى لكم فى الخير والمحبة الى رعاية الديار المصرية لما لها نظير . كم مرة كرر الى حضرة سر عسكر « مينو » أنه ينظر اليكم فى كامل الأمور بالخير ، وكام نوبة حضرة « مينو » المذكور أثبت أن الأحكام والجيوش لما أمنوه أعطوه الأمان فى أحسن محل . « وفى حكم سر عسكر « مينو » صار أن كثرة الظلم والجور ، الذى كان مستلقينه الرعية . قد أبطله ، والعدل الذى كان ممنوعا عنكم فى الأحكام السابقة .. قد وصل اليكم بواسطة . وأيضا فى مبدئية حكمه رأيتم أن تقضى تحصيل الأموال بالشفقة الى الرعايا . ولما كان التزم بسبب الحرب أنه يرتب تدبير فى تحصيل الأموال ، وهذا التدبير يكون فى حد العدل والخير لأهل الديار المصرية . ونحن كنا صحبته فى تدبير هذا الشغل العمومى . وأنتم تعرفون أن خيز أو خراب الرعايا من تدبير مثل هذا . وكذلك حضرة سر عسكر « مينو »

— قبل ما يتوجه الى السفر بمدة — كان أمر مسح الديار المصرية ، وكان وكل لذلك مدبرين .. ونحن من جملتهم . والمدبرون المذكورون كانوا بدأوا فى تمام هذا الأمر الذى هو كنز لكامل الناس . لكن كل ذلك ما كان يكفى له ، وكان صعبان عليه من أمور الفلت الذى يقع من العربان الذين حوالىكم ، وأيضا من الخوف الذى عندكم بسببهم . وكان فى عقله أن يزيلهم من على وجه الأرض .. لأجل راحة الفلاحين ، ولأجل اتمام الخير والصلاح .

« وكذلك مراده . يامشاىخ وياعلماء ، أن يسفر فى هذه السنة الحج الشريف ، ويفتح زيارة طنطا لأجل حفظ مقام السيد أحمد البدوى ، ويظهر جميع ما تشهرونه . وكامل ما تمشون فيه من اللازم أنكم تعرفون جميع ما صدر لكم من الخيرات بواسطة حكم الفرنسيين هذا . ورعاية الديار المصرية جربه بعض منهم ، وفى عشمى أنهم لم ينسوه أبدا !

« صحيح أن حكم الفرنسيين حقق الكل ، والذى يعجب الأكثر الى الرعايا . بسبب ذلك ، ذات الفرنسيين قتلوا فيه ، لأجل منع الظلم والتعب الذى كانوا فيه . والقرانات فى بلاد الغرب خافوا أن رعاياهم يقبلون الحكم المذكور . وبسبب ذلك اربطوا مع بعضهم لأجل ما ينعموه منا . لكن كل جهاتهم صارت بطلاة . وقد حاربوا حربا شديدا مدة عشر سنين متوالية . وفى جميع المطارح وقعت لهم الهزيمة ، وحكمنا قد بقى محله وكذلك هو الباقي دائما أبدا ! فلا يحتاج أننا نعرفكم فى الذى تعرفوه . ويكفينا الآن أننا نحقق لكم — من عند حضرة القنصل الأول فى الجمهور الفرنسيين بونا برته ، ومن عند حضرة سر عسكر « مينو » — المحبة والشفقة الصادقة التى واقعة من الفرنسيين الى الرعايا المصرية .



أكابر القبط

المعروف بأبي مرق ، وعلى المخروقي والسيد عمر
مكرم ، وباتوا تلك الليلة بالعرض ، ثم عادوا الى
بيوتهم .

الثلاثاء ٢٥ منه (٧ يولييه ١٨٠١ م) :

عدوا الى البر الغربى ، وسلموا على قبطان
باشا ، ورجعوا الى منازلهم .

وفيه : أرسل ابراهيم بيك أمانا لأكابر القبط ،
فخرجوا أيضا وسلموا ورجعوا الى دورهم .

وأما يعقوب فإنه خرج بمتاعه وعازقه وعدى الى
الروضة ، وكذلك جمع اليه عسكر القبط ، وهرب
الكثير منهم واختفى . واجتمعت نساؤهم وأهلهم
ودهبوا الى قائمقام ، وبكوا وولولوا وترجوه في
أبقائهم عند عيالهم وأولادهم ... قالهم فقراء
وأصحاب صنائع ما بين نجار وبناء وصائغ وغير
ذلك . فوعدهم أنه يرسل الى يعقوب أنه لا يقهر
منهم من لا يريد الذهاب والسفر معه .

وفيه : ذهب بليار قائمقام وصحبته ثلاثة أنفا
من عظماء الفرنسيين الى العرضى وقابلوا الوزير ،
فخلع عليهم وكساهم فراوى سمور ، ورجعوا .

« وهذه المحبة والعشم لم ينقطعاً أبداً ، بسبب
سفر جانب من الجيش .. وهلبت أن يصادف يوم
أنا نرجع الى عندكم لأجل تمام الخير الذى يصدر
من حكم الفرنساوى ، والذى ما أمكننا تسيه !
فلا تتوهموا يامشايع ، وياعلماء ... ان فراقنا
لم يقع الا عن مدة . وذلك محقق عندى ،
ولا بد أن دولتنا يربطون ثانيا في مدة قريبة المحبة
القديمة التى كانت بينهم وبينكم !

« وهل بت أن دولة العثمانية لما تسير حتى
الجرف الخالى الذى عمل لهم الانكليز .. يرون أن
الفرنساوية في طلب الديار المصرية ليس لهم الا
ربط زيادة محبة صحتهم لأجل كسر نفس وطيش
الانكليز الذين مرادهم نهب جميع البحور
ومتاجر الدنيا . »

وهو من تعريب أبى ديف ، وانشاء « أستوف »
بالفرنساوى .

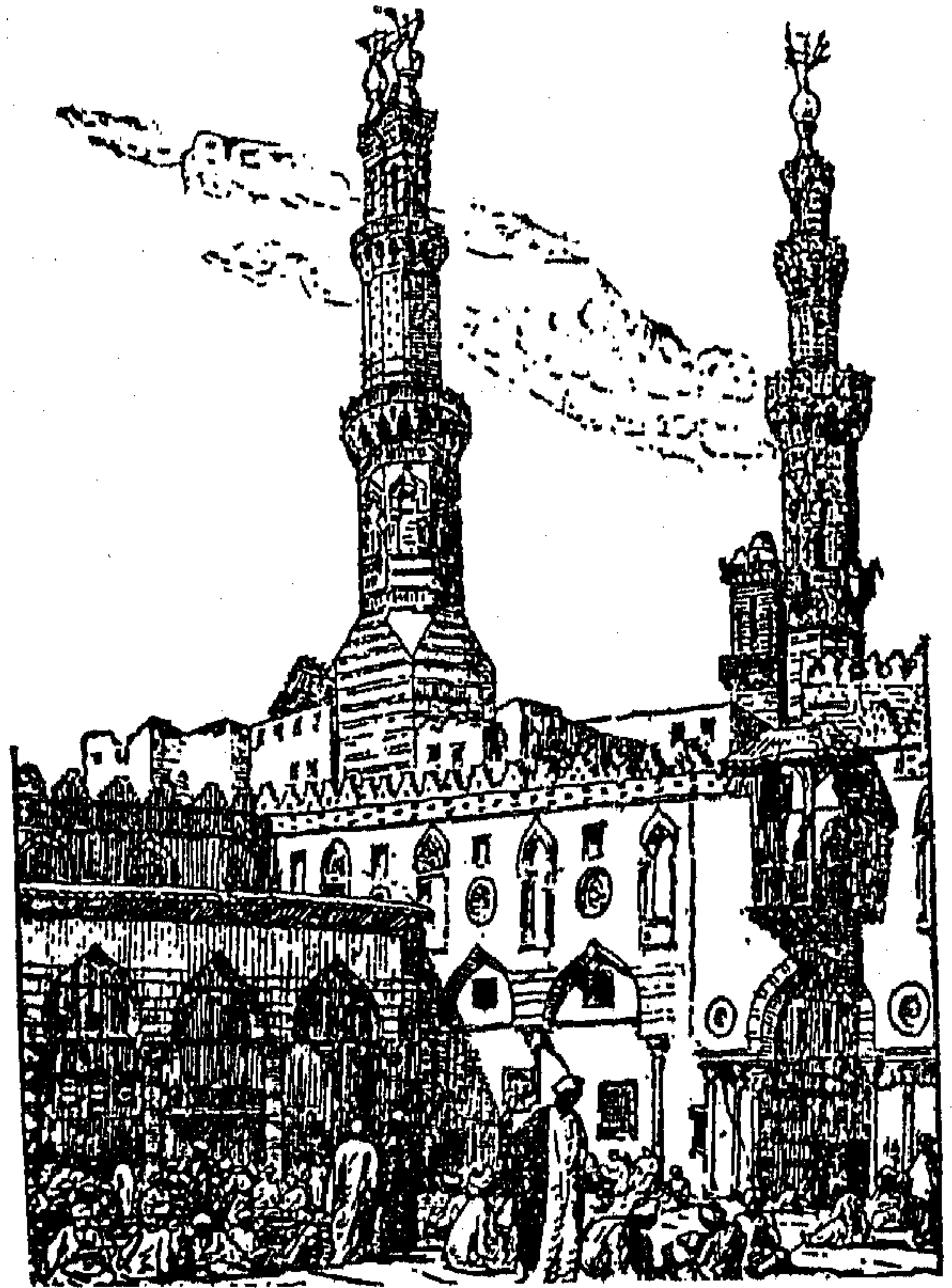
ولما فرغوا من قراءته قيل له : « ان الأمر لله
والملك له . وهو الذى يمكن منه من شاء . »

وانفض الديوان ، وركب المشايخ ، وخرجوا
للسلام على الوزير يوسف باشا — الذى يقال له
الصدر الأعظم — والسلام على القادمين معه أيضا
من أعيان دولتهم والأمراء المصرية . وكانوا عزموا
على الذهاب فى الصباح ، فعوقوا لبعد الديوان .

وأما الشيخ السادات فإنه خرج للسلام من
أول النهار ، وكتب لهم قائمقام أوراقا للحرسجية ،
لأنهم مسترون على منع الناس من الدخول
والخروج ، وأبواب البلد مغلقة . وكان خروجهم
من طريق بولاق . فلما وصلوا الى العرضى ،
سلموا على ابراهيم بيك ، وتوجه معهم الى
الوزير . فلما وصلوا الى الصيوان أمروهم برفع
الطبلسان التى على أكتافهم ، وتقدموا للسلام
عليه فلم يقم لقدمهم .. فجلسوا ساعة لطيفة ،
وخرجوا من عنده . وسلموا أيضا على محمد باشا

وفي يوم الأربعاء خرج المسافرون مع الفرنساوية الى الروضة والجيزة بمتاعهم وحريمهم ، وهم جماعة كثيرة من القبط وتجار الافرنج والمترجمين وبعض مسلمين ممن تداخل معهم ، وخاف على نفسه بالتخلف ، وكثير من نصارى الشوام والأروام مثل بنى ، وبرطلمين ، ويوسف الحموى . وعبد العال الأغا أيضا طلق زوجته ، وباع متاعه وفراشه وما ثقل عليه حمله من طقم وسلاح وغيره . فكان اذا باع أشياء يرسل خلف المشتري ويلزمه باحضار ثمنه في الحال قهرا ، ولم يصحب معه الا ماخف حمله وغلا ثمنه .

وفيه : حضر وكيل الديوان الى الديوان ، وأحضر جماعة من التجار وباع لهم فراش المجلس بثمان قدره ستة وثلاثون ألف فضة ... على ذمة السيد أحمد الزرو .



داخل صحن الأزهر

وفي ذلك اليوم أيضا : فتحوا باب الجامع الأزهر ، وشرعوا في كنسه وتنظيفه . وفي ذلك اليوم وما بعده : دخل بعض الانكليز ، ومروا بأسواق المدينة يتفرجون ، وصحبهم اثنان أو واحد من الفرنسيين يعرفونهم الطرق . وأشيع في ذلك اليوم ارتحال الفرنساوية ، ونزولهم من القلاع ، وتسليمهم الحصون من الغد وقت الزوال . فلما أصبح يوم الخميس ومضى وقت الزوال ، لم يحصل ذلك ... فاختلفت الروايات : فمن الناس من يقول : « ينزلون يوم الجمعة » . ومنهم من يقول : « انهم أخذوا مهلة ليوم الاثنين » . وبات الناس يسمعون لفظ العساكر العثمانية وكلامهم ووطء نعالهم . فنظروا فاذا الفرنساوية خرجوا بأجمعهم ليلا ، وأخلوا القلعة الكبيرة وباقي القلاع والحصون والمتاريس . وذهبوا الى الجيزة والروضة وقصر العيني ، ولم يبق منهم شبح يلوح بالمدينة وبولاق ومصر العتيقة والأزبكية . ففرح الناس ، كعادتهم ، بالقادمين ، وظنوا فيهم الخير ، وصاروا يتلقونهم ويسلمون عليهم ويباركون لقدومهم ، والنساء يلقلعن بالسنتهن من الطيقان وفي الأسواق . وقام للناس جلبة وصياح ، وتجمع الصغار والأطفال كعادتهم ، ورفعوا أصواتهم بقولهم : « نصر الله السلطان » .. ونحو ذلك . وهؤلاء الداخلون دخلوا من ثقب الغريب المنقوب في السور ، وتسلقوا أيضا من ناحية العطوف والقرافة . وأما باب النصر والعدوى فهما على حالهما مغلقان ، لم يأذنوا بفتحهما خوفا من تراحم العسكر ودخولهم المدينة دفعة واحدة ، فيقع فيهم الفشل والضرر بالناس ، وباب الفتوح مسدود بالبناء .

فلما تضحى النهار حضر « قبي قول » وفتح باب النصر والعدوى ، وأجلس بهما جماعة من الينكجرية . ودخل الكثير من العساكر ، مشاة وركبانا ، أجناسا مختلفة . ودخلت بلوكات الينكجرية وطاقوا بالأسواق ، ووضعوا نشاناتهم

ورنكهم على القهاوى والحواليت والحمامات .
فامتعض أهل الأسواق من ذلك ، وكثر الخبز
واللحم والسمن والشيرج بالأسواق ، وتواجدت



ساحل بولاق

مدافع كثيرة من العرضى والقلعة ، ودخل
قلقات النكجارية وجلسوا برؤوس العطف
والحارات ، وكل طائفة عندها يريق ، ونادوا
بالأمان والبيع والشراء . وطلب أولئك القلقات
من أهل الأخطاط الماكل والمشارب والقهورات
والزموهم بذلك .

وانحاز الفرنساوية الى جهة قصر العيني
والروضة والجيزة ، الى حد قلعة الناصرية
وفهم الخليج ، وعليها بنديراتهم . ووقف حرسهم
عند حدهم يمنعون من بأوى الى جهتهم
من العثمانية ، فلا يمر العثماني الا الى الجهة
الموصلة الى بولاق . وأما اذا كان من أهل البلد
فيمر حيث أراد .

وفي مدة اقامة المشرك اليه بساحل
الحلى ببولاق ، خرب عساكره ما قرب منهم من
الأبنية والسواقي والتريز الذي سمنه الفرنساوية
— من حد باب الحديد الى البحر — وأخذوا
ما بذلك من الأفلاق الكثيرة المتهدمة والأخشاب
المنجرة المرصوفة فوق التريز وتحت وفي الخندق ،
فخربوا ذلك جميعه في هذه المدة القليلة . . . وذلك
لأجل وجود النار والمطابخ .

البضائع وانطلت الأسعار ، وكثرت الفاكهة مثل :
العنب والنوخ والبطيخ . وتعاملى بيع غالبها
الأتراك والأرنؤود ، فكانوا يتلقون من يجلبها
من الفلاحين بالبحر والبر ويشترونها منهم بالأسعار
الرخيصة ويبيعونها على أهل المدينة وبولاق بأعلى
الأثمان .

ووصلت مراكب من جهة بحرى ، وفيها البضائع
الرومية واليميش من البنديق واللوز والجوز
والزبيب والتين والزيتون الرومى . فلما كان قبل
صلاة الجمعة ، واذا بجاوشية وعساكر وأغوات ،
وتلا ذلك حضرة يوسف باشا الصدر . فشق من
وسط المدينة وتوجه الى المسجد الحسينى ،
فصلى فيه الجمعة ، وزار المشهد الحسينى ، ودعاه
حضرة الشيخ السادات الى داره المجاورة
للمشهد . فأجابه ، فدخل معه ، وجلس هنيهة .
ثم ذهب الى الجامع الأزهر فتفرج عليه ، وطاف
بمقصورته وأروقته ، وجلس ساعة لطيفة ، وأنعم
على الكناسين والخدمة بدراهم ، وكذلك خدمة
المسجد الحسينى . ثم ركب راجسا الى وطاقه
بناحية الحلى بشاطيء النيل .

وعملوا في ذلك الوقت شسكا ، وضربوا

السبت غايته (١١ يوليه ١٨٠١ م) :

دخل « قبي قول » — وهو المسمى عند المصريين
كتخدا الينكجيرية — وشق المدينة وأمر بمحو
نشانات الانكشارية من الحوانيت ، ولم يترك الا
القهوى .



القوات الفرنسية تستعد للرحيل

وأخذ قياس المقام ليصنع له سترا جديدا ، وفرق
عليهم وعلى الفقراء نحو ألفى محبوب ذهب
اسلامبولى . وامتدحه صاحبنا العلامة ، أحد أدباء
مصر وفضلائها فى العلوم الأدبية ، الشيخ على
الشرنقاشى بقصيدة مطلعها :

بدر المسرة بالمعالى أمنا
والوقت من بعد المخاوف أمنا
وهى طويلة ، بقول فى بيت التاريخ منها :

ولمصرنا نادى السرور مؤرخا :
صدر الكمال حسينه شرف الهنا
٢٩٤ ١٢٢ ٨٧ ١٣٣ ٥٨٠
= ١٢١٦ هجرية

وقدمها اليه وهو جالس للزيارة ، فأعطاه جائزة
سنية . ثم ركب وعاد الى مخيمه بالجيزة .
وفى ذلك اليوم وقعت حادثة : وهو أن شخصا
من العسكر بالجمالية شرب من العرقسوسى شربة
عرقسوس ولم يدفع له ثمنها . فكلّم العرقسوسى

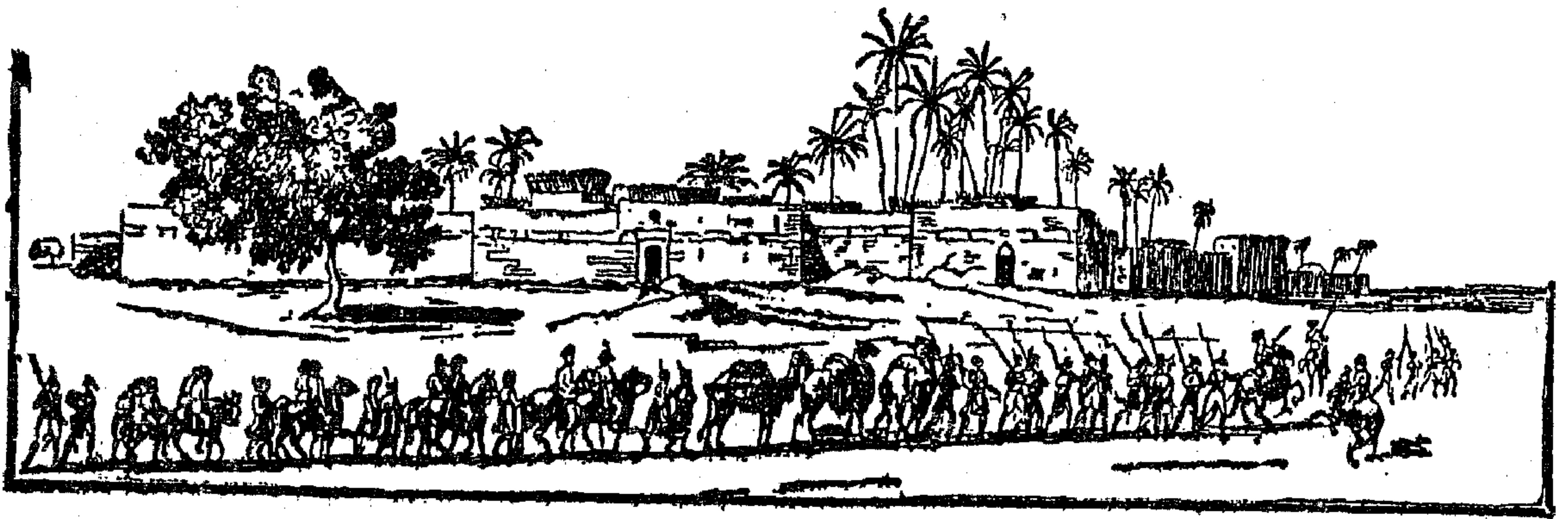
ربيع الأول

الأحد غرته (١٢ يولية ١٨٠١ م) :

فيه ركب أغات الينكجيرية الكبير العثملى ،
وشق المدينة ، وخلفه سليم أغا المصرى . ودخل
الكثير من العساكر والأجناد المصرية بمتاعهم
وعازقهم وأحمالهم ، وطلبوا البيوت وسكنوها .
ودخل محمد باشا المعروف بأبى مرق الغزى — وهو
المرشح لولاية مصر — وسكن بيت الهياتم
بالقرب من مشهد الأستاذ الحنفى ، وأرسل الى
الشايف وكبار الحارات وطلب منهم التعريف عن
البيوت الخالية بالأخطاط .

الثلاثاء ٣ منه (١٤ يوليه ١٨٠١ م) :

حضر حسين باشا القبطان من الجيزة ، ودخل
المدينة ، وتوجه الى المشهد الحسينى فزاره وذبح
به خمس جواميس وسبعة كباش ، واقتسمتها خدمة
الضريح ، وحلق تاج المقام بأربعة شيلان كشميرى ،



الفرنساوية يرحلون

المصرية : عثمان بيك الأشقر ، ومراد بيك الصغير ،
وأحمد بيك الكلارجي ، وأحمد بيك حسن .
فكانت مدة فرنساوية وتحكمهم بالديار المصرية :
ثلاث سنوات وواحد وعشرين يوما (١) . فانهم
ملكوا بر انبابة والجيزة ، وكسروا الأمراء المصرية
يوم السبت تاسع شهر صفر سنة ثلاث عشرة ومائتين
وألف . وكان انتقالهم ونزولهم من القلاع ، وخلو
المدينة منهم ، وانخلاصهم عن التصرف والتحكم ،
ليلة الجمعة الحادي والعشرين من شهر صفر سنة
ست عشرة ومائتين وألف .. فسبحان من لا يزول
ملكه ولا تتحول سلطانه .

وفي ذلك اليوم : حضر السيد عمر أفندي تقبب
الأشراف وصحبته السيد أحمد المحروقي شاه نندر
التجار بمصر ، وعليهما خلعتا سمور ، وتوجها الى
دورهما .

وفيه : نهوا على موكب حضرة الوزير يوسف
باشا من الغد .

الخميس ٥ منه (١٦ يولية ١٨٠١ م) :

اجتمع الناس من جميع الطوائف ومسائر
الأجناس ، وهرع الناس للفرجة ، وخرجت البنت
من خدرها ، واكثروا الدور المظلة على الشارع
بأعلى الأثمان . وجلس الناس على السقائف
والحوالت صفوفًا . والجر الموكب من أول النهار

(١) لعل العواب : واحد عشر يوما .

القلق الانكشاري ، فأحضره وأمره بدفع ثمنها ،
ونهره وأراد ضربه . فاستل ذلك العسكري الطنبجة
وضرب ذلك الحاكم فقتله ، وهرب الى حارة
الحوانية ودخل الى دار وامتنع فيها ، وصار يضرب
الرصاص على كل من قصده فقتل خمسة أنفار .
ومر شخصان من الأرثوود بتلك الخطة ، فقتلها
الانكشارية لكون الغريم أرثووديا من جنسها .
فلما أعياهم أمره حرقوا عليه الدار ، فخرج هاربا
من النار ، فقبضوا عليه وقتلوه . ومات تسعة
أشخاص في شربة عرقسوس !

ووقع في ذلك اليوم أيضا : أن شخصين من
القليونية دخلا الى دار رجل نصراني ، فأخذوا
من بيته بقحتين من الثياب ، وخرجا فوجدا شخصين
مارين من الفلاحين ، فسخرهما في حمل البقحتين .
فخرج النصراني وشكا الى القلق . فأمر بالقبض
على الشخصين العسكريين ، فتخلصا وهربا ، بعد
أن انجرح أحدهما ، وأخذوا الشخصين المسخرين ،
فقطعوا رؤوسهما ظلما وعدوانا .. وذلك من مبادئ
قبائحهم .

الاربعاء ٤ منه (١٥ يولية ١٨٠١ م) :

ارتحل فرنساوية ، وأخلوا قصر العينى
والروضة والجيزة ، وانحدروا الى بحرى الوراق .
وارتحل معهم قبطان باشا ومعظم الانكليز ولحو
الخمسة آلاف من عسكر الأرثوود ، ومن الأمراء



موكب الباشا عند دخوله القاهرة

الكافرين الحشرات ، ودقت البشائر ، وقرت
النواظر . وأمروا بوقود المنارات سبع ليال
متواليات ... فله الحمد والمنة على هذه النعمة ،
ونرجو من فضله أن يصلح فساد القلوب ، ويوفق
أولى الأمر للخير والعدل المطلوب ، ويلهمهم سلوك
سواء السبيل القويم ، ويهديهم إلى الصراط
المستقيم ... صراط الذين أنعمت عليهم ، غير
المغضوب عليهم ، ولا الضالين ... آمين .

ومن قدم بصحبة ركاب المشار إليه من أكابر
دولتهم : إبراهيم باشا والى حلب ، وإبراهيم باشا
شيخ أوغلي ، ومحمد باشا المعروف بأبى مرق ، و خليل
افندى الرجائى الدفتردار ، ومحمود افندى رئيس
الكتاب ، وشريف أغا نزلة أمين ، ومحمد أغا جيجي .
باشا الشهير بطوسون . ووقع الاختيار بأن يكون
سكن المشار إليه بيت رشوان بيك بحارة عابدين
تجاه بيت عبد الرحمن كتحدا القازدغلى .

الجمعة ٦ منه (١٧ يولية ١٨٠١ م) :

نودى بإبطال كلف القلقات ، وإبطال شرك
العسكر لأرباب الحرف ... الا من شارك برضاه
وسماحة نفسه . فلم يمتثلوا لذلك ، واستمر أكثرهم
على الطلب من الناس .

إلى قريب الظهر ، ودخل من باب النصر ، وشق من
وسط المدينة ، وأمامه العساكر المختلفة من الأرثوود
وأرط الينكجيرية ، والعساكر الشامية ، والأمراء
المصرية والمغاربة والقلبيونجية ، وطاهر باشا - باشا
الأرثوود - وإبراهيم باشا والى حلب ، ومحمد باشا
والى مصر ، والكتبة ورئيس الكتاب ، وكتخدا
الدولة ، والأغوات الكبار بالطبول والنقرزانات ،
وقاضى العسكر ونواب القضاء ، والعلماء المصرية
ومشايخ التكايا ، والدرأويش . وأقبل المشار
إليه وأمامه الملازمون بالبراقع والجاويشية والسعاة
والجوخدارية ، وعليه كرك صوف سنجابى مطرز
مخيش ، وعلى رأسه شلنج بفصوص الماس ،
وخلفه اثنان - عن يمينه وشماله - ينشرون دراهم
الفضة البيضاء - ضربخانة اسلامبول - على
المتفرجين من النساء والرجال ، وخلفه أيضا العدة
الوافرة من أكابر أتباعه ، وبعدهم الكثير من عسكر
الأرثوود وموكب الخازندار ، وخلفه النوبة التركية
المختصة به ، ثم المدافع وعربات الجيخانات . وعملوا
وقت الموكب شنكا ضربوا فيه مدافع كثيرة . فكان
ذلك اليوم يوما مشهودا ، وموسما وبهجة وعيدا ...
عمت المسلمين فيه المسرات ، ونزلت في قلوب

الاحد ٨ منه (١٩ يولية ١٨٠١ م) :

نودى بأن لا أحد يتعرض بالأذية لنصراني ولا يهودى ، سواء كان قبطيا أو روميا أو شاميا ، فانهم من رعايا السلطان .. والماضى لا يعاد .

والعجب أن بعض نصارى الأروام الذين كانوا بعسكر الفرنسيين تزيوا بزي العثمانية ، وتسلحوا بالأسلحة واليطلقانات ودخلوا فى ضمنهم ، وشمخوا بأنافهم ، وتعرضوا بالأذية للمسلمين فى الطرقات ... بالضرب ، والسب باللغة التركية . ويقولون فى ضمن سبهم للمسلم : « فرنسيس كافر » ! ولا يميزهم الا الفطن الحاذق ، أو يكون له بهم معرفة سابقة .

وفيه : أرسلوا هجانا الى الحجاز ومعه فرمان بخبر الفتح والنصر ، وارتحال فرنساوية من أرض مصر ، ودخول العثمانية . ومكاتبات من التجار لشركائهم بارسال المتاجر الى مصر .

وفيه : أرسلوا فرمانات أيضا الى الأقاليم المصرية والقرى بعدم دفع المال الى الملتزمين ، ولا يدفعون شيئا الا بفرمان من الوزير .

الاثنين ٩ منه (٢٠ يولية ١٨٠١ م) :

قتلوا شخصا بالريلة يسمى حجاجا ، كان متولى الأحكام ببولاق أيام الفرنسيين ، وجار ، وعسف وقتل معه آخر يقال انه أخوه .

وفيه أيضا : قتلوا أشخاصا بالأزبكية وجهات مصر .

وفيه : ركب الوزير بثياب التخفيف ، وشق المدينة ، وتأمل فى الأسواق ، وأمر بمنع العسكر من الجلوس على حوائيت الباعة وأرباب الصنائع ، ومشاركتهم فى أرزاقهم . ثم توجه الى المشهد الحسينى فزاره ، ثم عبر الى دار السيد أحمد المحروقى وشرفه بدخوله اليه فجلس ساعة ثم ركب ، وأعطى أتناعه عشرين دينارا ، وذكر له أنه انما قصد بحضوره اليه ، تشريفه وتشريف أقرانه ، وتكون له

منقبة ، وذلك على ممر الأزمان . وأما العسكر فلم يثقلوا ذلك الأمر الا أياما قليلة . ووقع بسبب ذلك شكاوى ومشاكلات ومرافعات عند العظماء .

الثلاثاء ١٠ منه (٢١ يولية ١٨٠١ م) :

وصل قاصد من دار السلطنة ، وعلى يده شال شريف من حضرة الهنكار السلطان سليم خان ... خطابا لحضرة الوزير ، ومعه خنجر مرصع بفصوص الماس . وهو جواب عن رسالته بدخوله بلبس . وفيه : نودى بتزيين الأسواق من القد تعظيما ليوم المولد النبوى الشريف .

الاربعاء ١١ منه (٢٢ يولية ١٨٠١ م) :

كررت المنادة والأمر بالكس والرش ، فحصل الاعتناء ، وبذل الناس جهدهم ، وزينوا حوائيتهم بالشقق الحرير وانزردخان والتفاصيل الهندية - مع تخوفهم من العسكر - وركب انصار اليه عصر ذلك اليوم وشق المدينة ، وشاهد الشوارع . وعند المساء أوقدوا المصابيح واشموع ومنازل المساجد ، وحصل الجمع بكبة الكلشنى على العادة . وتردد الناس ليلا للفرجة ، وعملوا مغانى ومزامير فى عدة جهات ، وقراءة قرآن . وضجت الصفار فى الأسواق ، وعم ذلك سائر أخطاط المدينة العامرة ومصر وبولاق . وكان من المعتاد القديم أن لا يعتنى بذلك الا بجهة الازبكية - حيث سكن الشيخ البكرى ، لأن عمل المولد من وظائفه - وبولاق فقط ...

الخميس ١٢ منه (٢٣ يوليه ١٨٠١ م) :

سافر سليمان أغا وكيل دار السعادة ، وصحبه عدة هجانة ، الى ناحية الشام لاحتضار المحل الشريف ، وحريبات الأمراء الى مصر . وفيه : افتتحوا ديوان مزاد الأعشار والمكوس ، وذلك بيت الدفتر دار .. والله الأمر من قبل ومن بعد !

وفي ذلك اليوم : احترق جامع قايتباي الكائن بالروضة ، المعروف بجامع السيوطي والسبب في ذلك أن الفرنسيين كانوا يصنعون البارود بالجنيينة المجاورة للجامع فجعلوا ذلك الجامع مخزنا لما يصنعونه ، فبقى ذلك المسجد ، وذهب الفرنسيين ، وتركوه كما هو ، وجانب كبريت في أنخاخ أيضا فدخل رجل فلاح ومعه غلام ويده قصبة يشرب بها الدخان . وكأنه فتح ماعونا من ظروف البارود ، ليأخذ منه شيئا ، ونسى المسكين القصبة بيده ، فأصابت البارود ، فاشتعل جميعه ، وخرج له صوت هائل ودخان عظيم ! واحترق المسجد ، واستمرت النار في سقفه بطول النهار . واحترق الرجل والغلام .

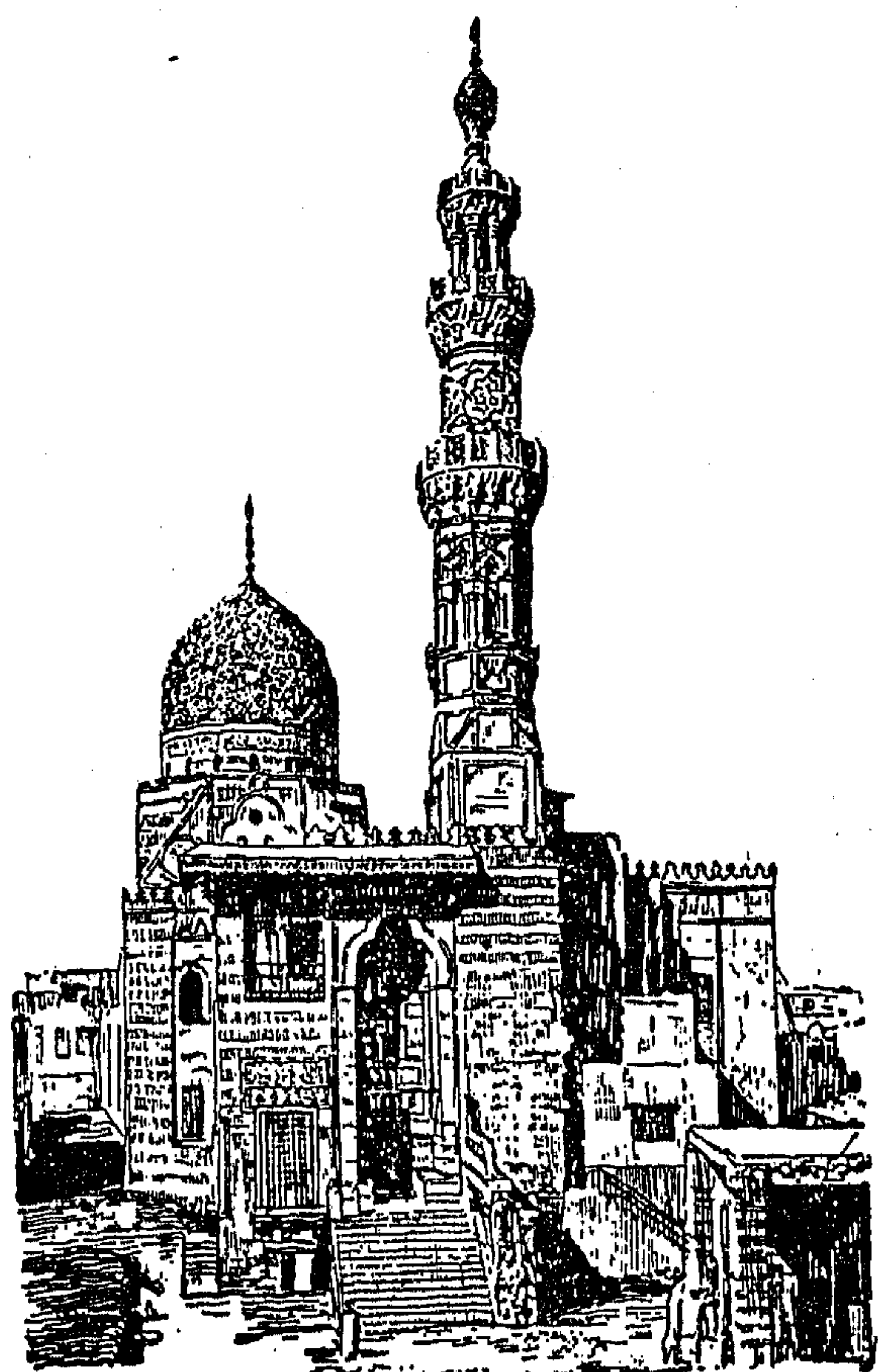
الاحد ١٥ منه (٢٦ يوليه ١٨٠١ م) :

أشيع بأنه كتب فرمان على النصارى ، أنهم لا يلبسون الملونات ، ويقتصرون على لبس الأزرق والأسود فقط فمجرد الاشاعة وسماع ذلك ، ترصد جماعة القلقات لمن يمر عليهم من النصارى ، ومن يجدوه بثياب ملونة يأخذوا طربوشه ومداسه الأحمر ، ويتركوا له الطاقة والشدة الأزرق !

وليس القصد من أولئك القلقات الانتصار للدين ، بل استغنام السلب ، وأخذ الثياب ! ثم ان النصارى صرخوا الى عظمائهم ، فأنهوا شكواهم . فنودى بعدم التعرض لهم ، وأن كل فريق يشى على طريقته المعتادة .

الاثنين ١٦ منه (٢٧ يوليه ١٨٠١ م) :

طلب الوزير من التجار مائة كيس وعشرة أكياس سلفة من عشور البهار ، وألزمهم باحضارها من الغد فاجتمع المستعدون لجمع الفردة في أيام فرنساوية : كالسيد أحمد الزرو ، وكاتب البهار ، وأرادوا توزيعها على المحترفين كمعادتهم فاجتمع



جامع قايتباي

وفيه : حضر اليسرجى ، الذى جلب مملوك الشيخ البكرى ، الذى تقدم ذكره ، الى بيت القاضى ، وأحضروا الشيخ خليل البكرى ، وادعى عليه أنه قهره فى أخذ المملوك بالفرنسيين ، وأخذ منه بدون القيمة ، وأنه كان أحضره على ذمة مراد بيك .

وطال بينهما النزاع ، وآل الأمر بينهما الى انتزاع المملوك من المذكور ... وقد كان أعتقه ، وعقد له على ابنته . فأبطلوا العتق ، وفسخوا الزواج . وأخذ المملوك عثمان بيك الطنبرجى المرادى ، ودفع للشيخ دراهمه ، ولجلا به باقى الثمن .. وتجرع فراقه .

الجمعة ١٣ منه (٢٤ يوليه ١٨٠١ م) :

ركب الوزير ، وحضر الى الجامع الأزهر ، وصلى به الجمعة ، وخلع على الخطيب فرجية صوف .



رسول يحضر مكتوبا للباشا

فأذنه . فخنقها في ذلك اليوم أيضا ومعها جاريتها
البيضاء — أم ولده — وقتلوا أيضا امرأتين
من أشباههن .

الأربعاء ٢٥ منه (٥ أغسطس ١٨٠١ م) :

أرسلوا طائفة معينين من طرف محمد باشا
أبى مرق الى أخى الشواربى شيخ قليوب .
فأحضروه على غير صورة .. ماشيا ، مكتوفا ،
محبوبا ، مضروبا .. من قليوب الى مصر . فحبسوه
ببيت الوزير . ثم حضر أخوه ، وصالح عليه بعشرة
أكياس .. قام بدفعها ، وأطلقا .

قيل ان السبب في ذلك : أن جماعة من أتباع
محمد باشا ذهبوا الى قليوب وطلبوا تبنا ، فطردهم
وشتهم وردهم من غير شيء . وقيل : ان ذلك
باغراء ابن المحروقى ، لضغن بينه وبينه قديم .

الاثنين آخره (١٠ أغسطس ١٨٠١ م) :

تحرر ديوان العشور . فكان المتحصل ستة
عشر ألف كيس .

وفيه : تشاجر طائفة من النكجارية مع طائفة
من الانكليز بالجيزة ، وقتل بينهما أشخاص .
فنودى على النكجارية ، ومنعوا من التعدى الى
بر الجيزة .

وفيه : كثر اشتغال طائفة العسكر بالبيع والشراء
في أصناف المأكولات ، وتسلطوا على الناس بطلب
الكلف ، ورتبوا على السوق وأرباب الحوانيت
دراهم يأخذونها منهم في كل يوم ، ويأخذون من
الخابز الخبز من غير ثمن ، وكذلك يشربون القهوة
من القهاوى ، ويحتكرون ما يريدون من الأصناف ،
ويبيعونها بأعلى الأثمان ، ولا يسرى عليهم حكم
المحتسب . وكذلك تسلطوا على الناس بالأذية
بأدنى سبب ، وتعرضوا للسكان في منازلهم . فتأتى
منهم الطائفة ويدخلون الدار ، ويأمرون أهلها
بالخروج منها ليسكنوها . فان لطفهم الساكن

أرباب الحرف الدنية ، وذهبوا الى بيت الوزير
والدفتردار ، واستغاثوا وبكوا .. فرفعوا عنهم
الطلب ، وألزموا بها المياسير !

وفيه : قلدوا محمد أغا ، تابع قاسم بيك موسقو
الابراهيمى ، وجعلوه واليا عوضا عن على أغا
الشعراوى .

الجمعة ٢٠ منه (٣١ يوليه ١٨٠١ م) :

حضر الوزير الى الجامع المؤيد ، فصلى به
الجمعة .

وفيه : قبضوا على عرفة بن المسيرى ، وحبس
بيت الوزير بسبب أخيه ابراهيم .. كان شيخ
مرجوش ، وتقيد بقبض فرقة الفرنسيين ، ثم ذهب
الى المحلة ، وتوفى بها . فغمزوا على أخيه عرفة
المذكور ، وقبضوا عليه وحبسوه ، وأرسلوا فرمانا
الى المحلة بضبط ماله وما يتعلق به وبأخيه عند
شركائهما ثم نهوا بيت المذكور .

الثلاثاء ٢٤ منه (٤ أغسطس ١٨٠١ م) :

طلبت ابنة الشيخ البكرى — وكانت ممن تبرج
مع الفرنسيين — بمعينين من طرف الوزير .
فحضروا الى دار أمها بالجودرية بعد المغرب ،
وأحضروها ووالدها . فسألوهما عما كانت تفعله .
فقلت : « انى نبت من ذلك » . فقالوا لوالدها :
« ماتقول أنت ؟ » . فقال : « أقول انى برى منها » .
فكسروا رقبتها ! وكذلك المرأة التى تسمى
« هوى » .. التى كانت تزوجت نقولا القبطان ،
ثم أقامت بالقلمة ، وهربت بمتاعها ، وطلبها
الفرنساوية ، وفتش عليها عبد المال ، وهجم بسببها
عدة أماكن — كما تقدم ذكر ذلك — فلما دخل
المسلمون ، وحضر زوجها مع من حضر ، وهو
اسماعيل كاشف، المعروف بالشامى ، أمنها وطمئنها ،
وأقامت معه أياما . فاستأذن الوزير فى قتلها ،

وأعطاهم دراهم .. ذهبوا عنه وتركوه ، وان عاند
سبوه وضربوه ... ولو عظيما . وان شكا الى
كبيرهم ، قوبل بالتبكي ، ويقال له : « ألا تفسحون
لاخوانكم المجاهدين ، الذين حاربوا عنكم ،
وأنقذوكم من الكفار الذين كانوا يسومونكم سوء
العذاب ، يأخذون أموالكم ، ويفجرون بنسائكم ،
وينهبون بيوتكم .. وهم ضيوفكم أياما قليلة ؟ » .
فما يسمع المسكين الا أن يكلفهم بما قدر عليه .
وان أسعفته العناية ، وانصرفوا عنه بأى وجه ...
فيأتى اليه خلافهم ا وان سكنوا دارا أخرجوها .
وأما القلقات والينكجرية الذين تقيدوا بحارات
النصارى ، فانهم كلفوهم أضعاف ما كلفوا به
المسلمين ، ويطلبون منهم — بعد كلف المآكل
واللوازم — مصروف الجيب ، وأجرة الحمام وغير
ذلك .. 11

وتسلط عليهم المسلمون بالدعوى والشكاوى ،
على أيدي أولئك القلقات ، فيخلصون منهم ما لزمهم
بأدنى شبهة ، ولا يعطون المدعى الا القليل من
ذلك . والمدعى يكتفى بما حصل له من التشفى
والظفر بعدوه .

واذا تداعى شخص على شخص ، أو امرأة مع
زوجها ، ذهب معهم أتباع القلق الى المحكمة —
ان كانت الدعوى شرعية — فاذا تمت الدعوى ،
أخذ القاضى محصوله ، يأخذ مثله أتباع القلق ..
على قدر تحمل الدعوى ا

رييح الآخر

الثلاثاء غرته (11 أغسطس 1801 م) :

أفرج عن عرفة ابن المسيرى ، وصولح عليه
بخمسة عشر كيسا . وكتب له فرمان يرد منهوباته ،
وعدم التعرض لتعلقاته بالمحلة .

الأربعاء 2 منه (12 أغسطس 1801 م) :

أمر الوزير الوجاقلية بلبس القواويق على عادتهم

القديمة . فأخبروا إبراهيم بك . فقال : « الأمر
عام لنا ولكم أولكم فقط ؟ » . فقالوا : « لاندري »
فسأل إبراهيم بك الوزير المشار اليه ، فقال له :
« بل ذلك عام » .

الخميس 3 منه (13 أغسطس 1801 م) :

نهبوا على العساكر المتداخلة في الينكجرية
وغيرهم بالسفر .

وفيه : كتبت فرمانات باللغة العربية — بترصيف
صاحبنا العلامة السيد اسماعيل الوهبي المعروف
بالخشاب — وأرسلت الى البلاد الشرقية والمنوفية
والغربية مضمونها : الكف عن أذية النصارى
واليهود أهل الذمة . وعدم التعرض لهم وفي
ضمنه آيات قرآنية وأحاديث نبوية ، والاعتذار
عنهم بأن الحامل لهم على تداخلهم مع الفرنساوية
صيانة أعراضهم وأموالهم .

الجمعة 4 منه (14 أغسطس 1801 م) :

أحضروا رمة زوجة إبراهيم بك ، وعملوا لها
قبرا بجانب أخيها محمد بك أبى الذهب بمدرسه
المقابلة للجامع الأزهر ، ودفنوها به .

السبت 5 منه (15 أغسطس 1801 م) :

ورد الخبر بوفاة أحمد بك حسن ، أحد الأمراء
الذين توجهوا صحبة حسين باشا القبطان
والفرنساوية . وكان القبطان وجهه الى عرب
الهنادى الذين يحملون الميرة الى الفرنسيين
المحصورين بسكندرية ، وضم اليه عدة من
العسكر فحاربهم وقتلهم عدة مرار ، فأصابته
رصاصة دخلت في جوفه . أفرج الى مخيمه ، ومات
من ليلته . وكان يضاهى سيده في الشجاعة
والفروسية .

وفيه : أطلقوا للملتزمين التصرف في سنة خمس
عشرة ، ليقضوا ما لهم وما عليهم من البواقي ، ومال

الذى كان ولاء الوزير قاضى العسكر بمصر
عن يؤول اليه القضاء باسلامبول .

فلما تولى ذلك حصل منه تعنت فى الأحكام
وطمع فاحش ، وضيق على نواب القضاء بالمحاكم
ومنعهم من سماع الدعاوى ، ولم يجرمهم على
عوائدهم . وأراد أن يفتح بابا فى الأملاك والعقار
ويقول : « انها صارت كلها ملكا للسلطان ! لأن
مصر قد ملكها الحريون ، وبفتخها صارت ملكا
للسلطان ، فيحتاج أن أربابها يشترونها من الميرى
ثانيا ١١ » .

ووقع بينه وبين الفقهاء المصرية مباحثات
ومناقشات وفتاوى ، وظهروا عليه . ثم تحامل عليه
بعض أهل الدولة وشكوه الى الوزير .. فعزله ،
وقلده مكانه قدسى أفندى نقيب الأشراف بحلب
سابقا . ونقل المعزول متاعه من المحكمة فكانت
مدة ولايته خمسة عشر يوما .

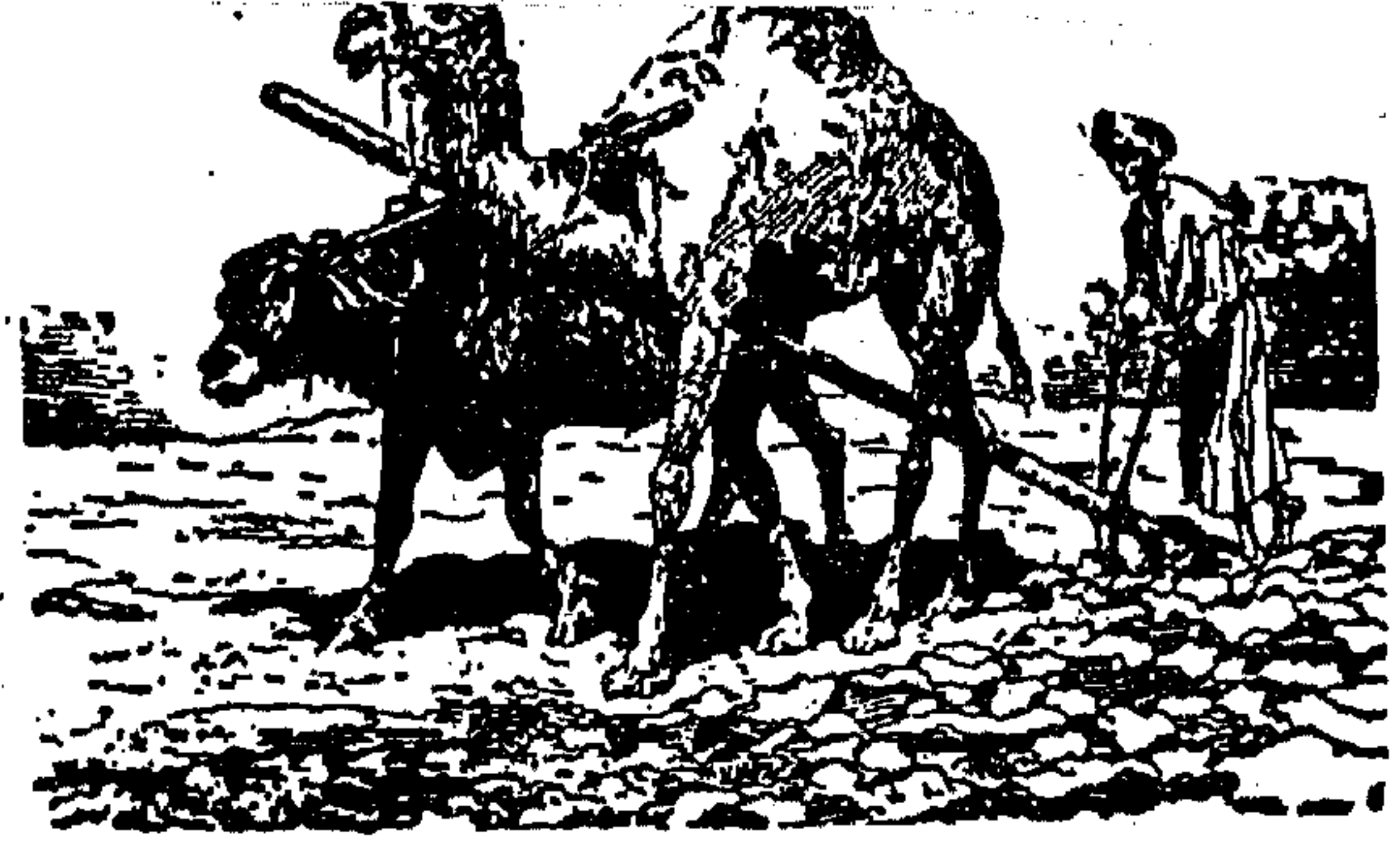
وفى ذلك اليوم أيضا : خلع الوزير على الأمير
محمد بك الألفى فروة سمور ، وقلده اماره
الصعيد ، وليرسل المال والغلال ، ويضبط مواريث
من مات بالصعيد بالطاعون . فبرز خيامه من يومه
الى ناحية الآثار ، وأسكن داره بالأزبكية رئيس
أفندى .

وفيه : وصلت قافلة شامية وبها بضائع وصابون
ودخان وحضر السيد بدر الدين المقدسى والحاج
سعودى الحناوى وآخرون . وتراجع سعر الصابون
والقناديل الخليلى والدخان .

وفيه : ورد الخبر بسفر الفرنساوية ، ونزولهم
المراكب من ساحل أبى قير .

الجمعة ١١ منه (٢١ اغسطس ١٨٠١ م) :

لبس الوجاقلية ، والأمراء المصرية ، إزيهم من
القواويق المختلفة الأشكال — على عادتهم
القديمة — حسب الأمر بذلك ، وكذلك الأمراء



فلاح يحرق الأرض

الميرى والمضاف ، ويدفعوا جميع ذلك الى الخزينة...
بأوراق مختومة من ابراهيم بك وعثمان بك .

والقصد من ذلك اطمئنانهم بالجباية ، والرجاء
بالتصرف فى المستقبل ، ووعدهم بذلك سنة تاريخه
بعد دفعهم الحلوان . مع أن الفرنساوية لما استقر
أمرهم بمصر ، ونظروا فى الأموال الميرية والخراج
فوجدوا ولاية الأمور يقبضون سنة معجلة ، ونظروا
فى الدفاتر القديمة ، واطلعوا على العوائد السالفة ،
ورأوا أن ذلك كان يقبض أثلاثا مع المراعاة فى رى
الأراضى وعدمه . فاختراروا الأصلح فى أسباب العمار
وقالوا : « ليس من الانصاف المطالبة بالخراج قبل
الزراعة بسنة » . وأهملوا وتركوا سنة خمس عشرة ،
فلم يطالبوا الملتزمين بالأموال الميرية ، ولا الفلاحين
بالخراج . فتنفست الفلاحون ، وراج حالهم
وتراجعت أرواحهم ، مع عدم تكليفهم كثرة المغارم
والكلف وحق طرق المعينين ... ونحو ذلك .

الثلاثاء ٨ منه (١٨ اغسطس ١٨٠١ م - ١٣ مسرى
١٥١٧ ق) :

كان وفاء النيل المبارك ، وركب محمد باشا ،
المعروف بأبى مرق المرشح لولاية مصر ، فى صباحها
الى قنطرة السد . وكسروا جسر الخليج بحضرته ،
وفرق العوائد ، وخلع الخلع ، ونشر الذهب
والفضة .

وفيه : عزل الوزير القاضى ، وهو قاضى العرضى

آلاف غرش ... كان أعطاها له نزلة أمين عند حضورهم في العام الماضي لمشتريات الذخيرة . ثم تقض الصلح عقيب ذلك ، وخرجوا من مصر ، وبقيت بدمته . فأخبر أن الفرنساوية علموا بهما ، وأخذوها منه ، وأعطوه ورقة بوصول ذلك اليهم ... فلم يقبلوا منه ذلك ، وبقي معتقلا .

وادعوا عليه أيضا بتركة الأغا الذي كان نزله ، ومات عنده ، واحتوى على موجوده فأخبر أيضا أن الفرنسيين أخذوا منه ذلك أيضا ، وأعطوه سنداً ... فلم يقبلوا منه ذلك ، واستمر محبوساً .

الاثنين ١٤ منه (٢٤ اغسطس ١٨٠١ م) :

نودى على أن أهل البلدة لا يصاهرون العساكر العثمانية ، ولا يزوجونهم النساء . وكان هذا الأمر كثر بينهم وبين أهل البلد ، وأكثرهم النساء اللاتي درن مع الفرنساوية . ولما حضر العثمانية تحصين وتنقبن وتوسط لهن أشباههن من الرجال والنساء وحسنوهن للطلاب ، ورغبوا فيهن الخطاب فأمهروهن المهور العالية ، وأنزلوهن المناصب العالية .

وفي ذلك اليوم أيضا : نودى على أهل الذمة بالأمن والأمان ... وأن المطلوب منهم جزية أربع سنوات .

وفيه : قص على جرجى موسى الجيزاوى ، وعمل عليه عشرون كيسا

وفيه : قبض محمد باشا أبو مرق على مقدمه مصطفى الطاراتى ، وضربه علقه ، وحبسه ، والزمه بمبلغ دراهم .

وفيه سافر الانكليزية الذين بالجيزة والروضة الى جهة الاسكندرية . وأشيع أن الحرب قائم بين العساكر والفرسيين الاسكندرانية من يوم الاثنين



بعض الامراء المصرية بزيهم

الصناجق . وحضروا في يوم الجمعة بديوان الوزير ونظر اليهم ، وأعجب بهيئاتهم ، واستحسن زيهم ، ودعا لهم وأثنى عليهم ، وأمرهم أن يستمروا على هيئتهم ... وذلك على ما هم فيه من التفليس . وغالبهم لا يملك عشاء ليلته ، فضلا عن كونه يقتنى حصانا وشنشارا وخدما ، ولوازم لا بد منها ، ولا غنى للمظهر عنها .

وفيه : حضرت جماعة من عسكر القبط الذين كانوا ذهبوا بصحبة الفرنساوية ، فتخلفوا عنهم ، ورجعوا الى مصر .

وفيه : أرسلوا تناييه للملتزمين بطلب بواقى مال سنة ثلاث عشرة وأربع عشرة ... فاعتذروا بأنهم ممنوعون من التصرف ، فمن أين يدفعون البواقى ؟

الاحد ١٣ منه (٢٣ اغسطس ١٨٠١ م) :

حبس حسن أغا محرم المنفصل عن الحسة ، وطولب بمائتى كيس ... وذلك معتاد الحسة في الثلاث سنوات التى تولاها أيام الفرنساوية فانه لما تقلد أمر الحسة في أيامهم ، منعوه من أخذ العوائد والمشاهرات من السوق ، وجعلوا له مرتبا في كل يوم يأخذه من الأموال الديوانية نظير خدمته ، وكذلك أتاعه . وطالبوه أيضا بأربعة



معركة بين الانجليز والفرنسيين في البحر

سابعه . فطلبوا المراكب حتي شح وجودها ، وضاق الحال بالمسافرين . واستمر طلبهم ونزولهم عدة أيام ... وكذلك نبهوا على الكثير من العساكر الاسلامية بالسفر .

الخميس ١٧ منه (٢٧ اغسطس ١٨٠١ م) :

قضت الأوامر بتصرف الملتزمين في البلاد ، وقيدت صيارف من نصارى القبط بالنزول الى البلاد لقبض الأموال في غير أوانها لطرف الدولة .

الجمعة ١٨ منه (٢٨ اغسطس ١٨٠١ م) :

لبس الأمراء الكبار القواويق على رؤوسهم . وفيه : قبض من مصطفى الطارأتى — المعتقل ، المتقدم ذكره — خمسة عشر ألف ريال .. ولم يزل معتقلا . وقيل : انه غمز عليه ، فوجد له في مكان صندوقان ضمنهما ذهب نقد عين .

ومصطفى هذا كان كلارجيا عند قائد أغا حين كان بمصر . فلما خرج الأمراء ، تقيد مقدما عنده بونا برته . ثم عند كلهبر . فلما وقعت الفتنة السابقة ، وظهر يعقوب القبطى ، وتولى أمر الفرقة وجمع المال ... تقيد بخدمته ، وتولى أمر اعتقال المسلمين وحبسهم وعقوبتهم وضربهم . فكان يجلس على الكرسي وقت القائلة ويأمر أعوانه باحضار أفراد المحبوسين من التجار وأولاد الناس ... فيمثل بين يديه ، ويطلبه باحضار ما فرض عليه مما لا طاقة له به ، ولا قدرة له على تحصيله ، فيعتذر بخلو بده ويترجى امهاله ، فيزجره ويسبه ويأمر بضربه . فيبطحونه ويضرب بين يديه ، ويرده الى السجن بعد أن يأمر أحد أعوانه أن يذهب الى داره ، وصحبته الجماعة من عسكر الفرنسيين ، ويهجمون على حريمه ... وأمثال ذلك !

الأحد ٢٠ منه (٣٠ اغسطس ١٨٠١ م) :

وردت أخبار من سكندرية بتملك العساكر

الاسلامية والانجليزية متاريس فرنساوية ، وأخذهم المتاريس التى جهة العجمى وباب رشيد ، وجانباً من سكندرية القديمة . وتخطت المراكب وعبرت الى المينة ، وأن فرنساوية انحصروا داخل الأبراج ، وأخذ منهم نحو المائة وسبعين أسيراً ، وقتل منهم عدة وافرة .

ووقعت بين الفريقين مقتلة عظيمة لم يقع نظيرها ، وقتل الكثير من عسكر قبطان باشا ، وكذلك من الانجليز . ثم انجلت الحرب عما ذكر فلما ورد الخبر بذلك ، ضربوا عدة مدافع ، وسر الناس بذلك .

وفيه : ورد الخبر بوصول سليمان صالح الى بليس وصحبته المحمل والحريمات ، واحضر معه رمة سيكه صالح بيك ليدفنها بمصر بالقرافة . فخرج أناس لملاقاتهم ، وأخذوا معهم حمير مكارية لكرأوى النساء ... وهدية .

الاثنين ٢١ منه (٣١ اغسطس ١٨٠١ م) :

وصل سليمان أغا الى بركة الحاج وصحبته المحمل ونساء الأمراء القادمين من الشام ، ومعه أيضا رمة صالح بيك ليدفنها بقرافة مصر . فخرج الناس لملاقاتهم وأخذوا معهم حمير مكارية لركوب النساء ، وهديات .

ونودى في عصرته بعمل موكب من الغد، وطاف
الآى نجاويش بزيه المعتاد ، وخلفه القابضة وهم
ينادون باللغة التركية بقولهم : « يارن آلاى ا » .

الثلاثاء ٢٢ منه (أول سبتمبر ١٨٠١ م) :

عمل الموكب ، وانجر الآلاى ، ودخل المخمل من
باب النصر ، وشقوا به من الشارع الأعظم وصادف
ذلك اليوم يوم مولد المشهد الحسينى ، والأسواق
مزينة ، وعلى الحوائيت الشقق الحرير والزردخان
والنفاصيل وتعاليق القناديل . ومشى في الموكب
رسوم الوجاقلية والأوده باشية وأكثر الأمراء
والمشايخ والعلماء وتقيب الأشراف . ونبه على جميع
الأشراف تلك الليلة بالحضور في صبح ذلك اليوم
للمشى في ذلك الموكب . فمشى كل من كان له
عمامة خضراء ... يكبرون ويهللون ، فكانوا عددا
كثيرا . وكل من وجدوه بالطريق وعلى رأسه خضار
جذبوه وسحبوه قهرا ، وأمره بالمشى . وان أبى
ضربوه وسبوه ، وبكتوه بقولهم : « ألسن من
المسلمين ا » ، وكذلك تجمع أرباب الأشار ومشوا
على عادتهم بطبولهم وزمورهم وخباطهم وخرقهم ،
وخورهم وصياحهم .. فلم يزالوا حتى وصلوا الى
قراמידان . وتسلم المحمل محمد باشا أبو مرق من
سليمان آغا الذى وصل به ، ولكونه عوضا عن
سيده أمير الحج صالح بيك . ثم سعدوا به الى
القلعة ، وأودعوه هناك ، وعملت وقدة وشنك ...
تلك الليلة .

وفي ذلك اليوم : شرعوا في فتح باب الفتوح .
وكان القصد ادخال المحمل منه لضيق باب الاستثنا
الثانى ، الذى جدده فرنساوية عند باب النصر ،
فلم يثأت ذلك لمتانة البناء . واستبروا ثلاثة أيام
يهدمون في البناء الذى على الباب من داخل .. فلم
يمكن ..

ودفنوا صالح بيك بترية أعدت له بقرافة

المجاورين . والعجب أن الناس من القديم يتمنون
أن يقبروا بالأرض المقدسة لكونها عش الأنبياء
والصديقين . وهؤلاء الثلاثة (١) بالعكس . فما هو
الا لتطهيرها منهم ا

وفيه : ورد خبر باسكندرية بانقضاء الحرب ..
وطلب الفرنسيين الصلح بعد وقوع الغلبة عليهم
وهزيمتهم . وأخذ منهم عدة أسرى ، وانحصروا في
الأبراج ، فأمنوهم وأجلوهم خمسة أيام آخرها يوم
الخميس سابع عشرينه .

وفيه : ألزموا حسن آغا المحتسب بالنقلة من
داره — وهو في الحبس — فأرسل الى حريمه
وأتباعه ، فانتقلوا الى مكان آخر

وفيه : ورد الخبر أيضا بورود عثمان كتحدا
الدولة ... الذى كان بمصر في العام السابق ، وبأشر
الحروب بمصر ، وصحبته آخر يقال له شريف
أفندى .

السبت ٢٦ منه (٥ سبتمبر ١٨٠١ م)

قدم محمد أفندى المعروف بشريف أفندى
الدفتردار ، وقدم بصحبته عثمان كتحدا الدولة
وسكن شريف أفندى بدرب الجماميز ، وسكن
الكتخدا بمنزل حسن آغا — المحتسب سابقا —
بسوقة اللالا .

غايته (٨ سبتمبر ١٨٠١ م) :

عمل شنك ومدافع كثيرة ، وذلك لوصول خبر
بتسليم الاسكندرية . وسبب تأخرهم الى هذه
المدة — بعد وقوع الصلح — انتظار الأمر بالانتقال
من بونا برته .. وذلك أنه لما وقع الصلح المتقدم ،
أرسل سارى عسكر « مينو » تطريدة الى فرنسا
بالخبر الى بونا بارتته ، وانتظر الجواب فورد عليه

(١) « وهؤلاء الثلاثة » : يقنى صالح بيك ومن مقته من
مات بالصلام .

الأمر بالانتقال والحضور . فعند ذلك أنزلوا
متاعهم الى المراكب ، وسافروا الى بلادهم .

جمادى الأولى

فرقه (٩ سبتمبر ١٨٠١ م) :

قرئت فرمانات صحبة عثمان كتحدا ، وفيها
التنويه بذكر أعيان الكتبة الأقباط والوصية بهم ،
مثل جرجس الجوهري وواصف ومالطى ومقدمهم
في تحرير الأموال الميرية .

وفيه : انفصل مولانا السيد محمد ، المعروف
بقدسى أفندى ، عن القضاء . وسافر ذلك اليوم
وذلك بمراده واستغفائه وطلبه . وتقلد القضاء
عوضه عبد الله أفندى قاضى الميرى وكاتب الجمرى ،
وحضر فى ذلك اليوم الى المحكمة .

٣ منه (١١ سبتمبر ١٨٠١ م) :

أفرج عن حسن أغا المحتسب بشفاعة عثمان
كتحدا وحسن أغا وكيل قبطان باشا من غير شئ .
وتوجه الى دار بجوار داره .

وفيه : تجمع النساء والفلاحون والمثزمون
والوجاقلية بيت الوزير بسبب الالتزام ، والمنع
من التصرف ، وحضور الفلاحين للضيق عليهم
بطلب المال الى ملتزميهم ، ومطالبتهم اياهم بما
قبضوه منهم .

فلما اجتمعوا وصرخوا ، سأل الوزير عن ذلك...
فأخبروه . فأمر بكتابة فرمان بالاطلاق والاذن
للمثزمين بالتصرف . ووجهوا الأمر الى الدفتردار
فكتب عليه ، ثم الى الروزنامجى كذلك . ثم
توجهوا به الى دفتردار الدولة ... فتوقف ، وبقي
الأمر أياما . وذلك أن القوم يريدون أمورا
مبطونة فى نفوسهم ، وأطماعا مركوزة فى طباعهم .

٥ منه (١٣ سبتمبر ١٨٠١ م) :

نودى بالزينة ثلاثة أيام : أولها الأربعاء وآخرها
الجمعة ... سرورا بتسليم الاسكندرية .
فزينت المدينة ، وعملت الوقفات بالأسواق ،
والمغانى للفرجة ليلا ونهارا . وكل ليلة يعمل شنك
نقوط وسوارىخ وبارود ببركة الغرايين المثل عليها
بيت الوزير .

وفيه : حضر نجو ستة أنفار من أعيان الانكليز
وصحبتهم جماعة من العشمانية يفرجونهم على
مواطن مزارات المسلمين . فدخلوا الى المشهد
الحسينى وغيره بمداساتهم ، ففترجوا وخرجوا !
وفيه : تحاسب السيد أحمد المحرقى مع السيد
أحمد الزرو على شركة بينهما ، فتأخر على الزرو
احدى وعشرون كيسا فألزمه باحضارها ، وجبسه
بسجن قواس باشا ، وأمره بالتضييق عليه .

١٠ منه (١٨ سبتمبر ١٨٠١ م) :

لغظ الناس باستمرار الزينة سبعة أيام ، وانتظروا
الاذن فى رفع التعاليق ، فلم يؤذن لهم بشئ .
فاستمروا طول النهار فى اختلاف وحل وربط . ثم
اذن لهم — قبيل الغروب — برفعها بعد ما عمروا
القناديل . وكان الناس يبيتون سهارى بالحوائيت ،
والقلقات يطوفون بالأسواق ، فمن وجدوه نائما ..
نبهوه بازعاج !

١٢ منه (٢٠ سبتمبر ١٨٠١ م) :

وقع من طوائف العسكر عريضة بالأسواق ،
وتخطفوا أمتعة الناس ، ومن باعة المأكلى كالشواء
والفطير والبطيخ والبلح . فانزعجت الناس ، ورفعوا
متاعهم من الحوائيت ، وأخلوا منها وأغلقوها .
فحضر اليهم بعض أكابرهم وراطنهم .. فانكفوا
وراق الحال . وتبين أن السبب فى ذلك تأخير
علائقهم . وذلك أن من عادتهم القبيحة : أنه اذا

تأخرت عنهم علائقهم ... فعلوا مثل ذلك بالرعية ،
وآثاروا الشرور . فعند ذلك يطلبون خواطرمهم ،
ويوعدونهم أو يدفعون لهم !

وفيه : ورد الخبر بتولية محمد باشا خسرو على
مصر — وهو كتحدا حسين باشا القبودان —
فألبس الوزير وكيله خلعة عوضا عنه .

وأشيع عزل محمد باشا أبو مرق وسفره الى
بلادته . وحضر السفار أيضا من جهة رشيد
وسكندرية ، وأخبروا بأن الفرنسية لم يزالوا
بمسكندرية وبنديراتهم على الأبراج ، وأن القبطان
ومن معه لم يدخلوها ، وإنما يدخلها معهم الانكليزية
وأنهم ينتظرون الى الآن الجواب والاذن من
شيختهم (١) ... وما أشيع قبل ذلك فلا أصل له .
وأما الطائفة الأخرى التي سافرت من مصر ، فإنهم
نزلوا وسافروا ، على وفق الشرط ، من أبي قير
كما تقدم .

٢٢ منه (٣٠ سبتمبر ١٨٠١ م) :

وردت مكاتبة من قبطان باشا بطلب عثمان بيك
المرادى وعثمان بيك البرديسى وإبراهيم كتحدا
السنارى والحاج سلامه تابعه وآخرين . فسافروا
فى رابع عشرته .

٢٤ منه (٢ أكتوبر ١٨٠١ م) :

فى ليلته : قتلوا شخصا يسمى مصطفى الصيرفى
من خط الصاغة ... قطعوا رأسه تحت داره عند
حانوته . وسبب ذلك أنه كان يتدخل فى نصارى
القبط والذين يتعاطون الفرد ويوزعونها . وتولى
فردة أهل الصاغة وسوق السلاح ، وتجاهر بأمور
نقت عليه ، وأضر أشخاصا . وأغرى به ، فحبس
أياما ثم قتل بأمر الوزير . وترك مرميا ثلاث ليال
ثم دفن !

(١) لعله يعنى ملكة انجلترا .

وفى صبيحة قتله ، طاف المشاعلى بالخطبة
ودوائرها : مثل الجمالية والضبيية والنحاسين وباب
الزهومة وخان الخليلى . فجبى من أرباب الحوائت
دراهم مابين خمسة أنصاف فضة وعشرة . وعند
شبله جبى القلقان أيضا مايزيد على المائة قرش .
وذلك من جملة عوائدهم القبيحة .

وفيه : هرب السيد أحمد الزرو ، فلم يعلم له
خبر . وذلك بعدما أطلق بضمانة السيد أسعد وابن
محرم . فكتب الوزير عدة فرمات ، وأرسلها
صحبة هجانة الى جهة الشام ، وختموا على دوره .
ولم يعلم هروبه الا بعد أربعة أيام ، لما داخله من
الخوف بقتل الصيرفى المذكور .

٢٩ منه (٧ أكتوبر ١٨٠١ م) :

عقد إبراهيم بيك الكبير عقد ابنته عديلة هانم
التي كانت تحت إبراهيم بيك الصغير المعروف
بالوالى ، الذى غرق بواقعة الفرنسيس بابابه ...
على الأمير سليمان كاشف — مملوك زوجها
الأول ! — على صداق ألفى ريال .

وحضر العقد الشيخ السادات والسيد عمر
النقيب والقيومى وبعض الأعيان .

غايته (٨ أكتوبر ١٨٠١ م) :

قتل شخص أيضا بسوق السلاح ، وهو من
ناحية المنصورة . وجبى المشاعلية والقلقات دراهم
من أرباب الحوائت ... مثل ذلك المذكور فيما
تقدم .

وانقضى هذا الشهر وحوادثه التى منها :
الارتباك فى أمر حصص الالتزام ، والمزاد فى المحلول
وعدم الراحة والاستقرار على شئ يرتاح الناس
عليه .

ومثل ذلك : الرزق الأحباسية والأوقاف .

وحضر شخص تولى النظر والتفتيش على جميع

الأوقاف المصرية السلطانية وغيرها ، وييده دقاتر ذلك . فجمع المباشرين واستملاهم ، وكذلك كانت المحاسبة ، وبث المعينين لاحضار النظار بين يديه وحسابهم على الايراد والمصرف ، وأظهر أنه يريد بذلك تعبير المساجد ، واجراء مشروطات الأوقاف . وآخر مثله لتحرير الأوقاف والمساجد الكائنة بالقرى المصرية . وانضمت اليه الأغوات ، وطلب كل من كان له أدنى علاقة بذلك . واستمروا على ذلك بطول السنة .

ثم انكشف الأمر ، وظهر أن المراد من ذلك ليس الا تحصيل الدراهم فقط ، وأخذ المصالحات والرشوات بقدر الامكان بعد التعتت في التحرير ، والتعلل بآثبات المدعى في الايراد والمصرف — خصوصا اذا كان الشخص ضعيفا وليس من أرباب الوجاهة والمتوجهين ، أو يسه وبين الكتبة حزااة باطنية — ثم يحررون دفترا ويحررون الفايط . ثم يطلبون منه ايراد ثلاث سنوات أو أربع ا

ولم يزل حتى يصالح على نفسه بما أمكنه ، ثم يختمون له ذلك الدفتر ويتركونه وما يدين ؛ ان شاء عمر ، وان شاء آخر ا فان انتهت اليهم بعد ذلك شكوى في ناظر وقف سبقت له مصالحة ... لا تسمع شكوى الشاكى ، ولا يلتفت اليها ! ويفعلون هذا الفعل في كل سنة .

ومنها : زيادة النيل الزيادة المفرطة عن المعتاد وعن العام الماضى أيضا ، حتى غطى الذراع الذى زاده القرنساوية على عمود المقياس . فان القرنساوية لما غيروا معالم المقياس ، رفعوا الخشبة المركبة على العمود ، وزادوا فوق العمود قطعة رخام مربعة مهندمة ، وجعلوا ارتفاعها مقدار ذراع مقسوم بأربعة وعشرين قيراطا وركبوا عليها الخشبة ... فسترها الماء أيضا ، ودخل الماء بيوت الجيزة ومصر القديمة ، وغرقت الروضة . ولم يقع في هذا النيل

حظوظ ولا نزهة للناس كعادتهم في البرك والخلجان والمراكب ، وذلك لاشتغال الناس بالهموم المتوالية ، وخصوصا الخوف من أذى العسكر وانحراف طباعهم وأوضاعهم ، وعدم المراكب ، وتخريب الفرنسيس أماكن النزهة ، وقطع الأشجار ، وتلف المقاصف التى كانت تجلس بها أولاد البلد مثل : دهليز الملك والجسر والرصيف ، وغير ذلك مثل : الكازرونى والمغربى ولاحية قنطرة السد وقصر العينى والقصور .

ومنها : أن محمد بيك المعروف بالمنفوخ المرادى حصل عنده وحشة من قبطان باشا . فحضر الى فاحية الأهرام بالجيزة ، وطلب الحضور عند الوزير يستجير به . فذهب اليه خشداده عثمان بيك البرديسى... وحادثه ، وأشار عليه بالرجوع الى جهة القبطان . فأقام أياما ثم رجع الى لاحية سكندرية . والسبب في ذلك ما حصل في الواقعة التى قتل بها أحمد بيك الحسينى قيل ان ذلك بنفاقه عليه ، واتضح ذلك للقبطان ، وأحضرت العرب مراسلته اليهم بذلك ، فانحرف عليه القبطان . فلما علم ذلك داخله الخوف ، ثم أرسل اليه الأمراء والقبطان آمانا ... فرجع بعد أيام .

ومنها : حضور الجمع الكثير من أهالى الصعيد هروبا من الألفى وما أوقعه بهم من الجور والمظالم ، والتقارير والضرائب والغرائب .

وحضر أيضا الشيخ عبدالمنعم الجرجاوى والشيخ العارف وخلافهم يتشكون مما أنزله على بلادهم . وطلب متروكات الأموات وأحضر ورتتهم وأولادهم وأطفالهم ، ومن توسط أو ضبط أو تعاطى شيئا من القضاة والفقهاء ، وجسهم وعاقبهم وطالبهم ، وطلب استئصال ما بأيديهم ، ونحو ذلك .

كل ذلك بأمر من الدولة ، وغير ذلك معين ... فحضرُوا فصالحوا على تركة سليم كاشف باثنين وعشرين ألف ريال ، بعد أن خضوا على دوره ...

بعد أن أزعجوا حريمه وعياله . ولطوا من الحيطان
ثم حضروا الى مصر ... وأمثال ذلك .

ومنها : كثرة تعدى العسكر بالأذية للعمامة
وأرباب الحرف . فيأتى الشخص منهم ويجلس على
بعض الحوانيت ، ثم يقوم فيدعى ضياع كيسه أو
سقوط شيء منه ، وإن أمكنه اختلاس شيء فعل !
أو يبدلون الدنانير الزيوف ، الناقصة النقص الفاحش
... بالدراهم الفضة قهرا ، أو يلاقشون النساء
في مجامع الأسواق ، من غير احتشام ولا حياء .
وإذا صرفوا دراهم أو أبدلوها ، اختلسوا منها !
وانتشروا في القرى والبلدان ، ففعلوا كل
قبيح ، فتذهب الجماعة منهم الى القرية ويسدهم
ورقة مكتوبة باللغة التركية ، ويوهموهم أنهم حضروا
اليهم بأوامر : أما برفع الظلم عنهم ، أو مايتدعونه
من الكلام المزور ... ويطلبون حق طريقهم مبلغا
عظيما ، ويقبضون على مشايخ القرية ويلزمونهم
بالكلف الفاحشة ، ويخطنون الأغنام ، ويهجمون
على النساء ، وغير ذلك مما لا يحيط به العلم .
فطفشت الفلاحون ، وحضر أكثرهم الى المدينة ،
حتى امتلأت الطرق والأزقة منهم .

أو يركب العسكرى حمار المكارى قهرا ، ويخرج
به الى جهة الخلاء ، فيقتل المكارى ، ويذهب بالحمار
فيبيعه ساحة الحمير ! وإذا انقردوا بشخص أو
شخصين خارج المدينة ، أخذوا دراهمهم ، أو
شلحوهم ثيابهم ، أو قتلوهم بعد ذلك !

وتسلطوا على الناس بالسب والشتم ،
ويجعلونهم كفره .. وفرنسيس وغير ذلك !

وتمنى أكثر الناس — وخصوصا الفلاحين —
الحكام الفرنساوية !

ومنها : أن أكثرهم تسب في المبيعات وسائر
اصناف المأكولات والخضارات ، ويبيعونها بما
أحبوا من الأسعار ، ولا يسرى عليهم حكم



الناس يبنون
ما هدمه الفرنسيون

المحتسب ولا غيره . وكذلك من تولى منهم رئاسة
حرفة من الحرف ، كالمعمارية أو غيرهم ، قبض من
أهل الحرفة معلوم أربع سنوات ، وتركهم وما
يدينون ، فيسعون كل صنف بمراهمهم ، وليس له هو
التفات لشيء سوى ما يأخذه من دراهم الشكاوى .
فعلا بسبب ذلك الجبس والجير ، وأجر الفعلة
والبنائين ... خصوصا وقد احتاج الناس لبناء
ما هدمه الفرنسيين ، وما تخرب في الحروب بمصر
وبولاق وجهات خارج البلد ، حتى وصل الأردب
الجبس الى مائة وعشرين نصف فضة ، والجير
بخسين نصف فضة ، وأجرة البناء أربعين فضة ،
والفاعل عشرين . وأما الفعلة فرخيصة ، وكذلك
باقي الحبوب بكثرتها . مع أن الرغبة ثلاثة أواق
بنصف ، لما ذكر من عدم الالتفات الى الأحكام
والتسعيرات .

جمادى الآخرة

غرقه (٩ أكتوبر ١٨٠١ م) :

تفكك الجسر الكبير المنسوب من الروضة
الى الجيزة ، وذلك من شدة الماء وقوته ... فتحللت

رباطاته ، وانتزعت مراسيه ، وانتشرت أخشابها ،
وتفرقت سفنه ، والحدوت الى بحرى .

٢ منه (١٠ أكتوبر ١٨٠١ م) :

حصلت زلزلة فى ثالث ساعة من الليل .

٣ منه (١١ أكتوبر ١٨٠١ م) :

قطعوا رأس مصطفى المقدم المعروف بالطاراتى ،
بين المفارق بباب الشعرية ، وذلك بعد حبسه أياما
عديدة ، وضربه وعقابه حتى تورمت أقدامه ،
وطاف مع المئين عدة أيام يتدائى بواقى ما قرر
عليه ، ودخل دارا نافذة ، وأجلس الملازمين له ببابها
— وهم لا يعلمون بنفوذها — وأهم أنه يريد التدائن
من صاحب الدار ، ونفذ من الجملة الأخرى ، واختفى
فى بعض الزوايا . فاستعوقه الجماعة ، ودخلوا الى
الدار ... فلم يجدوه ، وعلموا بنفوذها . فقبضوا
على خدمة الدار وضربوهم ، فلم يجدوا عندهم
علما منه . فأطلقوهم ، وأوقعوا عليه الفحص
والتفتيش . فرآه شخص ممن صادره فى أيام
الفردة ، فصادفه فى صبحها خارج باب القرافة ،
فقبض عليه وأحضره بين يدى جماعة القلق . فدل
عليه فقبضوا عليه وقتلوه بعد القبض عليه بثلاثة أيام ،
وتركوه مرميا تحت الأرجل وسط الطريق وكثرة
الازدحام ثلاث ليال ، وفعلوا عادتهم فى جبر
الدراهم من تلك الخطة .

وفيه : ورد فرمان من محمد باشا والى مصر
بأن يتأهبوا لموكبه على القانون القديم . فكتبوا
تأنيه للوجاقلية والأجناد بالتهيؤ للموكب .

٤ منه (١٢ أكتوبر ١٨٠١ م) :

وصل شمس الدين بك أمير آخور كبير ، ومرجان
أغا دار السعادة . فأرسلوا تنايه الى الوجاقلية
والأمراء والمشايخ ومحمد باشا وإبراهيم باشا .
فاجتمعوا ببيت الوزير ، وحضر المذكوران بعد

الظهر ، فخرج الوزير ولأقاهما من المجلس الخارج ،
فسلماه كيسا بداخله خط شريف ، فأخذه وقبله
وأحضرا له بقجة بداخلها خلعة سمور عظيمة ...
فلبسها ، وسيفا تقلد به ، وشلنج جوهر وضعه
على رأسه ، ودخل صحبتها الى القاعة حيث الجمع ،
ففتح الكيس وأخرج منه فرمان ، ففتحه وأخرج
منه ورقة صغيرة فسلمها لرئيس أفندى فقرأها باللغة
التركية — والقوم قيام على أقدامهم —
مضمونها الخطاب لحضرة الوزير الحاج يوسف باشا
وحسين باشا القبطان والباشات والأمراء والعساكر
المجاهدين ، والثناء عليهم ، والشكر لصنيعهم ،
وما فتحه الله على يديهم ، وأخرجهم الفرنسيس
ونحو ذلك . ثم وعظ بعض الأفندية بكلمات
معتادة ، ودعوا للسلطان والوزير والعساكر
الاسلامية . وتقدم إبراهيم باشا ومحمد باشا
وطاهر باشا وباقي الأمراء ، فقبلوا ذيل الخلعة
وانصرفوا . وضربوا مدافع كثيرة من القلعة
فى ذلك الوقت .

وفى ذلك اليوم ، ألبس الوزير الأمراء والبلات
فراوى وخلعا وشلنجات ذهب على رؤوسهم .

وفيه : حضرت أطواخ بولاية جدة لمحمد باشا
توسون أغات الجبجية ... وهو انسان لا بأس به .

وفيه : حضر القاضى الجديد من الروم ووصل
الى بولاق ، وهو صاحب المنصب ، فأقام ثلاثة
أيام وصحبته عياله وحريمه .

٨ منه (١٦ أكتوبر ١٨٠١ م) :

حضر بموكبه الى المحكمة ، وذهب اليه الأعيان
فى صبحها ، وسلموا عليه ، وله مسيس بالعلم

١١ منه (١٩ أكتوبر ١٨٠١ م) :

عمل الوزير الديوان ، وحضر عنده الأمراء ،
فقبض على إبراهيم بك الكبير وباقي الأمراء .

الضناجق وحبسهم . وأرسل طاهر باشا بطائفة من العسكر الأرثوود الى محمد بيك الألفى بالصعيد ، وكان أشيع هروبه الى جهة الواحات . وذهبت طائفة الى سليم بيك أبى دياب ، وكان مقيما بالمنيل . فلما أخذ الخبر ، طلب الهرب وترك حملته . فلما حضرت العسكر اليه فلم يجدوه نهبوا القرية ، وأخذوا جماله وهى نحو السبعين ، وهجنه وهى نصف وثلاثون هجينا ، وذهبت اليه طائفة بناحية طرا فقاتلهم ، ووقع بينهم بعض قتلى ومجاريح . ثم هرب الى جهة قبلى من على الحاجر . ووقفت طائفة العسكر والأرثوود بالأخطاط والجهات وخارج البلد يقبضون على من يصادفونهم من المماليك والأجناد .

ونودى فى ذلك اليوم بالأمن والأمان على الرعية والوجاقلية . وأطلق الوزير مرزوق بيك ورضوان ، كتحدا ابراهيم بيك ، وسليمان آغا كتحدا ، المسمى بالحنفى . وأحاطت العسكر بالأمراء المعتقلين ، واختفى باقيهم ، ونودى عليهم وبالتواعد لمن أخفاهم أو آواهم . وباتوا بليلة كانت أسوأ عليهم من ليلة كسرتهم وهزيمتهم من الفرنسيين ، وخاب أملهم ، وضاع تعبهم وطعمهم . وكان فى ظنهم أن العثملى يرجع الى بلاده ، ويترك لهم مصر ، ويعودون الى حالتهم الأولى ، يتصرفون فى الأقاليم كيفما شاءوا . فاستمروا فى الحبس ، ثم تبين أن سليم بيك أبى دياب ذهب الى عند الإنكليز والتجأ اليهم بالحيزة . وألبس الوزير سليمان آغا تابع صالح آغا ، زى العثمانيين وجعله سلكور ، وأمره أن يتها ليسافر الى اسلامبول فى عرض الدولة .

١٧ منه (٢٥ أكتوبر ١٨٠١ م) :

سافر اسماعيل أفندى شقبون ، كاتب حوالة ، الى رشيد باستدعاء من الباشا والى مصر .

وورد الخبر بوصول كسوة للكعبة من حضرة السلطان .

١٩ منه (٢٧ أكتوبر ١٨٠١ م) :

حضر واحد أفندى وآخرون وصحبته الكسوة ، فنادوا برورها فى صباح اليوم التالى .

٢٠ منه (٢٨ أكتوبر ١٨٠١ م) :

ركب الأعيان والمشايخ والأشايخ وعثمان كتحدا — المنوه بذكره — لامارة الحج ، وجمع من الجاوشية والعساكر والقاضى وتقيب الأشراف وأعيان الفقهاء . وذهبوا الى بولاق وأحضروها وهم أمامها . وفردوا قطع الحزام المصنوع من المخيش ثلاث قطع ، والخمسة مطوية . وكذلك البرقع ومقام الخليل ... كل ذلك مصنوع بالمخيش العال ، والكتابة غليظة مجوفة متقنة ، وباقي الكسوة فى سخاير على الجمال وعليها أغطية جوخ أخضر . ففرح الناس بذلك ، وكان يوما مشهودا .

وأخبر من حضر أنه عندما وصل الخبر بفتح مصر ، أمر حضرة السلطان بعملها فصنعت فى ثلاثين يوما . وعند فراغها أمرهم بالسير بها ليلا . وكان الريح مخالفا ، فعندما حلوا المراسى اعتدل الريح بمشيئة الله تعالى . وحضروا الى اسكندرية فى أحد عشر يوما .

وفيه : وردت الأخبار بأن حسين باشا القبطان لم يزل يتخيل وينصب الفخاخ للأمراء الذين عثده ، وهم محترزون منه ، وخائفون من الوقوع فى حباله . فكانوا لا يأتون اليه الا وهم متسلحون ومحترزون ، وهو يلاطفهم وييش فى وجوهم .. الى أن كان اثنى عشر الموعود به ، عزم عليهم فى الغليون الكبير الذى يقال له « ازج عنبرلى » . فلما طلعوا الى الغليون وجلسوا ، فلم يجدوا القبودان ، أحسوا بالشر . وقيل انه كان بصحبته ، فحضر

اليه رسول وأخبره أنه حضر معه ثلاثة من السعاة بمكاتبة . فقام ليرى تلك المراسلة . فما هو الا أن حضر اليهم بعض الأمراء ، وأعلمهم أنه ورد خط شريف باستدعائهم الى حضرة مولانا السلطان ، وأمرهم بنزع السلاح . فأبوا ، ونهض محمد بيك المنفوخ وسل سيفه وضرب ذلك الكبير فقتله . فما وسع البقية الا أنهم فعلوا كفعله وقتلوا من بالغليون من العساكر ، وقصدوا الفرار . فقتل عثمان بيك المرادى الكبير وعثمان بيك الأشقر ومراد بيك الصغير وعلى بيك أيوب ومحمد بيك المنفوخ ومحمد بيك الحسينى — الذى تأمر عوضا عن أحمد بيك الحسينى — وابراهيم كتحدا السنارى . وقبض على الكثير منهم وأنزلوهم المراكب . وفر البقية مجروحين الى عند الانكليز ، وكانوا واقعين عليهم من ابتداء الأمر ، فاغتاظ الانكليز وانحازوا الى اسكندرية ، وطردها من بها من العثمانيين ، وأغلقوا أبواب الأبراج . وحضر منهم عدة وافرة ، وهم طواير بالسلاح والمدافع ، واحتاطوا بقبطان باشا من البر والبحر . فتهيأ عساكره لحربهم .. فمنعهم ، فطلب الانكليز بروزه بعساكره لحربهم . فقال : « لم يكن بيننا وبينكم حرب » . واستمر جالسا فى صيوانه . فحضر اليه كبير الانجليز وتكلم معه كثيرا ، وصمم على أخذ بقية الأمراء المسجونين ... فأطلقهم له فتسلمهم ، وأخذ أيضا المقتولين ونقل عرضى الأمراء من محطتهم الى جهة اسكندرية ، وعملوا مشهدا

للقتلى مشى به عساكر الانكليز على طريقهم فى موتى عظمائهم .

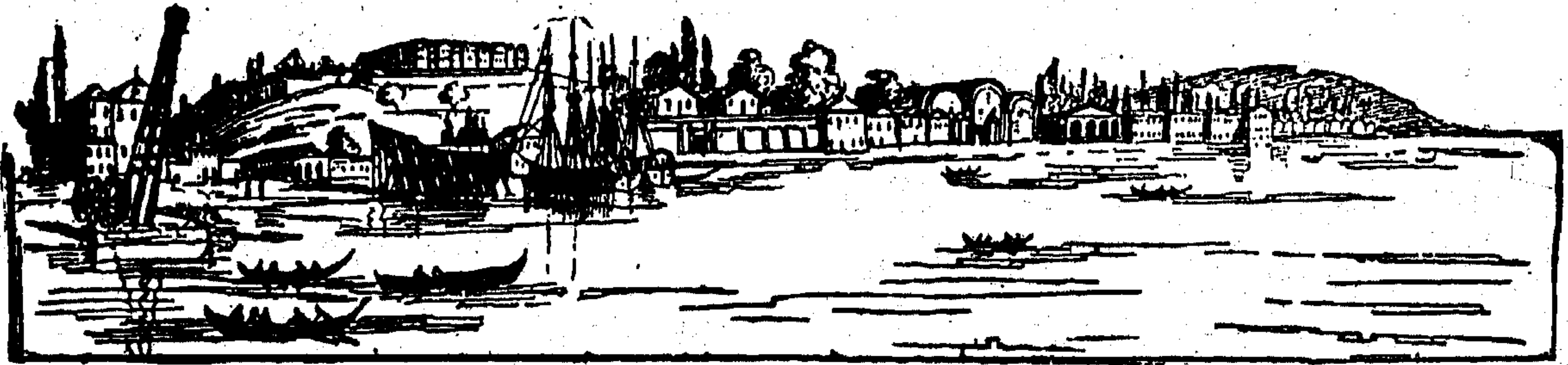
ووصل الخبر الى من بالجيزة من الانجليز ... وذلك ثانى يوم من قبض الوزير على الأمراء ففعلوا كفعلمهم ، وأخذوا حذرهم ، وضربوا بعض مدافع ليلا ، وشرعوا فى ترتيب آلة الحرب .

وفى ذلك اليوم ، طلع محمد باشا طوسون والى جدة — الساكن بيت طرا — الى القلعة ، وصعد معه جملة من العسكر ، وشرعوا فى نقل قمح ودقيق وقومانية ، وملأوا الصهاريج . وشاع ذلك بين الناس فارتاعوا ، وداخلهم الوسواس من ذلك واستمروا ينقلون الى القلعة مدافع وبارودا وآلات حرب .

٢٤ منه (١ نوفمبر ١٨٠١ م) :

حضر كبير الانكليز الذى بالجيزة ، فالبسه الوزير فروة وشلنجا .

وفى ذلك اليوم ، خلع الوزير على عثمان أغا المعروف بـ « قبي كتحدا » وقلده على أمانة الحج . وفى ذلك اليوم ، وقع بين عسكر المغاربة والانكشارية فتنة ، ووقفوا قبالة بعضهم ما بين الغورية والفحامين ، وأغلقت الناس حوانيتهم بسوق الغورية والعقادين والصاغة والنحاسين . ولم يزالوا على ذلك ، حتى حضر أغات الانكشارية ، وسكنت الفتنة بين الفريقين .



غليون قبطان باشا والقوارب تحيط به



قتال بين المغاربة والانكشارية

٢٧ منه (٤ نوفمبر ١٨٠١ م) :

مروا بزفة عروس بسوق النحاسين ، وبها بعض انكشارية ، فحصلت فيهم ضجة ، ووقع فيهم فشل . فخطفوا ما على العروس وبعض النساء من المصاغ المزينات به . وفي أثناء ذلك مر شخص مغربي ، فضربه عسكري رومي بإرودة ... فسقط ميتا عند الأشرفية . فبلغ ذلك عسكر المغاربة ، فأخذوا سلاحهم ، وسلوا سيوفهم ، وهاجت حماقتهم ، وطلعوا برمحون من كل جهة وهم يضربون البندق ويصرخون .

فأغلقت الناس الحوائيت ، وهرب قلق الأشرفية بجماعته ، وكذلك قلق الصنادقية ، وفزعت الناس ولم يزلوا على ذلك من وقت الظهر الى الغروب . ثم حال بينهم الليل . وقتل من المغاربة أربعة أشخاص ، وأصبحوا محترسين من بعضهم .

فحضر أغات الانكشارية على خوف ، وجلس بسبيل الغورية ، وحضر الكثير من عقلاء الانكشارية وأقاموا بالغورية ، وحوالى جهة الكعكيين والشوائين ... حيث سكن المغاربة .

واستمر السوق مغلوقا ذلك اليوم ورجعت القلقات الى مراكزها . وبردت القضية ، وكأنهم اصطلحوا . وراحت على من راح !

وانقضى هذا الشهر بحوادثه التى منها : استمرار نقل الأدوات الى القلعة ، وكذلك مراكز باقى القلاع ... مع أنهم خربوا أكثرها . ومنها : زيادة تعدى العسكر على السوق والمحترفين والنساء ، وأخذ ثياب من ينفردون به من الناس فى أيام قليلة .

ومنها : استمرار مكث النيل على الأرض وعدم

هبوطه ، حتى دخل شهر هاتور ، وفات أوان
الزراعة ، وعدم تصرف الملتزمين ، وهجاج الفلاحين
من الأرياف ، لما نزل بهم من جور العسكر وعسفهم
في البلاد ، حتى امتلأت المدينة من الفلاحين ،
ونودي عليهم عدة مرار بذهابهم الى بلادهم .

ومنها : أن الوزير أمر المصرية بتغيير زيهم ، وأن
يلبسوا زي العثمانية . فلبس أرباب الأقاليم
والأفندية والقلقات القواويق الخضر والعنتريات ،
وضيقوا أكمامهم . ولبس مصطفى أغا — وكيل
دار السعادة سابقا — وسليمان أغا — تابع صالح
أغا — وخلافهما .

رجب

٢ منه (٨ نوفمبر ١٨٠١ م) :

سافر سليمان أغا ، تابع صالح أغا ، الى اسلامبول .
وفيه : أمر الوزير الأمراء المحبوسين بأن يكتبوا
كتابا الى الانكليز بأنهم أتباع السلطان ، وتحت
طاعته وأمره ، ان شاء أبقاهم في امارتهم ، وان شاء
قلدهم مناصب في ولايات أخرى ، وان شاء طلبهم
يذهبون اليه ، فلا دخل لكم بيننا وبينه .. وكلام في
معنى ذلك . فأرسلوا يقولون ان هذا الكلام لاعبرة
به ، فالهم مسجونون وتحت أمركم ، ومكتوب
المقهور المكره لا يعمل به . فان كان ولا بد
فأرسلوهم الينا لنخاطبهم ونعلم ضميرهم ، وحقيقة
حالهم .

٩ منه (١٥ نوفمبر ١٨٠١ م) :

أحضر الوزير ابراهيم بيك والأمراء وأعلمهم
أن قصده ارسالهم الى بر الجيزة عند الانجليز
ليتفصحوا ذلك اليوم ، ويخبروهم أنهم مطيعون
للسلطان ، وتحت أوامره . وأن المراسلة التي
أرسلوها عن طيب قلب منهم . وليسوا مكرهين في
ذلك . فأظهر ابراهيم بيك التمتع عن الذهاب ، وأنه

لا غرض له في الذهاب الى مخالف الدين فجزم
عليه ووعدته خيرا ، وعاهدهم ، وحلفهم . فنزلوا
وركبوا من عنده في الصباح ، وما صدقوا بالخلاص ،
وعدوا الى الجيزة ، وذهبوا الى عند الانكليز ،
فتبعهم أتباعهم ومماليكهم يرمحون اليهم ويلحقون
بهم . فأقاموا هناك ، ولم يرجعوا . فانتظر الوزير
رجوعهم خمسة أيام ، وأرسل اليهم يدعوهم الى
الرجوع حكم عهدهم . فامتنع ابراهيم بيك وتكلم
بما في ضميره من قهره من الوزير وخيائته له .

١٤ منه (٢٠ نوفمبر ١٨٠١ م) :

عملوا جمعية بيت الشيخ السادات ، واجتمع
المشايع والوجاقلية . وذلك بأمر من الوزير .
وأرسل اليهم مكاتبة وفي ضمنها النصيحة والرجوع
الى الطاعة . فأرسلوا في جواب الرسالة يقولون :
« انهم ليسوا بخالفين ، ولا عاصين ، وانهم مطيعون
لأمر الدولة . وانما تأخرهم بسبب خوفهم ...
وخصوصا ما وقع لآخوانهم باسكندرية . وانهم
لم يذهبوا الى عند الانكليز ، الا لعلمهم أنهم
عسكر السلطان ، ومن المساعدين له على أعدائه .
ومتى ظهر لهم أمر يرتاحون فيه ... رجعوا الى
الطاعة » . ونحو ذلك من الكلام .

٢٧ منه (٣ ديسمبر ١٨٠١ م) :

حضر عابدي بيك ، لسبب مولانا الوزير ، فخرج
اليه غالب أغيان العثمانية والجاوشية ، وظاهر
باشا وعسكر الأرثوود ... وتلقوه . ودخل بحموله
في موكب جليل . وكان حضرة الوزير حاصلا عنده
توعك ، وغالب أوقاته محتجب عن ملاقة الناس .
وفيه : ورد الخبر بسفر قبطان باشا من ساحل
أبي قير الى الديار الرومية في منتصف الشهر . وأما
محمد باشا الوالى على مصر ، فانه لم يزل مقيما بأبي
قير . وحضر خازن داره وسكن بيت البكرى
بالأزبكية

شعبان

غرفته (٧ ديسمبر ١٨٠١ م) :

حضر يوسف أفندى ، ويده مرسوم بولايته على نقابة الأشراف . فبات ببولاق ، وأرسل ناسا يعلمون بحضوره . فلم يخرج لملاقاته أحد . ثم ان بعض الناس أحضر اليه فرسا فركبه فى ثانى يوم ، وحضر الى مصر ، وأشاع أنه متولى نقابة الأشراف ومشبحة المدرسة الجبانية .

وخبر ذلك الانسان : أنه كان يبيع الخردة واليميش بحانوت بخان الخليلى ، وهو من متصوفة الأتراك الذى يتعاطون الوعظ والاقراء باللغة التركية . فمات شيخ رواق الأروام بالأزهر . فاشتاقت نفسه للمشيخة على الرواق المذكور ، فتولاها بمعونة بعض سفهائهم .

فنقم عليه الطائفة أمورا ، واختلاسات من الوقف ، فتعصبوا عليه وعزلوه ، وولوا مكانه السيد حسين أفندى — المولى الآن — فحقن من ذلك ، وداخله قهر عظيم وحقد على حسين أفندى المذكور ، وأضر له فى نفسه المكروه . فدعاه يوما الى داره ، ودس له سما فى شرابه فنجاه الله من ذلك . وشربت ابنة يوسف أفندى الداعى تلك الكاسة المسمومة غلطا وماتت ، وشاع ذلك ، وتواترت حكايته بين الناس . ورجع كيده عليه ، وذاق وبال أمره كما قيل :

ومن يحتفر بئرا ليوقع غيره

سيوقع بالبئر الذى هو حافر

ثم انه سافر الى اسلامبول ، وأقام هناك مدة اقامة الفرنسيين بمصر . ولم يزل يتحيل ويتداخل فى بعض حواشى الدولة ، وأعرض بطلب النقابة ومشيخة الجبانية ، فأعطوه ذلك لعدم علمهم بشأنه ، وظنهم أنه أهل لذلك ، بقوله لهم : انه كان شيخا على الأزهر ومعرفة بالعلم .

فلما حصل بمصر ، وظهر أمره ، تجبعت أعيان الأشراف وقالوا : « لا يكون هذا حاكما ولا تقييا علينا أبدا » . وتنوقل خبره ، وظهر حاله لأكابر الدولة ، وحضرة الصدر الأعظم فلم يصغوا اليه ، ولم يسعفوه ، وأهمل أمره . وهكذا شأن رؤساء الدولة أدام الله بقاءهم ، اذا تبين لهم الصواب فى قضية ، لا يعدلون الى خلافه .

وفيه من الحوادث : أنه تقيد بأبواب القاهرة بعض من نصارى القبط ، ومعهم بعض من العسكر . فصاروا يأخذون دراهم من كل من وجدوا معه شيئا ، سواء كان داخلا أو خارجا ، بحسب اجتهداهم ، وكذلك ما يجلب من الأرياف . وزاد تعديهم ... فعم الضرر ، وعظم الخطب ، وغلت الأسعار وكل من ورد بشيء يبيعه يشتط فى ثمنه ، ويحتج بأنه دفع عليه كذا وكذا من دراهم المكس . فلا يسع المشتري الا التسليم لقوله ، والتصديق له وقبول عذره .

والسبب فى ذلك ، أن الذين تقيدوا بديوان العشور بساحل بولاق ، دس عليهم بعض المتقيدين معهم من الأقباط بأن كثيرا من المتاجر التى يؤخذ عليها العشور ، يذهب بها أربابها من طريق البر ، ويدخلون بها فى أوقات الغفلة تحاشيا عن دفع ما عليها وبذلك لا يجتمع المال المقرر بالديوان ، فيلزم أن يتقيد بكل باب من يترقب لذلك ويرصده ويأخذ ما يخص الديوان من ذلك . فأذن كبراء الديوان بذلك ، فانفتح لهم بذلك الباب فولحوه ، ولم يحسبوا للعاقبة من حساب . وزادوا فى الجور والفضائح ، وأظهروا ما فى نفوسهم من القبائح . فساءت الظنون ، واستغاث المستغثون ، وأكثر سخاف الأحلام مما لا طائل تحته من الكلام ، كما قيل فى هذا المعنى :

وكنا نستطب اذا مرضنا

فصار الداء من قبل الطبيب

الى أن زاد التشكى ، وأنهى الأمر الى الوزير ،
فأمر بإبطال ذلك ، وانجلت تلك الغمة .

وفيه أيضا : أعرض طائفة القبائية وتشكروا منا
زنب عليهم من الجمر ك السنوى . فأطلق لهم الأمر
برفعه عنهم .

وفيه : قبضوا على رجل من المفسدين باقليم
المنوفية يقال له راضى النجار ، وأحضروه الى مصر
وقطع رأسه بالرميلة .

وفيه : كتب فرمان الى ناحية البحيرة وصورته :

« صدر فرمان العالى السلطانى ، وأمرنا الجليل
الخاقانى ... الى قدوة النواب المتشرعين نائب البحيرة
زيد علمه ، والى كامل المشايخ من عربان الهنادى
والأفراد والجمعيات والبهجة وبنى عونة عموما —
زيد فى عشيرتهم — بعد وصول التوقيع الرفيع
الهمايولى الحكيمى : تحيطون علما أنكم أنهيتم الى
ديواننا الهمايولى ، أنكم من قديم الزمان منازلكم
أبا عن جد فى قيا فى البحيرة وفدافدها ، وأنكم تحت
قدم الطاعة ، والمحافظة للرعايا والطرق الواقعة
بناحية البحيرة ، والتمستم من غواطف مراحم
سلطنتنا السنية ، ودولتنا الخاقانية ، استقراركم فى
منازلكم القديمة كما كنتم ، حكم السنين الخوالى .
فحيث انه جرت العادة أن قبائل العربان فى الديار

المصرية ، كل قبيلة لها منزلة مخصوصة بهم ،
لا ينازعهم فيها غيرهم .

« ومنزلة البحيرة من قديم الزمان منزلكم . فبحسب
التماسكم من مراحم دولتنا العلية ، قد أقررناكم فى
منازلكم المزبورة كما كنتم قديما نازلين بها من
غير منازع لكم ... بالشروط التى تعهدتم بها ،
وقبلتموها فى حضور صدرنا الأعظم ، وكتبتم بها
سندا عليكم . وهى أن توفوا بعدم التعدى وايصال
الرزية والمضرة ، ولو مقدار ذرة ، الى الرعايا
وديعة خالق البرايا ، والمحافظة على الطرقات ، وعدم
اتلاف شىء من مزروعات أهل البلاد ، واضاعة
مواشيهم ، وألا تسكنوا عندكم شقيا من اللصوص
وقطاع الطريق ، ونهب أموال الناس ، وقتل
النفوس بغير حق شرعى .

« وقد نذرتم على أنفسكم أنه متى اختل شرط
من هذه الشروط المذكورة ، تقومون بدفع مائتى
ألف قرش الى خزينة مصر .

« فبناء على ذلك ، أصدرنا فرماننا الشريف وأمرنا
العالى المنيف ، ليكون معلومكم أنه من قاعدة
الديار المصرية كل قبيلة من العربان لها منزلة تنزلها
مخصوصة بها . وقد أقررناكم فى منازلكم القديمة
فى قيا فى البحيرة وفدافدها بالشروط السابقة الذكر ،
التي التزمتموها ، والنذور التى قبلتموها ، وتعهدتم
بها ، وكتبتم على أنفسكم سندا أنه متى اختل شرط



خيمة البدو

من الشروط المذكورة ، بعد بيان دفعكم المائتي ألف قرش ، يكون اخراجكم من البحيرة وبلادها وفيا فيها ، والطلوع من حقكم .

« فاعملوا بموجب مضمون أمرنا الشريف كما هو مشروح ، وتجنبوا خلاف ما هو مسطور وموضح .. اعلموه ، واعتمدوه غاية الاعتماد .

« والحذر ثم الحذر من المخالفة ا » .

وكتب بمضمونه حجة ، وأمضى عليها قاضي العسكر ، وقيدت بالسجل ، وهى من انشاء صاحبنا اللبيب الأديب ، الناظم النائر ، جامع فضائل المآثر السيد اسماعيل الشهير بالخشاب ، ونصه : « لما ورد الفرمان الشريف الواجب القبول والاحلال والاعظام والتشريف ، اليانعة أزاهر رياض فصاحته ، المحلاة بعقود البلاغة أجياد معانى عبارته ، المشتمل على فصول من الترغيب والترهيب ، التى يعجز كل بليغ لبيب عن سلوك أسلوبها العجيب ، من حضرة مولانا الصدر الأعظم ، والمشير المفخم ، عضد الدولة العلية ولسانها ، وحسامها الماضى وسنانها ... من انجلى عنا ظلام الشرك بصباح غرته السنية واشراق ضياء حسن سيرته المرضية ، مولانا الوزير يوسف باشا — بلغه الله من المرادات ما شاء — خطابا الى سائر الحكام والمشرعين والنواب وسكان اقليم البحيرة من قبائل الأعراب ، ومن التحق بهم من الأبناء والذرارى والعشائر المنجمين معهم فى تلك القدافد والبرارى ، وما تضمنه من تأمينهم فى منازلهم وأوطانهم وعشيرتهم وجيرانهم ، والنظر اليهم بعين الاحسان والرعاية وادخالهم سرادق الحفظ والوقاية ، بشرط أن يكونوا على قدم الطاعة ، وأن يسلكوا سبيل السنة والجماعة ، وأن يتجنبوا الخلاف ، ويعاملوا من يمر بهم بالاكرام والاعزاز والانصاف ، واردين مشرب الوفاق بالاتفاق ، غير مشيرين للفتن والنزاع والشقاق ، وأن لا يتجمعوا على الضلال ويتحزبوا ، ولا يقطعوا الطريق على من يمر بهم

ويتعصبوا » الما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا . « وأقطع حضرة مولانا الصدر الأعظم المشار اليه — خلد الله جزيل نعمه وفضله عليه — كل قبيلة منهم منازلهم المخصوصة بهم الممهودة ، وأظلمهم بظلال أمانه الظليلة الممدودة حين التمسوا ذلك من مراحم دولته ، وعوارف عواطف رأفته ... بعد التزامهم بما سلف من الشروط ، على الوجه المشروح المحرر المضبوط . وعلى أنهم ان عصوا أمره وخالفوه ، ونسوا ما تلى عليهم أو نسخوه ، أو قطعوا الطريق ولهبوا الأموال ، أو آووا شقيامن يفعل ذلك بحال من الأحوال — أخذتهم صاعقة العذاب الهون ، وحل بهم من البلاء مالا يطيقون ، ووقعوا من غضب هذه الدولة العلية عليهم فى العذاب الشديد ... « ذلك بما قدمت أيديهم وأن الله ليس بظلام للعبيد » .. بعد أن تسلب أموالهم ، ويتلاشى حالهم ، حتى يصيروا لا عين ولا أثر ، ولا مخبر ولا خبر ، ولا معالم ولا معاهد ، ولا مشارع ، ولا موارد ... جزاء بما أسلفوا ، وعقابا على ما اقترفوا اذا خالفوا ا

« وعاهد رؤساءهم حضرة مولانا الصدر الأعظم المشار اليه على ما تقدم ذكره . وكتب لهم بذلك التوقيع السلطانى ، والأمر الخاقانى ، المتضمن لما تقدم من المعانى ، المتوج بالعلامة الشريفة ، والطرة السلطانية المنيفة . المبدأ بذكره ، المؤرخ بتاريخه .

« وحضر به الى حضرة مولانا شيخ الاسلام المومى اليه أعلاه ، كل من فلان وفلان ، وهم مشايخ عربان البحيرة المرقومون .

« ولما تأمل فيه ، وأحاط علمه الكريم ببديع معانيه ، ونزه طرفه فى رياض فصوله ، ورآه جاريا على قواعد الشرع وأصوله ، والتمس منه الجماعة المذكورون كتابة حجة متضمنة لفحواه ، مؤكدة له ، مقوية لمعناه ... أمر بكتابة هذا المرسوم ، على

الوجه المشروح المرقوم وقد ذلك بالسجل
المحفوظ ليراجع عند الاحتياج اليه ، والاحتجاج
به .

٥ منه (١١ ديسمبر ١٨٠١ م) :

نزل محمد باشا توسون والى جدة من القلعة
فى موكب ، وتوجه الى العادلية ، قاصدا السفر
الى جدة .

٩ منه (١٥ ديسمبر ١٨٠١ م) :

قبضوا على ثلاثة من النصارى الأروام المتزين
بزي العساكر الانكشارية ، ويعملون القبايح
بالرعية فرموا رقابهم : أحدهم بالدرب الأحمر ،
والثانى بسوق السلاح عند الرفاعى ، والثالث
بالرميلة .

١٠ منه (١٦ ديسمبر ١٨٠١ م) :

أيضا قطعوا رأس على جلبى ، تابع حسين أغا
شنن ، بباب الخرق ، بين المفارق بأمر من الورد .
والسبب فى ذلك أن المرحوم يوسف باشا المذكور
الكبير ، المتوفى بالمدينة المنورة — على ساكنها
أفضل الصلاة والسلام — كان أودع عند حسين
أغا شنن وديعة : فلما ملك الفرنسيين مصر ، وجرى
ما جرى من ورود العرضى ، والصلح وتقضيه .
فاعتقد قصار العقول ، أن الأمر انتهى للفرنسيين ،
فتجاوزوا الحد ، وأغروا ببعضهم ، وتتبعوا
العورات ، وكشفوا عن المستورات ، ودلوا
الفرنسيين على المخبات ، وتقربوا اليهم بكل
ما وصلت اليه همتهم ، وراجت به سلعتهم .

والمسكين المقتول ، مد يده الى بعض ودائع
سيده فاختمها منها ، وتوسع فى نفسه ، وركب
الخيول ، واتخذ له خدما ، وتداخل مع الفرنسيين
وحواشيهم . فاستخفوا عقله ، فاستفسروا منه .
فأخبرهم بالودائع والحبايا ، فاستخرجوها ونفلوها

— وكانت شيئا كثيرا جدا — وأظهر أن ذلك لم
يكن بواسطته ، ليوارى ما اختلسه لنفسه ،
ويكون له عذر فى ذلك .

فلما حضر له سيده صحبة العرضى ، ذهب اليه
وتملق له ، وربط فى رقبتة منديلا فأهمل أمره
الى هذا الوقت ، حتى اطمأن خاطره . ثم انه أحبر
بقصته الوزير ، لعلمه أنه سيطالب بوديعة يوسف
باشا . فأمره بأن يرفع قصته الى القاضى ، ويثبت
تلك الدعوى ، لتبرأ ساحته عند الدولة ... ففعل ،
ثم أمر الوزير بقتل على جلبى المذكور . فقتل
وترك مرميا ثلاثة أيام بليلها .

رمضان

غرفته (٥ يناير ١٨٠٢ م) :

لم يعمل فيه شنك الرؤيا على العادة ، خوفا من
عريضة العساكر . والمحاسب كان غائبا ، فركب
كتفاده بدلا عنه بموكبه فقط . ولم يركب معه
مشايخ الحرف فذهب الى المحكمة ، وثبت الهلال
تلك الليلة . ونودى بالصوم من الغد .

وفيه : أمر الوزير محمد باشا العربى بالسفر
الى البلاد الشامية فبرز خيامه الى خارج باب
النصر ، وخرج هو فى ثالثه وسافر وأشيع سفر
الوزير أيضا . وذلك بعد أن حضرت أجوبة من
الباب الأعلى .

٣ منه (٧ يناير ١٨٠٢ م) :

ارتحل محمد باشا المذكور .

٥ منه (٩ يناير ١٨٠٢ م)

انتقل رئيس أفندى من بيت الألفى وسكن فى
بيت اسماعيل بيك ، وشرعوا فى تعميره واصلاحه
لسكن والى مصر .

١٢ منه (١٦ يناير ١٨٠٢ م)

وصل محمد باشا والى مصر الى شلقان .

١٢ منه (١٧ يناير ١٨٠٢ م) :

ضربت عدة مدافع من الجيزة صباحاً ومساءً .
فقبل انه حضر ستة قناصل الى الجيزة .

١٥ منه (١٩ يناير ١٨٠٢ م) :

حضر القناصل المذكورون الى بيت الوزير
وقابلوه . فخلع عليهم خلعتاً ، ورجعوا الى
أماكنهم بالجيزة .

وفي ذلك اليوم : وصل محمد باشا والى مصر
الى جهة بولاق ، ونصب وطاقه بالقرب من المكان
المعروف بالحلى . ثم انتقل الى جهة قبة النصر .

١٧ منه (٢١ يناير ١٨٠٢ م) :

وصل الى المدينة من باب النصر فى موكبه
وظوائفه ، على غير الهيئة المعتادة ، ولم يلبس
الطلخان تأديبا مع الوزير ، لحصوله بمصر . فتوجه
الى بيت الوزير وأفطر معه .

وفى تلك الليلة : عزل خليل أفندى الرجائى
من دفتردارية الدولة ، وقلد عوضه حسن أفندى
باش محاسب . وسببه : أن الوزير طلب خلعتاً
ليخلعها على والى مصر ، وقناصل الانكليز ،
فتأخر حضورها . فحنق وسأل عن سبب تأخير
المطلوب . فقال الرسول : « ان الخازندار قال :
حتى أستأذن الدفتردار » . فحنق الوزير ، وأمر
بحبس الخازندار ، وعزل الدفتردار . وهرب
السفير الذى كان بينهما .

وفيه : انتقل الأمراء المصرية المرادية من الجيزة
الى جزيرة الذهب ، ونصبوا وطاقهم بها . وأرسلوا
ما كان عندهم من الحريم الى دورهم بمصر .

واستمر ابراهيم بيك وعثمان بيك الحسينى
ومحمد بيك المبدول وقاسم بيك أبو سيف
بالجيزة . ولم تعلم حقيقة حالهم .

ثم فى ثالى يوم ، لحق ابراهيم بيك وباقى

الجماعة بالآخرين ، وخرج اليهم طلبهم ومتاعهم
وأغراضهم .

١٩ منه (٢٣ يناير ١٨٠٢ م) :

ركبوا ليلاً بأجمعهم الى الصعيد من الجهة
الغربية ، وتخلف عنهم قاسم بيك أبو سيف
لمرصه . وكذلك تخلف عنهم محمد أغا أغات
المتفرقه وآخرون .

٢٠ منه (٢٤ يناير ١٨٠٢ م) :

نودى بالأمان على الممالك وأتباعهم ومن
تخلف عنهم أو اقطع منهم ، وكذلك فى ثالى يوم .
وفيه : قلد محمد باشا والى مصر ، حسن أغا
وآلسه على جرجا .

٢٨ منه (اول فبراير ١٨٠٢ م) :

عزل الباشا محمد أغا المعروف بالزربة من
الكتخدائية ، وهو من المصرية ، وولاه كشوفية
الغربية . وتقلد عوضه فى الكتخدائية يوسف أغا
أمين الضريبة سابقاً ، وتقلد كشوفية المنوفية .
وتقلد كشوفية القليوبية .

٢٩ منه (٢ فبراير ١٨٠٢ م) :

ذهب يوسف أفندى الى عند والى مصر
فقلده نقابة الأشراف وألبسه فروة ، بعد أن كان
أهمل أمره .

وفيه : عزل أغات الانكشارية وتولى آخر
عوضه من العشمانية ، ونزل المعزول الى بولاق
ليسافر الى جهة الصعيد .

شوال

السبت ٢ منه (٦ فبراير ١٨٠٢ م) :

خرج جاليش الوزير الى قبة النصر ، ولودى
بمخرج العساكر ، ويكون آخر خروجهم يوم
الاثنين . فشرعوا فى الخروج بأحمالهم ودوابهم .

الاثنين ٥ منه (٨ فبراير ١٨٠٢ م) :

خرج الوزير على حين غفلة الى قبة النصر ،
وتسابع خروج الأتقال والأحمال والعساكر .
وحصل منهم في الناس عريضة وأذية ، وأخذ بعضهم
من عطارين القصرين ثلاثة أرطال بن ثمنها مائة
وعشرون نصف . فرمى له عشرين نصفاً ، فصرخ
الرجل وقال : « أعطني حقى » . فضربه وقتله !
فأغلق الناس الحوانيت ، وانكفوا في دورهم .
فاستمرت جميع حوانيت البلدة مغلقة ، حتى
سافرت العساكر ، وانتقلت من قبة النصر . ولازم
حضرة محمد باشا والى مصر وطاهر باشا على المرور
والطواف بالشوارع ... بالتبديل وثياب التخفيف
ليلاً ونهاراً . ولولا ذلك لحصل من العسكر
ما لا خير فيه .

وفيه : كتبت فرمانات ، وألصقت بالشوارع
ومفارق الطرق مضمونها : بأن لا أحد يتعرض
بالأذية لغيره ، وكل من كان له دعوة أو شكية
فليرفع قصته الى الباشا . وكل انسان يمشى في
زيه وقانونه القديم ، ويلازموا على الصلوات
بالجماعة في المساجد ، ويوقدوا قناديل ليلاً على
اليوت والمساجد والوكائل والخانات التى
بالشوارع ، ولا يمر أحد من العسكر من بعد
الغروب . والذي يمشى بعد الغروب من أهل البلد ،
يكون معه فانوس أو سراج ، ويبيعون ويشترون
بالحق والمصلحة . ولا أحد يخفى عنده أحداً من
عسكر العرضى . والذي يبقى منهم بعد سفر
الوزير من غير ورقة بيده ، يعاقب .

وأن القهاوى المجدثة جميعها تغلق ، ولا يفتح
الا القهاوى القديمة الكبار ، ولا يبيت أحد من
العسكر في قهوة ، ولا يبيعون المسكرات ، ولا
يشترونها .. الا الكفرة سرا . وأمثال ذلك .

فانسرت القلوب بتلك الفرمانات ، واستبشروا
بالعدل .

وفيه : خرجت عساكر وسافرت الى جهة قبلى ،
وعدتهم ستة آلاف . وذلك بسبب الأمراء المصرية
الهربانيين ، وقرر لهم بأن من أتى برأس صنjq فله
ألف دينار ، أو كاشف فله ثلثمائة ، أو جندى أو
مملوك فله مائة .

السبت ١٠ (١٣ فبراير ١٨٠٢ م) :

ركب الوزير من قبة النصر ، وارتحل العرضى
الى الخانكة . وعند ركوبه حضر اليه السيد عمر
أفندى النقيب وبعض التعمين لوداعه ، فأعطاهم
صراً ، وقرأوا له الفاتحة ، وركب . وخرج أيضاً
في ذلك اليوم بقية المشايخ وذهبوا الى الخانكاه
أيضاً ، وودعوه ورجعوا .

الاثنين ١٢ منه (١٥ فبراير ١٨٠٢ م) :

أحضر الباشا محمد أغا الوالى وسليم أغا
المحتسب ، وأمر برمى رقابهما . فقطعوا رأس
الوالى تحت بيت الباشا على الجسر ، والمحتسب
عند باب الهواء . وختم على دورهما في تلك
الساعة . وشاع خبر ذلك في البلد . فارتاع الناس
لذلك واستعظموه ، وداخل الخوف أهل الحرف
مثل : الجزارين والخبازين وغيرهم . وعلقوا
اللحم الكثير بحوانيتهم ، وباعوه بتسعة أنصاف .
بعد أن كانوا يبيعونه بأحد عشر ... مع قتلته
واحتكاره ! وكانوا نبهوا عليهم قبل ذلك ، فلم
يستمعوا .

الثلاثاء ١٣ منه (١٦ فبراير ١٨٠٢ م)

في صبحه : قلد على أغا الشعراوى الزعامة
عوضاً عن محمد أغا المقتول ، وزين الفقار كتخدا
أمين احتساب عوضاً عن سليم أغا أرثوود
المقتول أيضاً .

واجتمعوا ببيت القاضى ، وحضر أرباب الحرف ،
وعملوا قائمة تسعيرة لجميع المبيعات من المأكولات

وغيرها. فعملوا اللحم الضاني بثمانية أنصاف ، والماعز بسبعة ، والجاموسى ستة . وألا يباع فيه شيء من السقط مثل : الكبد والقلب وغير ذلك .

والسمن المسلى بمائة وثمانين نصفاً العشرة أرطال ، بعد أن كانت بثلاثمائة وأربعين . والزبد العشرة بمائة وستين بعد أن كانت بمائتين وأربعين . وجميع الخضراوات تباع بالرطل حتى الفجل والليمون . والجبن الذى بخيره بثلاثة أنصاف ، بعد عشرة . والخبز رطل بنصف فضة .. وكذلك جميع الأشياء العطرية والأقمشة : العشرة أحد عشر . والراوية الماء بعشرة أنصاف ، بعد عشرين . وغير ذلك .

ورسموا بأن الرطل فى الأوزان مطلقا يكون قباني اثنى عشر وقية . وأبطلوا الرطل الزياتى الذى يوزن به الأدهان والأجبان والخضراوات ، وهو أربع عشرة وقية ... فلم يستمر من هذه الأوامر بعد ذلك سوى نقص الأرتال !

ولما برزت هذه الرسوم ، هرع الناس لشراء اللحم والمأكولات حتى فرغ الخبز من الأفران .

وشق المحتسب ، فقبض على جماعة من الخبازين ، وخزم آنافهم ، وعلق فيها الخبز ... وكذلك الجزارون خزمهم وعلق فى آنافهم اللحم !

وأكثر حضرة الباشا وعظماء أتباعه من التجسس وتبديل الشكل والملبوس ، والمرور والمشى فى الأزقة والأسواق حتى أخافوا الناس .

وانكف العسكر عن الأذية ، ولزموا الأدب . ومشى كل أحد فى طريقته وأدبه . ومشت النساء كعادتهن فى الأسواق لقضاء أشغالهن . فلم يتعرض لهن أحد من العسكر ، كما كانوا يفعلون .

الخميس ١٥ منه (١٨ فبراير ١٨٠٢ م) :

ارتحل الوزير من بليس .

السبت ١٧ منه (٢٠ فبراير ١٨٠٢ م) :

سافر خليل أفندى الرجائى الدفتردار المعزول فى البحر من طريق دمياط . وانتقل شريف أفندى الدفتردار الى الدار التى كان بها الأول ، وهى دار البارودى بباب الخرق .

الاثنين ١٩ منه (٢٢ فبراير ١٨٠٢ م) :

كان موكب أمير الحج عثمان بيك ، وصحبته المحمل على العادة . وخرج فى أبهة وروتق ، وانسرت القلوب فى ذلك اليوم الى لقاءه ، ونجز له جميع اللوازم مثل : الصرة وعوائد العربان ، وغير ذلك .

وكان المتقيد بتسهيل ذلك ، وبجميع اللوازم ... حضرة شريف محمد أفندى الدفتردار .

الثلاثاء ٢٧ منه (٢ مارس ١٨٠٢ م) :

شنقوا ثلاثة أنفار فى جهات مختلفة ، تزيوا بزي العسكر ، يقال انهم من الفرنسيين ، افتقدوهم من العسكر المتوجه الى الحج .

وفى ذلك اليوم : عمل حضرة الباشا ديوانا ، وأرسل الجاويشية الى جميع المشايخ والعلماء ، وخلع عليهم خلعا سنوية زيادة على العادة ... أكثر من سبعين خلعة ، وكذلك على الوجاقلية والأفندية . وجبر خاطر الجميع .

وكانت العادة فى هذا التليس أن يكون عند قدومه . والسبب فى تأخيره لهذا الوقت تعويق حضور المراكب التى بها تلك الخلع .

الخميس ٢٩ منه (٤ مارس ١٨٠٢ م) :

انتقل أمير الحج بالركب من الحصوة الى البركة .

وفيه : ركب حضرة محمد باشا الى الامام الشافعى .. فزاره ، وأنعم على الخدمة بستين ألف

فضة ، والبسهم خلعا ، وفرق دنالير ودراهم كثيرة في غير محلها .

وكذلك يوم الجمعة : ركب وتوجه الى المشهد الحسيني . فصلى الجمعة ، وخلع على الامام الراتب ، والخطيب وكبير الخدمة فراوى . وفرق دراهم كثيرة في طريقه ، ورجع من ناحية الجمالية . وكان في موكب جليل على الغاية .

وفيه : أمر المشار اليه بنصب عدة مشايق عند أبواب المدينة برسم الباعة والمتسبين والخبازين وغيرهم . وأكثر أرباب الدرك من المرور والتجسس والتخويف . وعلقوا عدة أناس من الباعة على حوائيتهم وخزموهم من أنافهم ! فرخص السعر ، وكثرت البضائع والماكولات ، وحصل الأمن في الطرق ، وانكفت العربان وقطاع الطريق . فحضرت الفلاحون من البلاد ، وكثر السمن والجبن والأغنام ، وكبر العيش وكثر وجوده ، وانحط سعر السمن من التسعيرة عشرين نصفاً لكثرتة ... والله الحمد ! وهاب الناس هذا الباشا وخافوه ، وصاروا يترمون به في البلاد والأرياف ، ويغنسون يذكره حتى الصبيان في الأسواق ويقولون : « سيدى .. يا محمد باشا .. يا صاحب الذهب الأصفر ! » وغير ذلك .

وكان في مبتدأ أمره يظنه الظمان ماء !

ذوالقعدة

قرنه (٥ مارس ١٨٠٢ م) :

نهب العربان قافلة التجار الواسلة من السويس .

وفيه : حضر السيد أحمد الزرو الخليلي التاجر بوكالة الصابون بديوان الباشا وتداعى على جماعة من التجار ، وثبت له عليهم عشرة آلاف ريال . فأمر الباشا بسجنهم .

٤ منه (٨ مارس ١٨٠٢ م) :

حضر السيد أحمد المذكور الى بيت الباشا ، فأمر بقتله . فقبض عليه جماعة من العسكر ، وقطعوا رأسه عند المشنقة — حيث قنطرة المغربى — على قارعة الطريق . وختموا على موجوده ، وأخذ الباشا ما ثبت له على المحبوسين .

والسبب في ذلك أن بعضهم وشى الى الباشا ، أنه كان يحب الفرنسيين ويميل اليهم ويسألهم ، وعند خروجهم هرب الى الطور خوفاً من العثمانية ، ثم حضر بأمان من الوزير .

٥ منه (٩ مارس ١٨٠٢ م) :

أحضر الباشا محمد أغا المعروف بالوسيع — أغات المغاربة — وأمر بقتله . فقطعوا رأسه على الجسر بركة الأزبكية قبالة بيت الباشا ، لأمور تقمها عليه . وكتبت في ورقة وضعت عند رأسه .

٦ منه (١٠ مارس ١٨٠٢ م) :

توفى قاسم بيك أبو سيف على فراشه .

٨ منه (١٢ مارس ١٨٠٢ م) :

حضر المشار اليه (١) الى الجامع الأزهر بالموكب . فصلى به الجمعة ، وخلع على الخطيب فروة سور ، وفرق وشر دراهم ودنانير على الناس في ذهابه وإيابه .

وتقيد قبي كتحدهاء ، واسماعيل أفندى شقبون بتوزيع دراهم على الطلبة والمجاورين بالأروقة والعميان والفقراء . ففرقوا فيهم نحو خمسة أكياس . وفيه : عمل الشيخ عبد الله الشرقاوى وليمة لزواج ابنه . ودعا حضرة المشار اليه فحضر في يوم الأحد ، وحضر أيضا شريف أفندى وعثمان كتحدهاء الدولة . فتغدوا عنده ، وأنعم على ولد الشيخ بخمسة أكياس رومية ، وألبسه فروة سور ،

(١) يقصد الباشا العثمانى .

والحط الرأى ، بعد اختلاف كبير ، على تقليد ذلك
لمحمد سعد من أولاد جلال الدين .

فلما حضروا فى اليوم الثانى ، أخبروه بذلك ،
وأنه يستحقها الا أنه فقير . فقال : « ان الفقر
ليس بعب . فأحضروه ، وألبسه فروة سمور ،
وأركبه فرسا بعباءة مزركشة ، وأنعم عليه بشانين
ألف درهم . وكان من الفقراء المحتاجين للدرهم
الفردا

ولما ذهب للسلام على الشيخ السادات خلع
أيضا فروة سمور عليه .

٢٤ منه (٢٨ مارس ١٨٠٢ م) :

توفى الى رحمة الله الشيخ مصطفى الصاوى
الشافعى ، وكان عالما نجيبا ، وشاعرا ليليا . وقد
فاهز الستين .

وفيه : جهزت عدة من العسكر الى قبلى .
وفيه : نودى بأن خراج الفدان مائة وعشرون
نصفا ، وكذلك نودى برفع عوائد القاضى والأفندى
التي كانت تؤخذ على اثبات الجامكية والجرابة ،
والرفق بعوائد تقاسيط الالتزام والاقطاع . وكتبوا
بذلك أوراقا وألصقت بالأسواق ، وفي آخرها « لا
ظلم اليوم » (أى ما تقرر الا قبل اليوم) .
فان الفدان بلغ فى بعض القرى بمصاريفه
ومغارمه أربعة آلاف نصف فضة . وأما بدعة القاضى
وعوائد التقاسيط فزادت عن أيام الوزير . وزاد
على ذلك اهمال الأوراق بيت الباشا لأجل العلامة
شهرين وأربعة ، حتى يسأم صاحبها وتحفى أقدامه
من كثرة الذهاب والمجيء ، ومقاساة الذل من
الخدم والأتباع ، ودفع البقشيش والرشوة على
التعجيل ، أو يتركها . وربما ضاعت بعد طول المدة ،
فيحتاج الى استئناف العمل



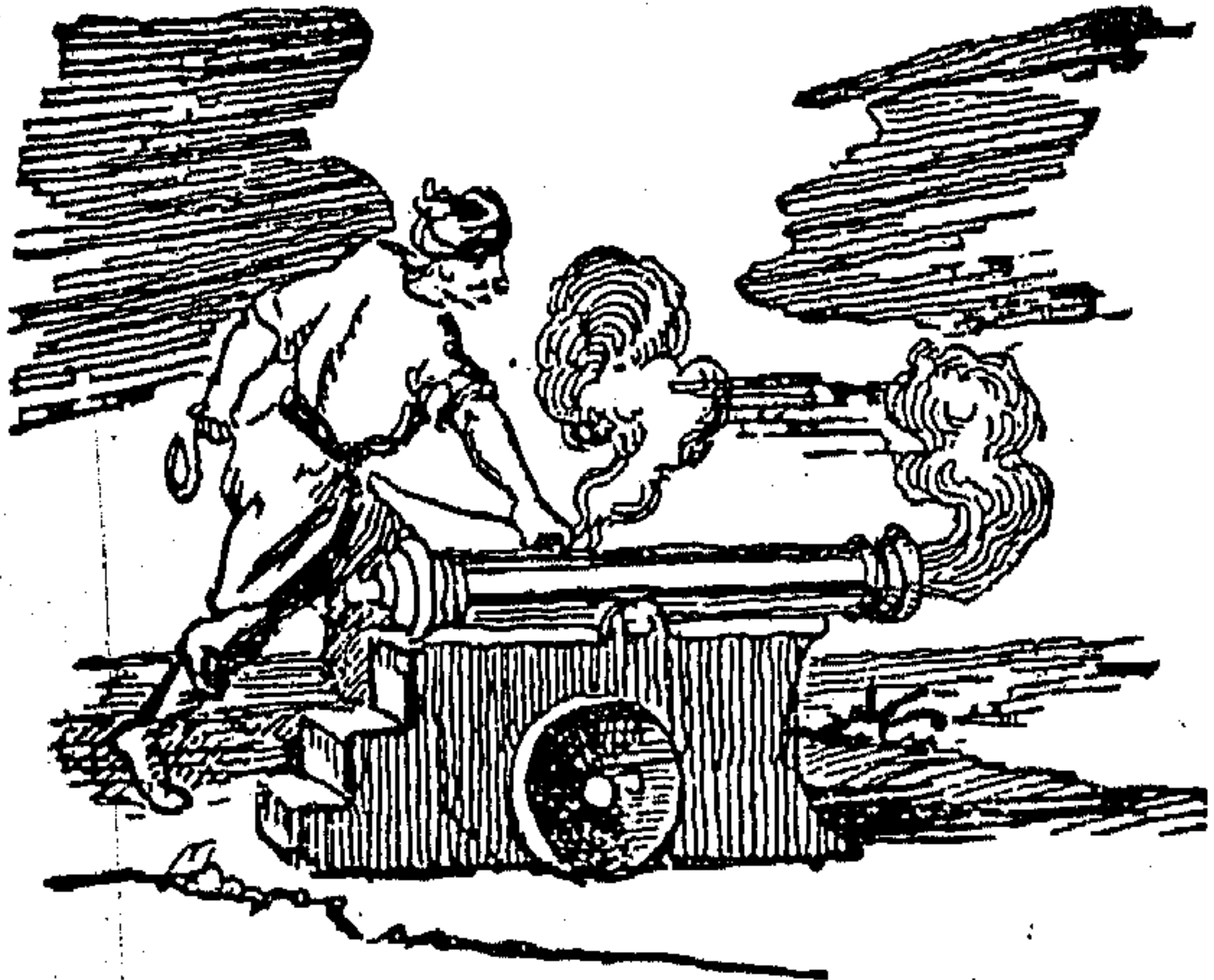
الطلبة وقت الدرس

وفرق على الخدم والفراشين والقراء دنائير ودراهم
بكثرة . وكذلك دفع عثمان كتحدا وشريف أفندى
كل واحد منهم كيسا . وانصرفوا .

فى منتصفه (١٩ مارس ١٨٠٢ م) :

وردت الأخبار من الجهة البحرية بضياع نحو
الحسين مركبا ، حلت مراسيها من ثغر سكندرية ،
مشحونة بمتاجر وبضائع . وكانت معوقة بكرتيلة
الانكليز ، فلما أذنوا لهم بالسراح فما صدقوا
بذلك . فصادفتهم فرتونة خرجت عليهم ، فضاعوا
باجمعهم .. ولا حول ولا قوة الا بالله العلى
العظيم

وفيه : طلب الباشا المشايخ ، وتكلم
معهم فى شأن الشيخ خليل البكرى وعزله
عن وظيفته ، وسأل رأيهم فى ذلك . فقالوا له :
« الرأى لحضرتكم » . فقال : « ان الشيخ
خليل البكرى لا يصلح لسجادة الصديق ، وأريد
عزله عنها من غير ضرر عليه ، بل أعطيه اقطاعا
لنفقته والقصد أن تروا رأيكم فيمن يصلح
لذلك ، ومن يستحق » . فطلبوا المهلة الى غد ،



اطلاق المدافع في الاعياد

ذوالحجّة

الأربعاء ٤ منه (٧ ابريل ١٨٠٢ م) :

حضر خمسة أشخاص من الكشاف القبالي - من أتباع ابراهيم بيك الوالى - الى مصر مان . فقابلوا حضرة والى مصر ، وأنعم عليهم بالبسم خلعا .

وفيه : أنعم على خدامهم .

وفيه : عمل الانكليز كرتيلة بالجيزة ، ومنعوا من يدخلها ومن يخرج منها وذلك لتوهم وفوق الطاعون ، وورود الأخبار بكثرة في جهة قبلى وبعض البلاد البحرية ، وأما المدينة ففيها بعض تفكير .

الاثنين ٩ منه (١٢ ابريل ١٨٠٢ م) :

كان يوم الوقوف بعرفة ، وعملوا في ذلك اليوم شنكا ومدافع ، وحضرت أغنام وعجول كثيرة للاضحية حتى امتلأت منها الطرقات ، وازدحمت الناس وأفراد العسكر على الشراء ، وغيمت السماء في ذلك اليوم ، وأمطرت مطرا كثيرا حتى توحلت الأزقة .

ونودى بفتح الحوانيت والقهاوى والمزينين ليلا ، واظهار الفرح والسرور ، واظهار بهجة العيد . واستمر ضرب المدافع في الأوقات الخمسة .

ونودى أيضا بالمواظبة على الاجتماع للصلوات في المساجد ، وحضور الجمعة من قبل الصلاة بنصف ساعة . وأن يسفوا العطاش من الأسبلة ولا يبيعوا ماءها .

وأشيع سفر الانكليز ، وسفر عثمان كتحدا الدولة ، وتشهيل الخزينة .

الأحد ١٥ منه (١٨ ابريل ١٨٠٢ م) :

حضر قاصد من الديار الرومية بمكاتبات وتقرير نقابة الأشراف للسيد عمر ، وعزل يوسف أفندى .

وفي صباحها ركب السيد عمر المذكور ، وتوجه الى تند الباشا ، فألبسه خلعة سمور ثم حضر الى عند الدفتردار كذلك . وكالت مدة ولاية يوسف أفندى المعزول شهرين ونصفا .

الأربعاء ١٨ منه (٢١ ابريل ١٨٠٢ م) :

خرج أحمد أغا خورشيد أمير الاسكندرية الى بولاق ، قاصدا السفر الى منصبه . وركب الباشا لوداعه في عصرته . وصرخوا عدة مدافع من بولاق وبر انبابة .

ونودى في ذلك اليوم بأن لا أحد يوارى أحدا من الانكليز أو يحييه ، وكل من فعل ذلك عوب .

الأربعاء ٢٥ منه (٢٨ ابريل ١٨٠٢ م) :

قبضوا على امرأة سرقت أمتعة من حمام ، وشنقوها عند باب زويلة .

واقضت هذه السنة ، وما تجدد بها من الحوادث التى من جملتها :

أن شريف أفندي الدفتردار أحدث على « الرزق الأحباسية » المرصدة على الخيرات والمساجد وغيرها « مال حماية » : على كل فدان عشرة أنصاف فضة وأقل وأكثر في جميع الأراضي المصرية القبلية والبحرية . وحرروا بذلك دفاتر فكل من كان تحت يده شيء من ذلك قل أو كثير ، يكتب له عرض حال ويذهب به الى ديوان الدفتردار ، فيعلم عليه علامته ، وهي قوله : « قيد » ، بمعنى أنه يطلب قيوده من محله التي ثبت دعواه . ثم يذهب بذلك العرض حال الى كاتب الرزق ، فيكشف عليها في الدفاتر المختصة بالاقليم الذي فيه الأرصاد بموجب الاذن بتلك العلامة ، فيكتب له ذلك تحتها بعد أن يأخذ منه دراهم ، ويطيب خاطره ... بحسب كثرة الطين وقلته وحال الطالب ، ويكتب تحتها علامته فيرجع به الى الدفتردار ، فيكتب تحتها علامة غير الأولى فيذهب به الى كاتب الميرى فيطالبه حينئذ بسنداته وحجج تصرفه ، ومن أين وصل اليه ذلك فان سهلت عليه الدنيا ، ودفع له ما أرضاه ، كتب له تحت ذلك عبارة بالتركي لثبوت ذلك ، والا تعنت على الطالب بضروب من العلل ، وكلفه بثبوت كل دقيقة براها في سنداته ، وعطل شغله فما سعى ذلك الشخص الا بذل همه في تسييم غرضه بأي وجه كان ... اما أن يستدين أو يبيع ثيابه ، ويدفع مالزمه فان ترك ذلك وأهمله — بعد اطلاعهم عليه — حلوه عنه ورفعوه وكتبوه لمن يدفع حلوانه ثلاث سنوات أو أكثر ، وكتبوا له سنداً جديداً يكون هو المعول عليه بعد ، ويقيد بالدفاتر ويبطل اسم الأول وما بيده من التوقيعات والحجج والافراجات القدية ولو كانت عن أسلافه .

ثم يرجع كذلك الى الدفتردار ، فيكتب له علامة

لكتابة الاعلام . فيذهب به الى الاعلامجي . فيكتب له عبارة أيضاً في معنى ما تقدم ، ويختتم تحتها بختم كبير فيه اسم الدفتردار ، ويأخذ على ذلك دراهم أيضاً . وبعد ذلك يرجع الى الدفتردار فيقرر ما يقرره عليها من المال الذي يقال له « مال الحماية » . ثم يذهب بها الى بيت الباشا ليصحح عليها بعلامته . ويطول عند ذلك انتظاره لذلك . ويتفق اهلها الشهرين والثلاثة عند الفرمانجي . وصاحبها يغدو ويروح في كل يوم .. حتى تحفى قدماءه ، ولا يسهل به تركها بعد ما قاساه من التعب وصرفه من الدارهم فاذا تمت علامتها .. دفع أيضاً المعتاد الذي علي ذلك ، ورجع بها الى بيت الدفتردار .. فعند ذلك يطلبون منه ما تقرر عليها ، فيدفعه عن تلك السنة ، ثم يكتبون له سنداً جديداً ، وبطالب بمصروفه أيضاً — وهو شيء له صورة أيضاً — فلا يجد بداً من دفعه . ولا يزال كذلك .. يغدو ويروح مدة أيام . حتى يتم له المراد !

ومنها المعروف بـ « الجامكية » و « مرتبات الغلال » بالأنبار وذلك أن من جملة الأسباب في رواج حال أهل مصر المتوسطين وغناهم ، ومدار حال معاشهم وإيرادهم في السابق هذان الشيئان . وهما « الجامكية » و « الغلال » التي يغال لها « الجرابات » .. رتبها الملوك السالفة من الأموال الميرية للعساكر المنتسبة للوجاقات ، والمرابطين بالقلاع الكائنة حوالى الاقليم ومنها ما هو للايتام والمشايخ والمتقاعدبن ونحوهم .

وكانت من أروج الايراد لأهل مصر ، وخصوصاً أهل الطبقة الذين ليس لهم اقطاع ولا زراعات ولا تجارات ، كأهل العلم ومساير أولاد البلد والأرامل ونحوهم وثبت وتقرر إيرادها وصرفها في كل ثلاثة أشهر من أول القرن العاشر الى أواخره الثاني عشر . بحيث تقرر في الأذهان عدم اختلالها أصلاً .

أكثرها ، عند فراغها ، على عدم تغيير الأسماء التي رقت بها ، وخصوصا بعد ضعفها ... فيبيعها البائع ويأخذها المشتري بتمسك البيع فقط . ويترك سند الأصل بما فيه من الاسم القديم عنده ، أو تكون باسم الشخص وموت وتبقى عند أولاده . فجعلوا معظمها بهذه الصورة ، وأخذوه لأنفسهم ، وأعطوا منهم لأغراضهم بعد رفع الثلث الأصل ، وثلاث الأيراد . وضاعت على أربابها مع كونهم فقراء !

وكذلك فعلوا في أوراق الغلال ، وجعلوها بدراهم ... عن كل اردب خمسون نصفا : غلا أو رخص . وزادوا في القيود التي تكتب على العرضحالات المصطلحين عليها ... بأن يكتب عليها أيضا قاضى العسكر — بعد حسابهم — مقدار العلوقة والغلال ، ويأخذ على كل عثمانى نصفين أو أقل أو أكثر ، وعلى كل اردب قرشا روميا . وكل ذلك حيلة على أخذ المال بطريق شيطاني !

وحرروا ما حرروه ، ودفعوا للناس ما دفعوه مقسطا على الجمع والشهور . ورضوا بذلك وفرحوا به ، لظنهم دوامه ، واستعوضوا الله فيما ذهب لهم ! وختموا الدفتر على مقدار ما عرض عليهم .. وما ظهر بعد ذلك لا يعمل به ويذهب في المحلول .

ولما انقضت هذه السنة الأخرى ، وافتتح الناس الطلب . قيل لهم : « ان الذى أخذتموه ، هو عن السنة القابلة . وقد قبضتموها معجلة ! » .

وعزل شريف أفندى الدفتردار في أثرها . ووصل خليل أفندى الرجائي ، واضطربت الأحوال ، ولم ينفع القيل والقال .. كما يأتى .

ولما صارت بهذه المثابة ، تناقلوها بالبيع والشراء والفراغ ، وتغالوا في أثمانها ، ورغبوا فيها ... وخصوصا لسلامتها من عوارض الهدم والبناء كما في العقار ، وأوقفوها وأرصدوها ، ورتبوها على جهات الخيرات والصهاريج والمكاتب ومصالح المساجد وثققات أهل الحرمين وأهل بيت المقدس . وأفتى العلماء بصحة وقفها لعله عدم تطرق الخلل . فلما اختلفت الأحوال ، وحدثت الفتن ، وطمع الحكام والولاة في الأموال الميرية ... ضعف شأنها ، وورخص سعرها ، وانحط قدرها ، وافترق أربابها . ولم تزل في الانحطاط والتسفل ، حتى بيع الأصل والأيراد بالغبن الفاحش جدا ، وتعطل بسبب ذلك متعلقاتها . ولم يزل حالها في اضطراب الى أن وصل هؤلاء القادمون ، وجلس شريف أفندى الدفتردار المذكور ، ورأى الناس فيه مخايل الخير لما شاهدوه فيه من البشاشة وظهار الرفق والمكارم ... عرض الناس عليه شأن العلوقة المذكورة والغلال . فلم يمانع في ذلك . وكتب الاذن على الأوراق كعادته ، وذهب بها أربابها الى ديوان الكتبة ، وكبيرهم يسمى حسن أفندى باش محاسب — وهو من العثمانيين — عارض في حسابها وقال : « ان العثماني اسم لواحد الأقبة . وصرفه عندنا بالروم كل ثلاث أفجات بنصف فضة . وما في دفاتركم يزيد في الحساب الثلث ! » . فعورض وقيل له : « ان الأقبة المصرى ، كل اثنين بنصف ، بخلاف اصطلاح الروم ، وهذا أمر تداولنا عليه من قديم الزمان » . ولم يزل حتى فقد ذلك المشروع ومشوا على فقد الثلاث ، ورضى الناس بذلك لظنهم رواج الباقي .. وعند استقرار الأمر بذلك أخذوا يتعنتون على الناس في الثبوت . وقد كان الناس اصطلحوا في

ممن مات في هذه السنة :

الشيخ العمدة الامام ، خاتمة العلماء الاعلام ،
ومسك ختام الجهابذة ذوى الافهام ، ومن افتخر
به عصره على الأعصار ، وصاح بلبل فصاحته في
الأمصار . نسيعة الدهر ، وشامة وجه أهل العصر ،
العالم المحقق ، والنحرير المدقق ، بديع الزمان ،
والتاج المرصع على رؤوس الأقران ، الناظم النائر ،
الفصيح الباهر : الشيخ مصطفى بن أحمد المعروف
بالصاوى .

وسمى بالصاوى نسبة الى بلدته « صوة »
بشرقية بلبس والنسبة اليها على غير قياس .

دخل الأزهر ، واشتغل بالقراءة ، فحفظ القرآن
والمتون ، واشتغل بالعلم ، ومهر وأنجب ، وأقرأ
الدروس ، وختم الختوم ، وشهد له الفضلاء .

وكان لطيف الذات ، مليح الصفات ، رقيق
حواشى الطبع ، مشارا اليه فى الأفراد والجمع ،
مهذب الأخلاق ، جميل الأعراق . اللطف حشو
أهابه ، والفضل لا يلبس غير جلبابه .

ومن نثره ما كتبه تقریظا على المؤلف الذى
آلفه الشيخ محمد عبد اللطيف الطحلاوى ، الذى
ضاهى به عنوان الشرف للعلامة السيوطى ، قوله :
« هذا لمولى يضيق لطاق المنطق عن شكره ،
ويعجز لسان اللسن عن الافصاح بذكره ، يدنى
لب الموحى الى فهم مقامات التوحيد ، ويعرفه
سبل التهجد والتحيد ، ويسعده بنهاية الوصول
الى مقاصد فقه الأصول ... وصلاة وسلاما
على المحمود باكمل ثناء ، الممدوح بأجمل ضياء

وسناء ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه مآلف
كتاب ، وكللت تيجان الربى بلآلىء السحاب .

« أما بعد ، فقد سرحت طرفى فى رياض هذا
التأليف الرائق ، وفرحت بصرى بالمشاهدة لمحاسن
هذا التصنيف الفائق . واقتطعت يمدى ثمرات
أوراقه ، واستنضأت بأنوار اشراقه . وحليت سمعى
بدرر فوائده ، وفكرى بفرر عوائده . وعرضت
على فهمى لآلىء جواهره ، فلاحت لعينى بدور
زواهره ... فاذا هو عقد نظم من درر العلوم ،
وتحلت به غوانى الفهوم : رشيق الألفاظ والمعانى ،
رقيق التراكيب والمباني . لم يسج ناسج على
منواله ، ولم بات بليغ بمثاله . قد أفجم فصحاء
الرجال ، وألقت له البلغاء العصى والجمال .
وأعجز الفصحاء كبيرا وصغيرا ، فلا يأتون بمثله
ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . بفوق بحسنه كل
مؤلف ، ويروق بروقه على كل مصنف . جمع فيه
من العلوم أشرفها وأشرقها ، ومن المعارف أرقها
وأروقها . فهو مجبوع جامع مانع ، وروص نافع
يانع . فلا شك أنه صنعة قادر . وصنعة لبيب ماهر .
« وكيف لا ... وهو العلامة الامام ، والفهامة

الهام . المحقق الفاضل ، المدقق الكامل . جامع شمل
المعارف ، حائز ألوان اللطائف . وحيد الكمالات
للدنية ، وفريد المحاسن الخلقية والخلقية : مولانا
الشيخ محمد عبد اللطيف الطحلاوى ... قابل الله
صنيعه بحسن القبول ، وبلغه من خير الدارين كل
مأمول . وأدام الكريم النفع بوجوده ، وأقام لديه
جزيل احسانه وجوده ... ماكرت اللباني وثمرتها

وذلك يوم الاثنين رابع عشرين شهر القعدة من السنة .

ورثاه الشيخ اسماعيل الزرقاني بقوله :

تداولت الأيام بالعسر واليسر
وتلك شئون الحق في مطلق الدهر

فكيف أرى قلبى على فقد الفه
حزينا ... ودمع العين — من فيضه — يجرى ؟

فقال : لنا في سيد الخلق أسوة
فقد دمت عيناه حزنا كما تدرى

وهذا الذى أمى حليف ضريحه
الى فضله تصبو الأنام مدى العمر

امام له فضل الرواية والحجاء :
فمن ثقله يملى ، ومن عقله يقرى

قوى فهمه ، صارت بنور معيها
ترى من مبادئ الحال عاقبة الأمر

عبت على الأيام في شر عقدها
وقد غاب من أثنائه معدن الدر

فقالت : وما لى ... ذاك جبر موفق
أحب لقاء الله ... أسرع للأجر !

تلقتهم أملاك النعيم تحفه
وتنقله من ورد نهر الى قصر

الى أن يرى وجه العزيز مكانه
ويبقى حيدا في الترقى مع البشر

بمقعد صدق صار عند مليكه
فيا مصطفىاه ، فزت مرتفع القدر

* * *

ومات الأمير عثمان بيك الأشقر الابراهيمى —
وهو من ممالك ابراهيم بيك الكبير — وعرف
بالأشقر لشقرته .

الأيام ، وقطر غيث الغمام . والحمد لله وحده ،
وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده .

ومن ثره أيضا هذه المراسلة : « بسم الله الرحمن
الرحيم . نحمدك يا من أجريت المقادير على وفق
الارادة ، وجعلت المطالب سببا للافادة والاستفادة ،
ونشكرك على ما أوليتنا من سوابغ الاحسان ،
ومنحتنا من سوابق الفضل والامتنان ، ونصلى
ونسلم على نبيك سيد ولد عدنان .. الى آخره » .

من اهدائه : « .. لحضرة ذوى المهابة والفخار ،
والعلو والاقدار ، الجامعين بين المتاجر والمفاخر ،
الحائزين لجمال الأول والآخر ، القاطنين بخير
البلاد ، القائمين بمصالح العباد ... مصايح الدنيا
وبهجتها ، وكواكب البلاد وتحفتها ، حماة حرم
يجبى اليه الثمرات ، وزينة محل تقضى به الحاجات ،
عين أعيان المكاسب والتجارة ، وزين أبناء المطالب
والاشارة ، نغنى بذلك فلانا وفلانا . أسبغ الله
عليهم سوابغ الانعام ، وأسبل عليهم حلل الجود
والاكرام ، وأصلح لهم الأحوال ، وبلغهم الأمانى
والآمال ، وبسط لهم الأرزاق ، وجباهم بلطفه
الخلق .

« أما بعد بسط كف الرجاء ، ومد سواعد القصد
والالتجاء بدعوات مقرونة بالانابة ، ليس لها
حاجب عن أبواب الاجابة . فما يعرض عليكم ،
وينهى بعد السلام اليكم ... أنه قد وصل الينا
رقيمكم المكنون ، المحتوى على الدر المصون
فشمنا منه نفحات مكية حرمية ، ونسيمات سحرية
بهية . فتعطرنا بطيب مسكها الأذفر ، وتطيننا بعير
عنبرها الأزهر . وذكرتم أنكم بذلتم المجهود ، في
طلب المقصود ... الخ » .

وله غير ذلك كثير ، وحاله وفضله شهير . ولم
يزل يملى وينفد ، ويكرر ويعيد . حتى قطفت يد
الأجل نواره ، وأطفأت رياح المنية أنواره .

وكان قتل مع من قتل بأبى قير ودفن باسكندرية.
وكان ذاحشة وسكون ، وحسن عشرة مع ما فيه
من الشح .

ومات الأمير عثمان بك الجوخدار المعروف
بالطنبرجى المرادى — وهو من مماليك مراد بك .
وكان أميرا لا بأس به ، وجيه الشكل ، عظيم
الliche ، ساكن الجاش ، فيه ثؤدة وعقل . وسبب
تلقبه بالطنبرجى : أنه كان فى غفوان أمره مولما
بساع الآلات وضرب الطنبور ، وربما باشر ضربه
بيديه ، مع الاتقان لذلك ، فغلبت عليه الشهرة بذلك .

ومات الأمير مراد بك — المعروف بالصغير —
وهو من مماليك محمد بك أبى الذهب . وكان
يعرف بمراد كاشف ، وله إيراد واسع ومماليك .
تقلد الامارة والصنحية فى سنة ١٢٠٦ فزادت
وحاشته . وسافر مع عثمان بك الأشقر وأحمد
بك الحسنى مع القبودان . وقتل كذلك بأبى قير
ودفن بالاسكندرية .

ومات الأمير قاسم بك أبو سيف — وهو
مملوك عثمان بك أبى سيف — وكان يعرف بقاسم
كاشف أبى سيف . وكان له إقطاع والتزام وإيراد .
واشتهر ذكره فى أيام مراد بك ، وبنى له دارا
بالناصرية وأنفق عليها أموالا جمة .

وكان له ملكة وفكرة فى هندسة البناء ،
واستأجر قطعة عظيمة من أراضى البركة الناصرية
تجاه داره من وقف المولوية ، وسورها بالبناء ،
وبنى فى داخلها قصرا مزخرفا بركة متسعة ، وقسم
تلك الأرض بتقاسيم للمزارع ، وحولها طرق

ممهدة مستطيلة ، ومجار للمياه التى تصل إليها أيام
النيل ، ومجار أخرى عالية مبنية بالمؤن والخافى ،
من داخلها تجرى فيها المياه من السواقى ويحيط
بذلك جميعه أشجار الصفصاف المتداية القطاف ،
وبداخل تلك البركة المنقصة ، النخيل والأشجار ،
ومزارع المقائىء والبرسيم والغلة وغيرها . يشرح
فيها النظر من سائر جهاتها ، وتنشرح النفوس فى
أرجائها ومساحاتها . وجعل السواقى فى ناحية ،
تجتمع مياهها فى حوض ، وبأسفله أنابيب تتدفق
منها المياه الى حوض أسفل منه ، وعندده مجلس
ومساطب للجلوس ، وتجرى منه المياه الى المجارى
المخففة المرتفعة ، ومنها تنصب من مصبات من حجر
الى أحواض أسفل منها ... صفار ، وتجرى الى
مساقى المزارع . وعند كل مصب منها محل للجلوس
وعليه أشجار تظله ، وبوسطه أيضا ساقية بفوهتين
تجرب منها المياه أيضا .

والقصر يشرف على ذلك كله ، وحول رحبة
القصر وطرق المشاة ، كروم العنب والتكعيب .
وأباح للناس الدخول إليها ، والتنزه فى رياضها ،
والتفريح فى غياضها ، والسروح فى ظلها ، والتفريق
فى ظلالها . وسماها « حديقة الصفصاف والآس » لمن
يريد الحظ والائتناس . ونقش ذلك فى لوح من
الرخام وسمره فى أصل شجرة يقرأها الداخلون
إليها . فأقبل الناس على الذهاب إليها للنزاهة ،
ووردوا عليها من كل جهة ، وعملوا فيها قهاوى
ومساقى ومفارش وأبنخا يفرشها القهوجية للعامة ،
وقللا وأباريق .

واجتمع بها الخاص والعام ، وصار بها مقان
وآلات ، وغوان ومطربات ، والكل يرى بعضهم
بعضا . وجعل بها كراسى للجلوس ، وكنيفات لقضاء
الحاجة .

وجعل للقصر فرشاً ومساند ولوازم ومخادع لنفسه

ولمن يأتي اليه بقصد النزاهة من أعيان الأمراء
والأكابر، فيبيتون به الليالي، ولا يحتاجون لسوى
الطعام، فيأتى اليهم من دورهم .

وزاد بها الحال، حتى امتنع من الدخول إليها
أهل الحياء والحشمة !

وأنشأ تجاهها أيضا على يسار السالك الى طريق
الخلاء، بستانا آخر على خلاف وضعها .

وأخبرنى المترجم أيضا من لفظه أنه أنشأ بستانا
بناحية قبلى أعجب وأغرب من ذلك .

ولما حضر حسن باشا الجزائرلى الى مصر،
وخرج منها أمراؤها .. تخلف المترجم عن مخدمه
واستقر بمصر، فقلدوه الامارة والصنجدية فى سنة
احدى ومائتين وألف . فعظمت امرته، وزادت
شهرته، وتقلد امارة الحج مرتين .

ولما أوقع العثمانية بالأمراء المصرية ما أوقعوه،
وانفصلوا من حبس الوزير، وانضبوا الى الانكليز
بالجيزة . ثم انتقلوا الى جزيرة الذهب، وارتحلوا
منها الى قبلى .. تخلف عنهم المترجم لمرض اعتراه،
وحضر الى مصر ولازم الفراش . فلم يزل حتى مات
فى يوم الخميس سادس القعدة من السنة .

وكان يخضب لحيته بالسواد مدة سنين ...
رحمه الله .

ومات ابراهيم كنتخدا السنارى الأسود —
وأصله من برابرة دنقلة — وكان بوابا فى مدينة
المنصورة، وفيه نباهة، فتدخل فى الغز القاطنين
هناك، مثل الشابورى وغيره، بكتابة الرقى
وضرب الرمل ونحو ذلك ! ولبس ثيابا بيضا، ثم
تعاشر مع بعضهم، وركب فرسا، وانتقل الى

الصعيد مع من اختلط بهم، وتداخل فى أتباع
مصطفى بيك الكبير .

ولهم يزل حتى اعتشر بالأمير المذكور، وتعلم
اللغة التركية، فاستعمله فى مراسلاته وقضاياها .
فنقل فتنة ونميمة بين الأمراء، فأراد مراد بيك
قتله . فالتجأ الى حسين بيك وخدمه مدة . ثم
تحيل والتجأ الى مراد بيك وعاشره وأحبه ولازمه
فى الغربة والأسفار، واشتهر ذكره، وكثر ماله،
وصار له التزام وايراد . وبنى داره التى بالناصرية،
فصرف عليها أموالا، واشترى الممالك الحسان،
والسرارى البيض .

وتداخل فى القضايا والمهمات العظيمة، والأمور
الجسيمة، وصار من أعظم الأعيان المشار اليهم
بمصر . ولما ذكره، وعظم شأنه، وباشر بنفسه
الأمور من غير مشورة الأمراء . فكان يحل ما يعقده
الأمراء الكبار .

ولما تحجب مخدمه بقصر الجيزة .. كان المترجم
لسان حاله فى الأمر والنهى، ويده مقاليد الأشياء
الكلية والجزئية، ولا يحجب عن ملاقة مخدمه
فى أى وقت شاء . فின்றى اليه ما يريد تنفيذ
بحسب غرضه !

واتخذ له أتباعا وخداما يقضون القضايا،
ويسمعون فى المهمات، ويتوسطون لأرباب الحاجات
ويصانهم الناس — حتى الأكابر — ويسمعون الى
دورهم !

وصاروا من أرباب الوجاهات والثروات .
ولم يزل ظاهر الأمر، نامى الذكر، حتى وقعت
الحوادث، وسافر الفرنسيون، ودخل العثمانية .
ورجع قبودان باشا الى أبى قير . فأرسل يطلبه فى
جملة من استدعاهم اليه، وقتل مع من قتل، ودفن
بالاسكندرية .

٩ منه (١٢ مايو ١٨٠٢ م) :

حضر كبير الانكليز من الاسكندرية ، ونصبوا
وطاقهم ببر انبابة .

١٠ منه (١٣ مايو ١٨٠٢ م) :

عدى كبير الانكليز ومعه عدة من أكابرهم .
فتها لملاقاته الباشا ، واصطفت العساكر عند بيت
الباشا ، ووصل الانكليز الى الأزبكية ، وطلعوا
الى عند الباشا وقابلوه . فخلع عليهم وقدم لهم
خيلا وهدية . ثم نزلوا وركبوا ورجعوا الى
وطاقهم ، وعند ركوبهم ضربوا لهم عدة مدافع ،
فلم يعجب الباشا ضربها ، فأمر بحبس الطبخية
لكونها لم يضربوها على نسق واحد .

وفيه : وردت الأخبار بأن الانكليز أدخلوا القلاع
بالاسكندرية ، وسلموها لأحمد بيك خورشيد ...
وذلك يوم الاثنين ثامنه . وأبطلوا الكرتيلة أيضا ،
وحصل الفرج للناس ، وانطلق سبيل المسافرين برا
وبحرا ، وأخذ الباشا في الاهتمام بتشهيل الانكليز
المسافرين الى السويس والقصير ، وما يحتاجون
اليه من الجمال والأدوات وجميع ما يلزم . ولما حضر
الانكليز الى عند الباشا ، دعوه الى الحضور الى
عندهم . فوعدهم على يوم الجمعة .

١٣ منه (١٦ مايو ١٨٠٢ م) :

ركب الباشا وصحبه طاهر باشا ، في نحو
الخمسين ، وعدى الى الجيزة بعد الظهر . ووقفت
عساكر الانكليز صفوفًا ، رجالًا وركبانًا ، وبأيديهم
البنادق والسيوف ، وأظهروا زيتهم وأبهتهم

المعزم

في غرته (٤ مايو ١٨٠٢ م) :

تواترت الأخبار بحصول الصلح العمومي بين
القرانات جميعا ، ورفع الحروب فيما بينهم .

وفيه : ترادفت الأخبار بأمر عبد الوهاب وظهور
شأنه ، من مدة ثلاث سنوات من ناحية نجد ،
ودخل في عقيدته قبائل من العرب كثيرة ، وبث دعائه
في أقاليم الأرض . ويزعم أنه يدعو الى كتاب الله
سبحانه وتعالى وسنة رسوله ، ويأمر بترك البدع
التي ارتكبتها الناس ومشوا عليها ... الى غير ذلك .

وفيه : سافر عثمان ، كتحدا الدولة ، الى الديار
الرومية ، ونزل الى بولاق ، وضربوا له عدة
مدافع ، وأخذ صحبته الخزينة ، وسافر معه مختار
أفندي بن شريف أفندي دفتر دار مصر .

وفي هذه الأيام : حصلت أمطار متتابعة وغيام
ورعود وبروق عدة أيام . وذلك في أواسط نيسان
الرومي .

وفي ذلك اليوم : نهوا على الوجاقات والعساكر
بالحضور من الغد الى الديوان لقبض الجامكية .
فلما كان في صباحها يوم الثلاثاء ، نصبوا صيوانا
كبيرا ببركة الأزبكية ، وحضر العساكر والوجاقلية
بترتيبهم ، ونزل الباشا بموكبه الى ذلك الصيوان
وهو لابس على رأسه الطلخان والقفطان الأطلس
— وهو شعار الوزارة — ووضعوا الأكياس
وخطفوها على العادة القديمة ، فكان وقتا
مشهودا .

— وذلك عندهم من التعظيم للقادم — فنزل الباشا ودخل القصر ، فوجدهم كذلك صفوفًا بدلهيز القصر ومحل الجلوس . فجلس عندهم ساعة زمانية ، وأهدوا له هدايا وتقادم . وعند قيامه ورجوعه ، ضربوا له عدة مدافع على قدر ما ضرب لهم هو عند حضورهم اليه .

فلقد أخبرني بعض خواصهم أن الباشا ضرب لهم سبعة عشر مدفعًا ، ولقد عددت ما ضربه الانكليز للباشا فكان كذلك .

وأخبرني حسين بيك وكيل قبطان باشا — وكان بصحبة الباشا عند ذهابه الى الانكليز — قال : « كنا في نحو الخمسين والانكليز في نحو الخمسة آلاف .. فلو قبضوا علينا في ذلك الوقت لملكوا الاقليم من غير ممانع .. فسبحان المنجي من المهالك ! »

وإذا تأمل العاقل في هذه القضية يرى فيها أعظم الاعتبار والكرامة لدين الاسلام . حيث سخر الطائفة الذين هم أعداء للملة ، هذه لدفع تلك الطائفة ومساعدة المسلمين عليهم . وذلك مصداق الحديث الشريف وقوله صلى الله عليه وسلم : « ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » . فسبحان القادر الفعال .

واستمرت طائفة كبيرة بالاسكندرية من الانكليز ، حتى يريد الله ! وفي ذلك اليوم : سافرت الملاقاة للحجاج بالوش .

وفيه : وصلت مكاتبات من أهل القدس وبافا والخليل يشكون ظلم محمد باشا أبي مرق ، وأنه أحدث عليهم مظالم وتفاريد ، ويستغيثون برجال الدولة . وكذلك عرضوا أمرهم لأحمد باشا الجزائر . وحضر الكثير من أهل غزة وبافا والخليل والرملة هروبًا من المذكور .

وفي ضمن المكاتبات : أنه حفر قبور المسلمين والأشراف والشهداء ببافا ونشهم ، ورمى عظامهم ، وشرع يبني في تلك الجبانة سورًا يتحصن به ، وأذن للنصارى ببناء دير عظيم لهم ، ومكنهم أيضا من مغارة السيدة مريم بالقدس ، وأخذ منهم مالا عظيماً على ذلك . وفعل من أمثال هذه الفعال أشياء كثيرة !

وفيه : حضر جماعة من العسكر القبالي ، وصحبتهم أربعة رؤوس من المصرية ، وفيهم رأس على كاشف أبي قيات . وتواترت الأخبار بوقوع معركة بين العثمانية والمصرية ، وكانت الغلبة على العثمانية ، وقتل منهم الكثير ... وذلك عند أرمنت . ورأس عصبة المصرية الألفى وصحبه طائفة من الفرنسيين ، وتجمع عليهم عدة من عسكر الفرنسية والعثمانية طمعا في بذلهم . وأن عثمان بيك حسن انفراد عنهم وأرسل يطلب أمانا ليحضر . فأرسلوا له أمانا ، فحضر الى باشة الصعيد ، وخلع عليه فروة سمور ، وقدم له خيلا وهدية .

وفيه : ورد الخبر بنوت محمد باشا طوسون والى جدة وكذلك خازن داره .

١٤ منه (١٧ مايو ١٨٠٢ م) :

شرع الانكليز المتوجهون الى جهة السويس في تعدية البر الشرقي ، ونصبوا وطاقهم عند جزيرة بدران ، وبعضهم جهة العادلية . وذهبت طائفة منهم جهة البر الغربي متوجهين الى القصير . واستقروا بعدون عدة أيام ، ويخضر أكابرهم عند الباشا ، ويركبون فيرمون لهم مدافع خال ركوبهم الي أمانتهم .

٢٢ منه (٢٥ مايو ١٨٠٢ م) :

عدى حسين بيك وكيل القبطان الى الحيرة وتسلمها من الانكليز ، وأقام بها وسكن بالقصر .

٢٥ منه (٢٨ مايو ١٨٠٢ م) :

وصل الى ساحل بولاق أغا ، وعلى يده شالات وأوامر . وحضر أيضا عساكر رومية ، فأرسلوا عدة منهم الى الجيزة . فركب ذلك الأغا في موكب من بولاق الى بيت الباشا . فخلع عليه وقدم له مقدمة ، وضربوا له عدة مدافع .

وفيه : حضر ططرى من ناحية قبلى بالأخبار بما حصل بين العثمانية والمصرية ، وطلب جبخانة ولوازمها .

وفيه : وصلت الأخبار بأن أحمد باشا أرسل عسكرا الى أبى مرق من البر والبحر فأحاطوا بيافا ، وقطعوا عنهم الجالب ، واستمروا على حصاره .

وفيه : اتخذ الباشا عسكرا من طائفة «التكرور» الذين يأتون الى مصر بقصد الحج ... فمروضهم واختار منهم جملة . وطلبوا الخياطين ففصلوا لهم قناتيش قصارا من جوخ أحمر ، وألبسة من جوخ أزرق ، وصدریات ... وجميعها ضيقة مقمطة مثل ملابس الفرنسيين ، وعلى رؤوسهم طراير حمراء

وأعطوهم سلاحا وبنادق ، وأسكنوهم بقلعة الجامع الظاهري خارج الحسينية ، وجعلوا عليهم كبرا يركب فرسا ويلبس فروة سمور . وجمع الباشا أيضا العبيد السود ، وأخذهم من أسيادهم بالقهر ، وجعلهم طائفة مستقلة ، وألبسهم شبه ما تقدم ، وأركبهم خيلا ، وجعلهم فرقتين : صفارا وكبارا ، واختارهم للركوب اذا خرج الى الخلاء ، وعليهم كبير معلمهم هيئة اصطفاغ الفرنسيين وكيفية أوضاعهم ، والاشارات بمرش وأردبوش وكذلك طلب الممالك ، وغصب ما وجده منهم .. من أسيادهم واختص بهم وألبسهم شبه لبس الممالك المصرية ، وعمائم شبه عمائم البحرية الأروام ، ويلكات وشراويل . وأدخل فيهم ا وجده من الفرنسيين ، وجعل لهم كبرا أيضا من الفرنسيين يعلمهم الكر والفر والرمى ببندق . وفى بعض الأحيان يلبسون زرديات وخودا ، وبأيديهم السيوف المسلوطة . وسوا ذلك كله « النظام الجديد » .

من

٢ منه (٤ يونيه ١٨٠٢ م) :

وصل سعيد أغا وكيل دار السعادة ، وهو فحل



معركة بين العثمانية والمصرية

أسر ، فحضر عند الباشا ، فقابله وخلع عليه وقدم له مقدمة ، وضربوا له عدة مدافع أيضا .

٩ منه (١١ يونيو ١٨٠٢ م) :

عمل الباشا ديوانا ، وحضر القاضي والعلماء والأعيان ، وقرأوا خطا شريفا حضر بصحبة وكيل دار السعادة . بأنه ناظر أوقاف الحرمين .

١٢ منه (١٥ يونيو ١٨٠٢ م) :

قتل الباشا ثلاثة أشخاص من النصارى المشاهير وهم : الطون أبو طاقية ، وإبراهيم زيدان ، وبركات معلم الديوان سابقا . وفي الحال أرسل الدفتردار فحتم على دورهم وأملاكهم ، وشرعوا في نقل ذلك الى بيت الدفتردار على الجمال ليبيع في المزاد . فبدأوا باحضار تركة الطون أبى طاقية ، فوجد له موجود كثير من ثياب وأمتعة ومصاغ وجواهر وغيرها ، وجواري سود وجوش ، وساعات واستمر سوق المزاد في ذلك عدة أيام .

وفيه : تواترت الأخبار بأن بونا برته خرج بعصابة كبيرة ليحارب الجزائر ، وأنه انضم الى طائفة الفرنسيين « الأسبانيول » و « النامرطان » وتفرقوا في البحر وكثر اللفظ بسبب ذلك ، وامتنع سفر المراكب ، ورجع الانكليز الى قلاع الاسكندرية واستمرت هذه الاشاعة مدة أيام ، ثم ظهر عدم صحة هذه الأخبار ، وأن ذلك من اختلاقات الانكليز .

١٧ منه (١٩ يونيو ١٨٠٢ م) :

حضر جاويز الحج ، وصحبته مكاتبات الحاج من العقبة ، وضربوا لحضوره مدافع ، وأخبروا الأمن والرخاء والراحة ذهابا وإيابا ، ومشوا من الطريق السلطاني ، وتلقتهم العربان وفرحوا بهم .

٢١ منه (٢٢ يونيو ١٨٠٢ م) :

وصل الحجاج ، ودخلوا الى مصر .
وفي صباحها : دخل أمير الحج وصحبته المحمل

٢٢ منه (٢٥ يونيو ١٨٠٢ م) :

سافر حسين أغا شنن وزين الفقار كتحدا ، وصحبتهما على كاشف ، لملاقاة عثمان بيك حسن ، وأخلوا له دار عبد الرحمن كتحدا بحارة عابدين .

٢٨ منه (٣٠ يونيو ١٨٠٢ م) :

حضر عثمان بيك حسن ، فأرسل اليه الباشا أعيان أتباعه من الأغوات وغيرهم والجنائب ، فحضر بصحبتهم وقابل حضرة الباشا ، وخلع عليه خلعة ، وقدم له مقدمة . وذهب الى الدار التي أعدت له ، وحضر صحبته صالح بيك غيطاس وخلافه من الأمراء البطالين ، ومعهم نحو المائتين من الغز والماليك ... سكن كل من الأمراء والكشاف في مساكن أزواجهم . فكانوا يركبون في كل يوم الى بيت عثمان بيك ، ويذهبون صحبته الى ديوان الباشا . ورتب له خمسة وعشرين كيسا في كل شهر .

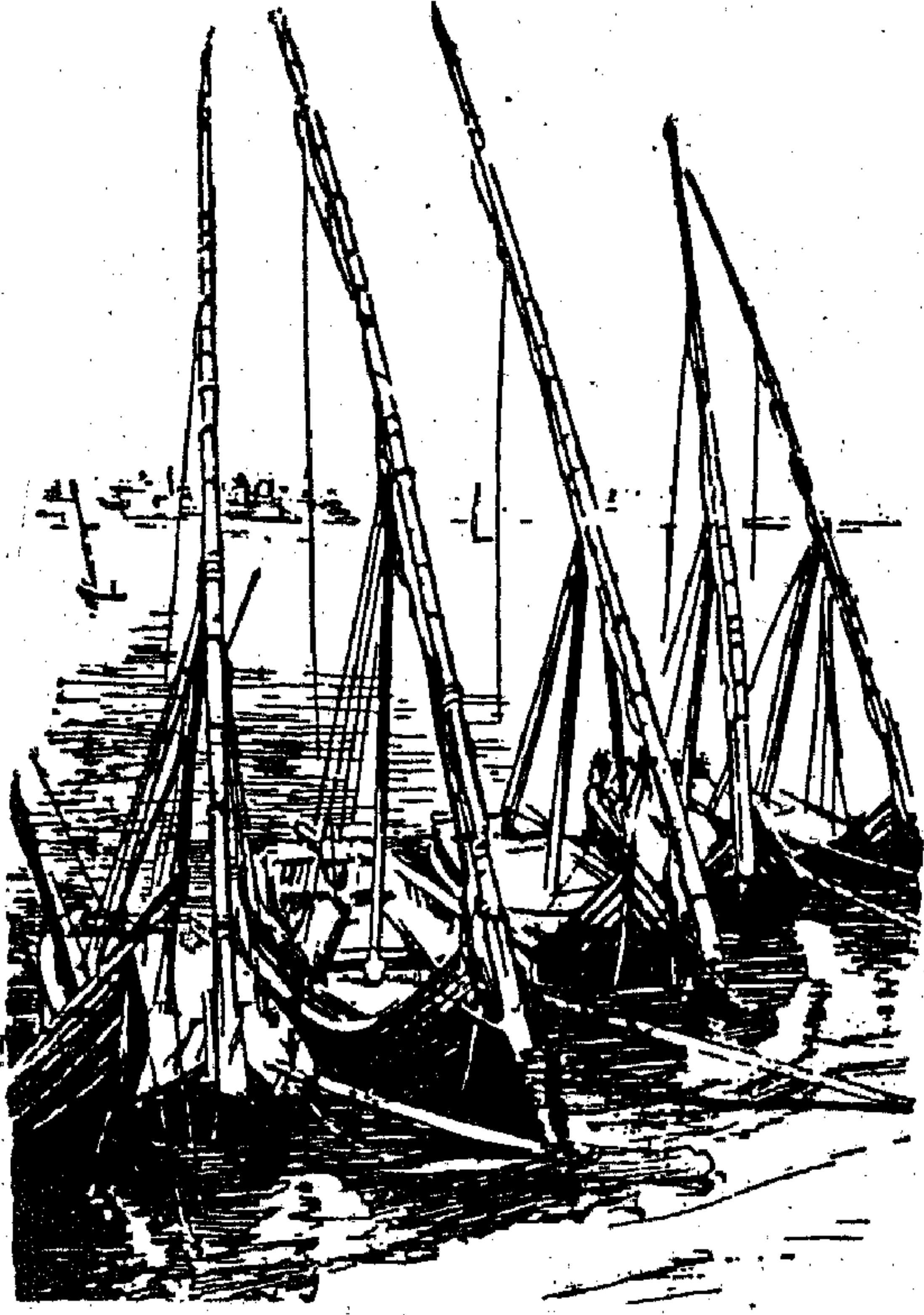
ربيع الأول

غرفته (٢ يولية ١٨٠٢ م) :

شرعوا في عمل المولد النبوي ، وعملوا صواري ووقدة قبالة بيت الباشا وبيت الدفتردار والشيخ البكري ، ونصبوا خياما في وسط البركة .

٨ منه (٩ يولية ١٨٠٢ م) :

نودي بتزيين البلد وفتح الأسواق والحوانيت ، والسهر بالليل ثلاث ليال : أولها صبح يوم الجمعة وآخرها الأحد ليلة المولد الشريف . فكان كذلك . وفي ليلة المولد : حضر الباشا الى بيت الدفتردار باستدعاء وتعشى هناك ، واحتفل لذلك الدفتردار ،



الراكب بعد حجزها

شرعوا في تسفير عساكر أيضا ، وسارى عسكرهم
طاهر باشا ، وأخذ في التشهيل والسفر .

١٥ منه (١٦ يولية ١٨٠٢ م) :

عدى طاهر باشا الى البر الغربى وتبعته العساكر .
وفى ذلك اليوم : حضرت مكاتبة من الأمراء
القبالي . ملخصها : أن الأرض ضاقت عليهم ،
واضطروهم الحال والضيق وفراق الوطن الى ما كان
منهم ، وأنهم فى طاعة الله والسلطان ، ولم يقع منهم
ما يوجب ابعادهم وطردهم وقتلهم . فانهم خدموا
وجاهدوا وقاتلوا مع العثمانية ، وأبلسوا مع
الفرنساوية ، فجوزوا بضد الجزاء . ولا يهون
بالنفس الذل والاقبال على الموت . فاما أن تعطونا
جهة تقيم فيها ، أو ترسلوا لنا أهلنا وعيالنا ،
وتسهلوا لنا مراكب على ساحل القصير فنسافر فيها
الى جهة الحجاز ، أو تعيينوا لنا جهة تقيم بها نفوسنا
خمسة أشهر مصحافة ما نخطب الدولة فى أمرنا

وعمل له حراقة لغوط وسوارينغ ، حصنة من الليل .
وفيه : وصلت الأحبار بكثرة عريضة الأمراء
القبالي . وتجمع عليهم الكثير من غوغاء العتوف
والهواراة والغربان ، ووصلوا الى الحربى أسيوط .
وخافتهم العساكر العثمانية ، وداخلهم الرعب
منهم ، وتحصن كل فريق فى الجهة التى هو فيها .
وانكشوا عن الاقدام عليهم ، وهابوا لقاءهم ...
مع ما هم عليه من الظلم والفجور والفسق بأهل
الريف ، والعسف بهم ، وطلبهم الكلف الشاقة ،
والقتل والحرق . وذلك هو السبب الداعى لنفور
أهل الريف منهم وانضمامهم الى المضربية .

ومن جملة أفاعيلهم التى ضيقت المنافس وأخرجت
الصدور — حتى أعظم الدولة — حجزهم المراكب
ومنغهم السفار .. حتى تعطلت الأسباب ، وامتنع
حضور الغلال من الجهة القبلىة ، وخلت عرصات
الغلة والسواحل من الغلال ... مع كثرتها فى بلاد
الصعيد . ولولا تشديد الباشا فى عدم زيادة سعر
الغلة .. لغلت أسعارها . وأمر بأن لا يدخلوا الى
الشون والحواصل شيئا من الغلة ، بل يباع ما يرد
على الفقراء حتى يكتفوا .

وفى كل وقت يرسلون أوراقا وفرمانات الى
العساكر باطلاق المراكب ، فلا ينتثلون . ويحجز
الواحد منهم أو الاثنان المركب التى تحمل الألف
أردب ، ويربطونها بساحل الجهة التى هم بها ،
وتستمر كذلك من غير منفعة . وربما مرت بهم
المراكب المشحونة بالغلة فيأخذون منها النواتية
والرس يستخدمونها فى مراكبهم ، ويأخذ غيرهم
المراكب فيرمى ما بها من الغلال على بعض السواحل
ان لم يجدوا من يشتريه ، ويأخذون المراكب
فيربطونها عندهم ... وأمثال ذلك ما تقصر عنه
العبارة .

ولما تواترت هذه الأخبار عن الأمراء القبالي ،

ويرجع لنا الجواب ، "ونعمل بمقتضى ذلك . فان لم تجيبونا لشيء من ذلك فيكون ذنب الخلائق في رقابتكم .. لا رقابتنا !

وورد الخبر عنهم أنهم رجعوا القهقري الى قبلى . فلما حضرت تلك المكاتبة ، فاشتوروا في ذلك ، وكتبوا لهم جوابا بامضاء الباشا والدقتردار والمهايخ ، حاصله الأمان ... لما عدى ابراهيم بيك والألفى والبرديسى وأبو دياب ، فلا يمكن أن يؤذن لهم بشيء حتى يرسلوا الى الدولة ، ويأتى الاذن بما تقتضيه الآراء . وأما بقيتهم فلمهم الأمان والاذن بالحضور الى مصر ، ولهم الاعزاز والاکرام . ويسكنون فيما أحبوا من البيوت ، ويرتب لهم ما يكفيهم من التراتيب والالتزام وغير ذلك .. مثل ما وقع لعثمان بيك حسن ، فانهم رتبوا له خمسة وعشرين كيسا في كل شهر ، ومكنوه مما طلبه من خصوص الالتزام ، ورفعوها عن كان أخذها بالحلوان . وهذه أول قضية شنيعة ظهرت نقدمهم .

واستمر طاهر باشا مقيما بالبر الغربى .

وفي هذا الشهر : كمل تنميم عمارة المقياس على ما كان عمره الفرنسيى على طرف الميرى ، وأنشأ به الباشا طيارة في علوه/ عوضا عن الطيارة القديمة التى هدمها الفرنسيى . وأنشأ أيضا مصطبة في مرمى الشباب بالناصرية ، وجعل فيها كشكا لطيفا مزينا بالأصباغ ودرابزين حول المصطبة المذكورة ومن الحوادث بسكندرية : أنه حضر قليون وفيه تجار وبزرجانية فقال له « قليون مهردار الدولة » . فأرسل بالمينة الغربية ، وطلع منه قبطان وبعض التجار الى البلدة ، وأقاموا نحو يومين أو ثلاثة . فطلع رجل نصرانى ، وأخبر الانكليز أنه مات به رجل بالطاعون ، ومات قبله ثلاثة أيضا . فطلبوا القبطان ... فهرب ، فأرسلوا الى المركب وأحضروا اليازجى ، وتحققوا القضية ، وأحرقوا

المركب بنا فيها ، وأشهروا اليازجى وعروه من ثيابه ، وسحبوه بينهم في الأسواق . وكلما مروا به على جماعة من العثمانية مجتمعين على مساطب القهاوى ، بطحوه بين أيديهم ، وضربوه ضربا شديدا ، ولم يزالوا يفعلون به ذلك حتى قتلوه . ووقع أيضا : أن خورشيد ، حاكم الاسكندرية ، أحدث مظالم ومكوسا على الباعة والمحترفين . فذهب بعض الانكليز يشتري سمكا . فطلب السماك منه زيادة في الثمن عن المعتاد ، فقال له الانكليزى : « لأى شيء تطلب زيادة عن العادة ؟ » فعرفه بما أحدث عليهم من المكس . فرجع الانكليزى وأخبر كبراءه . فتحققوا القضية ، وأحضروا المنادى وأمروه بالمنبادة بإبطال ما أحدثه العثمانية من المكوس والمظالم فخرج المنادى وقال . « حسبما رسم الوزير محمد باشا وخورشيد أغا بأن جميع الحوادث المحدثه بطالة » فسمعوه يقول ذلك ، فأحضروه وضربوه ضربا شديدا وعزروه على ذلك القول ، وقالوا له : « قل فى مناداتك : حسبما رسم سارى عسكر الانكليز » .

ووقع أيضا : أن جماعة من العسكر أرادوا القبض على امرأة من النساء اللاتى يصاحبن الانكليز فمنعها منهم عسكر الانكليز . فتضاربوا معهم ، فقتل من الانكليز اثنان . فاجتمع الانكليز وأرسلوا الى خورشيد بأن يخرج الى خارج البلدة ويحاربهم . فامتنع من ذلك . فأمره بالنزول من القلعة ، وأسكنوه فى دار بالبلد ، ومنعوا عسكره من حمل السلاح مطلقا مثل الانكليزية ، واستمروا على ذلك .

ربيع الآخر

الاحد غرته (اول اغسطس ١٨٠٢ م) :

شرع الباشا فى هدم الأماكن المجاورة لمصر

— التي تهدمت واحترقت في واقعة الفرنسيين —
ليبنها مساكن للعساكر المختصة به ، وتسمى عندهم
« بالقشلة » ، وذلك من قبالة منزله من المكان
المعروف بالساكت الى جامع عثمان كتحدا حيث
رصيف الخشاب ، واهتم لذلك اهتماما عظيما ،
ورسم بعمل فردة على البلاد أعلى وأوسط وأدنى .
وأرسلوا المعينين لقبض ذلك من البلاد مع
ما الفلاحون فيه من الظلم والجور من العساكر
والمباشرين ، وحق الطرق وفرد الانكليز .

وفيه : حضر أحمد أغا شويكار من عند القبالي ،
ومحمد كاشف صحته من جماعة الألفى ، ومعهم
مكاتبات . وأشيع طلبهم الصلح فأقاموا عدة أيام
محجوبين عن الاجتماع بالناس ، ثم سافروا في
أواسطه . ولم يظهر كيفية ما حصل . وبطل سفر
طاهر باشا الى الجهة القبلية ، ورجع الى داره بعد
أيام من رجوعهم .

وفيه : عمل مولد المشهد الحسيني .

الخميس ٥ منه (٥ اغسطس ١٨٠٢ م) :

دعا شيخ السادات الباشا بمناسبة الاحتفال
بالمولد ، وتعشى هناك ، ورجع الى داره .

وفيه : تقلد السيد أحمد المحروقي أمين
الضربخانة ، وفرق ذهبا كثيرا في ذلك اليوم بيت
الباشا . وعمل له ليلة بالمشهد الحسيني ، ودعا
الباشا والدفتردار وأعيان الدولة والعلماء ، وأولم
لهم ولية عظيمة ، وأوقد بالمسجد وقدة كبيرة ،
وقدم للباشا مقدمة .

وفي صباحها : أرسل مع ولده هدية وتعبية
أقمشة نفيسة . فخلع عليه الباشا فروة سمور .

١٢ منه (١٢ اغسطس ١٨٠٢ - ٦ مسرى ١٥١٨ ق) :

كان وفاء النيل المبارك ، وكسر السد في صباحها

يوم الخميس بحضرة الباشا والقاضي ، والشكك
المعتاد . وجرى الماء في الخليج ، ولم يطف مثل
العادة . ومنعوا دخول السفن والمراكب المعدة
للنزهة ، وذلك بسبب أذية العساكر العثمانية .

١٥ منه (١٥ اغسطس ١٨٠٢ م) :

كملت عمارة مشهد السيدة زينب بقناطر السباع ،
وكان من خبره : أن هذا المشهد كان أنشأه وعمره
عبد الرحمن كتحدا القازدغلي في جملة عمائره ،
وذلك في سنة أربع وسبعين ومائة وألف فلم يزل
على ذلك الى أن ظهر به خلل ومال شقه ، فانتدب
لعمارة عثمان بيك المعروف بالطنبرجي المرادي في
سنة اثنتي عشرة ومائتين وألف .. فهدمه وكشف
أنقاضه ، وشرع في بنائه ، وأقام جدراناه ، ونصبوا
أعمدته ، وأرادوا عقد قناطره . فحصلت جاذنة
الفرنسيين ، وجرى ما جرى . فبقى على حاله الى
أن خرج الفرنسيين من أرض مصر وحضرت الدولة
العثمانية ... فعرض خدمة الضريح الى الوزير
يوسف باشا ، فأمر باتمامه واكماله على طرف الميرى .
ثم وقع التراخي في ذلك الى أن استقر قدم محمد
باشا في ولاية مصر ، فاهتم لذلك . فشرعوا في
اكماله وتنسيبه وتسقيفه . وتعيد لمباشرة ذلك
ذو الفقار كتحدا ، فتم على أحسن ما كان . وأحدثوا
به حنفية وفسحة ، وزخرفوه بالنقوشات والأصباغ .

ولما كان يوم الجمعة حصلت به
الجمعة ، وحضر الباشا والدفتردار والمشايخ
وصلوا به الجمعة . وبعد انقضاء الصلاة ، عقد
الشيخ محمد الأمير المالكي درس وظيفته ، وأملى
« انما يعمر مساجد الله .. الآية » والأحاديث المتعلقة
بذلك ، وتم المجلس ، وخلع عليه الباشا بعد ذلك
خلعة .. وكذا الامام .

وفيه : نصب للباشا خيمة عند بيته بقرب الهدم ،
يجلس بها حصة كل يوم لمباشرة العمل ... وربما

بأشرف بنفسه ، وتقل بعض الأتقاض .. فلما عاينه الأغوات والجوحدارية .. بادروا الى الشيل ونقل التراب بالعلقان فلما أشيع ذلك ، حضر طاهر باشا وأعيان العساكر ، فنقلوا أيضا وطلبوا المساعدة . وحضر طائفة من ناحية الرملة وعرب اليسار ، ومعهم طبول وزمور . فسأل عن ذلك ، فقال له ، المحتسب ذو الفقار : « هؤلاء طائفة من طوائفى حضروا لأجل المساعدة » . فشكرهم على ذلك وأمرهم بالذهاب . فبقى منهم طائفة ، وأخذوا فى شيل التراب بالأغلاق ساعة ، والطبول تضرب لهم . فأنسر الباشا من ذلك ، وحسن القراء للباشا المساعدة ، وأن الناس تحب ذلك . فرتبوا ذلك وأحضروا قوائم أرباب الحرف التى كتبت أيام فرد الف نسييس ، ونهبوا عليهم بالحضور . فأول ما بدأوا .. بالنصارى والأقباط . فحضروا ويقدمهم رؤسائهم : جرجس الجوهري ، وواصف ، وفلتيوس ومعهم طبول وزمور . وأحضر لهم أيضا مهتار باشا النوبة التركية وأنواع الآلات والمغنين .. حتى البرامكة بالرباب ، فاشتغلوا نحو ثلاث ساعات .

وفى ثانى يوم : حضر منهم أيضا كذلك طائفة . ولما انقضت طوائف الأقباط ، حضر النصارى الشوام والأروام . ثم طلبوا أرباب الحرف من المسلمين . فكان يجتمع الطائفتان والثلاث ويحضرون معهم عدة من الفعلة يستأجرونهم ، ويحضرون الى العمل ويقدمهم الطبول والزمور والمجرية . وذلك خلاف ما رتبته مهتار باشا . فيصير بذلك ضجة عظيمة ~~مخلطة من ثوبات تركية ، وطبول شامية ، ونقاير كشوفية ، ودبابد حربية ، وآلات موسيقية ، وطبالات بلدية ، وربابات برامكية .. كل ذلك فى الشمس والغبار والعفار .~~

وزادوا فى الطنبور نغمة : وهى أنهم بعد أن يفرغوا من الشغل ، يأذنوا لهم بالذهاب ، يلزمونهم

بدراهم يقبضها مهتار باشا برسم البقشيش على أولئك الطبالين والزمارين . فيعطيههم النزر اليسير ويأخذ لنفسه الباقي ! وذلك بحسب رسمه واختياره . فيأتى على الطائفة المائة قرش والخمسون قرشا ونحو ذلك . فيركب فى ثانى يوم ويذهب الى خطتهم ، ويلزمهم باحضار الذى قرره عليهم . فيجمعونه من بعضهم ويدفعونه . واذا حضرت طائفة ، ولم تقدم بين يديها هدية أو جعالة .. طولوا عليهم المدة ، وأتعبوهم ونهروهم ، واستحثوهم فى الشغل ، ولو كانوا من ذوى الحرف المعتبرة .. كما وقع لتجار الغورية والحريية . واذا قدموا بين أيديهم شيئا .. خففوا عليهم وأكرمواهم ، ومنعوا أعيانهم وشيوخهم من الشغل ، وأجلسوهم بخيمة مهتار باشا ، وأحضر لهم الآلات والمعاني فضربت بين أيديهم ! كما وقع ذلك لليهود .

واستمر هذا العمل بقية الشهر الماضى الى وقتنا هذا .. فاجتمع على الناس عشرة أشياء من الرذالة ، وهى : السخرة ، والعونة ، وأجرة الفعلة ، والذل ، ومهنة العمل ، وتقطيع الثياب ، ودفع الدراهم ، وشماتة الأعداء من النصارى ، وتعطيل معاشهم ، وعاشرها : أجرة الحمام !

وفيه : حضر قصاد من الططر ، وعلى يدهم مكاتبات من الدولة ، بوقوع الصلح العام من الدولة والقرانات . وعثمان باشا ومن معه من المخالفين على الدولة ، من جهة الروملى . فعملوا شنكا ومذافع ثلاثة أيام ، تضرب فى كل وقت من الأوقات الخمسة . وكتبوا أوراقا بذلك وألصقوها فى مفارق الطرق بالأسواق . وقد تقدم مثل ذلك ... وأظنه من المختلقات !

فى اواخره (اواخر اغسطس ١٨٠٢ م) :

حضر حريم الباشا من الجهة الرومية . وهما اثنتان : احدهما معتوقة أم السلطان ، والأخرى

معتوقة أخته زوجة قبطان باشا ، وصحبتهما عدة سرارى . فأسكنهن بيت الشيخ خليل البكرى ، وقد كان عمره قبل حضورهن ، وزخرفته . ودهنوه بأنواع الصباغات والنقوش ، وفرشوه بالفرش الفاخرة .

وفرش المحروقى مكانا ، وكذلك جرجس الجوهري فرش مكانا ، وأحمد بن محرم . واعتنوا بذلك اعتناء زائدا ... حتى أن جرجس فرش بساطا من الكشمير وغير ذلك . وعمل وليمة العقد ، وعقد على الثنتين في آن واحد بحضرة القاضى والمشايخ ، وأهدوا لكل من الحاضرين بقجة من ظرائف الأقمشة الهندية والرومية ، وعملوا شنكا وحرقة بالأزبكية عدة ليال .

جمادى الأولى

الاثنين ٨ منه (٦ سبتمبر ١٨٠٢ م) :

شنقوا ثلاثة من عساكر الأروام : أحدهم بباب زويلة ، والثانى بباب الخرق ، والثالث بالأزبكية بالقرب من جامع عثمان كتحدا . وقتلوا أيضا شخصا بالنحاسين .

الثلاثاء ٩ منه (٧ سبتمبر ١٨٠٢ م) :

عمل الباشا ديوانا ، وفرق الجامكية على الوجاقلية .

وفيه : وردت الأخبار بوقوع حادثة بين الأمراء القبالي والعثمانية . وذلك أن شخصا من العثمانية يقال له « أجدر » موصوفا بالشجاعة والاقدام ، أراد أن يكبس عليهم على حين غفلة ، ليكون له ذكر ومنقبة في أقرانه . فركب في نحو الألف من العسكر المعدودين - وكانوا في طرف الجبل بالقرب من الهوة - فسبق العين إلى الأمراء وأخبرهم بذلك .

فلما توسطوا سطح الجبل ... وإذا بالمصرية أقبلت عليهم في ثلاثة طواير ، فأحاطوا بهم . فضرب العثمانية بنادقهم طلقا واحدا لاغير ، ونظروا ... وإذا بهم في وسطهم ، وتحت سيوفهم ، ففتكوا فيهم وحصدوهم ، ولم ينج منهم الا القليل ، وأخذ كبيرهم « أجدر » المذكور أسيرا ، وانجلت الحرب بينهم وأحضروا « أجدر » بين يدي الألفى ، فقال له : « لأى شىء سموك أجدر ... ؟ » فقال : « الأجدر ، معناه الأفعى العظيم وقد صرت من أتباعك » . فقال : « لكن يحتاج الى تطريصك وإخراج سمك أولا » . وأمر به ، فأخذوه وقلموا أسنانه ، ثم قتلوه ، وأخذوا جميع ما كان معه ، ومن جملة ذلك أربعة مدافع كبار .

وفيه : قلدوا أحمد كاشف سليم إمارة أسوط . وعزل أميرها مقدار بيك العثمانى بسبب شكوى أهل النواحي من ظلمه .

الاثنين ١٥ منه (١٣ سبتمبر ١٨٠٢ م) :

تواترت الأخبار برجوع الأمراء القبالي الى بحرى ، وأنهم وصلوا الى بنى عدى ، فنهبوا غلالها ومواشيهم ، وقبضوا أموالها ، وأعطوهم وصولات بختهم ، وكذلك الحواوشة وما جاور ذلك من البلاد .

فشرع العثمانية بمصر فى تشييل تجريدة وعساكر .

وفيه : حضرت أيضا عساكر كثيرة من « هبود » (١) الأتراك والأرثوود ، فأحضروا مشايخ الحارات وأمروهم بإخلاء البيوت لسكنائهم فأزعجوا الكثير من الناس ، وأخرجوهم من دورهم بالقهر . فحصل للناس عايه الضرر ، وضاق الحال بالناس وكذا سكنت منهم طائفة بدار ، أخرجوها وأحرقوا

١ - هبود : طبة للتحقير بمعنى « معاليك » .

أخشابها وطيقاتها وأبوابها ، وانتقلوا الى غيرها
فيفعلون بها كذلك .

ومن تكلم أو دافع عن داره ، وبخ بالكلام ،
وقيل له : « عجب ! ... كنتم تسكنون الفرنسيين ،
وتخلون لهم الدور » .. وأمثال ذلك من الكلام
القيح الذي لا أصل له .

ولما شرعوا في تشهيل التجريدة ، حصلت منهم
أمور وأذية في الناس كثيرة .

فمنها : أنهم طلبوا الحمار المكارية وأمروهم
ياحضار ستمائة حمار ، وشددوا عليهم في ذلك .
فقبل انهم لما جمعوها ، أعطوهم أثمانها في كل حمار
خمس ريال .. بعدته ولجامه ، مع أن فيها ما قيمته
خمسون ريالاً خلاف عدته . ثم ما كفاهم ذلك ، بل
صاروا يخطفون حمير الناس من أولاد البلد بالقهر ،
وكذلك حمير السقائين التي تنقل الماء من الخليج ،
حتى امتنعت السقائون بالكلية ، وبلغ ثمن القرية
الكتافى من الخليج ، عشرة أنصاف فضة !

وتعدى بالخطف أيضاً من ليس بمسافر . فكانوا
ينزلون الناس من على حميرهم ، ويذهبون بها الى
الساحة ويبعونها . والبعض تبعهم واشترى حماره
بالثمن . فخبى جميع الناس حميرهم في داخل
الدور ، فكان يأتى الجماعة من العسكر وينصتون
بآذانهم على باب الدار ، ويتبعون « نهيق »
الحمير ! وبعض شياطينهم يقف على الدار
ويقول : « زرا » ويكررها ... فينهق الحمار ،
فيعلمون به ، ويطلبونه من البيت : فاما أخذوه ،
أو اقتداه صاحبه بما أرادوه ... وغير ذلك !

وفيه : حضر قاضى سكندرية الى مصر . وذلك
أنه لما حضر من اسلامبول طلع الى داره ، وحضرت
اليه الدعاوى ، فأخذ منهم المحصول على الرسم
المعتاد فأرسل اليه الانكليز ولاموه على عدم
حضوره اليهم وقت قدومه ، وقالوا له : « ان أقمنا

هنا بتقليدنا اياك فلا تأخذ من أحد شيئاً ، ونرتب
لك ثلاثة قروش في كل يوم ... وألا فاذهب حيث
شئت » . فحضر الى مصر بذلك السبب .

جمادى الآخرة

الأحد ٥ منه (٣ أكتوبر ١٨٠٢ م) :

سافرت العساكر الى الأمراء القبالي ، وسافر
أيضاً عثمان بك الحسنى وباقي العساكر المغزولين ،
وأمر العساكر العثمانية محمد على سرششمه .

وكان الباشا أرسل ابراهيم ، كاشف الشرقية ،
بجواب اليهم ، فرجع في ثامنه بجواب الرسالة ،
وأعطاه الألفى ألفى ريال ، وقدم له حصانين .
وحاصل تلك الرسالة - كما تقدم - الأمان لجميع
الأمراء المصرية ، وأنهم يحضرون الى مصر
ويقيمون بها ، ولهم مايرضيهم من الفائض وغيره
مأعدا الأربعة الأمراء ، وهم : ابراهيم بك ،
والألفى ، والبرديسى ، وأبو دياب ، فانهم مطلوبون
الى حضرة السلطان يتوجهون اليه مع الأمن عليهم ،
ويعطيهم مناصب وولايات كما يحسون . فان لم
يرضوا بذلك ، فيأخذوا اقطاع اسنا ويقيمون بها .

فلما وصل ابراهيم أغا المذكور الى أسبوط ،
وأرسل اليهم ... أرسلوا اليه أحمد أغا شويكار
ومحمد كاشف الألفى فانتظروه خارج الجبانة ،
فخرج اليهم ، ولاقوه ، وأخذوه صحبتهم الى
عرضيهم ، وأنزلوه بوطاق بات به .

فلما أصبح الصباح طلبوه الى ديوانهم ، فحضر
ووقفت عساكرهم صفوفاً بينادقهم ، وفيهم كثير
على هيئة اصطفاف الفرنسيين ، وعملوا له شئكاً
ومدافع . ثم أعطاهم المكاتب بحضرة الجميع ...
فقرأوها ، ثم تكلم الألفى وقال : « أما قولكم
نذهب الى اسلامبول وتقابل السلطان بنعم علينا ...
فهذا مما لا يمكن . وإن كان مراده أن ينعم علينا

فاننا في بلاده وانعامه ، لا يتقيد بخضورتنا بين يديه .
وأما بقية اخواننا فهم بالخيار : ان شاءوا أقاموا
معنا ، والا ذهبوا .. وكل انسان أمير نفسه . وأما
كون حضرة الباشا يعطينا اقطاع اسنا .. فلا يكفيننا
هذا ، وانما يكفيننا من أسبوط الى آخر الصعيد ،
ونقوم بدفع خراجة . فان لم يرضوا بذلك فان
الأرض لله ... ونحن خلق الله ، نذهب حيث شئنا ،
ونأكل من رزق الله ما يكفيننا ، ومن أتى اليها
حاربناه حتى يكون من أمرنا ما يكون . ثم
استقروا بقنطرة اللاهون ، وكسروا القنطرة ،
وشرعوا في قبض الأموال من بلاد الفيوم .

فلما رجع ابراهيم كاشف بذلك الجواب ، ركب
الباشا في صبحها الى الآثار ، واستعجل العسكر
بالذهاب . فعدوا الى البر الغربي ، وتأخر عنهم
عثمان بيك الحسنى والغز المصرية ، وباتوا بطرا .
وفيه : شنع الباشا رجلا طنجيا في المشتقة التي
عند قنطرة المغربى .

ثم ان عثمان بيك أرسل الى الباشا يطلب حسن
أغا شنن ومصطفى آغا الوكيل ، ليتفاوض معهما في
كلام فأرسل له ابراهيم آغا كاشف الشرقية ،
فأعطاه الخلعة التي خلعها عليه الباشا ، ودراهم
الترحيلة ، وقال له : « سلم على أفندنا وأخبره
انى جاهدت الفرنسيين ، وبلوت معهم .. ثم انى
حضرت بأمان طائعا ، فلم أجاز ، ولم يحصل ما كنت
أؤمله ، ولم يوفوا معى وعدا ... وأنا لا أقاتل
اخوانى المسلمين ، وأختم عملى بذلك ، ولا أقيم
بمصر آكل الصدقة ، وانما أذهب سائحا في بلاد
الله ا » . وكان في ظن عثمان بيك أنه اذا أتى الى
مصر على هذه الصورة ، يجعله الباشا أمير البلد ،
أو أمير الحج .

وفيه : أمر الباشا محمد كتخدا ، المعروف
بالزربة ، بالسفر الى جهة قبلى . فاستغنى من

ذلك .. فأمر بقتله . فشفع فيه يوسف كتخدا
الباشا ، وقال : « ان له حرمة ، وقد كان فى السابق
كتخدا لأفندنا ، ولا يناسب قتله على هذه
الصورة » ، فأمر بسفره الى جهة البحيرة محافظا .
فسافر من يومه .

وأما عثمان بيك ، فانه ركب وذهب الى جهة
قبلى ، مشرقا على غير الرسم . وأشيع ذلك فى
الناس ، ولغطوا به . فلما تحقق العشانية ذلك ،
رسموا لطوائف العسكر أن يقيموا منهم طوائف
بالقلاع التى على التلول ، ونصبوا عليها ييارق ،
وأوقفوا حراسا على أبواب المدينة بمنعون من
يخرج من المدينة من الغز الخيالة والمصرية . فمن
خرج الى بولاق أو غيرها .. فلا يخرج الا بورقة
من كتخدا الباشا .

الجمعة ١ : منه (٨ أكتوبر ١٨٠٢ م) :

أمر الباشا بكس بيوت الأمراء الحسنية ،
ونهب ما بها من الخيول والجمال والسلاح

وفيه : حضر أغات التبديل الى بيت الحربطلى
بعطفه « خشقدم » وبه جماعة من عسكر المغاربة ،
فكس عليهم ، وقبض على جماعة منهم وكتفهم
وكشف رؤوسهم . وأحاطت بهم عساكره وسحبهم
وأخذوا ما وجدوه فى جيوبهم على هيئة شعبة ،
ومروا بهم على الغورية ، ثم على النحاسين وباب
الشعرية .. حتى انتهوا بهم الى الأربكة على حارة
النصارى ، ودخلوا بهم بيت الباشا وهم لا يعلمون
لهم ذنبا .

فلما مثلوا بين يدى كتخدا الباشا ، ذكر لهم
أن بجوارهم ديرا للنصارى ، وأنهم فتحوا طائفة
صغيرا يطل على الدبر فقالوا : « لا علم لنا
بذلك » ، وأخبروا أن جماعة من الأرثوذكس كانوا
معهم بأعلى الدار ، ويحتمل أن ذلك من فعلهم .
فأرسلوا من كشف على ذلك ، فوجدوه كما قال

المغاربة ، فأطلقوهم بعد هذه الجرسة الشنيعة ،
ومرورهم بهم الى حارة النصارى ، وأخذوا
دراهمهم ومتاعهم .. والأمر لله وحده !

وفيه : أشيع مرور جماعة من الغز القبالي على
جهة الجيزة ، الى جهة سكندرية ، وكذلك جماعة
من الانكليز من سكندرية الى قبلى .

وفيه : تداعى مصطفى — خادم مقام سيدى
أحمد البدوى — مع نسييه سعد بسبب ميراث
أخته . فقال مصطفى : « أنا أحاسبه على خمسين
ألف ريال » . فقال سعد : « أنا أستخرج منه مائتى
ألف ريال ... بشرط أن تعوقوه هنا ، وتعطوني
خادمه وجماعة من العسكر » . ففعلوا ذلك ،
وعوقوه ببيت السيد عمر النقيب ، وتسلم سعد
خادمه والعسكر ، وذهب بهم الى طنطا . فعاقبوا
الخادم ، فأقر على مكان أخرجوا منه ستة وثلاثين
ألف ريال فرانسة . ثم فتحوا بئرا مردومة بالأتربة ،
وأخرجوا منها ريبالات فرانسة ، وأنصافا وأرباعا
وفضة عديدة ... كلها مخلوطة بالأتربة وقد ركبها
الصدأ والسواد ، فأحضروها وجلوها فى قاعة
اليهود . ولم يزالوا يستخرجون .. حتى غلقوا مائة
وسبعة وثمانين ألفا وسبعمائة وكسورا ! وآخر
الأمر ، أخرجوا خبيثة لا يعلم قدرها . ثم حصل
العفو ، ورجع العسكر ، وأخذوا كراء طريقهم ،
وأخذوا من أولاد عمه عشرة أكياس .

السبت ١١ منه (٩ أكتوبر ١٨٠٢ م) :

كان آخر التسخير فى نقل التراب من العمارة (١) ،
وكان آخر ذلك طائفة الخردة من الفياش والقرداتية
وأرباب الملاعب . وبطل الزمر والطبل . واستمر
الفعلة فى حفر الأساس ، ورشح عليهم الماء بأدنى
حفر لكون ان ذلك فى وقت النيل ، والبركة ملائمة
بالماء حول ذلك .

(١) يقصد عمارة مسجد السيدة زينب .

١٥ منه (١٣ أكتوبر ١٨٠٢ م) :

خرجت عساكر ودلاة أيضا ، وسافروا الى
قبلى .

٢٣ منه (٢١ أكتوبر ١٨٠٢ م) :

سافر عساكر فى نحو الأربعين مركبا الى جهة
البحيرة بسبب عرب بنى على ، فانهم عاثوا بالبحيرة
ودمنهور .

ومن الحوادث السماوية : أن فى تلك الليلة —
وهى ليلة الأربعاء — احمرت السماء بالسحاب عند
غروب الشمس حمرة مشوبة بصفرة ثم انجلت ،
وظهر فى أثرها برق من ناحية الجنوب فى سحاب
قليل متقطع ، وازداد ، وتتابع من غير فاصل حتى
كان مثل شعلة النفط المتوقدة المتموجة بالهواء .
واستمر ذلك الى ثالث ساعة من الليل ، ثم تحول
الى جهة المغرب ، وتتابع ... لكن بفاصل على
طريقة البرق المعتاد ، واستمر الى خامس ساعة ،
ثم أخذ فى الاضمحلال ، وبقي أثره غالب الليل .
وكان ذلك ليلة سادس عشرين درجة من برج
الميزان ، وحادى عشر باب القبطى ، وثامن تشرين
أول الرومى (٢٤ أكتوبر ١٨٠٢ م) . ولعل ذلك
من الملاحم المنذرة بحادث من الحوادث .

وفيه : ورد الخبر بورود مركب من فرانس وبها
ألجى وقنصل وصحبتها عدة فرنسيس . فعمل لهم
الانكليز شنكا ومدافع بالاسكندرية .

الثلاثاء ٢٨ منه (٢٦ أكتوبر ١٨٠٢ م) :

فى ليلته وصل ذلك الألجى ، وصحبته خمسة
من أكابر الفرنسيين ، الى ساحل بولاق . فأرسل
الباشا لملاقاتهم خازن داره وصحبته عدة عساكر
خيالة وبأيديهم السيوف المسلولة . فقابلوهم ،
وضربوا لهم مدافع من بولاق والجيزة والأزبكية .
وركبوا الى دار أعدت لهم بحارة البنادقة ،

رحضروا فى صبجها الى عند الباشا فقابلوه ، وقدم لهم خيلا معددة ، وأهدى لهم هدايا ، وصاروا يركبون فى هيئة وأبهة معتبرة . وكان فيهم جبر ترجمان بونا بارتة .

وفيه : وردت الأخبار بأن الغز القبالي نهبوا بلاد الفيوم ، وقبضوا أموالها ، ونهبوا غلالها ومواشيها ، وحرقوا البلاد التى عصت عليهم ، وقتلوا ناسها ... حتى قتلوا من بلدة واحدة مائة وخمسين نفرا ! وأما العثمانية الكائنون بالفيوم فانهم تحصنوا بالبلدة ، وعملوا لهم متاريس بالمدينة ، وأقاموا داخلها .

رجب

فى غرته (٢٨ أكتوبر ١٨٠٢ م) :

رموا أساس عنارة الباشا ، وكان طلب من الفلكيين أن يختاروا له وقتا لوضع الأساس ... ففعلوا ذلك ، وكان بعد اثنى عشر يوما من يوم تاريخه .. فاستبعده ، وأمر برمى الأساس فى اليوم المذكور ... ورب النجم يفعل ما يشاء !

وفيه : أحضروا أربعة رؤوس ، فوضعت عند باب الباشا . زعموا أنهم من قتلى الغز المصرية .

٥ منه (أول نوفمبر ١٨٠٢ م) :

سافر الألبى الفرنساوى وأصحابه ، فنزلوا الى بولاق وأمامهم ممالك الباشا بزينتهم ، وهم لابسون الزرور والخود ، وبأيديهم السيوف المسلوكة ، وخلفهم العبيد المختصة بالباشا ، وعلى رؤوسهم طراير حمراء ، وبأيديهم البنادق على كواهلهم . فلم يزالوا صحبتهم حتى نزلوا بيت راشو بولاق . ثم رجعوا ، ثم نزلوا المراكب الى دمياط ، وضربوا لهم مدافع عند تعويمهم السفن .

وفيه : أشيع انتشار الأمراء القبالي الى جهة بحرى ، وحضروا الى إقليم الجيزة ، وطلبوا منها الكلف حتى وصلوا الى وردان .

وفيه : حضر محمد كتحدا ، المعروف بالزربة ، الذى كان كتحدا الباشا — وتقدم أنه كان أمره بالسفر الى قبلى ، فامتنع — وأذن له بالسفر الى البحيرة محافظا . فلما تقدم طوائف الأمراء الى بحرى ، مر منهم جماعة قليلة على محمد كتحدا الزربة المذكور ، فلم يتعرض لهم مع قدرته على تعويقهم . فبلغ الباشا ذلك ، فحقد عليها ، وأرسل اليه ، وطلبه الى الحضور ... فحضر .

٩ منه (٥ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

طلبه الباشا فى بكرة النهار . فلما أحضر ، أمر بقتله . فنزل به العسكر ، ورموا رقبة عند باب الباشا ، ثم نقلوه الى بين المفارق قبالة حمام عثمان كتحدا . فاستمر مرميا عريانا الى قبيل الظهر ثم شالوه الى بيته ، وغسلوه فى حوش البيت سكنه ، ودفنوه .

وعند موته أرسل الدفتردار فتحتم على داره ، وأخرج حريمه .

١٠ منه (٦ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

أحضروا تركته ومتاعه ، وباعوا ذلك بيت الدفتردار .

وفيه : وردت مكاتبات من الديار الرومية ، وفيها الخبر بعزل شريف أفندى الدفتردار ، وولاية خليل أفندى الرجائى المنفصل عن الدفتردارية عام أول . فحزن الناس لذلك حزنا عظيما ... فان أهل مصر لم يروا راحة من وقت دخول العثمانية الى مصر — بل من نحو أربعين سنة — سوى هذه السنة التى باشرها هو فانه أرضى خواطر الصغير قبل الكبير ، والفقير قبل الغنى . وصرف الجامكية

وغلال الأنبار عينا وكيلا . وكان كثير الصدقات ،
ويحب فعل الخير والمعروف ، وكان مهذبا في
نفسه ، بشوشا متواضعا . وهو الذى أرسل بطلب
الاستعفاء من الدفتردارية لما رأى من اختلال
أحكام الباشا .

١١ منه (٧ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

عدى يوسف كتحدا الباشا الى بر انبابة ،
وعدى معه الكثير من العسكر ، ونصب العرضى
ببر انبابة على ساحل البحر .

وأشيع وصول الأمراء الى ناحية الجسر
الأسود ، وقطعوا الجسر لأجل تصفية المياه
وانحذارها من الملق ... لأجل مشى الحافر . ثم
رجعوا الى ناحية المنصورية وبشتيل .

واستمر خروج العساكر العثمانية - التى
كانت جهة قبلى - الى بر انبابة ، وهم كالجراد
المنتشر . ونصبوا وطاقهم ظاهر انبابة . واستمر
خروج العساكر والطلب ونقل البقساط والجبخانه
على الجمال والحمير ليلا ونهارا . وأخذوا
المراكب ووسقوها معهم فى البحر ، وغصبوا
ما وجدوه من السفن قهرا ، وانتشرت عساكرهم
وخيامهم ببر انبابة حتى ملأوا الفضاء .. بحيث
يظن الرائي لهم أنهم متى تلاقوا مع الغز المصرية
أخذوهم تحت أقدامهم لكثرتهم واستعدادهم ،
بحيث كان أوائل العرضى عند الورداريق ، وآخرهم
بالقرب من بولاق التكرور طولا . ثم ان الأمراء
رجعوا الى ناحية وردان والطرانة .

١٥ منه (١١ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

انتقل العرضى من بر البابة ، وحلوا الخيام .

١٦ منه (١٢ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

خرجت عساكر خلافتهم ، ونصبت مكانهم

وسافروا ، وخرج خلافتهم . وهكذا دأبهم فى كل
يوم ... تخرج طائفة بعد أخرى .

وفيه : رسم الباشا بألف أردب قمح انعام تفرق
على طلبة العلم المجاورين ، والأروقة ، بالجامع
الأزهر ... ففرقت بحسب الأغراض ! وأنعم أيضا
— بعد أيام — بألف أردب أخرى .. فعل بها
كذلك .

فانها خطرات من وساوسه
يعطى ويمنع لا بخلا ولا كرما (١)

١٧ منه (١٢ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

وصلت جماعة ططر ، وأخبروا بتقليد شريف
محمد أفندى الدفتردار ... ولاية جدة .

١٩ منه (١٥ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

خرج طاهر باشا ، ونصب وطاقه جهة انبابة
للمحافظة . وخرجت عساكره ونصبت وطاقاتهم ببر
انبابة أيضا ، متباعدين عن بعضهم البعض .
واستمروا على ذلك .

٢٢ منه (١٨ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

حضر رجل من طرف الدولة يقال له «حجان» ،
وهو رجل عظيم من أرباب الأقلام ، وعلى يده
فرمان . فأرسل الباشا الى شريف أفندى الدفتردار
والقاضى والمشايخ ، وجمعهم بعد صلاة الجمعة ،
وقرى عليهم ذلك الفرمان ، وهو خطاب الى حضرة
الباشا ، وملخصه : « أننا اخترناك لولاية مصر ...
لكونك ربيت بالسراية ، ولما نعلبه منك من العقل
والسياسة والشجاعة . وأرسلنا اليك عساكر
كثيرة ، وأمرناك بقتال الخائنين وإخراج الأربعة

(١) ورد هذا البيت خطا فى الجزء الرابع . وهو لائى بيتين هما :

لا تدحج ابن عباد وان هطلت

يمناه بالجود حتى يسبق الدنيا

فانها خطرات من وساوسه

يعطى ويمنع لا بخلا ولا كرما .

أنفار من الأقليم المصرى بشرط الأمان عليهم من القتل ، وتقليدهم ما يختارونه من المناصب فى غير اقليم مصر ، واکرامهم غاية الاكرام ان امثلوا الأوامر السلطانية . وأطلقنا لك التصرف فى الأموال الميرية لنفقة العسكر واللوازم . وما عرفنا موجب تأخير أمرهم لهذا الوقت . فان كان لقله العساكر .. أرسلنا اليك الأمداد الكثيرة من العساكر . أو المال ... أرسلنا اليك كذلك ان لم يمتثلوا . وكل من انضم اليهم كان مثلهم ، ومن شذ عنهم وطلب الأمان .. فهو مقبول وعليه الأمان . الى آخر ما ذكر من ذلك المعنى .

٢٣ منه (١٩ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

كتب أوراق بمعنى ذلك ، وألصقت بالطرقات .

٢٥ منه (٢١ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

تواترت الأخبار بوقوع معركة بين العثمانيين والأمراء المصرية بأراضى دمنهور ، وقتل من العساكر العثمانية مقتلة عظيمة . وكانت الغلبة للمصريين ، وانتصروا على العثمانيين .

وصورة ذلك : أنه لما تراءى الجمعان ، واصطفت عساكر العثمانيين الرجال بينادقهم ، واصطفت الخيالة بخيولهم . وكان الأتلى بطائفة من الأجناد — نحو الثلاثمائة — قريبا منهم وصحبتهم جماعة من الانكليز . فلما رأوهم مجتمعين لحربهم ، قال لهم الانكليز : « ماذا تصنعون ؟ » . قالوا : « نصدمهم ونحاربهم » . قال الانكليز : « انظروا ... ما تقولون ؟ ان عساكرهم الموجهين اليكم أربعة عشر ألفا ، وأتم قليلون » . قالوا : « النصر بيد الله » . فقالوا : « دونكم » . فساقوا اليهم خيولهم ، واقتحموا الى الخيالة . فقتل منهم من قتل ، فانهزم الباقون ، وتركوا الرجال خلفهم . ثم كروا على الرجال ، فلم يتحركوا بشئ ، وطلبوا الأمان . فساقوا منهم نحو السبعمائة مثل الأغنام وأخذوا الجبخانه

والمدافع وغالب الحملة ... والانكليز وقوف على علوة ينظرون الى الفريقين بالنظارات . فلما تحقق الباشا ذلك ، اهتم فى تشييل عساكر ومدافع ، وعدوا الى بر انبابة ، ونصبوا وطاقهم هناك ، وانتقل طاهر باشا الى ناحية الجيزة .

شعبان

السبت غرته (٢٧ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

شرعوا فى عمل متاريس جهة الجيزة ، وقبضوا على أناس كثيرة من ساحل مصر القديمة ليسخروهم فى العمل .

وفيه : حضر الكثير من العساكر المجاريج ، وجمع الباشا التجارين والحدادين وشرع فى عمل شركفك . فاشتغلوا فيه ليلا ونهارا حتى تمموه فى خمسة أيام ، وحملوه على الجمال ، وأنزلوه المراكب ، وسفروه الى دمنهور فى سادسه .

الاثنين ١٠ منه (٦ ديسمبر ١٨٠٢ م) :

كتبوا عدة أوراق ، وختم عليها المشايخ ، ليرسلوها الى البلاد ، خطابا لمشايخ البلاد والعربان ... مضمونها معنى ما تقدم .

وكتبوا كذلك نسخا وألصقت بالأسواق ، وذلك بإشارة بعض قرناء الباشا المصرية ، وهى بمعنى التحذير والتخويف لمن يسالم الأمراء المصرية ، وخصوصا المغضوب عليهم ... مطرودى السلطنة ، العصاة ، الى آخر معنى ما تقدم .

وفى هذه الأيام : كثرت الغلال حتى غصت بها السواحل والحواصل ، ورخص سعرها حتى بيع القمح بمائة وعشرين نصفا الأردب . واستمرت الغلال معرمة فى السواحل ولا يوجد من يشتريها . وكان شريف افندى الدفتردار أنشأ أربعة مراكب كبار لغلال الميرى . ولما حصلت النصرة للمصرية على العثمانية — خصوصا هذه المرة مع كثرتهم وقوتهم واستعدادهم — ضبعوا فيهم واحتكروها ،

ووقفوا على سواحل النيل يمنعون الصادر والوارد منهم ومن غيرهم .

وأما الباشا فانه سخط على العساكر ، وصار يلعنهم ويشتهم في غيابهم وحضورهم .

وفيه : حضرت جماعة من أشرف مكة وعلماؤها هروبا من الوهابيين ، وقصدهم السفر الى اسلامبول يحبرون الدولة بقيام الوهابيين ، ويستجدون بهم لينقذوهم منهم ، ويبادروا لنصرهم عليهم . فذهبوا الى بيت الباشا والدفتردار وأكابر البلد ، وصاروا يحكون وشكون ، وتنقل الناس أخبارهم وحكائاتهم .

رمضان

الأحد غرته (٢٦ ديسمبر ١٨٠٢ م) :

في ليلته عملت الرؤية ، وركب المحتسب ومشايخ الحرف على العادة ولم ير الهلال — وكان غيما مطبقا — فلزم اتمام عدة شعبان ثلاثين يوما فانتدب جماعة ليلة الأحد وشهدوا أنهم رأوا هلال شعبان ليلة الجمعة ... فقبله القاضي ، وحكم به تلك الليلة . على أن ليلة الجمعة التي شهدوا برؤيته فيها ... لم يكن للهلال وجود البتة وكان الاجتماع في سادس ساعة من ليلة الجمعة المذكورة ... باجماع الحساب والدساتير المصرية والرومية . على أنه لم ير الهلال ليلة السبت الا جدد الصر .. في غابة العسر والعجب .

وشهر رجب كان أوله الجمعة ، وكان عسر الرؤية ايضا ، وأن الشاهد بذلك لم يتفوه به الا تلك الليلة فلو كانت شهادته صحيحة لأشاعها في أول الشهر لموقع ليلة النصف — التي هي من المواسم الاسلامية — في محلها ... حيث كان حربصا على اقامة شعائر الاسلام .

وفيه : حضرت جماعة من أشرف مكة وغيرها .

الأربعاء ٢٥ منه (١٩ يناير ١٨٠٣ م) :

حضر خليل أفندي الرجائي الدفتردار في قلة من أتباعه ، وترك أثقاله بالمراكب ، وركب من مدينة فوة وحضر على البر ، وذلك بسبب وقوف جماعة من الأمراء المصرية ناحية النجيلة يقطعون الطريق على المارين في المراكب . ولما حضر نزل بيت اسماعيل بيك بالازبكية .

غايته (٢٤ يناير ١٨٠٣ م) :

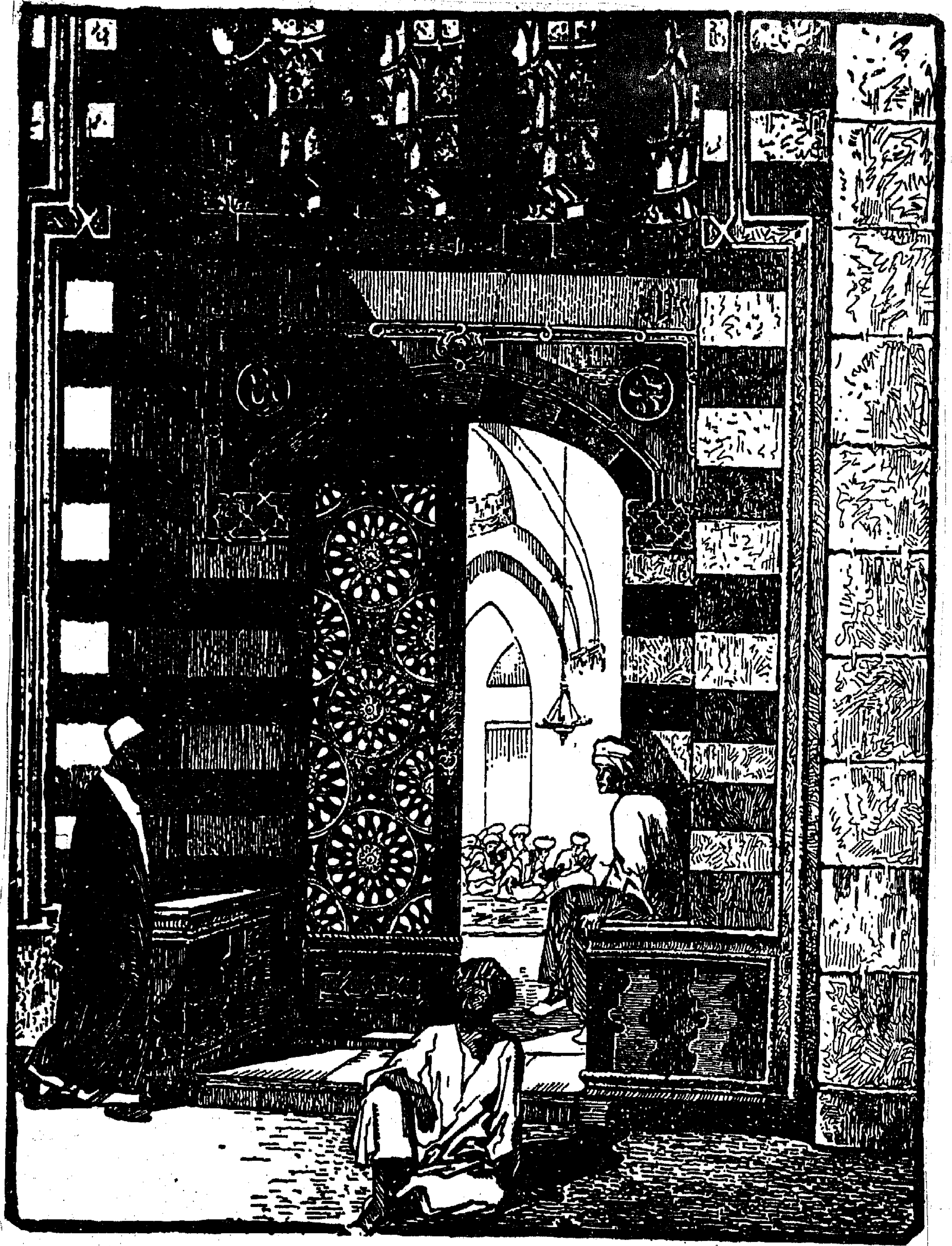
وقع ماهو أشنع مما وقع في غرته . وذلك أن ليلة الاثنين غايته كان بالسما غيم مطبق ، ومطر ورعد وبرق متواتر . وأوقدت قناديل المنارات والمساجد ، وصلى الناس التراويح ، واستمر الحال الى سابع ساعة من الليل ... واذا بمدافع كثيرة وشنك من القلعة والازبكية . ولغظ الناس بالعبد ، وذكروا أن جماعة حضروا من دمنهور البحيرة ، وشهدوا أنهم رأوا هلال رمضان ليلة السبت . فذهبوا الى بيت الباشا ، فأرسلهم الى القاضي ... فتوقف القاضي في قبول شهادتهم . فذهبوا الى الشيخ الشرقاوي ... فقبلهم ، وأيدهم ، وردهم الى القاضي ، وألزمه بقبول شهادتهم . فكتبوا بذلك اعلاما الى الباشا ، وقضوا بتمام عدة رمضان يوم الأحد ، ويكون غرة شوال صباحها يوم الاثنين . وأصبح الناس في أمر مريب (١) : منهم الصائم ومنهم المفطر ! فلزم من ذلك أنهم جعلوا رجب ثمانية وعشرين يوما ، وشعبان تسعة وعشرين ، وكذلك رمضان ... والأمر لله وحده !

شوال

غرته (٢٥ يناير ١٨٠٣ م) :

كان أوله الحقيقي يوم الثلاثاء ، وجزم غالب الناس المفطرين بقضاء يوم الاثنين .

(١) مختلط



الجامع الأزهر
ويرى الطلبة داخله يلقون دروسهم

٥ منه (٢٩ يناير ١٨٠٣ م) :

وصلت أنقال خليل أفندى الرجائى الدفتردار .
وفيه : طلبوا ألف كيس سلفة من التجار وأرباب
الحرف ، فوزعت ، وقبضت على يد السيد أحمد
المحروقى ... وهى أول حادثة وقعت بقدوم
الدفتردار .

١٠ منه (٣ فبراير ١٨٠٣ م) :

نصب جالش شريف باشا ، المعبر عنه بالطوخ ،
عند بيته بالأربكية ، وضربت له النوبة التركية ،
وأهدى له الباشا خياما كثيرة وطقما ولوازم .

٢٢ منه (١٥ فبراير ١٨٠٣ م) :

كان خروج أمير الحج بالموكب والمحمل المعتاد
الى الحصوة . وكان ركب الحجاج فى هذه السنة
عالما عظيما . وحضر الكثير من حجاج المغاربة من
البحر . وكذلك عالم كثير من الصعيد وقرى مصر
البحرية والأروام .. وغير ذلك .

٢٥ منه (١٨ فبراير ١٨٠٣ م) :

خرج شريف باشا فى موكب جليل ، ونصب
وطاقه عند بركة الشيخ قمر ، فأقام به الى أن
يسافر الى جدة من القلزم ، وانتقل خليل أفندى
الرجائى الدفتردار الى دار شريف باشا بالأربكية .

غائته (٢٢ فبراير ١٨٠٣ م) :

حضر أولاد الشريف سرور ، شريف مكة ، هروبا
من الوهابيين ، ليستنجدوا بالدولة . فنزلوا ببيت
الحروقى بعد ما قابلوا محمد باشا والى مصر
وشريف باشا والى جدة .

ذوالقعدة

الأربعاء غرته (٢٣ فبراير ١٨٠٣ م) :

تقدم الناس بطلب الجامكية ، فأمرهم الدفتردار

بكتابة عرضحالات . فثقل عليهم ذلك ، فقالوا .
« اننا كتبنا عرضحالات فى السنة الماضية ، وأخذنا
سنداتنا من الدفتردار المتفصل ، ودفع لنا سنة
ستة عشر » . فقبل لهم : « انه دفع لكم سنة
معجلة .. والحساب لا يكون الا من يوم
التوجيه » . فضجوا من ذلك ، وكثر لفظ الناس
بسبب ذلك ، وأكثروا من التشكى من الدفتردار .

الاثنين ٦ منه (٢٨ فبراير ١٨٠٣ م) :

اجتمع الكثير من النساء بالجامع الأزهر ،
وصاحوا بالمشايخ ، وأبطلوا دروسهم . فاجتمعوا
بقبلته ، ثم ركبوا الى الباشا ، فوعدهم بخير حتى
ينظر فى ذلك ... وبقي الأمر ، وهم فى كل يوم
يحضرون ، وكثر اجتماعهم بالأزهر وباب الباشا
فلم يحصل لهم فائدة من ذلك سوى أن رسم لهم ،
بموجب آخر سنة تاريخه ... معجلة . ولم يقبضوا
منها الا ما قل بسبب تتابع الشرور والحوادث .

السبت ١١ منه (٥ مارس ١٨٠٣ م) :

ارتحل شريف باشا الى بركة الحج متوجها الى
السويس .

وفيه : ارتحل حجاج المغاربة ، وكانوا كثيرين ،
فسافر أغنيائهم ، والكثير من فقرائهم ، من طريق
البر ، وآخرون من السويس على القلزم .

الثلاثاء ١٤ منه (٨ مارس ١٨٠٣ م)

حضر ططريات الى الباشا ، وعلى يدهم شالات
شريفة وبشارة بتقريره على السنة الجديدة ، وزيد
له « تشريف تترخانة » ، ومعناه مرتبة عالية فى
الوزارة . فضربوا شنكا ومدافع متوالية يومين
وفيه : أشيع انتقال الأمراء المصرية من جهة
البحيرة ، وقبلوا الى ناحية الجسر الأسود .

وأشيع أيضا أن جماعة منهم نزلوا بصحبة جماعة
من الانكليز الى البحر ، قاصدين التوجه الى

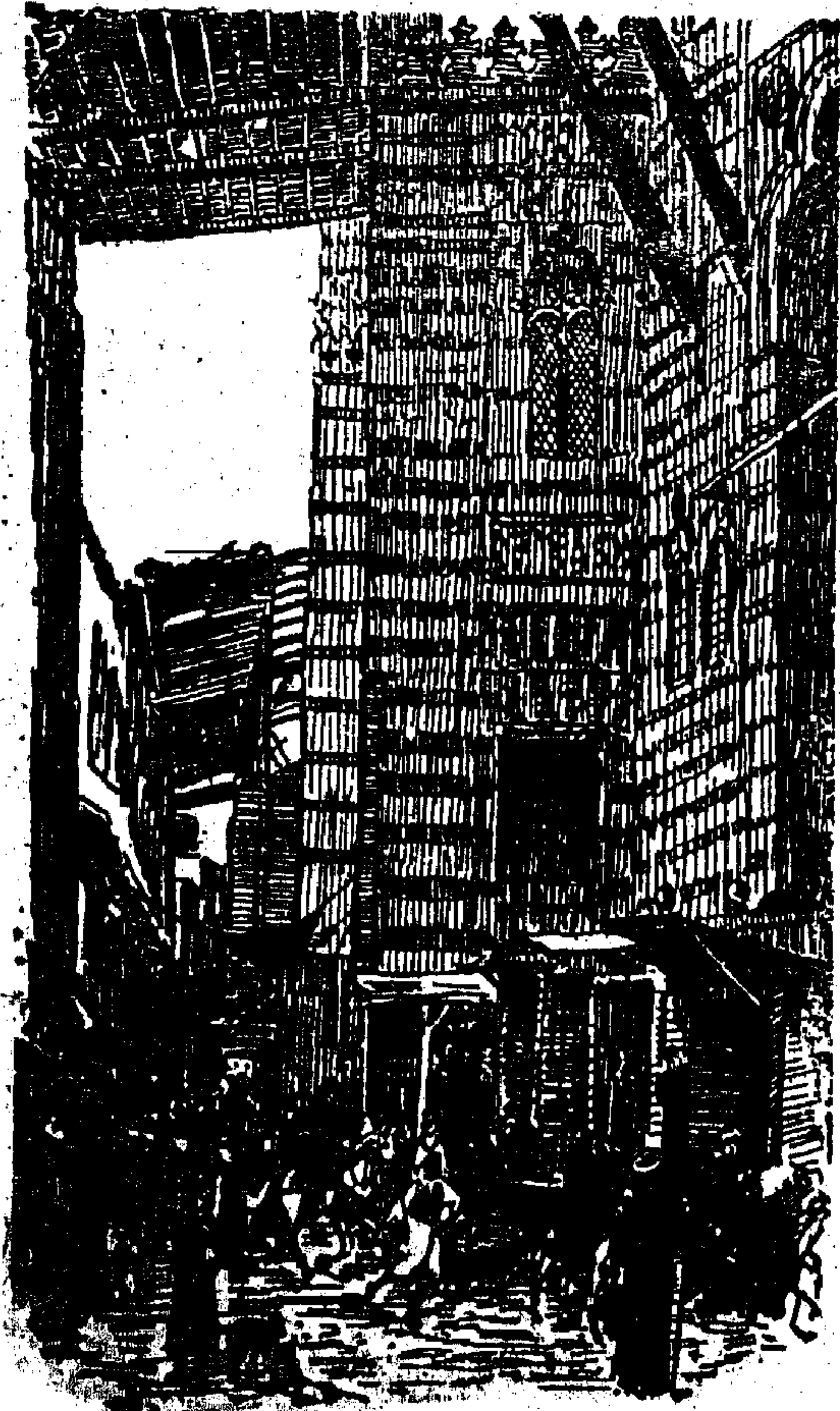
ريال ، والأوسط : ثلاثمائة ، والأدنى : مائة وخمسون .

وفيه : تحقق الخبر بنزول طائفة الانكليز ، وسفرهم من ثغر الاسكندرية في يوم السبت حادى عشره . ونزل بصحبته محمد بيك الألفى وصحبته جماعة من أتباعه .

السبت ٢٥ منه (١٩ مارس ١٨٠٣ م) :

حضر أحمد باشا والى دمياط ، وكانوا أرسلوا له طوخا ثالثا ، وأنه يحضر ويتوجه لمحافظة مكة . وكذلك قلدوا آخر باشاوية المدينة ، يسمى أحمد باشا ، وضموالهما عسكريا يسافرون بصحبتهن للمحافظة من الوهايين ، وأخذوا في التشهيل .

وفي هذه الأيام : كثر تشكى العسكر من عدم



العسكر ياجنون الحوائط

اسلامبول . وانتقل كتخدا بيك خلفهم بمساكره ، ولكن لم يتجاسروا على الاقدام عليهم .

وفيه : وصلت الأخبار من الجهات الشامية بهروب محمد باشا أبى مرق من يافا ، واستيلاء عساكر أحمد باشا الجزار عليها وذلك بعد حصاره فيها سنة وأكثر .

وفيه : حضر كتخدا الباشا ، وتقدم الأمراء المصرية الى جهة قبلى حتى عدوا الجيزة ، وحصل منهم ومن العساكر العثمانية الضرر الكثير في مرورهم على البلاد ... من التفاريد والكلف ، ورعى الزروع ، وقطع الطرق برا وبحرا .

وكان أغات الجوالى القبلية - وهو نجيب أفندى كتخدا الدفتردار - وصحبته أرباب مناصب ، عدوا الى الجيزة متوجهين الى الصعيد ، ونصبوا خيامهم ببر الجيزة . فصادفهم ، وهجموا عليهم ، وقتلوا منهم من وجدوه ، وهرب الباقون .. فاستولوا على خيامهم ووطاقهم . وكذلك كتخدا الدفتردار خرج الى مصر القديمة متوجها الى الصعيد لقبض الغلال والأموال ... فاستمر مكانه ، وتأخر لعدم المراكب وخوفا من المذكورين .

وفيه : ورد الخبر بنزول شريف باشا الى المراكب بالقلزم يوم الخميس سادس عشره .

الأربعاء ٢٢ منه (١٦ مارس ١٨٠٣ م) :

طلبوا أيضا خمسة آلاف كيس سلفة : من التجار ثلاثة آلاف ، ومن الملتزمين ألفا كيس ، وشرعوا في توزيعها . فانزعج الناس ، وأغلق أهل النورية حوانيتهم ، وكذا خلافتهم ، وهرب أهل وكالة الصابون الى الشام على الهجن . واختفى أكثر الناس مثل : السكرية وأهل مرجوش وخلافتهم . فطلبهم الميسون ، ولزموا بيوتهم ، وسبروا مطابخ السكر وكذلك عملوا فرقة على البلاد : أعلى وأوسط وأدنى ... الأعلى : خسانة

الحامكة والنفقة ، فالتاجتمع لهم حامية لحد سبعة شهر ، وقد قطع عليهم الباشا رواتبهم وخرجهم لقلعة الايراد ، وكثرة المطلوبات ، وكراحتهم لهم . فصار كبراؤهم يترددون ويكثرون من مطالبة الدفتردار ، حتى كان يهرب من بيته غالب الأيام .

وأشيع بالمدينة قيام العسكر ، وأنهم قاصدون نهب أمتعة الناس . فنقل أهل القورية وخلافهم بضائعهم من الحوانيت ، وامتنع الكثير منهم من فتح الحوانيت ، وخافهم الناس حتى في المرور .. وخصوصا أوقات المساء . فكانوا اذا انفردوا بأحد شلحوه من ثيابه ، وربما قتلوه !

وكذلك أكثروا من خطف النساء والمردان !

الثلاثاء ٢٨ منه (٢٢ مارس ١٨٠٣ م) :

كان انتقال الشمس لبرج الحمل ، وأول فصل الربيع . وفي تلك الليلة هبت رياح شمالية شرقية هبوبا شديدا مزعجا ، واستمرت بطول الليل . وفي آخر الليل — قبل الفجر — اشتد هبوبها .. ثم سكنت عند الشروق .

وسقط تلك الليلة دار بالحبال بالرميلة ، ومات بها نحو ثلاثة أشخاص ، وداران أيضا بطولون ، وغير ذلك حيطان وأطراف أماكن قديمة . ثم تحولت الريح غربية قوية ، واستمرت عدة أيام ومعها غيم ومطر .

وفيه : وصل الأمراء المصرية الى الفيوم ، فأخذوا كلنا ودراهم كثيرة فردوها على البلاد ، ثم سافروا الى الجهة القبليّة .

وفيه : ورد الخبر بأن المراكب التي بها ذخيرة أمير الحاج بالقلزم ، المتوجهة الى ينبع والمويلح ... فرقت بها فيها ، ومركب الجميع من جبلتها .

وفيه : حضر مصطفى بينباشا ، الذي كان أيام الوزير بمصر ، الى بليس ، وهو موجه بطلب مبلغ

دراهم . فأقام ببليس حتى أرسلوها له ، ثم ذهب الى دمياط ، وصحبته نحو الأربعمئة من الأرثوود ، ليسافر من البحر .

وفيه : توجه المحروقي والكثير من الناس لزيارة سيدى أحمد البدوى لمولد الشرنبلالية . وأخذ معه عدة كثيرة من العسكر خوفا من العربان ، ووصل اليه فرمان بطلب دراهم من أولاد الخادم ومن أولاد البلد ... فدلّوا على مكان لمصطفى الخادم ، فاستخرجوا منه ستة آلاف ريال ، وطلبوا من كل واحد من أولاد عمه مثلها .

ذو الحجة

الاثنين ٤ منه (٢٨ مارس ١٨٠٣ م) :

قتلوا شخصا عسكريا نصرانيا عند باب الخرق ... قتله أغات التبديل بسبب أنه كان يقف عند باب داره بحارة عابدين هو ورفيقان له ، ويخطفون من يمر بهم من النساء في النهار ... الى أن قبض عليه وهرب رفيقاه .

وفيه أيضا : أخرجوا من دار بحارة « خشقدم » قتلى كثيرة نساء ورجالا من فعل العسكر ! وفيه : عدى ابراهيم باشا الى بر الجيزة .

الاحد ١٠ منه (٣ ابريل ١٨٠٣ م) :

كان عيد الأضحى .

في ذلك اليوم : حضر من الأمراء القبالي مكاتبة على يد الشيخ سليمان الفيومي خطابا للمشايخ ، فأخذها بختها وذهب بها الى الباشا ، ففتحها واطلع على ما فيها . ثم طلب المشايخ فحضروا اليه وقت العصر .

الجمعة ١٥ منه (٨ ابريل ١٨٠٣ م) :

حضرت مكاتبات من الديار الحجازية ، يخبرون فيها عن الوهايين ، أنهم حضروا الى جهة الطائف .



مقاتل من الوهابيين

نواحي المدينة ، بل وطريق بولاق وغير ذلك .

السبت ١٦ منه (٩ ابريل ١٨٠٣ م) :

ركب الوجاقلية بأبنتهم وبيارهم ، وحضروا الى بيت الباشا ، وخرجوا من هناك الى وطاقهم الذي أعدوه لأنفسهم خارج القاهرة ، وشرعوا أيضا في تعمير قصر من القصور الخارجة ، التي خربت أيام الفرنسيين .

الثلاثاء ١٩ منه (١٢ ابريل ١٨٠٣ م)

سافر جماعة الوجاقلية المذكورين ، وصحبهم عدة من الميكر ، الى جهة عرب الجزيرة .. بسبب اغارة موسى خالد ومن معه على البلاد ، وقطع الطرق . فلاقاهم المذكور ، وحاربهم ، وهرمهم الى وردان ، وذهب هو الى جهة البحيرة .

مخرج اليهم شريف مكة - الشريف غالب - فحاربهم ، فهزموه ، فرجع الى الطائف ، وأحرق داره التي بها ، وخرج هاربا الى مكة فحضر الوهابيون الى البلدة ، وكبيرهم « المضايقي » نسيب الشريف ، وكان قد حصل بينه وبين الشريف وحشة ، فذهبت مع الوهابيين ، وطلب من مسعود الوهابي أن يؤمره على العسكر الموجهة لمحاربة الشريف ... ففعل . فحاربوا الطائف ، وحاربهم أهلها ثلاثة أيام حتى غلبوا فأخذ البلدة الوهابيون واستولوا عليها عنوة ، وقتلوا الرجال ، وأسروا النساء والأطفال ... وهذا دأبهم مع من يحاربهم . وفي ذلك اليوم : مر أربعة أنفار من العسكر ، وأخذوا غلاما لرجل حلاق بخط بين الصوريين عند القنطرة الجديدة . فعارضهم الأسطى الحلاق في أخذ الغلام ، فضربوا الحلاق وقتلوه ثم ذهبوا بالغلام الى دارهم بالخطة . فقامت في الناس ضجة وكثرة . وحضر أغات التبديل فطلبهم ، فكرنكوا بالدار ، وضربوا عليه البنادق من الطيقان ، فقتلوا من أتباعه ثمانية أنفار ، ولم يزلوا على ذلك الى ثاني يوم .

فركب الباشا في التبديل ، ومر من هناك ، وأمر بالقبض عليهم . فنقبوا عليهم من خلف الدار ، وقبضوا عليهم ، بعد ما قتلوا وجرحوا آخرين ، فشققوهم ، ووجدوا بالدار مكانا خربا أخرجوا منه زيادة عن ستين امرأة مقتولة .. وفيهن من وجدوها وطفلها مذبح معهما في حضنها !!

وفيه : حضر على أغا الوالي الى بيت أحمد أغا شويكار بدرب سعادة ، وأخرج منه قتلى كثيرة وأمثال ذلك .. شيء كثير !!

وفيه : أمر الباشا الوجاقلية أن يخرجوا جهة العادلية لأجل الغفر من العربان . فانهم فحش أمرهم ، وتجاسروا في التعرية والخطف .. حتى على

الأحد ٢٤ منه (١٧ أبريل ١٨٠٣ م) :

كان عيد النصرى الكبير . فى ليلتها — وهى ليلة الاثنين — وقع الحريق فى الكنيسة التى بحارة الروم .

وفى صباحها شاع ذلك . فركب اليها أغات الانكشارية والوالى ، وأحضروا السقائين والفعلة الذين يعملون فى عمارة الباشا .. حتى أخذوا الناس المجتمعة بسوق المؤيد بالأنماطين ، وحضر الباشا أيضا فى التبديل ، واجتهدوا فى اطفائها بالماء والهدم .. حتى طفت فى ثانى يوم .

واحترق بها أشياء كثيرة وذخائر وأمتعة ، ونهبت أشياء .

وفيه : وردت أخبار بأن الأمراء المصرية وصلوا الى منية ابن خصيب ، فأرسلوا الى حاكمها بأن ينتقل منها ، ويعمدى هو ومن معه من العسكر الى البر الشرقى ، حتى انهم يقيمون بها أياما ويقضون أشغالهم ثم يرحلون !

فأبوا عليهم ، وحصنوا البلدة ، وزادوا فى عمل المتاريس . وحاكمها المذكور سليم كاشف — تابع عثمان بيك الطبرجى المرادى المقتول — فانه سالم العثمانيين ، وانضم اليهم ، فألبسوه حاكما على المنية ، وأضافوا اليه عساكر . فذهب اليها ، ولم يزل مجتهدا فى عمل متاريس ومدافع ... حتى ظن أنه صار فى منعة عظيمة .

فلما أجابهم بالامتناع ، حضروا الى البلدة . وحاربهم أشد المحاربة مدة أربعة أيام بلياليها ، حتى غلبوا عليهم ، ودخلوا البلدة ، وأطلقوا فيها النار ، وقتلوا أهلها وما بها من العسكر . ولم ينج منهم الا من ألقى نفسه فى البحر ، وعام الى البر الآخر ، أو كان قد هرب قبل ذلك .
وأما سليم كاشف فانهم قبضوا عليه حيا ،

وأخذوه أسيرا الى ابراهيم بيك .. فوبخه ، وأمر بضربه . فضربوه علقه بالنبايت !

وفيه : وصلت هجانة — من شريف باشا — بمكاتبة للباشا والدفتردار ، يخبر فيها أنه وصل الى ينبع ، وهو عازم على الركوب من هناك على البر ليدرك الحج ، ويترك أثقاله ... فتوجه فى المركب الى جدة .

وفى غايته (٢٢ أبريل ١٨٠٣ م) :

وصل سلحدار الباشا وصحبه أغات المقرر ، الذى تقدمت بشارته . فلما وصلوا الى بولاق ، أرسل الباشا فى صباحها اليهم . فركبوا فى موكب الى بيت الباشا ، وضربوا لهم مدافع . وحضر المشايخ والقاضى والأعيان والوجاقات ، فقرئ عليهم ذلك . وفيه : الأمر بتشهيل غلال للحرمين ، والحث والأمر بمحاربة المخالفين .

وفيه : بعثوا نحو ألف من العسكر الى جهة أسبوط للمحافظة . فساروا على الهجن من البر الشرقى .

وفيه : أرسلوا أوراقا الى التجار وأرباب الحرف ، بطلب باقى الفردة .. وهو القدر الذى كان تشفع فيه المحروقى ، وأخذوا فى تحصيله ..

وانقضت هذه السنة ، وما وقع بها من الحوادث الكلية التى ذكر بعضها ، وأما الجزئية فلا يمكن الاطالة ببعضها فضلا عن كلها ، لكثرتها واختلاف جهاتها ، واشتغال البال عن تتبع حقائقها ، ونسيان الغائب بالأشنع ، والقبيح بالأقبح .

فمن الكلية التى عم الضرر بها : زيادة المكوس أضعاف المعتاد فى كل ثغر ذهابا وإيابا .

ومنها : توالى الفرد والسلف والمظالم على أهل المدينة والأرياف ، وحق طرق المعينين ، وكلفهم الخارجة عن الحد والمعقول .. بأدنى شكوى ، ولو



اسيوط

ويمكن أنه من بعد خلاصه من أمر
المباشر ، بخضر الى بيت الباشا ، ويفحص عن
خصمه ويعرفه ، فينهى دعواه ، ويظهر حجة
بأنه على الحق ، وأن خصمه على الباطل . فيقال
له : « عين على خصك أيضا » . فان أجاب الى
ذلك ، رسم له بفرمان ومعين آخر كذلك .. والا
ترك أجره على الله ورجع !

فضاق ذراع الناس من هذه الحال ، وكرهوا
هذه الأوضاع وربا قتل الفلاحون
المعنين ، وهربوا من بلادهم ، وجلوا عن أوطانهم
خوف الغائلة .

ولم يزل هذا دأبهم ، حتى نفرت منهم القلوب ،
وكرهتهم النفوس ، وتمنوا لهم الفوائل .

وعصت أهل النواحي ، وعربدت العريان ،
وقطعوا الطرق ، وعلوا خيانتهم ... فخانوهم ،
ومكالبتهم ... فكالبوهم

واتقى عربان الجهة القبلية الى الأمراء المصرية
وساعدوهم عليهم . ولما انحدر الأمراء الى جهة

بالباطل . فبجرد ما يأتى الشاكي بعرضحال
شكواه ، يكتب له ورقة ، ويعين بها عسكرى أو
اثنان أو أكثر .. بحسب اختيار الشاكي وطلبه ،
للتشفى من خصمه . فبجرد وصوله الى المشكى
بصورة منكرة ، وسلاح كثير متقلد به ، فلا يكون
له شغل الا طلب خدمته ، ولا يسأل عن الدعوى
ولا عن صورتها . ويطلب طلبا خارجا عن المعقول
كألف قرش في دعوى عشرة قروش ! وخصوصا اذا
كانت الشكوى على فلاح في قرية ، فيحصل أشنع
من ذلك ... من اقامتهم عندهم ، وطلبهم وتكليفهم
الذبائح والقطور بما يشترطونه ويقترحونه عليهم .
وربما يذهب الشخص الذى يكون بينه وبين آخر
عداوة قديمة ، أو مشاحنة ، أو دعوى ...
قضى عليه فيها بحق من زمان طويل ،
فيقدم له عرضحال ، ويعين له مباشرة بفرمان ،
ويذهب هو فلا يظهر ، ويذهب المعين فى شغله ...
والمشكى لا يرى الشاكي ، ولا يدري من أين
جاءته هذه المصيبة !

بحرى ، انضمت اليهم جميع قبائل الجهة الغربية
والهنادى وعرب البحيرة وخلافهم .

فلما وقعت الحروب بين الأمراء والعثمانيين ،
وكانت الغلبة للأمراء والعربان ... زادت جسارتهم
عليهم ، ورصدوا لهم الغوائل ، وقطعوا عليهم وعلى
المسافرين الطرق بحرا وبراً . فمن ظفروا به
وما نهم ، نهبوا متاعه وقتلوه .. والا سلبوه
وتركوه !

وفحش الأمر جدا ، قبلى وبحرى ، حتى
وقف حال الناس ، ورضوا عن أحكام الفرنسيين !
ومنها : أن الباشا لما قتل الوالى والمحتسب ،
وعمل قائمة تسعيرة للمبيعات ، وأن يكون الرطل
اثنى عشرة أوقية في جميع الأوزان ، وأبطلوا
الرطل الزيتى الذى يوزن به السمن والجبن
والعسل واللحم وغير ذلك — وهو أربع عشرة
أوقية — لم ينفذ من تلك الأوامر شيء سوى نقص
الأرطال !

ولم يزل ذو الفقار محتسباً حتى رتب المقررات
على المتسبين زيادة عن القانون الأصلى ، وجعل
منها قسماً لخزينة الباشا وللكتخدا وخلافهما .

ورجعت الأمور فى الأسعار أقبح وأعلى مما
كانت عليه فى كل شيء ، واستمر الرطل اثنى عشرة
أوقية لاغير .

وكثر ورود الغلال أيام النيل ، ورخص سعرها .
والرغيف على مقدار رغيف الغلاء !

ومنها : أن الفضة الأنصاف العددية ، صاروا
يأخذونها من دار الضرب أول بأول ويرسلونها الى
الروم والشام بزيادة الصرف ، ولا ينزل الى
السيارف منها الا القليل ، حتى شحت بأيدي الناس
جداً ، ووقف حالهم فى شراء لوازم البيوت ومحقرات
الأمور . ويدور الانسان بالريال أو المحبوب أو

الجر — وهو فى يده طول النهار — فلا يجد
مصارفته !

وأغلقت غالب الصيارف حوانيتهم بسبب ذلك ،
وبسبب أذية العسكر . فانهم يأتون اليهم ويلزمونهم
بالمصارفة ، فيقول له الصيرفى : « ليس عندى فضة »
فلا يقبل عذره ، ويفزع عليه بيطقانه أو بارودته .
وان وجد عنده المصارفة ، وكان المحبوب أو
البندقى ناقصاً فى الوزن ... لا يستقيم فى نقصه ،
ولا يأخذ الا صرفه كاملاً . واذا اشترى شيئاً من
سوقى ، أعطاه بندقياً وطلب باقيه .. ولم يكن عند
البائع باقيه ، أخذ الذى اشتراه والبندقى وذهب .
ولا تقدر المتسبب على استخلاص حقه منه ! وان
وجد معه باقى المصارفة ، وأخذ ذلك البندقى وتقدمه
عند الصراف ، وكان ناقصاً — وهو الغالب —
لا يقدر الصيرفى أن يذكر نقصه .. فان قال : « انه
ينقص كذا » ، فزع عليه وسبه . وبعضهم أدخل
اصبعه فى عين الصراف .. وأمثال ذلك !

ومنها : شحت المراكب ، حتى ان المسافر يمكث
الأيام الكثيرة ينتظر مركباً ... فلا يجد . وربما
أخذوها بعد تمام وسقتها .. فنكتوه ، وأخذوها .
وان مرت على الأمراء المصرية وما انضم اليهم ،
تعرضوا لها ، ونهبوا ما بها من الشحنة ، وأخذوا
المركب .

واستمر هذا الحال على الدوام . فكان ذلك من
أعظم أسباب التعطيل أيضاً .

ومنها : تسلط العسكر على خطف الناس
وسلبهم وقتلهم ، وخصوصاً فى أواخر هذه السنة ،
حتى امتنعت الناس من المرور فى جهات سكنهم
الا أن يكونوا فى عزوة ومنعة وقسوة . ولا تكاد
ترى شخصاً يمر فى الأسواق السلطانية من بعد
المغرب وقبيل العشاء !



السير من بعد الغروب .. بالخفارة والعزوة

ومنها : استمرار الباشا على الهمة والاجتهاد في العمارة والبناء ، وطلب الأخشاب والمون .. حتى عز جميع أدوات العمارة ، وضاق حال الناس بسبب احتياجهم لعمارة أماكنهم التي تخربت في الحوادث السابقة . وبلغ سعر الأردب الجبس : مائة وعشرين نصفا ، والجير المخلوط : أربعين نصفا ، وأجرة المعلم في اليوم : خمسة وأربعين نصفا ، ويتبعه آخر ، مثل ذلك ، والفاعل : اثنين وعشرين نصفا . وأحدثوا أخذ اجازة من المعمارجي ، وهو أن الذي يريد بناء — ولو كانوا — لا يقدر أن يأليه البناء حتى يأخذ ورقة من المعمارجي ، ويدفع عليها خمسين نصفا . ولم يزل الاجتهاد في العمارة المذكورة ، حتى أقاموا جانبا من « القشلة » ، وهي عبارة عن وكالة يعلوها طابق ، وأسفلها اصطبلات ، وحولها — من داخل — حواصل ، ومن خارج

وإذا اضطر الانسان الى المرور تلك الأوقات ، فلا يمر الا كالمجازف على نفسه ، وكأنما على رأسه الطير . فيقال ان فعلهم هذه الفعائل من عوائدهم الخبيثة ... اذا تأخرت نفقاتهم ، فعلوا ذلك مع العامة ، على خد قول القائل : « خلص ثارك من جارك » . وذلك كله بسبب تأخير جماكيهم وقطع خرجهم نحو خمسة أشهر . والباشا يسوقهم ويقول : « هؤلاء لا يستحقون فلسا ، وأي شيء خرج من يدهم ، وطول المدى نكلفهم ونعطهم ، وما ستروا أنفسهم مع الغز المصرية ... ولا مرة ، فلا حاجة لنا بهم . بل يخرجون عني ، ويذهبون حيث شاءوا . فليس منهم الا الرزية والفتنزية ! » وهم يقولون : « لا نخرج ، ولا نذهب ، حتى نستوفي حقنا على دور النصف الفضة الواحد . وان شئنا أقمنا ، وان شئنا ذهبنا ! » .

جوانيت وقهوة . فعند ما تمت الحوانيت ، ركبوا عليها درفها ، وأسكنوا بها قهوجيا ومزيئا من أتباع الباشا ، وخياطين وعقادين وصروجية الباشا ، وغير ذلك .

ولم يكمل تسقيف الطباقي ، وعللوا لها بوابة عظيمة بمصاطب ، وهدموا حائط الرحبة المقابلة لبيت الباشا الخارجة ، وعمرت ، وأنشئت بالحجر النحت المحكم الصنعة ، وعللوا لها بابا عظيما ببندلات وأبراج عظيمة ، وبها طاقات عليا وسفلى ، وصفوا بها المدافع العظيمة .

وبركة الرحبة مثل ذلك . وعللوا لها بابا آخر قبالة باب « القشلة » بحيث صار بينها وبين « القشلة » رحبة متسعة سلك منها المارون الى جهة بولاق ، على الجسر الذي عمله الفرنسيين .

ويخرجون أيضا في سلوكهم من بوابة عظيمة الى طريق بولاق ، من الجهة الغربية ، بحائط حجر متصل من الرحبة .. حيث البوابة المواجهة « للقشلة » الى آخر « القشلة » .

وعلى هذه البوابة من الجهتين مدافع مركبة على بدنات وأبراج وطبقان مهندمة ، وبأسفلها — من داخل — مصطبة كبيرة من حجر ، وبها باب يصعد منه الى تلك الأبراج . والجبخانة والعساكر جلوس على تلك المصاطب الخارجة والداخلة ... لا بسن الأسلحة ، وبنادقهم مرصوفة بدائر الحيطان . وبداخل الرحبة الوسطانية مدافع عظيمة مرصوفة بطول الرحبة يمينا وشمالا . وكذلك بداخل الحوش

الجواني الأصلى ، وبأسفل البركة نحو المائتي مدفع مرصوفة أيضا ، وعرييات وصناديق جبخانه وآلات حرب وغير ذلك .

والجبخانه الكبيرة لها محل مخصوص بالحوش الداخل الأصلى ، ولها خزانة وطبجية وعربية .

ومنها : أنه عدم البصل الأحمر .. حتى بيع الرجل بسعر القنطار في الزمن السابق !

وعدم الملح أيضا .. بسبب احتكاره ! وعدم المراكب التي تجلبه من بحرى ، لما ترتب عليهم من زيادة الجمر ، وعدم مكاسبهم فيه ... لأن الذى ثولى على جمر الملاحه صار يأخذه من أصحابه على ذمته بسعر قليل معلوم ، ويبيعه على ذمته بسعر كثير لمن يسافر به الى جهة قبلى ، وذلك خلاف ما يأخذه من المراكب التي تحمله .

فامتنع المتسبون فيه من تجارته ... فعز وجوده في آخر السنة ، حتى بيع الربع بشانين نصفا .. من ثلاثة أنصاف !

وضجت الناس من ذلك ، فأرسل ذلك الملتزم ثلاثة مراكب على ذمته ، ووسقوها ملحا ، وصار يبيع الربع بعشرين نصفا ، ويبيعه المسبب بثلاثين .. وهذا لم يعهد فيما تقدم من السنين !!

وعدم أيضا الصابون بسبب تأخر القافلة ، حتى بيع بأعلى ثمن . ثم حضرت القافلة ، فأنحل سعره وتواجد ، وغير ذلك مما لا يمكن الإحاطة به . ونسأل الله تعالى حسن العاقبة .

الحزم

السبت غرته (٢٣ ابريل ١٨٠٣ م)

في ذلك اليوم : وقعت زعجة عظيمة في الناس ، وحصلت كرشات في مصر وبولاق ، وأغلق أهل الأسواق حوانيتهم ، ورفعوا منها ماخف من متاعهم من الدكاكين وبعضهم ترك حانوته ، وهرب والبعض سقط متاعه من يده ولم يشعر .. من شدة ما لحقهم من الخوف والارجاف ولم يعلم سبب ذلك !!

فيقال : ان السبب في ذلك أن جماعة من كبار العسكر ذهبوا الى الباشا وطلبوا جماكبيهم المنكسرة وخرجهم فقال لهم : « اذهبوا الى الدفتردار » ، فذهبوا الى الدفتردار ، فقال لهم : « جمكيتم عند محمد علي » ، فذهبوا الى محمد علي — وكانوا وعدوهم بقبض جمكيتم في ذلك اليوم . فلما ذهبوا الى محمد علي قال لهم : « لم أقبض شيئاً » فعملوا معه شراسة ، وضرب بينهم بعض بنادق ، وهاجت العسكر عند بيت محمد علي سرشمة .

فحصلت هذه الزعجة في مصر وبولاق . ثم سكن ذلك بعد أن وعدهم بعد ستة أيام .

وفيه : وردت عدة تقارير ، وبها جبخانة وجلة من العساكر ، وصحبتهم ابراهيم أغا — الذي كان كاشف الشرقية عام أول — وكان توجهه الى اسلامبول ... فحضر وصحبته ذلك .. فحملوا الجبخانة وطلعوها الى القلعة . فيقال انها متوجهة

الى جدة بسبب فتنة الحجاز . وقيل غير ذلك .
الجمعة ٧ منه (٢٩ ابريل ١٨٠٣ م) :

ثارت العسكر ، وحضروا الى بيت الدفتردار ، فاجتمعوا بالحوش ، وقتلوا باب القيطون ، وطرّدوا القواسة . وطلع جمع منهم فوققوا بفسحة المكان الجالس به الدفتردار ، ودخل أربعة منهم عند الدفتردار ، فكلّوه في ائجاز الوعد ، فقال لهم : « انه اجتمع عندي نحو الستين ألف قرش .. فاما أن تأخذوها ، أو تصبروا كم يوم حتى يكمل لكم المطلوب » . فقالوا : « لا بد من التشهيل ، فان العسكر تقلقوا من طول المواعيد » ، فكتب ورقة وأرسلها الى الباشا بأن يرسل اليه جانب دراهم تكملة للقدر الحاصل عنده في الخزينة .

فرجع الرسول وهو يقول : « لا أدفع ، ولا آذن بدفع شيء ... فاما ان يخرجوا ويساقروا من بلدي ، أو لا بد من قتلهم عن آخرهم ! » .

فعند ما رجع بذلك الجواب ، قال له : « ارجع اليه ، وأخبره أن البيت قد امتلأ بالعساكر فوق وتحت ، وأنا محصور بينهم » فعند وصول المرسال ، وقبل رجوعه ، أمر الباشا بأن يديروا المدافع ويضربوها على بيت الدفتردار ، وعلى العسكر ! فما شعر الدفتردار الا وجلة وقعت بين يديه ، فقام من مجلسه الى مجلس آخر . وتتابع الرمي ، واشتعلت النار في البيت وفي الكشك الذي أنشأه بيت جده المجاور لبيته — وهو من الخشب والحجّة (١) ، من غير بياض لم يكمل — فالتهب (١) بوم ربيع ينمر على شاطئ النيل وفي البرك والمستنقعات .

بأنار ، فنزل الى أسفل - والأرثوود محيطة به -
وبات تحت السلالم الى الصباح . ونهب العسكر
الخزينة والبيت ، ولم يسلم الا الدفتردار .
والأوراق وضعوها في صناديق وشالوها !

وكان ابتداء رمى المدافع وقت صلاة الجمعة .
وأما أهل البلد فانهم كانوا متخوفين ومتطيرين من
قومة أو فزعة تحصل من العسكر قبل ذلك . فلما
عاب الناس تجمعهم ببيت الدفتردار ، شاع ذلك في
في المدينة . ومر الوالى يقول للناس : « ارفعوا
متاعكم ، واحفظوا أنفسكم ، وخذوا حذرکم
وأسلحتکم » فأغلق الناس الدكاكين والدروب ،
وهاجوا وماجوا . فلما سمعوا ضرب المدافع زاد
تطيرهم ، وتخلوا هجوم العسكر ونهب البلد ...
بل ودخول البيوت . ولا راد بردهم ، ولا حاكما
يسمهم . ونادى المنادى : « معاشر الناس ، وأولاد
البلد .. كل من كان عنده سلاح فليلبسه ،
واجتمعوا عند شيخ مشايخ الحارات ، يذهب
بكم الى بيت الباشا » .

وحضرت أوراق من الباشا لأهل الغورية ومغاربة
الفجامين وتحار خان الخليلى وأهل طولون ..
بطلبهم بأسلحتهم ، والحضور عنده ، والتحذير من
التخلف .

فذهب بعض الناس ، فأقاموهم عند بيت حريم
الباشا وبيت ابن المحروقي المجاور له - وهو بيت
البكرى القديم - فباتوا ليلتهم هناك .

وحضر حسن أغا والى العبارة ، عشاء تلك
الليلة ، وطاف على الناس يحرضهم على القيام
ومعاونة الباشا . وتجمع بعض الأوباش بالمضى
والمساق ، وتحزبوا أحزابا ، وعملوا متاريس عند
رأس الوراقين وجهة العقادين والمشهد الحسينى .

فلما دخل الليل ، بطل الرمى الى الصباح ،
فشرعوا فى الرمى بالمدافع والقنابر من الجهتين ،

وتترست العساكر بحامع أربك وبيت الدفتردار
وبيت محمد على وكوم الشيخ سلامة . وداخل
الناس خوف عظيم من هذه الحادثة .

وأما القلعة الكبيرة ، فان الباشا مطمئن من
جهتها ، لأنه مقيم بها الخازندار ومعه عدة من
الأرثوود وغيرهم ، وقافل أبوابها .

ولما كان يوم الجمعة - أمس تاريخه - قبل
حصول الواقعة ، وحضر أغات الانكشارية
والوجاقلية لأجل السلام على عاداتهم ، ودخلوا عند
كتخدا بيك ، قال لهم : « نبهوا على أهل البلد
بفلق الدكاكين والأسواق والاستعداد ... فان
العسكر حاصل عندهم قلة أدب ! » .

فلما طلوعوا عند الباشا ، أعلموه بمقالة كتخدا
بيك ، فقال لهم : « نعم » ، فقال له أغات الانكشارية
« ياسلطانم ... ينبغي الاحتفاظ بالقلعة الكبيرة قبل
كل شيء » فقال : « ان بها الخازندار ، وأوصبه
بالاحتفاظ وغلق الأبواب » ، فقال له الأغا : « لكن
ينبغي أن تترك عند كل باب من خارج قدر خمسين
انكشاريا » ، فقال : « وايش فائدتهم ؟ ما عليكم
من هذا الكلام ... تريدون تفريق عساكرى . اذهبوا
لما أمرتكم به » . وذلك لأجل انفاذ القضاء !

وحضر طاهر باشا أيضا فى ذلك الوقت ، وهو
كالمحب ومكمن العداوة ، فلم يقابله الباشا ، وأمره
بأن يذهب الى داره ، ولا يقارش .

السبت ٨ منه (٣٠ ابريل ١٨٠٣ م) :

رتب الباشا عساكره على طريقة الفرنسيين -
وهو المسمى بالنظام الجديد - فخرجوا بأسلحتهم
وبنادقهم وخولهم ، وهم طواير ، ومروا حوالى
البركة ، وانقسموا فرقتين : فرقة أتت على رصف
الحشاب ، وفرقة على جهة باب الهواء ... ليأخذوا
الأرثوودية بينهم ، وبحصروهم من الجهتين .

فلما حضرت الفرقة التى من ناحية رصيف

الخشب ... قاتلوا الأرثوودية . فعند ذلك أركبوا الدفتردار ، وأخذوه الى بيت طاهر باشا ، ومعه أتباعه . وانهزم الأرثوودية من تلك الجهة ، وانحصروا جهة جامع أزبك ، واشتغلوا بمحاربة الفرقة الأخرى ، وتحققوا الهزيمة والخذلان .

وعندما وصلت عساكر الباشا الى بيت الدفتردار والمحروقي وبيت حريم الباشا ، اشتغلوا بالنهب واخراج الحريم ، وتركوا القتال وتفرقوا بالمنهوبات . وفترت همة الفرقة الأخرى ، وجرى أكثرهم ليخطف شيئا ، ويفنم مثلهم ! وقالوا : « نحن نقاتل ونموت ... لا على شيء .. وأصحابنا ينهبون ويفنمون ! » ، فهزموا أنفسهم لذلك ، وتراجع الأرثوودية ، واشتدت عزيمتهم . ورجع البعض منهم على عساكر الباشا ، فهزموا من بقى منهم ، وملكوا الجهة التي كانوا أجلوهم عنها .

فعند ذلك ظهر طاهر باشا ، وركب الى الرميعة ، وتقدم الى باب العزب ، فوجده مغلقا ، فعالج الطاقات الصغار التي في حائط باب العزب ، القريبة من الأرض ، المعدة لرمى المدافع من أسفل ... ففتح بعضها ، ودخل منها بعض عسكر . فتلاقوا مع الأرثوود المحافظين داخل الباب ، فالتف بعضهم على بعض . ثم طلعوا عند الخازندار - وكان عنده ابن أخت طاهر باشا مترضا قبل ذلك بأيام - وصحبه طائفة أيضا . فالتفوا على بعضهم ، وصاروا عصبة ، وطلبوا مفاتيح القلعة من الخازندار ... فمانعهم ولما رأى منهم العين الحمراء سلمهم المفاتيح ، فنزلوا وفتحوا الأبواب لطاهر باشا ، وحسوا الخازندار ، وأنزلوا من القلعة مدافع وبنات وجبخانه الى الأزيكية لجماعتهم .

وكذلك قيدوا بالقلعة طبعية وعساكر ... كل ذلك ومحمد باشا لا يدري بشيء من ذلك . فلم يشهر الا والضرب نازل عليه من القلعة . فسأل :

« ما هذا ؟ » . فقليل له : « انهم ملكوا القلعة » فسقط في يده !

وعند ذلك نزل طاهر باشا من القلعة ، وشق من وسط المدينة وهو يقول بنفسه مع المنادى : « أمان واطمئنان . افتحوا دكاكينكم ، وبيعوا واشتروا . وما عليكم بأس ! »

وطاف يزور الأضرحة والمشايخ والمجاذيب ، ويطلب منهم الدعاء ! . ورفع الناس المتارين من الطرق ، وانكفوا عن مقارضة العسكر ، وكذلك لم يحصل أذية من العسكر لأحد من الرعية .

وأمرؤا بفتح مخازن العيش والمأكول ، وأخذوا ، واشتروا من غير اجحاف ولا بحس .

فلما علم الباعة منهم ذلك ، ذهبوا اليهم بالعيش والكعك والجبن والفطير والسميط وغير ذلك ودخلوا فيهم يبيعون عليهم ، وهم يشترون منهم بالمصلحة .

وصار بعض أولاد البلد يذهب الى الفرقة ، ويدخل بينهم ويمر من وسطهم ... فلا يتعرضون لهم ، ويقولون : « نحن مع بعضنا ... وأتم رعية فلا علاقة لكم بنا ! » . ووجدوا مع البعض سلاحا ، ذهب به عندما أرسل الباشا ونادى على الناس ، فردوهم بلطف .. وكل ذلك على غير القياس !

وطاهر باشا لم يكن له شغل الا الطواف بالمدينة والأسواق وخارج البلد ، ويقول للفلاحين الذين يجلبون الحطب والجلّة والسنن والجبن من الأرياف : « كونوا على ما أتمم عليه ، وهاتوا أسبابكم ، وبيعوا واشتروا ... وليس عليكم بأس ! » وحضر اليه الوالى ، فأمره بالمرور والمناداة بالأمن للناس .

واستمر الحرب بين الفريقين نهار السبت ، واشتد ليلة الأحد طول الليل . فما أصبح النهار حتى زحف عساكر الأرثوود الى جامع عثمان كتنخدا والى حارة النصارى من الجهة الأخرى ، وطلعوا

الى التلول التى بناحية بولاق ، وملكوا بولاق ، وهجموا على مناخ الجمال الذى بالقرب من الشيخ فرج ، فقتلوا من به من عسكر التكرور ، وهرب من بقى منهم عريانا . وقبضوا على «متش» القبطان ، وعدوا بالعليون الى بر انبابة ، ونهبوا ما فيه — وكان به مال القبطان وذخائره التى جمعها من مظالم المراكب والمسافرين والقادمين شيئا كثيرا — وكذلك ذهبت طائفة منهم الى قصر العينى ، وقبضوا على من به من عبيد الباشا ، وعروهم وأخذوهم أسرى . ونهبوا بيت السيد أحمد المحرقى بالأزبكية — وهو بيت البكرى القديم — وقد كان أخلاه لنفسه ، وعمره وسكنه بحريمه ... فنهبوا منه شيئا كثيرا يفوق الحصر ، وأخرجوا منه النساء بعد ما فتشوهن ، أو افتدين أنفسهن . وكذلك بيت حريم الباشا الملاصق له ، بعد ما أرسل الباشا عساكره قبل يوم ، فنقل منه الحريم عنده بطولهن لاغير ، ونهبوا بيت جرجس الجوهري وأخذوا منه أشياء نفيسة كثيرة ، وفراوى مثمرة . وحريم بيت الباشا لم يتمكنوا منه الا بعد انفضاض القضية بيومين ... بسبب أن المحافظين عليه كانوا ثمانية عشر فرنساوية . فحاصروا فيه هذه المدة ، حتى خرجوا منه بأمان .

وأما سكان تلك الخطة ... فانهم كانوا يذهبون الى طاهر باشا ، أو محمد على ، فيرسل معهم عسكرا لحفارتهم ، حتى ينقلوا أمتعتهم أو ما أمكنهم الى جهات بعيدة عن ذلك المحل ، ليأمنوا على أنفسهم من الحرب . وهرب المحرقى وابنه عند الباشا .

ولاحث لوائح الخذلان على الباشا ، واستعد للفرار ... فانه لما بات تلك الليلة ، لم يجد عليقا ولا خيزرا ، فعلقوا على الخيل أرزا ، وتعشى الباشا بالبقساط ، وأرسل الى حارة النصارى فطلب منهم

خيزرا . فأرسلوا له خيزرا ، فخطفه الأرثوود فى الطريق ، ولم يصل اليه .

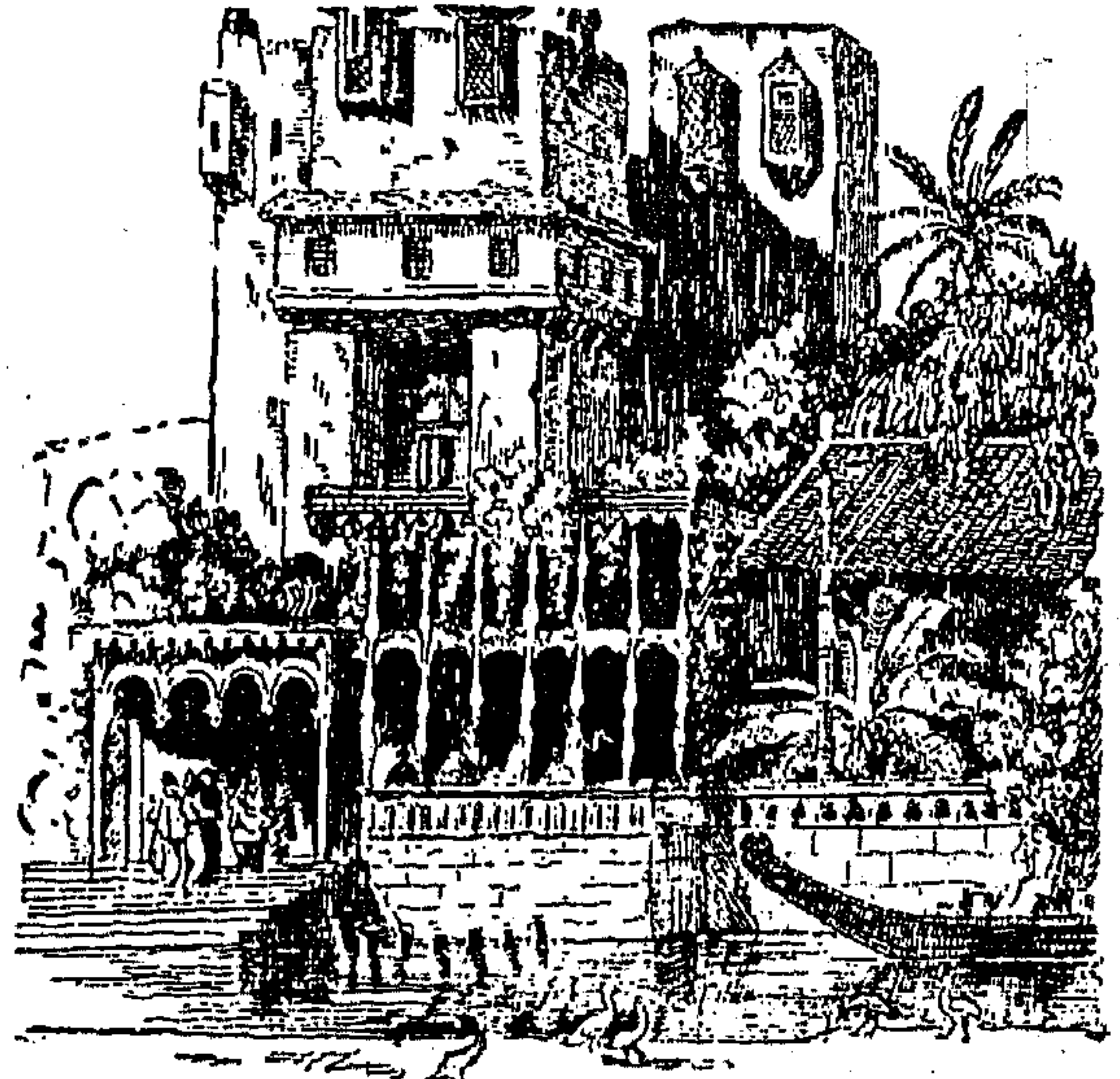
ثم ان عسكر الأرثوود أحضروا له آلة بنبة ، ووضعوها بالبركة ، وضربوا بها على بيت الباشا . فوقعت واحدة على الباذاهنج ، فالتهب فيه النار ، فأرادوا إطفاءها ، فلم يجدوا سقائين تنقل الماء . ويقال ان الخازندار الذى كان بالقلعة — لما قبضوا عليه — التزم لهم بحرق بيت الباشا ويطلقوه . فأرسل بعض أتباعه الى مكانه — الذى بيت الباشا — فأوقدوا فيه النار فى ذلك الوقت ، واشتعلت فى الأخشاب والسقوف ، وسرت الى مساكن الباشا . فعند ذلك نزل الباشا الى أسفل ، وأنزل الحريم — وعددهن سبع عشرة امرأة — فأركبهن بغالا ، وأمر الدلاة والهواره أن يتقدموهن ، وركب صحبتهم المحرقى وابنه وترجمانه وصيرفبه وعبيده وفراشوه . وتأخر الباشا حتى أركب الحريم ، ثم ركب فى مماليكه ومن بقى من عسكره وأتباعه ، وركب معه حسين أغا شن وبعض أغوات ، وصحبه ثلاثة هجن ، وخرج الى جزيرة بدران . فعندما أشيع ركوبه ، هجمت عساكر الأرثوود على البيت ، واشتغلوا بالنهب .. هذا والنار تشتعل فيه . وكان ركوبه قبيل أذان العصر من يوم الأحد تاسع المحرم . وخرج خلفه عدة وافرة من عسكر الأرثوود ، فرجع عليهم وهزمهم مرتين ، وقيل ثلاثا .

وأما المحرقى ومن معه فانهم تشتتوا من بعضهم خلف الدلاة ، ولم يلحقوهم . وانقطع حزام بقلته ، فنزل عنها . فأدركه العساكر المتلاحقة بالباشا ، فعروه وشلحوه هو وأتباعه وابنه ، وأخذوا منهم نحو عشرين ألف دينار اسلامبولى نقدية ، وقيل جواهر بنحو ذلك . فأدركهم عمر أغا بينباشى المقيم ببولاق ، فوقعوا عليه .. فأمنهم ، وأخذهم معه الى

بولاق ، وباتوا عنده الى ثاني يوم ، وأخذ لهم
أمانا ، وحضر الى طاهر باشا وقابله . وكذلك
جرجس الجوهري .
ونهب العسكر بيت الباشا ، وأخذوا منه شيئا
كثيرا . وباتت النار تلتهب فيه ... والدخان
صاعد الى غسان السماء ، حتى لم يبق فيه الا
الجدران التحتانية الملاصقة للأرض . واحتترقت
وانهدمت تلك الأبنية العظيمة المشيدة العالية وما به



محمد باشا يخرج منهزما الى جزيرة بدران



جانب من بيت الباشا

من القصور والمجالس والمقاعد والرواشن والشبايك والقمرينات والمناظر والتنهات والخزائن والمخادع . وكان هذا البيت من أضخم المباني المكلفة . فانه اذا حلف الحالف انه صرف على عمارته - من أول الزمان الى أن احترق - عشرة خزائن من المال أو أكثر ... لا يحث . فان الألفى لما أنشأه صرف عليه مبالغ كثيرة . وكان أصل هذا المكان قصرا عمره وأنشأه السيد ابراهيم بن السيد سعودى اسكندر - من فقهاء الحنفية - وجعل في أسفله قناطر وبوائك من ناحية البركة ، وجعلها يرسم النزهة لعامة الناس . فكان يجتمع بها عالم من أجناس الناس وأولاد البلد شيء كثير . وبها قهواوى ويباعون وفكهاينة ومغاني وغير ذلك . ويقف عندها مراكب وقوارب بها من تلك الأجناس . فكان يقع بها ، وبالحسر المقابل لها - من عصر النهار الى آخر الليل - من الحظ والنزاهة مالا يوصف . ثم تداول ذلك القصر أيدي الملاك ، وظهر على يبك وقساوة حكمه ... فسدوا تلك البوائك ، ومنعوا الناس عنها لما كان يقع بها في الأحيان من اجتماع أهل الفسوق والحشاشين .

ثم اشترى ذلك القصر الأمير أحمد أغا شويكار... وباعه بعد مدة . فاشتراه الأمير محمد بيك الألفى في سنة ١٢١١ هـ (١٧٩٦ م) ، وشرع في هدمه وتعميره وإنشائه على الصورة التي كان عليها . وكان غائبا جهة الشرقية ، فرسم لكتخده صورته في كاغد بكيفية وضعه . فحضر ذو الفقار كتخدا ، وهدم ذلك القصر ، وحفر الجدران ، ووضع الأساس ، وأقام الدعائم ، ووضع سقوف الدور السفلى ، فحضر عند ذلك مخدمه فلم يجده على الرسم الذى حدده له ... فهدمه ثانيا ، وأقام دعائمه على مراده ، واجتهد في عمارته ، وطلب له الصناع والمؤن من الأحجار والأخشاب المتنوعة ... حتى شحت المؤن في ذلك الوقت . وأوقف أربعة من أمرائه على أربع جهاته ، وعمل على ذمة العمارة طواحين للجبس وقمن الجير ، وأحضر البلاط من الجبل قطعا كبيرا ، ونشرها على قياس مطلوبه ، وكذلك الرخام ... وذلك خلاف أنقاض رخام المكان ، وأنقاض الأماكن التي اشتراها وهدمها وأخذ أخشابها وأنقاضها ونقلها على الجمال وفي المراكب لأجل ذلك فمنها البيت الكبير الذى كان أنشأه حسن كتخدا الشعراوى على بركة الرطلى ، وكان به شيء كثير من الأخشاب والأنقاض والشبايك والرواشن ... نقلت جميعها الى العمارة . فصار كل من الأمراء المشيدين يبنى وينقل ويبيع ويفرق على من أحب حتى بنوا دورا من جانب تلك العمارة . والطلب مستمر حتى أتموه في مدة يسيرة ، وركب على جميع الشبايك شرائح الزجاج أعلى وأسفل وهو شيء كثير جدا . وفي المخادع المختصة به ألواح الزجاج البلور الكبار التي يساوى الواحد منها خمسمائة درهم - وهو كثير أيضا - ثم فرش جميعه بالبسط الرومى والفرش الفاخر ، وعلقوا به الستائر والوسائد المزركشة وطوال المراتب كلها مقصات . وبنى به حمامين علويا وسفليا الى غير

ذلك ... فما هو الا أن تم ذلك ، فأقام به نحو
عشرين يوما ، ثم خرج الى الشرقية فأقام هناك .
وحضر الفرنسيين فسكنه سارى عسكر بونا برته
فعمر فيه أيضا عمارة . ولما سافر وأقام مكانه كلهبر
عمر فيه أيضا . فلما قتل كلهبر ، وتولى عوضه
عبد الله مينو ... لم يزل مجتهدا في عمارته ، وغير
معاليه ، وأدخل فيه المسجد ، وبنى الباب على
الوضع الذى كان عليه ، وعقد فوقه القبة المحكمة ،
وأقام في أركانها الأعمدة بوضع محكم متقن ، وعمل
السلالم العراض التى بصعد منها الى الدور العلوى
والسفلى على يمين الداخل ، وجعل مساكنه كلها
تنفذ الى بعضها البعض على طريقة وضع مساكنهم .
واستمر يننى فيه ويعمر مدة اقامته الى أن خرج من
مصر .

فلما حضر العثمانية ، وتولى على مصر محمد باشا
المذكور ، ورغب في سكنى هذا المكان ، شرع
في تعميره هذه العمارة العظيمة .. حتى انه رتب
لحرق الجير فقط اثني عشر قمينا تشتغل على
الدوام ، والجمال التى تنقل الحجر من الجبل ثلاث
قطارات : كل قطار سبعون جنلا . وقس على ذلك
بقية اللوازم . ورموا جميع الأتربة في البركة حتى
ردموا منها جانبا كبيرا ردما غير معتدل ، حتى
شوهوا البركة ، وصارت كلها كيمانا وأتربة .

والعجب أن منتهى الرغبة في سكن هذه البركة
وأمثالها .. انما هو تسريح النظر ، وانبساط النفس
باتساعها واطلاقها .. وخصوصا أيام النيل حين
تمتلئ بالماء فتصير لجة ماء دائرة بركارية ، ملوأة
بالزوارق والقنج ، والشطيات المعدة للنزهة تسرح
فيها ليلا ونهارا . وعند دخول المساء يوقدون
القناديل بدائرها في جميع قواطين البيوت . فيصير
لذلك منظر بهيج ، لاسيما في الليالى القمرية ،
فيختلط ضحك الماء في وجه البدر والقناديل

وانعكاس خيالها كأنها أسفل الماء أيضا ، وصدى
أصوات القيان والأغانى في ليال لاتعد من الأعمار ،
اذ الناس ناس ، والزمان زمان ! فلا حول ولا قوة
الا بالله العلى العظيم .. الى أن كان ما كان ،
ووقعت هذه الحوادث فتضاعف المسخ والتشويه .
والعجب أنه لما وقعت الحراية بين فرنساوية
والعثمانية وأهل مصر . وأقام الحرب ستة وثلاثين
يوما ، وهم يضربون على ذلك البيت بالمدافع
والقناير .. لم يصبه شيء ، ولم ينهدم منه حجر
واحد . ولما وقعت هذه الحراية بين الباشا
وعسكره ، احترق وانهدم في ليلة واحدة !

وكذلك احترق بيت الدفتر دار — وهو بيت
ثلاثة ولىة — الذى كان أنشأ رضوان كتحدا
الحلفى . وكان بيتا عظيما ليس له نظير في عمارته
وزخرفته وكلفته . وسقفه من أغرب ما صنعه
أيدى بنى آدم في الدقة والصنعة ، وكله منقوش
بالذهب واللازورد والأصباغ . وعلى مجالسه
العليا قباب مصنعة ، وأرضه كلها بالرخام الملون ..
فاحترق جميعه ولم يبق به شيء الا بعض الجدران
اللاطئة بالأرض .

وسكنت الفتنة . وشق الوالى على أغا
الشعراوى ، وذو الفقار المحتسب ، وأغات
الانكشارية ، ونادوا بالإمان والبيع والشراء .
فكانت مدة ولاية هذا الباشا على مصر ، سنة
وثلاثة أشهر وأحدا وعشرين يوما .

وكان سبب التدبير ، ولا يحسن التصرف ،
وينجب سفك الدماء ، ولا يتروى في ذلك ، ولا يضع
شيئا في محله . ويتكرم على من لا يستحق ، ويهمل
على من يستحق

وفي آخر مدته ، داخله الغرور ، وطاوع قرناء
السوء المحققين به ، والتفت الى المظالم والفرد
على الناس وأهل القرى .. حتى أنهم كانوا حرروا

دفاتر فردة عامة على الدور والأماكن بأجرة ثلاث سنوات . وقيل أشنع من ذلك !

فأنقذ الله منه عباده ، وسلط عليه جنده وعساكره ، وخرج مرغوما مقهورا على هذه الصورة ! ولم يزل في سيره الى أن نزل بقليوب بعد الغروب ، فعشاء الشواربي شيخ قليوب . ثم سار ليلا الى دجوة ، فأنزل الحريم والأثقال في ثلاث مراكب ، وسار هو الى جهة بنا ، وغالب جماعته تخلفوا عنه بمصر . وكذلك اتخذوا وديوان أفندي والخازن دار — الذى كان بالقلعة — والسلحدار و خليل أفندي خزنة كاتب .

الاثنين ١٠ منه (٢ مايو ١٨٠٣ م) :

نودى بالأمان أيضا ، وأن العساكر لا يتعرضون لأحد بأذية . وكل من تعرض له عسكري بأذية ، ولو قليلة ، فليشتكه الى القلق الكائن بخطته ، ويجضره الى طاهر باشا ، فينتقم له منه .

الخميس ١٣ منه (٥ مايو ١٨٠٣ م) :

حضر الأغا والوجاقلية الى بيت القاضى ، وأعلموه باجتماعهم فى غد عند طاهر باشا ، ويتفقون على تليسيه قائمقام ، ويكتبون عرض محضر بحاصل ما وقع .

وفى ذلك اليوم حضر جعفر كاشف ، تابع ابراهيم بيك ، ويده مراسلة خطابا للعلماء والمشايخ . وقيل انه كان بمصر من مدة أيام . وكان يجتمع بطاهر باشا كل وقت بالشيخونية .

الجمعة ١٤ منه (٦ مايو ١٨٠٣ م) :

اجتمع المشايخ عند القاضى ، وركبوا صحبته وذهبوا عند طاهر باشا ، وعملوا ديوانا . وأحضر القاضى فروة سمور البسها لطاهر باشا ليكون قائمقام حتى تحضر له الولاية ويأتى وال وكلموه

على رفع الحوادث والمظالم ، وظنوا فيه الخيرية ، واتفقوا على كتابة عرض حال بصورة ما وقع ، وقرأوا المكتوب الذى حضر من عند الأمراء القبالي . وهو مشتمل على آيات وأحاديث وكلام طويل ، ومحصله : أنهم طائعون وممتثلون ، ولم يحصل منهم تعد ولا محاربة ، وانما اذا حضروا الى جهة أو بلد وطلبوا المرور عليها أو قضاء حاجة من بندر... منعهم الحاكم والعساكر التى بها وناذبوهم بالمحاربة والبطرد . ومع ذلك اذا وقعت بيننا محاربة لا يثبتون لنا وينهزمون ويفرون ، وقد تكرر ذلك المرة بعد المرة . ولا يخفى ما يترتب على ذلك من النهب والسلب وهتك الحرائر .

وقد وقع أننا لما حضرنا بالمنية فحصل ما حصل ، وبدأونا بالطرده والابعاد ، حصل ما حصل مما ذكر ، وعوقب من لا جنى . وذنب الرعية والعباد فى رقابكم . وقد التمسنا من سادتنا المشايخ أن يتشفعوا لنا عند حضرة الوزير ، ويعطينا ما يقوم بموتتنا ومعاشنا ، فأبى حضرة الوزير الا اخراجنا من القطر المصرى كليا . وبعثتم تحذروننا مخالفة الدولة العلية مستدلين علينا بقوله تعالى « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » . ولم تذكروا لنا آية تدل على أننا نخرج من تحت السماء ، ولا آية تدل على أننا نلقى بأبدنا الى التهلكة . وذكرتم لنا أن حريتنا وأولادنا بمصر ، وربما ترتب على المخالفة وقوع الضرر بهم . وقد تعجبنا من ذلك فاننا انما تركنا حريتنا ثقة بأنهم فى كفالتكم وعرضكم ... على أن المروءة تأبى صرف البهمة الى امتداد الأبدى للحريم ... والرجال للرجال على أن الفلك دوار ، والله يقلب الليل والنهار ، والملك بيد الله يؤتیه من يشاء « قل اللهم مالك الملك » الآية .

فلما قرئ ذلك بتفاصيله ، تعجب السامعون له . فكأنما كانوا ينظرون من خلف حجاب الغيب .

